الأسلوبية الصوتية

مدخل نظري ودراسة تطبيقية





إبراهيم جابر علي

الأسلوبية الصوتية مدخل
نظري ودراسة تطبيقية



الأسلوبية الصوتية مدخل نظري ودراسة تطبيقية

تأليف
إبراهيم جابر محمد علي

2015



الطبعة الأولى

2015



رقم التصنيف	**: 412.2**
المؤلف ومن هو في حكمه	**: إبراهيم جابر محمد علي**
عنوان الكتاب	**: الأسلوبية الصوتية مدخل نظري ودراسة تطبيقيه**
بيانات الناشر	**: أمواج للنشر والتوزيع، عمان - الأردن**
عدد صفحات الكتاب	**: 353**
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية	**:(2014/11/5309)**
الرقم المعياري الدولي (ISBN)	**: 978-9957-596-19-4**
الواصفات	**: /علم الأصوات//اللغة العربية/**

- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.**
- **تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية**

رؤيتنا: العلم والثقافة أساسان متينان للحياة السوية على طريق النجاح والعمل الإبداعي

رسالتنا: نشر الإبداعات في شتى صنوف العلم والمعرفة بما يسهم في التطور مع المحافظة على الموروث لإعداد جيل صالح يرتقي بالأمة نحو الآفاق ويضعها في صدارة الأمم.

قيمنا: منارات ترشدنا لتحقيق رؤيتنا ورسالتنا

أمواج للطباعة والنشر والتوزيع
المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان
تلفاكس: 0096264888361 /0096264889651

:amwajpub@yahoo.com
www.amwaj-pub.com



بسم اللـه الرحمن الرحيم

مقدمة

الَحمدُ لـلـه الَّذِي هَدَانَا لِحَمْدِه، والصَّلاَةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّهِ وَعَبْدِه، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ اِهْتَدَوْا بِهَدْيِهِ ، وَبَعْدُ ...

فَيسْعَىٰ هذا البحث لِدِرَاسَةِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ فِي المسْتَوَىٰ الصَّوْتِيِّ لِشَرِيحَةٍ مِنْ شَرَائِحِ الشِّعْرِ الحدِيثِ، مُمَهِّدَةً لِذَلِكَ بِإِطَارٍ تَنْظِرِيٍّ يُمَثِّلُ نُقْطَةَ الانْطِلَاقِ لِرَصْدِهِ وَالتَّعَامُلِ مَعَهُ.إِيمَانًا مِنَ الْبَاحِثِ بِأَنَّ لِكُلِّ شَاعِرٍ بَصْمَتَهُ الْأُسْلُوبِيَّةَ فِي مُسْتَوَيَاتِ لُغَتِهِ وَخَاصَّةً المسْتَوَىٰ الصَّوْتِيَّ؛ذَلِكَ الَّذِي يُعَدُّ أَهَمَّ مَا يُمَيِّزُ لُغَةَ الشِّعْرِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ.

عَلَىٰ أَنَّنَا لَا نَقْصِدُ بِكَلَامِنَا أَنَّ المسْتَوَىٰ الصَّوْتِيَّ مُنْفَصِلٌ عَنِ المسْتَوَيَاتِ الْأُخْرَىٰ، فَالنَّصُّ الْأَدَبِيُّ وَحْدَةٌ مُتَمَاسِكَةٌ، وَالدِّرَاسَةُ الصَّوْتِيَّةُ تَكْشِفُ عَنْ إِسْهَامِ البِنْيَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ ـ بِجِوَارِ المسْتَوَيَاتِ الْأُخْرَىٰ ـ عَنْ جَمَالِيَاتِ النَّصِّ كُلِّهِ ـ فَبِنْيَةُ الشِّعْرِـ كَمَا يَقُولُ «يوري لوتمان» ـ بِنْيَةٌ مُعَقَّدَةٌ، وَكُلُّ عَنَاصِرِهِ المكَوِّنَةِ لَهُ عَنَاصِرُ دَالَّةٌ، فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ إِشَارَاتٍ إِلَىٰ مَضْمُونٍ مُعَيَّنٍ.

تَسعَىٰ الدِّرَاسَةُ إِلَىٰ اِخْتِبَارِ صِدْق هَذه المقُولَةِ بِتَطْبِيقِهَا عَلَىٰ تِلْكَ الْعَنَاصِرِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي تَبْدُو مَحْضَ شَكْلِيَّةٍ ، كَالْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَعَنَاصِرِ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ بِمُسْتَوَيَاتِهِ المخْتَلِفَةِ.

كَمَا أَنَّهَا تُحَاوِلُ الْوُصُولَ إِلَىٰ كِيَانٍ مَعْرِفِيٍّ مُشْتَرَكٍ بَيْنَ النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ وَالدِّرَاسَاتِ الصَّوْتِيَّةِ قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ إِقَامَةِ مِعْيَارٍ لِلصَّوْتِ بِشَتَّىٰ تَشْكِيلَاتِهِ:فُرَادَىٰ وَجَمَاعَاتٍ. رَابِطَةً بَعْضَ مَبَاحِثِ الصَّوْتِيَّاتِ بِالْإِيقَاعِ ـ فِي مَفْهُومِهِ الْكَمِّيِّ ـ لِتِبْيَانِ قُدْرَتِهِ عَلَىٰ تَخْلِيقِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ فِي رَحِمِ النَّصِّ.نَاظِرَةً بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ إِلَىٰ دَوْرِ الخَصَائِصِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ وَقُدْرَةِ هذِهِ الخَصَائِصِ عَلَىٰ إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ .مُتَّكِئَةً عَلَىٰ بَعْضِ أُطْرُوحَاتِ عِلْمِ المُوسِيقَىٰ، وَخَاصَّةً المتَعَلِّقَةَ بِمُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ.مُتَّخِذَةً آلِيَّاتِهَا مِنَ الْأُسْلُوبِيَّةِ بِوَصْفِهَا مُمَارَسَةً عِلْمِيَّةً تَسْتَعِينُ فِي تَحْلِيلِهَا لِلنَّصِّ الْأَدَبِيِّ بِتِقْنِيَّاتٍ مَنْهَجِيَّةٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنْ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ، وَعِلْمِ الجَمَالِ، وَعِلْمِ الدِّلَالَةِ، وَالْبِنْيَوِيَّةِ، وَالْإِحْصَاءِ.جَامِعَةً كُلَّ ذَلِكَ فِي إِطَارٍ تَنْظِيرِيٍّ وَطَرْحٍ تَطْبِيقِيٍّ بُغْيَةَ الْكَشْفِ عَنْ إِبْدَاعِ الصَّوْتِ فِي النَّصِّ الشِّعْرِيِّ.مُتَفَادِيَةً بِذَلِكَ الْقُصُورَ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ كُلٌّ مِنْ «دافيد أبركرومبي» و«جمال بن الشيخ»؛ حَيْثُ رَأَىٰ الْأَوَّلُ أَنَّهُ لَابُدَّ مِنْ دِرَاسَةِ الْبِنْيَةِ

الْعَرُوضِيَّةِ ضِمْنَ مَنْهَجِ الصَّوْتِيَّاتِ، وَرَأَىٰ الثَّانِي ضَرُورَةَ اِعْتِمَادِ النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ عَلَىٰ مُنْجَـزَاتِ مَبَاحِـثِ الصَّـوْتِيَّاتِ. مُتَمَنِّيَـةً أَنْ تُـدْرَسَ مُوسِـيقَىٰ الشِّـعْرِ عَـلَىٰ ضَـوْءِ مَفَـاهِيمَ مُوسِـيقِيَّةٍ وَصَـوْتِيَّةٍ كَـمَا تَمَنَّـىٰ «د.إبـراهيم أنيس».مُؤَسِّسَةً ـ فِي الْأَخِيرِ ـ لِمَنْهَجِيَّةٍ نَقْدِيَّةٍ مُنْضَبِطَةٍ تَكْشِفُ عَـنْ جَمَالِيَّـاتِ أَحَـدِ الْعَنَـاصِرِ الْأَصِـيلَةِ فِي لُغَـةِ الشِّعْرِ.

إِنَّ المسْتَوَىٰ الصَّوْتِيَّ فِي لُغَةِ الشِّعْرِ يُمَثِّلُ بَصْمَةً أُسْلُوبِيَّةً لهَـا مُكَوِّنَاتُهَـا وَخَصَائِصُـهَا المُنْغَلِقَـةُ عَـلَىٰ كُـلِّ شَـاعِرٍ، وَالْبَحْـثُ فِي هـذا المسْـتَوَىٰ يُعَـدُّ ـ فِي رَأْيِ الْبَاحِـثِ ـ أَسَاسًـا لِجَمِيـعِ المُسْـتَوَيَاتِ المُكَوِّنَـةِ لِلْبِنَـاءِ الشِّعْرِيِّ؛ذَلِكَ لِأَنَّ اللّغَةَ أَصْوَاتٌ، وهذه اللُّغَةُ هِيَ المادَّةُ الخَامُ لِلشِّعْرِ، وَبِقَدْرِ تَمَكُّنِ الشَّاعِرِ مِنْهَا وَتَشْـكِيلِهِ الْفَنِيِّ لهَا وَتَطْوِيعِهَا لِلتَّعْبِيرِ عَنْ رُؤَاهُ تُقَاسُ شَاعِرِيَّتُهُ.فَلَا نُخْطِئُ ــ إِذَنْ ـ إِنْ قُلْنَـا: إِنَّ الشِّـعْرَ صَـوْتٌ.صَـوْتٌ يَخْتَلِفُ عَنِ الْأَصْوَاتِ المحِيطَةِ بِنَا فِي عَالَمِنَا المُكْتَظِّ بِالصِّيَاحِ وَالضَّجِيجِ. صَوْتٌ يَطْرَبُ لَهُ حَتَّىٰ الَّذِي لَـمْ يَنَـلْ قِسْطًا مِنَ الْعِلْمِ وَالثَّقَافَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يُمَيِّزَهُ عَنِ الْكَلَامِ النَّثْرِيِّ بِمُجَرَّدِ سَـمَاعِهِ .إِنَّـهُ صَـوْتٌ يُعَـبِّرُ بِـهِ الشَّاعِرُ عَنْ عَالَمِهِ وَرُؤَاهُ وَأَحْلَامِهِ وَطُمُوحَاتِهِ، وَآلَامِهِ وَآمَالِهِ.إِنَّ الشِّعْرَ صَوْتٌ يُمَيِّزُ الشَّاعِرَ فِي صَحَرَاءِ صَـمْتِ الْعَالَمِ الجَرْدَاءِ.

إِنَّ دِرَاسَةَ الْبِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي تَشْكِيلَاتِهَا الْعَرُوضِيَّةِ وَصُوَرِ قَوَافِيهَا وَنِسَبِ تَكْرَارِ رَوِيِّهَا، وَبَرَاعَـةِ الشَّـاعِرِ فِي اسْتِغْلَالِ عَنَاصِرِ هَنْدَسَـتِهَا تُعَـدُّ دِرَاسَـةً فِي صَـمِيمِ أَدَاةٍ تَعْبِيرِيَّـةٍ مُهِمَّـةٍ وَذَاتِ حَسَاسِـيَةٍ خَاصَّـةٍ، وَتَـزْدَادُ أَهَمِّيَّتُهَا إِذَا كَانَتْ تَرْصُدُ تَحَوُّلًا تَارِيخِيًّا فِي مَسَارِ حَرَكَةِ الشِّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ـ كَمَا هِيَ الحَالُ فِي دِرَاسَتِنَا هـذِهِ ـ لِأَنَّهَا ـ حِينَئِذٍ ـ تُقَدِّمُ وَصْفًا دَقِيقًا لِآلِيَّاتِ وَخُطُوَاتِ هذَا التَّحَوُّلِ فِي قِطَاعٍ عَرْضِيٍّ مِنْهُ مُتَمَثِّـلٍ فِي شِـعْرِ شَـاعِرٍ مَا؛لِأَنَّ الْبَاحِثَ فِي هذا المجَالِ ـ مَجَالِ البِنْيَـةِ الصَّـوْتِيَّةِ ـ يَجِـبُ أَلَّا يَغْفـلَ عَـنِ التَّطَـوُّرِ الْأُسْـلُوبِيِّ لِلْمُسْـتَوَىٰ الصَّوْتِيِّ فِي لُغَةِ الشَّاعِرِ عَبْرَ مَرَاحِلِ إِبْدَاعِهِ المُخْتَلِفَةِ عُمْرِيًّا وَأَيْـدُولُوجِيًّا، وَيَجِـبُ أَلَّا يَغْفـلَ عَـنْ مُقَارَنَـةِ هـذَا المسْتَوَىٰ بِمِثْلِهِ مِنَ الشُّعَرَاءِ مِمَّنْ يُعَاصِرُونَهُ وَالَّذِينَ قَامَتْ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ حَرَكَةُ تَطْوِيرٍ.

وهذِهِ المُقَارَنَةُ تُحَقِّقُ ثَلَاثَةَ أَهْدَافٍ:أَوَّلهَا : قِيَاسُ مَدَىٰ التَّغْيِيرِ الَّذِي أَحْدَثَهُ الشَّاعِرُ مَعَ رِفَاقِـهِ مِنْ فَصِيلِهِ الْأَدَبِيِّ عَلَىٰ خَارِطَةِ الشِّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ.وَهذَا المدَىٰ هُـوَ الَّـذِي يُعْطِيـهِ تَمَيُّـزَهُ ـ لَا امْتِيَـازَهُ ـ عَنْ سَائِرِ أَفْرَادِ الْقَبِيلَةِ الْأَدَبِيَّةِ.مِمَّا يُبَيِّنُ حَجْمَ إِسْهَامِهِ فِي حَرَكَةِ التَّطْوِيرِ تِلْـكَ.وَثَانِيهَـا: قِيَـاسُ نِسْـبَةِ ثَبَـاتِ هــذَا التَّطَـوُّرِ الَّـذِي أَحْدَثَتْـهُ الجَمَاعَـةُ الْأَدَبِيَّـةُ عَـلَىٰ مِسَـاحَةٍ أَكْـبَرَ مِـنْ عَـدَدِ شُـعَرَاءِ

الجِيلِ.ثَالِثُها: يَتَمَثَّلُ فِي حَجْمِ اسْتِفَادَةِ الجِيلِ اللَّاحِقِ بِهذِهِ الجَمَاعَةِ الَّتِي تَحَوَّلَ عِنْدَهَا مَسَارُ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

فِي هذا البحثِ نَتَوَقَّفُ بِالدِّرَاسَةِ عِنْدَ المرْحَلَةِ الْأُولَىٰ مِنَ الْأَهْدَافِ السَّابِقَةِ؛إِذْ إِنَّهَا تَقُومُ بِوَضْعِ شَرِيحَةٍ بِقِطَاعٍ عَرْضِيٍّ لِلاتِّجَاهِ الرُّومَانْسِيِّ الَّذِي عُرِفَ فِي مِصْرَ بِجَمَاعَةِ أَبُولُّلو، هـذَا الْقِطَاعُ الْعَرْضِيُّ يَتَمَثَّلُ فِي شِعْرِ «سيِّد قُطب» (1906 ـ 1966)، أَمَّا الهَدَفَانِ الْآخَرَانِ فَيَتَأَتَّيَانِ بِجَمْعِ مَحْصُولِ هـذِهِ الدِّرَاسَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ نَوْعِهَا نَفْسِهِ، وَيَقُومُ بِجَمْعِ مَحْصُولِ هَـٰذِهِ وَتِلْكَ نُقَّادٌ يُؤَرِّخُونَ لِلْمَرْحَلَةِ الشِّعْرِيَّةِ بِنَاءً عَلَىٰ وَقَائِعَ عِلْمِيَّةٍ مَدْرُوسَةٍ دِرَاسَةً مَنْهَجِيَّةً مُنَظَّمَةً لَا مَجَالَ فِيهَا لِلذَّاتِيَّةِ أَوِ الانْطِبَاعِيَّةِ الَّتِي نَعَاهَا كَثِيرٌ مِنَ الْبَاحِثِينَ عَلَىٰ النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ.

يَنْتَمِي الشَّاعِرُ «سيِّد قُطب»ـ شِعْرِيًّاـ إِلَىٰ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو، الَّتِي كَانَتْ مَرْحَلَةً تَأْسِيسِيَّةً فِي حَرَكَةِ تَجْدِيدِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ.والحَقُّ إِنَّ الْقَارِئَ لِاسْمِ الشَّاعِرِ الَّذِي اتُّخِذَ مَجَالًا لِلتَّطْبِيقِ رُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّهُ سَيُطَالِعُ شِعْرًا مُؤَدْلجًا، مُحَمَّلًا بِتَوَجُّهَاتٍ فِكْرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ فِي شُؤُونِ الحُكْمِ وَعَلَاقَةِ الحَاكِمِ بِالرَّعِيَّةِ خَاصَّةً فِي ظِلِّ الظُّرُوفِ السِّيَاسِيَّةِ الرَّاهِنَةِ فِي مِصْرَ.وَهِيَ تَوَجُّهَاتٌ يَعْرِفُهَا كُلُّ مَنْ يَسْمَعُ اِسْمَ «قُطْب»، ذَلِكَ المُفَكِّرُ الْإِسْلَامِيُّ الَّذِي رَاحَ شَهِيدًا إِبَّانَ فَتْرَةِ ظُهُورِ المَلَامِحِ الدِّيكْتَاتُورِيَّةِ الَّتِي أَخَذَتْ تُخَالِطُ الُممَارَسَةَ السِّيَاسِيَّةَ لِلنِّظَامِ النَّاصِرِيِّ، وَرُبَّمَا يَذْهَبُ بِهِ الظَّنُّ أَنَّ كَاتِبَ هذِهِ الْأُطْرُوحَةِ مُحَمَّلًا ـ بِالضَّرُورَةِ ـ بِكُلِّ هذِهِ الْآرَاءِ المَعْرُوفَةِ عَنِ الشَّاعِرِ، وَالَّتِي تَرَكَّزَتْ فِي كِتَابِ «مَعَالِمُ في الطَّرِيقِ»، تِلْكَ الْآرَاءُ وَالْأُطْرُوحَاتُ الَّتِي ظَلَّتْ مَعْرُوفَةً عَنِ الشَّاعِرِ طِيلَةَ عَهْدٍ مِنَ الزَّمَانِ، بَلْ لَقَدْ تَرَسَّخَتْ مَعْرِفِيًّا لَدَىٰ قِطَاعَاتٍ عَرِيضَةٍ مِنَ المتَابِعِينَ لِلْحَرَكَةِ الثَّقَافِيَّةِ المِصْرِيَّةِ.

إِنَّ هذِهِ السُّمْعَةَ الَّتِي ذَاعَتْ عَنْ «قُطب» كَادَتْ أَنْ تُلْغِيَ فَتْرَةَ إِبْدَاعٍ شِعْرِيٍّ وَنَقْدِيٍّ خِصْبَةً لَهُ، اِسْتَمَرَّتْ طِيلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ عَامًا قَبْلَ صِدَامِهِ المَعْرُوفِ مَعَ النِّظَامِ النَّاصِرِيِّ، ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يَرَىٰ فِيهِ ـ بَادِئَ الْأَمْرِ ـ أَدِيبًا مَرْمُوقًا وَعَبْقَرِيَّةً مِصْرِيَّةً يَجِبُ أَلَّا تُهْمَلَ فِي المجْتَمَعِ المِصْرِيِّ.بَلْ إِنَّهُ قَلَّدَهُ مَنْصِبَ رَئِيسِ هَيْئَةِ التَّحْرِيرِ، وَأَقَامَتِ الهَيْئَةُ اِحْتِفَالًا كَبِيرًا لِلشَّاعِرِ بِحُضُورِ الرَّئِيسِ.وَعِنْدَمَا خَامَرَ الشَّاعِرَ الشَّكُّ فِي أَنَّ صَاحِبَهُ سَيُسْلِمُهُ إِلَىٰ مَصِيرٍ أَلِيمٍ جَهَرَ بِذَلِكَ، فَقَامَ رَئِيسُ النِّظَامِ وَعَاهَدَهُ عَلَىٰ الدِّفَاعِ عَنْهُ.وَهُوَ ذَاتُهُ الرَّجُلُ الَّذِي أَمَرَ بِإِعْدَامِهِ فِيمَا بَعْدُ!

شِعْرُ «قُطب» جَاءَ بَعِيدًا عَنْ كُلِّ الْأَيْدُولُوجِيَّاتِ الَّتِي شُـهِرَتْ عَـنِ الشَّـاعِرِ فِي كِتَابَاتِـهِ النَّثْرِيَّـةِ ضِـمْنَ مَشْرُوعِهِ الْإِسْلَامِيِّ، بِلْ إِنَّ الْقَارِئَ لِشِعْرِهِ يَجِدُ بِهِ أَبْهَىٰ صُوَرِ الرُّومَانسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ. فَهُوَ الْقَلِقُ الْوُجُودِيُّ الَّـذِي يَنْظُرُ لِلْحِيَاةِ بِنَظْرَةٍ مِيتَافِيزِيقِيَّةٍ.وَهُوَ الْمُتَشَوِّقُ إِلَىٰ حَرَارَةِ الْيَقِينِ الْغَائِبِ فِي حَيَاتِـهِ الْبَـارِدَةِ الْعَاتِيَـةِ، بَـلْ إِنَّـهُ يَرَىٰ أَنَّ الحَيَاةَ مَهْزَلَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَهُوَ المُتَأَمِّلُ لِلرِّيفِ المِصْرِيِّ بِنَضَارَتِهِ وَبَكَارَتِهِ مِنْ قَبْـلَ أَنْ تَمَسَّـهُ رِيَـاحُ المَدَنِيَّـةِ الحَدِيثَةِ .وَهُوَ المَتَشَوِّقُ لِمصْرَ الذَّائِبُ حُبًّا فِيهَا أَثْنَاءَ فَتْرَةِ بِعْثَتِهِ إِلَىٰ أَمِرِيكَا لِدِرَاسَةِ أُصُولِ التَّرْبِيَةِ وَمَنَاهِجِهَـا، وَهُوَ المُحِبُّ الْعَاشِقُ الَّذِي يَرَىٰ فِي المحْبُوبَةِ المَلَاذَ الْآمِنَ مِـنْ عَـذَابَاتِ عَالَمِـهِ .وَهُـوَ الشَّـاعِرُ المُرْهَـفُ الَّـذِي تَدَغْدَغَتْ عَاطِفَتُهُ إِثْرَ قُبْلَةٍ أَصَابَهَا مِنْ حَبِيبَتِهِ، وَهُوَ الصَّبُّ الدَّنِفُ الَّذِي يُقَاسِي غَدْرَ الحَبِيبَةِ وَهَجْرِهَـا بَـلْ خِيَانَتِهَا، وَهُوَ الرَّاثِي لِزَعِيمِ الْوَطَنِيَّةِ «سعد زغلول» بَاعِثِ الرُّوحِ الْوَطَنِيَّةِ فِي نُفُوسِ المصْرِيِّـينَ، وَهُـوَ المَتَفَجِّـعُ لموْتِ مُؤْنِسَةِ وَحْدَتِهِ الهِرَّةِ «سُوسُو»!!

يَكَادُ يَشْتَبِكُ شِعْرُ «قُطب» مَعَ السُّلْطَةِ النَّاصِرِيَّةِ فِي وَجْهِهَا الْكَئِيـبِ؛وَلَكِنْ بَعْـدَ أَنِ اتَّجَـهَ الشَّـاعِرُ إِلَىٰ تَأْسِيسِ مَشْرُوعِهِ الْفِكْرِيِّ السِّيَاسِيِّ.وهذَا الاِشْتِبَاكُ مُتَمَثِّلٌ فِي قَصِـيدَتَيْنِ : الْأُولَىٰ:«هُبَـلٌ...هُبَـلٌ» الَّتِـي كَانَـتْ هِجَاءً سِيَاسِيًّا بِغَيْرِ مُوَارَبَةٍ لِلزَّعِيمِ المتَأَلِّهِ وَلِجُوقَتِهِ الَّذِينَ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِهِ لَيْلَ نَهَارٍ، والثَّانِيَةُ :«أَخِـي» الَّتِـي جَاءَتْ نَشِيدًا حَمَاسِيًّا فِي الدَّعْوَةِ لِلتَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ وَمُوَاصَلَةِ الْكِفَاحِ؛حَتَّىٰ بَعْدَ أَنْ يَـقْضِيَ هُـوَ نَحْبَـهُ، وَفِيهَا يَنْعَىٰ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ، وَيَظْهَرُ فِيهَا الْإِحْسَاسُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ إِكْلِينِيكِيًّا، فكَانَتْ آخِرَ مَا كَتَبَ شِعْرًا أَثْنَاءَ فَتْرَةِ الزَّجِّ بِهِ إِلَىٰ غَيَابَاتِ المُعْتَقَلَاتِ، ثُمَّ إِعْدَامِهِ فِي فَجْرِ الْإِثْنَيْنِ 13 جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ 1386 هـ الموَافِقِ 29 أَغُسْـطُسَ عَـامَ 1966 م.

تَأْتِي هَذِهِ الدِّرَاسَةُ مُحَدِّدَةً أَهْدَافَهَا ـ كَمَا ذُكِرَتْ مِـنْ قَبْـلُ ـ فِي شِـعْرِ «سـيِّد قُطـب»، مُقَسَّـمَةً عَـلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

ـ التَّمْهِيـدُ:وَهُـوَ المـدْخَلُ النَّظَـرِيُّ لِهَـذِهِ الْأُطْرُوحَـةِ، وَفِيـهِ عَـرْضٌ لِأَهَـمِّ مَلَامِـحِ الْأُسْـلُوبِيَّةِ وَعَلَاقَتِهَـا بِاللِّسَانِيَّاتِ وَبِالنَّقْدِ الْأَدَبِيِّ وَالْبَلَاغَةِ، ثُمَّ تَوَقَّفَ عِنْدَ مُصْطَلَحِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ مُشِيرًا إِلَىٰ أَهَـمِّ المُصْـطَلَحَاتِ الَّتِي تَنْبَثِقُ مِنْهُ، ذَاكِرًا الْآلِيَّاتِ الْفَنِّيَّةَ الَّتِي اتَّكَأَ عَلَيْهَا الْبَاحِثُ فِي إِنْجَازِ الدِّرَاسَةِ.

ـ الْبَابُ الْأَوَّلُ: «أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ» ، فِي فَصْلِهِ الْأَوَّلِ تَمَّتْ دِرَاسَةُ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي مَالَ الشَّاعِرُ إِلَيْهَا ، مُعَرِّجًا عَلَىٰ نِسْبَةِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ ، مُقَارِنًا الشَّاعِرَ بِآخَرِينَ مِنْ نَفْسِ الاتِّجَاهِ الْأَدَبِيِّ، وُصُولًا إِلَىٰ عِدَّةِ نَتَاجَ مَذْكُورَةٍ فِي نِهَايَةِ الْفَصْلِ، وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي تَمَّتْ دِرَاسَةُ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ بِمَا أَنَّهَا لَبِنَاتُ الْبِنَاءِ الصَّوْتِيِّ لِلْإِطَارِ الْوَزْنِيِّ ، وَتَمَّ التَّوَقُّفُ أَمَامَ أَبْرَزِ التَّغْيِيرَاتِ الَّتِي تُصِيبُ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةَ، وَدَوْرِهَا فِي إِنْتَاجِ دِلَالَةِ النَّصِّ ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ تَغْيِيرَاتٍ مُتَاحَةً عَرُوضِيًّا فِي إِطَارِ الْوَزْنِ، أَمْ تَغْيِيرَاتٍ اِسْتَحْدَثَهَا الشَّاعِرُ بِحِسِّهِ الْمُوسِيقِيِّ.وَفِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ جَمَعَ الْبَاحِثُ مَحْصُولَ الْآلِيَّاتِ الصَّوْتِيَّةِ السَّابِقَةِ وَقَدَّمَ دِرَاسَةً عَنِ الْإِيقَاعِ وَمَفْهُومِهِ وَعَلَاقَتِهِ بِالْوَزْنِ وَالدَّلَالَةِ، وَقَدْ تَوَقَّفَ بِالدِّرَاسَةِ عِنْدَ الْإِيقَاعِ فِي أَكْثَرِ الْأَوْزَانِ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ رَابِطًا كُلَّ ذَلِكَ بِمَا يُحْدِثُهُ الْإِيقَاعُ الصَّوْتِيُّ مِنْ دَلَالَاتٍ بُؤَرِيَّةٍ مُكَوِّنَةٍ لِدَلَالَةِ النَّصِّ.

ـ الْبَابُ الثَّانِي:«أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ فِي الْقَافِيَةِ»، فِي فَصْلِهِ الْأَوَّلِ تَمَّتْ دِرَاسَةُ رَوِيِّ الْقَافِيَةِ وَصُوَرِهَا، وَذَلِكَ لِلْوُقُوفِ عَلَىٰ أَهَمِّ الخَصَائِصِ الصَّوْتِيَّةِ المائزَةِ لِهَذَا الْعُنْصُرِ الْأَصِيلِ مِنْ عَنَاصِرِ الْبِنَاءِ الْمُوسِيقِيِّ فِي الشعر. وَجَاءَ الْفَصْلُ الثَّانِي فِي شِقَّيْنِ ؛ الْأَوَّلِ: لِدِرَاسَةِ أَنْمَاطِ التَّقْفِيَةِ فِي النَّصِ؛ إِذْ إِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَعُدْ يَنْتَهِجُ طَرِيقَةً وَاحِدَةً فِي تَوْزِيعِ الرَّوِيِّ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْتَهِجُ طُرُقًا أُخْرَىٰ مُتَعَدِّدَةً تَمَّ رَصْدُهَا إِحْصَائِيًّا عَلَىٰ نَحْوِ مَا سَيَظْهَرُ.أَمَّا الشِّقُّ الثَّانِي فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِدِرَاسَةِ الْأَنْسَاقِ الصَّوْتِيَّةِ لِصَوْتِ الرَّوِيِّ ؛ إِذْ إِنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يُنَوِّعُ فِي أَصْوَاتِ الرَّوِيِّ دَاخِلَ النَّصِّ الْوَاحِدِ لَكِنْ يَبْقَىٰ هذَا التَّنَوُّعُ مُنَظَّمًا دَاخِلَ نَسَقٍ صَوْتِيٍّ وَاحِدٍ يَجْمَعُ أَصْوَاتًا عِدَّةً . وَجَاءَ الْفَصْلُ الثَّالِثُ ـ فِي دَائِرَةٍ أَكْثَرَ اتِّسَاعًا ـ لِدِرَاسَةِ دَوْرِ الْقَافِيَةِ فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ. وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ اخْتِيَارِ عِدَّةِ نُصُوصٍ إِبْدَاعِيَّةٍ.

ـ الْبَابُ الثَّالِثُ : «أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ الْمُتَوَازِي» ، فِي فَصْلِهِ الْأَوَّلِ تَمَّتْ دِرَاسَةُ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الحَرْفِ بِمَا أَنَّهُ أَصْغَرُ وَحْدَةٍ صَوْتِيَّةٍ يَتَكَوَّنُ مِنْهَا النَّصُّ وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي تَمَّتْ دِرَاسَةُ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْكَلِمَاتِ، وَهُوَ فِي أَسَاسِهِ قَائِمٌ عَلَىٰ ظَاهِرَةِ التَّكْرَارِ النَّمَطِيِّ لِكَلِمَتَيْنِ فِي بِنْيَةِ الْبَيْتِ، وَهذَا التَّكْرَارُ يَقُومُ بِسَبْكِ النَّصِّ وَتَرَابُطِهِ ، وَقَدْ تَعَدَّدَتْ ظَوَاهِرُ التَّوَازِي الصَّوتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْكَلِمَاتِ فِي شِعْرِ«قُطب» وَجَاءَتْ عَلَىٰ سِتِّ صِوَرٍ، هِيَ: التَّصْرِيعُ ـ التَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ ـ الجِنَاسُ (بِأَنْوَاعِهِ). ـ رَدُّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ (بِصِوَرِهِ) ـ التَّرْدِيدُ ـ الْقَافِيَةُ المعْكُوسَةُ أَوْ قَافِيَةُ المَطَالِعِ.وفي الفصل الثَّالِثِ تَمَّتْ دِرَاسَةُ التَّوَازِي

الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ وَفِيهِ يَتِمُّ التَّوَازِي بَيْنَ تَرْكِيبَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ صَوْتِيًّا عَـنْ طَرِيـقِ :التَّـوَازِي الْقَرِيـبِ ، وَهُوَ يَقُومُ بِدَوْرِهِ فِي إِنْتَاجِ الْمَاثَلَةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي خَطَّيْنِ : أُفُقِيٍّ وَرَأْسِيٍّ ، والتَّوَازِي الْبَعِيدِ.

ـ ثُمَّ تُخْتَتَمُ الدِّرَاسَةُ بِالخَاتِمَةِ الَّتِي تَشْمَلُ أَهَمَّ نَتَائِجِ الْبَحْثِ.

وَبَعْدُ، ،   فَإِنَّ هذَا الْبَحْثَ ـ كَكُلِّ بَحْثٍ ـ يَفْتَقِدُ إِلَىٰ بَعْضِ الْعَنَاصِرِ الَّتِي تُقَوِّمُ مَـا فِيـهِ مِـنِ اعْوِجَـاجٍ وَتُصَوِّبُ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ عَثَرَاتٍ، لَكِنَّهُ ـ رَغْمَ كُلِّ هذَا ـ لَمْ يَفْتَقِدْ ـ وَلَوْ لِلَحْظَـةٍ وَاحِـدَةٍ ـ قِيمَـةَ الصِّـدْقِ وَالْإِيمَانِ بِشَرْعِيَّةِ الْعِلْمِ آلِيَّةً فَعَّالَةً فِي النُّهُوضِ بِهَذَا الْوَطَنِ.

إبراهيم جابر علي

كُلِّيَّةُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِتُونْغشِينَ ـ نِينْغشِيَا ـ الصِّين

2013/8/ 20

تمهيد

يَسْعَىٰ هذَا التَّمْهِيدُ لِتَوْضِيحِ الْإِطَارِ النَّظَرِيِّ الْعَامِّ لِلدِّرَاسَةِ، وَفِيهِ نَتَوَقَّفُ عِنْدَ أَرْبَعِ نِقَاطٍ رَئِيسِيَّةٍ تُشَكِّلُ لُـحْمَةَ الدِّرَاسَةِ وسَدَاهَا ؛

الْأُولَىٰ: تَتَمَثَّلُ فِي «الْأُسْلُوبِيَّة» « Stylistic » وَوَشَائِجِ الصِّلَةِ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللِّسَانِيَّاتِ وَالْبَلَاغَةِ وَالنَّقْـدِ الْأَدَبِيِّ.

وَالثَّانِيَةُ: تَتَعَلَّقُ بـ«الأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ» « Phonetic Stylistic » مُصْطَلَحًا وَمَنْهَجًا، وَآلِيَّاتٍ فَنِّيَّةً.

وَالثَّالِثَةُ: تُوَضِّحُ مُصْطَلَحَ «الْأَدَاءِ«Performance» »، وَتبيِّنُ عَلَاقَتَهُ بِهَذِهِ الدِّرَاسَةِ.

وَالرَّابِعَةُ : تَتَمَحْوَرُ حَوْلَ المَادَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ فِي شِعْرِ «قُطْب»[1] نَمُوذَجًا.

عَلَىٰ أَنْ تَتِمَّ مُنَاقَشَةُ هذِهِ النِّقَاطِ الْأَرْبَعَةِ مُنَاقَشَةً تُحَدِّدُ المسَارَاتِ المنْهَجِيَّـةَ لِلْبَحْـثِ؛دُونَ الخَـوْضِ في لجَّةٍ مِنَ المُنَاقَشَاتِ وَالتَّعْرِيفَاتِ وَالْآرَاءِ؛إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ غَايَـةِ الدِّرَاسَـةِ وَأَهْـدَافِهَا، فَهَـذِهِ المُنَاقَشَـاتُ وَالْآرَاءُ مَوْقِعُهَا الطَّبَعِيُّ فِي مِتَانِ التَّنْظِيرِ الْأُسْلُوبِيِّ، وَإِنَّمَا هَدَفُ هذَا التَّمْهِيدِ هُوَ الانْطِلَاقُ مِنْ نُقْطَـةِ ارْتِكَـازٍ تَنْظِـيرِيٍّ إِلَىٰ مَحَاوِرَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنَ التَّطْبِيقِ.

---

(1) سيتم التعامل مع اسم الشاعر «سيد قطب » بهٰذا الاختصـار بـين التَّنْصِيصَـيْنِ في جميـع أبـواب الدراسـة ، بـدون ضـبط إعراب.

(1)

(2/1) لَا شَكَّ أَنَّ الظَّاهِرَةَ الْأَدَبِيَّةَ تَقِفُ عَلَىٰ تُخُومٍ وَاحِدٍ مَعَ الظَّاهِرَةِ اللُّغَوِيَّـةِ؛مِمَّا جَعَـلَ جَمْعًـا مِـنَ الْبَاحِثِينَ يُؤَكِّدُ فِي مَحْصُولِ تَعْرِيفَاتِهِ عَلَىٰ طَبِيعَـةِ الصِّـلَةِ الْعُضْـوِيَّةِ بَـيْنَ الظَّـاهِرَةِ الْأَدَبِيَّـةِ وَحُقُـولِ الدِّرَاسَـةِ اللِّسَانِيَّةِ، مُحَـدِّدًا هـذِهِ الصِّـلَةَ عَـلَىٰ أَسَـاسِ أَنَّ اللُّغَـةَ هِـيَ الْقَاسِـمُ الْمُشْـتَرَكُ لِـدَائِرَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَـيْنِ.إِنَّ اللُّغَـةَ لِلِّسَانِيَّاتِ « Linguistics » مَوْضُوعُ الْعِلْمِ ذَاتِهِ، وَهِـيَ لِـلْأَدَبِ المـادَّةُ الخَـامُّ الَّتِـي يُشَـكِّلُ بِهَـا الْأَدِيـبُ رُؤَاهُ وَأَفْكَارَهُ، وَمِنْ هذَا الْمَلْمَحِ الارْتِكَازِيِّ يُشِيرُ «جَاكَبْسُون» إِلَىٰ أَنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ فَنٌّ مِنْ أَفْنَانِ شَجَرَةِ اللِّسَـانِيَّاتِ[1]، فِي حِينِ يَعْتَبِرُ «آرِيفَايْ» الْأُسْلُوبِيَّةَ وَصْفًا لِلنَّصِّ الْأَدَبِيِّ حَسْبَ طَرَائِقَ مُسْتَقَاةٍ مِنَ اللِّسَانِيَّاتِ[2]، فِي حِـينِ يَـرَىٰ «دُولَاس رِيفَاتار» أَنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ تُعَرَّفُ بِأَنَّهَا مَنْهَجٌ لِسَانِيٌّ.[3]

وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ هذَا التَّمَاسِّ بَيْنَ الْأُسْلُوبِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّاتِ، فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ نَتَلَمَّسَ حُدُودًا ـ وَلَـوْ نِسْـبِيَّةً ـ بَيْنَ التَّحْلِيلِ الْأُسْلُوبِيِّ الَّذِي يَصِـفُ «الْكَـلَامَ»، وَالتَّحْلِيـلِ اللُّغَـوِيِّ اللِّسَـانِيِّ الَّـذِي يَسْـعَىٰ إِلَىٰ تَحْدِيـدِ الْكَفَـاءَةِ اللُّغَوِيَّةِ «Competence»[4] الَّتِي يَمْتَلِكُهَا المتُكَلِّمُ .

إِذْ يَرَىٰ «د.صَلَاحُ فَضْل» أَنَّ التَّحْلِيلَ الْأُسْلوبِيَّ فِي جَوْهَرِهِ تَحْلِيلٌ تَصْنِيفِيٌّ، لَا يَعْتَمِـدُ عَـلَىٰ الافْتِرَاضَـاتِ، وَأَنَّ قِيمَتَهُ فِي حَالَةِ الشِّعْرِ لَا تَتَوَقَّفُ عَلَىٰ كَفَاءَتِهِ فِي إِنْتَاجِ أَشْعَارٍ جَدِيـدَةٍ، وَأَنَّ هَدَفَـهُ الْأَسَـاسِيَّ الْوصُـولُ إِلَىٰ تَنْمِيطٍ يُشِيرُ إِلَىٰ الملامِحِ المشْتَرَكَةِ بَيْنَ نَوْعٍ مُعَيَّنٍ مِنَ النُّصُوصِ يُمْكِنُ أَنْ يُقَسَّمَ فِيمَا بَعْـدُ إِلَىٰ أَنْـواعٍ فَرْعِيَّـةٍ، وَكُلُّ نصٍّ مُخْتَلِفٍ يَتَّسِمُ تَحْدِيدُهُ فِي ضَوْءِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الخَوَاصِّ المعَيَّنَةِ.[5]

يَسُـوقُنَا الحَـدِيثُ عَـنِ اللِّسَـانِيَّاتِ وَعَلَاقَتِهَـا بِالْأُسْـلُوبِيَّةِ إِلَىٰ الحَـدِيثِ عَـنِ «النَّحْـوِ» فِي الْأُسْـلُوبِيَّةِ، إِذْ إِنَّـهُ يُشَـكِّلُ « مَرْكَـزَ ثِقَـلٍ يَسْـتَقْطِبُ جَاذِبِيَّـةَ الْأُسْـلُوبِيَّةِ عَـلَىٰ نَـوْعٍ مَـا مِـنَ التَّنَـاظُرِ إِذْ لَا

(1) د. عبد السلام المسدِّي: الأسلوبية والأسلوب ، ط. الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ط3 ، (د.ت) ، ص 47 .

(2) نفسه ، ص 48 .

(3) نفسه ، ص 48 .

(4) سنشير إلىٰ مصطلح «الكفاءة اللغوية» عند حديثنا عن «الأداء» في الصفحات التالية .

(5) د .صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985 ، ص: 116 . وعن العلاقة بين علم اللغة والأسلوبية انظر: د.عبده الراجحيّ: علم اللغة والنقد الأدبيّ «علم الأسلوب» ، مجلة فصول ، مـج1، ع2، 1981، ص 115 ، وما بعدها.

أُسْلُوبَ بِدُونِ نَحْوٍ وَلَا يَجُـوزُ الْعَكْـسُ»[1]، وَمَعْنَـىٰ ذَلِـكَ أَنَّ الْأُسْـلُوبِيَّةَ «عِلْـمٌ لِسَـانِيٌّ يُعْنَـىٰ بِدِرَاسَـةِ مَجَـالِ التَّصَرُّفِ فِي حُدُودِ الْقَوَاعِدِ الْبِنْيَوِيَّةِ لِانْتِظَامِ جِهَازِ اللُّغَةِ».[2]

إِنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ تُعْنَىٰ بِدِرَاسَةِ الخَصَائِصِ اللُّغَوِيَّةِ الَّتِي تَنْتَقِلُ بِالْكَلَامِ مِنْ مُجَـرَّدِ وَسِـيلَةِ إِبْـلَاغٍ عَـادِيٍّ إِلَىٰ أَدَاةِ تَأْثِيرٍ فَنِّيٍّ، وَالنَّصُّ الْأَدَبِيُّ خِطَابٌ تَغَلَّبَتْ فِيهِ الْوَظِيفَةُ الشِّعْرِيَّةُ لِلْكَلَامِ[3] وَعِنْدَئِذٍ تَبْحَـثُ الْأُسْـلُوبِيَّةُ عَـمَّا يَتَمَيَّزُ بِهِ الْكَلَامُ الْفَنِّيُّ عَنْ بَقِيَّةِ مُسْتَوَيَاتِ الخطابِ أَوَّلًا، وَعَنْ سَائِرِ أَصْنَافِ الْفُنُونِ الْإِنْسَانِيَّةِ ثَانِيًا.

وَالْعَمَلُ الْأَدَبِيُّ ـ أَيًّا كَانَتْ صُورَتُهُ ـ خَلقٌ لُغَوِيٌّ يَسْتَقِلُّ بِمُوَاصَـفَاتٍ فَنِّيَّـةٍ وَجَمَالِيَّـةٍ خَالِصَـةٍ تُمَيِّـزُهُ عَـنِ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ «Standard».[4]

إِنَّ اللُّغَةَ الشِّعْرِيَّةَ لَيْسَتْ نَوْعًا مِنَ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ «وَإِنْ كَـانَ هـذَا لَا يَعْنِـي إِنْكَـارَ الارْتِبَـاطِ الْوَثِيـقِ بَيْنَهُمَا، وَالَّذِي يَتَمَثَّلُ فِي حَقِيقَةِ أَنَّ اللُّغَةَ المِعْيَارِيَّـةَ هِـيَ الخَلْفِيَّـةُ الَّتِـي يَـنْعَكِسُ عَلَيْهَـا التَّحْرِيـفُ الجَـمَالِيُّ المتَعَمَّدُ لِلْمُكَوِّنَاتِ اللُّغَوِيَّةِ لِلْعَمَلِ، أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَىٰ ، الانْتِهَاكُ المتَعَمَّدُ لِقَانُونِ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ ».[5]

إِنَّ النَّحْوَ يُقَدِّمُ لَنَا الصُّورَةَ الْقَاعِدِيَّةَ لِلْجُمْلَةِ بِشَكْلِهَا المِعْيَارِيِّ، وَاللُّغَـةُ الشِّـعْرِيَّةُ نِظَـامٌ لُغَـوِيٌّ جَـمَالِيٌّ يَخْتَرِقُ النِّظَامَ المِعْيَارِيَّ الَّذِي يُفَسِّرُهُ لَنَا النَّحْوُ بِقَوَاعِدِهِ، بَلْ إِنَّ هذَا النِّظَامَ اللُّغَوِيَّ الجَمَالِيَّ يُعَدُّ فِي حَدِّ ذَاتِهِ قِمَّةَ الْأَدَاءِ اللُّغَوِيِّ، إِنَّ الصِّيَاغَةَ الشِّعْرِيَّةَ بِنَحْوِهَا المتَمَيِّزِ«تُمَثِّـلُ قِمَّـةَ الْأَدَاءِ الْفَنِـيِّ بِخُصُوصِـيَّتِهَا فِي الصِّـيَاغَةِ وَإِمْكَانَاتِهَا الدِّلَالِيَّةِ الْوَفِيرَةِ وَطَبِيعَتِهَا التَّصْوِيرِيَّةِ، هَذَا فَضْلًا عَمَّا يُغَلِّفُ ذَلِكَ كُلَّهِ مِنْ إِيقَـاعٍ مُوسِـيقِيٍّ يُؤَكِّـدُ حَقِيقَةَ التَّمَيُّزِ وَالتَّفَرُّدِ ».[6]

---

(1) د. عبد السلام المسديّ: الأسلوبية والأسلوب ، ص 55 ، ص 56 .

(2) نفسه ، ص56 .

(4) نفسه، ص 92 .

(4)المرادُ باللغةِ المعياريةِ اللغةُ التي تلتزمُ مجموعةً من القواعدِ الصوتيةِ والصرفيةِ والنحويةِ المتواضع عليها التي تستخدم في الكتابة غير الفنية ، وهي تتّسمُ بالانضباطِ والالتزامِ والاستمرارِ لتحققَ هدفًا أساسيًّا هـو التواصـلُ ... ، إنَّ اللغـةَ المعياريـةَ هي التي تشكل الخلفية التي تعكسُ الانحرافَ الجماليَّ المتعمدَ في اللغةِ الشعريةِ ، فوجود اللغـة الشـعرية ـ إذن ـ مُـرتَهنٌ بوجود هذه اللغةِ المعياريةِ . انظر : يان موكاروفسكي : اللغة المعيارية واللغة الشعرية ، ترجمة ألفت كمال الروبي ، مجلـة فصول، مج 5، ع1 ، أكتوبر 1984 ، ص40 .

(2) يان موكاروفسكي : اللغة المعيارية واللغة الشعرية ، السابق ، ص42 .

(3) د . محمد عبد المطلب : النحو بين عبد القاهر وتشومسكي ، مجلة فصول ، مج5 ، ع1 ، أكتوبر 1984 ، ص29.

إِلَّا أَنَّ ثَمَّةَ بُعْدًا آخَرَ لِلنَّحْوِ فِي الدِّرَاسَةِ الْأُسْلُوبِيَّةِ ـ يَجِبُ أَلَّا يُغْفَلَ فِي ضَوْءِ الحَدِيثِ عَنْهُ بِوَصْفِهِ عُنْصُرًا مِنْ عَنَاصِرِ اللِّسَانِيَّاتِ وَعَلَاقَتِهِ بِالْأُسْلُوبِيَّةِ، إِذْ يَرَىٰ عُلَمَاءُ لُغَةِ النَّصِّ مِنْ أَمْثَالِ «بيتوفي» و«هاريس» وَغَيْرِهِمَا أَنَّ الجُمْلَةَ لَيْسَتْ كَافِيَةً لِكُلِّ مَسَائِلِ الْوَصْفِ اللُّغَوِيِّ ؛ إِذْ لَابُدَّ أَنْ يتَّجِهَ الْوَصْفُ فِي الحُكْمِ عَلَىٰ وَحْدَةِ الجُمْلَةِ مِنْ وَضْعِهَا فِي إِطَارِ وَحْدَةٍ كُبْرَىٰ هِيَ النَّصُّ، «لَقَدْ عُنِيَ عِلْمُ اللُّغَةِ النَّصِّيُّ فِي دِرَاسَتِهِ لِنَحْوِ النَّصِّ[1] بِظَوَاهِرَ تَرْكِيبِيَّةٍ نَصِّيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، مِنْهَا عَلَاقَاتُ التَّمَاسُكِ النَّحْوِيِّ النَّصِّيِّ، وَأَبْنِيَةُ التَّطَابُقِ وَالتَّقَابُلِ، وَالتَّرَاكِيبُ المحْوَرِيَّةُ، وَالتَّرَاكِيبُ التَّابِعَةُ، وَالتَّرَاكِيبُ المجْتَزَأَةُ، وَحَالَاتُ الحَذْفِ، والجُمْلَةُ المفَسِّرَةُ، وَالتَّحْوِيلُ إِلَىٰ الضَّمِيرِ وَالتَّنْوِيعَاتُ التَّرْكِيبِيَّةُ وَتَوْزِيعُهَا فِي نُصُوصٍ فَرْدِيَّةٍ، وَغَيْرُهَا مِنَ الظَّوَاهِرِ التَّرْكِيبِيَّةِ الَّتِي تَخْرُجُ عَنْ إِطَارِ الجُمْلَةِ المُفْرَدَةِ، وَالَّتِي لَا يُمْكِنُ تَفْسِيرُهَا تَفْسِيرًا كَامِلًا دَقِيقًا إِلَّا مِنْ خِلَالِ وَحْدَةِ النَّصِّ الْكُلِّيَّةِ».[2]

إِنَّ المُتَأَمِّلَ لِتُرَاثِنَا النَّقْدِيِّ يَرَىٰ أَنَّهُ قَدَّمَ دِرَاسَةً لِكَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِ وَأَبْوَابِ «نَحْو النَّصِّ»، وَيُمْكِنُنَا مِنْ خِلَالِ اسْتِقْرَاءِ مَصْدَرٍ مُهِمٍّ مِثْلِ « دَلَائِل الْإِعْجَازِ» لِعَبْدِ الْقَاهِرِ الجُرْجَانِيِّ ~ (ت474هـ) «أَنْ نُصَنِّفَ هذِهِ المسَائِلَ وَالْأَبْوَابَ ـ عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا ـ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مُسْتَوَيَاتٍ :

الْأَوَّلُ : الْأَبْوَابُ الَّتِي تُعَالِجُ « مَعَانِي الجُمَلِ» أَوْ كَمَا يُسَمُّونَهَا « أَسَالِيب الجُمَل» كَمَبَاحِثِ الْإِسْنَادِ وَصُوَرِهِ ، وَأَنْمَاطِ تَرْكِيبِهِ، كَالْإِسْنَادِ الخَبَرِيِّ وَالْإِسْنَادِ الإِنْشَائِيِّ .

الثَّانِي : المسَائِلُ المتَعَلِّقَةُ بِالظَّوَاهِرِ التَّرْكِيبِيَّةِ النَّصِّيَّةِ الصُّغْرَىٰ، كَوُجُوهِ التَّعْبِيرِ الَّتِي تَعْرِضُ لِلْإِسْنَادِ مِنْ حَذْفٍ أَوْ تَقْدِيمٍ أَوْ فَصْلٍ أَوْ إِضْمَارٍ أَوِ الْتِفَاتٍ، أَوْ خُرُوجٍ بِأَسَالِيبِ الْإِنْشَاءِ عَنْ غَرَضِهَا كَدَلَالَةِ الاسْتِفْهَامِ عَلَىٰ التَّقْرِيرِ أَوِ الْإِنْكَارِ.

الثَّالِثُ : المسَائِلُ المتَعَلِّقَةُ بِالظَّوَاهِرِ التَّرْكِيبِيَّةِ النَّصِّيَّةِ الْكُبْرَىٰ الَّتِي يَدُورُ الْكَلَامُ فِيهَا عَلَىٰ جُمْلَةِ الْكَلَامِ، كَالْإِيجَازِ الَّذِي يَنْتُجُ عَنِ الحَذْفِ:حَذْفِ المُفْرَدِ ..، أَوْ حَذْفِ الجُمْلَةِ، لِكِفَايَةِ المذْكُورِ عَنِ المحْذُوفِ» .[3]

(1) المقصود بـ«نحو النص» مجموعة المعايير الدلالية والنحوية معًا، ويضاف إليهما تداولية النص ، أو ما أطلق عليه عناصر التفاعل الإبلاغي أو الاتصالي ، انظر: د. سعيد حسن بحيري : علم لغة النص ، ط . مؤسسة المختار ، القاهرة ، (د.ت)، ص11.

(2) د . محمد العبد: اللغة والإبداع الأدبي ، ط . دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة ، ط1، 1989، ص33.

(1) السابق ، ص34.

جُمْلَةُ الْأَمْرِ يُوجِزُهُ «رينيه وِيلك» فِي أَنَّ دَارِسَ الْأُسْلُوبِ «لَا يُمْكِنُهُ التَّقَدُّمُ فِي حَقْلِهِ مَا لَمْ يُلِمّ بِالنَّحْوِ بِكُلِّ فُرُوعِهِ، وَبِالصَّوْتِيَّاتِ وَعِلْمِ الْأَصْوَاتِ الدَّالَّةِ، وَبِالصَّرْفِ، وَالتَّرْكِيبِ ، وَعِلمِ المعَاجِمِ وَعِلْمِ المعَانِي»[1].

وَعَلَىٰ هذَا فَإِنَّ النَّحْوَ يَضْبِطُ لَنَا قَوَانِينَ الْكَلَامِ، بَيْنَمَا تَقْفُو الْأُسْلُوبِيَّةُ مَا بِوِسْعِنَا أَنْ نَتَصَرَّفَ فِيهِ عِنْدَ اسْتِخْدَامِ اللُّغَةِ ، اِسْتِخْدَامًا فَنِّيًّا خَاصًّا.

(2/1) مَرَّتِ الْبَلَاغَةُ الْعَرَبِيَّةُ « Arabic Rhetoric » بِمَرْحَلَتَيْنِ، كَانَتْ أُولَاهُمَا أَقْرَبَ إِلَىٰ النَّقْدِ الِمْعْيَارِيِّ الَّذِي يَعْتَمِدُ الْقَاعِدَةَ وَالشَّاهِدَ، «وَكَانَتِ الْأُخْرَىٰ أَوْغَلَ فِي الْأُسْلُوبِيَّاتِ» .[2]

وَيَذْهَبُ «د.المَسَدِّيُّ» إِلَىٰ اِعْتِبَارِ الْأُسْلُوبِيَّةِ امْتِدَادًا لِلْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَنَفْيًا لها فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ؛إِذْ هِيَ بِمَثَابَةِ التَّوَاصُلِ وَخَطِّ الْقَطِيعَةِ فِي آنٍ وَاحِدٍ، فَالْوَاقِعُ أَنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ لَيْسَتِ امْتِدَادًا لِلْبَلَاغَةِ بِقَدْرِ مَا هِيَ مَنْهَجٌ عَلْمِيٌّ يَنْفِي فِي جَوْهَرِهِ الْبَلَاغَةَ المِعْيَارِيَّةَ بِصُورَةٍ كُلِّيَّةٍ نَظَرًا لِطَبِيعَتِهَا التَّقْوِيمِيَّةِ الَّتِي تَرْفُضُهَا الْأُسْلُوبِيَّةُ رَفْضًا قَاطِعًا.[3]

تَتَمَحْوَرُ أَبْرَزُ الْفَوَارِقِ الْأَسَاسِيَّةِ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ وَالْأُسْلُوبِيَّةِ فِي أَنَّ الْبَلَاغَةَ فِي طَبِيعَتِهَا المِعْيَارِيَّةِ تُصْدِرُ الْأَحْكَامَ التَّعْلِيمِيَّةَ فِي مَادَّتِهَا وَمَوْضُوعِهَا، بَيْنَمَا الْأُسْلُوبِيَّةُ تَكُفُّ عَنْ إِرْسَالِ الْأَحْكَامِ أَوِ الذَّمِّ، وَلَا تَسْعَىٰ إِلَىٰ غَايَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ الْبَتَّةَ، فَالْأُسْلُوبِيَّةُ تَنْفِي عَنْ نَفْسِهَا كُلَّ مِعْيَارِيٍّ.

إِنَّ الْبَلَاغَةَ تَحْكُمُ بِمُقْتَضَىٰ أَنْمَاطٍ مُسْبَّقَةٍ وَمُطَوَّلَاتٍ جَاهِزَةٍ وَمِتَانٍ مَحْفُوظَةٍ، أَمَّا الْأُسْلُوبِيَّةُ فَتَتَحَدَّدُ بِقُيُودِ مَنْهَجِ الْعُلُومِ الْوَصْفِيَّةِ.

وَإِذَا كَانَتِ الْبَلَاغَةُ تَهْدُفُ إِلَىٰ بَثِّ وَصَايَا فَنِّيَّةٍ لِلْمُبْدِعِ يَجِبُ عَلَيْهِ الِالْتِزَامُ بِهَا حَتَّىٰ لَا يَخْرُجُ عَنِ المُتُونِ المَنْصُوصِ عَلَيْهَا ـ بِوَصْفِهَا عَمَلِيَّةً تَقْيِيمِيَّةً ـ فَإِنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ تَسْعَىٰ إِلَىٰ تَعْلِيلِ الظَّاهِرَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ بَعْدَ أَنْ تُقَرِّرَ وُجُودَهَا.

إِنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ تَرْغَبُ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ مِقْيَاسٍ قَبْلِيٍّ، وَتَعْتَرِفُ بِالْوَقَائِعِ اللُّغَوِيَّةِ مِنْ نَاحِيَةِ

---

(1) رينيه ويلك: مفاهيم نقدية ، ترجمة محمد عصفور ، ط. المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ، ع110 ، فبراير 1987 ، ص431.

(2) د .تمام حسان :الأصول ، دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، ط.الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1982 ص312.

(3) د. عبد السلام المسديّ : الأسلوبية والأسلوب ، ص 52 .

مَضَامِينِهَا الْوِجْدَانِيَّةِ، أَيْ إِنَّهَا تَدْرُسُ تَعْبِيرَ الْوَقَائِعِ لِلْحَسَاسِيَّةِ المُعَبَّرِ عَنْهَا لُغَوِيًّا، كَمَا أَنَّهَا تَدْرُسُ فِعْلَ الْوَقَائِعِ اللُّغَوِيَّةِ عَلَىٰ الحَسَاسِيَّةِ.[1]

بَيْدَ أَنَّ نِقَاطَ التَّمَاسِ وَالتَّقَاطُعِ كَائِنَةٌ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ وَالْأُسْلُوبِيَّةِ ، فَكِلَاهُمَا مَجَالُ عَمَلِهِ النَّصُّ الْأَدَبِيُّ، وَكِلَاهُمَا يَفْتَرِضُ وُجُودَ المُتَلَقِّي، غَيْرَ أَنَّهُمَا يَفْتَرِقَانِ فِي جُرْعَةِ الاهْتِمَامِ بِهِ ، «فَعَلَىٰ حِينِ أَنَّ المُتَلَقِّيَ يُمَثِّلُ طَرَفًا وَاحِدًا مِنْ أَطْرَافِ الْعَمَلِيَّةِ الإِبْلَاغِيَّةِ فِي الْبَلَاغَةِ مُتَمَثِّلًا فِي مُقْتَضَىٰ الحَالِ، نَجِدُ أَنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ قَدْ جَعَلَتْ هَذَا الحُضُورَ شَرْطًا ضَرُورِيًّا لِاكْتِمَالِ عَمَلِيَّةِ الإِنْشَاءِ، بَلْ إِنَّ المُتَلَقِّيَ مِنِ المنْظُورِ الْأُسْلُوبِيِّ هُوَ الَّذِي يَبْعَثُ الحَيَاةَ فِي النَّصِّ بِتَلَقِّيهِ وَتَذَوُّقِهِ»[2] وَمِنْ ثَمَّ يَصِحُّ الرَّأْيُ الْقَائِلُ بِأَنَّ «الدِّرَاسَةَ الْأُسْلُوبِيَّةَ نَوْعٌ مِنَ الحِوَارِ الدَّائِمِ بَيْنَ الْقَارِئِ وَالْكَاتِبِ مِنْ خِلَالِ نَصٍّ مُعَيَّنٍ».[3]

كَذَا تَلْتَقِي الْأُسْلُوبِيَّةُ وَالْبَلَاغَةُ فِي فِكْرَةِ المَوْقِفِ أَوِ السِّيَاقِ« Context » فَالْبَلَاغَةُ تَجْعَلُ مِنَ المَوْقِفِ مُطَابِقًا لِمُقْتَضَىٰ الحَالِ، وَذَلِكَ بِمُرَاعَاةِ أَحْوَالِ السَّامِعِينَ أَوِ المُخَاطَبِينَ.بَيْنَمَا يُعَدُّ المَوْقِفُ فِي عِلْمِ الْأُسْلُوبِ ـ فِي رَأْيِ «د. شُكْرِي عَيَّاد »ـ « أَشَدَّ تَعْقِيدًا مِنْ مُقْتَضَىٰ الحَالِ؛ فَإِلَىٰ جَانِبِ الْعَوَامِلِ الخَارِجِيَّةِ الْكَثِيرَةِ وَالَّتِي يَرْجِعُ بَعْضُهَا إِلَىٰ الْقَائِلِ، وَبَعْضُهَا الْآخَرُ إِلَىٰ المُتَلَقِّي، وَيَكُونُ بَعْضُهَا الْآخَرُ مُشْتَرَكًا بَيْنَهُمَا كَالمَنْشَإِ وَالجِنْسِ وَالسِّنِّ وَالْبِيئَةِ وَالمَرْكَزِ الاجْتِمَاعِيِّ، وَهُنَاكَ الْعَوَامِلُ الْفَرْدِيَّةُ الَّتِي تَرْجِعُ إِلَىٰ الْقَائِلِ وَحْدَهُ، وَهِيَ عَوَامِلُ يَرْجِعُ مُعْظَمُهَا إِلَىٰ الشَّخْصِيَّةِ وَالمِزَاجِ كَالحِدَّةِ أَوِ الهُدُوءِ أَوِ الدِّعَةِ ... ، وهذَا كُلُّهُ إِلَىٰ جَانِبٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ، وَهُوَ مَوْقِفُ الْقَائِلُ وَمُخَاطِبِهِ فِي لحَظَةِ الْقَوْلِ بِالذَّاتِ».[4]

مِنْ نِقَاطِ التَّمَاسِ أَيْضًا بَيْنَ الْأُسْلُوبِيَّةِ وَالْبَلَاغَةِ الاعْتِدَادُ بِفِكْرَةِ «الْعُدُول»، أو «الانْزِيَاح» أَو«الانْحِرَافِ».إِنَّ «الاِنْزِيَاحَ» « Displacement » يُعْتَبَرُ خَرْقًا مُنَظَّمًا

(1) بييرجيرو: الأسلوبية ، ترجمة منذر عياشيّ ، ط. مركز الإنماء الحضاريّ للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط:2، 1994، ص54 .

(2) د. فتح الله أحمد سليمان: الأسلوبية ، مدخل نظريّ ودراسة تطبيقية ، ط. الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط1، 1990، ص 28 .

(3) جوزيف ميشال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية، ط. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ، ط . 2 ، 1984، ص 7.

(4) د. شكري محمد عياد: مدخل إلىٰ علم الأسلوب ، ط. دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ط1 ، 1982، ص 47 .

لِشَفْرَةِ اللُّغَةِ فِي جَانِبِهَا المِعْيَارِيِّ، فَالشِّعْرُ« لَا يُدَمِّرُ اللُّغَةَ الْعَادِيَةَ إِلَّا لِكَيْ يُعِيدَ بِنَاءَهَا عَلَىٰ مُسْتَوًىٰ أَعْلَىٰ، فَعَقَبُ فَكِّ الْبِنْيَةِ الَّذِي يَقُومُ بِهَا الشَّكْلُ الْبَلَاغِيُّ، تَحْدُثُ إِعَادَةُ بِنْيَةٍ أُخْرَىٰ فِي نِظَامٍ جَدِيدٍ، فَإِذَا مَا جَمَعْنَا هَاتَيْنِ الْقَاعِدَتَيْنِ، فَإِنَّ بِوُسْعِنَا ـ حِينَئِذٍ ـ أَنْ نَصِلَ إِلَىٰ نَظَرِيَّةٍ لِلْأَشْكَالِ الْبَلَاغِيَّةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعْتَبَرَ مُجَرَّدَ اِمْتِدَادٍ لِلْمَجَازَاتِ الْكِلَاسِيكِيَّةِ».[1]

إِنَّ «الْعُدُولُ» « Deviation » مَبْحَثٌ أَصِيلٌ فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، يَتَمَثَّلُ فِي خَرْقِ الْقَوَانِينِ اللُّغَوِيَّةِ، أَوْـ كَمَا سَبَقَ أَنْ أَشَرْنَا ـ هُوَ لُغَةٌ تَخْتَرِقُ بِنْيَةَ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ ؛وَلِذَا نَجِدُ سِيبَوَيْهِ ~ (ت 180هـ) فِي أَوَّلِ أَبْوَابِهِ فِي «الْكِتَابِ» يَنُصُّ عَلَىٰ أَنَّهُ «يَجُوزُ فِي الشِّعْرِ مَا لَا يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ» [2]وَمِنْ ثَمَّ كَانَتْ فِكْرَةُ «الْعُدُولِ» عَنْ أَنْمَاطِ اللُّغَةِ الْعَادِيَّةِ فِي اللُّغَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ، وَتَمَثَّلَ ذَلِكَ الْعُدُولُ فِي مَبَاحِثِ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَالذِّكْرِ وَالحَذْفِ، وَغَيْرِهَا، وَهَذَا بِعَيْنِهِ مَا تَعْنِيهِ الْأُسْلُوبِيَّةُ ؛ إِذْ إِنَّ «الْأُسْلُوبِيِّينَ نَظَرُوا إِلَىٰ اللُّغَةِ فِي مُسْتَوَيَيْنِ : الْأَوَّلِ : مُسْتَوَاهَا المِثَالِيِّ فِي الْأَدَاءِ ، وَالثَّانِي: مُسْتَوَاهَا الْإِبْدَاعِيِّ الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَىٰ اِخْتِرَاقِ هَذِهِ المِثَالِيَّةِ».[3]

لَقَدْ ظَهَرَتِ الْأُسْلُوبِيَّاتُ مَعَ تَدَاخُلِ اللُّغَوِيَّاتِ بِالْبَلَاغَةِ؛ لِتَنْتَزِعَ السِّيَادَةَ مِنْ هذِهِ وَمِنْ تِلْكَ مُسْتَمِدَّةً مِنِ انْفِتَاحِهَا عَلَىٰ الْقَدِيمِ وَالحَدِيثِ، وَعَقْدِ مُصَالَحةٍ دَائِمَةٍ بَيْنَهُمَا وَمِنْ ثَمَّ أُطْلِقَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُسْلُوبِيَّاتِ «الْبَلَاغَةُ الجَدِيدَةُ» بِوَصْفِهَا إِمْكَانِيَّةً طَارِئَةً يُمْكِنُ تَوْظِيفُهَا لِلتَّعَامُلِ مَعَ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ تَعَامُلًا يَتَوَافَقُ مَعَ خَوَاصِّهِ التَّرْكِيبِيَّةِ، سَوَاءٌ أَكَانَ التَّعَامُلُ مُتَابَعَةً وَصْفِيَّةً أَمْ كَانَ تَحْلِيلًا كَاشِفًا، وَقَدْ صَاحَبَ الاهْتِمَامَ بِالْأُسْلُوبِيَّاتِ نَوْعٌ مِنَ النَّظَرِ فِي المَوْرُوثِ الْعَرَبِيِّ لِتَحْدِيدِ أَوْجُهِ المُوَافَقَةِ أَوِ المُخَالَفَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا الْوَافِدِ الجَدِيدِ.[4]

(3/1) مِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ النَّقْدَ الْأَدَبِيَّ « Cirticism » أَصْبَحَ يَغْرِفُ مِنْ مَعِينِ الْبُحُوثِ الْأُسْلُوبِيَّةِ، وَيُمْكِنُ الْقَوْلُ بِأَنَّ النَّقْدَ الْأَدَبِيَّ سَيَعْرِفُ مَسَارَهُ الطَّبَعِيَّ عِنْدَمَا يُدْعَمُ

---

(1) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، ط.المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون، الكويت، سلسلة عالم المعرفة ، ع 164 ، أغسطس 1992 ، ص 58 .

(2) سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر. ت 180 هـ): الكتاب تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط . دار القلم، 1966 ، 26/1 .

(3) د. محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 ، ص 198 .

(4) د.محمد عبد المطلب : البلاغة الجديدة ، تقديم لكتاب تحولات البنية في البلاغة العربية ، ط. دار الحضارة ، طنطا ، ص5.

برَصِيدِ عِلْمِ الْأُسْلُوبِ وَإِجْرَاءَاتِهِ التَّحْلِيلِيَّةِ، وَلما كَانَ مَجَالُ الْبَحْثِ فِي الْأُسْلُوبِيَّةِ وَالنَّقْدِ الْأَدَبِيِّ النَّصَّ الشِّعْرِيَّ، فَإِنَّ نِقَاطَ الالْتِقَاءِ وَالتَّمَاسِ تَتَحَقَّقُ عَلَىٰ هَذَا المُسْتَوَىٰ اللُّغَوِيِّ.

فَالْأُسْلُوبِيَّةُ تُخْرِجُ النَّقْدَ الْأَدَبِيَّ عَنْ إِطَارِ ذَاتِيَّةِ النَّاقِدِ وَانْطِبَاعَاتِهِ؛بِمَا أَنَّهَا عِلْمٌ تَوْصِيفِيٌّ بِالدَّرَجَةِ الْأُولَىٰ، لَهُ أَدَوَاتُهُ التَّحْلِيلِيَّةُ وَالْإِحْصَائِيَّةُ الَّتِي تُسْهِمُ فِي تِبْيَانِ آلِيَّاتِ التَّعْبِيرِ الشِّعْرِيِّ، «وَالْفَرْقُ بَيْنَ النَّاقِدِ الْأُسْلُوبِيِّ وَالنَّاقِدِ الْانْطِبَاعِيِّ هُوَ أَنَّ الْأَوَّلَ أَكْثَرَ مَوْضُوعِيَّةً؛لِأَنَّهُ يَنْطَلِقُ مِنْ تَحْلِيلِ النَّصِّ المكْتُوبِ الْقَائِمِ عَلَىٰ مَبَادِئَ عِلْمِيَّةٍ، فِي حِينِ أَنَّ الثَّانِي يَنْطَلِقُ مِنْ مَشَاعِرِهِ الخَاصَّةِ إِزَاءَ الْعَمَلِ، وَقَدْ تَعْكِسُ هَذِهِ المشَاعِرُ صُورَةً صَادِقَةً لِلْعَمَلِ، وَلَكِنَّهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ تَكُونُ بَعِيدَةً عَنْهُ».[1]إِنَّ النَّاقِدَ الانْطِبَاعِيَّ ـ فِي رَأْيِ الْبَاحِثِ ـ كَالسَّاعَةِ المُتَوَقِّفَةِ؛تَكُونُ فِي وَقْتٍ مَا مُنْضَبِطَةً؛لَكِنَّهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ تَكُونُ غَيْرَ ذَلِكَ ! «لَقَدْ حَرَّرَتِ الْأُسْلُوبِيَّةُ النَّقْدَ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ المُسَطَّحَة، وَجَعَلَتْه يَتَنَازَلُ ـ طَائِعًا ـ عَنْ عَرْشِ التَّقْيِيمِ، وَآثَرَ تَأْجِيلَ الحُكْمِ فِي قَضَايَا الْأَدَبِ وَمَدَّ حَلَقَاتِ المُدَاوَلَةِ وَالنَّظَرِ إِلَىٰ مَا لَا نِهَايَةٍ».[2]

وَإِذَا كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَرَىٰ أَنَّ النَّقْدَ الْأَدَبِيَّ يَتَّكِئُ ـ فِي تَحْلِيلَاتِهِ ـ عَلَىٰ الخَلْفِيَّةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالظُّرُوفِ السِّيَاسِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي يَحْيَاهَا المُبْدِعُ مِمَّا يَجْعَلُ لهَا دَوْرًا فِي إِضَاءَةِ النَّصِّ فِي حِينِ أَنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ تَحْفِلُ بِالْوَقَائِعِ اللُّغَوِيَّةِ بِالنَّصِّ مِمَّا يُنَمِّي الحُدُودَ الْفَاصِلَةَ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ هذِهِ النَّظْرَةَ تَنْتَفِي فِي ظِلِّ وُجُودِ الْأُسْلُوبِيَّةِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي تَلْتَقِي مَعَ الاِتِّجَاهِ النَّفْسِيِّ فِي النَّقْدِ؛حَيْثُ إِنَّ «غَايَةً مِنْ غَايَاتِ أُسْلُوبِيَّةِ «سبيتزر» الْكُبْرَىٰ النَّفَاذُ إِلَىٰ أَبْعَدِ أَغْوَارِ الذَّاتِ المُنْتِجَةِ بِوَصْفِهَا ذَاتًا مُتَفَرِّدَةً بِتَجْرُبَةٍ نَفْسِيَّةٍ خَاصَّةٍ أَفْرَزَتْ إِنْتَاجًا لُغَوِيًّا خَاصًّا، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِنَا:«أُسْلُوبِيَّة الْفَرْدِ»، وَهِيَ ذَاتُ أَبْعَادٍ إِنْسَانِيَّةٍ تَرْبِطُ بَيْنَ الْأَثَرِ وَصَاحِبِهِ مَتِينَ الرَّبْطِ».[3]

وَإِذَا كَانَ مِنِ اتِّجَاهَاتِ النَّقْدِ «مَا يَعْنَىٰ بِبَحْثِ النَّصِّ فِي إِطَارِ الظُّرُوفِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْعَوَامِلِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ السَّائِدَةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ لهَا تَسَرُّبًا إِشْعَاعِيًّا يَنْعَكِسُ ـ أَرَادَ الْكَاتِبُ أَمْ لَمْ يُرِدْ ـ عَلَىٰ إِنْتَاجِهِ الْأَدَبِيِّ، فَإِنَّهُ فِي ظِلِّ نَظَرِيَّةِ «شبلنر» المُقْتَرَحَةِ فِي التَّحْلِيلِ الْأُسْلُوبِيِّ الَّتِي كَانَتْ لَا تَغْفُلُ الخَلْفِيَّةَ التَّارِيخِيَّةَ وَالسِّيَاسِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ كَمُنَاخٍ عَامٍّ تَأَثَّرَ بِهِ المُبْدِعُ فِي نَصِّهِ»[4] مَا

---

(1) محمد أحمد الطويل : الأسلوبية والخطاب الشعري ، ط. الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر ، (158) ، ص 187.

(2) د. صلاح فضل : نص وثلاثة مناهج نقدية ، مجلة فصول ، مج7 ، ع 2/1 ، 1986 ، ص 252 .

(3) عبد اللـه حوله: الأسلوبية الذاتية والنشوئية ، مجلة فصول ، مج5 ، ع1 ، 1984 ، ص 85 .

(4) محمد أحمد الطويل : الأسلوبية والخطاب الشعريّ ، ص 41 .

يُؤَكِّدُ عَلَىٰ نِقَاطِ التَّمَاسِ بَيْنَ الْأُسْلُوبِيَّةِ وَالنَّقْدِ الْأَدَبِيِّ .

نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ ـ إِذَنْ ـ : إِنَّ كُلَّ دِرَاسَةٍ أُسْلُوبِيَّةٍ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ وَلَيْسَ الْعَكْسُ .

(2)

(1/2) يُعَرَّفُ عِلْمُ الْأَسَالِيبِ الصَّوْتِيَّةِ « Phonostylistics» بِأَنَّهُ «عِلْمٌ يَدْرُسُ الْوَظِيفَةَ التَّعْبِيرِيَّةَ لِلْأَصْوَاتِ الْكَلَامِيَّةِ».[1]

أَمَّا الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ « Phonetic Stylistic » فَيُعَرَّفُ بِأَنَّهُ عِلْمٌ يَنْتَمِي إِلَىٰ الْفُونُولُوجيَا « Phonology»[2]وَيَدْرُسُ مِنَ الخَصَائِصِ الصَّوْتِيَّةِ فِي لُغَةِ الْإِنْسَانِ تِلْكَ الْعَنَاصِرَ الَّتِي تَحْمِلُ الْوَظِيفَتَيْنِ:الانْفِعَالِيَّةَ وَالنِّدَائِيَّةَ، وَهَذِهِ الْعَنَاصِرُ الصَّوْتِيَّةُ تَتَمَثَّلُ فِي طَرِيقَةِ التَّلَفُّظِ وَمَوْضِعِ النُّطْقِ وَالنَّبْرَةِ وَحِدَّةِ الصَّوْتِ، وَكُلِّ مَا يَسْمَحُ لِلسَّامِعِ أَنْ يُكَوِّنَ فِكْرَةً عَنِ المُتَكَلِّمِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مَعْنَىٰ مَا يَقُولُهُ، كَأَصْلِهِ الاِجْتِمَاعِيِّ وَمَنْشَئِهِ الجُغْرَافِيِّ، وَدَرَجَةِ ثَقَافَتِهِ أَوْ جِنْسِيَّتِهِ.[3]

تُسَاعِدُنَا «الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ» ـ مِنْ خِلَالِ التَّعْرِيفِ السَّابِقِ ـ عَلَىٰ أَنْ نَتَمَثَّلَ بَعْضَ المَلَامِحِ الشَّخْصِيَّةِ لِلْمُتَكَلِّمِ كَالْأَصْلِ وَالمنْشَإِ وَالْبِيئَةِ وَمِعْيَارِ الثَّقَافَةِ، وَذَلِكَ بِتَتَبُّعِ الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ فِي لُغَتِهِ مِثْلِ التَّنْغِيمِ« Intonation »ووَحِدَّةِ الصَّوْتِ، وَطَرِيقَةِ النُّطْقِ بِبَعْضِ الْكَلِمَاتِ وَالنَّبْرِ عَلَىٰ بَعْضِ المَقَاطِعِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعَنَاصِرِ الصَّوْتِيَّةِ.

إِنَّ هذِهِ الْعَنَاصِرَ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي تَتَجَلَّىٰ فِي لُغَةِ المُتَكَلِّمِ وَالَّتِي تَأْخُذُ شَكْلًا أَدَائِيًّا ثَابِتًا تُمَثِّلُ بَصْمَةً أُسْلُوبِيَّةً « Stylistics imprint» تُمَيِّزُ كُلَّ شَخْصٍ عَنْ آخَرَ، فَنَحْنُ قَدْ نَسْتَدِلُّ عَلَىٰ الْأَشْخَاصِ دُونَ أَنْ نَرَاهُمْ، ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ نَبَرَاتِ أَصْوَاتِهِمُ المُمَيِّزَةِ الَّتِي نَعْرِفُهَا عَنْهُمْ، وَمِنْ خِلَالِ شِدَّةِ الصَّوْتِ وَحِدَّتِهِ أَوْ مَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ عَنَاصِرَ صَوْتِيَّةٍ.

---

(1) د. محمد علي الخولي : معجم علم الأصوات ، ط. دار الفلاح ، الأردن ، ط . 1 ، 1402 هـ ، 1982 ، ص 112، د.مبارك مبارك : معجم المصطلحات الألسنية ، ط . دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط .1 ، 1995 ، ص 224 ، مصطلح رقم 2061 .

(2) هو علم النُّظُم الصوتية أو علم الصوتيات الوظيفي « **Phonology** » انظر : معجم المصطلحات الألسنية ، ص 224 ، مصطلح رقم 2085 .

(3) د. ميشال عاصي، د. أميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في اللغة والأدب ، مج1 ، ط .1 ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1987 ، ص 623 .

أَمَّا عَنِ الْإِطَارِ الْعَامِّ لـ«الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ» فَقَدْ عَرَّفَهُ «تروبتزكوي» فِي كِتَابِهِ «المَبَادِئ الصَّوْتِيَّة»آخِذًا بِذَلِكَ مُخَطَّطَ «ك.بُولهير»، وَقَدْ مَيَّزَ بَيْنَ ثَلَاثِ نِقَاطٍ ارْتِكَازِيَّةٍ فِي الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ؛وَهِيَ الصَّوْتِيَّةُ التَّمْثِيلِيَّةُ، وَالصَّوْتِيَّةُ النِّدَائِيَّةُ، وَالصَّوْتِيَّةُ التَّعْبِيرِيَّةُ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي[1]:

ـ الصَّوْتِيَّةُ التَّمْثِيلِيَّةُ:(المَفْهُومِيَّةُ)، وَهِيَ تَدْرُسُ الصَّوَائِتَ بِاعْتِبَارِهَا عَنَاصِرَ لُغَوِيَّةً مَوْضُوعِيَّةً وَقَاعِدِيَّةً .

ـ الصَّوْتِيَّةُ النِّدَائِيَّةُ :(الانْطِبَاعِيَّةُ)، وَهِيَ تَدْرُسُ المُتَغَيِّرَاتِ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي تَهْدُفُ إِلَىٰ إِحْدَاثِ أَثَرٍ عَلَىٰ السَّامِعِ.

ـ الصَّوْتِيَّةُ التَّعْبِيرِيَّةُ:وَهِيَ تَدْرُسُ المُتَغَيِّرَاتِ النَّاتِجَةَ عَنِ المَزَاجِ وَعَنِ السُّلُوكِ الْعَفْوِيِّ لِلْمُتَكَلِّمِ .

وَيُشَكِّلُ الْعُنْصُرَانِ الْأَخِيرَانِ مَوْضُوعَ «الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ»؛التي تَهْدُفُ إِلَىٰ إِقَامَةِ جَدْوَلٍ بِالطُّرُقِ الخَاصَّةِ لِحَصَرِ التَّعْبِيرِيَّةِ :النَّبْرِ، وَالتَّنْغِيمِ ، والمدِّ ، وَالتَّكْرَارِ، إِلَىٰ آخِرِهِ. [2]

تَعْتَمِدُ «الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ» عَلَىٰ مَفْهُومِ المُتَغَيِّرَاتِ الصَّوْتِيَّةِ، وَبِمِقْدَارِ مَا يَكُونُ لِلُّغَةِ حُرِّيَّةُ التَّعَرُّفِ إِلىٰ بَعْضِ الْعَنَاصِرِ الصَّوْتِيَّةِ لِلسِّلْسِلَةِ الْكَلَامِيَّةِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَخْدِمَ تِلْكَ الْعَنَاصِرَ لِغَايَاتٍ أُسْلُوبِيَّةٍ.[3]

إِنَّ الدِّرَاسَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةَ لِلنَّصِّ الْأَدَبِيِّ اتَّجَهَتْ مُبَاشَرَةً نَحْوَ لُغَتِهِ بِاعْتِبَارِ أَنَّها المَادَّةُ الْأَسَاسُ لَهُ، فَعَمَدَتْ إِلَىٰ تَقْسِيمِ بِنْيَتِهَا إِلَىٰ بِنْيَةٍ صَوْتِيَّةٍ، وَبِنْيَةٍ نَحْوِيَّةٍ، وَبِنْيَةٍ تَصْوِيرِيَّةٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.لَكِنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ إِجْرَاءٌ مَبْدَئِيٌّ يَضَعُ كُلَّ شَرِيحَةٍ مِنْ شَرَائِحِ النَّصِّ تَحْتَ مِجْهَرِ التَّحْلِيلِ مَعَ ضَمَانَةِ عَدَمِ فَصْلِ هَذِهِ الْبِنْيَةِ عَنِ الْبِنْيَاتِ الْأُخْرَىٰ المُكَوِّنَةِ لِلنَّصِّ.

أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ ـ بِوَصْفِهَا آلِيَّةً نَقْدِيَّةً تَدْرُسُ لُغَةَ الشِّعْرِ ـ فَإِنَّهَا تَتَّجِهُ صَوْبَ فَحْصِ المُسْتَوَىٰ الصَّوْتِيِّ فِيهِ، لَيْسَ لِأَنَّ «جَوْهَرَ الشِّعْرِ هُوَ الصَّوْتُ»[4] فَحَسْبُ ؛

---

(1) بيير جيرو : الأسلوبية ، ص 59 ، 60.

(2) السابق ص 60.

(3) نفسه .

(4) توفيق الزيدي : أثر اللسانيات في النقد الأدبي الحديث ، (من خلال بعض نماذجه) ، ط . الدار العربية للكتاب ، تونس ، 1984 ، 61 .

وَلَكِنْ لِأَنَّ المَادَّةَ الصَّوْتِيَّةَ، تَحْتَوِي عَلِىٰ كَثِيرٍ مِنَ التَّأْثِيرَاتِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بوِجْدَانِ السَّامِعِ، وَهَذِهِ التَّأْثِيرَاتُ تَظَلُّ قَابِعَةً فِي صَدَفِهَا لَا تَخْرُجُ فِي النِّطَاقِ اللُّغَوِيِّ المِعْيَارِيِّ الَّذِي يُمَثِّلُ«دَرَجَةَ الصِّفْرِ الْبَلَاغِيِّ»[1]، لَكِنَّهَا قَدْ تَخْرُجُ مِنْ صَدَفِهَا إِذَا صِيغَتْ فِي قَوَالِبَ لُغَوِيَّةٍ صِيَاغَةً فَنِّيَّةً تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْلُوَ بَهَاءَهَا وَجَمَالَهَا وَتُوَضِّحُ مَدَىٰ فَاعِلِيَّتِهَا فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الْأَدَبِيَّةِ.

إِنَّ لُغَةَ الشِّعْرِ لُغَةٌ تَتَجَاوَزُ الطَّابِعَ الاِعْتِبَاطِيَّ لِلُّغَةِ فِي الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الصَّوْتِ وَالمعْنَىٰ أَوِ الدَّالِّ وَالمدْلُولِ ـ عَلَىٰ حَدِّ تَعْبِيرِ «د .صَلَاحُ فَضْل»[2] ـ لِذَا يَظَلُّ هَمُّ الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ تِبْيَانَ جَمَالِيَّاتِ الصَّوْتِ فِي هذِهِ اللُّغَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ نِظَامًا جَمَالِيًّا مُتَجَدِّدًا.

إِنَّ الْأُسْلُوبِيَّةَ الصَّوْتِيَّةَ تَرْصُدُ ـ بِمَا لهَا مِنْ آلِيَّاتٍ إِحْصَائِيَّةٍ وَغَيْرِهَا ـ مَدَىٰ بَرَاعَةِ الشَّاعِرِ فِي اِسْتِخْدَامِ الطَّاقَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَقُدْرَتِهِ عَلىٰ تَوْظِيفِ هَذِهِ الطَّاقَةِ تَوْظِيفًا فَنِّيًّا مُشَكِّلًا لِرُؤَاهُ وَعَالَمِهِ، إِنَّ الشَّاعِرَ الْبَارِعَ ـ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ ـ «بِمَثَابَةِ المُهَنْدِسِ، يَكُونُ حَظُّهُ مِنَ الْبَرَاعَةِ بِمِقْدَارِ اِسْتِغْلَالِهِ لِكُلِّ الْإِمْكَانَاتِ فِي تَشْيِيدِ بِنَائِهِ»[3] وَفِي نِطَاقِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ يَكُونُ الشَّاعِرُ بِمَثَابَةِ مُهَنْدِسِ الصَّوْتِ[4] الَّذِي يَعْمَلُ قَدْرَ طَاقَتِهِ عَلَىٰ إِخْرَاجِ النَّصِّ الشِّعْرِي بِأَبْهَىٰ صُورَةٍ مُسْتَفِيدًا مِنَ الطَّاقَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ فِي الْوَزْنِ الْعَرُوضِيِّ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهُ مِنْ إِيقَاعٍ كَمِّيٍّ وَنَبْرِيٍّ وَنَغْمِيٍّ يَخْتَلِفُ مِنْ نَصٍّ لِآخَرَ، كَمَا أَنَّهُ يَتَّكِئُ عَلَىٰ الطَّاقَةِ الْإِيحَائِيَّةِ الْكَامِنَةِ فِي صَوْتِ الرَّوِيِّ الَّذِي تَتَخَلَّقُ فِيهِ الدِّلَالَةُ الْفَنِيَّةُ لِلنَّصِّ بِجِوَارِ مَا يَتَكَرَّرُ مِنْ فُونِيمَاتٍ لهَا خَوَاصُّ مِيكَانِيكِيَّةٌ وَخَصَائِصُ مَعْنَوِيَّةٌ مُخْتَلِفَةٌ، كَمَا أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ ـ حَسْبَ بَرَاعَتِهِ ـ أَنْ يَسْتَغِلَّ الطَّاقَةَ الْكَامِنَةَ فِي عُنْصُرِ التَّكْرَارِ النَّمَطِيِّ وَمَا يُقَدِّمُهُ مِنْ تَوَازٍ صَوْتِيٍّ بِمَسَافَتَيْهِ:الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ، وَبِأَنْمَاطِهِ عَلَىٰ مُسْتَوَيَاتٍ ثَلَاثَةٍ:الحَرْفِ، وَالْكَلِمَةِ، وَالجُمْلَةِ .

---

(1) عن «درجة الصفر البلاغي» انظر : د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ط . المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة (164) ، ص 163

(2) د . صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 212 .

(3) د . أحمد طاهر حسنين : المعجم الشعري عند حافظ إبراهيم ، مجلة فصول ، مج 3 ، ع 2 ، 1983 ، ص 29 .

(4) تُعَرَّفُ الهندسةُ الصوتيةُ « **Audio engineering** » بأنها القدرة علىٰ تسجيل الصوت وإخراجه بأفضل صورة ممكنة بحسب الإمكانات المتوفرة من أجهزة مايك وأجهزة حاسوب وغرف عزل صوتي . انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا علىٰ شبكة المعلومات الدولية.

بَرَاعَةُ الشَّاعِرِ تَتَجَلَّىٰ فِي إِخْرَاجِ كُلِّ هَذِهِ الْعَنَاصِرِمُجْتَمِعَةً، وَفِي قُدْرَتِهِ عَلَىٰ إِقْنَاعِ المُتَلَقِّي بِأَنَّ ثَمَّةَ عَلَاقَةً بَيْنَ الصَّوْتِ وَالمعْنَىٰ، وَفِي جَعْلِ كُلِّ هَذِهِ الْعَنَاصِرِ ـ أَوْ بَعْضِهَا ـ يَتَغَلْغَلُ فِي نَسِيجِ المُسْتَوَيَاتِ الْأُخْرَىٰ فِي لُغَةِ الشِّعْرِ.

تَسْعَىٰ«الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ» لِرَصْدِ مَا يَخُصُّ جَمِيعَ عَنَاصِرِ الهَنْدَسَةِ الصَّوْتِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ سَالِفَةِ الذِّكْرِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَىٰ إِنَّهَا فِي سَعْيٍ دَائِمٍ لِاسْتِنْطَاقِ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، أَوِ اسْتِنْطَاقُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ صَوْتًا[1] مِنْ خِلَالِ أَبْهَىٰ عَنَاصِرِ تَكْوِينِهِ ـ المسْتَوَىٰ الصَّوْتِيِّ ـ مَعَ مُرَاعَاةِ عَدَمِ فَصْلِ هَذَا المسْتَوَىٰ عَنْ مُسْتَوَيَاتِ النَّصِّ الْأُخْرَىٰ.

وَخُلَاصَةُ الْأَمْرِ:إِنَّ مَا تَسْعَىٰ إِلَيْهِ الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ ـ بِوَصْفِهَا مَنْهَجًا لِتَحْلِيلِ الخِطَابِ الشِّعْرِيِّ ـ هُوَ دِرَاسَةُ إِبْدَاعِ الصَّوْتِ فِي النَّصِّ الْأَدَبِيِّ، وَقِيَاسُ قُدْرَةِ هَذَا الصَّوْتِ عَلَىٰ تَخْلِيقِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ.

(2/2) أَمَّا عَنْ آلِيَّاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ، فَأَوَّلُ آلِيَّةٍ تُعَدُّ آلِيَّةً فِطْرِيَّةٍ تَتَرَسَّبُ فِي أَنْفُسِنَا وَهِيَ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ الْقِرَاءَةِ الصَّوْتِيَّةِ لِلشِّعْرِ، فَهِيَ بِمَثَابَةِ التَّمْثِيلِ السَّمْعِيِّ لِلُّغَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ، إِذْ بِهَا تَتَّضِحُ كَثِيرٌ مِنْ عَنَاصِرِ الهَنْدَسَةِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي أَشَرْنَا إِلَيْهَا آنِفًا.إِنَّ قِرَاءَةَ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ «تَجْعَلُ الْبَاحِثَ الْأُسْلُوبِيَّ يَضَعُ إِصْبَعَهُ عَلَىٰ الْوَقَائِعِ الْأُسْلُوبِيَّةِ لِلْكَاتِبِ خَاصَّةً وَأَنَّ الْإِحْسَاسَاتِ المِرْئِيَّةَ يَنْدُرُ أَنْ تَحْدُثَ لِلْكَلِمَاتِ بِمُفْرَدِهَا؛إِذْ تَصْحَبُهَا عَادَةً أَشْيَاءُ ذَاتُ عَلَاقَةٍ وَثِيقَةٍ بِها بِحَيْثُ لا يُمْكِنُ فَصْلُهَا بِسُهُولَةٍ؛وَأَهَمُّ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الصَّوْرَةُ السَّمْعِيَّةُ أَيْ وَقْعُ جَرْسِ الْكَلِمَةِ عَلَىٰ الْأُذُنِ الْبَاطِنَةِ أَوْ (أُذُنِ الْعَقْلِ) أَوْ صُورَةِ اللَّفْظِ أَيْ إِحْسَاسُ الشَّفَتَيْنِ وَالْفَمِ وَالحَلْقِ حِينَمَا تُلْفَظُ الْكَلِمَةُ.كَمَا أَنَّ أَعْظَمَ التَّوْقِعَاتِ المُدْرَكَةِ فِي الْكَلَامِ المنْطُوقِ تَأْتِي مِنَ التَّأْثِيرِ السَّمْعِيِّ لمَا هُوَ مَكْتُوبٌ».[2]

---

(1) «إنتاج المكتوب صوتا» اسم دراسة قيمة للأستاذ الدكتور محمد السيد دسوقي . ط. دار العلم والإيمان ، كفر الشيخ ، 2007 .

(2)عادل نذير الحساني : الأداء الأسلوبي في المستوى الصوتي في أغاني مهيار الدمشقي لأدونيس، رسالة ماجستير بكلية الآداب ، قسم اللغة العربية، جامعة القادسية ، إشراف الأستاذ الدكتور عباس محمد رضا البياتي ، 2001 ، ص 11 .

* تُمَثِّلُ الْأُسْلُوبِيَّةُ الإِحْصَائِيَّةُ«Stylostatistics»[1] آلِيَّةً مُهِمَّةً مِنْ آلِيَّاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ بِصِفَةٍ عَامَّةٍ؛«فَهِيَ تَعْمَلُ عَلَىٰ تَخْلِيصِ الْأُسْلُوبِ مِنَ الحَدَسِ الخَالِصِ، لِتُوكِلَ أَمْرَهَا لِحَدَسٍ مَنْهَجِيٍّ مُوَجَّهٍ، وَمِنْ هَذِهِ الزَّاوِيَةِ يُمْكِنُ لِلْإِحْصَاءِ أَحْيَانًا أَنْ يُكْمِلَ مَنَاهِجَ أُسْلُوبِيَّةً أُخْرَىٰ بِشَكْلٍ فَعَّالٍ» .[2]

أَمَّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ فَإِنَّ الْإِحْصَاءَ يُمَثِّلُ آلِيَّةً مُهِمَّةً لِحَصْرِ الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ فِي الْأَوْزَانِ الْعَرُوضِيَّةِ بِمَا يَنْتُجُ عَنْهَا مِنْ إِيقَاعٍ كَمِّيٍّ، وَحَصْرِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ؛ وَذَلِكَ لِقِيَاسِ الطَّاقَةِ الْإِسْمَاعِيَّةِ لِإِيقَاعِ نِهَايَةِ الْبَيْتِ الشِّعْرِيِّ، عِلَاوَةً عَلَىٰ أَنَّ الْإِحْصَاءَ يُمَكِّنُ الْبَاحِثَ الْأُسْلُوبِيَّ مِنْ تِبْيَانِ الصُّورَةِ الْكَامِلَةِ عَنِ المَادَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ المدْرُوسَةِ، مِمَّا يُمَكِّنُهُ مِنْ إِقَامَةِ دِرَاسَةٍ تَحْلِيلِيَّةٍ لَا تَتَسَرَّبُ إِلَيْهَا الْآرَاءُ الانْطِبَاعِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ.إِنَّ الْإِحْصَاءَ ـ كَمَا يَقُولُ بِيِير جِيرُو ـ لَا يَتَوَانَىٰ عَنْ فَرْضِ نَفْسِهِ أَدَاةً مِنَ الْأَدَوَاتِ الْأَكْثَرِ فَاعِلِيَّةً فِي دِرَاسَةِ الْأُسْلُوبِ، بَلْ إِنَّ اللُّغَةَ ـ فِي رَأْيِهِ ـ هُوِيَّةٌ إِحْصَائِيَّةٌ وَمَجْمُوعَةٌ مِنَ الْبَصَمَاتِ.[3]

يَعِي الْبَاحِثُ أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا تَقِفَ الجَدَاوِلُ الْإِحْصَائِيَّةُ فِي الدِّرَاسَةِ الْأُسْلُوبِيَّةِ صَامِتَةً دُونَ أَنْ تُقَدِّمَ رُؤْيَةً نَاطِقَةً بِصِدْقٍ عَنِ الشَّاعِرِ مَوْضِعِ الدِّرَاسَةِ، وَإِلَّا خَرَجَ مِنْهَا بِنَصِيبِ «أُمِّ الحُلَيْسِ» كَمَا فِي الشَّاهِدِ النَّحْوِيِّ!فَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَهَمِّيَّةِ الْإِحصَاءِ «إِلَّا أَنَّهُ لَا يُعْمَلُ لِحِسَابِهِ، وَإِنَّمَا لِحسَابِ الخِطابِ الَّذِي يَتَّصِلُ بِهِ، ثُمَّ مِنَ الْإِحْصَاءِ تَتَحَدَّدُ النَّوَاتِجُ الشِّعْرِيَّةُ الَّتِي تَنْجَلِي عَلَىٰ مُسْتَوىٰ السَّطْحِ أَوْ مُسْتَوَىٰ الْبَاطِنِ».[4]وَمِنْ ثَمَّ رَاحَ يَسْتَقْرِئُ مَا جَاءَتْ بِهِ الجَدَاوِلُ مِنْ أَرْقَامٍ، مُسْتَخْرِجًا مِنْهَا الدِّلَالَاتِ الْعَامَّةَ عَنِ الشَّاعِرِ ـ مَوْضِعِ الدِّرَاسَةِ ـ وَالخَاصَّةَ عَنْ طَبِيعَةِ لُغَةِ خِطَابِهِ الشِّعريِّ.

(1) يُتَرْجَمُ هذا المصطلحُ أيضا بـ«علم الإحصاء الأسلوبي»، وهو دراسة طرق الأسلوب بوسائل علم الإحصاء وتعتمد هذه الدراسة علىٰ الفرضية التي ترىٰ أن الأبعاد العائدة للقياس هي ذات معانٍ أسلوبية.انظر معجم المصطلحات الألسنية ، ص 273 ، مصطلح رقم 2581 .

(2) هنريش بلت : البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة وتقديم وتعليق د .محمد العمري ، ط . إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999 ، ص 60.

(3) بيير جيرو : الأسلوبية ، 133 ، 134.

(4) د .محمد عبد المطلب : قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 ، ص 124 . وينظر للموضوع نفسه : د.سعد مصلوح : الأسلوب ـ دراسة لغوية إحصائية ، ط . الفكر العربي ، ط 2 ، 1984 ، ص 42 . وجوزيف ميشال شريم : دليل الدراسات الأسلوبية ، ص 55 .

* مِنْ آلِيَّاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي اتَّكَأَ عَلَيْهَا الْبَاحِثُ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ المُقَارَنَةُ «Comparison »، وَذَلِكَ عَلَىٰ مُسْتَوَيَيْنِ:الأَوَّلُ: دَاخِلِيٌّ، يَتَعَلَّقُ بِمَدَىٰ ثَبَاتِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ عَبْرَ مَرَاحِلِ إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ، فَعِنْدَ دِرَاسَةِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ فِي المسْتَوَىٰ الْعَرُوضِيِّ ـ مَثَلًا ـ يَجِبُ أَلَّا يَغْفُلَ الْبَاحِثُ الْأُسْلُوبِيُّ عَنْ تَطَوُّرِ وَزْنٍ مَا مِنَ الْأَوْزَانِ أَوْ هُبُوطِ نِسْبَةِ المِيْلِ إِلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ، رَابِطًا هَذَا التَّطَوُّرَ أَوِ الهُبُوطَ بِمَرَاحِلِ إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ، فَقَدْ يَمِيلُ الشَّاعِرُ إِلَىٰ وَزْنٍ فِي بِدَايَةِ مَرْحَلَتِهِ الإِبْدَاعِيَّةِ وَيَظَلُّ هَذَا الْوَزْنُ مُلَازِمًا لَهُ بِنِسْبَةٍ كَبِيرَةٍ ، وَقَدْ يَعْدِلُ عَنْ ذَلِكَ الْوَزْنِ لِآخَرَ، كَذَا الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ طُرُقِ بِنَاءِ الْقَصِيدَةِ مِنْ حَيْثُ ثَبَاتِ صَوْتِ الروِيِّ فِيهَا بِمَا يُسَمَّىٰ الْقَافِيَةُ الموَحَّدَةُ ، أَوْ تَنَوُّعِ الصَّوتِ الْقَافَوِيِّ دَاخِلَ الخِطَابِ الشِّعْرِيِّ، فَتَقُومُ الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ بِرَصْدِ كُلِّ هَذِهِ المُنْحَنَيَاتِ الصَّاعِدَةِ أَوِ الهَابِطَةِ فِي اسْتِخْدَامِ الظَّوَاهِرِ الْأُسْلُوبِيَّةِ مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ.

أَمَّا المُسْتَوَىٰ الثَّانِي لِلْمُقَارَنَةِ فَهُوَ خَارِجِيٌّ؛يَتَعَلَّقُ بِمَدَىٰ قُرْبِ الشَّاعِرِ أَوْ بُعْدِهِ عَنْ خَارِطَةِ الشِّعْرِيَّةِ المُعَاصِرَةِ لَهُ وَالسَّابِقَةِ عَلَيْهِ، كَمَا أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِمَدَىٰ الْتِزَامِ الشَّاعِرِ بِطَرَائِقِ التَّعْبِيرِ الشِّعْرِيِّ الْعَامَّةِ، وَالَّتِي قَامَ عُلَمَاؤُنَا الْأَجِلَّاءُ بِتَوْضِيحِ مَعَالِمِهَا الْعَامَّةِ، فَعَلَىٰ سَبِيلِ المِثَالِ تُقَدِّمُ الْأسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ بِآلِيَّتِهَا الْإِحْصَائِيَّةِ وَصْفًا دَقِيقًا لِصَوْتِ الرَّوِيِّ الْأَكْثَرِ اسْتِخْدَامًا عِنْدَ شَاعِرٍ مَا، وَمِنْ خُلَاصَةِ الْإِحْصَاءِ يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْبَاحِثِ الْأُسْلُوبِيِّ قِيمَةٌ عَدَدِيَّةٌ لِصَوْتٍ مَا مِنَ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ، وَمِنْ ثَمَّ يَبْدَأُ فِي دِرَاسَةِ المُنْحَنَىٰ الْعَامِّ لهذَا الصَّوْتِ وَمَدَىٰ مَيْلِ أَوْ بُعْدِ الشَّاعِرِ عَنْهُ عَبْرَ مَرَاحِلِ إِبْدَاعِهِ وَهَذَا مِنْ جِهَةٍ دَاخِلِيَّةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ خَارِجِيَّةٍ يَعْرِفُ كَوْنَ الشَّاعِرِ مُسْتَخْدِمًا لِلْأَصْوَاتِ الَّتِي يَكْثُرُ أَوْ يَقِلُّ أَوْ يَنْدُرُ اِسْتِخْدَامُهَا رَوِيًّا مِنْ خِلَالِ مُقَارَنَةٍ لمَا قَدَّمَهُ السَّابِقُونَ مِنْ دِرَاسَاتِهِمُ الصَّوْتِيَّةِ[1] وَهَذَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَضَعَ الشَّاعِرَ مَوْضِعَهُ الطَّبَعِيَّ بَيْنَ شُعَرَاءِ جِيلِهِ، كَذَا يُتِيحُ إِحْصَاءُ الرَّوِيِّ عِنْدَ شَاعِرٍ مَا لِلْبَاحِثِ الْأُسْلُوبِيِّ الْوُقُوفَ عَلَىٰ تَقْسِيمِ الْقَافِيَةِ حَسْبَ مَا فِيهَا مِنْ جَمَالٍ مُوسِيقِيٍّ؛لِأَنَّهُ سَيَكُونُ قَدِ امْتلَكَ قَاعِدَةَ بَيَانَاتٍ بِالرَّوِيِّ الْمقَيَّدِ وَالمُطْلَقِ وَنِسَبِ تَكْرَارِهِ لَدَىٰ الشَّاعِرِ الَّذِي يَدْرُسُهُ. وَتُعَدُّ هَذِهِ الْمقَارَنَةُ مُفِيدَةً فِي حَالَةِ دِرَاسَةِ شَاعِرٍ تَعَرَّضَ لِلتَّهْمِيشِ بِسَبَبِ أَفْكَارٍ أَيْدُولُوجِيَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.[2]

---

(1) مثل الإحصاء الذي قام به «د. إبراهيم أنيس» في كتابه القيم موسيقىٰ الشعر ، ط . مكتبة الأنجلو المصرية، 1952 ص 246 .

(2) استطاع الباحث من خلال هذه الآلية التي تتمتع بها الأسلوبية الصوتية أن يقدم دراسة عن الشاعر العراقي «بلند الحيدري» ظهر من خلالها ريادته الفنية تاريخيًّا لحركة الشعر الحر في العراق سابقا نازك الملائكة وبدر شاكر السياب، وعبد =الوهاب البياتي، وشاذل طاقة مقارنة بدراسات قامت لهؤلاء الشعراء.لكن الموقف الأيدولوجيّ المعروف عن «بلند» نأىٰ به عن هذه الريادة، فظل مهمَّشا بعيدًا عن دائرة الريادة تلك في عدد من كتابات من أرخوا لحركة الشعر الحر.انظر: إبراهيم جابر علي:المستويات الأسلوبية في شعر بلند الحيدري، ط. طار العلم والإيمان بمصر، 2010 ص521

* مِنْ آلِيَّاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّـوْتِيَّةِ الَّتِـي تُمَثِّـلُ أَدَاةَ كَشْـفٍ فِي يَـدِ الْبَاحِـثِ الْأُسْـلُوبِيِّ مَعْرِفَـةُ الخَصَـائِصِ الْفِيزِيقِيَّةِ وَالخَوَاصِّ المعْنَوِيَّةِ الميتَافِيزِيقِيَّةِ لِلصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ، وَخَاصَةً الْوَاقِـعَ رَوِيًّا، بِمَـا أَنَّ الـرَّوِيَّ يُمَثِّـل أَهَـمَّ حُرُوفِ الْقَافِيَةِ، وَتَاجَ الْإِيقَاعِ النَّغْمِيِّ لِلْبَيْتِ، فَعَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْآلِيَّةِ يَسْتَطِيعُ الْبَاحِثُ اِسْتِجْلَاءَ وَجْهِ الدِّلَالَةِ الْكَامِنَةِ فِي أَصْدَافِ الْكَلِمَةِ، وَيَسْتَطِيعُ بِمَا تُزَوِّدُهُ بِهِ هَذِهِ الْآلِيَةِ مَعْرِفَـةَ «الْأَنْسَـاقِ الصَّـوْتِيَّةِ» لِـرَوِيِّ الْأَبْيَـاتِ وَخَاصَّةً فِي الْقَصَائِدِ المُتَنَوِّعَةِ الرَّوِيِّ، حَيْثُ تَتَنَوَّعُ هَذِهِ الْأَنْسَاقُ إِلَىٰ:

النَّسَقِ الصَّوْتِيِّ الْعُنْقُودِيِّ، وَالنَّسَق الانْزِيَاحِيِّ، وَالنَّسَقِ الصَّوْتِيِّ المُتَمَاثِلُ.[1]

إِنَّ هذَا التَّنَوُّعَ فِي الْأَنْسَاقِ الصَّـوْتِيَّةِ لِصَـوْتِ الـرَّوِيِّ يَتَـأَتَّىٰ فِي جَـوْهَرِهِ مِـنْ خِـلَالِ مَعْرِفَـةِ الخَصَـائِصِ الْفِيزِيقِيَّةِ لِلصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ مِنْ حَيْـثُ التَّفْخِـيمِ وَالتَّرْقِيـقِ، وَالْقَلْقَلَـةِ، وَالْغُنَّـةِ، وَالجَهْـرِ وَالهَمْـسِ، وَالاِحْتِكَـاكِ وَالانْفِجَارِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِـنَ الخَصَـائِصِ الصَّـوْتِيَّةِ الَّتِـي حَفِظَهَـا لَنَـا فَـنُّ الْأَدَاءِ الْقُـرْآنِيِّ[2]بِجِـوَارِ مَبَاحِـثِ عِلْـمِ الْأَصْوَاتِ رَابِطًا مَا تُنْتِجُهُ مِنْ مَعَانٍ بِمَا يَتَخَلَّقُ فِي تُرْبَةِ النَّصِّ مِنْ دِلَالَاتٍ.

* لَا شَكَّ أَنَّ الشِّعْرَ مُوسِيقَىٰ، مُوسِيقَىٰ تَخْتَلِفُ دَرَجَةُ صُعُودِهَا وَهُبُوطِهَا مِنْ شَاعِرٍ لِآخَـرَ وَلَاشَكَّ أَنَّ المُوسِيقَىٰ وَالشِّعْرَ صِنْوَانِ، فـ«يَـرَىٰ إِلْيُـوت أَنَّ مُوسِـيقَىٰ الشِّـعْرِ لَيْسَـتْ شَـيْئًا يُوجَـدُ مُنْفَصِلًا عَنِ الْمعْنَىٰ، والمعْنَىٰ فِي الشِّعْرِ يَتَطَلَّبُ مُوسِـيقَىٰ الشِّـعْرِ حَتَّـىٰ نَفْهَمَـهُ الْفَهْـمَ الْكَامِـلَ، وَحَتَّىٰ نَتَـأَثَّرَ بِـهِ التَّـأَثُّرَ الْوَاجِـبَ لَـهُ .. إِنَّ الشِّـعْرَ يُحَـاوِلُ أَنْ يَحْمِـلَ مَعَـانِيَ أَكْـثَرَ مِـمَّا يَسْـتَطِيعُ النَّثْرُ أَنْ يُؤَدِّيَ، وَإِنَّ مُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ هِيَ الَّتِي تُمَكِّنُـهُ مِـنَ الْوُصُـولِ إِلَىٰ تِلْـكَ المعَـانِي»[3] فِي حِـينِ يَرَىٰ «فَـاجْنَر» ــ وَهُـوَ أَحَـدُ رُوَّادِ المُوسِـيقَىٰ الْعَـالَمِيِّينَ ـ «أَنَّ الْكَلِـمَاتِ وَحْـدَهَا لَا تَـتَمَكَّنُ مِـنَ

(1) عن هذه الأنساق الصوتية وتفريعاتها الداخلية، انظر د.عمر عبد الهادي عتيق : الأسلوبية الصوتية في فواصل القرآن ، بحث منشور في مجلة المنارة ، مج 16 ، ع 3 ، جامعة آل البيت ، المملكة الأردنية.

(2)المعْرُوفِ بِاسْمِ «التَّجْوِيدِ» ، و«فن الأداء القرآني » اسم كتاب في ذلك العلم ، تأليف الدكتور عبد الكريم صالح ، ط. دار الصحابة للتراث ، بطنطا 2008 .

(3) د . محمد النويهيّ : قضية الشعر الجديد ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ط 2 ، 1971 ، ص 19 وما بعدها.

التَّعْبِيرِ فِي أَرْقَىٰ أَنْوَاعِ الشِّعْرِ، فَالْكَلِمَاتُ هِيَ الجُذُورُ وَالمُوسِيقَىٰ هِيَ الزُّهُـورُ، وَالزُّهُـورُ أَجْمَـلُ وَأَهَـمُّ مِـنَ الجُذُورِ»[1] وَمِنْ هَذَا التَّوَاشُجِ الشَّدِيدِ بَيْنَ الشِّعْرِ وَالمُوسِيقَىٰ فَإِنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ نَعُدَّ الْإِلمامَ بِالمُصْطَلَحَاتِ الْعَامَّةِ لِلْمُوسِـيقَىٰ مِـنْ آلِيَّـاتِ الْأُسْـلُوبِيَّةِ الصَّـوْتِيَّةِ؛إِذْ إِنَّ الشَّـاعِرَ ـ فِي رَأْيِ الْبَاحِـثِ ـ بِمَثَابَـةِ المُلَحِّـنِ الَّـذِي يَسْـتَطِيعُ مِـنْ خِـلَالِ مَجْمُوعَـةِ الـنَّغَمَاتِ السَّـبْعِ لِلسُّـلَّمِ المُوسِـيقِيِّ«Scale »[2] أَنْ يُشَـكِّلَ مَقْطُوعـاَتٍ فَنِّيَّـةً وَمُوسِيقَىٰ رَائِعَةً تَظَلُّ عَالِقَةً فِي وِجْدَانِ المُتَلَقِّي سَنَوَاتٍ تِلْوَ أُخْرَىٰ .

وَلَعَلَّ ابْنَ جِنِّي(ت 392 هـ) ~ كَانَ وَاحِـدًا مِمَّـنْ فَطَنُـوا إِلَىٰ ضَرُورَةِ الْالْتِفَـاتِ إِلَىٰ عِلْـمِ المُوسِـيقَىٰ فِي الدِّرَاسَةِ الصَّوْتِيَّةِ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ تَشْبِيهِهِ الحَلْقَ وَالْفَمَ ـ بِوَصْفِهِمَا أَدَاتِي النُّطْقِ ـ بِالنَّايِ مَـرَّةً وَبِـالْعُودِ مَـرَّةً أُخْرَىٰ فَفِي النَّايِ «يَخْرُجُ الصَّوْتُ مُسْتَطِيلًا أَمْلَسَ سَاذَجًا، كَمَا يَجْرِي الصَّوْتُ فِي الْأَلِفِ غُفْلًا بِغَيْرِ صَنْعَةٍ، فَإِذَا وَضَعَ الزَّامِرُ أَنَامِلَهُ عَلَىٰ خُرُوقِ النَّايِ المَنْسُوقَةِ، وَرَاوَحَ بَيْنَ عَمَلِهِ اِخْتَلَفَتِ الْأَصْوَاتُ، وَسُمِعَ لِكُـلِّ خَـرْقٍ مِنْهَـا صَوْتٌ لَا يُشْبِهُ صَاحِبَهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا قُطِعَ الصَّوْتُ فِي الحَلْقِ وَالْفَمِ بِاعْتِمَادٍ عَـلَىٰ جِهَـاتٍ مُخْتَلِفَـةٍ كَـانَ سَـبَبَ اِسْتِمَاعِنَا هَذِهِ الْأَصْوَاتَ المُخْتَلِفَةَ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ أَيْضًا وَتَرُ الْعُودِ، فَإِنَّ الضَّارِبَ إِذَا ضَرَبَهُ وَهُوَ مُرْسَـلٌ سَـمِعْتَ لَهُ صَوْتًا، فَإِنْ حَصَرَ آخِرَ الْوَتَرِ بِبَعْضِ أَصَـابِعِ يُسْرَاهُ أَدَّىٰ صَـوْتًا آخَـرَ فَـإِنْ أَدْنَـاهُ قَلِـيلًا سَـمِعْتَ غَـيْرَ الاثْنَـيْنِ ».[3]وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنِ اعْتِرَافِهِ أَنَّهُ لَمْ يُؤَلِّفْ كِتَابَهُ لهذَا الْفَـنِّ ـ يَقْصِـدُ المُوسِـيقَىٰ ـ إِلَّا أَنَّـهُ يُؤَكِّـدُ عَـلَىٰ ضَرُورَةِ عَدَمِ إِغْفَالِ هَذَا الْفَنِّ فِي دِرَاسَةِ الْأَصْوَاتِ، يَقُولُ :«إِنَّمَا أَرَدْنَا بِهذَا التَّمْثِيلِ الْإِصَـابَةَ وَالتَّقْرِيـبَ، وَإِنْ لَـمْ يَكُـنْ هَذَا الْفَنُّ مِمَّا لَنَا وَلَا لهذَا الْكِتَابِ بِـهِ تَعَلُّـقٌ، وَلَكِـنَّ هَـذَا الْقَبِيـلَ مِـنْ هَـذَا الْعِلْـمِ ـ أَعْنِـي عِلْـمَ الْأَصْـوَاتِ وَالحُرُوفِ ـ لَهُ تَعَلُّقٌ وَمُشَارَكَةٌ لِلْمُوسِيقَىٰ لِمَا فِيهِ مِنْ صَنْعَةِ الْأَصْوَاتِ وَالنَّغْمِ ».[4]

---

(1) يوسف السيسيّ : دعوة إلىٰ الموسيقىٰ ، ط . المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفـة ، 1981 ع (46) ، ص 84 .

(2) السلم الموسيقي : تسلسل نغمي يحتوي علىٰ النغمات الموسيقية التي تشكل النظام الموسـيقي لشـعب مـا، أو لأسـلوب مؤلف موسيقي ما . انظر : معجم الموسيقىٰ ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، 1420 هـ ، 2000 م ، ص 136 .

(3)ابن جني (أبو الفتح بن عثمان ت 393 هـ) : سر صناعة الإعراب ، تحقيق ودراسة د . حسن هنداوي ، ط. دار القلـم، دمشق ، 1993 ، 8/1 ، 9 .

(4) نفسه .

فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ يَلْجأُ الشُّعَرَاءُ فِي اسْتِخْدَام تِقْنِيَّاتٍ مُوسِيقِيَّةٍ فِي خِطَابِهِمُ الشِّعْرِيِّ هِيَ فِي الْأَصْلِ تِقْنِيَّاتٌ لحنِيَّةٌ مُوسِيقِيَّةٌ، وَذَلِكَ ـ عَلَىٰ سَبِيلِ المِثَالِ ـ عِنْدَمَا يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَىٰ تَكْرَارِ الجُمْلَةِ الافْتِتَاحِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ، ثُمَّ يَخْتِمُ الْقَصِيدَةَ بِالجُمْلَةِ الافْتِتَاحِيَّةِ نَفْسِهَا.إِنَّ الشَّاعِرَ عِنْدَمَا يَلْجَأُ إِلَىٰ هذِهِ التَّقْنِيَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ رَدَّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ بِشَكْلٍ رَأْسِيٍّ يَجْعَلُ بِنْيَةَ النَّصِّ مُتَمَاسِكَةً تَمَاسُكًا مَعْنَوِيًّا مُحْكَمًا بِرَدِّ عَجُزِهَا عَلَىٰ صَدْرِهَا، هَذَا مِنْ جِهَةٍ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ فَإِنَّهُ جَعَلَ إِيقَاعَ النِّهَايَةِ مِثْلَ إِيقَاعِ الْبِدَايَةِ تَمَامًا كَمَا فِي الْأَلحانِ المُوسِيقِيَّةِ الدَّائِرِيَّةِ « Round»[1] الَّتِي تَنْتَهِي مِنْ حَيْثُ بَدَأَتْ.وَقَدْ يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَىٰ أُسْلُوبِ التَّفْتِيتِ اللُّغَوِيِّ؛ لِأَغْرَاضٍ مَعْنَوِيَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِتَفَتُّتِ مَشَاعِرِهِ وَخُفُوتِهَا تِجَاهَ أَمْرٍ مَا، فَيَذْهَبُ إِلَىٰ طَرِيقَةِ التَّلَاشِي التَّدْرِيجِيِّ، حَيْثُ يَبْدَأُ الْقَصِيدَةَ بِمَقْطُوعَةٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ ـ مَثَلًا ـ ثُمَّ تَتَوَالَىٰ المقْطُوعَاتُ، وَفِي كُلِّ مَقْطُوعَةٍ يَقِلُّ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ إِلَىٰ أَنْ يَصِلَ إِلَىٰ بَيْتٍ وَاحِدٍ فِي الْأَخِيرَةِ إِلَىٰ انْتِهَاءِ الْقَصِيدَةِ، وَهَذَا فِي جَوْهَرِهِ تِقْنِيَةٌ مُوسِيقِيَّةٌ يَلْجَأُ إِلَيْهَا المُهَنْدِسُ الموسِيقِيُّ حَيْثُ يَبْدَأُ بِالصَّوْتِ قَوِيًّا، ثُمَّ يَخْبُو شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَىٰ النِّهَايَةِ، وَهٰذَا مَا يُسَمَّىٰ فِي الهنْدَسَةِ الموسِيقِيَّةِ بِأُسْلُوبِ « Fade Out ».[2]

فَإِذَا كَانَتِ الْأُسْلُوبِيَّةُ تَسْتَمِدُّ إِجْرَاءَاتِهَا مِنْ عُلُومٍ أُخْرَىٰ مِثْلِ عِلْمِ الْبَلَاغَةِ، وَعِلْمِ الجَمَالِ وَالْبِنْيَوِيَّةِ، وَاللِّسَانِيَّاتِ، وَعِلْمِ الْإِحْصَاءِ، فَلَا بَأْسَ ـ إِذَنْ ـ أَنْ تَسْتَمِدَّ بَعْضَ آلِيَّاتِهَا مِنْ عِلْمِ المُوسِيقَىٰ، وَخَاصَّةً الْأُسْلُوبِيَّةَ الصَّوْتِيَّةَ بِوَصْفِهَا آلِيَّةً نَقْدِيَّةً تَسْعَىٰ لِاسْتِنْطَاقِ المكْتُوبِ صَوْتًا فِي الخِطَابِ الشِّعْرِيِّ.

---

(1) انظر : معجم الموسيقىٰ، مجمع اللغة العربية، ص 134 وانظر عن أنواع القفلات الموسيقية ص 21 ، 27 ، 28 . هـذا، وقد أشار إلىٰ هذا الأسلوب الموسيقيِّ في التلحينِ الموسيقارُ عَمَّارُ الشِّرِيعِيُّ ~ في برنامجه الإذاعي الشهير في غير مرة، وكان يسميه : «أسلوب فتح الأقواس» ، حيث إن الملحن يبدأ بجملة موسيقية هي عنده قوس يضع داخله جملا موسيقية متعددة ثم يغلق القوس بالجملة اللحنية نفسها التي بدأ بها، مثلما يفعل الشاعر، والغرض عند الاثنين إحكام العمل الفني معنويًّا وإيقاعيًّا إحكامًا رأسيًّا .

(2) هي تقنية تلاشي الصوت تدريجيا حتىٰ يختفي ، وهي تستخدم في نهاية الأعمال الموسيقية بكثرة ، وعكس هـٰذا الأسلوب، هو أسلوب « **Fade In** » ، وهو يتمثل في دخول الصوت البشري خافتا ثم يعلو تدريجيًّا . وقد تحصل الباحث علىٰ معرفة هـٰذه التقنيات من خلال الاستماع للبرنامج الإذاعي سالف الذكر علىٰ موجات الإذاعة المصرية .

(3)

يَتَرَدَّدُ فِي أَرْوِقَةِ هذِهِ الدِّرَاسَةِ صَدَىٰ كَلِمَةِ «الْأَدَاءِ»، «Performance » [(1)]، حَيْثُ يَأْتِي بَابٌ مُعَنْوَنٌ بـــ «أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ»، وَآخَرُ بِعُنْوَانِ«أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ التقْفَوِيِّ»، وَأَخِيرٌ بِعُنْوَانِ «أُسْلُوبِيَّة الْأَدَاءِ الْمُتَوَازِي»، فَمَا «الْأَدَاءُ» ؟ وَمَا عَلَاقَتُهُ بِهذِهِ الدِّرَاسَةِ؟

يَقُولُ ابْنُ مَنْظُورٍ:«...وَأَدَّىٰ الشَّيْءَ:أَوْصَلَهُ، وَالاسْمُ الْأَدَاءُ ، ...وَأَدَّىٰ دَيْنَهُ تَأْدِيَةً أَيْ قَضَاهُ، وَالاسْمُ الْأَدَاءُ ، ...وَتَأَدَّىٰ إِلَيْهِ الخَبَرُ أَيِ انْتَهَىٰ».[(2)]

وَمِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِ ابْنِ مَنْظُورٍ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَمَثَّلَ حَرَكَةَ الْفِعْلِ «أَدَّىٰ» الَّتِي تَتِمُّ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، حَيْثُ يَبْدَأُ الْفِعْلُ، مِنْ طَرَفٍ لِآخَرَ، فَـ«أَدَّىٰ» الشَّيْءَ أَوْصَلَهُ مِنْ طَرَفٍ إِلَىٰ آخَرَ، كَذَا أَدَّىٰ الدَّيْنَ، مِنْ طَرَفِ مَدِينٍ إِلَىٰ دَائِنٍ، كَذَا أَدَّىٰ الشَّهَادَةَ قَامَ بِهَا طَرَفٌ أَمَامَ طَرَفٍ آخَرَ، كَذَا أَدَّىٰ إِلَيْهِ الخَبَرَ أَيْ أَعْلَمَ طَرَفٌ طَرَفًا آخَرَ.وَلِذَا نَجِدُ ضِمْنَ تَعْرِيفَاتِ «الْأَدَاءِ» فِي الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، الْقِيَامَ بِالْفِعْلِ، فِعْلِ الشَّيْءِ، أَوِ الْقِيَامَ بِوَظِيفَةٍ:« « do to، « make » ، function to »».[(3)] أَمَّا مُعْجَمُ الْمُصْطَلَحَاتِ الْأَلْسُنِيَّةِ فَيُعَرِّفُ الْأَدَاءَ بِقَوْلِهِ:«هُوَ كُلُّ تَعْبِيرٍ لُغَوِيٍّ شَفَوِيًّا كَانَ أَمْ كِتَابِيًّا»، وَمِنْ خِلَالِ هذَا التَّعْرِيفِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُفَرِّقَ بَيْنَ نَوْعَيْنِ مِنَ الْأَدَاءِ ؛الْأَوَّلُ : شَفَوِيٌّ ، يَتَمَثَّلُ فِي اللُّغَةِ المنطُوقَةِ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ كَلَامًا عَادِيًّا، أَوْ تِلَاوَةً لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، أَوْ غِنَاءً. إِنَّ هَذَا الْأَدَاءَ الشَّفَوِيَّ الَّذِي نَصِفُهُ يَتَحَقَّقُ بِوَاسِطَةِ الْوَصْفِ«الْأَكوستيكي»[(4)] لِلنَّصِّ حَالَ قِرَاءَتِهِ، أَوِ الِاسْتِعَانَةِ بِرُوَاةٍ وَمُتَابَعَةِ الصَّوَائِتِ وَالصَّوَامِتِ وَالنَّبْرِ وَالتَّنْغِيمِ .وَالثَّانِي:الْأَدَاءُ

(1) أخذ الباحث عادل الحساني في دراسته للأداء الأسلوبي في المستوىٰ الصوتي لشعر «أدونيس» بمصطلح «**Diction**» ترجمةً لمصطلح «الأداء» ، وهو مصطلح مشتق من « **Dichotic** » الذي ترجمته «ثنائي الأذن » والمقصود به «كل ظاهرة تهم الأذنين »كما في معجم المصطلحات الألسنية ص 82 ، مصطلح رقم 654 . وأرىٰ أن الأخذ بهذا الأخير يضيق من مفهوم «الأداء» «**Performance**» » ؛ لأن الأداء الصوتي يتأتىٰ من خلال قدرة الشاعر اللغوية، وهنا نجد أنفسنا أمام مصطلح «الكفاءة». والكفاءة والأداء يمثلان حجر الزاوية في النظرية اللغوية عند شومسكي .

(2) ابن منظور (جمال الدين بن محمد المصري) : لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، وهاشم محمد الشاذلي ، ط. دار المعرف ، بمصر ، (د . ت) ، 1 / 48 . (أدي) .

(3) د . روحي البعلبكي : قاموس المورد ، ط . دار العلم للملايين ، ط . 7 ، 1995 ، 62 .

(4) علم الأصوات «الأكوستيكي» «**Acoustic phonetics** » ، ويسمىٰ أيضا علم الأصوات الوظيفي فرع من علم الأصوات يهتم بدراسة الخصائص المادية أو الفيزيائية لأصوات الكلام أثناء انتقالها من المتكلم إلىٰ السامع وهو يبحث في تردد الصوت وسعة الذبذبة ، وطبيعة المادة الصوتية وعلو الصوت ودرجته (أي نغمه) ، ونوعه (أي جرسه). انظر د. محمد علي الخولي : معجم علم الأصوات ، 114 ، و د . أحمد مختار عمر : دراسة الصوت اللغوي ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط1، 1976 ، ص 3 .

الْكِتَابِيُّ:وَهُوَ يَتَمَثَّلُ فِي كَيْفِيَّةِ اسْتِخْدَامِ الْكَاتِبِ لِعُلُومِ اللُّغَةِ المخْتَلِفَةِ مِنْ نَحْوٍ وَصَرْفٍ وَعَرُوضٍ وَبَلَاغَةٍ وَإِمْلَاءٍ وَعَلَامَاتِ تَرْقِيمٍ، وَفَرَاغَاتٍ طِبَاعِيَّةٍ، وَنَوْعِيَّةِ الخَطِّ المطْبُوعِ بِهِ النَّصُّ.

لَكِنَّ لمصْطَلَحِ «الْأَدَاءِ» بُعْدًا أَكْثَرَ عُمْقًا فِي النَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ الحَدِيثَةِ؛إِذْ يُمَثِّلُ«الْأَدَاءُ» و«الْكَفَاءَةُ »كَمَا يَقُولُ د.الرَّاجِحِيُّ «حَجَرَ الزَّاوِيَةِ فِي النَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ عِنْدَ تشُومِسْكِي.إِنَّ «الْأَدَاءَ» أَوِ السَّطْحَ يَعْكِسُ «الْكَفَاءَةَ»، أَيْ يَعْكِسُ مَا يَجْرِي فِي الْعُمْقِ مِنْ عَمَلِيَّاتٍ».(1)

وَفِي عُجَالَةٍ نَذْكُرُ أَنَّ نَظَرِيَّةَ «تشومِسْكي» اللُّغَوِيَّةَ تَتَّجِهُ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ، فَهُوَ عِنْدَهُ «لَيْسَ هَذِهِ الْآلَةَ، إِنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ عَنِ الحيَوَانِ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ التَّفْكِيرِ وَالذَّكَاءِ فَحَسْبُ ، وَلكِنَّهُ يَفْتَرِقُ عَنْهُ ـ وَهُوَ الْأَهَمُّ ـ بِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ اللُّغَةِ، وَلَا شَكَّ عِنْدَهُ فِي أَنَّ اللُّغَةَ هِيَ أَهَمُّ الجَوَانِبِ الحَيَوِيَّةِ فِي النَّشَاطِ الإِنْسَانِيِّ».(2)لَقَدْ أَكَّدَ «تشُومِسْكِي»عَلَىٰ مَا فِي اللُّغَاتِ مِنْ مَزِيَّةِ «الْإِبْدَاعِيَّةِ الخَلَّاقَةِ» «Creative»، أَوِ الْقُدْرَةِ غَيْرِ المحْدُودَةِ ؛ لِذَلِكَ يَجِبُ عَلَىٰ النَّظَرِيَّةِ النَّحْوِيَّةِ الَّتِي هِيَ جُزْءٌ مِنَ النَّظَرِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ أَنْ تَعْكِسَ تِلْكَ الْقُدْرَةَ الَّتِي يَمْتَلِكُهَا أَبْنَاءُ اللُّغَةِ عَلَىٰ إِنْتَاجِ عَدَدٍ غَيْرِ مَحْدُدٍ مِنَ الجُمَلِ وَفَهْمِهَا وَالاسْتِمَاعِ إِلَىٰ جُمَلٍ جَدِيدَةٍ وَاسْتِيعَابِهَا.

وَنَظَرًا لِأَنَّ نَظَرِيَّةَ «تشُومِسْكِي» تَتَّجِهُ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ صَاحِبِ اللُّغَةِ ـ أَوْ مَا يُسَمِّيهِ المتَكَلِّم المثَالِيّ فِي مُجْتَمَعٍ لُغَوِيٍّ مُتَجَانِسٍ يَعْرِفُ لُغَتَهُ مَعْرِفَةً كَامِلَةً ـ بَرَزَ مُصْطَلَحَانِ مُهِمَّانِ فِي نَظَرِيَّةِ النَّحْوِ التَّحْوِيلِيِّ، وَهَذَانِ المصْطَلَحَانِ لهُمَا أَهَمِّيَّتُهمَا؛هُمَا الْكَفَاءَةُ وَالْأَدَاءُ.

أَمَّا مُصْطَلَحُ الْكَفَاءَةِ «Competence» فَيُشِيرُ إِلَىٰ الْقُدرَاتِ اللُّغَوِيَّةِ لَدَىٰ «ابْنِ اللُّغَةِ»ـ الشاعر فِي دِرَاسَتِنَا هذِهِ ـ الَّتِي تُمَكِّنُهُ مِنَ التَّعْبِيرِ عَنْ نَفْسِهِ وَفَهْمِ الْآخَرِينَ، و«الْكَفَاءَةُ» عِنْدَ «تشُومِسْكِي» نَوْعَانِ :

1- الْكَفَاءَةُ النَّحْوِيَّةُ:«Grammatical competence» ، وَهِيَ تَتَّصَلُ بِنَظَرِيَّةِ تَرْكِيبِ الجمَلِ وَالمعْرِفَةِ بِالْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ.وَيَتَّصِلُ بِهَذِهِ الْكَفَاءَةِ النَّحْوِيَّةِ مَا يُسَمَّىٰ «الحدَسَ» ، «intuition» لَدَىٰ ابْنِ اللُّغَةِ الَّذِي يَنْحَصِرُ فِي أَمْرَيْنِ همُاَ:الحَدَس تِجَاهَ الجُمْلَةِ المحْكَمَةِ فِي صِيَاغَتِهَا، وَالحَدَس تِجَاهَ تَرْكِيبِ الجُمْلَةِ. وَقَدِ اكْتَسَبَ هَذَا «الحدَسُ» أَهَمِّيَّةً كَبِيرَةً فِي

---

(1) د. عبده الراجحي : النحو العربي والدرس اللغوي الحديث ، ط . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993 ص115 .
(2)السابق ، ص 112.

نَظَرِيَّةِ النَّحْوِ التَّحْوِيلِيِّ؛لِأَنَّ ابْنَ اللُّغَـةِ لَدَيْـهِ المقْـدِرَةُ عَـلَىٰ مَعْرِفَـةِ مَـا فِي أَيِّ جُمْلَـةٍ مِـنْ خَلَـلٍ يَتَّصِـلُ بِأَصْوَاتِهَا أَوْ بِنَائِهَا الصَّرْفِيِّ أَوْ نَظْمِهَا أَوْ دِلَالَةِ أَلْفَاظِهَا.

2- الْكَفَاءَةُ الْبَرَاجْمَاتِيَّةُ : « Pragmatic competenc، وَتَتَّصِلُ هَذِهِ الْكَفَاءَةُ بِالدَّوْرِ الَّذِي تُؤَدِّيـه الْعَوَامِـلُ غَـيْرُ اللُّغَوِيَّةِ فِي اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَىٰ تَأْوِيلِهَا لِمعْرِفَةِ مَعَانِيهَا. [1]

أَمَّا مُصْطَلَحُ «الْأَدَاءُ» Performance »، فهُوَ يُمَثِّـلُ مَـا يَنْطِقـهُ الْإِنْسَـانُ صَـوْتًا فِعْـلًا أَيْ يُمَثِّـلُ الْبِنْيَـةَ السَّطْحِيَّةَ لِلْكَلَامِ الْإِنْسَانِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ لَا يُمْكِنُ لِلْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ دِرَاسَةَ «الْأَدَاءِ» وَهِيَ تَضْرِبُ الذِّكْرَ عَنِ الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ.

وَالخُلَاصَةُ:أَنَّ اللُّغَةَ الَّتِي نَنطقُهَا فِعْلًا إِنَّمَا يَكْمُنُ تَحْتَهَا عِدَّةُ عَمَلِيَّاتٍ عَمِيقَةٍ تَخْتَفِـي وَرَاءَ الْـوَعْيِ بَـلْ وَرَاءَ الْوَعْيِ الْبَاطِنِ أَحْيَانًا، وَدِرَاسَةُ«الْأَدَاءِ» ـ أَيْ دِرَاسَةُ بِنْيَةِ السَّطْحِ ـ تُقَدِّمُ التَّفْسِيرَ الصَّوتِيَّ لِلُّغَةِ، أَمَّا دِرَاسَةُ الْكَفَاءَةِ أَيْ«بِنْيَةَ الْعُمْقِ» فَتقدِّمُ التَّفْسِيرَ الدِّلَالِيَّ لها.[2]

يُوَاكِبُ الِاهْـتِمَامَ بِهَـذَيْنِ المصْـطَلَحَيْنِ «الْكَفَـاءَة» و«الْأَدَاء» مُصْـطَلَحَانِ مُهِـمَّانِ آخَـرَانِ كَـانَ عَلَـيْهِمَا تَأْسِيسُ هَذَا الطَّرْحِ النَّظَرِيِّ، وَهُمَا:الْبِنْيَةُ الْعَمِيقَةُ، وَالْبِنْيَةُ السَّطْحِيَّةُ فَقَدْ أَشَارَ «تشُومِسْكِي» إِلَىٰ أَنَّ كُلَّ لُغْـةٍ لهَا بِنْيَتَانِ هُمَا:

1-الْبِنْيَةُ الْعَمِيقَةُ: « deep structure » وَهِيَ تَتَّصِلُ بِالمعْنَىٰ أَوِ التَّأْوِيلِ الدِّلَالِيِّ لِلْجُمَلِ وَالْعِبَارَاتِ .

2-الْبِنْيَةُ السَّطْحِيَّةُ:« Surface structure » وَهِيَ تُشِيرُ إِلَىٰ الْعِبَارَاتِ أَوِ الجُمَلِ المنْطُوقَةِ أَوِ المكْتُوبَةِ .

وَتَؤْخُذُ الثَّانِيَةُ مِنَ الْأُولَىٰ عَنْ طَرِيقِ عِدَّةِ عَمَلِيَّاتٍ نَحْوِيَّةٍ تُسَمَّىٰ بِالتَّحْوِيـلِ، وَيَـرْتَبِطُ التَّحْوِيـلُ الَّـذِي يُصِيبُ الجُمْلَةَ وَيُوَلِّدُ جُمَلًا جَدِيدَةً مِنَ الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ إِلَىٰ الْبِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ بِالْكَفَاءَةِ وَالْأَدَاءِ لَـدَىٰ المـتَكَلِّمِ / السَّامِعِ المثَالِيِّ .

---

(1) انظر : د.محمود سليمان ياقوت:منهج البحث اللغوي ، ط . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1998 ، ص150

(2) **Chomsky : Aspects of the Theory of Syntax , M.I.T Press , Cambridge , Mass , 1965 PP 3-18** .

وَنُشِيرُ فِيمَا يَلِي إِلَىٰ عِدَّةِ عَمَلِيَّاتٍ تَحْوِيلِيَّةٍ تُصِيبُ الجُمْلَ، وَهِيَ عَمَلِيَّاتٌ تُشْبِهُ إِلَىٰ حَدٍّ كَبِيرٍ مَا جَاءَ فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ.عَلَىٰ نَحْوِ مَا نُوَضِّحُهُ فِيمَا يَلِي ، وَهذِهِ الْقَوَاعِدُ هِيَ :

1- الحذْفُ: « Deletion » فَالجُمْلَةُ المكَوَّنَةُ مِنْ عُنْصُرَيْنِ(أ)+(ب) تَصِيرُ ...+(ب) بِهذَا الشَّكْلِ : أ+ب ⟵ ... +(ب) بِحَذْفِ الْعُنْصُرِ (أ) .

2ـ الْإِحْلَالُ« Replacement » ، فَالجمْلَةُ المكَوَّنَةُ مِنْ عُنْصُرٍ (أ) تَصِيرُ (ب) بِهَذَا الشَّكْلِ أ ⟵ ب بِإِحْلَالِ عُنْصُرِ (ب) بَدَلًا مِنْ (أ).

3- الاتِّسَاعُ: « expansion » فَالجُمْلَةُ المكَوَّنَةُ مِنْ عُنْصُرٍ وَاحِدٍ (أ) تَصِيرُ (ب) +(ج) بِهَذَا الشَّكْلِ : أ ⟵ ب+ ج ، فَالجُمْلَةُ امْتَدَّتْ مِنْ عُنْصُرٍ إِلَىٰ عُنْصُرَيْنِ.

4- الاخْتِصَارُ « Reduction » وَهِيَ عَكْسُ الْعَمَلِيَّةِ السَّابِقَةِ إِذْ إِنَّ الجُمْلَةَ المكَوَّنَةَ مِنْ عُنْصُرَيْنِ أ +ب تَصِيرُ مُكَوَّنَةً مِنْ (ج) فَقَطْ ، بِهَذَا الشَّكْلِ : أ + ب ⟵ ج .

5 ـ الزِّيَادَةُ « Addition » فَالجُمْلَةُ المكَوَّنَةُ مِنْ عُنْصُرٍ (أ) تَصِيرُ مَكَوَّنَةً مِنْ أ+ب بِهَذَا الشَّكْلِ : (أ) ⟵ (أ) +(ب).

6-إِعَادَةُ التَّرْتِيبِ « Permutation » فَالجُمْلَةُ المكَوَّنَةُ مِنْ أ+ب تَصِيرُ مُكَوَّنَةً مِنْ ب+أ بِهذَا الشَّكْلِ : أ+ب ⟵ ب+أ .

بِهَذِهِ الْقَوَاعِدِ أَوْ إِحْدَاهَا تَنْتَقِلُ الجُمْلَةُ مِنَ الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ مُعْتَمِدَةً عَلَىٰ كَفَاءَةِ ابْنِ اللُّغَةِ وَمَعْرِفته بها إِلَىٰ الْبِنْيَةِ السَّطْحِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَدَاءُ اللُّغَوِيُّ فِي صُورَتِهِ الجَدِيدَةِ، بِبِنْيَتِهِ الصَّوْتِيَّةِ المتَمَيِّزَةِ الَّتِي تَسْعَىٰ الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ لِرَصْدِهَا وَتَصْنِيفِ ظَوَاهِرِهَا.فَحِينَ نَقُولُ: «أُسْلُوبِيَّة الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيّ»، فَنَحْنُ نَدْرُسُ الْبِنْيَةَ الْعَرُوضِيَّةَ الَّتِي تَمَخَّضَتْ عَنْ بِنْيَةٍ عَمِيقَةٍ بِمَا فِيهَا مِنْ حَذْفٍ وَتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ وَإِحْلَالٍ وَاتِّسَاعٍ وَمَا إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ وَسَائِلَ اِسْتَطَاعَ أَنْ يُشَكِّلَ مِنْهَا الشَّاعِرُ بِنَاءً فنيًّا مُتَمَيِّزًا بِمَا أَمَدَّتْهُ اللُّغَةُ مِنْ جَوَانِبَ إِبْدَاعِيَّةٍ خَلَّاقَةٍ «Creative».

وَلَعَلَّهُ مِنَ المُفِيدِ أَنْ نَذْكُرَ فِي عُجَالَةٍ أَيْضًا أَنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ لها مَا يُمَاثِلُهَا فِي النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ ، وَالْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ إِذْ إِنَّ الحَذْفَ يُعَدُّ أَحَدَ آلِيَّاتِ التَّعْبِيرِ اللُّغَوِيِّ ـ خَاصَّةً الشِّعْرِيَّ ـ الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ ابْنَ جِنِّي يَضَعُهُ فِي صَدْرِ بَابِ «شَجَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ»، يَقُولُ: «قَدْ حَذَفَتِ الْعَرَبُ الجُمْلَةَ

وَالمفْرَدَ وَالحَرْفَ وَالحَرَكَةَ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ عَلَيْهِ، وَإِلَّا كَـانَ فِيـهِ ضَرْبٌ مِـنْ تَكَلُّـفِ عَلْـمِ الْغَيْـبِ فِي مَعْرِفَتِهِ »[1]، وَذَكَرَ لَهُ أَمْثِلَةً مُتَعَدِّدَةً مِنْ لُغَةِ الشِّعْرِ.

بَلْ إِنَّ شَيْخَ الْعَرَبِيَّةِ عَبْدَ الْقَاهِرِ الجُرْجَانِيّ ~ ذَكَرَ أَنَّهُ ـ أَي الحَذْفَ ـ «بَـابٌ دَقِيـقُ المسْـلَكِ، لَطِيـفُ المأْخَذِ، عَجِيبُ الْأَمْرِ شَبِيهٌ بِالسِّحْرِ».[2]

أَمَّا مُصْطَلَحُ «الزِّيَادَةِ » فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ جِنِّي أَيْضًا فِي بَابِ «شَجَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ»، وَذَكَرَ «سِـيبَوَيْهِ» فِي الْكِتَابِ، قَوْلًا فِي الْبَاءِ الزَّائِدَةِ :«هَذَا بَابُ مَا تُجْرِيهِ عَلَىٰ الموْضِعِ لَا عَـلَىٰ الاسْـمِ الَّـذِي قَبْلَـهُ، وَذَلِـكَ قَوْلُـكَ لَيْسَ زَيْدٌ بِجَبَانٍ وَلَا بَخِيلًا».[3]

أَمَّا مُصْطَلَحُ «إِعَادَةِ التَّرْتِيبِ» ، فَهُوَ يَرْتَبِطُ إِلَىٰ حَدٍّ كَبِيرٍ بِقَوَاعِـدِ التَّقْـدِيمِ وَالتَّـأْخِيرِ، الَّـذِي عَـدَّهُ ابْـنُ جِنِّي أَيْضًا مِنْ أَبْوَابِ «شَجَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ»[4] وَذَكَرَ أَنْوَاعَهُ، يَقُولُ عَبْدُ الْقَاهِرِ عَنْهُ: «هُـوَ بَـابٌ كَثِـيرُ الْفَوَائِـدِ ، جَمُّ المحَاسِنِ، وَاسِعُ التَّصَرُّفِ، بَعِيدُ الْغَايَةِ».[5]

الْأَدَاءُ ـ إِذَنْ ـ مُصْطَلَحٌ وَثِيقُ الصِّلَةِ بِالْكَفَاءَةِ، وَالْأَدَاءُ الصَّوتِيُّ يَتَوَاكَـبُ مَـعَ الْأَدَاءِ اللُّغَـوِيِّ، لَا يَسْـتَطِيعُ الانْفِصَالَ عَنْهُ بَأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، فَإِذَا انْتَفَىٰ الْأَدَاءُ اللُّغَوِيُّ بِمَا مَعَهُ مِنْ كَفَاءَةٍ يَنْعَـدِمُ وُجُـودُ أَدَاءٍ صَـوْتِيٍّ، وَتَكُونُ الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُـ حِينَئِذٍ ـ دِرَاسَةً لِـ«لَا شَيْءٍ».

اِتَّكَأَتِ الدِّرَاسَةُ عَلَىٰ الطَّرْحِ التَّنْظِيرِيِّ السَّابِقِ، وَرَأَتْ فِي الْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّـوْتِيَّةِ نِقَـاطَ تَمَـاسٍّ أَسَاسِـيَّةٍ مَـعَ عُلُومِ الْعَرُوضِ، وَالْقَافِيَةِ، وَاللِّسَانِيَّاتِ، وَالْبَلَاغَةِ، وَالنَّقْدِ الْأَدَبِيِّ وَعِلْمِ الجِـمَالِ، وَالْبِنْيَوِيَّـةِ ، وَالْإِحْصَـاءِ، وَعِلْـمِ المُوسِيقَىٰ الْعَامِّ ، مِمَّا جَعَلَهَا آلِيَّةً شَرْعِيَّةً لِلتَّعَامُلِ مَعَ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ ـ الشِّعْرِيِّ خَاصَّةً ـ لِـمَا فِيهَـا مِـن امْتِـدَادٍ رَأْسِيٍّ فِي تُرْبَةِ اللُّغَةِ (نَحْوًا وَبَلَاغَةً) وَامْتِدَادٍ أُفُقِيٍّ فِي تُرْبَةِ عُلُومٍ أُخْرَىٰ غَيْرِ لُغَوِيَّةٍ (موسيقىٰ).

---

(1) ابن جني (أبو الفتح بن عثمان ت 393 هـ) : الخصائص ، تحقيـق محمـد عـلي النجـار ، ط. الهيئـة المصريـة العامـة للكتاب، 1999 ، 362/2 .

(2) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط. مكتبة الخانجي ، ص 146 .

(3) سيبويه : الكتاب ، 32/1، 34 .

(4) ابن جني : الخصائص ، 384/2 .

(5)عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص106.

(4)

يُمَثِّلُ شِعْرُ «قُطْب» مَرْحَلَةً مِـنْ مَرَاحِـلِ حَيَاتِـهِ الْفِكْرِيَّـةِ، فَهُـوَ شِـعْرٌ رُومَـانسِيٌّ خَـالِصٌ، تَتَمَثَّـلُ فِيـهِ السِّمَاتُ الْفَنِّيَّةُ لِشُعَرَاءِ الاتِّجَاهِ الرُّومَانسِيِّ المصْرِيِّ المتَمَثِّـلِ فِي جَمَاعَـةِ «أَبُولُّـو»، وَقَـدْ أَشَرْنَـا فِي المُقَدِّمَـةِ إِلَىٰ مَوْضُوعِ شِعْرِ«قُطْب» وَاتِّجَاهَاتِهِ، وَمَا كَانَتْ هَذِهِ الْإِشَارَةُ إِلَّا عَنْ نَظْرَةٍ إِحْصَائِيَّةٍ فِي أَعْـمَالِ الشَّـاعِرِ نُقَـدِّمُهَا مِنْ خِلَالِ جَدْوَلِ رقم (1) التَّالِي:

شعْرُ « قُطب» إِحْصَائِيًّا

م	الْقِسْمُ	عَدَدُ الْقَصَائِدِ	عَدَدُ الْقِطَعِ	عَدَدُ الْأَبْيَاتِ	عَدَدُ الْأَشْطُرِ
1	التَّمَرُّدُ	6	-	103	20
2	الشَّكْوَىٰ	11	1	167	32
3	الْـحَنِينُ	18	-	301	75
4	التَّأَمُّلَاتُ	22	1	460	57
5	الْغَزَلُ	45	1	686	43
6	الْوَصْفُ	12	2	234	36
7	الرِّثَاءُ	9	-	221	-
8	الْوَطَنِيَّاتُ	3	-	49	-
9	الْـمَدْحُ	1	-	37	-
10	الهِجَاءُ السِّيَاسِيُّ	1	-	-	30
11	الحَمَاسَةُ	1	-	32	-
المجموع		129	5	2290	293

يَتَّضِحُ مِنْ خِلَالِ الجَدْوَلِ السَّابِقِ المَوْضُوعُ الشِّعْرِيُّ لِأَعْمَالِ «قُطب»[1]، وَالمُلَاحَظَةُ المَبْدَئِيَّةُ هِيَ أَنَّ شِعْرَ «الْغَزَلِ»، أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِعَاطِفَةِ الحُبِّ وَالْغَيْرَةِ وَالاشْتِيَاقِ وَالهَجْرِ وَمَا يَشْمَلُ ذَلِكَ مِنْ حُقُولٍ دِلَالِيَّةٍ هُوَ المحْتَلُّ مِسَاحَةً تُقَدَّرُ بِالثُّلُثِ مُنْفَرِدًا، بَيْنَمَا تَقَاسَمَ الثُّلُثَيْنِ مَوْضُوعَاتٌ أُخْرَىٰ كَالتَّأَمُّلَاتِ وَالشَّكْوَىٰ وَالحَنِينِ وَالْوَصْفِ وَالتَّمَرُّدِ وَالْوَطَنِيَّاتِ وَالمدْحِ وَالهِجَاءِ السِّيَاسِيِّ وَالحَمَاسَةِ ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا يَتَمَثَّلُ فِي الشَّكْلِ التَّالِي:



(شكل :1)

مُخَطَّطٌ بَيَانِيٌّ يُوَضِّحُ مَوْضُوعَاتِ شِعْر «قُطب» إِحْصَائِيًّا

أَمَّا إِذَا مَا حَاوَلْنَا أَنْ نُفَعِّلَ لُغَةَ الْأَرْقَامِ تَفْعِيلًا آخَرَ لِنَضَعَ التَّرْتِيبَ المتَدَرِّجَ لِهذِهِ الموْضُوعَاتِ فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

---

(1)اعتمدت هذه الدراسة علىٰ الأعمال الكاملة للشاعر، الصادرة عن مركز الناقد الثقافي ، سوريا ، ط .1 ، 2008. تقديم الدكتور حسن حنفي .

- عَدَدُ قَصَائِدِ الْأَعْمَالِ الكَامِلَةِ لِـ«قُطب» 129 قَصِيدَةً وَخَمْـسُ قِطَـعٍ شِـعْرِيَّةٍ[1]، بِمَجْمُـوعِ أَبْيَـاتٍ 2290 بَيْتًا و 292 شَطْرًا.

- تَحْتَلُّ قَصَائِدُ «الْغَزَل» المرْتَبَةَ الْأُولَىٰ فِي شِـعْرِ «قُطـب» بِمَجْمُـوعِ (45) قَصِـيدَةً، بِنِسْـبَةِ (35) %، وَكَانَ نَفَسُهُ الشِّعْرِيُّ فِي أَبْيَاتِ الْغَزَلِ أَطْوَلَ، إِذْ بَلَغَ عَدَدُ أَبْيَاتِ الْغَزَلِ (686) بَيْتًا .

- تَحْتَلُّ قَصَائِدُ «التَّأَمُّلَات» المرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ، بِمَجْمُوعِ (22) قَصِـيدَةً، بِنِسْـبَةِ (17)% وَبَلَغَـتْ أَبْيَـاتُ «التَّأَمُّلَات» (460) بَيْتًا ، مُمَثِّلَةً طُولَ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ في هذا الموضوع.

- تَحْتَـلُّ قَصَـائِدُ «الحَنِـين»المرْتَبَـةَ الثَّالِثَـةَ، بِمَجْمُـوعِ(18)قَصِـيدَةً، بِنِسْـبةِ:(14)%، بواقـع (297) بَيْتًا.وَالجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ قَصَائِدَ الحَنِينِ قَدْ تَوَزَّعَتْ عَـلَىٰ ثَلَاثَـةِ دَوَائِـرَ دِلَالِيَّـةٍ هِـيَ : الحَنِـينُ لِلطُّفُولَـةِ، الحَنِينُ لِلرِّيفِ، الحَنِينُ لمِصْرَ.

- تَحْتَلُّ قَصَائِدُ «الْوَصْفِ» المرْتَبَةَ الرَّابِعَة، بِمَجْمـوعِ (12) قَصِـيدَةً، بِنِسْـبَةِ:(9)% ، وَبَلَغَـتْ أَبْيَاتُـهُ (234) بَيْتًا .

- تَحْتَلُّ قَصَائِدُ «الشَّكْوَىٰ» المرْتَبَةَ الخَامِسَةَ، بِمَجْمُوعِ(11)قَصِـيدَةً، بِنِسْـبَةِ: (8) % وَبَلَغَـتْ أَبْيَـاتُ الشَّكْوَىٰ (167) بَيْتًا.

- تَحْتَلُّ قَصَائِدُ «الرِّثَاء» المَرْتَبَة السَّادِسَةَ، بِمَجْمُوعِ (9)قَصَائِدَ ، بِنِسْـبَةِ: (7) % ، وَبَلَغَـتْ أَبْيَاتُـه (221) بَيْتًا ، أَيْ أَعْلَىٰ مِنْ نِسْبَةِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ فِي قَصَائِدِ الشَّكْوَىٰ .

- تَحْتَلُّ قَصَائِدُ «التَّمَرُّد» المرْتَبَةَ السَّابِعَةَ، بِمَجْمُـوعِ (6) قَصَـائِدَ ، بِنِسْـبَةِ (5)% ، وَبَلَغَـتْ أَبْيَاتُـه (103) بَيْتًا .

- تَحْتَلُّ قَصَائِدُ «الْوَطَنِيَّات» الْمرْتَبَةَ الثَّامِنَةَ ، بِمَجْمُوعِ (3) قَصَائِدَ، بِنِسْبَةِ: (2) %، وَبَلَغَـتْ أَبْيَـاتُ «الْوَطَنِيَّات» (49) بَيْتًا.

---

(1)في دراستها للتصوير الفني في شعر «قطب» أشارت الباحثة حنان أحمد غنيم إلىٰ أن مجموع قصائد الشاعر 133 قصيدة ، دون أن توضح عدد القطع الشعرية، وعلىٰ اعتبار أنها أضافت القطع الشعرية إلىٰ القصائد فلابد أن يكون المجموع 134 وليس 133 قصيدة. انظر : حنان أحمد غنيم : التصوير الفني في شعر سيد قطب ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، قسم اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، إشراف الدكتور كمال غنيم ، 2007 .

- احْتَلَّتْ قَصَائِدُ المدْحِ وَالهِجَاءِ السِّيَاسِيِّ وَالحَمَاسَةِ المرْتَبَةَ الأَخِيرَ بِوَاقِعِ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ لِكُلِّ مَوْضُوعٍ بِنِسْبَةِ (1) %.

أَمَّا مِنْ جِهَةِ الْإِطَارِ التَّارِيخِيِّ لهذَا الشِّعْرِ، فَقَدْ جَاءَ مُوَزَّعًا عَلَىٰ أَكْثَرَ مِنْ 25 سَنَةً مِنْ حَيَاةِ الشَّاعِرِ، كَانَ أَهَمُّهَا سَنَةَ 1934 الَّتِي مَثَّلَتْ لَهُ ذَرْوَةَ الْإِبْدَاعِ الْمُنْصَهِرِ فِي تَجَارِبِ الحُبِّ الَّتِي بَاءَتْ كُلُّهَا بِالْفَشَلِ، حَيْثُ إِنَّ أَكْثَرَ قَصَائِدِ الدِّيوَانِ الَّتِي جَاءَتْ فِي قِسْمِ الْغَزَلِ قِيلَتْ فِي الْعَامِ المذْكُورِ، وَقَدْ بَلَغَتْ نِسْبَةُ قَصَائِدِ هَذِهِ السَّنَةِ ـ بِشَكْلٍ عَامٍّ ـ 33% مِنْ إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ وَهِيَ أَكْبَرُ نِسْبَةٍ حَصَلَتْ فِي سِنِيِّ إِبْدَاعِهِ غَيْرِ المُتَوَالِيَةِ.وَقَدْ أَوْضَحَ الجدْوَلُ التَّالِي قِمَّةَ المُنْحَنَىٰ الزَّمَنِي الشِّعْرِيِّ عِنْدَ «قطب» عَلَىٰ أَنَّهُ بَقِيَتْ ثَمَانِي قَصَائِدَ دُونَ تَحْدِيدٍ تَارِيخِيٍّ، وَقَدِ اتَّضَحَ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ أَسَالِيبِهَا الصَّوْتِيَّةِ أَنَّهَا تَنْتَمِي إِلَىٰ قَرِيبٍ مِنَ السَّنَةِ المذْكُورَةِ كَمَا سَيَظْهَرُ لِلْمُطَّلِعِ عَلَىٰ أَبْوَابِ الدِّرَاسَةِ وَفُصُولِهَا.

جدول رقم (2)

تَوْزِيعُ قَصَائِدِ «قُطب» عَلَىٰ سِنِّي الْإِبْدَاعِ الشِّعْرِيِّ

السَّنَةُ	عَدَدُ الْقَصَائِدِ	النسبة %
1924	1	%1
1927	1	%1
1928	5	%1
1929	9	%7
1930	9	%7
1931	2	%2
1932	8	%6
1933	4	%3
1934	41	%33
1935	2	%2
1937	7	%6
1938	5	%4
1940	1	%1
1941	4	%3
1942	4	%3

1943	2	%2
1944	2	%2
1945	5	%4
1946	2	%1
1947	1	%1
1948	2	%2
1950	2	%1
1952	1	%1
1957	1	%1
سنوات مجهولة	8	%5
المجموع	129	%100

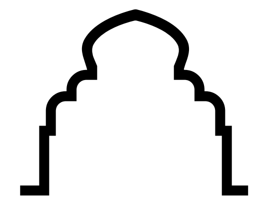
مِنْ خِلَالِ الْعَرْضِ الْإِحْصَائِيِّ السَّابِقِ الَّذِي يُشَخِّصُ لَنَا المَادَّةَ الْإِبْدَاعِيَّةَ مَوْضِعَ الدِّرَاسَةِ الصَّوْتِيَّةِ، يَتَأَتَّىٰ لَنَا أَنَّنَا أَمَامَ شَاعِرٍ عَاطِفِيٍّ، وِجْدَانِيٍّ، رُومَانسِيٍّ، قَلِقٍ وُجُودِيًّا، يُمَثِّلُ الشِّعْرُ عِنْدَهُ حَالَةً مِنْ حَالَاتِ التَّعْبِيرِ عَنْ النَّفْسِ وَمُنَاجَاتِهَا، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُ أَعْوَامًا تَمُرُّ وَقَدْ قَالَ فِيهَا الْقَصِيدَةَ أَوِ الْقَصِيدَتَيْنِ، أَوْ لَمْ يَقُلْ فِيهَا شِعْرًا؛ اِنْشِغَالًا ـ رُبَّمَا ـ بِدِرَاسَةٍ أَوْ فِكْرَةٍ، أَوْ رَصْدِ أُسْلُوبِ حَيَاةٍ، كَمَا فَعَلَ وَهُوَ فِي أَمِرِيكَا فِي مَقَالَاتِهِ:«أَمْرِيكَا الَّتِي أَرَىٰ» 1950 أَوْ بِانْشِغَالِهِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الَّذِي بَدَأَهُ عَامَ 1951.وَمِنْ خِلَالِ النِّسْبَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تُمَثِّلُهَا قَصَائِدُ التَّعْبِيرِ عَنِ الْعَاطِفَةِ المُتَأَجِّجَةِ لَدَىٰ الحُبِّ وَالْكُرْهِ وَالشَّكِّ وَالْغَيْرَةِ نَجِدُ أَنْفُسَنَا أَمَامَ شِعْرٍ مُحَمَّلٍ بِنَظَرَاتٍ فَلْسَفِيَّةٍ عَمِيقَةٍ عَنِ الجِسْمِ وَالْعَقْلِ وَالرُّوحِ، وَالجِسْمِ وَالزَّمَنِ وَالْوَحْدَةِ ، وَعَنْ فِكْرَةِ الخُلُودِ وَالْإِحْسَاسِ بِالزَّمَانِ، [1] وَنَجِدُ أَنْفُسَنَا أَمَامَ شِعْرٍ غَيْرِ مُحَمَّلٍ بِالنَّظَرِيَّاتِ الْفِكْرِيَّةِ الدِّينِيَّةِ، وَإِنَّمَا كَانَ الدِّينُ فِيهِ « مُجَرَّدَ صُورَةٍ فَنِّيَّةٍ، مَعَانٍ علْمانيَّةٍ لِلْمُعْجِزَةِ وَالْيَقِينِ وَالحُبِّ وَالصَّلَاةِ والْوَحْيِ وَالجَنَّةِ، لَا عَقَائِدَ وَلَا شَعَائِرَ وَلَا إِلـٰهِيَّاتٍ، بَلْ أَخْلَاقِيَّاتٍ وَعَمَلِيَّاتٍ إِنْسَانِيَّةٍ تَذُوقُ الجَمَالَ عِبَادَةً جَدِيدَةً، وَتَرْفَعُ التَّسْبِيحَ لِعَيْنَي الحَبِيبِ».[2]وَهَكَذَا يُمَثِّلُ شِعْرُ «قُطب» حَيَاتَهُ تَمْثِيلًا صَادِقًا فِي المَرْحَلَةِ الْعُمْرِيَّةِ الْأُولَىٰ مِنْ حَيَاتِهِ الْإِبْدَاعِيَّةِ(1924 ــ 1952) ، تِلْكَ الْفَتْرَةُ الَّتِي كَانَ فِيهَا

---

(1)انظر مقدمة الشاعر لأعماله الكاملة ، 14 ، 15 ، 16 .

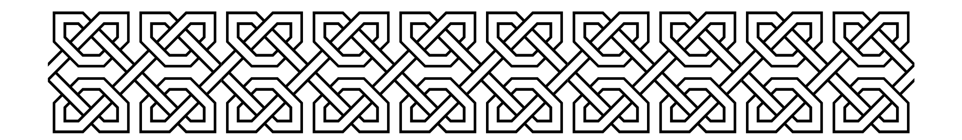
(2) د . حسن حنفي : مقدمة الأعمال الكاملة لـ«سيد قطب» ، ص 10 .

شَاعِرًا وَنَاقِدًا أَدَبِيًّا وَمُتَأَمِّلًا لِجَمالِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، هَذِهِ هِيَ المرْحَلَةُ الَّتِي اِخْتُزِلَتْ مِـنْ حَيَـاةِ الشَّـاعِرِ النَّاقِـدِ المُفَكِّرِ اِخْتِزَالًا جَذْرِيًّا، وَهِيَ مَرْحَلَةٌ رُبَّمَا لَا يَعْلَمُهَا عَنْهُ نَفَرٌ غَيْرُ قَلِيلٍ.



البـــــاب الأول

أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ



الباب الأول

أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ

يَقِفُ هَذَا الْبابُ فِي فَصْلِهِ الْأَوَّلِ أَمَامَ «المنْحَنَىٰ الْعَامِّ لِلْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ» مُتَمَثِّلًا فِي الْأَوْزَانِ الشِّعْرِيَّةِ؛ بِمَا أَنَّ الْوَزنَ «أَعْظَمُ أَرْكَانِ حَدِّ الشِّعْرِ، وَأَوْلَاهَا خُصُوصِيَّةً»[1] فَيُحَاوِلُ ـ مِنْ خِلَالِ آلِيَّةِ الْإِحْصَاءِ ـ أَنْ يَتَوَقَّفَ عَلَىٰ أَهَمِّ الخَصَائِصِ الْأُسْلُوبِيَّةِ لاسْتِخْدَامِ الْأَوْزَانِ فِي شِعْرِ «قُطب» وَيُحَاوِلُ مِنْ خِلَالِ اسْتِقْرَاءِ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ الْوُقُوفَ عَلَىٰ أَهَمِّ الْأَوْزَانِ تَكْرَارًا فِيهَا، وَتَحْدِيدَ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ لهَا، وَمَعْرِفَةَ إِلَىٰ أَيِّ وَزْنٍ مَالَ الشَّاعِرُ خِلَالَ سِنِيِّ إِبْدَاعِهِ الَّتِي عَرَضْنَا لهَا فِي التَّمْهِيدِ.

مِنْ هَذَا المُنْطَلَقِ يَقْتَرِبُ الْوَزْنُ مِنْ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ أَشْكَالِ الظَّوَاهِرِ اللِّسَانِيَّةِ في النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، «الْأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي بِتَأَمُّلِ دَوْرِهِ فِي بِنَاءِ النَّصِّ، فِي ضَوْءِ عَلَاقَتِهِ بِغَيْرِهِ مِنَ الظَّوَاهِرِ، وَلَيْسَ بِالاقْتِصَارِ عَلَىٰ جَانِبِهِ الصَّوْتِيِّ، وَإِنْ كَانَ لِهذَا الجَانِبِ مَكَانُهُ المتَمَيِّزُ فِي الْعَمَلِيَّةِ الشِّعْرِيَّةِ، فَلَا يُمْكِنُ النَّظَرُ إِلَىٰ الْوَزْنِ فِي غِيَابِ عَلَاقَتِهِ بِالْأَلْفَاظِ وَالتَّرَاكِيبِ وَالدِّلَالَةِ ، تِلْكَ الْعَلَاقَاتُ الَّتِي تَجْعَلُ مِنَ الْوَزْنِ أَحَدَ الْعَنَاصِرِ الدَّالَّةِ فِي تَشْكِيلِ النَّصِّ».[2]

يَسْعَىٰ هَذَا الْبَابُ ـ إِذَنْ ـ إِلَىٰ تَخَطِّي الصُّورَةِ المُجَرَّدَةِ لِلْأَوْزَانِ الشِّعْرِيَّةِ المتَمَثِّلَةِ فِي الْقَوَاعِدِ الْعَرُوضِيَّةِ المعْرُوفَةِ، فَهُوَ يَنْظُرُ إِلَىٰ الْوَزْنِ عَلَىٰ أَنَّهُ حَامِلُ دِلَالَةٍ شِعْرِيَّةٍ عَامَّةٍ غَامِضَةٍ، وَيَتْرُكُ لِلْكَلِمَاتِ بَعْدَ ذَلِكَ تَحْدِيدَ هَذِهِ الدِّلَالَةِ، إِنَّ الْوَزْنَ «لَيْسَ عُنْصُرًا مُسْتَقِلًّا عَنْ سِيَاقِ المعْنَىٰ، وَهُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَا يَنْتَمِي إِلَىٰ المُوسِيقَىٰ بَلْ إِلَىٰ عِلْمِ اللُّغَةِ».[3]

ثُمَّ يَتَّجِهُ الْبَابُ ـ بَعْدَ تَحْدِيدِ المنْحَنَىٰ الْعَامِّ لِلْأَوْزَانِ ـ إِلَىٰ دِرَاسَةِ أَسَاسِ النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ فِي الْوَزْنِ الشِّعْرِيِّ، فَيَتَوَقَّفُ الْفَصْلُ الثَّانِي أَمَامَ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي يَتَشَكَّلُ مِنْهَا الْوَزْنُ ،

---

(1)ابن رشيق القيرواني (أبو عليّ الحسن. ت 456 هـ) : العُمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمَّد محيي الدين عبد الحميد، ط. دار الجيل ، سوريا، ط. 5 ، 1981 ، 134/1.

(2) شكري الطوانسيّ: مستويات البناء الشعريّ ، دراسة في بلاغة النص عند محمد إبراهيم أبي سنة ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 ، ص 19 .

(3) جان كوين : بناء لغة الشعر، ترجمة د.أحمد درويش ، ط .الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر ، سلسلة كتابات نقدية رقم (3) 1993 ، ص40 .

فَالتَّفْعِيلَةُ «هِيَ أَسَاسُ النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ الَّذِي يَقُومُ بِتَكْرَارِهِ الشِّعْرُ ... فَهِيَ لَيْسَتْ صَوْتًا مُفْرَدًا، بَلْ عَدَدٌ صَغِيرٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ يَنْضَمُّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ فِي نَسَقٍ بِعَيْنِهِ، وَاخْتِلَافُ هَذَا النَّسَقِ هُوَ سَبَبُ اِخْتِلَافِ التَّفعِيلَاتِ». [1]

يَدْرُسُ ذَلِكَ الْفَصْلُ التَّغْيِيرَاتِ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي تَحْدُثُ لِلتَّفْعِيلَةِ، سَوَاءٌ أَكَانَتْ تَغْيِيرَاتٍ بِالزِّيَادَةِ أَمْ بِالنُّقْصَانِ فِيمَا عُرِفَ عِنْدَ الْعَرُوضِيِّينَ بِالزِّحَافَاتِ وَالْعِلَلِ، كَمَا يَتَقَدَّمُ خُطْوَةً إِلَىٰ دِرَاسَةِ التَّغْيِيرَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُسْتَحْدَثَةِ مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ، وَالَّتِي لَمْ يَذْكُرْهَا الْعَرُوضِيُّونَ فِيمَا ذَكَرُوهُ فِي مُؤَلَّفَاتِ الْعَرُوضِ قَدِيمًا، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ خُطْوَةً أُخْرَىٰ لِدِرَاسَةِ أَثَرِ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ بِنَوْعَيْهَا فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ .

كَمَا يَدْرُسُ الْفَصْلُ الثَّانِي فِي شِقٍّ آخَرَ الْأَدَاءَ الصَّوْتِيَّ لِتَفْعِيلَتَي الْعَرُوضِ الضَّرْبِ، وَيَتَوَقَّفُ عِنْدَ الْأَشْكَالِ الْمُسْتَحْدَثَةِ عِنْدَ « قُطب» وَمُقَارَنَتِهَا بِالْأَشْكَالِ الْقَدِيمَةِ.

ثُمَّ يَذْهَبُ الْفَصْلُ الثَّانِي لِأَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ حِينَ يَقْصِدُ إِلَىٰ دِرَاسَةِ ظَاهِرَةِ التَّدْوِيرِ؛فَيَقُومُ بِإِحْصَائِهَا، وَتَتَبُّعِ ظُهُورِهَا فِي أَعْمَالِ الشَّاعِرِ، وَيَقُومُ بِتِبْيَانِ دَوْرِهَا فِي تَوْلِيدِ دِلَالَةِ النَّصِّ.

وَفِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ يَجْمَعُ الْبَاحِثُ مَحْصُولَ كُلِّ الْمُلَاحَظَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ السَّابِقَةِ لِدِرَاسَةِ جَدَلِيَّةِ الْإِيقَاعِ وَالْوَزْنِ وَالمعْنَىٰ.فَالنَّصُّ الشِّعْرِيُّ لَا يَقُومُ، إِلَّا بِوُجُودِ إِيقَاعٍ، وَهَذَا الْإِيقَاعُ لَا يَحْظَىٰ بِوُجُودٍ مُسْتَقِلٍّ مُحَدَّدِ المعَالِمِ دَاخِلَ النَّصِّ، فَهُوَ لَيْسَ فِكْرَةً وَلَا لَفْظَةً وَلَا صَوْتًا وَلَا صُورَةً وَلَا رَمْزًا وَلَا بَحْرًا وَلَا هُوَ مُكَوِّنٌ مُسْتَقِلٌّ مِنْ مُكَوِّنَاتِ النَّصِّ؛ بَيْدَ أَنَّهُ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ مَوْجُودٌ وَمُتَغَلْغِلٌ فِي كُلِّ هَذِهِ المُكَوِّنَاتِ، إِنَّ الْإِيقَاعَ كَمَا يَقُولُ الهَاشِمِيُّ:«خَطٌّ عَمُودِيٌّ يَخْتَرِقُ جَسَدَ النَّصِّ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَىٰ أَسْفَلِهِ مُتَقَاطِعًا مَعَ خُطُوطِهِ الْأُفُقِيَّةِ فِي نُقْطَةِ ارْتِكَازٍ مِحْوَرِيَّةٍ.وَهَذِهِ الخُطُوطُ هِيَ الْوَزْنُ وَالصُّورَةُ وَالْأَفْكَارُ وَاللُّغَةُ وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي تَظَلُّ كُتَلًا جَامِدَةً لَا حَيَاةَ فِيهَا إِلَىٰ أَنْ يَخْتَرِقَهَا خَطُّ الْإِيقَاعِ». [2]

وَمِنْ ثَمَّ دَأَبَ الْفَصْلُ الثَّالِثُ فِي الْكَشْفِ عَنْ جَدَلِيَّةِ الْإِيقَاعِ وَالمعْنَىٰ فِي أَعْمَالِ «قُطْب»،

---

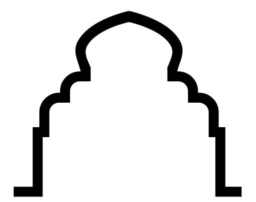
(1) د.عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ط.دار العودة ودار الثقافة ، بيروت ، ط . 2 ، 1972 ص 83 ، 84 .

(2) د . علوي الهاشمي: فلسفة الإيقاع العربي ، ط.المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط. 1 ، 2006 ، ص 23، ص 24 .

فَيَتَوَقَّفُ ـ أَوَّلًا ـ عِنْدَ الْفَارِقِ بَيْنَ الْوَزْنِ وَالْإِيقَاعِ وَأَنْوَاعِهِ، ثُمَّ أَمَامَ الْإِيقَاعِ بِمَفْهُومِهِ الْكَمِّيِّ والنَّغْمِيِّ لِـلْأَوْزَانِ فِي شِعْرِ«قُطب»، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ ـ أَخِيرًا ـ عِنْدَ تَضَافُرِ الْإِيقَاعِ بِالدِّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ، إِذْ إِنَّ إِحْسَاسًا يَتَلَبَّسُ الْبَاحِثَ دَائِمًا أَنَّ الْإِيقَاعَ فِي الشِّعْرِ إِيْقَاعٌ نَفْسِيٌّ دَاخِلِيٌّ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ كَفَاءَةِ الشَّاعِرِ وَقُدْرَتِـهِ عَـلَىٰ أَنْ يُظْهِـرُهُ فِي شَكْلِهِ الْأَدَائِيِّ الْعَرُوضِيِّ، إِلَّا أَنَّ الْإِيقَاعَ الـنَّفْسِيَّ «ذُو طَبِيعَـةٍ مُتَنَوِّعَـةٍ بِتَنَـوُّعِ الْأَحْـوَالِ النَّفْسِـيَّةِ؛لِأَنَّهُ انْعِكَـاسٌ لَطَبِيعَةِ الانْفِعَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَمُعَبِّرٌ عَنْهَا بِنِظَامِ الْعَلَاقَاتِ الْبِنْيَوِيَّةِ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَالمعَانِي وَالْكَلِمَاتِ». [1]

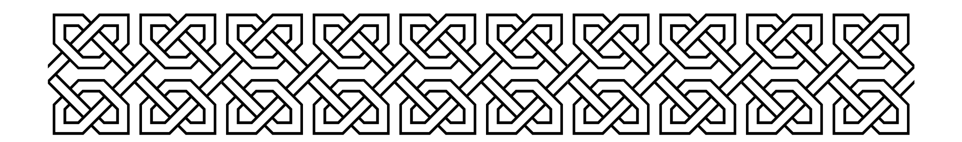
وَأَحْسِبُ أَنَّهُ بِهَذَا الصَّنِيعِ تُحَافِظُ الدِّرَاسَةُ عَلَىٰ الْعَلَاقَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ التَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ وَدِلَالَاتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ يُصْبِحُ لِلْكَلِمَاتِ فِي النَّصِّ حُضُورٌ مُتَمَيِّزٌ مِنْ خِلَالِ جَسَدِهَا الصَّـوْتِيِّ وَشَـكْلِهَا الـحِسِّيِّ مَـعَ مَـا تَتَمَتَّـعُ بِـهِ مِـنْ عَلَاقَاتٍ حَمِيمَةٍ مَعَ جَارَاتِهَا .

(1) عباس عبده الجاسم: الإيقاع النفسيّ في الشعر العربيّ، مجلة الأقلام العراقية، ع5، السنة العشرون، مـارس 1985، ص: 97 .



الفصل الأول

المُنْحَىٰ الْعَامُّ لِلْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ



الفصل الأول

المُنْحَىٰ الْعَامُّ لِلْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ

(1/1) لَا شَكَّ أَنَّ الشَّاعِرَ الحَدِيثَ تَخْتَلِفُ هُمُومُهُ وَرُؤَاهُ وَأَفْكَارُهُ أَيَّمَا اخْتِلَافٍ عَنِ الشَّاعِرِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ ثَمَّ اِخْتَلَفَتْ آلِيَّاتُ الْأُسْلُوبِ الشِّعْرِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَيَاتٍ عِدَّةٍ، نَخُصُّ مِنْهَا المسْتَوَىٰ الصَّوْتِيَّ، «إِنَّ لِكُلِّ عَصْرٍ مَلَامِحَهُ المَمَيَّزَةَ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ المُفْرَدَاتِ وَالتَّرَاكِيبِ وَالصُّوَرِ وَالْأَفْكَارِ، كَمَا أَنَّ لَهُ مَلَامِحَهُ المُمَيَّزَةَ عَلَىٰ المسْتَوَىٰ الْعَرُوضِيِّ».[1]

لَقَدْ سَيْطَرَ عَلَىٰ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ قَوَاعِدُ عَرُوضِيَّةٌ مَعْرُوفَةٌ مُنْذُ الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ إِلَىٰ الْيَوْمِ، وَلَكِنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ لَمْ تَمْنَعْ مِنْ ظُهُورِ مَلَامِحَ عَرُوضِيَّةٍ تَخْتَلِفُ مِنْ عَصْرٍ لِعَصْرٍ، وَمِنْ شَاعِرٍ إِلَىٰ آخَرَ، وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ :

الْأَوَّلُ:أَنَّ الشُّعَرَاءَ الْعَمُودِيِّينَ، لَمْ يَلْتَزِمُوا هَذِهِ الْقَوَاعَدَ كُلَّ الالْتِزَامِ، فَقَدْ خَرَجَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ فِي بَعْضِ الْعُصُورِ عَنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ بِدَرَجَاتٍ مُتَفَاوِتَةٍ.

الثَّانِي: أَنَّ الالْتِزَامَ بِهَذِهِ الْقَوَاعِدِ لَمْ يَجْعِلِ الشُّعَرَاءَ سَوَاءً، فَقَدْ أُتِيحَتْ لِلشَّاعِرِ بَدَائِلُ مُتَعَدِّدَةٌ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ، فَكَأَنَّ الْقَوَاعِدَ طَرِيقٌ عَامٌّ، وَالْبَدَائِلُ مَمَرَّاتُ هَذَا الطَّرِيقِ، وَلِلشَّاعِرِ أَنْ يَسْلُكَ هَذَا المَمَرَّ أَوْ ذَاكَ دُونَ أَنْ يُعَدَّ مَسْلَكُهُ خُرُوجًا عَنِ الطَّرِيقِ وَمِنَ الطَّبَعِيِّ أَنْ يَمْتَازَ الشُّعَرَاءُ فِيمَا يَخْتَارُونَ مِنْ بَدَائِلَ، وَلِهَذَيْنِ السَّبَبَيْنِ ظَهَرَ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُسَمَّىٰ بِالْأَسَالِيبِ الْعَرُوضِيَّةِ.[2]

(2/1) اتَّكَأَ هَذَا الْفَصْلُ عَلَىٰ عَامِلَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ يُعَدَّانِ لُحْمَتَهُ وَسَدَاهُ :

الْأَوَّلُ: التَّقْطِيعُ الْعَرُوضِيُّ لِأَعْمَالِ الشَّاعِرِ كَامِلَةً ؛«فَالتَّقْطِيعُ أَمْرٌ طَبَعِيٌّ فِي الدِّلَالَةِ عَلَىٰ سَلَامَةِ الشِّعْرِ، إِذْ إِنَّهُ لَيْسَ إِلَّا تَوْضِيحًا أَكِيدًا لِلْوَزْنِ».[3]

---

(1) د. علي يونس: تطوّر أساليب نظم الشعر بين العصرين الجاهلي والأمويّ، مجلة علوم اللغة، (دورية علمية تصدرها دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة) ، مج3 ، ع 1 ، 2000، ص 114 .

(2) نفسه ، ص 113 .

(3) توماشفسكي: الأسلوبية والعروض ، ص 354 ، نقلا عن يوري لوتمان : تحليل النص الشعريّ ـ بنية القصيدة ، ترجمة د . محمد فتوح أحمد ، ط . دار المعارف بمصر ، 1995 ، ص 74.

وَالثَّانِي: الْإِحْصَاءُ، وَهُوَ وَسِيلَةٌ عِلْمِيَّةٌ مُنَظَّمَـةٌ لِإِعْطَـاءِ نَتَـائِجَ قَرِيبَـةٍ مِـنَ الحَقِيقَـةِ الْكَائِنَـةِ فِي أَعْـمَالِ الشَّاعِرِ.وَنَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِ الْعَامِلَيْنِ السَّابِقَيْنِ أَنْ نُحَدِّدَ :

ـ أَوَّلًا: المنْحَنَىٰ الْعَامَ لِلْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ مُتَمَثِّلًا فِي الْأَوْزَانِ الشِّعْرِيَّةِ.

ـ ثَانِيًا : أَكْثَرَ الْأَوْزَانِ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ، بِتَحْدِيدِ نِسْبَتَي الاتِّجَاهِ وَالنَّفَسِ .

ـ ثَالِثًا : تَطَوُّرُ كُلِّ وَزْنٍ عَبْرَ مَرَاحِلِ إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ.

ـ رَابِعًا : تَحْدِيدُ الموْقِعِ الْإِبْدَاعِيِّ لِلشَّاعِرِ فِي جَمَاعَتِهِ الْأَدَبِيَّةِ الَّتِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهَا.

(3/1) اسْتَخْدَمَ «قُطب» فِي أَدَائِهِ الْعَرُوضِيِّ لمجْمُوعِ أَعْمَالِـهِ الشِّـعْرِيَّةِ ثَمَانِيَـةَ أَوْزَانٍ (8) هِـيَ: الرَّمَـلُ وَمَجْزُوؤُهُ، وَالْكَامِلُ وَمَجْزُوؤُهُ، وَالخَفِيفُ، وَالطَّوِيلُ، وَالمتَقَارِبُ، وَالمُجْتَثُّ، وَالْبَسِيطُ وَالْوَافِرُ وَمَجْزُوؤُهُ .

نَخْرُجُ مِنْ هَذَا التَّشْخِيصِ المبْدَئِيِّ بِنَتِيجَتَيْنِ :

ـ الْأُولَىٰ: أَنَّ الشَّاعِرَ لَـمْ يَسْـتَخْدِمْ مِـنَ الْأَوْزَانِ الَّتِـي تَـأْتِي دَائِمًـا مَجْـزُوءَةً إِلَّا وَزْنًـا وَاحِـدًا وَهُـوَ وَزْنُ المُجْتَثُّ.وَعِنْدَمَا اسْتَخْدَمَ الْأَوْزَانَ المَجْزُوءَةَ نَرَاهُ يَسْتَخْدِمُهَا مِنَ الْأَوْزَانِ التَّامَّةِ.

ـ الثَّانِيَـةُ: تَتَعَلَّـقُ بِاخْتِيَـارِهِ لِـلْأَوْزَانِ، حَيْـثُ إِنَّـهُ ابْتَعَـدَ عَـنْ أَوْزَانِ: الرَّجَـزِ ، وَالمدِيـدِ ، وَالسَّرِيـعِ وَالمقْتَضَبِ، وَالمنْسَرِحِ ، وَالمتَدَارَكِ ، والهزَجِ، والمُضَارِعِ، وَهِيَ بَاقِي أَوْزَانِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ السَّتَّةَ عَشَرَ.

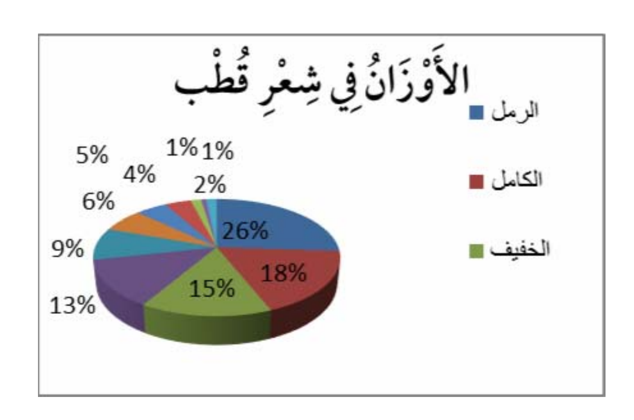
أَمَّا عَنْ سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ المسْتَخْدَمَةِ، فَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَخْلِصَهُ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

جدول رقم (3)

الـمَرْتَبَةُ	الْوَزْنُ	عَدَدُ الْقَصَائِدِ	النِّسْبَةُ %
الْأُولَىٰ	الرَّمَلُ	32	% 26
الثَّانِيَةُ	الْكَامِلُ	22	%18
الثَّالِثَةُ	الخَفِيفُ	19	%15
الرَّابِعَةُ	الطَّوِيلُ	16	%13
الخَامِسَةُ	المتَقَارِبُ	11	% 9
السَّادِسَةُ	المجْتَثُّ	7	% 6

السَّابِعَةُ	البَسِيطُ م. الْكَامِلِ	6 ——— 6	% 2.5 ——— % 2.5
الثَّامِنَةُ	م . الْوَافِرِ	5	% 4
التَّاسِعَةُ	الْوَافِرُ	2	% 1
الْعَاشِرَةُ	الخفيـــــــــف+ المجتث المتقـــــــــارب +الخفيف م . الرَّمَلُ	1 1 ——— 1	% 1 %1 ——— % 1
الْـمَجْمُوعُ		129	%100

يَتَكَشَّفُ مِنَ الجَدْوَلِ السَّابِقِ أَنَّ وَزْنَ الرَّمَلِ يُمَثِّلُ مِسَاحَةً كَبِيرَةً مِنَ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ لِلشَّاعِرِ، إِذْ يَحْتَـلُّ نِسْبَةَ 26 % مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ أَيْ بِمَا يُقَدَّرُ بِرُبْعِ أَعْمَالِهِ، ثُمَّ يَلِيـهِ وَزْنُ الْكَامِـلِ بِنِسْـبَةِ 18 % مُحْـتَلًّا بِهَـا المَرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يَلِيهِ وَزْنُ الخَفِيفِ فِي المَرْتَبَـةِ الثَّالِثَـةِ بِنِسْـبَةِ 15% ثُـمَّ يَتْبَعُـهُ وَزْنُ الطَّوِيـلِ بِنِسْـبَةِ 13% مُحْتَلًّا بِهَا المَرْتَبَةَ الرَّابِعَةَ، بَعْدَهُ يَأْتِي وَزْنُ المتقَـارِبِ فِي المَرْتَبَـةِ الخَامِسَـةِ بِنِسْـبَةِ تَكْـرَارٍ 9%، ثُـمَّ يَجِـيءُ وَزْنُ المُجْتَثِّ فِي المَرْتَبَةِ السَّادِسَةِ بِنِسْبَةِ 6% ثُمَّ تَأْتِي المَرْتَبَةُ السَّابِعَةُ حَامِلَةً وَزْنَيْنِ بِنِسْـبَةٍ وَاحِـدَةٍ وَهُـمَا الْبَسِـيطُ وَمَجْزُوءُ الْكَامِلِ بِنِسْبَةِ 2.5 % لِكُلِّ وَزْنٍ ، أَيْ إِنَّ هَذِهِ المَرْتَبَةَ بِوَزْنَيهَا تُمَثِّلُ 5% مِنْ أَعْمَالِ الشَّاعِرِ.أَمَّا المَرْتَبَةُ الثَّامِنَةُ فَيُمَثِّلُهَا وَزْنُ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ مُنْفَرِدًا بِنِسْبَةِ 4%، يَلِيهِ فِي المَرْتَبَةِ التَّاسِعَةِ وَزْنُ الْوَافِرِ بِنِسْبَةِ 1%، بَيْنَمَا جَاءَ فِي المَرْتَبَةِ الْعَاشِرَةِ وَالْأَخِيرَةِ مَجْزُوءُ الرَّمَلِ بِنِسْبَةِ 1% وَتَشْكِيلَانِ وَزْنِيَّـانِ مِـنَ الخَفِيـفِ وَالمُجْتَـثِّ بِنِسْـبَةِ 1% وَالمُتَقَارِبِ وَالخَفِيفِ بِنِسْبَةِ 1% أَيْضًا .وَلَعَلَّ التَّخْطِيطَ التَّالِي يُلَخِّصُ كُلَّ مَا سَبَقَ:



(شكل :2) الأوزان في شعر «قطب»

عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْإِحْصَاءَ لَا يُؤْتِي بِثِمَارِهِ المرْجُوَّةِ إِلَّا إِذَا تَوَقَّفْنَا بِهِ عِنْدَ مَرْحَلَتَيْنِ بَحْثِيَّتَيْنِ مُهِمَّتَيْنِ؛الْأُولَىٰ: تَتَعَلَّقُ بِمَدَىٰ مَوْقِعِ الشَّاعِرِ بَيْنَ زَاوِيَتَيْنِ:إِحْدَاهُمَا مَكَانُهُ عَلَىٰ خَرِيطَةِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَالْأُخْرَىٰ مَكَانُهُ بَيْنَ أَقْرَانِهِ فِي جَمَاعَةِ أَبُولْلُو، وَالثَّانِيَةُ:تَتَعَلَّقُ بِدِرَاسَةِ كُلِّ وَزْنٍ مِنَ الْأَوْزَانِ السَّابِقَةِ دِرَاسَةً خَاضِعَةً لِعِدَّةِ مُتَغَيِّرَاتٍ:مِثْلِ طُولِ النَّفَسِ، وَالمَيْلِ الزَّمَنِيِّ لَهُ، وَالْأَشْكَالِ المسْتَخْدَمَةِ فِيهِ.وَالنِّقَاطُ التَّالِيَةُ تُجْلِي وَجْهَ مَا قَصَدْنَاهُ.

(4/1) فِي هَذِهِ المرْحَلَةِ الْبَحْثِيَّةِ نَدْرُسُ التَّطَوُّرَ التَّارِيخِيَّ لِلْأَوْزَانِ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ مُرَتَّبَةً بِحَسْبِ مَرَاتِبِهَا المذْكُورَةِ آنِفًا، ثُمَّ نَقُومُ بِمُقَارَنَاتِهَا عِنْدَ أَقْرَانِهِ فِي جَمَاعَةِ أَبُولْلُو.

(1/4/1) يَكْشِفُ لَنَا جَدْوَلُ تَطَوُّرِ أَوْزَانِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ[1] أَنَّ وَزْنَ «الرَّمَلِ» وَزْنٌ مِنَ الْأَوْزَانِ المتَنَاوِبَةِ فِي الصُّعُودِ وَالهُبُوطِ؛فَفِي حِينِ كَانَتْ نِسْبَةُ اِسْتِخْدَامِهِ فِي الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ 8.2 % مُحْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الخَامِسَةَ، نَرَاهُ فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الهِجْرِيِّ قَدْ تَقَلَّصَ اِسْتِخْدَامُهُ إِلَىٰ نِسْبَةِ 9 .

(1) انظر : د .سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبو للو ، ط . المعارف ، بمصر ، 1991 ، ص 163 ، وقد جمعه من مصادر عدة مذكورة أسفل الجدول ؛بيد أن الجدول لم يذكر ترتيب كل وزن في عصره، وإنما ذلك من صنيع الباحث .

0 % مُخْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الْعَاشِرَةَ، بَيْنَمَا تَرتَفِعُ نِسْبَةُ اسْتِخْدَامِهِ فِي الْقَرْنِ الثَّـانِي الهِجْـرِيِّ إِلَىٰ 7.8 % مُخْـتَلًّا بِهَـا المرْتَبَةَ السَّادِسَةَ، وَتَقِلُّ نِسْبَةُ اِسْتِخْدَامِهِ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْـرِيِّ نِسْـبِيًّا إِذْ تَصِـلُ إِلَىٰ 1.6 % مُخْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الثَّامِنَةَ، بَيْنَمَا كَانَتْ نِسْبَةُ اِسْتِخْدَامِهِ فِي الْعَصْرِ الحَدِيثِ عِنْـدَ الْإِحْيَـائِيينَ 5.3 %، مُخْـتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الثَّالِثَةَ، أَمَّا عِنْدَ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو فَقَدِ ازْدَادَتْ نِسْـبَةُ الاعْـتِمَادِ عَـلَىٰ هَـذَا الْـوَزْنِ؛إِذْ بَلَغَـتْ 31.7%، مُخْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ بَعْدَ الْوَافِرِ مُبَاشَرَةً.وَمِنْ ثَمَّ يُعَدُّ مَيْلُ «قُطْب» لهذَا الْإِطَارِ الصَّـوْتِيِّ اِسْـتِجَابَةً طَبَعِيَّـةً لحَرَكَةِ تَطَوُّرِهِ المشْهُودَةِ عِنْدَ أَبُولْلُو .كَمَا سَنَرَىٰ عِنْدَ مُقَارَنَتِهِ بِبَقِيَّةِ شُعَرَاءِ هَذَا الاتِّجَاهِ الْأَدَبِيِّ.

أَمَّا وَزْنُ «الْكَامِلِ» فَهُوَ مِنَ الْأَوْزَانِ الثَّابِتَةِ ؛وَهُوَ ثَبَـاتٌ نِسْـبِيٌّ فِي الشِّـعْرِ الْعَـرَبِيِّ ، فَفِـي حِـينِ تَكُـونُ نِسْبَةُ المَيْلِ إِلَيْهِ فِي الشِّعْرِ الجَـاهِلِيِّ 10% مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ الرَّابِعَـةَ، نَرَاهَـا فِي الْقَـرْنِ الْأَوَّلِ الهِجْـرِيِّ تَصِـلُ إِلَىٰ 15.6% مُمَثِّلَةً المرْتَبَةَ الرَّابِعَةَ أَيْضًا.وَفِي الْقَـرْنِ الثَّـانِي الهِجْـرِيِّ تَصِـلُ إِلَىٰ 15.8% مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ الثَّانِيَـةَ.وَفِي النِّصْـفِ الْأَوَّلِ مِـنَ الْقَـرْنِ الثَّالِـثِ تَصِـلُ إِلَىٰ 20.9% مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ الْأُولَىٰ. وَتَظَـلُّ نِسْـبَةُ المَيْـلِ إِلَيْـهِ عِنْـدَ الْإِحْيَائِيِّينَ مُرْتَفِعَةً لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ نِسْبَةُ وَزْنٍ آخَرَ عِنْدَهُمْ؛ إِذْ بَلَغَتْ 26.33% مُمَثِّلَةً المرْتَبَةَ الْأُولَىٰ.وَفِي جَمَاعَـةِ أَبُولْلُو نَرَىٰ نِسْبَةَ المَيْلِ إِلَيْهِ 21.7% مُمَثِّلَةً المرْتَبَةَ الثَّالِثَةَ بَعْدَ الْوَافِرِ وَالرَّمَلِ.

وَمِنْ ثَمَّ نَقُولُ:إِنَّ نِسْبَةَ مَيْلِ «قُطْب» إِلَىٰ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ نِسْبَةٌ طَبَعِيَّةٌ، وَهِيَ تَحْتَلُّ المرْتَبَةَ الثَّانِيَـةَ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ عِنْدَهُ.

يُعَدُّ وَزْنُ «الخَفِيفِ» مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي شَهِدَتْ ثَبَاتًا مَلْحُوظًا فِي نِسْبَةِ المَيْلِ إِلَيْهِ فِي الشِّـعْرِ الْعَـرَبِيِّ؛ إِذْ كَانَتْ هَـذِهِ النِّسْـبَةُ فِي الْـعَصْرِ الجَـاهِلِيِّ 5.3%، مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ السَّـابِعَةَ، إِلَّا أَنَّهَـا نِسْـبَةٌ قَلِيلَـةٌ إِذَا قُورِنَـتْ بِالطَّوِيلِ أَوِ الْبَسِيطِ مَثَلًا .عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ النِّسْبَةَ ظَلَّتْ قَلِيلَةً فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الهِجْرِيِّ إِذْ بَلَغَـتْ 4.5% مُمَثِّلَـةً المرْتَبَةَ الخَامِسَةَ، وَذَلِكَ إِذَا قُورِنَتْ بِالطَّوِيلِ أَوِ الْبَسِيطِ أَيْضًا.وَتَظَلُّ هَـذِهِ النِّسْـبَةُ قَلِيلَـةً إِذَا قُورِنَـتْ بِهَـذَيْنِ الْوَزْنَيْنِ وَمَعَهُمَا وَزْنُ الْوَافِرِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ 8.1% مُمَثِّلَةً المرْتَبَةَ الخَامِسَةَ أَيْضًا.وَفِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ تَبْلُغُ نِسْبَةُ المَيْلِ إِلَيْهِ 9.6% مُمَثِّلَةً أَيْضًا المرْتَبَةَ الخَامِسَةَ، أَمَّـا عِنْـدَ الْإِحْيَـائِيِّينَ فَتَرْتَفِـعُ قَلِيلًا بِمُقَارَنَتِهَا بِالْوَافِرِ مَثَلًا، إِذْ تَبْلُغُ نِسْبَةُ المَيْلِ إِلَىٰ الخَفِيفِ 10.7% مُمَثِّلَةً المرْتَبَةَ الرَّابِعَـةَ.أَمَّـا عِنْـدَ جَمَاعَـةِ أَبُولْلُـو فَتَبْلُـغُ نِسْـبَةُ المَيْـلِ إِلَيْـهِ 16.1% احْتَـلَّ بِهَـا مَرْتَبَـةً مُتَقَدِّمَـةً؛ هِـيَ الرَّابِعَـةُ بَعـدَ الْـوَافِرِ وَالرَّمَـلِ

وَالْكَامِلِ، وَبِاحْتِلَالِ هَذَا الْـوَزْنِ المرْتَبَـةَ الثَّالِثَـةَ عِنْـدَ «قُطـب» بَعْـدَ الْكَامِـلِ فَإِنَّـهُ يُعَـدُّ قَرِيبًـا مِـنْ تُخُـومِ الخَصَائِصِ الْأَبُولْلِيَّةِ فِي اسْتِخْدَامِ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ .

أَمَّا وَزْنُ «الطَّوِيلِ»، فَهُوَ مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي قَلَّ المَيْلُ إِلَيْهَا فِي جَمَاعَةِ أَبُولْلُـو مَقَارَنَـةً بِالْعُصُـورِ السَّـابِقَةِ لِلشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ وَعِنْدَ الْإِحْيَائِيِّينَ؛فَفِي حِينِ تَبْلُغُ نِسْبَةُ المَيْلِ إِلَيْهِ فِي الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ 43.33% ، مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ الْأُولَىٰ، وَهِيَ نَفْسُ المرْتَبَةِ لهِذَا الْوَزْنِ عِنْدَ الْإِحْيَائِيِّينَ نَرَاهَا عِنْدَ جَمَاعَـةِ أَبُولْلُـو تَبْلُـغُ 8.2 % مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ السَّادِسَةَ، فِي حِينِ احْتَلَّ هَذَا الْوَزْنُ عِنْدَ «قُطْب» مَرْتَبَةً رَابِعَةً، لَكِنَّهُ تَمَيَّزَ بِطُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ الْأَمْـرُ الَّـذِي جَعَلَهُ فِي المرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ.

تَكَادُ تَتَقَارِبُ مَرَاتِبُ المَيْلِ إِلَىٰ وَزْنِ المُتَقَارِبِ فِي عُصُورِ الشِّـعْرِ الْعَـرَبِيِّ المخْتَلِفَـةِ، فَهِـيَ تَـأْتِي فِي المرْتَبَـةِ السَّادِسَةِ فِي الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ مُمَثِّلَةً 7.9% ، وَعِنْدَ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو تَأْتِي نِسْـبَةُ المَيْـلِ فِي مَرْتَبَـةٍ مُتَقَارِبَـةٍ نِسْـبِيًّا مَعَهُ هِيَ السَّابِعَةُ مُمَثِّلَةً 6.6% وَالمُلَاحَظُ أَنَّ نِسْبَةَ مَيْلِ «قُطْب» إِلَىٰ هَذا الإطار الصوتي نِسْبَةٌ قَرِيبَةٌ، فَهِـيَ تَحْتَلُّ عِنْدَهُ المرْتَبَةَ الخَامِسَةَ بِنِسْبَةِ 9%.

أَمَّا وَزْنُ «المُجْتَثِّ» فَإِنَّ نِسْبَةَ المَيْلِ إِلَيْهِ فِي الْعَصْرِ الجَاهِلِيِّ وَالْقَرْنِ الْأَوَّلِ الهِجْرِيِّ نِسْبَةٌ مُنْعَدِمَةٌ تَمَامًا، فَلَمْ يَمِلْ إِلَيْهِ شُعَرَاءُ تَيْنِ الْفَتْرَتَيْنِ، وَظَلَّتْ نِسْبَةُ المَيْـلِ إِلَيْـهِ ضَـئِيلَةً مُحْتَلَّـةً المَرَاتِـبَ الْأَخِـيرَةَ فِي الْقَـرْنِ الثَّـانِي الهِجْـرِيِّ وَالنِّصْفِ الْأَوَّلِ لِلْقَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ وَحَتَّىٰ عِنْدَ الْإِحْيَائِيِّينَ، أَمَّا عِنْدَ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو فَقَدِ احْتَلَّتْ نِسْبَةُ المَيْلِ إِلَيْهِ مَرْتَبَةً مُتَقَدِّمَةً بِالمقُارَنَةِ بِالْعُصُورِ السَّابِقَةِ ، إِذْ بَلَغَتِ المرْتَبَةَ الثَّامِنَةَ بِنِسْـبَةِ 4.1%، وَعِنْـدَ «قُطـب» بَلَغَـتْ تِلْـكَ النِّسْبَةُ المرْتَبَةَ السَّادِسَةَ مُمَثِّلَةً 6% ، وَهِيَ نِسْبَةٌ لَا تَبْتَعِدُ كَثِيرًا عَنِ النِّسْبَةِ الْعَامَّةِ لجِمَاعَةِ أَبُولْلُو.

وَإِذَا أَتَيْنَا إِلَىٰ وَزْنِ «الْبَسِيطِ» فَسَوْفَ نَجِدُ نِسْبَةَ المَيْلِ إِلَيْهِ تَحْتَلُّ مَرْتَبَةً مُتَقَدِّمَـةً فِي الْـعَصْرِ الجَـاهِلِيِّ، مُمَثِّلَةً 15.43 % وَهِيَ المرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ، بَيْنَمَا نَجِدُ نِسْبَةَ المَيْلِ إِلَيْهِ عِنْدَ الْإِحْيَـائِيِّينَ تَـتَقَلَّصُ إِلَىٰ المرْتَبَـةَ الثَّالِثَـةِ مُمَثِّلَةً 13 %، أَمَّا عِنْدَ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو فَتَتَّجِهُ نِسْبَةُ المَيْلِ إِلَيْهِ إلىٰ13.5% مُحْتَلَّةً بِهَـا المرْتَبَـةَ الخَامِسَـةَ، وَعِنْـدَ «قُطْب» اتَّجَهَتْ نِسْبَةُ المَيْلِ إِلَيْهِ إِلَىٰ المرْتَبَةِ السَّابِعَةِ مُمَثِّلَةً 2.5%.

إِلَّا أَنَّ الَّـذِي يُعَـدُّ هُبُوطًـا مُفَاجِئًـا لِلْمُنْحَنَـىٰ الْعَـامِّ لِـلْأَوْزَانِ عِنْـدَ «قُطْـب» نِسْـبَةُ المَيْـلِ إِلَىٰ وَزْنِ الْوَافِرِ، وَهَذَا بِالمقَارَنَةِ لِنِسْبَةِ مَيْـلِ شُـعَرَاءِ أَبُولْلُـو لهِـذَا الْـوَزْنِ، فَـالْوَافِرُ نِسْـبَةُ المَيْـلِ إِلَيْـهِ نِسـبَةٌ مُرْتَفِعَـةٌ

فِي الْـعَصْرِ الجَـاهِلِيِّ 14.8% مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ الثَّالِثَـةَ، و15% فِي الْقَـرْنِ الْأَوَّلِ الهِجْـرِيِّ مُمَثِّلَـةً المرْتَبَـةَ الثَّـانِي، و45.3% عِنْدَ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو مُمَثِّلَةً المرْتَبَةَ الْأُولَى، وَعِنْدَ «قُطْب» 1% مُمَثِّلَةً المرْتَبَـةَ التَّاسِـعَةَ. وَهِـيَ نِسْـبَةٌ ضَئِيلَةٌ لِلْإِطَارِ الْعَامِّ لِلْجَمَاعَةِ. بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِدْعًا فِي ذَلِكَ ؛ إِذْ إِنَّ هَذَا الْوَزْنَ اخْتَفَىٰ تَمَامًا عِنْدَ أَبِي الْقَاسِـمِ الشَّابِيّ، بَلِ احْتَلَّ المرْتَبَةَ نَفْسَهَا عِنْدَ عَلِيّ مَحْمُود طَـٰهَ كَمَا سَنَرَىٰ بَعْدَ قَلِيلٍ. وَلَعَـلَّ الجَـدْوَلَ التَّـالِي رقـم (4) يُلَخِّصُ تِلْكَ النَّتَائِجَ المُقَارَنَةَ لمرَاتِبِ الْأَوْزَانِ فِي شِعْرِ «قُطْب» :

الْوَزْنُ	قُطْب	أَبُولْلُو	الْإِحْيَائِيُّونَ	النِّصْـفُ الْأَوَّلُ لِلْقَـرْنِ الثَّالِثِ	الْقَرْنُ الثَّانِي الهِجْرِيِّ	الْقَـرْنُ الْأَوَّلُ الهِجْرِيُّ	الْـعَصْرُ الجَاهِلِيُّ
الرَّمَلُ	الأولىٰ	الثانية	السادسة	الثامنة	السادسة	العاشرة	الخامسة
الْكَامِلُ	الثانية	الثالثة	الأولىٰ	الأولىٰ	الثانية	الرابعة	الرابعة
الخَفِيفُ	الثالثة	الرابعة	الرابعة	الخامسة	الخامسة	الخامسة	السابعة
الطَّوِيلُ	الرابعة	السادسة	الثانية	الثانية	الأولىٰ	الأولىٰ	الأولىٰ
المتَقَارِبُ	الخامسة	السابعة	الثامنة	السابعة	العاشرة	السابعة	السادسة
المجْتَثُّ	السادسة	الثامنة	الرابعة عشرة	العاشرة	الثانية عشرة	—	—
الْبَسِيطُ	السابعة	الخامسة	الثالثة	الثالثة	الثالثة	الثالثة	الثانية
الْوَافِرُ	التاسعة	الأولىٰ	الخامسة	الرابعة	السابعة	الثانية	الثالثة

(2/4/1) بَعْدَ بَيَانِ مَوْقِعِ الشَّاعِرِ عَلَىٰ خَرِيطَةِ الشِّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَا تَتِمُّ فَائِدَةُ الْإِحْصَـاءِ إِلَّا إِذَا تَوَقَّفْنَـا بِهِ عِنْدَ مُعَاصِرِيه مِنَ الجَمَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ، وَبِهَذَا يَتَقَدَّمُ الْإِحْصَاءُ خُطْوَةً أُخْـرَىٰ نَحْـوَ تَحْقِيـقِ غَايَتِـهِ، وَالشُّـعَرَاءُ المُخْتَارُونَ لِلْمُقَارَنَةِ مَعَ «قُطْب» هُمْ:

أَحْمَدُ زَكِي أَبُو شَادِي رَائِدُ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو. (1892 ـ 1955)، وإِبْرَاهِيمُ نَـاجِي ، وَكِيـلُ الجَمَاعَـةِ (1898 ـ 1953) ، ومُحَمَّـدُ عَبْـدِ المُعْطِـي الهَـمْشَرِيّ (1908 ـ 1938) ، وعَـلِيّ مَحْمُـود طَـٰهَ (1902ــ1949)، ومَحْمُـودُ أَبُـو الْوَفَـا (1900 ـ 1979)، وصَـالِحُ الشَّرْنُـوبِيّ

(1924 ـ 1951)، وحَسَــنُ كَامِـل الصَّـيْرَفِيّ (1908 ـ 1984)، وأَبُـو الْقَاسِـمِ الشَّـابِيّ التُّـونُسِيّ (1909 ـ1934) .بِجُمْلَةِ ثَمَانِيَةِ شُعَرَاءَ .

وَقَدْ تَمَّ اختِيَارُ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ لِعِـدَّةِ أَسْـبَابٍ:الْأَوَّلُ: يَتَمَثَّـلُ فِي أَنَّ هَـؤُلَاءِ الشُّـعَرَاءِ حَلَقَـاتٌ مُتَوَاصِـلَةٌ لِاتِّجَاهِ أَبُولْلُو.وَالثَّانِي: يَتَمَثَّلُ فِي مُعَاصَرَةِ كُلِّ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ لِـ«قُطْب». وَالثَّالِثُ:يَتَمَثَّلُ فِي أَنَّ هَؤُلَاءِ الشُّـعَرَاءِ بِهِمُ المكْثِرُ وَبِهِمُ المُقِلُّ فِي الْقَوْلِ الشِّعْرِيِّ، وَهَذَا مِمَّا يَتَنَاسَبُ مَعَ «قُطْب» الَّذِي كَانَ مُقِـلًّا مِـنَ قَـوْلِ الشِّـعْرِ فِي بَعْضِ فَتَرَاتِ حَيَاتِهِ كَمَا أَوْضَحْنَا فِي تَمْهِيدِ الدِّرَاسَةِ .الرَّابِعُ : وَهُوَ سَبَبٌ مُهِمٌّ يَتَعَلَّقُ بِامْتِلَاكِ قَاعِدَةِ بَيَانَـاتٍ عَنْ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ، مِمَّا يَجْعَلُ طَاقَةَ الْبَاحِثِ مُدَّخِرَةً لِمرْحَلَةٍ بَحْثِيَّةٍ أُخْرَىٰ.

وَقَدْ تَمَّ إِعْدَادُ جَدْوَل رقم (5)وهو يَرْصُدُ مَرَاتِبَ الميْلِ إِلَىٰ الْأَوْزَانِ، دُونَ أَنْ يُثْقِلَهُ الْبَاحِـثُ بِالنِّسَـبِ المئَوِيَّةِ عِنْدَ كُلِّ شَاعِرٍ[1] :

الوزن	قُطب	شَادِي	نَاجِي	الهمْشَرِي	طَـٰه	الْوَفَا	الشرنوبي	الصَّيْرفيُّ	الشَّابي
الرمل	الأولىٰ	السابعة	الثانية	الثانية	الثالثة	الأولىٰ	الثانية	الثانية	الثالثة
الكامل	الثانية	الأولىٰ	الأولىٰ	السادسة	الأولىٰ	الثانية	الثالثة	الثانية	الأولىٰ
الخفيف	الثالثة	الرابعة	الثالثة	الثالثة	الثانية	الرابعة	الأولىٰ	الرابعة	الثانية
الطويل	الرابعة	الثالثة	السابعة	الرابعة	السادسة	السابعة	الرابعة	الخامسة	السادسة
المتقارب	الخامسة	السادسة	الثامنة	السابعة	الرابعة	التاسعة	الخامسة	الثالثة	الرابعة
المجتث	السادسة	الثامنة	التاسعة	الخامسة	ـــ	الثامنة	السادسة	الثالثة	السابعة
البسيط	السابعة	الثانية	الرابعة	الأولىٰ	الخامسة	الثالثة	الثالثة	الأولىٰ	الخامسة
الوافر	التاسعة	الخامسة	الخامسة	الثامنة	التاسعة	الخامسة	السادسة	الثالثة	ـــ

مِنْ خِلَالِ الجَدْوَلِ السَّابِقِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْرُجَ بِالنَّتَائِجِ التَّالِيَةِ، وَبَعْدَهَا نَصِلُ إِلَىٰ نَتِيجَةٍ عَامَّةٍ:

(1) انظر الجدول بنسبه المئوية دون توضيح المراتب في : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبو للو ، ص 163 .

1 ـ اقْتَرَبَـتْ مَرْتَبَـة مَيْـلِ «قُطْـب» لِـوَزْنِ الرَّمَـلِ مِـنْ كُـلٍّ مِـنْ «نَـاجِي» وَ«الهـمْشَرِيِّ» وَ«طَـٰهَ» و«الشَّرْنُوبِيِّ»و«الصَّيْرَفِيِّ»و«الشَّابيّ»، بَيْنَمَا تَطَابَقَتْ مَرْتَبَةُ المِيْلِ إِلَىٰ هَذَا الْوَزْنِ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ «أَبِي الْوَفَـا»، وَتَبَاعَدَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ «أَبِي شَادِي»كُلَّ الْبُعْدِ.

2 ـ اقْتَرَبَتْ مَرْتَبَة مَيْلِ «قُطْب»لِوَزْنِ الْكَامِـلِ مِـنْ كُـلٍّ مِـنْ «أَبِي شَـادِي»و«طَـهَ» و«الشَّرْنُـوبِيِّ»و«الصَّـيْرَفِيِّ» و«الشَّـابِيّ» ، فِي حِـينِ تَطَابَقَـتْ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ «أَبِي الْوَفَـا» أَيْضًـا وَابْتَعَـدَتْ ابْتِعَـادًا نِسْـبِيًّا بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ «الهمْشَرِيِّ».

3 ـ اقْتَرَبَـتْ مَرْتَبَـةُ مَيْـلِ«قُطْب» لِـوَزْنِ الخَفِيـفِ مِـنْ جَمِيـعِ الشُّـعَرَاءِ وَتَطَابَقَـتْ مَـعَ كُـلٍّ مِـنْ «نَـاجِي» و«الهمْشَرِيِّ» .

4ـ اقْتَرَبَتْ مَرْتَبَةُ مَيْلِ «قُطْب» لِوَزْنِ الطَّوِيلِ مِنْ كُلٍّ مِنْ «أَبِي شَادِي»و«الصَّيْرَفِيِّ» بَيْنَمَا ابْتَعَدَتْ قَلِـيلًا بَيْنَـهُ وَبَيْنَ كُلٍّ مِنْ «طَهَ» و«الشَّابِيِّ»، وَابْتَعَدَتْ أَكْثَرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ «نَاجِي» و«أَبِي الْوَفَا»، فِي حِينِ تَطَابَقَـتْ مَـعَ كُلٍّ مِنْ« الهمْشَرِيِّ»و«الشَّرْنُوبِيِّ».

5 ـ تَقْتَرِبُ مَرْتَبَةُ مَيْلِ«قُطْب» لِوَزْنِ المتَقَارِبِ مِنْ مَيْلِ كُلٍّ مِنْ «أَبِي شَادِي» و«طَهَ» و«الصَّيْرَفِيِّ»و«الشَّـابِيّ»، بَيْنَمَا تَبْتَعِدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ كُلٍّ مِنْ «نَاجِي»و«الهمْشَرِيِّ»بُعْدًا نِسْبِيًّا، وَيَزِيدُ الْبُعْدُ بَيْنَهُ وَبَـيْنَ «أَبِي الْوَفَـا »، فِي حِينِ تَتَطَابَقُ مَرْتَبَةُ المِيْلِ إِلَىٰ هَذَا الْوَزْنِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ «الشَّرْنُوبِيِّ».

6 ـ تَقْتَرِبُ مَرْتَبَةُ مَيْلِ«قُطْب» لِوَزْنِ المجْتَثِّ مِنْ كُلٍّ مِنْ «أَبِي شَادِي»و«الهـمْشَرِيِّ»، وَتَتَطَـابَقُ بَيْنَـهُ وَبَـيْنَ «الشَّرْنُوبِيِّ» أَيْضًا وَتَبْتَعِدُ بُعْدا نِسْبِيًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَاقِي الشُّعَرَاءِ.

7 ـ تَقْتَرِبُ مَرْتَبَةُ مَيْلِ«قُطْب» لِوَزْنِ الْبَسِيطِ مِنْ مَيْلِ «طَهَ» لَهُ، بَيْنَمَا تَبْتَعِدُ بَيْنَ الْأَوَّلِ وَالْآخَرِينَ.

8 ـ تَتَطَابَقُ مَرْتَبَةُ مَيْلِ«قُطْب» لِوَزْنِ الْوَافِرِ مَعَ «طَهَ»، وَتَكَادُ تَقْتَرِبُ مِنْ مَيْلِ «الشَّـابِيّ» إِلَيْـهِ، بَيْـنَمَا تَبْتَعِـدُ دَرَجَةُ المِيْلِ بَيْنَ «قُطْب» وَالْآخَرِينَ.

جُمْلَـةُ الْأَمْـرِ: نَسْـتَطِيعُ أَنْ نَقُـولَ إِنَّ الشَّـاعِرَ يَقِـفُ عَـلَىٰ تُرْبَـةٍ عَرُوضِـيَّةٍ وَاحِـدَةٍ مَـعَ أَقْرَانِـهِ مِـنَ الشُّـعَرَاءِ فِي جَمَاعَـةِ أَبُولُلُـو، فَهُـوَ يُغَـرِّدُ مَـعَ السِّرْبِ، إِذْ إِنَّ أَدَاءَهُ الصَّـوْتِيَّ لمجْمُـوعِ أَشْـعَارِهِ لَا يُعَـدُّ نَشَـاذًا فِي الْأُورْكِسْـتِرَا الْأَبُـولِّلِي ، حَتَّـىٰ وَإِنْ كَـانَ مُقِـلًّا لِأَحَـدِ الْأَوْزَانِ المُهِمَّـةِ ، فَإِنَّـهُ لَـمْ يَكُـنْ بِـدْعًا مِـنْ

ذَلِكَ؛إِذْ رَافَقَهُ شَاعِرَانِ كَبِيرَانِ هُمَا الشَّابِيّ وَطَهَ.وَإِنْ كَانَ مُقِلًّا مِنْ حُضُورِ المشْهَدِ الشِّعْرِيِّ لِتِلْكَ الجَمَاعَةِ، فَهوَ لَمْ يَكُنْ بِدْعًا مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا، إِذِ اشْتَرَكَ مَعَهُ شُعَرَاءُ مِثْلُ الشَّرْنُوبِيّ وَالصَّيْرَفِيّ وأبي الوفا وَهُمْ مَعْدُودُونَ مِنْ كِبَارِ جَمَاعَةِ أَبُولْلُو .

(5/1) يُحَقِّقُ الْإِحْصَاءُ ثَمَرَتَهُ حِينَ يَتَقَدَّمُ خُطْوَةً أُخْرَىٰ نَحْوَ دِرَاسَةِ الْأَوْزَانِ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ دِرَاسَةً أُسْلُوبِيَّةً بِاعْتِبَارِ عِدَّةِ مُتَغَيِّرَاتٍ: مِثْلِ طُولِ النَّفَسِ، وَالْأَشْكَالِ المسْتَخْدَمَةِ فِيهِ مِنْ حَيْثُ الموضُوعَاتِ وَتَنَوُّعِ الرَّوِيِّ بِدَاخِلِهِ، وَمَيْلِ الشَّاعِرِ لَهُ تَارِيخيًّا.وَهَذَا مَا نَتَّجِهُ إِلَيْهِ فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ:

(1/5/1) وَزْنُ الرَّمَلُ:

يُعَدُّ وَزْنُ الرَّمَلِ مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْ 24 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا[1] (6) مِنْهَا قَصِيرَةٌ و(18) طَوِيلَةٌ، عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ:

فَا	عِ	لَا	تِنْ
ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص

وَقَدْ مَالَ «قُطْب» لِوَزْنِ الرَّمَلِ فِي ثِنْتَيْنِ وَثَلَاثِينَ قَصِيدَةً (32) بِنِسْبَةِ 26% مِنْ مَجْمُوعِ أَشْعَارِهِ مُحْتَلَّةً بِهَا المرْتَبَةَ الْأُولَىٰ ـ كَمَا ذُكِرَ ـ وَوَاكَبَ هَذَا المَيْلَ الشَّدِيدَ لِلْوَزْنِ طُولٌ لِلنَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، إِذْ يَبْلُغُ مَجْمُوعُ أَبْيَاتِ الشَّاعِرِ مِنْ هَذَا الْوَزْنِ خَمْسَمائَةٍ وَسِتَّةً وَسَبْعِينَ (576) بَيْتًا ، بِنِسْبَةِ 25% مِنْ مَجْمُوعِ أَبْيَاتِ الدِّيوَانِ ، أَيْ بِنِسْبَةِ رُبْعِ الدِّيوَانِ.

وَقَدِ اسْتَطَاعَ الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ أَنْ يُعَبِّرَ فِي مُعْظَمِ مَوْضُوعَاتِ الدِّيوَانِ كَالْآتِي :

1ـ احْتَوَىٰ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الرَّمَلِ الموْضُوعَاتِ الشِّعْرِيَّةَ المتَعَدِّدَةَ فَجَاءَتْ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

(1) انظر:محمد الهادي الطرابلسي :خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ط.منشورات الجامعة التونسية ، 1981 ، ص 23 .

الموضوع	التمرد	الشكوىٰ	الحنين	التأمل	الغزل	الوصف	الرثاء	الوطني	المدح
العدد	3	4	3	7	7	4	2	1	1

فَأَكْثَرُ المَوْضُوعَاتِ الَّتِي اِحْتَوَاهَا هَذَا الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ هِيَ مَوْضُوعَاتُ التَّأَمُّلِ وَالْغَزَلِ[1]، ثُمَّ الْوَصْفُ فَالشَّكْوَىٰ فَالتَّمَرُّدُ، فَالْوَطَنِيَّاتُ، وَالمدْحُ ، وَابْتَعَدَ عَنْ غَرَضَيِ الهِجَاءِ وَالحَمَاسَةِ.

2ـ حَدَّدَ «قُطْب» الْإِطَارَ الصَّوْتِيَّ لِوَزْنِ الرَّمَلِ بِنُظُمٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ نُظُمِ الْقَافِيَةِ؛ وَهَذَا مَا نُوَضِّحُهُ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

نِظَامُ الْقَافِيَةِ	الْعَدَدُ
المربَّع المشرَّعُ	10
الموشَّحُ	7
الْقَافِيةُ الموحَّدةُ	7
المقطوعةُ	2
المربَّع المصرَّعُ	2
المشطَّرُ المزدوجُ	1
المخَمَّسُ	1
المربَّع الموحَّدُ	1
المسَمَّطُ	1

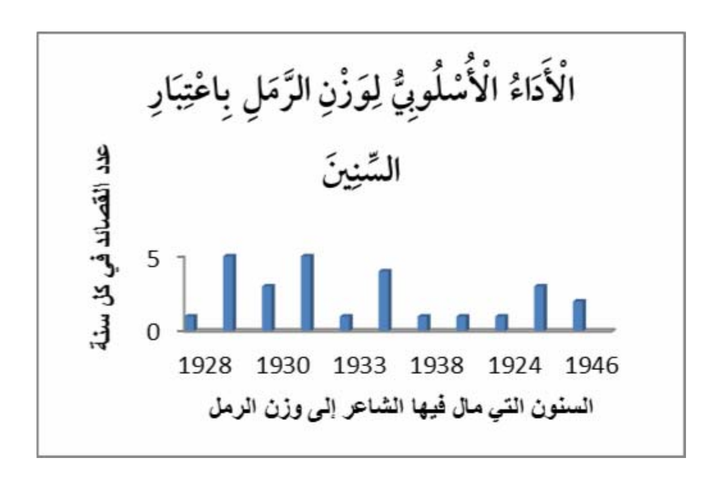
إِنَّ المُلَاحَظَ عَلَىٰ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ لِهٰذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ أَنَّهُ اِحْتَوَىٰ جَمِيعَ المُوَشَّحَاتِ الَّتِي كَتَبَهَا الشَّاعِرُ، وَهِيَ سَبْعُ مُوَشَّحَاتٍ[2]، وَلَكِنْ ظَلَّتْ نِسْبَةُ المُرَبَّعِ المشَرَّعِ هِيَ الْأَكْثَرُ تَنَاسُبًا مَعَ

(1) انظر الفقرة (3 /3) في الفصل الثالث من هذا الباب .

(2) نتوقف عند هذه الموشحات في مبحث تنوع القوافي فليطلب هناك .

هَذَا الْإِطَارِ ـ إِذْ بَلَغَتْ قَصَائِدُهُ (10) قَصَائِدَ لمِوْضُوعَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ.فَإِذَا أَضَفْنَا إِلىٰ هـذَا النَّـوْعِ الْأَنْـوَاعَ الْأُخْـرَىٰ مِنَ المُرَبَّعَاتِ يُصْبِحُ الْعَدَدُ (13)، مِـمَّا يَجْعَلُنَـا نَقُـولُ:إِنَّ الْإِطَـارَ الصَّـوْتِيِّ لِـوَزْنِ الرَّمَـلِ هُـوَ إِطَـارُ المُرَبَّعَـاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ «قُطْب».

3 ـ أَمَّا عَنِ المنحنىٰ الزَّمَنِيِّ لهِذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ، فَإِنَّنَا نَـرَىٰ أَنَّ الْأَدَاءَ الْأُسْـلُوبِيَّ لَـهُ يَظَـلُّ فِي صُـعُودٍ وَهُبُـوطٍ مُسْتَمِرَّيْنِ، فَفِي حِينِ يَبْدَأُ الشَّاعِرُ بِهِ مَرْحَلَةَ إِبْدَاعِهِ الشِّعْرِيِّ سَنَةَ (1928) بِوَاقِعِ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، نَرَاهُ فِي الْعَامِ التَّالِي (1929) يَنْظِمُ خَمْسَ قَصَائِدَ مِنْهُ ثُمَّ يَهْبِطُ إِلَىٰ ثَلَاثِ قَصَائِدَ فِي الْعَامِ التَّالِي(1930)، ثُـمَّ يَرْتَفِعُ إِلَىٰ خَمْسِ قَصَائِدَ مَرَّةً أُخْرَىٰ فِي عَامِ (1933)، ثُمَّ يَهْـبِطُ مَـرَّةً ثَالِثَـةً إِلَىٰ أَرْبَـعِ قَصَـائِدَ في عَـامِ (1934) الَّتِي تُعَدُّ ذَرْوَةَ إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ ـ كَـمَا سَـبَقَ فِي التَّمْهِيـدِ ـ بَعْـدَهَا يَظَـلُّ هَـذَا الْإِطَـارُ فِي هُبُـوطٍ مُسَتَمِرٍّ أَعْوَامَ (1938، و1941، و 1942) بِوَاقِعِ قَصِيدَةٍ فِي كُلِّ عَامٍ، ثُـمَّ يَـأْتِي ارْتِفَـاعٌ نِسْـبِيٌّ لَـهُ عَـامَ (1945) بِوَاقِعِ ثَلَاثِ قَصَائِدَ، ثُمَّ هُبُوطٍ أَخِيرٍعَامَ (1946) بِوَاقِعِ قَصِـيدَتَيْنِ.وَلَعَـلَّ التَّمْثِيـلَ الْبَيَـانِيَّ الْآتِي يُوَضِّحُ الْأَدَاءَ الْأُسْلُوبِيَّ لهِذَا الْإِطَارِ بِشَكْلٍ آخَرَ:



(شكل :3) الأداء الأسلوبي لوزن الرمل

(2/5/1) وَزْنُ الْكَامِلِ :

يُعَدُّ وَزْنُ الْكَامِلِ مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِـنْ 30 مَقْطَعًـا صَـوْتِيًّا ، 18 مَقْطَعًـا قَصِـيرًا و12 مَقْطَعًـا طَوِيلًا ، عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

م	ت	فا	ع	لن
ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص

وَقَدْ مَالَ «قُطْب» إِلَىٰ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِوَزْنِ الْكَامِلِ فِي ثِنْتَيْنِ وَعِشْرِينَ قَصِيدَةً (22)، بِنِسْبَةِ 18 % مِـنْ مَجْمُوعِ قَصَائِدِهِ، احْتَلَّتْ بِهَا المرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ ، لَكِـنَّ هَـذِهِ المرْتَبَـةَ تَـتَقَلَّصُ مِـنْ وِجْهَـةٍ إِحْصَائِيَّةٍ أُخْرَىٰ، هِيَ وِجْهَةُ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، إِذْ إِنَّ طُولَهُ فِي هَذَا الْوَزْنِ 331 بَيْتًا بِنِسْبَةِ 14% يَحْتَلُّ بِهَا المرْتَبَةَ الرَّابِعَةَ بَعْدَ الطَّوِيلِ وَالخَفِيفِ.وَمِنْ ثَـمَّ نَسْـتَطِيعُ أَنْ نَقُـولَ:إِنَّ الـنَّفَسَ الشِّـعْرِيَّ لـ«قُطْـب» فِي وَزْنِ الْكَامِلِ نَفَسٌ قَصِيرٌ إِذَا قُورِنَ بِطُولِهِ فِي الرَّمَلِ وَالطَّوِيلِ وَالخَفِيفِ.وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَجْلِيَ وَجْهَ الْأَدَاءِ الْأُسْـلُوبِيِّ لَهُ فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ مِنْ خِلَالِ المُتَغَيِّرَاتِ سَالِفَةِ الذِّكْرِ:

1 ـ احْتَوَىٰ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الْكَامِلِ مُعْظَمَ مَوْضُوعَاتِ الشَّاعِرِ بِنِسَبٍ مُتَفَاوِتَةٍ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

الموضوع	التمرد	الشكوى	الحنين	التأمل	الغزل	الوصف	الرثاء	الوطني	الهجاء
العدد	2	3	3	1	6	1	3	1	1

وَالملَاحَظُ مِنْ هَذَا الْعَرْضِ أَنَّ أَكْثَرَ الموْضُوعَاتِ لهذَا الْإِطَارِ هُوَ الْغَزَلُ، فَقَدِ اسْتَطَاعَ الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِـهِ التَّعْبِيرَ عَنْ عَوَاطِفِهِ المُتَأَجِّجَةِ، وَلَعَلَّ دِرَاسَةَ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْإِيقَاعِ وَالْوَزْنِ وَالمعْنَىٰ تَكْشِفُ لَنَـا عَـنْ سِرِّ ذَلِـكَ.(1) فِي حِينِ نَرَىٰ مَوْضُوعًا شِعْرِيًّا وَهُوَ التَّأَمُّلُ كَانَ يُمَثِّلُ أَكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ الْقَصَائِدِ فِي وَزْنِ الرَّمَلِ يَقِلُّ فِي هَذَا الْإِطَـارِ، بَيْنَمَا ظَلَّتْ مُوْضُوعَاتٌ أُخْرَىٰ تُمَثِّلُ نِسَبًا ضَئِيلَةً فِي هَذَا الْإِطَارِ.

2 ـ لَمْ يَكُنِ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الْكَامِلِ مِثْلَ وَزْنِ الرَّمَلِ مِنْ حَيْثُ عَلَاقَتِهِ بِنِظَامِ الْقَافِيَةِ، يَظْهَرُ هَـذَا مِـن خِلَالِ قِيَاسِهِ مَعَ المُتَغَيِّرِ نَفْسِهِ ، كَالْآتِي :

(1) انظر الفقرة (4/3) من الفصل الثالث في هذا الباب .

نظام القافية	الموحدة	مشـــــــطر رباعي	مقطوعة	مربع	صُونَاتَا
العدد	16	2	2	1	1

وَالْعَرْضُ يُوَضِّحُ أَنَّ حُدَودَ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِوَزْنِ الْكَامِلِ عِنْدَ«قُطْب»كَانَ إِطَارًا كِلَاسِيكِيًّا، يَشْهَدُ لِذَلِكَ عَدَدُ الْقَصَائِدِ المُوَحَّدَةِ الْقَافِيَةِ فِيهِ، فِي الْوَقْتِ الَّذِي ظَهَرَ تَجْدِيدٌ وَاحِدٌ فِي شَكْلِهِ المُتَمَثِّلُ فِي قَصِيدَةِ «الصُّونَاتَا». [1]وَهِيَ مِنَ الْأَشْكَالِ الْعَالَمِيَّةِ فِي نَظْمِ الشِّعْرِ وَالَّتِي تُنْظَمُ فِي وَزْنِ «أَيَامبِيٍّ»، فَإِذَا صَحَّ مَا يُقَالُ عَنْ أَنَّ وَزْنَ «الْأَيَامْب» يُمَثِّلُهُ الرَّجَزُ وَالْكَامِلُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ[2] فَإِنَّنَا نَعدُّ مَيْلَ الشَّاعِرِ إِلَيْهِ مَيْلًا طَبَعِيًّا لِأَدَاءِ هَذَا الشَّكْلِ الشِّعْرِيِّ.[3]

3 ـ أَمَّا عَنِ المنحنىٰ الزَّمَنِيِّ لهِذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ، فَإِنَّنَا نَرَىٰ أَنَّ الْأَدَاءَ الْأُسْلُوبِيَّ لَهُ أَدَاءٌ بَطِيءُ النُّمُوِّ ؛ فَعَبْرَ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ (1928 ـ 1929ـ 1930 ـ 1931) لَمْ يَشْهَدْ وَزْنُ الْكَامِلِ إِلَّا قَصِيدَةً وَاحِدَةً فِي كُلِّ عَامٍ، وَيَأْتِي عَامُ (1932) بِقَصِيدَتَيْنِ ثُمَّ بِقَصِيدَةٍ فِي الْعَامِ التَّالِي، إِلَىٰ أَنْ يَأْتِي عَامُ (1934) وَهُوَ الْعَامُ الَّذِي كَانَ فِيهِ الشَّاعِرُ أَكْثَرَ إِبْدَاعًا بِسِتِّ قَصَائِدَ مِنْ هَذَا الْوَزْنِ ، وَهُوَ أَعْلَىٰ عَامٍ يَمِيلُ فِيهِ الشَّاعِرُ لهذا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ ، وَيَمُرُّ الْعَامَانِ دُونَ أَنْ نَجِدَ حُضُورًا لِلْكَامِلِ فِي أَعْمَالِ الشَّاعِرِ، بَعْدَ ذَلِكَ تَأْتِي الْقَصِيدَةُ وَالْقَصِيدَتَانِ إِلَىٰ نِهَايَةِ الْعُمْرِ الشِّعْرِيِّ لِـ«قُطْب» عَامَ (1952) بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ، هِيَ قَصِيدَةُ «هُبَلٌ .. هُبَلٌ» الَّتِي مَطْلَعُهَا:

هُبَلٌ .. هُبَلْ رَمْزُ السَّخَافَةِ وَالدَّجَلْ[4]

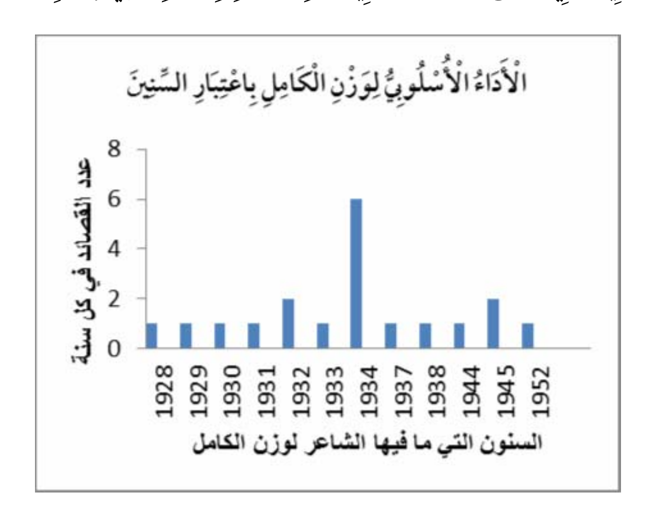
(1) تُكْتَبُ «السوناتا» و«السوناته»، ولكن الباحث آثر كتابتها كما أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجم الموسيقى، ص 140 .

(2) راجع : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 97 ، 98 .

(3) قدم الباحث دراسة عن القصيدتين اللتين جاءتا بشكل «الصُّونَاتَا» في شعر «قطب» بالفصل الثاني من الباب الثاني ، ذكر فيها البناء الفني للصوناتا موسيقيًّا وشعريًّا باعتبارها أحد أشكال التأليف الموسيقي العالميِّ ، وبناءها الفني في القالب الشعري .وضرب الذكر عن إيرادها هنا لمناسبتها أكثر للحديث عن تنوع القافية فلتطلب هنالك .

(4) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، تقديم د . حسن حنفي ، ط . الناقد الثقافي ، دمشق ، 2008 ، ص 279 .

وَلَعَلَّ التَّمْثِيلَ الْبَيَانِيَّ التَّالِي يُوَضِّحُ الْأَدَاءَ الْأُسْلُوبِيَّ لِوَزْنِ الْكَامِلِ بِاعْتِبَارِ سِنِيِّ إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ:



(شكل : 4) الأداء الأسلوبي لوزن الكامل

(3/5/1) وَزْنُ الخَفِيفِ:

يَتَكَوَّنُ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الخَفِيفِ مِـنْ 24 مَقْطَعًـا صَـوْتِيًّا، 6 مِنْهَـا قَصِـيرَةٌ و18 طَوِيلَـةٌ عَـلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي[1] :

فا	ع	لا	تن	مس	تف	ع	لن
ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص

يَحْتَلُّ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الخَفِيفِ المرْتَبَةَ الثَّالِثَةَ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ عِنْدَ «قُطب» حَيْثُ مَالَ إِلَيْهِ فِي 19 قَصِيدَةً بِنِسْبَةِ 15 % مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ، وَتَظَلُّ هَـذِهِ المرْتَبَـةُ لِلْخَفِيـفِ ثَابِتَـةً مَـعَ وِجْهَـةٍ إِحْصَـائِيَّةٍ أُخْرَىٰ؛ إِذْ يَحْتَلُّ المرْتَبَةَ الثَّالِثَةَ أَيْضًا فِي جَـدْوَلِ تَرْتِيـبِ الـنَّفَسِ الشِّـعْرِيِّ بِوَاقِـعِ 347 بَيْتًـا بِنِسْـبَةِ 15 % مِـنْ مَجْمُوعِ أَبْيَاتِ الشَّاعِرِ وَهِيَ النِّسْبَةُ نَفْسُهَا لِلْخَفِيفِ فِي سُلَّمِهِ التَّرْتِيبِيِّ.

(1) تتكون «فاعلاتن» من أربع مقاطع و«مستفعلن» من أربع مقاطع أيضـا ، فيكـون طـول الشـطر مـن وزن الخفيـف 12 مقطعا صوتيا لأن «فاعلاتن» تتكرر مرة أخرىٰ ، ومن ثم عدد المقاطع في البيت كله 24 مقطعا صوتيا .

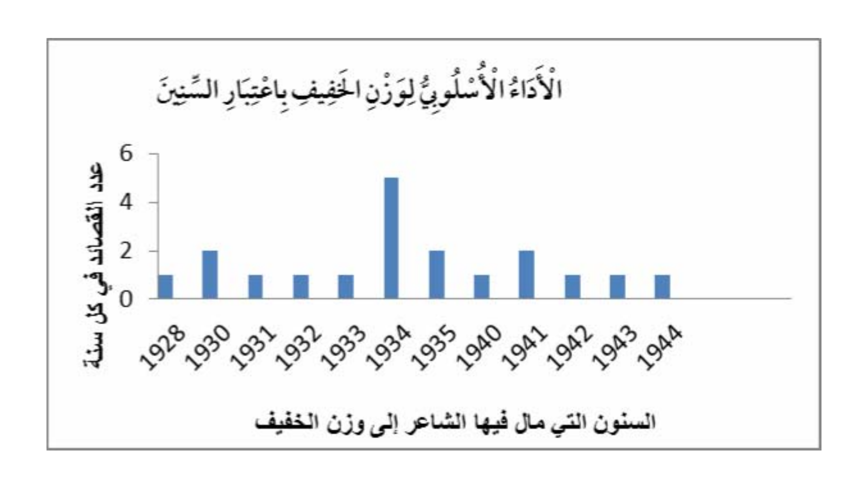
1 ـ نَظَمَ «قُطْب» فِي هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ سِتَّةَ مَوْضُوعَاتٍ بِنِسَبٍ مُخْتَلِفَةٍ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

الموضوع	التمرد	الشكوىٰ	الحنين	التأمل	الغزل	الوصف	الرثاء
العدد	1	2	2	3	7	2	2

يَسْـتَقْطِبُ الْإِطَـارُ الصَّـوْتِيُّ لِـوَزْنِ الخَفِيـفِ المَوْضُـوعَ الشِّـعْرِيَّ عِنْـدَ «قُطْـب» اِسْـتِقْطَابًا ضَـعِيفًا فِي مَوْضُوعَاتِ التمرد، والشَّكْوَىٰ وَالحَنِـينِ وَالْوَصْـفِ وَالرِّثَـاءِ، بَيْـنَمَا اخْتَفَـتْ مَوْضُـوعَاتٌ مِثْـلُ التَّمَـرُّدِ وَالمـدْحِ وَالحَمَاسَةِ مِنْ هَذَا الْإِطَارِ وَهُوَ اخْتِفَاءٌ طَبَعِيٌّ؛لِأَنَّهَا مَوْضُوعَاتٌ تُمَثِّلُ نِسْبَةً ضَئِيلَةً مِنْ أَعْمَالِ الشَّـاعِرِ، وَلَكِـنْ يَظَلُّ الاسْتِقْطَابُ الْأَكْثَرُ لمِوْضُوعِ الْغَزَلِ بِنِسْبَةِ 7 قَصَائِدَ، فَقَدْ رَآهُ الشَّاعِرُ إِطَـارًا صَـوْتِيًّا مُنَاسِـبًا لِلتَّعْبِـيرِ عَـنْ عَوَاطِفِهِ كَمَا رَأَىٰ فِي الْكَامِلِ مِنْ قَبْلُ.

2 ـ كَانَ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ لهذا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ مُتَشَابِهًا مَعَ الْكَامِلِ مِنْ حَيْثُ اسْتِخْدَامِ الشَّاعِرِ لِـنُظُمِ الْقَافِيَـةِ؛إِذْ إِنَّهُ كَانَ أَدَاءً كِلَاسِيكِيًّا لَمْ نَرَ فِيهِ أَيَّ تَطَوُّرٍ لِنِظَامِ الْقَافِيَةِ؛حَيْثُ إِنَّه اِسْتَخْدَمَهُ بِنِظَامِ الْقَافِيَـةِ الموَحَّـدَةِ 15مَرَّةً وَفِي نِظَامِ المقْطُوعَةِ 3 مَرَّاتٍ فَقَطٍ، وَمَرَّة وَاحِدَة فِي صُورَةِ المرَبَّعِ المشَرَّعِ، مِمَّا يَجْعَلُنَا نَقُولُ:إِنَّ الشَّاعِرَ نَظَرَ إِلَىٰ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِوَزْنِ الخَفِيفِ نَظْرَةً تُرَاثِيَّةً، وَجَدَتْ فِيـهِ إِطَـارًا صَـالِحا لِنِظَـامِ الْقَافِيَـةِ الموَحَّدَةِ، دُونَ إِحْدَاثِ أَيَّةِ مُغَامَرَاتٍ تَجْدِيدِيَّةٍ لِنِظَامِ تَوْزِيعِ الْقَافِيَةِ فِيهِ.

3 ـ أَمَّا عَنِ المنحنىٰ الزَّمَنِيِّ لهِذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ، فَإِنَّنَا نَـرَىٰ أَنَّ الْأَدَاءَ الْأُسْـلُوبِيَّ لَـهُ أَدَاءٌ ضَـعِيفٌ فِي السَّـنَوَاتِ الْأُولَىٰ مِنْ إِبْدَاعِ «قُطْب»، فَمُنْذُ عَامِ 1928 إلىٰ 1930 نَرَىٰ الْقَصِـيدَةَ أَوِ الْقَصِـيدَتَينِ فِي الْعَـامِ الْوَاحِـدِ، وَيَصِلُ الميْلُ إِلَىٰ اسْتِخْدَامِهِ فِي عَامِ 1934 إِلَىٰ ذَرْوَتِهِ حَيْثُ يَمِيلُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ خَمْـسَ مَـرَّاتٍ ، وَكَعَادَتِـهِ تَهْبِطُ دَرَجَةُ الميْلِ إِلَيْهِ فِي السَّنَوَاتِ التَّالِيَةِ لهذَا الْعَامِ الخِصْبِ عَلَىٰ نَحْوِ مَا يُوَضِّحُ الْبَيَانُ التَّالِي :



(شكل : 5) الأداء الأسلوبي لوزن الخفيف

(4/5/1) وَزْنُ الطَّوِيلِ:

عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ وَزْنَ الطَّوْيلِ يَحْتَلُّ المرْتَبَةَ الرَّابِعَةَ فِي دَرَجَاتِ سُلَّمِ مَيْلِ «قُطْب» إِلَىٰ الْأَوْزَانِ بِنِسْبَةِ 13% مِنْ خِلَالِ 16 قَصِيدَةً، إِلَّا أَنَّهُ يَحْتَلُّ دَرَجَةً مُتَقَدِّمَةً فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ؛حَيْثُ يَصِلُ مَجْمُوعُ أَبْيَاتِ الشَّاعِرِ مِنْ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ 365 بَيْتًا مُحْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ بِنِسْبَةِ 16% بَعْدَ الرَّمَلِ مُبَاشَرَةً ، مُتَفَوِّقًا عَلَىٰ وَزْنَي الْكَامِلِ وَالخَفِيفِ.

وَزْنُ الطَّوِيلُ يَتَكَوَّنُ مِنْ 28 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، الْغَلَبَةُ فِيهَا لِلْمَقَاطِعِ الطَّوِيلَةِ ، حَيْثُ تُشَكِّلُ 20 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا فِي مُقَابِلِ 8 مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ فَقَطْ ، عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

فـ	عو	لن	مـ	فا	عي	لن
ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص

1ـ احْتَوَىٰ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الطَّوِيلِ خَمْسَةَ مَوْضُوعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ بِنِسَبٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

الموضوع	الشكوىٰ	الحنين	التأمل	الغزل	الوصف
العدد	2	2	6	3	3

وَيَظْهَرُ مِنَ الْعَرْضِ السَّابِقِ أَنَّ الموْضُوعَ الشِّعْرِيَّ المفَضَّلَ لَدَىٰ «قُطْب» لِوَزْنِ الطَّوِيـلِ هُـوَ التَّـأَمُّلَاتِ، وَهَذَا يُعِيدُ إِلَىٰ أَذْهَانِنَا مَا سَبَقَ فِي وَزْنِ الرَّمَلِ، حَيْثُ إِنَّ الشَّاعِرَ اِسْتَخْدَمَهُ لهذَا الْغَرَضِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِه، وَهَـذَا مَا سَوْفَ تَكْشِفُ عَنْهُ دِرَاسَةُ الْإِيقَاعِ وَعَلَاقَتِهِ بِالْوَزْنِ والمعْنَىٰ فِيمَا يَـلِي مِـنْ فُصـولٍ ، عَـلَىٰ أَنَّ السِّـمَةَ الَّتِـي يَتَمَيَّزُ بِهِ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الطَّوِيلِ هُوَ خُلُوُّه مِنْ عَدَدِ الْأَشْطُرِ، فَلَمْ يُسَجِّلِ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ فِي هَذَا الـوزنِ أَيَّ عَددٍ لِلْأَشْطُرِ الشِّعْرِيَّةِ، فَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ عَلَىٰ إِنَّهُ إِطَارٌ يَحْوِي أَفْكَارًا وَتَأَمُّلَاتٍ مِيتَافِيزِيقِيَّةً لَا مَجَالَ فِيهَا لِلْأَشْطُرِ بَلِ المجَالُ مُتَّسِعٌ لِلْبَيْتِ بِكَامِلِه، وَنُشِيرُ إِلىٰ أَنَّ أَطْوَلَ قَصَائِدِ «قُطْب» فِي أَعْمَالِهِ كَانَتْ مِـنْ هَـذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ غَالِبًا، حَيْثُ بَلَغَ طُولُ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ فِي قَصِيدَةِ «الشَّاعِرُ فِي وَادِي الموْتَىٰ» مَـثَلًا سِـتِّينَ بَيْتًـا، وَالَّتِي كَانَ مَطْلَعُهَا:

مَـنِ الطَّارِقُ السَّارِي خِلَالَ المقَابِرِ   كَخَفْقَةِ رُوحٍ فِي الدُّجَنَّاتِ عَابِرِ

يُنَـقِّلُ فِي تِـلْكَ الدَّيَـاجِرِ خَـطْوَهُ   وَيَخْطُرُ فِي هَمْسٍ كَهَمْسِ المُحَاذِرِ[1]

وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ ثَمَّةَ قَصِيدَةً جَاءَتْ بِهَذَا الْكَمِّ مِنَ الْأَبْيَاتِ إِلَّا أَنَّهَا كَانَـتْ مِـنَ المجْتَـثِّ ، وَهُـوَ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مَجْزُوءًا، وَإِنَّمَا أَرَدْنَا بَيَانَ طُولِ النَّفْسِ الشِّعْرِيِّ لـ«قُطْب» فِي الْأَوْزَانِ الَّتِي لَا تُسْتَعْمَلُ إِلَّا تَامَّةً.

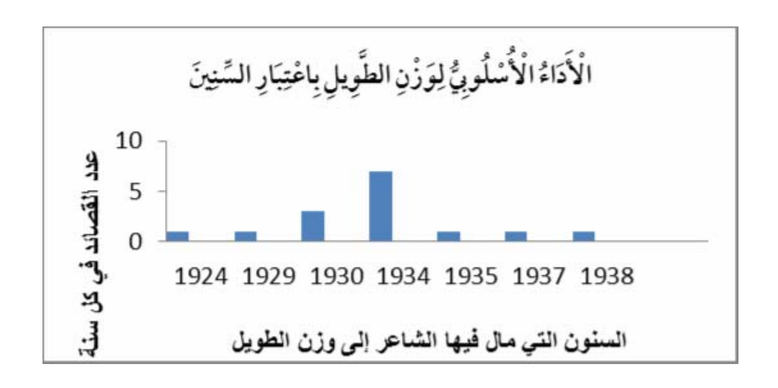
2 ـ جَاءَ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الطويل عِنْـدَ «قُطْب» مُحَـدَّدًا بالْقَافِيَـةِ الموَحَّـدَةِ فِي 13 قَصِـيدَةً، بَيْـنَمَا جَـاءَ مُحَدَّدًا بِالْقَافِيَةِ المقْطُوعَةِ فِي 3 قَصَائِدَ فَقَطْ؛ مِمَّا يُوَضِّحُ لَنَا كَيْفَ كَانَ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ لهذَا الْوَزْنِ عِنـدَ «قُطْب»، فَقَدْ جَاءَ أَدَاءً كِلَاسِيكِيًّا أَيْضًا مُحَدَّدًا بِإِطَارِ الْقَافِيَةِ الموحَّدَةِ فِي 99 % مِنْ تَعَامُلِهِ مَعَهُ.وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْإِطَارَ الصَّوْتِيَّ لِوَزْنِ الطَّوِيلِ يَحْتَلُّ المرْتَبَةَ السَّادِسَةَ عِنْدَ شُعَرَاءِ أَبُولْلُو، فَإِنَّنَا نَجِدُهُ عِنْـدَ «قُطْب» فِي مَرْحَلَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ، بَعْدَ الرَّمَلِ وَالْكَامِلِ وَالخَفِيفِ، لَكِنَّ طُولَ النَّفَسِ الشِّـعْرِيِّ لـ«قُطْب» فِيهِ يَجْعَلُهُ فِي مَرْتَبَةٍ ثَانِيَةٍ، مِمَّا يَجْعَلُنَا نَقُولُ: إِنَّ الشَّاعِرَ كَانَ أَمْيَلَ لِلـتُّرَاثِ أَكْـثَرَ مِـنْ أَقْرَانِـهِ فِي أَدَائِـهِ الْأُسْلُوبِيِّ لهذَا الْوَزْنِ.

3 ـ أَمَّا عَـنِ المنحنـىٰ الزَّمَنِـيِّ لهِـذَا الْإِطَـارِ الصَّـوْتِيِّ، فَإِنَّنَـا نَـرَىٰ أَنَّ الْأَدَاءَ الْأُسْـلُوبِيَّ لَـهُ أَدَاءٌ يَأْخُـذُ الشَّـكْلَ الهَرَمِـيَّ، حَيْـثُ يَبْـدَأُ مُنْخَفِضًـا ثُـمَّ يَعْلُـو عَـامَ 1934 وَيَأْخُـذُ يَنْتَهِـي حَـدَّ الـتَّلَاشِي

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 123 .

وَالاخْتِفَاءِ ، بَدَأَ «قُطْب» المْيَلَ إِلَىٰ وَزْنِ الطَّوِيلِ فِي فَتْرَةٍ مُبَكِّرَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ 1924 بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ تَوَقَّفَ عَنْهُ خَمْسَ سَنَوَاتٍ لِيَجِيءَ بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ عَامَ 1929، وَبَعْدَهَا بِثَلَاثِ قَصَائِدَ عَامَ 1930، ثُمَّ يَتَوَقَّفُ عَنْهُ أَرْبَعَ سَنَوَاتٍ إِلَىٰ أَنْ يَصِلَ لِلْعَامِ الذَّرْوَةِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فَيُقَدِّمُ لَنَا عَامَ 1934سَبْعَ قَصَائِدَ وَهِيَ نِسْبَةٌ لَمْ تَتَحَقَّقْ لِأَيِّ إِطَارٍ مِنَ الْإِطَارَاتِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ فِي هَذَا الْعَامِ الخِصْبِ، فَإِذَا مَا وَضَعْنَا هَذَا المعْطَىٰ الدِّلَالِيَّ بِجِوَارِ المعْطَىٰ الدِّلَالِيِّ السَّابِقِ وَالَّذِي يَتَعَلَّقُ بِعَدَدِ قَصَائِدِ التَّأَمُّلَاتِ، عَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْعَامَ هُوَ أَخْصَبُ الْأَعْوَامِ الْفِكرِيَّةِ أَيْضًا لَدَىٰ «قُطب» حَيْثُ كَانَ شَاعِرًا رُومَانْسِيًّا مِيتَافِيزِيقِيًّا مِنَ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ، يَشْهَدُ لهذَا عَدَدُ قَصَائِدِ التَّأَمُّلَاتِ وَالْغَزَلِ فِي ذَلِكَ الْعَامِ .وعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَ أَدَاؤُهُ الْعَرُوضِيُّ ـ وَهَذا الَّذِي يَهُمُّنَا الْآنَ ـ أَمْيَلَ لِلتُّرَاثِ الشِّعْرِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ يَصْدُقُ عَلَىٰ «قُطْب» أَيْضًا مَعَ أَقْرَانِهِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ د.سَيِّد الْبَحرَاوِيُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الشُّعَرَاءِ ـ يَقْصِدُ شُعَرَاءَ أَبُولْلُو ـ تَمَرَّدُوا تَمَرُّدًا نَظَرِيًّا عَلَىٰ الشَّكْلِ وَالمُوسِيقَىٰ الْقَدِيمَةِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يُقَدِّمُوا مَا هُوَ جَدِيدٌ عَمَلِيًّا، «وَظَلُّوا وَاقِعِينَ فِي إِطَارِهِ وَلَمْ يَخْرُجُوا إِلَّا فِي دَائِرَةِ المُتَاحِ تُرَاثِيًّا أَيْضًا»[1]؛وَيَصْدُقُ عَلَىٰ «قُطْب» أَيْضًا قَوْلُ د .عَبْدُ الْقَادِرِ الْقِطّ عَنِ الشُّعَرَاءِ الْوِجْدَانِيِّينَ مِنْ أَنَّ الْقَصِيدَةَ عِنْدَهُمْ « ظَلَّتْ مِنْ حَيْثُ إِطَارِهَا الشَّكْلِيِّ ذَاتَ مَظْهَرٍ قَدِيمٍ، لَكِنَّهَا اكْتَسَبَتْ سِمَاتٍ جَدِيدَةً وَاضِحَةً فِي مُوسِيقَاهَا وَمُعْجَمِهَا وَصُوَرِهَا».[2]

وَقَدْ أَوْضَحَ الْبَيَانُ التَّالِي حَرَكَتَي الصُّعُودَ وَالهُبُوطَ لِوَزْنِ الطَّوِيلِ عِنْدَ «قُطْب» :



(شكل : 6) الأداء الأسلوبي لوزن الطويل

(1) انظر موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 32 .

(2) د .عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي الحديث ، ط . مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1988 ، 327 .

(5/5/1) وَزْنُ المُتَقَارِبُ :

يَتَكَوَّنُ وَزْنُ المتَقارِبِ مِنْ 24 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، 18 مَقْطَعًا طَوِيلًا و6 مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

ف	عو	لن
ص ح	ص ح ح	ص ح ح

وَإِلَيْهِ مَالَ «قُطْب» بِنِسْبَةِ 9% فِي 11 قَصِيدَةً ، وَاحْتَلَّ بِهَا المرْتَبَةَ الخَامِسَةَ، وَهِيَ أَيْضًا المرْتَبَةُ نَفْسُهَا الَّتِي يَحْتَلُّهَا هَذَا الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، حَيْثُ جَاءَ مَجْمُوعُ أَبْيَاتِ «قُطْب» مِن هَذَا الْإِطَارِ 191 بَيْتًا بِنِسْبَةِ 8% مِنْ مَجْمُوعِ أَبيَاتِهِ.

1ـ اتَّسَعَ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ المتَقَارِبِ عِنْدَ «قُطْب» لِسِتَّةِ مَوْضُوعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ هي:

الموضوع	الشكوىٰ	الحنين	الغزل	الوصف	الرثاء	الحماسة
العدد	1	1	6	1	1	1

مِنْ خِلَالِ الْعَرْضِ السَّابِقِ نَجِدُ أَنَّ الْإِطَارَ الصَّوْتِيَّ لِوَزْنِ المُتَقَارِبِ كَانَ أَكْثَرَ لِمَوْضُوعِ الْغَزَلِ عِنْدَ «قُطْب»، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدِ اخْتَارَ الشَّاعِرُ لِقَصِيدَتِهِ الحَمَاسِيَّةِ الْوَحِيدَةِ هَذَا الْإِطَارَ، وَهِيَ قَصِيدَةٌ مُتَأَخِّرَةٌ فِي عُمْرِهِ الْإِبْدَاعِيِّ.

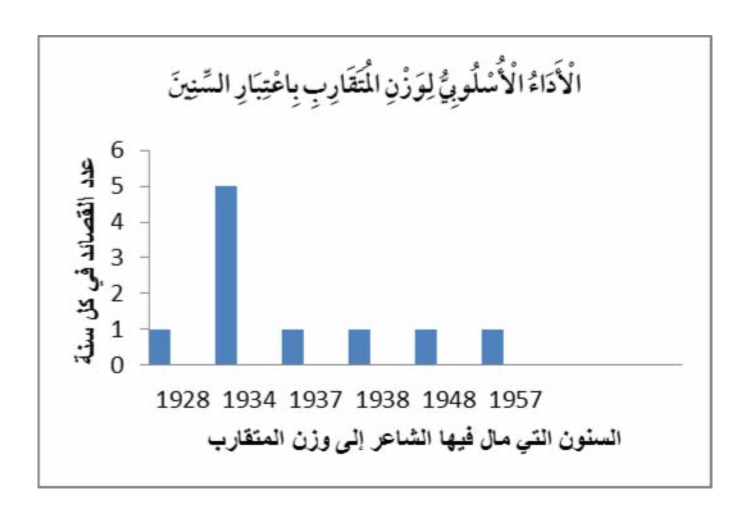
2 ـ جَاءَ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ المُتَقَارِبِ عِنْدَ «قُطْب» مُحَدَّدًا بِالْقَافِيَةِ الموَحَّدَةِ فِي 7 قَصَائِدَ، وَبِالمقْطُوعَةِ فِي 3 قَصَائِدَ، بَيْنَمَا نَوَّعَ الشَّاعِرُ بَيْنَ نِظَامِي المسَمَّطِ وَالمرَبَّعِ فِي قَصِيدَتِهِ الحَمَاسِيَّةِ « أَخِي» ، الَّتِي مَطْلَعُهَا:

أَخِي أَنْتَ حُرٌّ وَرَاءَ السُّدُودْ   أَخِي أَنْتَ حُرٌّ بِتِلْكَ الْقُيُودْ

إِذَا كُنْتَ بِالـلـه مُسْتَـعْـصِـمَا   فَـمَاذَا يَضِيرُكَ كَيْدُ الْـعَبِيدْ[1]

وَمِنَ المُلَاحَظِ خَلُوُّ هَذَا الْإِطَارِ مِنَ الْأَشْطُرِ، وَهَذَا يُقَوِّي مَـا ذَهَبْنَـا إِلَيْـهِ فِي الْفَقْـرَةِ السَّـابِقَةِ أَنَّ الْأَدَاءَ الْعَرُوضِيَّ لـ«قُطْب» أَدَاءٌ تُرَاثِيٌّ لَا يَنْفَصِلُ فِي ذَلِكَ عَنْ أَقْرَانِهِ مِنْ شُعَرَاءِ أَبُولْلُو.

3 ـ وَإِذَا أَرَدْنَا التَّتَبُّعَ الزَّمَنِيَّ لِأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِلشَّاعِرِ فِي هَذَا الْإِطَارِ، فَسَوْفَ نَجِـدُ أَنَّـهُ ظَـلَّ مُصَـاحِبًا لَـهُ مُنْـذُ بِدَايَةِ عُمْرِهِ الْإِبْدَاعِيِّ إِلَىٰ نِهَايَتِهِ، فَبِهِ اِبْتَدَأَ عَامَ 1928، وَبِـهِ وَصَـلَ إِلَىٰ ذَرْوَةِ إِبْدَاعِـهِ عَـامَ 1934، وَبِـهِ خَتَمَ قَصَائِدَهُ خَلْفَ أَسْوَارِ الزِّنْزَانَةِ عَامَ 1957.



(شكل : 7) الأداء الأسلوبي لوزن المتقارب

(6/5/1) وَزْنُ الْـمُجْتَثِّ :

يَتَكَوَّنُ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ المجْتَثِّ مِنْ 24 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، الْأَكْثَرِيَّةُ فِيهَا لِلْمقَاطِعِ الطَّوِيلَةِ 18 مَقْطَعًـا طَوِيلًا، وَ6 مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ ، وَإِلَيْهِ مَالَ الشَّاعِرُ بِنِسْبَةِ 6% بِوَاقِـعِ 7 قَصَـائِدَ، وَقَـدِ احْتَـلَّ المرْتَبَـةَ السَّادِسَـةَ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ عِنْدَ «قُطْب»، وَهِيَ النِّسْبَةُ نَفْسُهَا فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، حَيْثُ بَلَغَ مَجْمُـوعُ أَبْيَاتِ الشَّاعِرِ مِنْ هَذَا الإِطَارِ 170 بَيْتًا بِنِسْبَةِ 6 % مِنْ مَجْمُوعِ أَبيَاتِهِ.

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 281 .

وَوَزْنُ المجْتَثِّ لَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مَجْزُوءًا، وَقَدْ نَمَا نُمُوًّا مَلْحُوظًا فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ عِنْدَ شُعَرَاءِ أَبُولْلُـو ، حَيْثُ بَلَغَ المرْتَبَةَ الثَّامِنَةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُنْعَدِمًا فِي الْعَصْرِ الجَـاهِلِيِّ وَصَـدْرِ الْإِسْـلَامِ، وَفِي مَرَاتِـبَ مُتَـأَخِّرَةٍ فِي الْقَرْنَيْنِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ الهِجْرِيَّيْنِ، مِمَّا يَجْعَلُ مَيْلَ «قُطْب» إِلَيْهِ مَيْلًا طَبَعِيًّا؛ اِسْتِجَابَةً لِلطَّرَائِقِ الْفَنِيَّةِ لِاتِّجَـاهِ أَبُولْلُو.بَيْدَ أَنَّهُ كَانَ جَرِيئًا فِي الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لهذَا الإِطَارِ، حَيْثُ إِنَّهُ عَمَدَ إِلَىٰ تَجْدِيدِ مُوسِيقَاهُ فِي قَصِيدَتِهِ «إِلَّىٰ الثَّلَاثِينَ »، الَّتِي مَطْلَعُهَا:

إِلَىٰ الثَّـلَاثِينَ تَمْضِي الــرِّكَابْ		حَـثِيثَةً يَـا لَـيَــالِ

مَضَىٰ مِنَ الْعُمْرِ أَغْلَىٰ الـلُّبَابْ		فَلَـسْتُ آسٍ لِغَالِ[1]

بَيْدَ أَنَّنَا نُرْجِئُ الحَدِيثَ عَنْهَا إِلَىٰ الْفَصْلِ التَّالِي مُبَاشَرَةً.[2]

1 ـ اِحْتَوَىٰ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ المجْتَثِّ سِتَّةَ مَوْضُوعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ عِنْدَ «قُطْب»، هي:

المَوْضُوعُ	الشَّكْوَىٰ	الحَنِينُ	التَّأَمُّلَاتُ	الْغَزَلُ	الْوَصْفُ
العدد	1	2	2	1	1

مِنْ خِلَالِ الْعَرْضِ السَّابِقِ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ مَزِيَّةُ تَفَوُّقٍ لِوَزْنِ المجْتَثِّ فِي أَحَـدِ الموْضُـوعَاتِ، بَـلْ إِنَّ مَوْضُوعًا مِثْلَ الْغَزَلِ كَانَ يُسَجِّلُ حُضُورًا قَوِيًّا فِي أَوْزَانٍ مِثْلِ الرَّمَـلِ وَالطَّوِيـلِ وَالمتَقَـارِبِ ، نَجِـدُه فِي المجْتَـثِّ بِحُضُورٍ بَاهِتٍ بِنِسْبَةِ قَصِيدَةٍ وَاحِـدَةٍ، كَـذَا التَّـأَمُّلَاتُ، كَـذَا الْوَصْـفُ.وَمِـنْ ثَـمَّ نَسْـتَطِيعُ أَنْ نَقُـولَ:إِنَّ وَزْنَ المجْتَثِّ مِنَ الْأَوْزَانِ المُسَطَّحَةِ الَّتِي لَمْ يَرْتَبِطْ وُجُودُهَا بِمَوْضُوعٍ مُعَيَّنٍ فِي شِعْرِ «قُطْب».

2 ـ نَوَّعَ «قُطْب» فِي نُظُمِ الْقَافِيَةِ لِلْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِوَزْنِ المجْتَثِّ، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْعَرْضِ التَّالِي:

نظام القافية	الموحدة	مربع مشرع	المقطوعة	الصُّونَاتَا	مربع مشرع

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 57 .

(2) انظر الفقرة (7/2) في الفصل التالي .

العدد	1	2	2	1	1
					مذيل

يُقَدِّمُ الْعَرْضُ السَّابِقُ أَقَلَّ نِسْبَةٍ لِلْقَافِيَةِ الموَحَّدَةِ فِي أَيٍّ مِنَ الْإِطَارَاتِ الصَّوْتِيَّةِ لِـلْأَوْزَانِ ، بَيْـنَمَا تَظْهَـرُ «الصُّونَاتَا» الثَّانِيَةُ لِلشَّاعِرِ فِي هَذَا الْإِطَارِ مِنْ خِلَالِ قَصِيدَةِ «بَيْنَ الظِّلَالِ» وَالَّتِي مَطْلَعُهَا:

يَا ذِكْرَيَاتِي الْبَعِيـدَةْ

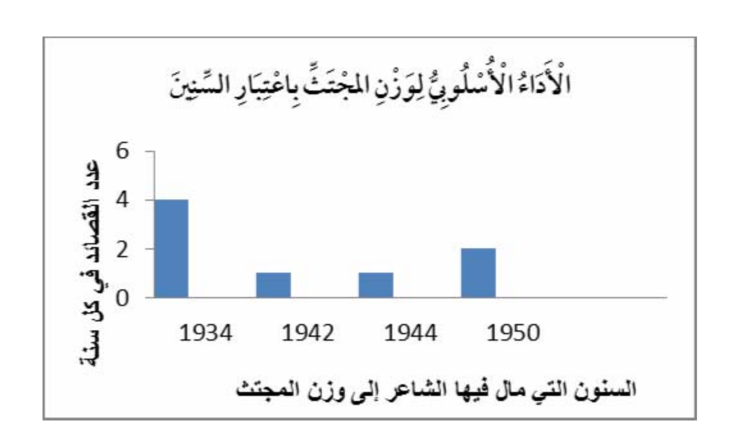
يَا أُمْنِيَاتِي الشَّرِيـدَةْ

إِلَيَّ قَبْلَ الصَّبَـاحِ[1]

وَقَدْ قَدَّمْنَا لهَا دِرَاسَةً فِي مَبْحَثِ تَنَوُّعِ الْقَافِيَةِ، حَيْثُ تَبَيَّنَ مِنْ خِـلَالِ هَـذِهِ الدِّرَاسَـةِ أَنَّ الشَّـاعِرَ كَـانَ حَرِيصًا عَلَىٰ مُحَاكَاةِ الشَّـكْلِ المُوسِـيقِيِّ لِتَـأْلِيفِ «الصُّـونَاتَا» فِي الْأُورْكِسْـتِرَا الْعَالَمِيَّـةِ. عَـلَىٰ أَنْ يَظَـلَّ المرَبَّـعُ المشَرَّعُ هُوَ أَكْثَرُ الْأَوْزَانِ حَدًّا لهذَا الْإِطَارِ، مُتَفَوِّقًا بِهِ عَلَىٰ المقْطُوعَةِ وَالمرَبَّعِ المشَرَّعِ المذَيَّلِ.

3 ـ يَظْهَرُ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ لِوَزْنِ المجْتَثِّ عِنْدَ «قُطْب» فِي عَامِ ذُرْوَةِ إِبْدَاعِهِ الشِّعْرِيِّ 1934 ، حَيْثُ سَـجَّلَ 4 قَصَائِدَ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ هَذَا الْعَدَدُ مِنْ قَصَائِدِ المجْتَثِّ فِي أَيِّ عَامٍ، ثُمَّ يُسَجِّلُ اخْتِفَاءً آخَرَ إِلَىٰ عَـامِ 1944، ثُمَّ يَعْقُبُهُ اخْتِفَاءٌ طَوِيلٌ إِلَىٰ عَامِ 1950 بِظُهُورِهِ فِي قَصِيدَتَيْنِ، ثُمَّ يَخْتَفِي إِلَىٰ الْأَبَدِ مِـنْ أَعْـمَالِ الشَّـاعِرِ الْكَامِلَةِ ، عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي نَرَاهُ فِي الْبَيَانِ التَّالِي:

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 115 .



(شكل : 8) الأداء الأسلوبي لوزن المجتث

(7/5/1) وَزْنُ الْبَسِيطِ:

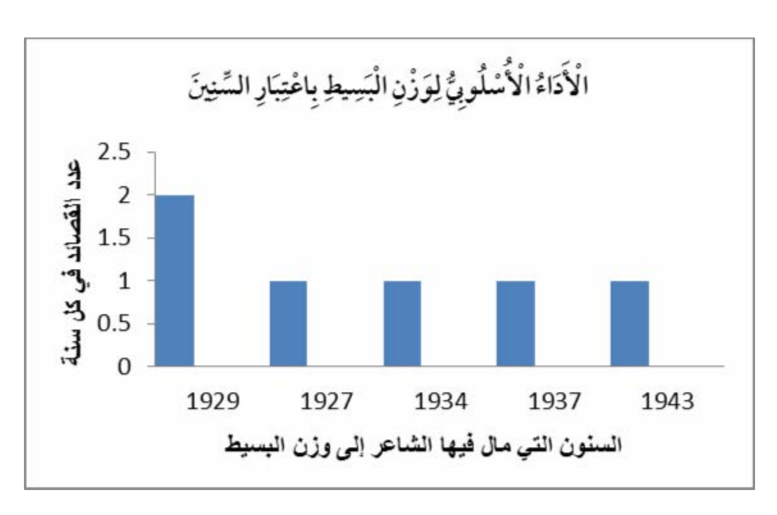
يُعَدُّ الْإِطَارُ الصَّوتِيُّ لِوَزْنِ الْبَسِيطِ مِنَ الْأُطُرِ الَّتِي قَلَّتْ نِسْبَةُ الميْلِ إِلَيْهَا عِنْدَ «قُطْب» ، إِذْ يَأْتِي فِي المرْتَبَةِ السَّابِعَةِ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ عِنْدَهُ بِوَاقِعِ سِتِّ قَصَائِدَ بِنِسْبَةِ 2.5% مِنْ أَعْمَالِهِ.وَهِيَ نِسْبَةٌ مُتَدَنِّيَةٌ أَيْضًا فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ؛إِذْ إِنَّ مَجْمُوعَ أَبْيَاته مِنْ هَذَا الْإِطَارِ94 بَيْتًا بِنِسْبَةِ 4% مِنْ مَجْمُوعِ أَبْيَاته، مُحْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الثَّامِنَةَ.

يَتَكَوَّنُ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الْبَسِيطِ مِنْ 28 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا الْغَلَبَةُ فِيهَا لِلْمَقَاطِعِ الطَّوِيلَةِ، إِذْ بَلَغَتْ 20 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، وَالْبَاقِي لِلْمَقَاطِعِ الْقَصِيرَةِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مِثْلُ وَزْنِ الطَّوِيلِ وَلَكِنَّ الْأَدَاءَ الْأُسْلُوبِيَّ لَهُ عِنْدَ «قُطْب» يَخْتَلِفُ كَمًّا وَكَيْفًا عَنِ الطَّوِيلِ .

1 ـ مَالَ «قُطْب» إِلَىٰ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِوَزْنِ الْبَسِيطِ فِي ثَلَاثَةِ مَوْضُوعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ، وَهُوَ عَدَدٌ قَلِيلٌ جِدًّا مِنَ الموْضُوعَاتِ، تَمَثَّلَ فِي أَرْبَعِ قَصَائِدَ لِلْغَزَلِ، وَوَاحِدَةٌ لِلْحَنِينِ، وَأُخْرَىٰ لِلْوَصْفِ، وَمِنْ خِلَالِ ذَلِكَ نَعْلَمُ أَنَّ الشَّاعِرَ مَالَ إِلَىٰ هَذَا الْوَزْنِ أَكْثَرَ فِي الْغَزَلِ الَّذِي يَشْهَدُ حُضُورًا قَوِيًّا مِنْ خِلَالِ أُطُرٍ صَوْتِيَّةٍ أُخْرَىٰ لِأَوْزَانِ الرَّمَلِ وَالْكَامِلِ وَالخَفِيفِ بَيْنَمَا اخْتَفَىٰ هَذَا الْإِطَارُ فِي مُعْظَمِ مَوْضُوعَاتِ الدِّيوَانِ.

2 ـ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ لـ«قُطْب» فِي هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ أَدَاءٌ تُرَاثِيٌّ يَحدُّهُ الْقَافِيَةُ الموَحَّدَةُ، بِنِسْبَةِ 100 % حَيْثُ إِنَّ جَمِيعَ الْقَصَائِدِ الَّتِي جَاءَتْ فِي هَذَا الْإِطَارِ جَاءَتْ مُوَحَّدَةَ الْقَافِيَةِ، مِمَّا يَجْعَلُ الشَّاعِرُ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ الْقَوْلَانِ السَّابِقَانِ لِلْقِطِّ وَالْبَحْرَاوِيِّ .

3 ـ أَمَّا عَنِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لهَذَا الْإِطَارِ بِاعْتِبَارِ السِّنِين، فَإِنَّنَا نَرَاهُ مِنْ خِلَالِ التَّوْضِيحِ الْبَيَانِي التَّالِي، إِذْ يَكْشِفُ أَنَّهُ بَدَأَ بِهِ بِدَايَةً مُبَكِّرَةً عَامَ 1929 ، وَهِيَ بِدَايَةٌ بِقَصِيدَتَيْنِ، بَعْدَهَا سَارَ بِوَاقِعِ قَصِيدَةٍ كُلَّ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ.



(شكل : 9) الأداء الأسلوبي لوزن المجتث

(8/5/1) وَزْنُ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ :

مَالَ «قُطْب» إِلَىٰ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِوَزْنِ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ بِنَفْسِ دَرَجَةِ مَيْلِهِ إِلَىٰ إِطَارِ الْبَسِيطِ بِنَفْسِ النِّسْبَةِ، وَنَفْسِ المرْتَبَةِ، إِلَّا أَنَّ نِسْبَةَ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ لِإِطَارِ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ أَطْوَلُ، إِذْ يَبْلُغُ عَدَدُ أَبْيَاتِ هَذَا الْإِطَارِ 112 بَيْتًا، بِنِسْبَةِ 5 % مُحْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ السَّابِعَةَ مُتَقَدِّمًا عَنِ الْبَسِيطِ.

1 ـ احْتَوَىٰ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ أَرْبَعَةَ مَوْضُوعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ بِنِسَبٍ ضَئِيلَةٍ، وَهِيَ الحَنِينُ:قَصِيدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالتَّأَمُّلَاتُ قَصِيدَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَالْوَصْفُ:قَصِيدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالْغَزَلُ: ثَلَاثُ قَصَائِدَ، وَهَكَذَا يَكُونُ هَذَا الْإِطَارُ أَوْسَعَ عِنْدَ «قُطْب» لاحْتِوَاءِ تَجْرِبَةِ الحُبِّ كَمَوْضُوعٍ شِعْرِيٍّ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ مَوْضُوعٍ آخَرَ.

2 ـ حُدُودُ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لهَذَا الْوَزْنِ كَانَتْ حُدُودًا مُوَحَّدَةً بِالْقَافِيَةِ الموَحَّدَةِ بِنِسْبَةِ 100 % حَيْثُ إِنَّ جَمِيعَ قَصَائِدِ الشَّاعِرِ بِهَذَا الْإِطَارِ جَاءَتْ مُوَحَّدَةَ الْقَافِيَةِ، وَبِدُونِ أَسْطُرٍ شِعْرِيَّةٍ .

3 ـ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ لهذَا الْإِطَارِ بِاعْتِبَارِ السِّنِينَ أَدَاءٌ بَاهِتٌ بَدَأَ عَامَ 1928 بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَانْتَهَىٰ مُبَكِّرًا عَامَ 1937، إِلَّا أَنَّهُ ظَلَّتْ قَصِيدَةٌ بِعُنْوُانِ«الخَطَرُ» بِمَوْضُوعِ الْغَزَلِ جَاءَتْ غَيْرَ مُحَدَّدَةِ الزَّمَنِ، كَانَ مَطْلَعُهَا:

بُشْرَىٰ فَمَا دَامَتْ هُنَا   فَعَلَامَ تَقْرُبُنَا النُّذُرْ[1]

وَهِيَ تَشِي بِأُسْلُوبِ الشَّاعِرِ فِي عَام 1934، حَيْثُ كَانَ يَرَىٰ فِي الحَبِيبِ عَالما مِثَالِيًّا مِنَ الجَمَالِ وَالحُسْنِ، يَقُولُ :

تِـهْ أَيُّهَا الحُسْنُ الْأَغَرّ   وَامْرَحْ بِنَفْسِكَ وَازْدَهِرْ

(9/5/1) وَزْنُ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ:

يُعَدُّ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ مِنَ الْأُطُرِ الَّتِي كَانَ «قُطْب» قَلِيلَ المَيْلِ إِلَيْهَا، حَيْثُ اسْتَخْدَمَهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَقَطْ، بِنِسْبَةِ 4% مِنْ أَعْمَالِهِ، فَاحْتَلَّ بِذَلِكَ المرْتَبَةَ الثَّامِنَةَ فِي تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ، وَهَذِهِ النِّسْبَةُ لَا تَختَلِفُ كَثِيرًا فِي تَرْتِيبِ الْوَزْنِ فِي سُلَّمِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، حَيْثُ كَانَ مَجْمُوعُ أَبْيَاتِ الشَّاعِرِ مِنْ ذَلِكَ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ 68 بَيْتًا بِنِسْبَةِ 3 % مُحْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ التَّاسِعَةَ.

1 ـ احْتَوَىٰ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ مَوْضُوعَيْنِ فَقَط مِنَ الموْضُوعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ «قُطْب»؛وَهُمَا الحَنِينُ:قَصِيدَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَالْغَزَلُ:أَرْبَعُ قَصَائِدَ.

2 ـ تَنَوَّعَتْ أَشْكَالُ حُدُودِ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ عِنْدَ «قُطْب» تَنَوُّعًا كَبِيرًا، فَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذَا الْإِطَارَ قَلِيلُ الشُّيُوعِ، إِلَّا أَنَّ لَيْسَ ثَمَّةَ قَصِيدَةٌ تُشْبِهُ أُخْرَىٰ فِي نِظَامِ تَوْزِيعِ الْقَافِيَةِ، وَهَذَا مَا يُوَضِّحُهُ الْعَرْضُ التَّالِي :

نظام القافية	الموحدة	المثلث	مربع مشرع	مربع مذيل	مسمط
العدد	1	1	1	1	1

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 186 .

وَالْعَرْضُ يُوَضِّحُ أَنَّ الشَّاعِرَ نَوَّعَ فِي نِظَامِ الْقَافِيَةِ لِهٰذَا الْإِطَارِ مَا بَيْنَ الْقَافِيَةِ الموَحَّدَةِ وَالمثَلَّثِ وَالمرَبَّعِ بِنَوْعَيْهِ وَالمُسَمَّطِ.

3 ـ أَمَّا عَنِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لهذَا الْإِطَارِ بِاعْتِبَارِ سِنِي إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ، فَقَدْ كَانَ ظُهُورُهُ الْأَوَّلُ عَامَ 1934 ظُهُورًا قَوِيًّا بِأَرْبَعَةِ قَصَائِدَ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اخْتَفَىٰ طَوِيلًا إِلَىٰ أَنْ ظَهَرَ عَامَ 1943 بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ قَصِيدَةُ «نِدَاءُ الخَرِيفِ» الَّتِي مَطْلَعُهَا:

تَعَالَيْ أَوْشَكَتْ أَيَّامُنَا تَنْفُدْ

تَعَالَيْ أَوْشَكَتْ أَنْفَاسُنَا تَبْرُدْ

بِلَا أَمَلٍ، وَلَا لُقْيَا ، وَلَا مَوْعِدْ[1]

(10/5/1) وَزْنُ الْوَافِرُ :

عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْإِطَارَ الصَّوْتِيَّ لِوَزْنِ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ شَهَدَ حُضُورًا ضَعِيفًا فِي أَعْمَالِ «قُطْب»، فَقَدْ ظَهَرَ الْوَافِرُ بِصُورَتِهِ الْكَامِلَةِ ظُهُورًا أَكْثَرَ ضَعْفًا؛إِذْ جَاءَ فِي المرتَبَةِ التَّاسِعَةِ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ الْأَوْزَانِ عِنْدَ الشَّاعِرِ، مُتَمَثِّلًا فِي قَصِيدَتَيْنِ فَقَطْ بِنِسْبَةِ 1%، وَهَذِهِ المرْتَبَةُ المتَدَنِّيَةُ صَاحَبَهَا تَدَنٍّ آخَرُ فِي نِسْبَةِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، إِذْ إِنَّ عَدَدَ أَبْيَاتِهِ 18 بَيْتًا فَقَطْ بِنِسْبَةِ 1% مِنْ مَجْمُوعِ أَبْيَاتِ الشَّاعِرِ مُحْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الْعَاشِرَةَ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ.

1 ـ اسْتَخْدَمَ «قُطْب» هَذَا الْإِطَارَ الصَّوْتِيَّ فِي مَوْضُوعِ الْغَزَلِ فَقَطْ.

2 ـ كَانَ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ لَهُ فِي هَذَا الْوَزْنِ مُحَدَّدًا بِالْقَافِيَةِ الموَحَّدَةِ فَقَطْ.

3 ـ مَالَ «قُطْب» إِلَىٰ هَذَا الْإِطَارَ الصَّوْتِيِّ فِي عَامِ 1934 فَقَطْ.

وَالْقَصِيدَتَانِ هُمَا : «يَقَظَةٌ» و«الْكَوْنُ الجَدِيدُ»[2] ، يَقُولُ فِي مَطْلَعِ الْأُولىٰ:

سَهِرْتِ إِذَنْ تَعَالَيْ حَدِّثِينِي ... بِمَا أَحْسَسْتِ مِنْ حَرَقِ الحَنِينِ

فَقَدْ جَرَّبْتُهُ سَهَرَ اللَّيَالِي ... وَقَدْ خُبِّرْتُ تَسْهِيدَ الجُفُونِ

وَيُقولُ فِي مَطْلَعِ الثَّانِيَةِ :

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 92 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 188 . والقصيدة الثانية ص 192 .

تَـغَـنِّي وَامْـلَئِي الدُّنْيَا نَشِيدَا وَحَيِّي ذَلِكَ الْكَوْنَ الجَدِيدَا

فَـإِنَّ الْـحُبَّ أَبْـدَعَـــهُ وَإِنِّي نَظَمْتُ عَلَىٰ بَدَائِعِهِ الْقَصِيدَا

(11/5/1) وَزْنُ مَجْزُوءِ الرَّمَلِ :

يُمَثِّلُ وَزْنُ مَجْزُوءِ الرَّمَلِ المرْحَلَةَ الْأَخِيرَةَ لِلْأَوْزَانِ فِي شِعْرِ «قُطْب» بِنِسْـبَةِ 1%؛ إِذْ مَـالَ إِلَيْـهِ الشَّـاعِرِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ، هِيَ قَصِيدَةُ «رُقْيَةُ الحُبِّ» ، الَّتِي مَطْلَعُهَا :

خَـيَّــمَ اللَّيْـلُ فَنَامِي فِي هُـدُوءٍ وَسَــــلَامِ

رَفَّ مِنْ حَوْلِكِ قَلْبٌ عَلَّمَ الْـحُبَّ التَّسَامِي(1)

وَهِيَ مِنْ مَوْضُوعِ الْغَزَلِ، نَظَمَهَا الشَّاعِرُ فِي 18 بَيْتًا بِقَافِيَةٍ مُوَحَّدَةٍ، وَهِيَ مِنْ قَصَائِدِ عَامِ الذَّرْوَةِ عِنْدَ «قُطْب» 1934 .

مِـنْ خِـلَالِ النِّقَـاطِ السَّـابِقَةِ تَعَرَّضْـنَا إِلَىٰ دِرَاسَـةِ الْأَدَاءِ الْأُسْـلُوبِيِّ لِلْأُطُـرِ الصَّـوْتِيَّةِ لِـلْأَوْزَانِ الَّتِـي مَـالَ إِلَيْهَا«قُطْب» فِي مَجْمُوعِ أَشْعَارِهِ، وَالَّتِي ظَهَر مِنْ خِلَالها أَنَّ الْأُطُرَ الصَّوْتِيَّةَ لِأَوْزَانِ:الرَّمَلِ وَالْكَامِـلِ وَالخَفِيـفِ وَالطَّوِيلِ هِيَ أَكْثَرُ الْأُطُرِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا وَارْتَبَطَتْ هَذِهِ الْأَكْثَرِيَّةُ بِطُولِ النَّفَسِ الشِّـعْرِيِّ لَـهُ فِي كُـلِّ إِطَـارٍ صَوْتِيٍّ مَعَ تَعْدِيلٍ طَفِيفٍ فِي مَرْتَبَةِ كُلِّ وَزْنٍ، بَقِيَ لَنَا أَنْ نَدْرُسَ الْبِنْيَةَ المقْطَعِيَّةَ لِكُلِّ وَزْنٍ، وَذَلِكَ لِتِبْيَانِ عَلَاقَةِ هَذِهِ البِنْيَةِ بِنِسْبَتَي الميْلِ وَطُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ ، وَهَذَا مَا سَوْفَ نَدْرُسُهُ فِي الْفَقْرَةِ التَّالِيَةِ.

(6/1) الْبِنْيَةُ الْـمَقْطَعِيَّةُ لِلْأَوْزَانِ :

تَنْقَسِمُ أَوْزَانُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ مِنْ حَيْثُ عَدَدِ مَقَاطِعِهَا الصَّوْتِيَّةِ ثَلَاثَ مَجْمُوعَاتٍ:

أ ـ مَجْمُوعَةُ 30 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، وَيُمَثِّلُهَا الْكَامِلُ وَالْوَافِرُ.

ب ـ مَجْمُوعَةُ 28 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، وَيُمَثِّلُهَا الطَّوِيلُ وَالْبَسِيطُ وَالمدِيدُ.

ج ـ مَجْمُوعَةُ 24 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، وَيُمَثِّلُهَا بَاقِي أَوْزَانِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ.(2)

(1) السابق، ص 189 .

(2) محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 21 .

وَالجدْوَلُ التَّالِي رقم (6) يُوَضِّحُ الْبِنْيَةَ المَقْطَعِيَّةَ لِلْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ فِي شِعْرِ«قُطْب» مُرَتَّبَـةً حَسـبَ سُـلَّمِ التَّرْتِيبِ المذْكُورِ فِي بِدَايَةِ الْفَصْلِ :

م	الْوَزْنُ	عَدَدُ المقَاطِعِ		الدَّائِرَةُ الْعَرُوضِيَّةُ
		الْقَصِيرَةُ	الطَّوِيلَةُ	
1	الرَّمَلُ	6	18	المجْتَلَبُ
2	الْكَامِلُ	18	12	المؤْتَلِفُ
3	الخَفِيفُ	6	18	المشْتَبَهُ
4	الطَّوِيلُ	8	20	المخْتَلَفُ
5	المتَقَارِبُ	6	18	المتَفِّقُ
6	المجْتَثُّ	6	18	المشْتَبِهُ
7	الْبَسِيطُ	8	20	المخْتَلِفُ
8	الْوَافِرُ	18	12	المؤْتَلِفُ

ثُمَّ نُورِدُ جَدْوَلَ رقم (7) وفيه مَرَاتِب طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ كَيْ تَتَّضِحَ وِجْهَةَ الدِّرَاسَةِ فِي هَذِهِ المرْحَلَـةِ الْبَحْثِيَّةِ :

م	الْوَزْنُ	عَدَدُ الْأَبْيَاتِ	النِّسْبَةُ %
1	الرَّمَلُ	576	% 25
2	الطَّوِيلُ	365	%16
3	الخَفِيفُ	347	%15
4	الْكَامِلُ	331	%14
5	المُتَقَارِبُ	191	%8
6	المُجْتَثُّ	170	%8

7	م. الْكَامِلِ	112	%5
8	الْبَسِيطُ	94	%4
9	م. الْوَافِرُ	68	%3
10	الْوَافِرُ	18	%1
11	م. الرَّمَلِ	18	%1
المجْمُوعُ		2290	%100

1ـ يَظْهَرُ مِنْ خِلَالِ الجَدْوَلِ الْأَوَّلِ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْزَانِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا «قُطب» كَانَتْ مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِطُولِ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ، فَوَزْنُ «الرَّمَلُ» يَتَكَوَّنُ مِنْ 18 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا طَوِيلًا مُقَابِلَ 6 مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ، وَجَاءَ طُولُ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ لَهُ بِوَاقِعِ 576 بَيْتًا، وَهُوَ أَكْبَرُ عَدَدِ أَبْيَاتٍ تَتَوَفَّرُ لِوَزْنٍ مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا، كَذَا أَكْبَرُ عَدَدِ أَشْطُرٍ أَيْضًا، إِذْ بَلَغَ عَدَدُهَا فِي هَذَا الْوَزْنِ 154 شَطْرًا مِنْ مَجْمُوعِ 292 شَطْرًا فِي شِعْرِهِ وَوَزْنُ «الطَّوِيلُ» يَتَكَوَّنُ مِنْ 20 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا طَوِيلًا مُقَابِلَ 8 مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ وَجَاءَ طُولُ النَّفَسِ الشَّعْرِيِّ لَهُ بِوَاقِعِ 365 بَيْتًا، أَمَّا وَزْنُ «الخَفِيفُ» فَجَاءَ بِمِثْلِ مَا جَاءَ الرَّمَلُ وَجَاءَ طُولُ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ لَهُ بِوَاقِعِ 333 بَيْتًا، وَمِنْ ثَمَّ نَخْرُجُ بِالنَّتِيجَةِ الَّتِي خَرَجَ بِهَا جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِ وَمُحَمَّدُ الهَادِي الطَّرَابُلْسِيُّ ، وَهِيَ أَنَّ طُولَ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ مُرْتَبِطٌ بِطُولِ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ، وَهَذَا مَا نَرَاهُ عِنْدَ «قُطْب» أَيْضًا، يَقُولُ الطَّرَابُلْسِيُّ نَقْلًا عَنِ ابْنِ الشَّيْخِ :«حَظُّ الْبَحْرِ مِنَ التَّوَاتُرِ مُرْتَبِطٌ بِحَظِّهِ مِنَ الطُّولِ ، فَكُلَّمَا كَثُرَتْ مَقَاطِعُهُ كَبُرَ حَظُّهُ مِنَ الاسْتِخْدَامِ».[1]وَلَعَلَّ مَا سَبَقَ يُفَسِّرُ لَنَا مَجِيءَ وَزْنِ الْكَامِلِ فِي المرْتَبَةِ الرَّابِعَةِ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ .

2 ـ فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ وَزْنَ الْبَسِيطِ مِنَ الْأَوْزَانِ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِطُولِ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ جَاءَ طُولُ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ فِيهِ 94 بَيْتًا فَقَطْ مُحْتَلًّا بِهَا المرْتَبَةَ الثَّامِنَةَ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ مِمَّا يَتَنَافَىٰ مَعَ النَّتِيجَةِ السَّابِقَةِ.وَنَقُولُ:إِنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَمِلْ إِلَىٰ الْبَسِيطِ إِلَّا فِي 6 قَصَائِدَ وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ عَدَدَ أَبْيَاتِهِ يَفُوقُ عَدَدَ أَبْيَاتِ الْوَافِرِ وَمَجْزُوئِهِ

(1) محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 34 .

الَّذِي يَبْلُغُ طُولُ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ فِيهِمَا 86 بَيْتًا مِنْ مَجْمُوعِ 7 قَصَائِدَ بَيْنَمَا قَصَائِدُ الْبَسِيطِ 6 قَصَائِدَ فَقَطْ كَمَا ذُكِرَ، مِمَّا يُؤَكِّدُ صِحَّةَ انْطِبَاقِ النَّتِيجَةِ السَّابِقَةِ عَلَى أُسْلُوبِيَّةِ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ عِنْدَ «قُطْب».

3ـ إِذَا مَا ذَهَبْنَا إِلَىٰ الْوَزْنَيْنِ الْأَكْثَرِ مَيْلًا عِنْدَ الشَّاعِرِ فَسَنَجِدُ أَنَّ عَدَدَ أَبْيَاتِ الرَّمَلِ وَمَجْزُوئِهِ 594 بَيْتًا، وَأَنَّ عَدَدَ أَبْيَاتِ الْكَامِلِ وَمَجْزُوئِهِ 433 بَيْتًا.وَهَذَا يُؤَكِّدُ لَنَا أَنَّ الْأَدَاءَ الْعَرُوضِيَّ عِنْدَ «قُطْب» يَتَّفِقُ مَعَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ الصَّوْتِيَّاتِ الَّذِينَ يُقَدِّرُونَ نِسْبَةَ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ الْقَصِيرَةِ فِي الْكَلَامِ بِنِسْبَةِ 45% وَالطَّوِيلَةِ بِنِسْبَةِ 55% .[1]

4ـ بَقِيَ أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ أَنَّ أَكْثَرَ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ اسْتِمْرَارًا عَبْرَ مَرَاحِلِ إِبْدَاعِ الشَّاعِرِ كَانَتِ الْأُطُرَ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِكَثْرَةِ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ الطَّوِيلَةِ، مِنْ خِلَالِ أَوْزَانِ:الرَّمَلِ وَالطَّوِيلِ وَالخَفِيفِ وَالمتَقَارِبِ وَالمُجْتَثِّ وَالْبَسِيطِ.وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ مَجْمُوعِ أَبْيَاتِ هَذِهِ الْأَوْزَانِ مُجْتَمِعَةً فِي مُقَابِلِ وَزْنِ الْكَامِلِ وَمَجْزُوئِهِ.

<u>مِنْ خِلَالِ جَمِيعِ النِّقَاطِ السَّابِقَةِ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ :</u>

1 ـ إِنَّ أُسْلُوبِيَّةَ الْأَدَاءِ الْعَرُوضِيِّ عِنْدَ «قُطْب»لَا تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنْ أَقْرَانِهِ فِي نَفْسِ الاتِّجَاهِ الْأَدَبِيِّ، بَلْ إِنَّهُ يَقِفُ مَعَهُمْ عَلَىٰ نَفْسِ التُّرْبَةِ الصَّوْتِيَّةِ.

2 ـ إِنَّ الْأَدَاءَ الْعَرُوضِيَّ عِنْدَ «قُطْب» أَدَاءٌ كِلَاسِيكِيُّ الطَّابِعِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَيْسَ بِدْعًا مِنْ شُعَرَاءِ هَذَا الاتِّجَاهِ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الخُرُوجَ عَنِ التُّرَاثِ الْعَرُوضِيِّ كَمَا يَذْكُرُ د.الْبَحْرَاوِيُّ، وَإِنْ جَاءَتْ قَصَائِدُهُم بِمَسْحَةٍ عَصْرِيَّةٍ مُوَاكِبَةٍ لِلْحَيَاةِ الحَدِيثَةِ كَمَا أَكَّدَ عَلَىٰ ذَلِكَ د.الْقِطُّ.

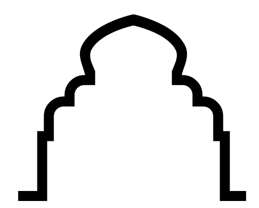
3 ـ ظَلَّتِ الْأُطُرُ الصَّوْتِيَّةُ لِأَوْزَانِ الرَّمَلِ وَالطَّوِيلِ وَالخَفِيفِ وَالْكَامِلِ هِيَ الْأَكْثَرُ شُيُوعًا وَطُولَ نَفَسٍ فِي شِعْرِ «قُطْب» عَبْرَ مَرَاحِلِ إِبْدَاعِهِ، وَبِخَاصَّةٍ سَنَةَ 1934 .

4 ـ إِنَّ الْأُطُرَ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِكَثْرَةِ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ الطَّوِيلَةِ هِيَ الْأَطْوَلُ نَفَسًا عِنْدَ «قُطْب»، وَهَذَا يُفَسِّرُ مَجِيءَ وَزْنِ الْكَامِلِ فِي مَرْتَبَةٍ رَابِعَةٍ فِي إِحْصَاءِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ مَجِيئِهِ فِي المرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ أَوْزَانِهِ، كَمَا يُفَسِّرُ مَجِيءَ الْبَسِيطِ فِي مَرْتَبَةٍ أَعْلَىٰ مِنَ الْوَافِرِ وَمَجْزُوئِهِ.

(1) نفسه ، ص 34 .

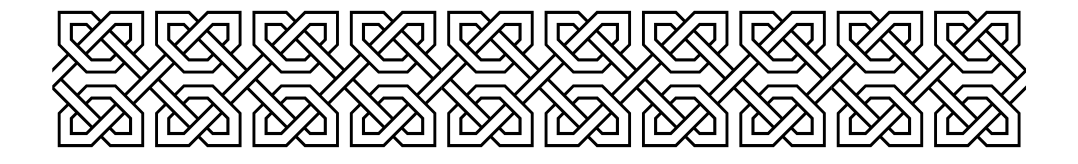
5 ـ وَفِي الْأَخِيرِ تَتَّفِقُ أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الْعَـرُوضِيِّ عِنْـدَ «قُطْـب» مَـعَ مَـا ذَهَـبَ إِلَيْـهِ عُلَـمَاءُ الصَّـوْتِيَّاتِ الَّـذِينَ يُقَدِّرُونَ نِسْبَةَ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ الْقَصِيرَةِ فِي الْكَلَامِ بِنِسْبَةِ 45% وَالطَّوِيلَةِ بِنِسْبَةِ 55%.

وَبَعْدَ أَنْ دَرَسْنَا أُسْلُوبِيَّةَ الْأَدَاءِ فِي الْأُطُرِ الخَارِجِيَّةِ لِلأَوْزَانِ نَنْتَقِلُ إِلَىٰ دِرَاسَـةِ أَدَاءِ الشَّـاعِرِ دَاخِـلَ هَـذِهِ الْأُطُرِ، وَهَذَا هُوَ مَوْضُوعُ الْفَصْلِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْبَابِ.



الفصل الثاني

الْوَحْدَاتُ الصَّوْتِيَّةُ



الفصل الأول

الْوَحْدَاتُ الصَّوْتِيَّةُ

(1/2) إِنَّ دِرَاسَةَ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِلتَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ لِلنَّصِّ الشِّعْرِيِّ يَجِبُ أَلَّا تَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الْإِطَارِ الخَارِجِيِّ لِلْوَزْنِ؛بَلْ لَابُدَّ لهَا أَنْ تَسْعَىٰ صَوْبَ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِلْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ، بِمَا أَنَّهَا لَبِنَاتُ هَذَا الْبِنَاءِ الْعَرُوضِيِّ، إِنَّ التَّفْعِيلَةَ هِيَ « أَسَاسُ النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ الَّذِي يَقُومُ بِتَكْرَارِهِ الشِّعْرُ ...، فَهِيَ لَيْسَتْ صَوْتًا مُفْرَدًا، بَلْ عَدَدٌ صَغِيرٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ يَنْضَمُّ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ فِي نَسَقٍ بِعَيْنِهِ، وَاخْتِلَافُ هَذَا النَّسَقِ هُوَ سَبَبُ اِخْتِلَافِ التَّفعِيلَاتِ».[1] وَمِنْ ثَمَّ يُصْبِحُ التَّشْكِيلُ الصَّوْتِيُّ لِهذِهِ الْوَحْدَاتِ دَالًّا أَصِيلًا مِنْ دَوَالِّ النَّصِّ، يُسْهِمُ ـ بِقَدْرٍ كَبِيرٍ ـ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الدَّوَالِ التَّرْكِيبِيَّةِ وَالتَّصْوِيرِيَّةِ فِي إِنْتَاجِ دِلَالَةِ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ.

(2/2) يُعَدُّ «الزِّحَافُ» أَحَدَ أَبْرَزِ التَّشْكِيلَاتِ الصَّوْتِيَّةِ فِي التَّفْعِيلَةِ، لَيْسَ فَقَطْ لِإِجَازَةِ الْعَرُوضِيِّينَ لَهُ؛بَلْ أَيْضًا لِأَنَّهُ «لَا يَكَادُ يَسْلَمُ مِنْهُ شِعْرٌ»[2]، وَالشَّاعِرُ يَلْجَأُ إِلَيْهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ؛ لِإِحْدَاثِ تَآلُفِهِ الصَّوْتِيِّ المتَمَثِّلِ فِي الْوَزْنِ، بَيْدَ أَنَّ الشَّاعِرَ الْبَارِعَ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُوائِمَ بَيْنَ هَذَا التَّآلُفِ الصَّوْتِيِّ وَيَجْعَلُهُ دَالًّا أَصِيلًا فِي إِنْتَاجِ دَلَالَةِ النص، مِمَّا يَجْعَلُهُ يَظْهَرُ وَكَأَنَّهُ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ سَعْيَ قَاصِدٍ مُدْرِكٍ.

(1/2/2) يُعَدُّ «الخَبْنُ» مِنْ أَهَمِّ الزِّحَافَاتِ الْعَرُوضِيَّةِ المُجَازَةِ ظُهُورًا فِي شِعْرِ «قُطْب»؛ ذَلِكَ لِأَنَّ«الخَبْنَ» يَدْخُلُ خَمْسَ تَفْعِيلَاتٍ:«مُسْتَفْعِلُنْ»و«فَاعِلُنْ»و«فَاعِلَاتُنْ»و«مُسْتَفْعِ لُنْ»[3] و«مَفْعُولَاتُ»، وَقَدِ اسْتَخْدَمَ «قُطْب» أَرْبَعًا مِنْهَا فِي الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ لِأَوْزَانِ:الرَّمَلِ وَالخَفِيفِ وَالمُجْتَثِّ وَالْبَسِيطِ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَهَذِهِ التَّفْعِيلَاتُ هِيَ اللَّبِنَاتُ المكَوِّنَةُ لِأَكْثَرِ الْأَوْزَانِ عِنْدَهُ اِسْتِخْدَامًا، وَمِنْ ثَمَّ يُعَدُّ «الخَبْنُ» مِنْ أَكْثَرِ الصُّوَرِ الزِّحَافِيَّةِ تَكْرَارًا .

---

(1) د . عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، ص 83 ، 84 .

(2) ابن رشيق القيرواني : العمدة ، 145/1 .

(3) ذكر د. إبراهيم أنيس أنه ليس ثمة فارق صوتي بين «مستفعلن» و«مستفع لن» ، انظر موسيقىٰ الشعر ، ط . مكتبة الأنجلو المصرية ، ط . 2 ، 1952 ، ص 51 .

ـ فَفِي قَصِيدَةِ «عُزْلَةٌ فِي ثَوْرَةٍ» [مِنَ الرَّمَلِ] وَهِيَ أُولَىٰ قَصَائِدِ الدِّيوَانِ يَدْخُلُ الخَبْنُ «فَاعِلَاتُنْ» 66 مَرَّةً ، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ عَدَدَ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ 36 بَيْتًا، وَفِي كُلِّ بَيْتٍ 3 تَفْعِيلَاتٍ كَانَ عَدَدُ تَفْعِيلَاتِ الْقَصِيدَةِ 108 تَفْعِيلَةٍ، مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الخبْنَ دَخَلَ أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثَيْ عَدَدِ التَّفْعِيلَاتِ يَقُولُ :

وَحَبِيبٍ قَدْ سَمَتْ رُوحِي إِلَيْهِ	وَعَبَدْتُ الطُّهْرَ فِيهِ وَالْجَمَالْ
وَوَقَفْتُ النَّفْسَ وَالْفِكْرَ عَلَيْهِ	وَالْأَمَانِيَّ وَأَطْيَافَ الْخَيَالْ
وَرَأَىٰ مِنِّي أَسِيرًا فِي يَدَيْهِ	فَتَوَلَّىٰ لَاهِيًا عَنِّي وَمَالْ[1]

يُسْهِمُ «الخَبْنُ» هُنَا فِي تَوْلِيدِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ لهَذِهِ المقْطُوعَةِ مِنَ الْقَصِيدَةِ ؛ إِذْ إِنَّهُ يَتَوَزَّعُ فِي تَشْكِيلٍ صَوْتِيٍّ فَنِّيٍّ بِدَرَجَةٍ عَالِيَةٍ، فَالشَّاعِرُ يَبْدَأُ كُلَّ بَيْتٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ بِالتَّفْعِيلَةِ المخْبُونَةِ «وَحَبِيبِ » = (///ه/ه) ، و «وَوَقَفْتُ انْ» =(///ه/ه) ، و «وَرَأَىٰ مِنْـ »= (///ه/ه) مِمَّا يُظْهِرُ وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَقْصِدُهُ قَصْدًا.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ تَأْتِي التَّفْعِيلَةُ الْأُولَىٰ مِنْ عَجُزِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مَخْبُونَةً أَيْضًا «وَعَبَدْتُ اطْ» = (///ه/ه) فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ تَلَازُمِ حُبِّ هَذَا الحَبِيبِ بِقَلْبِهِ، إِلَىٰ أَنْ بَلَغَ حَدَّ الْعِبَادَةِ، فَهُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الشَّاعِرِ رَمْزٌ لِلطُّهْرِ وَالْبَرَاءَةِ وَالجَمَالِ، فَهُوَ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ كُلَّ السَّعْيِ، وَلِنَتَأَمَّلْ قَوْله: «قَدْ سَمَتْ رُوحِي إِلَيْهِ» فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهُ قَدْ تَكَوَّنَ مِنْ تَفْعِيلَتَيْنِ سَالِمَتَيْنِ (/ه//ه/ه) دُونَ خَبْنٍ ، فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ أَنَّهُ يَسْمُو بِرُوحِهِ إِلَىٰ هَذَا الحَبِيبِ سُمُوًّا كَامِلًا سَالمًا مِنْ كُلِّ أَغْرَاضٍ دَنِيئَةٍ، فَكَمَالُ التَّفْعِيلَةُ هُنَا مُعَادِلٌ مَوْضُوعِيٌّ لِكَمَالِ السُّمُوِّ وَالطُّهْرِ وَالجَمَالِ.

وَإِذَا أَتَيْنَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الثَّانِي فَسَوْفَ تُطَالِعُنَا تَفْعِيلَةُ «وَوَقَفْتُ» المخْبُونَةُ فِي تَنَاسُقٍ صَوْتِيٍّ مَعَ الَّتِي قَبْلَهَا، وَسَوْفَ نَجِدُهَا فِي تَنَاسُقٍ صَوْتِيٍّ مَعَ التَّفْعِيلَةِ الَّتِي تُجَاوِرُهَا «رَعَلَيْهِ» (///ه/ه) ، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ بِهَذَا الخَبْنِ لهذِهِ التَفْعِيلَةِ يَضَعُهَا فِي تَوَازٍ مَعْنَوِيٍّ يُعْطِي دَلَالَةَ التَّخْصِيصِ لهذَا الحَبِيبِ فَهُوَ قَدْ أَوْقَفَ كَامِلَ نَفْسِهِ وَفِكْرِهِ عَلَىٰ هَذَا الحَبِيبِ دُونَ غَيْرِهِ.

أَمَّا التَّفْعِيلَةُ المخْبُونَةُ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ الثَّالِثِ وَالَّتِي تَتَنَاسَقُ صَوْتِيًّا مَعَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا، فَهِيَ تُعْلِمُنَا أَنَّ هَذَا «الحَبِيبَ» الَّذِي «أَوْقَفَ» عَلَيْهِ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ وَفِكْرَهُ، قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ وَ«رَأَىٰ»

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 25 .

أَنَّهُ أَسِيرٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، تَأْتِي الصَّدْمَةُ فِي تَفْعِيلَةِ «فَتَوَلَّىٰ» المخْبُونَةِ (///٥/٥) الَّتِي تَتَوَالَىٰ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ مُتَحَرِّكَةٍ مِمَّا يُعْطِي دِلَالَةَ سُرْعَةِ تَوَلِّي هَذَا الحَبِيبِ عَنِ الشَّاعِرِ، تُسْهِمُ فِي ذَلِكَ أَيْضًا الْفَاءُ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ التَّعْقِيبِ وَالسُّرْعَةِ، وَمِنْ ثَمَّ يَظَلُّ وَحِيدًا فِي عُزْلَةٍ ثَائِرَةٌ نَفْسُهُ ـ وَهَذَا عُنْوَانُ الْقَصِيدَةِ ـ مِنْ هَذَا الحَبِيبِ المُوَلِّي وَجْهَهُ سَرِيعًا.

ـ فِي قَصِيدَةِ «جَوْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ المَاضِي» [مِنَ الخَفِيفِ] يَأْتِي الخَبْنُ مُكَوِّنًا أَسَاسِيًّا لِلدَّلَالَةِ الْعَامَّةِ لِلْقَصِيدَةِ؛إِذْ إِنَّهَا حَالَةٌ مِنْ حَالَاتِ التَّذَكُّرِ وَالحَنِينِ إِلَىٰ المَاضِي الْبَعِيدِ النَّضِرِ الَّذِي يُمَثِّلُ لِلشَّاعِرِ عَالَمَ الطَّهَارَةِ وَالنَّقَاءِ.

يَدْخُلُ الخَبْنُ «مُسْتَفْعِلُنْ» فِي حَشْوِ الْبَيْتِ 62 مَرَّةً، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ عَدَدَ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ 34 بَيْتًا وَأَنَّ «مُسْتَفْعِلُنْ» تَتَكَرَّرُ فِي الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَإِنَّنَا ـ إِذَنْ ـ أَمَامَ 68 تَفْعِيلَةَ«مُسْتَفْعِلُنْ» جَاءَ مِنْهَا 62 تَفْعِيلَةً مَخْبُونَةً، يَعْنِي أَنَّ نَسْبَةَ 95% مِنْ تَفْعِيلَةِ الحَشْوِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ جَاءَ مَخْبُونًا ، بَيْدَ أَنَّنَا لَا بُدَّ أَنْ نَتَخَطَّىٰ هَذَا الْإِحْصَاءَ لِنَرَىٰ كَيْفَ أَسْهَمَ الخَبْنُ فِي تَخْلِيقِ دِلَالَةِ النَّصِّ، يَقُولُ «قُطْب» :

حَدِّثَانِي بِمَا مَضَىٰ حَدِّثَانِي	وَأَعِيدَا إِلَيَّ عَهْدَ الْأَمَانِي
وَاذْكُرَا لِي زَمَانَ عِشْتُ طَرُوبًا	لَا أُبَالِي بِحَادِثَاتِ الزَّمَانِ
وَصِفَا لِي لَيَالِيًا قَدْ تَقَضَّتْ	كُنْتُ فِيهِ كَالْحَالِمِ الْوَسْنَانِ
يَا دِيَارًا نَشَأْتُ فِيهَا صَبِيًّا	وَصَحِبْتُ الشَّبَابَ فِي الْعُنْفُوَانِ
رُبَّ يَوْمٍ قَضَيْتُهُ فِي حُبُورٍ	بَيْنَ جَمْعٍ مِنْ صَفْوَةِ الْخِلَّانِ
دُونَهُ الدَّهْرُ وَالْحَيَاةُ جَمِيعًا	فِي رِضَاءٍ وَمُتْعَةٍ وَامْتِنَانِ
فَرَعَىٰ اللـه عَهْدَ أُنْسٍ أَرَانِي	صُورَةَ الْكَوْنِ فِي جِمَالِ الحِسَانِ[1]

إِنَّ التَّشْكِيلَ الْفَنِّيَّ لِزِحَافِ الخَبْنِ فِي الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يُسْهِمُ فِي تَخْلِيقِ الدِّلَالَةِ الْعَامَّةِ لِلنَّصِّ، وَسَيَكُونُ تَحْلِيلُنَا هُنَا مُرَكَّزًا عَلَىٰ تَفْعِيلَةِ «مُسْتَفْعِلُنْ» الَّتِي فِي حَشْوِ الْبَيْتِ، وَالَّتِي تَأْتِي صُورَتُهَا المخْبُونَةُ بِهَذَا الشَّكْلِ (//٥//٥)، وَهَذَا الشَّكْلُ المكَوَّنُ مِنْ وَتَدَيْنِ مَجْمُوعَيْنِ جَاءَ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة : ص 67 ، 68 ، 69 .

مُكَوِّنًا لمفْرَدَاتٍ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا شَوْقًا وَحَنِينًا إِلَىٰ الماضِي الَّـذِي يَرْغَـبُ الشَّـاعِرُ فِي الْعَـوْدَةِ إِلَيْـهِ؛فَهُوَ عَـالَمُ الطَّهَـارَةِ وَالنَّقَاءِ، وَلِنَتَأَمَّلِ التَّفْعِيلَاتِ الآتِيَةَ مُرَقَّمَةً حسبَ تَرْتِيبِ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ:

1ـ «بِمَا مضىٰ» =(//ه//ه)، «إِلَيَّ عَهْـ» = (//ه//ه)، فَالتَّفْعِيلَـةُ الْأُولَىٰ «بِمَـا مَضَىٰ» جَـاءَتْ دُونَ قَطْـعٍ، وَهِـيَ المطْلُوبُ مِنَ المخَاطَبَيْنِ«حَدِّثَانِي»، فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ أَنَّ الشَّاعِرَ يَرْغَبُ مِنْ مُخَاطَبَيْـهِ إِلَّا يِضَـنَّا عَلَيْـهِ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ المَاضِي الجَمِيلِ، أَمَّا التَّفْعِيلَةُ الثَّانِيَةُ «إِلَيَّ عَهْـ » فَهِيَ تُمَثِّلُ المطْلُوبُ عَوْدَتُهُ، وَهُوَ عَهْدُ الْأَمَـانِي وَالشَّبَابِ؛وَلِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَسْتَطِيعُ إِعَادَةَ الشَّبَابِ لِنَفْسِهِ أَوْ لِلْآخَرِينَ لَـمْ تَكْتَمِـلِ التَّفْعِيلَـةُ وَانْقَطَعَـتْ ـ وَهِيَ المخْبُونَةُ ـ عِنْدَ حَرْفَ الهَاءِ، الَّذِي يُوحِي بِالتَّوَجُّعِ وَالْأَلَمِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ يَحْتَاجُ جُهْدًا عَضَلِيًّا حِينَ النُّطْقِ بِهِ، [1] فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ تَوَجُّعٍ دَفِينٍ مِنْ عَدَمِ إِمْكَانِيَّةِ رُجُوعِ هَذَا الْعَهْدِ النَّضِرِ.

2ـ «زَمَانَ عِشْــ» = (//ه//ه)، «بِحَادِثَـا» = (//ه//ه)، جَـاءَتِ التَّفْعِيلَـةُ الْأُولَىٰ مُكَوَّنَـةً مِـنْ كَلِمَـةِ «زَمَـانَ» وَثُلُثَيْ كَلِمَة «عِشْتُ»، فَالزَّمَانُ هُوَ الظَّرْفُ الَّذِي عَاشَهُ الشَّاعِرُ سَعِيدًا هَانِئًا فِي قَرْيَتِهِ وَهُـوَ المطْلُـوبُ التَّذْكِيرِ بِهِ مِنَ المُخَاطَبَيْنِ، فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ أَنَّهُ يُرِيدُ الْعَوْدَةَ إِلَىٰ هَذَا الزَّمَنِ الجَمِيلِ الَّذِي عَاشَ فِيهِ طَرُوبًـا وَمُغَنِّيًا لَا يَعْبَأُ بِحَادِثَاتِ الزَّمَانِ، تِلْكَ الْكَلِمَةُ الَّتِي كَانَ لهَا وَقْعُ تَأْثِيرٍ سَلْبِيٍّ عَلَىٰ نَفْسِهِ، فَلَمْ تَكْتَمِلْ مَعَ التَّفْعِيلَةِ المخْبُونَةِ، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يُرِيدُ أَنْ يَفِرَّ مِنْهَا؛لِأَنَّها تُذَكِّرُهُ بِحَاضِرِهِ الْكَئِيبِ.

3ـ «لَيَالِيًا» = (//ه//ه)، جَاءَتْ كَلِمَةُ «اللَّيَالِي» مُنَوَّنَةً ؛لِتَتَنَاسَقَ مَعَ التَّفْعِيلَةِ المخْبُونَةِ تَنَاسُقًا صَوْتِيًّا وَمَعْنَوِيًّـا مُبْهِرًا؛إِذْ إِنَّهَا جَاءَتْ كَامِلَةً غَيْرَ مَقْسُومَةٍ إِلَىٰ تَفْعِيلَتَيْنِ، فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ أَنَّ الشَّاعِرَ يُرِيدُ أَنْ يَعُـودَ إِلَىٰ تِلْـكَ اللَّيَالِي الَّتِي كَانَ يَحْيَاهَا سَعِيدًا مَرِحًا بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ عَوْدَةً كَامِلَةً، يُؤَكِّدُ عَـلَىٰ ذَلِـكَ عَـدَمُ مَجِـيءِ تَفْعِيلَةِ«مُسْتَفْعِلُنْ» فِي الْعَجُزِ مَخْبُونَةً بَلْ جَاءَتْ سَالِمةً وَبُجِزْءٍ مِن الْكَلِمَةِ الَّتِي تَلِيهَا «كَالحَـالِمِ لْــ» = (/ه/ه//ه) .

4 ـ «نَشَأْتُ فِيـ» = (//ه//ه) ، «شَبَابَ فِلْ» = (//ه//ه) ، جَاءَتِ التَّفْعِيلَةُ الْأُولَىٰ فِعْـلًا مَاضِـيًا فِي إِشَارَة إِلَىٰ أَنَّ الشَّاعِرَ يَسْـتَعِيدُ لحَظَـةَ المـاضِي مُنْـذُ نَشْـأَتِهِ الْكَامِلَـةِ فِي دَارِهِ وَرِيفِـهِ بَـيْنَ أَبِيـهِ وَأُمِّهِ، وَالملَاحَظُ أَنَّ التَّفْعِيلَةَ المخْبُونَةَ تَحْتَوِي مَعَ الْفِعْلِ الماضِي حَرفَ الجَـرِّ «فِي» الَّـذِي يَـدُلُّ عَـلَىٰ الظَّرْفِيَّـةِ وَالاسْـتِغْرَاقِ، فِي إِشَـارَةٍ إِلَىٰ احْتِـوَاءِ تِلْـكَ الـدِّيَارِ لجَمِيـعِ مَشَـاعِرِه فَـتْرَةَ

(1) د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 33 .

صِغَرِهِ، وَفَتْرَةَ الشَّبَابِ الَّتِي كَانَتْ فَتْرَةَ الْعُنْفُوَانِ الْكَامِلِ لَهُ، يُؤَكِّدُ هَذَا أَيْضًا مَجِيءُ كَلِمَةِ «شَبَاب» كَامِلَةً فِي التَّفْعِيلَةِ المخْبُونَةِ الثَّانِيَةِ .

5 ـ «قَضَيْتُهُ» = (//ه//ه) ، هَذَا الْفِعْلُ الماضِي يُلْقِي بِهِ الشَّاعِرُ نَظْرَةَ تَحَسُّرٍ نَحْوَ ذَلِكَ المَاضِي الجَمِيلِ الَّذِي قَضَىٰ فِيهِ أَيَّامًا«بَيْنَ جَمْعٍ مِنْ صَفْوَةِ الخِلَّانِ»، وَالْعَجِيبُ أَنَّ تَفْعِيلَةَ «مُسْتَفْعِلُنْ» فِي الْعَجُزِ لَمْ تُخْبَنْ، وَهِيَ كَلِمَةُ «مِنْ صَفْوَةِ لْ»، وَهَذِهِ دِلَالَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ أُخْرَىٰ تَتَوَلَّدُ فِي هَذِهِ الوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ السَّالِمةِ؛إِذْ إِنَّ هَذَا الجَمْعَ مِنَ الخِلَّانِ لَمْ يُنْتَقَصْ مِنْ صَفْوِهِ شَيءٌ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَ الشَّاعِرَ يَذْكُرُ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي قَضَاهُ كَانَ يَوْمًا بِجَمِيعِ الحَيَاةِ.

6 ـ «رُ وَالحَيَا» = (//ه//ه)، «وَمُتْعَةٍ» =(//ه//ه)، إِنَّ التَّفْعِيلَةَ الْأُولَىٰ المخْبُونَةُ جَاءَتْ مُكَوَّنَةً مِنْ آخِرِ كَلِمَةِ الدَّهْرِ وَكَلِمَةُ الحَيَاة غَيْرَ المكْتَمِلَةِ، وَهِيَ بِذَلِكَ الخَبْنِ مُعَادلٌ مَوْضُوعِيٌّ بِأَنَّ الدَّهْرَ وَالحَيَاةَ غَيْرَ دَائِمَيْنِ عَلَىٰ حَالٍ، وَهُمَا دَائِمًا كَثِيرَا التَّقَلُّبِ لَكِنَّ الشَّاعِرَ يَتَذَكَّرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي قَضَاهُ مَعَ أَهْلِهِ وَذَوِيهِ، وَهُوَ يَوْمٌ بِالدَّهْرِ وَالحَيَاةِ كُلِّهَا، فَهُوَ قَدْ عَاشَهُ فِي «رِضَاءٍ كَامِلٍ»، وَمِنْ ثَمَّ تَجِيءُ التَّفْعِيلَةُ كَامِلَةً «فِي رِضَاءٍ» =(/ه/ه//ه)، و«مُتْعَةٍ» = (//ه//ه) ، وَهِيَ التَّفْعِيلَةُ المخْبُونَةُ فِي الْعَجُزِ ، الَّتِي يَقِفُ فِيهَا الخَبْنُ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لانْتِقَاصِ مُتَعِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا .

7 ـ «هُ عَهْدَ أُنْـ » = (//ه//ه)، «نِ فِي جَمَا »= (//ه//ه)، فِي التَّفْعِيلَةِ المخْبُونَةِ الْأُولَىٰ تَجِيءُ كَلِمَةُ «عَهْد» مَنَاطُ التَّذَكُّرِ وَالذِّكْرَيَاتِ الجَمِيلَةِ كَامِلَةً مُحَاطَةً بِالهَاءِ مِنْ لَفْظِ الجَلَالَةِ، وَبِثُلُثَيْ كَلِمَةِ «أُنْسٍ» فِي إِشَارَةٍ دِلَالِيَّةٍ إِلَىٰ الرَّغْبَةِ فِي عَوْدَةِ ذَلِكَ الْعَهْدِ؛وَلِأَنَّهُ دَرْبٌ مِنْ دُرُوبِ المسْتَحِيلِ لجَأَ الشَّاعِرُ إِلَىٰ الدُّعَاءِ للـه بِأَنْ يَرْعَىٰ ذَلِكَ الْعَهْدَ الجَمِيلَ الَّذِي رَأَىٰ فِيهِ جَمَالَ الْكَوْنِ وَنَضَارَتِهِ فِي وُجُوهِ حِسَانِ قَرْيَتِهِ؛وَلِأَنَّهُ يُعَانِي مِنْ فَقْدَ هَذَا الجَمَالِ فِي المدِينَةِ بِزِحَامِهَا وَضَجِيجِهَا جَاءَتْ كَلِمَةُ «الجَمَالِ» مُقَسَّمَةً عَلَىٰ تَفْعِيلَتَيْنِ، فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ فَقْدِهِ لِذَلِكَ الجَمَالِ فِي عَالَمِهِ.وَهَكَذَا يُسْهِمُ الخَبْنُ فِي تَخْلِيقِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ؛إِذْ إِنَّنَا يَجِبُ أَلَّا نَنْظُرَ إِلَيْهِ عَلَىٰ أَنَّهُ تَغَيُّرٌ يُصِيبُ الْوَحْدَةَ الصَّوْتِيَّةَ فَحَسْبُ، بَلْ يَجِبُ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَيْضًا عَلَىٰ أَنَّهُ حَامِلُ دِلَالَةٍ، وَلَكِنَّهَا دِلَالَةٌ غَامِضَةٌ تَحْتَاجُ إِلَىٰ إِعْمَالِ النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ.

ـ فِي قَصِيدَةِ «دُعَاءُ الْغَرِيبِ» [مِنَ المُجتَثِّ] ـ وَهِيَ إِحْدَىٰ قَصِيدَتَينِ قَالهَا الشَّاعِرُ وَهُوَ فِي «سَان فَرَانسِسْكُو» بِأَمِرِيكَا ـ تُشَكِّلُ الْوَحْدَاتُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ دَوَائِرَ دَلَالِيَّةٍ تُسْهِمُ فِي

إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ لِلنَّصِّ، الَّذِي جَاءَ مُكَوَّنًا مِنْ 72تَفْعِيلَةً جَاءَتْ مِنْهَا 24 تَفْعِيلَـةً مَخْبُونَـةً مِمَا يُعَـادِلُ ثُلُثَ التَّفْعِيلَاتِ، يَقُولُ «قُطْب» فِي بَعْضٍ مِنْهَا :

يَا نَـائِيَـاتِ الضِّفَافْ   هُـنَـا فَـتَـاكِ الْـحَبِـيـبْ

عَلَـيْـهِ طَـالَ الْـمَطَافْ   مَـتَىٰ يَـعُـودُ الْـغَرِيبْ؟

مَـتَـىٰ تَـمَـسُّ خُـطَـاهْ   ذَاكَ الْأَدِيــمَ الْـمُـغَـبَّرْ

مَــتَــىٰ يَــشُـمُّ شَـذَاهْ   كَـالْأُقْـحُـوَانِ الْـمُعَطَّرْ

مَـتَـىٰ تَــرَىٰ عَـنْـيَـاهْ   تِلْكَ الــرُّبُوعَ الْـمَوَاثِلْ

أَحْـلَامُـهُ وَمُــنَــاهْ   تَدْعُوهُ خَلْفَ الْـحَوَائِلْ

وَحَـنِـيـنُــهُ رَفَّــافْ   إِلَىٰ الـدِّيَـارِ الْبَـعِـيــدَةْ

مَتَىٰ مَتَــىٰ يَـا ضِفَافْ   تَــأْوِي خُـطَاهُ الشَّرِيدَةْ

يَــا أَرْضُ رُدِّي إِلَـيْكِ   هَـٰذَا الْـوَحِـيدَ الْغَرِيبْ

هَــوَاهُ وَقْــفٌ عَـلَيْكِ   رُدِّي فَـتَـاكِ الْـحَبِيبْ[1]

نَذْكُرُ فِي الْبِدَايَةِ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةَ (التَّفْعِيلَاتِ) المخْبُونَةَ، مُرَتَّبَةً بِحَسبِ مَجِيئِهَا فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ :

1 ـ «هُنَا فَتَـا» = (//ه//ه) . 2 ـ «عَلَيْـهِ طَـا» = (//ه//ه) ، و«مَتَـىٰ يَعُـو» = (//ه//ه). 3 ـ «مَتَـىٰ تَمَـسْ» =(//ه//ه) ، و«سُ خُطَاهْ» = (///ه ه) . 4 ـ «مَتَىٰ يَشِمْ» = (//ه//ه) ، و«مُ شَـذَاهْ» = (///ه ه) . 5 ـ «مَتَىٰ تَرَىٰ» = (//ه//ه) .6 ـ «وَمُنَاهْ»= (///ه ه) .7 ـ «حَنِينُهُ» = (//ه//ه) ، و «إِلَىٰ الدِّيا» = (//ه//ه) .8 ـ «مَتَىٰ مَتَىٰ» = (//ه//ه) . 10 ـ «هَوَاهُ وَقْـ »= (//ه //ه) .

إِنَّ المُتَأَمِّلَ لهَذِهِ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ المخْبُونَةِ يَجِدُ أَنَّها تُشَـكِّلُ عَـالَمَ الـنَّصِّ، وَتَرْصُـدُ عَـنْ كَثَـبٍ الْبُعْدَ النَّفْسِيَّ لهذَا الْغَرِيبِ المُتَشَوِّقِ إِلَىٰ بِلَادِهِ، فَالْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ فِي عَجُـزِ الْبَيْـتِ الْأَوَّلِ «هُنَـا فَتَـا» تُحَـدِّدُ مَكَـانَ ذَلِـكَ الْغَرِيـبِ، حَيْـثُ إِنَّـهُ يُنَـادِي بِـلَادَهُ الْبَعِيـدَةَ النَّائِيَـةَ عَنْـهُ، وَيُحَـدِّدُ مَوْقِعَـهُ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة : ص 97 ، 98.

بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا بِاسْمِ الْإِشَارَةِ «هُنَا» الَّذِي شَكَّلَ نِصْفَ التَّفْعِيلَةِ (//ه) ثُمَّ بِالمشَارِ إِلَيْهِ «فَتَىٰ» (//ه) الَّذِي أَخَذَ الجُزْءُ الثَّانِي مِنَ التَّفْعِيلَةِ المخْبُونَةِ؛وَلِأَنَّهُ يَعِيشُ فِي حَالَةِ انْشِطَارٍ؛جَسَدُهُ فِي بَلَدٍ وَعَقْلُهُ وَوِجْدَانُهُ فِي بَلَدِهِ الحَبِيبِ لَمْ تَحْتَوِ الْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ كَلِمَةَ«فَتَىٰ»بِالضَّمِيرِ المُخَاطَبِ الَّذِي انْفَصَلَ إِلَىٰ الْوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ الْأُخْرَىٰ الَّتِي اكْتَمَلَتْ بِهِ «كِ الحَبِيبْ » فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ تَوَحُّدِ المُحِبِّ فِي حَبِيبِهِ حَتَىٰ وَإِنْ نَأَىٰ عَنْهُ.ذَلِكَ عَلَىٰ المسْتَوَىٰ الدِّلَالِيِّ، وَفِي تَوَحُّدٍ صَوْتِيٍّ فِي تَفْعِيلَةْ وَاحِدَةٍ غَيْرِ مَخْبُونَةٍ (/ه//ه ه).

وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي تَأْتِي وَحْدَتَانِ صَوْتِيَّتَانِ مَخْبُونَتَانِ فِي تَنَاسُقٍ مَكَانِيٍّ، إِذْ إِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَحْتَلُّ مَكَانَةَ الصَّدَارَةِ، وَاحِدَةٌ فِي أَوَّلِ الصَّدْرِ وَالْأُخْرَىٰ فِي أَوَّلِ الْعَجُزِ، إِلَّا أَنَّ الْبَدِيعَ فِي هَذَا التَّنَاسُقِ أَنَّهُ جَاءَ مُتَوَائِمًا مَعَ الْبِنَاءِ اللُّغَوِيِّ وَالنَّغْمِيِّ لِلْبَيْتِ، فَالْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ «عَلَيْهِ طَا» تُمَثِّلُ حَالَةَ تَقْدِيمِ شِبْهِ الجُمْلَةِ لِإِفَادَةِ التَّأْكِيدِ عَلَىٰ وَضْعِ الْغُرْبَةِ الَّتِي طَالَ أَمَدُهَا، وَإِطْبَاقِ دَوَائِرِهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ فَقَطْ دُونَ سِوَاهُ، أَمَّا الْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ الْأُخْرَىٰ «مَتَىٰ يَعُو»، فَهِيَ تُمَثِّلُ بِدَايَةَ تَغْيِيرِ الْإِيقَاعِ النَّغْمِيِّ لِلْبَيْتِ، الَّذِي يَتَحَوَّلُ مِنَ الْإِخْبَارِ إِلَىٰ الْإِنْشَاءِ، أَيْ إِنَّ الْإِيقَاعَ يَنْتَقِلُ مِنْ نَغْمَةٍ هَابِطَةٍ إِلَىٰ نَغَمَةٍ صَاعِدَةٍ [1]، وَبِهِ يَبْدَأُ الخَطُّ الْبَيَانِيُّ لِلانْفِعَالِ النَّفْسِيِّ عِنْدَ الشَّاعِرِ يَرْتَفِعُ وَذَلِكَ حِينَ يُكَرِّرُ هَذِهِ الْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَيَصِلُ إِلَىٰ ذَرْوَتِهِ حِينَ يَسْتَبْطِئُ الْعَوْدَةَ بِتَتَابُعِ اسْمِي الاسْتِفْهَامِ مَرَّتَيْنِ مُتَتَالِيَتَيْنِ مُسْتَغِلًّا مَا يُحْدِثَانِهِ مِنْ تَتَابُعٍ وَتَدَيْنِ مَجْمُوعَيْنِ مُكَوِّنًا بِهِمَا الْوَحْدَةَ الصَّوْتِيَّةَ المخْبُونَةَ «مَتَىٰ» (//ه) + «مَتَىٰ» (//ه) = «مُتَفْعِلُنْ» (//ه//ه).

أَمَّا فِي الْبَيْتِ السَّابِعِ فَتَقِفُ وَحْدَتَانِ صَوْتِيَّتَانِ مَخْبُونَتَانِ مَوْقِفًا مُتَمَيِّزًا؛فَهُمَا مِن حَيْثُ التَّنَاسُقِ الصَّوْتِيِّ يَحْتَلَّانِ مَكَانَةَ الصَّدَارَةِ فِي الْبَيْتِ، الْأُولَىٰ فِي أَوَّلِ الصَّدْرِ وَالْأُخْرَىٰ فِي أَوَّلِ الْعَجُزِ، الْأُولَىٰ تَحْتَوِي دَالًّا بِكَامِلِهِ «حَنِينُهُ» =(//ه//ه)، فَهُوَ حَنِينٌ قَوِيٌّ جَارِفٌ لِبَلَدِهِ، وَقَدْ زَادَ مِنْ أَهَمِّيَةِ هَذِهِ الْوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ المخْبُونَةِ وُقُوعُهَا مُبْتَدَأً، فَهُوَ مِلَاكُ الحَدِيثِ وَرَبُّ الجُمْلَةِ نَحْوِيًّا، وَعُمْدَةُ الْإِحْسَاسِ فِي سَائِرِ الْقَصِيدَةِ.أَمَّا الْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ الثَّانِيَةُ فَهِيَ «إِلَىٰ الدِّيَا» = (//ه//ه) فَهِيَ الَّتِي تُحَدِّدُ وُجْهَةَ ذَلِكَ الحَنِينِ الجَارِفِ، فَالحَنِينُ لَيْسَ مَتْرُوكًا بِلَا جِهَةٍ؛ بَلْ إِنَّهُ إِلَىٰ دِيَارِهِ الْبَعِيدَةِ الَّتِي نَادَهَا فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ بِقَوْلِهِ:«يَا نَائِيَاتِ الضِّفَافِ»، بَقِيَ أَنْ

(1) عن أنواع الإيقاع النَّغْمي انظر الفصل الثالث من هذا الباب ففيه مزيد من التوضيح لا يتسع المجال له هنا .

نُشِيرَ إِلَىٰ أَنَّ انْشِطَارَ التَّفْعِيلَةِ الْأَخِيرَةِ وَعَدَمِ اكْتِمَالِهَا يُعَدُّ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِحَالَةِ الانْشِطَارِ الَّتِي يُعَانِيهَا الشَّاعِرُ وَالَّتِي تَعَرَّضْنَا لهَا مِنْ قَبْلُ فِي الْوَحْدَتَيْنِ الصَّوْتِيَّتَيْنِ «هُنَا فَتَاكِ الحَبِيبْ».

فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ تَقِفُ الْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ المخْبُونَةُ«هَوَاهُ وَقْـ »مَوْقِـفَ لحـنِ الخِتَـامِ، وَالمتَأَمِّـلُ لِلْبَيْـتِ الَّذِي قَبْلَهَا يَجِدُ أَنَّ نَغْمَةَ إِيقَاعِهِ كَانَتْ نَغَمَةً صَاعِدَةً مُتَمَثِّلَـةً فِي أُسْـلُوبِ النِّـدَاءِ: «يَـا أَرْضُ رُدِّي إِلَيْـكِ ....» وَعِنْدَ هَذِهِ الْوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ المخْبُونَةِ عَادَتِ النَّغْمَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ مِنَ الصُّعُودِ إِلَىٰ الهُبُوطِ؛ذَلِكَ لِأَنَّهَا تُمَثِّلُ بِدَايَـةَ جُمْلَةٍ خَبَرِيَّةٍ، هِيَ بِمَثَابَةِ إِقْرَارٍ مِنَ الشَّاعِرِ أَنْ يَظَلَّ هَوَاهُ مُخْلِصًـا لهَـا، وَقْفًـا عَلَيْهَـا فَقَـطْ دُونَ سِـوَاهَا، كَـمَا يَفْعَلُ المحِبُّونَ فِي تَذْيِيلِ رَسَائِلِهِمْ بِقَوْلِهِمْ: «المخْلِصُ لَكِ..» أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، هَذِهِ النَّغْمَـةُ التَّقْرِيرِيَّـةُ سُرْعَـانَ مَـا تَتَحَوَّلُ إِلَىٰ نَغْمَةٍ صَاعِدَةٍ أُخْرَىٰ تُمَثِّلُ نِهَايَةَ الخَطِّ الْبَيَانِيِّ لِلْحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ، إِذْ تَأْتِي الجُمْلَةُ الْإِنْشَائِيَّةُ«رُدِّي فَتَاكِ الحَبِيبْ» مُوَضِّحَةً حَالَةَ التَّمَنِّي فِي الْعَوْدَةِ إِلَىٰ وَطَنِهِ وَمُتَوَازِيَةً تَوَازِيًّا صَـوْتِيًّا مَـعَ قَوْلِـهِ فِي بِدَايَـةِ الْقَصِـيدَةِ : «هُنَا فَتَاكِ الحَبِيبْ» .

ـ فِي قَصِيدَةِ «لَيْلَةٌ» [مِنَ الْبَسِيطِ] تُشَكِّلُ التَّفْعِيلَاتُ المخْبُونَةُ تَوْزِيعًا صَـوْتِيًّا فَنِّيًّا تَتَوَلَّـدُ فِيـهِ الدِّلَالَـةُ الشِّعْرِيَّةُ، وَفِيهَا يَدْخُلُ الخَبْنُ 23 تَفْعِيلَةً مِنْ مَجْمُوعِ 128 تَفْعِيلَةً، وَهِيَ نِسْبَةٌ قَلِيلَةُ الشُّيُوعِ؛لَكِنَّ التَّشْـكِيلَ الْفَنِّيَّ لهَا يَجْعَلُهَا مُكَوِّنًا أَسَاسِيًّا مِنْ مُكَوِّنَاتِ إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ، يَقُولُ:

يَا لَيْلَةَ الْأَمْسِ ، وَاللَّيْلَاتُ ذَاهِبَـــةٌ	كَغَمْضَةِ الْعَيْنِ فِي أَضْغَاثِ أَحْلَامِ
يَرْعَاكِ مَنْ وَهَبَ الْإِنْسَانَ عَاطِفَــةً	تَجِيشُ بِالحُبِّ عَنْ وَحْيٍ وَإِلْهامِي
يَرْعَاكِ مَنْ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ شَاعِـرَةً	دَقِيقَةَ الْحِسِّ فِي رِفْـقٍ وَإِحْـكَامِ
لَأَنْـتِ أَقْصَرُ لَيْـلَاتِي وَأَخْـلَـدُهَا	وَأَنْـتِ أَزْهَـرُ سَـاعَـاتِي وَأَيَّامِي[1]

إِنَّ المتَأَمِّلَ فِي بِنْيَةِ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ المخْبُونَةِ فِي الْأَبْيَاتِ يَجِدُ أَنَّهَا قَدْ تَوَزَّعَتْ تَوْزِيعًا فَنِّيًّا عَلَىٰ دَرَجَةٍ مِـنَ الْإِتْقَانِ، مُتَمَثِّلًا فِي التَّنَاسُقِ المكَانِيِّ لِتَفْعِيلَةِ «فَاعِلُن» المخْبُونَـةِ (///ه) وَالْتِزامِهَـا فِي نِهَايَـةِ صَـدْرِ الْأَبيَـاتِ الْأَرْبَعَـةِ مُتَمَثِّلَةً فِي تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ، وَالتَّنَاسُقُ المكَانِيّ لِتَفْعِيلَةِ «مُسْتَفْعِلُنْ» المخْبُونَةِ (//ه//ه) وَالْتِزامِهَا أَوَّلَ عَجُزِ الْأَبْيَـاتِ الْأَرْبَعَةِ، وَالتَّنَاسُق المكَانِيِّ لِلتَّفْعِيلَتَـيْنِ «وَهَـبَ لْ» (///ه) و«خَلَـقَ لْ» (///ه) وَالْتِـزَامِهِمَا مَكَانًـا وَاحِـدًا فِي حَشْـوِ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة، ص 25 .

الْعَجُزِ.

وَإِذَا مَا تَجَاوَزْنَا هَذَا التَّوْزِيعَ الصَّوْتِيَّ المتْقَنَ، وَذَهَبْنَا نَحْوَ اِسْتِنْطَاقِ هَذِهِ الْوَحْدَاتِ الصَّـوْتِيَّةِ فَسَـنَجِدُ تَوَازِيًا نَحْوِيًّا يُغَلِّفُ الدِّلَالَةَ، مُتَمَثِّلًا فِي ثَلَاثِ تَفْعِيلَاتٍ تَحْتَلُّ مَكَانَةَ الصَّدَارَةِ فِي أَعْجَازِ الْأَبْيَاتِ، وَهِيَ«كَغَمْضَةِ لْ»(//ه//ه)، و«تَجِيشُ بِلْ»(//ه//ه)، و«دَقِيقَـةَلْ»(//ه//ه) وَالمُلَاحَـظُ أَنَّهَـا جَـاءَتْ نُعُـوتٌ لِلنَّكِـرَاتِ الَّتِـي تَسْبِقُهَا، فَالْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ كَغَمْضَةِ الْعَيْنِ وَصْفٌ لِلَّيْلَاتِ الذَّاهِبَةِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِـهِ تَتَوَلَّـدُ دَلَالَـةُ الْـقِصَرِ فِي صِيغَةِ غَمَضْة الْعَيْنِ الَّتِي تُقَالُ دَائمًا فِي مَعْرِضِ الحَدِيثِ عَنِ السُّرْعَةِ، وَلَعَلَّ هَذَا مَا كَـانَ يَشْـكُوهُ الشَّـاعِرُ، أَنَّ اللَّيَالِيَ الجَمِيلَةَ تَمُرُّ سَرِيعَةً، فَوَصْفُ السُّرْعَةِ جَاءَ بِكَلِمَةِ «غَمْضَةِ عَيْنٍ» الَّتِي يَتَكَـوَّنُ جُـزْءٌ مِنْهَـا مِـنْ تَفْعِيلَـةٍ مَخْبُونَةٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ وَتَـدَيْنِ مَجْمُـوعَيْنِ، أَيْ إِنَّـهُ قَلَّـلَ مِـنْ عَـدَدِ حُـرُوفِ التَّفْعِيلَـةِ حَرْفًـا سَـاكِنًا، مِـمَّا جَعَـلَ المتَحَرِّكَاتِ تَتَعَادَلُ مَعَ السَّوَاكِنِ، فَالتَّفْعِيلَةُ كَامِلَةٌ تَتَكَـوَّنُ مِـنْ ثَلَاثَـةِ سَـوَاكِنَ وَأَرْبَعَـةِ مُتَحَرِّكَـاتٍ، وَهَـا هُـوَ يُنْقِصُ مِنْ عَدَدِ السَّوَاكِنِ لِيَتْرُكَ المتَحَرِّكَاتِ تُعَبِّرُ عَنْ سُرْعَةِ انْقِضَاءِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ كَغَمْضَـةِ العَـينِ. أَمَّـا التَّفْعِيلَـةُ الثَّانِيَةُ «تَجِيشُ بِلْ» فَقَدْ جَاءَتْ نَعْتًا لِلنَّكِرَةِ السَّابِقَةِ لهَا، وَهُوَ نَعْـتٌ بِالجُمْلَـةِ الْفِعْلِيَّـةِ الَّتِـي تُفِيـدُ التَّجَـدُّدَ وَالحَرَكَةَ، وَهُوَ وَصْفٌ دَقِيقٌ لِلْعَاطِفَةِ الَّتِي تَتَـأَجَّجُ بِالُحـبِّ كَالشُّـعْلَةِ المُتَّقِـدَةِ، وَلَعَـلَّ مَـا فِي التَّفْعِيلَـةِ مِـنْ إِنْقَاصٍ لِعَدَدِ السَّوَاكِنِ فِي مُقَابِلِ بَقَاءِ نِسْبَةِ المتَحَرِّكَاتِ يُعْطِي دِلَالَةَ خَفَقَـانِ الْقَلْـبِ وَاضْـطِرَابِهِ إِثْـرَ انْقِضَـاءِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ السَّعِيدَةِ.أَمَّا التَّفْعِيلَةُ الثَّالِثَةُ «دَقِيقَةَ لْ» فَقَدْ جَاءَتْ نَعْتًا مُفْرَدًا لِكَلِمَةِ «شَاعِرَة»، وَلَعَلَّ مَا يُمَثِّلُـهُ حَرْفُ الْقَافِ مِنِ اضْطِرَابٍ وَاهْتِزَازٍ شَدِيدٍ فِي الْوَتَرَيْنِ الصَّوْتِيَّيْنِ حِينَ النُّطْقِ بِهِ مَا يَجْعَلُنَـا نَـتَلَمَّسُ إِحْسَـاسَ الشَّاعِرِ وَاضْطِرَابِهِ إِثْرَ انْقِضَاءِ هَذِهِ اللَّيْلَةِ.

ثُمَّ يَجِيءُ الْبَيْتُ الرَّابِعُ، الَّذِي تَأْتِي فِيهِ الْوَحْدَتَانِ الصَّوْتِيَّتَانِ المخْبُونَتَانِ فِي تَنَاسُقٍ مَكَانِيٍّ بَدِيعٍ، فَـالْأُولَىٰ فِي صَدَارَةِ الصَّدْرِ وَالْأُخْـرَىٰ فِي صَـدَارَةِ الْعَجُـزِ «لَأَنْـتِ أَقْ»(//ه//ه) ، و«وَأَنْـتِ أَزْ» (//ه//ه)، وَهُـمَا بِدَايَـةُ جُمْلَتَيْنِ خَبَرِيَّتَيْنِ، يُقَرِّرَانِ قِصَرَ اللَّيْلَةِ وَجَمَالِهَا، وَهَذَا الْقِصَرُ يَتَأَتَّىٰ مِنْ مُرُورِهَا بِسُرْعَةٍ، وَهَذِهِ السُّرْعَةُ مُتَوَلِّـدَةٌ صَوْتِيًّا فِي التَّفْعِيلَتَيْنِ المخْبُونَتَيْنِ اللَّتَيْنِ يَتَكَرَّرُ المتَحَرِّكُ فِيهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي مُقَابِلِ مَرَّتَيْنِ لِلسَّاكِنِ.

بَقِيَ أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ التَّفْعِيلَتَيْنِ المخْبُونَتَيْنِ فِي حَشْوُ الصَّدْرِ لِلْبَيْتَيْنِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ، فَإِذَا تَأَمَّلْنَـاهُمَا فَسَـوْفَ نَجِـدُهُمَا فِعْلَـيْنِ مَاضِـيَيْنِ فَـاعِلُهُمَا وَاحِـدٌ وَهُـوَ «مَـنْ» الَّـذِي هُـوَ كِنَايَـةٌ عَـنْ لَفْـظِ

الجَلَالَةِ فِي سِيَاقِ الدُّعَاءِ «يَرْعَاكِ مَنْ ..»، يَقُودُنَا التَّأَمُّلُ إِلَىٰ مُلَاحَظَةِ تَمَتُّعِهِمَا بِكَامِلِ حُـرُوفِهِمَا دُونَ تَوْزِيـعٍ عَلَىٰ وَحْدَتَيْنِ، وَلَعَلَّ هَذَا مُعَادِلٌ مَوْضُوعِيٌّ لِكَمَالِ هِبَاتِ اللـه عَلَىٰ خَلْقِهِ وَكَمَالِ خَلْقِهِ لَهُمْ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ .

(2/2/2) يُعَـدُّ «الْإِضْـمَارُ» أَحَـدَ أَخْطَـرِ الزِّحَافَـاتِ أَوِ التَّشْـكِيلَاتِ الصَّـوْتِيَّةِ فِي التَّفْعِيلَـةِ؛ وَذَلِـكَ لِأَنَّـهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُغَيِّرَ الحُكْمَ عَلَىٰ الْقَصِيدَةِ مِنْ وَزْنِ «الْكَامِلِ» إِلَىٰ وَزْنِ «الرَّجَـزِ»، أَيْ بِزِحَـافٍ تَنْتَقِـلُ الْقَصِـيدَةُ مِنْ وَزْنٍ إِلَىٰ وَزْنٍ آخَرَ، بَلْ مِنْ دَائِرَةٍ «المؤْتلفِ» حَيْثُ «الْكَامل»، إِلَىٰ دَائِـرَةِ «المجْتَلَـبِ» حَيْـثُ «الرَّجَـزِ»، وَمِنْ ثَمَّ نَتَسَاءَلَ كَمَا تَسَاءَلَ أَحَدُ شُيُوخِ الصَّنْعَةِ «أَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرَّجَزُ ضَرْبًا مِنْ ضُرُوبِ الْكَامِلِ؟». [1]

وَلْنَقْرَإِ الْأَبْيَاتَ التَّالِيَةَ مِنْ قَصِيدَةِ «وَحْيٌ جَدِيدٌ» :

فِي خَـفْـقَةِ الطَّيْرِ	فِي نُـضْـرَةِ الـزَّهْـرِ
فَـتَّـانَـةٌ تُـغْـرِي	بِالسِّـحْـرِ وَالـطُّهْرِ
فِي لَـفْـتَـةِ الْجِـيدِ	فِي خَـفْقَةِ الصَّدْرِي
تَقْسِيـمُ مُوسِيـقَىٰ	مَنْـغُـومَـةُ الـنَّـبْرِ
يَا بَـسْـمَـةَ الْفَجْرِ	يَـا نَـفْـحَةَ الْـعِـطْرِ
أَسْـكَرْتِ وِجْدَانِي	مِـنْ لَوْنِكِ الخَمْرِي
أَلْـهَبْتِ إِحْسَاسِي	بِالشَّوْقِ كَالْـجَمْرِ [2]

الُمتَأَمِّلُ لِلْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَجِـدُ صِـبْغَةَ الرَّجَـزِ المجْـزُوءِ هِـيَ الصِّـبْغَةُ الظَّـاهِرَةُ مِـنْ خِـلَالِ التَّفْعِيلَتَـيْنِ «مُسْتَفْعِلُنْ فَعْلُنْ »، لَكِنْ بِفَحْصِ بِنْيَةِ الْوَحْـدَاتِ الصَّـوْتِيَّةِ فِي الْقَصِـيدَةِ كُلِّهَـا نَجِـدُ أَنَّ «مُتَفَـاعِلُنْ»الْكَامِـل تَظْهَرُ فِي عَدَدٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ مِمَّا جَعَلَنَا نَحْكُمُ عَلَيْهَا بِأَنَّهَـا مِـنْ مَجْـزُوءِ الْكَامِـلِ[3]، مِـنْ أَجْـلِ أَنَّ «مُتَفَـاعِلُنْ» (///ه//ه) أَصْلٌ غَيْرُ مُضْمَرٍ(/ه/ه//ه) .

---

(1) د . أحمد عبد الدايم : فن العروض، ط دار العدالة ، القاهرة (د.ت) ، ص 119 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 206 .

(3) بعروض حذاء مضمرة ، وضرب حذاء مضمر أيضا ، والمذكور عند أهل الصـنعة أن الضرب في مجـزوء الكامـل لـه أربـع حالات : الصحيح(///ه//ه) ، مذيل (///ه//ه ه) ، ومرفل (///ه//ه /ه) ، ومقطوع (///ه/ه) ، وسنشير إلىٰ ذلـك مفصـلا في نهاية هذا الفصل .

وَمِنْ ثَمَّ يُعَدُّ وَصْفُ هَذَا الزِّحَافِ بِكَلِمَةِ «أَخْطَر» وَصْفًا صَادِقًا لِمَا فِيهِ مِنْ إِمْكَانِيَةِ قَلْبِ الحُكْمِ عَلَىٰ الْقَصِيدَةِ .

الْإِضْمَارُ ـ وَهُوَ تَسْكِينُ الثَّانِي المتَحَرِّكِ ـ لَا يَدْخُلُ إِلَّا تَفْعِيلَةً وَاحِدَةً وَهِيَ تَفْعِيلَةُ الْكَامِلِ(///٥//٥)، وَهُوَ ثَانِي أَكْثَرِ الْأَوْزَانِ اسْتِخْدَامًا بِتَكْرَارِهِ فِي شِعْرِ «قُطْب»، بِنِسْبَةِ (22) قَصِيدَةً بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ المجْزُوءِ مِنْهُ بِنِسْبَةِ (6) قَصَائِدَ، وَمَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ لِلْإِضْمَارِ حُضُورًا مُسْتَمرًّا فِي جَمِيعِ قَصَائِدِ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ بِتَشْكِيلَيْهِ التَّامِّ وَالمجْزُوءِ، فَمَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ السَّابِقَةِ يُوحِي بِنَغَمَةِ الرَّجَزِ، لَكِنَّ هَذَا لْإِيحَاءَ يَنْتَفِي عِنْدَمَا نَقْرَأُ قَوْلَهُ :

وَهَمَسْتِ فِي قَلْبِـي وَهَتَفْتِ فِي صَدْرِي

وَبَعَـثْتِنِي أَشْـدُو لِلْحُـبِّ بِـالشِّـعْـرِ

وَكَـأَنَّـنِـي رُوحٌ تَـقْـفُـو خُطَا سِحْرِ

فَالتَّفْعِيلَاتُ الْأُولَىٰ مِـنْ صُـدُورِ الْأَبْيَـاتِ الثَّلَاثَـةِ جَـاءَتْ دُونَ إِضْـمَارٍ: «وَهَمَسْـتِ فِي» = (///٥//٥) ، و«وَبَعَثْتِنِي» = (///٥//٥)، و«وَكَأَنَّنِي»= (///٥//٥). يَزْدَادُ الْأَمْرُ خُطُورَةً مَعَ الْإِضْمَارِ كُلَّمَا ابْتَعَدَتِ التَّفْعِيلَةُ السَّالمَةُ، فَالْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ السَّابِقَةُ هِيَ الْأَبْيَاتُ أَرْقَام 10و 11 و12 ، مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الْقَصِيدَةَ ظَلَّتْ بِالصِّفَةِ الرَّجَزِيَّةِ طِيلَةَ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ.

فِي قَصِيدَةِ «زَفَرَاتٌ جَامِحَةٌ مَكْبُوحَةٌ» [مِنَ الْكَامِلِ] يُعَدُّ الْإِضْمَارُ أَحَدَ الْعَنَاصِرِ المنْتِجَةِ لِدَلَالَةِ النَّصِّ، وَبِتَأَمُّلِ دَوْرِهِ تَنْتُجُ دِلَالَـةٌ مُتَنَاسِـقَةٌ مَعَ عُنْوَانِـهِ.فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الْقَصِيدَةَ مُكَوَّنَةٌ مِنْ 19 بَيْتًا، فَإِنَّ عَدَدَ التَّفْعِيلَاتِ 114 تَفْعِيلَةً، دَخَلَ الْإِضْمَارُ مِنْهَا 59 تَفْعِيلَةً أَيْ فِيمَا يُعَادِلُ 50% مِنْ تَفْعِيلَاتِهَا، يَقُولُ:

اِذْهَـبْ وَخَـلِّفْـنِي هُـنَـا مُتَأَلِّـمَـا لَا تَـلْـقِـنِي سَمْحًا وَلَا مُتَجَهِّمَـا

اِذْهَبْ وَخَلِّفْنِي تَذُوبُ حُشَاشَتِي وَيَبُـضُّ قَـلْبِـي مِـنْ قَـرَارَتِهِ دَمَـا

أَرْخَـصْتَ حُـبِّي إِذْ بَثَثْتُكَ بَعْضَهُ فَـلْيَـبْقَ مَـكْبُـوحًا إِذَنْ فَـتَـكَتَّمَـا

إِنْ كَانَ بَثُّ الْـحُـبِّ عِنْدَكَ مَأْثَمًـا فَكَذَاكَ عِنْدِي سَوْفَ يَغْدُو مَأْثَمًا(1)

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة : ص 31 .

يَدْخُلُ الْإِضْمَارُ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةَ الْأُولَىٰ مِنْ صَدْرِ هَـذِهِ الْأَبْيَـاتِ كُلِّهَا، عَـلَىٰ النَّحْـوِ التَّـالِي: «اِذْهَـبْ وَخَلْ» = (/ه/ه//ه) مَرَّتَيْنِ، و«أَرْخَصْتَ حُبْ» = (/ه/ه//ه) ، و«إِنْ كَانَ بَثْ» = (/ه/ه//ه). وَيَـدْخُلُ أَيْضًا الْوَحْـدَتَيْنِ الصَّـوْتِيَّتَيْنِ أَوَّلَ عَجُـزِ الْبَيْـتِ الْأَوَّلِ وَالثَّالِـثِ، « لَا تَلْقَنِـي» =(/ه/ه//ه)، و«فَلْيَبْـقَ مَكْـ» = (/ه/ه//ه)، وَالمتَأَمِّلُ لهذَا التَّنْسِيقِ يَجِدُ أَنَّ هَذِهِ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةَ تُمَثِّلُ إِيقَاعَيْنِ ؛الْأَوَّلُ: مُتَتَـابِعٌ تَتَابُعًـا قَرِيبًـا (1 ـ 2 ـ 3 ـ 4) ، وَالثَّانِي: مُتَتَابِعٌ تَتَابُعًا بَعِيدًا (1 ـ 3)، هَذَا التَّتَابُعُ إِذَنْ بِوَّابَـةٌ لِلصَّـدْرِ وَالْآخَـرُ لِلْعَجُـزِ.هَـذَا بِجَانِبِ الْوَحْدَاتِ الَّتِي فِي الحشْوِ.

وَبَعْدَ تِبْيَانِ رَصْدِ تَحَرُّكَاتِ هَذَا الْإِضْمَارِ نَصِلُ إِلَىٰ الدِّلَالَةِ الَّتِي يَنْتِجهَا:إِنَّ تَفْعِيلَـةَ الْكَامِـلِ يَتَـوَالَىٰ فِيهَـا ثَلَاثَةُ مُتَحَرِّكَاتٍ فَسَاكِنٌ ثُمَّ مُتَحَرِّكَانِ فَسَـاكِنٌ آخَرُ؛مَعْنَـىٰ ذَلِـكَ أَنَّ نِسْـبَةَ الحَرَكَـةِ فِيهَـا كَبِـيرَةٌ فَهِـيَ (5:2)، وَبِدُخُولِ الْإِضْمَارِ عَلَىٰ التَّفْعِيلَةِ يَحِدُّ مِنْ هَذِهِ الحَرَكَةِ وَيَجْعَلُ نِسْبَةَ السَّاكِنِ تَزِيدُ فِي التَّفْعِيلَةِ فَتَكُونُ(4 : 3)، وَبِذَا يُعَطِّلُ الْإِضْمَارُ مِنَ السُّرْعَةِ المتَوَلَّدَةِ مِنْ خَمْسِ حَرَكَاتٍ، وَهَـذَا الَّـذِي يُحْدِثُـهُ الْإِضْـمَارُ مِـنْ تَعْطِيـلٍ لِسُرْعَةِ الحَرَكَاتِ المتَوَالِيَةِ هُـوَ المُعَـادِلُ الموْضُـوعِيُّ لِكَـبْحِ جِـمَاحِ الزَّفَـرَاتِ الحَـارَّةِ الَّتِـي وُصِـفَتْ فِي عُنْـوَانِ الْقَصِيدَةِ بِـ« الجَامِحة»، إِنَّ لَدَىٰ الشَّاعِرِ زَفَرَاتٍ نَفْسِـيَّةً بِحَاجَـةٍ إِلَىٰ بَـثٍّ، وَبِحَاجَـةٍ إِلَىٰ أَنْ يُطْلِـقَ لهَـا عَنَـانَ الحَدِيثِ وَالشَّكْوَىٰ، وَلَكِنْ لِمَنْ سَيَشْكُو، فَحَبِيبُهُ يَـرَىٰ بَـثَّ الحُـبِّ مَأْثَمًـا وَعَيْبًـا، وَيَجِـدُهُ وَسِـيلَةً لِلسُّـخْرِيَةِ مِنْهُ؛وَلِذَا فَهُوَ لَنْ يَبُوحَ بِمِثْلِ هَذِهِ المنَاجَاةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ، هَذَا مَا نَفْهَمُهُ مِنْ قَوْلِهِ :

أَرْخَـصْتَ حُـبِّي إِذْ بَثَثْتُكَ بَعْضَهُ فَـلْيَـبْقَ مَـكْبُـوحًا إِذَنْ فَـتَـكَتَّمَـا

وَلِنَتَأَمَّلِ التَّفْعِيلَتَيْنِ «فَلْيَبْقَ مَكْبُوحًا إِذَنْ»، سَوْفَ نَجِدُ أَنَّ الْإِضْمَارَ دَخَلَهُمَا عَلَىٰ التَّوَالِي: «فَلْيَبْـقَ مَكْـ» = (/ه/ه//ه)، «بُوحَا إِذَنْ» = (/ه/ه//ه)فَالْإِضْمَارُ يُقَلِّلُ مِنَ الحَرَكَاتِ المتَتَالِيَةِ لِلتَّفْعِيلَـةِ فِي صُـورَتِهَا السَّـالمةِ ، مِمَّا يُعَادِلُ كَبْحَ جِمَاحِ النَّفْسِ الثَّائِرَةِ، يَقُولُ:

إِنْ كَانَ بَثُّ الْـحُبِّ عِنْدَكَ مَأْثَمًـا فَكَذَاكَ عِنْدِي سَوْفَ يَغْدُو مَأْثَمَا

إِنَّ قَوْلَـهُ :«فَكَـذَاكَ عِنْـدِي سَـوفَ يَغْـدُو مَأْثَمًـا» تَـدُلُّ عَـلَىٰ مَـا يَعْتَزِمُـهُ الشَّـاعِرُ فِي قَـرَارَةِ نَفْسِـهِ، لِتُؤَكِّـدَ عَـلَىٰ مَـا قَصَـدْنَاهُ مِـنْ مُحَاوَلَـةِ تَعْطِيـلِ هَـذَا السَّـيْلِ المتَـدَفِّقِ مِـنَ المشَّـاعِرِ تِجَـاهَ حَبِيـبٍ أَرْخَـصَ الحُـبَّ وَلَـمْ يَحْفَظْـهُ.وَمِـنْ ثَـمَّ يَصْـدُقُ مَـا قِيـلَ عَـنِ الشُّـعَرَاءِ الْوِجْـدَانِيِّينَ عَـلَىٰ «قُطْـب» مِـنْ أَنَّ تَجْرُبَـةَ الحُـبِّ لَـدَيْهِمْ «تَقُـومُ عَـلَىٰ الصِّرَاعِ وَالمُعَانَـاةِ، وَيَبْـدُو الشَّـاعِرُ فِيهَـا وَكَأَنَّـهُ يَخْلُـقُ لِنَفْسِـهِ أَسْـبَابَ الفَشَـلِ

لِيَظَلَّ الْأَلَمُ غِذَاءً دَائِمًا لِوِجْدَانِهِ وَمَوْهِبَتِهِ».[1]

وَفِي قَصِيدَةِ «الذِّكْرَىٰ الخَالِدَةُ لِسَعْدِ الْعَظِيمِ» [مِنَ الْكَامِلِ] يُعَدُّ الْإِضْمَارُ أَحَدَ الْعَوَامِلِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُهِمَّةِ الَّتِي تُسْهِمُ فِي إِنْتَاجِ دَلَالَةِ النَّصِّ، وَمِنَ الْمُفِيدِ قَبْلَ أَنْ نَشْرَعَ فِي تَحْلِيلِ بَعْضِ أَبْيَاتِهَا أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ الْإِضْمَارَ قَدْ دَخَلَ 110 تَفْعِيلَةٍ مِنْ مَجْمُوعِ 228 أَيْ بِمَا يُعَادِلُ النِّصْفَ تَقْرِيبًا يَقُولُ:

هِيَ هَـٰذِهِ الذِّكْرَىٰ لِثَالِثِ عَامِ	حَثَّتْ رَكَائِبُهَا يَدُ الْأَيَّامِ
هِيَ هَـٰذِهِ ذِكْرَىٰ الْخُلُودِ وَرَمْزُهُ	وَشِعَارُهُ الْبَاقِي عَلَىٰ الْأَعْوَامِ
ذِكْرَىٰ الْبُطُولَةِ وَالزَّمَانُ يَحِفُّهَا	بِجَلَالِهِ فَتَجِلُّ فِي الْأَفْهَامِ
هِيَ هَـٰذِهِ الذِّكْرَىٰ وَذَاكَ جَلَالُهَا	تُحْنَىٰ لِرَوْعَتِهَا أَعَزُّ الهَامِ
يَا سَعْدُ وَالذِّكْرَىٰ تُثِيرُ شُجُونَنَا	وَتَهُدُّنَا بِالْعَزْمِ وَالْإِقْدَامِ
يَا سَعْدُ تُولِيكَ الْقُلُوبُ حُشَاشَةً	مِنْهَا تَقُومُ بِوَاجِبِ الْإِكْرَامِ
يَا أَيُّهَا الثَّاوِي وَفِي تِذْكَارِهِ	وَحْيُ الْخُلُودِ وَآيَةُ الْإِلْهَامِ
الْيَوْمُ تُذْكَرُ والْجَلَالُ مُخَيِّمٌ	وَالصَّمْتُ يَبْعَثُ شَاجِيَ الْأَنْغَامِ
وَتَمُرُّ أَجْيَالٌ وَأَنْتَ مُغَيَّبٌ	عَنَّا وَذِكْرُكَ فِي الْمَشَاعِرِ نَامِ
إِنَّا فَقَدْنَا بِافْتِقَادِكَ طَلْعَةً	وَبَقِيتَ ذِكْرَىٰ خُلِّدَتْ بِدَوَامِ
يَا سَعْدُ لَا تَقْلَقْ لِفِعْلَةِ خَارِجٍ	أَنْتَ الْخَبِيرُ بِهَـٰذِهِ الْأَقْزَامِ[2]

يُسْهِمُ «الْإِضْمَارُ» فِي الْكَشْفِ عَنِ الشُّعُورِ الانْفِعَالِيِّ الْمُنْبَثِقِ مِنْ أَعْمَاقِ النَّصِّ وَهُوَ يَتَمَثَّلُ فِي تَرَسُّخِ ذِكْرَىٰ«سَعْد»فِي طَيَّاتِ الْوِجْدَانِ الجَمْعِيِّ الَّذِي يُعَبِّرُ عَنْهُ الشَّاعِرُ بِضَمِيرِ الجَمْعِ فِي: (شُجُونَنَا ـ وَتَهُدُّنَا ـ عَنَّا ـ إِنَّا ـ فَقَدْنَا)، وَهَذِهِ الذِّكْرَىٰ تَتَشَكَّلُ فِي الْأَدَاءِ اللُّغَوِيِّ لِلنَّصِّ بِخَمْسِ صِيَغٍ لُغَوِيَّةٍ، هِيَ: ذِكْرَىٰ ـ التَّذَكُّر ـ تُذْكَرُ ـ تِذْكَار ـ ذِكْر، وَهِيَ الدَّوَالُّ الرَّئِيسِيَّةُ لِمَوْضُوعِ التَّذَكُّرِ، أَوِ اسْتِعَادَةِ الذِّكْرَيَاتِ فِي رِثَاءِ الزَّعِيمِ المِصْرِيِّ، بِمَا أَنَّ النَّفْسَ تَمِيلُ إِلَىٰ التَّذَكُّرِ وَتُطِيلُ

(1) د . عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي الحديث ، ص 290 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 246 .

الْوَقْتَ فِيهِ، كَمَا قَالَ الْبَارُودِيُّ:«إِنَّ التَّذَكُّرَ لِلنُّفُوسِ غَـرَامُ»، فَـإِنَّ هَـذَا التَّـذَكُّرَ يُعَطِّـلُ مِـنَ اللَّحْظَـةِ الحَالِيَـةِ بِإِرْجَاعِهَا إِلَىٰ الماضِي، وَالمُلَاحَظُ فِي هَـذِهِ الْأَبْيَـاتِ أَنَّ الْوَحْـدَاتِ الصَّـوْتِيَّةِ الَّتِـي بِهَـا أَحَـدُ دَوَالِّ التَّـذَكُّرِ تَـأْتِي مُضْمَرَةً، وَالْإِضْمَارُ كَمَا أَشَرْنَا سَابِقًا يُعَطِّلُ مِـنْ سُرْعَـةِ الْكَامِـلِ الَّتِـي تَتَمَثَّـلُ فِي تِـوَالِي ثَلَاثَـةِ أَحْـرُفٍ مُتَحَرِّكَـةٍ فَسَاكِنٍ فَمُتَحَرِّكَانِ فَسَاكِنٍ، وَيَجْعَلُ نِسْبَةَ السُّكُونِ تَزْدَادُ فِي مُقَابِـلِ قِلَّـةِ عَـدَدِ المتَحَرِّكَـاتِ، وَهَـذَا التَّعْطِيـلُ لِلسُّرْعَةِ يَتَنَاسَبُ مَعَ مَا تُحْدِثُهُ لحظَةُ التَّذَكُّرِ، فَهِيَ لحظةٌ تَطُولُ لِلتَّأَمُّـلِ وَاسْـتِنْتَاجِ الْعِـبَرِ، أَوْ لِلاسْـتِئْنَاسِ بِهَـا كُلَّمَا تَغَيَّرَ الحَاضِرُ إِلَىٰ مَا هُوَ أَسْوَأُ، بَلْ إِنَّ النَّفْسَ لَتَسْتَحْبِبُ اسْتِحْضَارَ المَاضِي كُلَّمَا كَانَ جَمِيلًا مَلِيئًا بِلَحَظَاتِ الْعِزِّ وَالْفِخَارِ، يَصِلُ الْأَمْرُ إِلَىٰ قِمَّةِ التَّنَاسُقِ عِنْدَمَا يَـرْتَبِطُ الْإِضْـمَارُ بِـذِكْرِ اسْـمِ الْفَقِيـدِ فِي الْقَصِـيدَةِ، فَيَبْـدُو الْإِضْمَارُ بِهَذَا الصَّنِيعِ مُوَحِّدًا بَيْنَ الذِّكْرَىٰ وَصَاحِبِهَا «سَعْدٍ» وَلِنَنْظُرْ إِلَىٰ تَحَرُّكَاتِ الْإِضْمَارِ فِي الـدَّوَالِّ الرَّئِيسِـيَّةِ لِلنَّصِّ وَسَوْفَ نَقُومُ بِتَوْضِيحِهِ بِتَقْطِيعٍ عَمَلِيٍّ كَيْ تَتَّضِحَ الرُّؤْيَةُ أَكْثَرَ، وَاضِعِينَ تَحْـتَ التَّفْعِيلَـةِ المضْـمَرَةِ خَطًّـا لِبَيَانِ دَوْرِهِ فِي تَعْزِيزِ دِلَالَةِ النَّصِّ:

جزء من البيت	«هِيَ هَـٰذِهِ الذِّكْرَىٰ لِثَالِثِ عَامِ»
التقطيع	/ه/ه//ه
جزء من البيت	«هِيَ هَـٰذِهِ ذِكْرَىٰ الخُلُودِ وَرَمْزِهِ»
التقطيع	/ه/ه//ه
البيت	«ذِكْرَىٰ الْبُطُولَةِ وَالزَّمَانِ يَحُفُّهَا»
التقطيع	/ه/ه//ه
جزء من البيت	«هِيَ هٰذِهِ الـذِّكْرَىٰ وَذَاكَ جَلَالهُا»
التقطيع	/ه/ه//ه
البيت	«يَا سَعْدُ وَالذِّكْرَىٰ تُثِيـرُ نُفُوسَنَا»
التقطيع	/ه/ه//ه ـ /ه/ه//ه
البيت	«يَا سَعْدُ تُـولِيكَ الْقُلُوبُ»
التقطيع	/ه/ه//ه
البيت	«يَا أَيُّهَا الثَّاوِي وَفِي تِذْكَارِهِ»

التقطيع	/ه/ه//ه
البيت	«الْيَوْمَ تُذْكَرُ وَالجَلَالُ مُخَيِّمٌ»
التقطيع	/ه/ه//ه
جزء من البيت	«عَنَّا وَذِكْرُكَ فِي المشَاعِرِ نَامِ»
التقطيع	/ه/ه//ه
جزء من البيت	«وَبَقِيتَ ذِكْـرَىٰ خُلِّدَتْ بِدَوَامِ»
التقطيع	/ه/ه//ه
جزء من البيت	«يَا سَعْدُ لَا تَقْلَقْ لِفِعْلَةِ خَارِجِ»
التقطيع	/ه/ه//ه

وَبِهَذَا تُسَجِّلُ التَّفْعِيلَةُ المضْمَرَةُ حُضُورًا قَوِيًّا فِي حَالَةِ تَذَكُّرِ فَقِيدِ مِصْرَ، وَبِهَا يَتَّضِحُ أَنَّ الشَّاعِرَ لَا يُقَدِّمُ رِثَاءً لمجَرَّدِ التَّمْثِيلِ المشَرِّفِ فِي حَفْلِ التَّأْبِينِ، وَلَكِنَّهُ يَنْفَعِلُ مَعَهُ وِجْدانيًّا وَتَشْكِيلِيًّا أَيْضًا عَلَىٰ نَحْوِ مَـا رَأَيْنَـا فِي الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ المضْمَرَةِ الَّتِي كَانَتْ لَبِنَاتٍ أَسَاسِيَّةً فِي بِنَاءِ هَذَا النَّصِّ عَلَىٰ المسْتَوَيَيْنِ الصَّوْتِيِّ وَالدِّلَالِيِّ .

(3/2/2) لِزِحَافِ «الْعَصْبِ» ـ تَسْكِينُ الخَامِسِ المتَحَرِّكِ ـ أَهَمِّيَّةٌ بَالِغَةٌ فِي تَحْدِيدِ الحُكْمِ عَلَىٰ الْقَصَـائِدِ المجْزُوءَةِ خَاصَّةً، وَعَلىٰ الرَّغْمِ مِنْ قِلَّةِ تَوَاجُدِهِ فِي شِعْرِ «قُطْب» لِدُخُولِهِ تَفْعِيلَةَ وَزْنِ الْوَافِرِ«مُفَاعِلَتُنْ» إِلَّا أَنَّ أَهَمِّيَتَهُ لَا تَقِلُّ عَنْ أَهَمِّيةِ «الْإِضْمَارِ» فِي وَزْنِ الْكَامِلِ؛ إِذْ إِنَّ وُجُودَ «الْعَصْبِ» يُحَـدِّدُ انْـتِمَاءَ قَصِـيدَةٍ لِـدَائِرَةٍ مِنَ الدَّوَائِرِ، حَيْثُ إِنَ مَجْزُوءَ الْوَافِرِ مِنْ دَائِرَةِ «المؤْتَلفِ» وَالهَزجُ مِنْ دَائِرَةِ «المجْتَلَـبِ»، وَالْفَـارِقُ الْعِلْمِـيُّ بَيْنَهُمَا فِي وُجُودِ التَّفْعِيلَةِ المعْصُوبَةِ.

حَدَثَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَةِ «نِدَاءُ الخَرِيفِ» [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ]حَيْثُ إِنَّ التَّفْعِيلَاتِ المعْصُـوبَةَ شَـكَّلَتْ فِي الْبِنْيَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ نِسْبَةً كَبِيرَةً وَصَلَتْ إِلَىٰ 95% مِنْ مَجْمُوعِ التَّفْعِيلَاتِ فِي الْقَصِيدَةِ ، فَإِذَا كَـانَ عَـدَدُ أَشْطُرِ الْقَصِيدَةِ 42 شَطْرًا، وَفِي كُلِّ شَطْرٍ 3 تَفْعِـيلَاتٍ، فَـإِنَّ عَـدَدَ تَفْعِيلَاتِهَـا 126، دَخَـلَ الْعَصْـبَ مِنْهَـا 119 تَفْعِيلَةً، أَيْ إِنَّ 7 تَفْعِيلَاتٍ فَقَطْ جَاءَتْ سَالمةً مِنَ «الْعَصْبِ» وَهِيَ الَّتِـي حَـدَّدَتِ انْتِمَاءَهـا لمجْـزُوءِ الْـوَافِرِ، وَلِنَتَأَمَّلِ الْأَشْطُرَ التَّالِيَةَ :

تَعَالَيْ . هَـٰذِهِ الْأَيَّامُ لَا تَرْجِــعْ
وَلَا تُصْغِي لَنَا الدُّنْيَا وَلَا تَسْمَعْ
وَلَا تُجْدِي شَكَاةُ الدَّهْرِ أَوْ تَنْفَعْ
نَعَمْ قَدْ أَدْمَتِ الْأَشْوَاكُ قَلْبَيْنَا
وَسَدَّتْ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا طَرِيـقَـيْـنَا
وَلَكِـنْ أَيْـنَ مَـاضِي حُبِّنَا أَيْنَا ؟
تَعَالَيْ . نَحْنُ بَعْثَرْنَا السُّوَيْعَاتِ
وَضَحَّـيْـنَـا بِـأَيَّـامٍ عَـزِيـزَاتٍ
فَيَـا أُخْـتَـاهُ يَـكْفِيـنَا حَمَاقَاتِ[1]

فَقَـدْ دَخَـلَ «الْعَصْـبُ»جَمِيـعَ التَّفْعِـيلَاتِ السَّـابِقَةِ ، مِـمَّا يُعْطِيهَـا صِـبْغَةً هَزَجِيَّـةً وَاضِـحَةَ الملامِـحِ وَالموسِيقَىٰ، وَلِنَنْظُرْ إِلَىٰ خَرِيطَةِ الْبِنْيَةِ الدَّاخِلِيَّةِ :

تَعَالَيْ هَـٰــ	ـذِ هِ الْأَيَّا	مُ لَا تَـرْجِـعْ
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥/٥
وَلَا تُـصْغِي	لَنَـا الدُّنْيَا	وَلَا تَـسْـمَـعْ
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥/٥
وَلَا تُجْدِي	شكَاةُ الدَّهْـــ	ــرِ أَوْ تَـنْـفَـعْ
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥/٥
نَعَمْ قَدْ أَدْ	مَتِ الْأَشْوَا	كُ قَلْبَيْنَا
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥/٥
وَسَدَّتْ هَـٰ	ـذِهِ الدُّنْيَا	طَرِيقَيْنَا
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥/٥
وَلَكِنْ أَيْـ	نَ مَاضِي حُبْـ	ــبِنَا أَيْنَا
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥/٥

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 92 ، 93 .

وَعَلىٰ هَذَا النَّحْوِ التَّقْطِيعِيِّ يَتَّضِحُ أَنَّ جَمِيعَ تَفْعِيلَاتِ هَذَا الجُزْءِ جَاءَتْ مَعْصُوبَةً، وَلَكِنْ عِنْدَمَا نَتَأَمَّلُ الْأَشْطُرَ الْآتِيَةَ يَتَّضِحُ انْتِمَاءُ الْقَصِيدَةِ إِلَىٰ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ ، يَقُولُ :

تَعَالَيْ . لَمْ يَعُدْ فِي الْعُمْر مُـتَّسَـعُ

تَعَالَيْ .لَمْ يَعُدْ فِي الْكَوْنِ مُـنْتَجَعُ

وَغُولُ الدَّهْرِ لَا يُبْقِي وَلَا يَـدَعُ

وَلنَنْظُرْ إِلَىٰ الخَرِيطَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ لِلْأَشْطُرِ السَّابِقَةِ :

تَعَالَيْ. لَمْ	يَعُدْ فِي الْعُمْـــ	ـــرِ مُتَّسَعُ
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥///٥
تَعَالَيْ .لَمْ	يَعُدْ فِي الْكَوْ	نِ مُنْتَجَعُ
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥///٥
وَغُولُ الدَّهْـ	ـرِ لَا يُبْقِي	وَلَا يَدَعُ
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥///٥

وَإِذَا مَا تَعَدَّيْنَا هَذَا الْإِحْصَاءَ وَبَحَثْنَا عَنِ الدَّلَالَـةِ المعْنَوِيَّـةِ الَّتِـي يُوَلِّـدُهَا هَـذَا الْعَصْـبُ المنْـتَشِرُ عَـلَىٰ الخَرِيطَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ، فَإِنَّنَا نَذْكُرُ أَنَّهُ زِحَافٌ يَعْمَلُ عَلَىٰ الحَدِّ مِنْ سُرْعَةِ تَفْعِيلَةِ (//٥///٥) حَيْثُ يَقُومُ بِتَقْلِـيصِ عَدَدِ المتَحَرِّكَاتِ فِيهَا، وَيَجْعَلُهُ أَرْبَعَةَ مُتَحَرِّكَاتٍ بَدَلًا مِنْ خَمْسٍ، وَلْنَأْخُذِ الصِّيغَةَ الطَّلَبِيَّةَ الَّتِي تَتَرَدَّدُ فِي أَنْحَاءِ الْقَصِيدَةِ «تَعَالَيْ»، وَهِيَ تَتَكَرَّرُ 10 مَرَّاتٍ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ تَحْمِـلُ فِي طَيَّاتِهَـا عَصْـبًا، إِنَّ هـذِهِ الصِّـيغَةَ الطَّلَبِيَّـةَ صِيغَةٌ مَرْكَزِيَّةٌ فِي النَّصِّ؛إِذْ إِنَّهَا تُذْكَرُ وَيَأْتِي وَرَاءَهَا جَوَابُ الطَّلَبِ، إِنَّ دُخُولَ الْعَصْبِ هَذِهِ الصِّيغَةَ بِمَا لَهُ مِنْ قُدْرَةِ التَّقْلِيلِ مِنَ السُّرْعَةِ يُعْطِي وَقْتا أَطْوَلَ لِفَتْرَةِ الاسْتِجْدَاءِ الَّتِي يَسْـتَجْدِيهَا الشَّـاعِرُ فِي المُخَاطَـبِ، كَـمَا أَنَّ الصِّيغَةَ تَحْمِلُ فِي بِنْيَتِهَا الدِّلَالِيَّةِ عُنْصُرَ النِّدَاءِ لِلْبَعِيدِ، وَهَذَا الْعَصبُ يُطِيلُ الْفَتْرَةَ الزَّمَنِيَّـةَ فِي الاسْـتِدْعَاءِ، بَـلْ يَجْعَلُهُ مُسْتَمِرًّا، وَهَذا يَشِي بِوُقُوعِ حَالَةٍ مِنَ الجَفْوَةِ وَالنَّأْيِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَمُخَاطِبِهِ، يَتَأَكَّدُ ذَلِكَ الدَّوْرُ لِلْعَصْبِ حِينَ يَكُونُ المخَاطَبُ هُوَ أُخْتُ الشَّاعِرِ، وَأَنَّ الْقَصِيدَةَ قِيلَتْ عَامَ 1943، أَيْ بَعْدَ فَتْرَةٍ بُعْدِ الشَّاعِرِ عَنْ قَرْيَتِهِ وَعَنْ أُخْتِهِ، تِلْكَ الَّتِي ظَلَّتْ مَعَهُ إِلَىٰ آخِرِ أَيَّامِ عُمْرِهِ .

ـــ فِي قَصِـيدَةِ «الْكَـوْنُ الجَدِيـدُ» [مِـنَ الْـوَافِرِ] يَـدْخُلُ «الْعَصْـبُ» نِصْـفَ تَفْعِيلَاتِهَـا الَّتِـي

تَتَكَوَّنُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، فِي كُلِّ بَيْتٍ تَتَكَرَّرُ «مُفَاعِلَتُنْ» مَـرَّتَيْنِ بِمَجْمُـوعِ 40 تَفْعِيلَـةً جَـاءَ مِنْهَـا 20 تَفْعِيلَـةً مَعْصُوبَةً، وَالمتَأَمِّلُ لِدَوْرِ الْعَصْبِ فِي هَذَا النَّصِّ يَجِدُ أَنَّهُ يَعْمَلُ عَلَى الحَدِّ مِنْ تَوَالِي المتَحَرِّكَاتِ فِي «مُفَـاعِلَتُنْ» وَيُهَدِّئُ مِنْ هَذِهِ السُّرْعَةِ فِي لحَظَاتِ الطَّلَبِ، طَلَبِ الشَّاعِرِ مِنْ مُخَاطِبِهِ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَبْعَثُ السَّعَادَةَ وَالنَّشْوَةَ فِي قَلْبِهِ، يَقُولُ:

تَغَـنِّـي وَامْلَئِي الـدُّنْيَا نَـشِيدَا وَحَيِّ ذَلِكَ الْكَوْنَ الْـجَدِيدَا

فَـإِنَّ الْـحُبَّ أَبْـدَعَـهُ وَإِنِّــي نَـظَمْتُ عَلَىٰ بَدَائِعِهِ الْقَصِيدَا

أَجَـلْ حَـيِّيهِ فَـهْوَ لَـنَـا ، وَإِنَّا لَنَـعْـمُرُ كَـوْنَنَا عُمْرًا سَعِيدَا

تَـغَـنِّي بِـالـرَّجَـاءِ وَبِـالْأَمَانِي وَبِـالنُّعْمَىٰ تَدُومُ لَنَا خُلُودَا[1]

يَرْتَبِطُ وُجُودِ الْعَصْبِ بِالصِّيغَةِ الطَّلَبِيَّةِ«تَغَنِّي»الَّتِي يَعْطِفُ عَلَيْهَا صِيغَتَيْنِ طَلَبِيَّتَيْنِ «وَامْلَئِي»و«وَحَيِّ » وَعَلَيْهَا يُقَدِّمُ الشَّاعِرُ التَّعْلِيلَاتِ وَالتَّفْسِيرَاتِ وَالنَّتَائِجَ، وَيَذْكُرُ لمخَاطِبِهِ مَا سَوْفَ يَحْدُثُ إِذَا تَحَقَّقَتِ الصِّـيَغُ الطَّلَبِيَّةُ، وَلِنَنْظُر إِلَىٰ الخَرِيطَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ لِلْبَيْتِ الْأَوَّلِ الَّذِي اجْتَمَعَتْ فِيهِ الصِّيَغُ الطَّلَبِيَّةُ الثَّلَاثَةُ:

تَغَنِّي وَامْـ	ـلَئِي الدُّنْيَا	نَشِيدَا	وَحَيِّ ذَ	لِكَ الْكَوْنَ لْ	جَدِيدَا
//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥/٥	//٥/٥

فَقَدْ دَخَلَ الْعَصْبُ جَمِيعَ «مُفَاعِلَتُنْ» الَّتِي فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، وَهُوَ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُطِيلَ فَتْرَةَ الْإِلحَـاحِ مِـنَ الشَّاعِرِ لمُخَاطِبِهِ الَّذِي يَتَوَلَّىٰ إِسْعَادَ الْعَالَمِ بِغِنَائِهِ، وَلِنَنْظُرْ إِلَىٰ هَذا المرَكَّبِ النَّعْتِيِّ «الْكَـوْنُ الجَدِيـدُ» الَّـذِي احْتَلَّ مَكَانَةً سِيمُولُوجِيَّةً لهَا أَهَمِّيَّـةٌ جَعَلَتِ الشَّـاعِرَ يَضَـعُهُ عُنْوَانًـا لِلـنَّصِّ، فَسَـوْفَ نَجِـدُ الْعَصْـبَ دَخَـلَ تَفْعِيلَتَهُ، فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ إِطَالَةِ الْوَقْتِ فِي ذِكْرِهِ فِي فَمِهِ، وَالاسْتِئْنَاسِ بِجَمَالِهِ الْبِكْرِ، فَهُوَ الْكَوْنُ الَّذِي يَطْمَحُ فِيـهِ ، يَقُولُ :

أَجَـلْ حَـيِّيهِ فَـهْوَ لَـنَـا ، وَإِنَّا لَنَـعْـمُرُ كَـوْنَنَا عُمْرًا سَعِيدَا

نَـعِيـشُ مَـعِيشَةَ الطُّلَقَاءِ فِيهِ وَكَـوْنُ النـَّاسِ يُثْقِلُهُمْ قُيُودَا

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 192 .

وَنَـمْـلِـكُهُ وَمَـا الْأَحْـيَـاءُ إِلَّا أَجِـيرَيْ هَـٰذِهِ الـدُّنْيَـا عَبِيدَا

إِنَّهُ يَرَىٰ عَالمهُ عَالمًـا كَئِيبًـا يُوثِـقُ النَّـاسَ بِـالْقُيُودِ، وَيَسْـتَعْبِدُهُمْ أَذِلَّاءَ عِنْدَهُ؛وَلِـذَا كَـانَ إلحَاحُـهُ عَـلَىٰ المخَاطَبِ بِأَنْ يُغَنِّيَ لِيُحِيلَ كَآبَةَ هَذَا الْعَالَمِ، وَهَذَا الْإِلحاحُ يَتَطَلَّبُ وَقْتًا طَوِيلًا يَعْمَلُ الْعَصْـبُ عَـلَىٰ تَوْلِيـدِهِ بِمَا لَهُ مِنْ آلِيَّةِ تَعْطِيلِ الحَرَكَةِ المتَوَالِيَةِ فِي التَّفْعِيلَةِ.

(4/2/2)فِي مَرْتَبَةٍ أَقَلَّ مَجِيئًا فِي شِـعْرِ«قُطْـب» يَـأْتِي «الْـوَقْصُ» فِي تَفْعِيلَـةِ وَزْنِ الْكَامِـلِ «مُتَفَـاعِلُنْ»، وَالْوَقْصُ هُوَ حَذْفُ التَّاءِ مِنْ «مُتَفَاعِلُنْ» فَيَنْتَقِلُ إِلَىٰ «مُفَاعِلُنْ» [1]، وَبِتَعْرِيفٍ أَحْدَثَ هُوَ «نَوْعٌ مِنَ الزِّحَافِ المُفْرَدِ يَتَمَثَّلُ فِي حَذْفِ الحَرْفِ الثَّانِي المتَحَرِّكِ، وَنَجِدُهُ فِي بَحْرِ الْكَامِلِ وَبِهِ تُصْبِحُ مُتَفَاعِلُنْ مُفَاعِلُنْ».[2]

وَلَا أَدْرِي لمَاذَا تَكَلَّفَ «د.السَّمَانُ»وَعَدَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ خَرْمًا ـ بِالرَّاءِ غَيْرِ المعْجَمَةِ ـ وَذَلِـكَ بِحَـذْفِ أَوَّلِ حَرْفٍ مِنَ التَّفْعِيلَةِ ـ عَلَىٰ حَدِّ زَعْمِهِ ـ بَلْ إِنَّهُ ذَهَبَ إِلَىٰ تَسْمِيتِهَا بِالخَشْمِ.[3]

وَلَعَلَّ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْبَاحِثُ مِنْ أَنَّ هَذَا الصَّنِيعَ تَكَلُّفٌ هُوَ أَنَّ «الخَرْمَ»عِلَّةٌ تَتَمَثَّلُ فِي إِسْقَاطِ الحَـرْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الْوَتَدِ المجْمُـوعِ فِي أَوَّلِ الجُـزْءِ مِـنْ أَوَّلِ الْبَيْـتِ، وَيَـدْخُلُ : (1) «فَعُـولُنْ //ه/ه»، (2) «مُفَـاعِلَتُنْ //ه///ه»، (3) «مَفَاعِيلُنْ //ه/ه/ه»، وَلَا يَدْخُلُ إِلَّا هَذِهِ التَّفْعِيلَاتِ السَّابِقَةَ؛لِأَنَّهَا دُونَ غَيْرِهَا مَبْدُوءَةٌ بِوَتَـدٍ مَجْمُوعٍ، «وَلِذَلِكَ خُطِّئَ ابْنُ دُرَيْدٍ حِينَ مَثَّلَ لِلْخَرْمِ بِقَوْلِ عَنْتَرَةَ :

لَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّي غَيْرَهُ .:. مِنِّي بِمَنْزِلَةِ المحِبِّ المُكْرَمِ

لِأَنَّ الْبَيْتَ مِنَ الْكَامِلِ؛وَهِيَ مَبْدُوءَةٌ بِسَبَبٍ ثَقِيلٍ، وَإِنَّمَا دَخَلَهَا الْوَقْصُ فَأَصْبَحَتْ مُفَاعِلُنْ».[4]

وَعَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ، فَقَدِ اسْتَخْدَمَ «قُطْب» الْوَقْصَ مَرَّتَيْنِ فَقَطْ فِي عَرُوضِ الْكَامِلِ وَذَلِـكَ فِي الْبَيْـتِ السَّـابِعِ مِـنْ قَصِـيدَةِ «صَـدَىٰ الْفَاجِعَـةِ»، وَالْبَيْـتِ الْأَوَّلِ مِـن قَصِـيدَةِ «مَأْسَـاةُ الْبَـدَارِيِّ»،

---

(1) الجُرجاني (علي بن محمد السيد الشريـف) : معجـم التعريفـات ، تحقيـق ودراسـة محمـد صـديق المنشـاويّ ، ط. دار الفضيلة، القاهرة ، ص: 212 .

(2) د. إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية ، ط. الكتب العلمية ، بـيروت ، ط . 1 ، 1991 ، ص 223.

(3) د . محمود علي السمان : العروض الجديد ، أوزان الشعر الحر وقوافيه ، ط . دار المعارف بمصر ، 1983 ، ص 83، 84 .

(4) د. إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية ، ص 224 .

يَقُولُ فِي الْأُولَىٰ:

وَاوَيْـلَـتَـاهُ ! أَإِنَّـهَـا الْـحَـقِـيـقَـةُ   جَلَّتْ عَـنِ الْإِيـجَافِ وَالتَّرْوِيعِ[1]

وَالْقَصِيدَةُ تَصْوِيرٌ رَائِعٌ لِمَا أَصَابَ الشَّاعِرَ مِنْ هِزَّةٍ نَفْسِيَّةٍ عَنِيفَةٍ إِثْرَ سَمَاعِهِ خَبَرَ فَقِيدِ مِصْرَ «سَـعْد »، الصَّدْمَةُ الْكُبْرَىٰ أَفْقَدَتِ الشَّاعِرَ صَوَابَهُ، فَهُوَ فِي دَهْشَةٍ مِنْ أَمْرِهِ هَلْ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَخْبَارٍ عَـنْ مَـوْتِ الـزَّعِيمِ خَيَالٌ أَمْ حَقِيقَةٌ، وَلَكِنَّهَا هِيَ الحَقِيقَةُ الَّتِي لَيْسَ مِنْهَا مَنَاص، هَذِهِ الْكَلِمَةُ أَحْـدَثَتْ صَـدْمَةً نَفْسِـيَّةً لِلشَّـاعِرِ عَبَّرَ عَنْهَا زِحَافُ «الْوَقْصِ» الْوَحِيدُ فِي الْقَصِيدَةِ تَعْبِيرًا صَادِقًا، فَبِهِ تُعَدُّ التَّفْعِيلَةُ الْوَحِيدَةُ الخَارِجَةُ عَنْ سِيَاقِ الْأَبْيَاتِ، وَكَأَنَّها تُمَثِّلُ تِلْكَ الصَّدْمَةَ النَّفْسِيَّةَ الْعَنِيفَـةَ الَّتِـي يُعَـانِي مِنْهَـا الشَّـاعِرُ المتَـأَلِّمُ ، كَـمَا أَنَّ مَـا يُحْدِثُـهُ أُسْلُوبُ النُّدْبَةِ فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ يَتَوَازَىٰ آخِرُهُ صَوْتِيًّا مَعِ اسْمِ الْفِعْلِ«آه» الَّذِي يُعَبِّرُ عَنِ التَّوَجُّعِ وَالْأَلَمِ، وَلِنَنْظُـرْ إِلَىٰ الْبِنْيَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْبَيْتِ السَّابِقِ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

وَاوَيْلَتَا	هُ أَإِنَّهَا لْ	حَقِيقَةُ	جَلَّتٍ عَنِ لْ	إِيجَافِ وَتْـ	تَرْوِيعِ
/٥/٥//٥	///٥//٥	//٥//٥	/٥/٥//٥	//٥/٥/٥	/٥/٥/٥

وَفِي قَصِيدَةِ «مَأْسَاةُ الْبَدَارِيِّ» يَأْتِي الْوَقْصُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ، يَقُولُ :

مَا ذَلِكَ . الْعِرْضُ الشَّرِيفُ يُثْلَمُ   وَيَسِيلُ مِنْ حَنَقٍ حَوَالَيْهِ الدَّمُ؟ [2]

وَلِنَتَأَمَّلِ الْبِنْيَةَ الْعَرُوضِيَّةَ لهَذَا الْبَيْتِ :

مَا ذَلِكَ لْ	عِرْضُ الشَّرِيـ	ـفُ يُثْلَمُ	وَيَسِيلُ مِـنْ	حَنَقٍ حَـوَا	لَـيْهِ الـدَّمُ
/٥/٥//٥	/٥/٥//٥	//٥//٥	///٥//٥	///٥//٥	/٥/٥//٥

يُسْهِمُ الْوَقْصُ ـ كَمَا أَسْهَمَ فِي الـنَّصِّ السَّـابِقِ ـ فِي إِبْـرَازِ الصَّـدْمَةِ الشُّـعُورِيَّةِ الَّتِـي أَصَـابَتِ الشَّاعِرَ إِثْرَ الْوَحْشِيَّةِ الَّتِي تَعَرَّضَ لهَا أَهَـالِي قَرْيَـةِ الْبَـدَارِيِّ مِـنْ مَـأْمُورِ السِّـجْنِ، هَـذِهِ الصَّـدمَةُ الشُّـعُورِيَّةُ يُعَـبِّرُ الشَّـاعِرُ عَنْهَـا بِالسُّـؤَالِ الاسْـتِنْكَارِيِّ، الَّـذِي يُـدِينُ الانْتَهَاكَـاتِ وَالمُمَارَسَـاتِ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 264 .

(2) نفسه ، ص 270.

الْبَشِعَةِ لِلسُّلْطَةِ المتَمَثِّلَةِ فِي مَأْمُورِ الْبَدَارِيِّ، يَقُولُ «قُطْب» تَعْلِيقًا عَلَىٰ مَا حَدَثَ :« لَيْسَ فِي مِصْرَ مَنْ لَا يَذْكُرُ هَذِهِ المأْسَاةَ الْوَحْشِيَّةَ الَّتِي مَثَّلَهَا مَأْمُورُ الْبَدَارِيِّ المقْتُولُ مَعَ أَهَالِي الْبَدَارِيِّ عَامَّةً، وَسَجِينِ الْبَدَارِيِّ خَاصَّةً، وَذَلِكَ الموْقِفَ الْعَجِيبَ الَّذِي وَقَفَتْهُ وَزَارَةُ الْعَهْدِ الْبَائِدِ المظْلِمِ، وَقَدْ حَالَتْ قُيُودُ ذَلِكَ الْعَهْدِ الْبَغِيضِ دُونَ نَشْرِ هَذِهِ المقْطُوعَةِ وَسِوَاهَا». إِنَّ الشَّاعِرَ نَفَثَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كُلَّ طَاقَاتِ الْغَضَبِ، وَأَدَانَ فِيهَا مُؤَسَّسَاتِ الْقَمْعِ وَالتَّعْذِيبِ الَّتِي تَرْتَكِزُ عَلَىٰ سَحْقِ الْإِنْسَانِ بُغْيَةَ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا التَّنْمَوِيَّةِ، يَقُولُ :

فِي أَيِّمَا بَلَدٍ نَعِيشُ ؟ وَأَيِّمَا	عَهْدٍ يَمُرُّ عَلَىٰ الْكِنَانَةِ مُظْلِمُ
عَهْدٍ نُسَامُ فِيهِ الخَسْفَ وَنُبْتَلَىٰ	نِقَمًا إِذَا قُمْنَا نَضِجُّ وَنَنْقِمُ
يَا أَيُّهَا الرُّفَقَاءُ بِالحَيَوَانِ لَا	تَنْسَوْا أَنَاسِيًّا تَئِنُّ وَتَأْلَمُ

ثُمَّ يَرْتَفِعُ الخَطُّ الْبَيَانِيُّ لِثَوْرَةِ الْغَضَبِ إِثْرَ الصَّدْمَةِ الشُّعُورِيَّةِ الَّتِي تَلَقَّاهَا، يَقُولُ:

فِي مِصْرَ قَدْ تَلْقَىٰ الْكِلَابُ رِعَايَةً	بَيْنَا يُحَقَّرُ شَعْبُهَا وَيُحطَّمُ
فِي مِصْرَ لَا يَلْقَىٰ المُسِيءُ جَزَاءَهُ	لَا بَلْ يُكَافَأُ دُونَهُ وَيُكَرَّمُ
فِي مِصْرَ لَوْ فِي مِصْرَ بَعْضُ كَرَامَةٍ	غَضِبَتْ وَفَارَ عَلَىٰ جَوَانِبِهَا الدَّمُ

لَقَدِ ارْتَبَطَتِ التَّفْعِيلَتَانِ الموْقُوصَتَانِ الْوَحِيدَتَانِ فِي شِعْرِ«قُطْب» بِالتَّعْبِيرِ عَنِ الصَّدَمَاتِ الشُّعُورِيَّةِ الْوَطَنِيَّةِ خَاصَّةً؟وَمِنْ ثَمَّ نَقُولُ:إِنَّ زِحَافَ «الْوَقْصِ» فِي شِعْرِ «قُطْب» يُعَدُّ مُعَادِلًا مَوْضوعِيًّا لِلصَّدَمَاتِ النَّفْسِيَّةِ الْعَارِمَةِ الَّتِي تُشْعِلُ الْفِكْرَ وَالْوِجْدَانَ وَتَجْعَلُ الْعُنُقَ المشْرَئِبَّةَ المحَلِّقَةَ تَقْصُرُ مِنْ هَوْلِ مَا تَمُرُّ بِهِ مِنْ مَشَاهِدَ أَلِيمَةٍ، وَلَعَلَّ مَا فِي تَرْكِيبِ (وَقَصَ) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مِنْ مَعْنًىٰ قَرِيبٍ مِنْ ذَلِكَ[1] يُؤَكِّدُ مَا نَزْعُمُ عَنْ هَذَا الزِّحَافِ ـ وَخَاصَّةً فِي الحَالَتَيْنِ الَّتِي نَحْنُ أَمَامَهُمَا، قَوْلُ «قُطْب» تَعْبِيرًا عَنْ هِزَّتِهِ النَّفْسِيَّةِ إِثْرَ مَوْتِ «سَعْد»:«لَمْ تَكُنْ إِلَّا مَرَّاتٍ مَعْدُودَةً جَلَسْتُ فِيهَا إِلَىٰ فَقِيدِ مِصْرَ الْعَظِيمِ.ثُمَّ هَأَنَذَا أُعَانِي مِنَ الْفَجِيعَةِ فِيهِ كَأَنَّهَا فَجِيعَتِي الخَاصَّةُ ..فَيَا وَيْحُ لِأُوَّلَئِكَ الَّذِينَ عَاشَرُوهُ، فَأَحَبُّوهُ وَوَارَحْمَتَاهُ لهُمْ كَيْفَ يَعِيشُونَ..؟».[2] وَإِذَا مَا أَضَفنَا دِلَالَةَ هَذَا الْقَوْلِ بِجِوَارِ دِلَالَةِ مَا قَالَهُ عَنْ «مَأْسَاةِ الْبَدَارِيِّ» فَسَوَفَ نَطْمَئِنُّ إِلَىٰ مَا

(1) وَقِصَ: قَصُرَتْ عُنُقُهُ خِلْقَةً ، والْوَقْصُ والْوَقَصُ: كُسَارُ الْعِيدَانِ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ لِيُزِيدَهَا اشْتِعَالًا . انظر : لسان العرب : (وقص) .

(2) نفسه ، ص 264 .

أَحْدَثَهُ هَذَا «الْوَقْصُ» مِنْ هِزَّةٍ صَوْتِيَّةٍ فِي لَبِنَاتِ النَّصِّ الدَّاخِلِيَّةِ، وَهِيَ هِزَّةٌ مُعَبِّرَةٌ عَنِ الصَّدْمَةِ الشُّعُورِيَّةِ.

(5/2/2) يُعَدُّ «الْعَقْلُ» ـ حَذْفُ الخَامِسُ المتَحَرِّكُ ـ مِنَ الزِّحَافَاتِ قَلِيلَةِ التَّوَاجُدِ فِي شِعْرِ «قُطْب»، وَهُوَ زِحَافٌ خَاصٌّ بـ« مُفَاعِلَتُنْ»تَفْعِيلَةِ الْوَافِرِ وَمَجْزُوئِهِ، وَقَدْ وَقَعَ فِي شِعْرِ «قُطْب» مَرَّتَيْنِ فَقَطْ فِي قَصِيدَةِ «عَلَىٰ أَطْلَالِ الحُبِّ» [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] ، يَقُولُ :

تَـفَـرَّدَ ذَلِكَ الـطَّـلَـلُ وَطَـافَ بِـرُكْنِهِ الْوَجَلُ

جَـفَـاهُ أَهْـلُـهُ مَـلَلَا فَـخَيَّـمَ فَـوْقَهُ الْـمَـلَلُ

عَـزِيـزٌ عَـهْدُهُمْ فِيهِ عَـزِيـزٌ أَنْـتَ يَـا طَلَـلُ

بَـنَـاهُ خَـيْـرُ بَـنَّـاءٍ بَـنَـاهُ الْـحُـبُّ مُبْتَدِعًا[1]

تُمَثِّلُ الْقَصِيدَةُ حَالَةً مِنْ حَالَاتِ الْبُكَاءِ عَلَىٰ الْأَطْلَالِ، الَّذِي تُمَثِّلُ مَوْطِنَ الذِّكْرَيَاتِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَحَبِيبِهِ، يَدْخُلُ «الْعَقْلُ» التَّفْعِيلَةَ الْأُولَىٰ مِنَ الْبَيْتَيْنِ الثَّانِي وَالرَّابِعِ، عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي تُوَضِّحهُ الخَرِيطَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ :

جَفَاهُ أَهْـــ	ـــــلُهُ مَلَلَا	فَخَيَّمَ فَوْ	قَهُ المَلَلُ
٥//٥//	٥///٥//	٥//٥/٥/	٥///٥//
بَنَاهُ خَيْـــ	ــــرُ بَنَّاءٍ	بَنَاهُ الحُبْـ	ـبُ مُبْتَدِعَا
٥//٥//	٥/٥/٥//	٥/٥/٥//	٥///٥//

يَعْمَلُ الْعَقْلُ عَلَىٰ تَقْلِيلِ السُّرْعَةِ المتَوَلِّدَةِ فِي التَّفْعِيلَةِ بِسَبَبِ تَوَالِي ثَلَاثَةِ مُتَحَرِّكَاتٍ وَبِهذِهِ الخَاصِيَّةِ الْإِيقَاعِيَّةِ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْهَمَ وُجُودَهُ فِي الْوَحْدَةِ «جَفَاهُ أَهْـ »، فَأَهْلُ الطَّلَلِ تَرَكُوهُ بَعْدَ وَقْتٍ طَوِيلٍ، وَأَنَّ الْفَتْرَةَ الزَّمَنِيَّةَ الَّتِي أَقَامُوا فِيهَا عَلَيْهِ لَمْ تَكُنْ بِالْفَتْرَةِ الْقَصِيرَةِ الَّتِي تَمُرُّ سَرِيعًا، وَبِالْفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ نَفْسِهَا ـ أَيْ بِنَفْسِ عَدَدِ المتَحَرِّكَاتِ وَالسَّوَاكِنِ ـ بَنَىٰ الحُبُّ هَذَا الطَّلَلَ وَأَبْدَعَ فِي إِظْهَارِ مَفَاتِنِهِ وَجَمَالِهِ.وهَذَا مَا يُفَسِّرُهُ لَنَا الْعَقْلُ فِي تَفْعِيلَةِ «بَنَاهُ خَيْـ ».وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ يُعَدُّ الْعَقْلُ أَحَدَ الْوَسَائِلِ الصَّوْتِيَّةِ المنَبِّهَةِ لِلالْتِفَاتِ الْأُسْلُوبِيِّ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ، حَيْثُ إِنَّ الشَّاعِرَ

(1) نفسه ، ص 200.

بَدَأَ الحَدِيثَ عَنِ الطَّلَلِ بِصِيغَةِ ضَمِيرِ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ:«جَفَاهُ أَهْلُهُ مَلَلًا»، وَهِيَ التَّفْعِيلَةُ المعْصُوبَةُ الْأُولَىٰ ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَىٰ صِيغَةِ المُخَاطَبِ ، فِي قَوْلِهِ : «عَزِيزٌ أَنْتَ يَا طَلَلُ»، ثُمَّ يَعْدِلُ مَرَّةً أُخْرَىٰ إِلَىٰ التَّعْبِيرِ بِصِيغَةِ الْغَائِبِ فِي قَوْلِهِ:«بَنَاهُ خَيْرُ بَنَّاءٍ»، وَالمتَأَمِّلُ لحِرَكَةِ هَذَا الالْتِفَاتِ الْأُسْلُوبِيِّ، يَجِدُ أَنَّ الْوَحْدَتَيْنِ الصَّوْتِيَّتَيْنِ المعْقُولَتَيْنِ تُمَثِّلَانِ حُدُودَهُ، فَهُمَا بِمَا فِيهِمَا مِنْ مُنَبِّهٍ زِحَافِيٍّ تُمَثِّلَانِ بِدَايَةَ الْعُدُولِ الْأُسْلُوبِيِّ وِنِهَايَتَهُ، وَهَكَذَا يُسْهِمُ الْعَقْلُ بِصِفَتِهِ مُنَبِّهٍ صَوْتِيٍّ فِي الْكَشْفِ عَنْ عُدُولٍ فِي أُسْلُوبِ الْكَلَامِ مِنْ صِيغَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ.

(6/2/2) يُعَدُّ «الخَبْلُ» مِنَ الزِّحَافَاتِ الْقَلِيلَةِ فِي شِعْرِ«قُطْب»، وَهُوَ يُعَرَّفُ بِأَنَّهُ «اجْتِمَاعُ الخَبْنِ وَالطَّيِّ، أَيْ حَذْفُ الثَّانِي وَالرَّابِعِ السَّاكِنَيْنِ، وَهُوَ يَدْخُلُ مُسْتَفْعِلُنْ ومفعولات» [1]، وَقَدْ وَرَدَ فِي شِعْرِ«قُطْب» مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي الْبَيْتِ 23 مِنْ قَصِيدَةِ «بَيْنَ الظِّلَالِ» [مِنَ المُجْتَثِّ] :

وَخَفَقَ الْكَوْنُ خَفْقًا   قَدْ ضَرَّمَتْهُ اللَّيَالِي
وَعَادَ يَهْمِسُ رِفْقًا   بِذِكْرَيَاتِي الْخَوَالِي[2]

وَالْقَصِيدَةُ مِنْ قَصَائِدِ التَّأَمُّلَاتِ الَّتِي يَخْلُو فِيهَا الشَّاعِرُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ الظِّلَالِ مُتَأَمِّلًا الْكَوْنَ وَظِلَالَهُ بِنَظْرَةِ المحِبِّ، وَيَأْتِي الخَبْلُ فِي تَفْعِيلَةِ «مُسْتَفْعِلُنْ»فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي تُوَضِّحُهُ خَرِيطَةُ الْبِنْيَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْبَيْتِ :

ـهُ اللَّيَالِي	قَدْ ضَرَّمَتْـ	ـكَوْنُ خَفْقًا	وَخَفَقَ الْـ
/ه/ه//ه	/ه/ه//ه	/ه//ه/ه	////ه

عَنْ طَرِيقِ «الخَبْلِ» تَزْدَادُ سُرْعَةُ «مُسْتَفْعِلُنْ» زِيَادَةً بَالِغَةً، إِذْ إِنَّهُ يَعْمَلُ عَلَىٰ تَوَالِي أَرْبَعَةِ مُتَحَرِّكَاتٍ بِصُورَةٍ مُتَتَالِيَةٍ لَمْ تَكُنْ مُتَاحَةً لِـ«مُسْتَفْعِلُنْ» مِنْ قِبَلِ أَيِّ زِحَافٍ آخَرَ، فَتَصِيرُ بِالشَّكْلِ (////ه) وَيُقْرَأُ «مُتَعِلُنْ»، وَمِنْ ثَمَّ يَتَّضِحُ مَا تُحَقِّقُهُ هَذِهِ التَّفْعِيلَةُ المخْبُولَةُ فِي إِثْرَاءِ المعْنَىٰ، فَهِيَ تُنَاسِبُ الْفِعْلَ«خَفَقَ» مُنَاسَبَةً شَدِيدَةً؛إِذْ تُعَبِّرُ عَنْ سُرْعَةِ هَذَا الخَفَقَانِ وَتَوَالِيهِ المسْتَمِرِّ، مِمَّا يَجْعَلُنَا نَتَمَثَّلُ صَوْتِيًّا دَقَّاتِ قَلْبِ الشَّاعِرِ الَّذِي يَشْعُرُ شُعُورًا غَامِرًا إِثْرَ وُصُولِهِ إِلَىٰ نَفْسِهِ تِلْكَ الَّتِي ظَلَّ يَبْحَثُ عَنْهَا، يُؤَكِّدُ مَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي دَوْرِ«الخَبْلِ» الصَّوْتِيِّ وَالمعْنَوِيِّ مَا

(1) د . إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية ، ص 222 .
(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 116 .

يَقُولُه الشَّاعِرُ بَعْدَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مُبَاشَرَةً :

وَجَدْتُ نَفْسِي وَكَانَتْ ضَاعَتْ ضِيَاعَ الْإِيَاسِ
وَرُضْتُ نَفْسِي فَلَانَتْ مِنْ بَعْدِ طُولِ الشِّمَاسِ[1]
وَبَعْدَ صَعْبِ الْـمِرَاسِ

يُؤَكِّدُ ـ إِذَنْ ـ «الخَبْلُ» تِلْكَ الْفَرْحَةَ الْعَفْوِيَّةَ بَعْدَ اللِّقَاءِ الحَمِيمِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَنَفْسِهِ الَّتِي لَانَتْ وَخَضَعَتْ بَعْدَ طُولِ الْإِبَاءِ وَالتَّشَرُّدِ فِي دُرُوبِ الْفِكْرِ المتعَدِّدِ، يُسَجِّلُ الخَبْلُ صَوْتِيًّا خَفَقَانَ قَلْبَ الشَّاعِرِ إِثْرَ خُرُوجِهِ مِنْ غَيَابَاتٍ فِكْرِيَّةٍ عَدِيدَةٍ .

وَهَكَذَا يُمْكِنُ أَنْ نَتَأَمَّلَ دَوْرَ تِلْكَ الزِّحَافَاتِ فِي بِنَاءِ النَّصِّ؛إِذْ إِنَّهَا تُصِيبُ اللَّبِنَاتِ المكَوِّنَةَ لَهُ، وَهَذِهِ اللَّبِنَاتُ تُمَثِّلُ مُفْرَدَاتِ المُعْجَمِ الشِّعْرِيِّ الخَاصِّ بِالشَّاعِرِ، وَبِهَذَا المعْجَمِ بِلَبِنَاتِهِ وَزِحَافَاتِهَا تَتَمَثَّلُ الدَّوَائِرُ الَّتِي تُشَكِّلُ نَظْرَةَ الشَّاعِرِ لِلْوُجُودِ.

عَلَىٰ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ شِعْرَ «قُطْب» خَلا تَمَامًا مِنْ زِحَافٍ شَائعٍ ، هُوَ« الطَّيُّ» الَّذِي يُمَثِّلُ حَذْفَ الرَّابِعِ السَّاكِنِ مِنْ «مُسْتَفْعِلُنْ» فَلَمْ يَدْخُلْ أَيَّ تَفْعِيلَةٍ فِي شِعْرِهِ، أَمَّا «الْقَبْضُ» ــ حَذْفُ الخَامِسِ السَّاكِنُ ـ الَّذِي يُسْتَخْدَمُ فِي الطَّوِيلِ فَلَمْ يَأْتِ فِي حَشْوِهِ إِلَّا فِي «فَعُولُنْ» ، أَمَّا عَنْ دُخُولِهِ عَلَىٰ «مَفَاعِيلُنْ» فِي حَشْوِ الْبَيْتِ فَلَمْ نَجِدْهُ عِنْدَ «قُطْب»، إِلَّا فِي تَفْعِيلَتَي الْعَرُوضِ وَالضَّرْبِ وَهَذَا مِمَّا أَوْجَبَهُ أَهْلُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ فَهُوَ مُضْطَرٌّ إِلَيْهِ اضْطِرَارًا.وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُعْطِي دِلَالَةً عَامَةً عَنْ شِعْرِ «قُطْب» وَهِيَ الْتِزَامُهُ بِالْقَوَاعِدِ الْعَرُوضِيَّةِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، وَنَظَرُهُ دَائِمًا لِتِلْكَ الزِّحَافَاتِ عَلَىٰ أَنَّهَا عُيُوبٌ إِذَا كَثُرَتْ تُفْقِدُ الشِّعْرَ حَلَاوَتَهُ، غَيْرَ أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ لِتِلْكَ التَّغْيِيرَاتِ نَظْرَةً أُخْرَىٰ تَتَأَمَّلُ دَوْرَهَا فِي بِنَاءِ النَّصِّ كَمَا رَأَيْنَا فِي النَّمَاذِجِ السَّابِقَةِ. إِنَّ هَذَا الخِتَامَ لهِذِهِ المرْحَلَةِ البَحْثِيَّةِ مَا هُوَ إِلَّا تَمْهِيدٌ لِلْمَرْحَلَةِ التَّالِيَةِ، تِلْكَ الَّتِي سَنَتَوَقَّفُ فِيهَا عِنْدَ تَشْكِيلَاتٍ صَوْتِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لَمْ يُجِزْهَا الْعَرُوضِيُّونَ، وَقَدْ ظَهَرَتْ فِي شِعْرِ «قُطْب»، وَهِيَ بِالطَّبْعِ قَلِيلَةُ الظُّهُورِ لِلْعِلَّةِ سَالِفَةِ الذِّكْرِ؛بَيْدَ أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَهَا نَتَأَمَّلَ دَوْرَهَا فِي بِنَاءِ النَّصِّ؛لِأَنَّهَا ظَاهِرَةٌ صَوْتِيَّةٌ تَدْخُلُ فِي صَمِيمِ مَوْضُوعِ الدِّرَاسَةِ.

---

(1) الإباء .

(3/2) لَمْ يَتَوَقَّفِ الشَّاعِرُ الحَدِيثُ عِنْدَ مِيرَاثِ الْعَرُوضِيِّينَ فَقَطْ؛وَلَكِنَّهُ يَسْعَىٰ دَءُوبًا كَيْ يَنْفَـرِدَ صَـوْتُهُ عَنْ صَوْتِ الْأَقْدَمِينَ، وَإِنْ بَدَأَ بِهِمْ ـ فَهُمُ الْأَصْلُ ـ وَإِنْ لَمْ يَتَشَبَّثْ بِأَصْلِهِ تَلاعَبَتْ بِهِ الـرِّيحُ وَرُبَّمَـا تَهْـوِي بِـهِ إِلَىٰ مَكَانٍ سَحِيقٍ، وَسَوْفَ نَتَوَقَّفُ فِي هَذِهِ المرْحَلَةِ الْبَحْثِيَّةِ عِنْدَ التَّجْدِيدَاتِ الَّتِي أَحْـدَثَها «قُطْـب» فِي حَشْـوِ الْبَيْتِ، فَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ قِلَّتِهَا إِلَّا أَنَّهَـا تَقُـومُ بِـإِكْمَالِ تَشْـخِيصِ الْأَدَاءِ الْعَـرُوضِيِّ لِلشَّـاعِرِ .وَهَـذَا هُـوَ هَـدَفُ الدِّرَاسَةُ فِي هَذَا الْبَابِ .

(1/3/2) دُخُولُ «فَاعِلُنْ» فِي حَشْوِ المُتَقَارِبِ وَالطَّوِيلِ :

يَتَكَـوَّنُ وَزْنُ المُتَقَـارِبِ مِـنْ تَكْـرَارِ «فَعُـولُنْ» فِي الْبَيْـتِ أَرْبَـعَ مَـرَّاتٍ، وَيَتَكَـوَّنُ وَزْنُ الطَّوِيـلِ مِـنْ تَكْرَارِ«فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ» أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَقَدْ لُوحِظَ دُخُولُ «فَاعِلُنْ» المَخْبُونَةِ فِي حَشْوِ هَذَيْنِ الْـوَزْنَيْنِ بِشَـكْلَيْنِ (///٥)و(/٥/٥)، فَهُـمَا يَـدْخُلَانِ الْمتقـاربَ فِي أَيِّ جُـزْءٍ مِـنْ أَجْـزَاءِ الحشْـوِ، أَوْ بَـدَلًا مِـنْ«فَعُـولُنْ» الَّتِـي فِي الطَّوِيلِ.وَقَدْ تَنَامَىٰ دُخُولُ «فَاعِلُنْ» فِي «فَعُولُنْ» أَكْثَرَ فِي شِعْرِ التَّفْعِيلَـةِ، وَرَاحَ أَهْـلُ الصَّـنَعِة يُحَلِّلُـونَ هَـذِهِ الظَّاهِرَةَ فِي ضَوْءِ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ نُصُوصٍ لِذَلِكَ الشِّعْرِ.

فَـيَرَىٰ «د.السَّـمَّانُ»أَنَّ مَـا سَـهَّلَ تَبَـادُلَ «فَعُـولُنْ» مَـعَ «فَـاعِلُنْ» هُـوَ مَـا ذَكَـرَهُ عَـنْ سُـهُولَةِ تَبَادُلْ«فَاعِلْ»مَعَ«فَعِلُنْ»، وَهُوَ تَسَاوِي كُلٍّ مِنَ التَّفْعِيلَتَيْنِ، وَهُوَ هُنَا اشتِمَالُ كُلٍّ مِنَ التَّفْعِيلَتَـيْنِ عَـلَىٰ سَـبَبٍ خَفِيفٍ وَوَتَدٍ مَجْمُوعٍ، فَهُـمَا مُتَّحِـدَتَانِ فِي عَـدَدِ الحَرَكَـاتِ وَالسَّـكَنَاتِ وَإِنِ اخْتَلَفَـا فِي تَـرْتِيبِهِمَا.[1] وَيَتَنَـاوَلُ «د.كَمَالُ أَبُو ديب» مَسْأَلَةَ تَدَاخُلِ «فَعُولُنْ» مَعَ «فَـاعِلُنْ»، وَأَطْلَـقَ عَلَيْهَـا ظَـاهِرَةَ الْإِبْـدَالِ، وَهُـوَ يَعُـدُّهَا ظَاهِرَةً طَبِيعِيَّةً وَصِحِّيَّةً نَتِيجَةَ اعْتِمَادِ الشِّعْرِ الحُرِّ عَلَىٰ الْبُحُورِ الصَّـافِيَةِ وَحِيـدَةَ الصُّـورَةِ، وَمِـنْ هُنَـا يَسْـهُلُ الانْتِقَالُ مِنْ «فَاعِلُنْ» إِلَىٰ «فَعُولُنْ» أَيْ دُخُـولِ وَحْـدَةٍ تَبْـدَأُ بِــ «//٥» فِي سِـيَاقِ وَحْـدَةٍ تَنْتَهِـي بِهَـا دُونَ أَنْ يَحْدُثَ الْعَكْسُ، وَيُصَرِّحُ أَبُو دِيب بِهَذَا فِي قَوْلِهِ :« بَيْنَمَا أَصبَحَتْ «فَعُـولُنْ» جُـزْءًا مِـنْ بِنْيَـةِ المتَـدَارِكِ وَلَـمْ تُصْبِحْ «فَاعِلُنْ» جُزْءًا مِنْ بِنْيَةِ المتَقَارِبِ».[2]

فَالسَّمَّانُ يَذْهَبُ إِلَىٰ التَّسَاوِي الصَّوْتِيِّ الحَاصِلِ بَيْنَ التَّفْعِيلَتَيْنِ، بَيْنَمَا يَـذْهَبُ أَبُـو دِيـب إِلَىٰ الْإِبْدَالِ بَـيْنَ الْوَتَـدِ المجْمُـوعِ وَالسَّـبَبِ الخَفِيـفِ فِي التَّفْعِيلَتَـيْنِ، لَكِـنَّ الْأَمْـرَ الَّـذِي يَخْتَلِـفُ فِيـهِ

---

(1) د. محمود علي السمان : عروض الشعر الحر وقوافيه ، ص 69 .

(2) د. كمال أبو ديب : جدلية الخفاء والتجلي ، ط. دار العلم للملايين ، بيروت ، ط3 ، 1984، ص 95، 99 .

الْبَاحِثُ مَعَ أَبِي دِيب هُوَ أَنَّ التَّبَادُلَ حَاصِلٌ فِي الْوَزْنَيْنِ مَعًا، وَلَيْسَ مَقْصُورًا عَلَىٰ وَزْنٍ دُونَ آخَرَ، وَذَلِكَ لِانْتِمَائِهِمَا لِدَائِرَةٍ عَرُوضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ دَائِرَةُ المتَّفِقِ، وَمِنْ ثَمَّ نَتَسَاءَلُ:لِمَاذَا رَفَضَ أَبُو دِيب أَنْ تُصْبِحَ«فَاعِلُنْ»جُزْءًا مِنَ المتَقَارِبِ؟الَّذِي يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْبَاحِثُ أَنَّ سُهُولَةَ الانْتِقَالِ مِنَ «فَاعِلُنْ» إِلَىٰ«فَعُولُنْ»هِيَ نَفْسُهَا سُهُولَةُ الانْتِقَالِ الثَّانِيَةِ إِلَىٰ الْأُولَىٰ ، وَأَنَّ أَبَا دِيب يَذْهَبُ إِلَىٰ تَقْعِيدِ قَاعِدَةٍ عَامَّةٍ مِنْ غَيرِ اسْتِقصَاءٍ لِعِدَّةِ نَمَاذِجَ، وَالمثِيرُ لِلدَّهْشَةِ أَنَّ «فَاعِلُنْ» تَظْهَرُ فِي حَشْوِ «المُتَقَارِبِ»عِنْدَ «قُطْب»وَهُوَ مِنَ الشِّعْرِ الْعَمُودِيِّ وَمِنْ ثَمَّ يُصْبِحُ التَّبَادُلُ قَائِمًا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَلَا يُمْكِنُ قَصْرُهُ عَلَى وَزْنٍ دُونَ الْآخَرِ .

وَعَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ، دَخَلَتْ «فَاعِلُنْ» المَخْبُونَةُ حَشْوَ المُتَقَارِبِ عِنْدَ «قُطْب» أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَمَرَّةً وَاحِدَةً فِي حَشْوِ الطَّوِيلِ ، وَنُوَضِّحُ هَذِهِ الحَالَاتِ فِي الْأَسْطُرِ التَّالِيَةِ:

1 ـ فِي قَصِيدَةِ «الظَّامِئَةُ» [مِنَ المُتَقَارِبِ]، وَهِيَ مِنْ قَصَائِدِ عَامِ 1934 ، بَيْتٌ حَدَثَ فِيهِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ، هو البيت الثاني عشر، يَقُولُ:

وَشَطَّتْ بِنَا بَدَوَاتُ اللِّقَاءِ وَضَلَّتْ بِنَا خُطْوَاتُ السِّنِينْ [1]

وَالخَرِيطَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ لِلْبَيْتِ كَالتَّالِي :

وَشَطَّتْ	بِنَـــا بَـ	ـدَوَاتُ لْ	لِقَاءِ	وَضَلَّتْ	بِنَا خُطْـ	ـوَاتِ اسْ	سِنِينْ
//ه/ه	//ه/	//ه/ه	//ه/ه	//ه/ه	//ه/ه	/ه/ه	//ه ه

فِي هَذِهِ التَّفْعِيلَة يتَوَالَىٰ مُتَحَرِّكٌ فَسَاكِنٌ ثُمَّ مُتَحَرِّكٌ فَسَاكِنٌ، وَهَذَا التَّوَالِي يَجْعَلُنَا نَتَمَثَّلُ وَقْعَ الخُطْوَاتِ فِي السَّيْرِ، فَهِيَ تُسَمَّىٰ «تَفْعِيلَةَ رَكْضِ الخَيْلِ »[2] لِمَا يَتَوَالَىٰ فِيهَا مِنْ تَتَابُعِ الحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ؛مِمَّا يَتَنَاسَبُ مَعَ قَوْلِ الشَّاعِرِ : «وَضَلَّتْ بِنَا خُطْوَاتُ السِّنِينْ» كَمَا أَنَّهَا تُعَبِّرُ عَنْ مُرُورِ هَذِهِ السِّنِينَ بِسُرْعَةٍ كَسُرْعَةِ رَكْضِ الخَيْلِ.

2 ـ فِي قَصِيدَةِ «الجَنَّةُ الضَّائِعَةُ» [مِنَ المتَقَارِبِ] ، جَاءَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ فِي حَشْوِ الْبَيْتِ 6 :

هُوَ الْيَأْسُ أَوِ الْيَقِينُ الْأَلِيمُ وَبَعْضُ الْحَقَائِقِ كَالْكَافِرَةْ [3]

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 166.

(2) د . إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية ، ص 246 .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 180.

وَالْبِنْيَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ لِلْبَيْتِ هِيَ :

هُوَ الْيَأْ	سُ أَوِ الْ	يَقِينُ لَ	أَلِيمُ	وَبَعْضُ لْ	حَقَائِـ	ـقِ كَالْكَا	فِرَهْ
//ه/ه	///ه	//ه/ه	//ه/ه	//ه/ه	//ه/	//ه/ه	//ه

تُمَثِّلُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ نَزْعَةَ تَحَسُّرٍ شَدِيدٍ يُعَانِيهَا الشَّاعِرُ بَعْدَ فَقْدِهِ لَجنَّتِهِ الَّتِي كَانَ يَأْوِي إِلَيْهَا مُحْتَمِيًا مِنْ شَظَفِ الْعَيْشِ، وَهِيَ تَتَكَوَّنُ مِنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ بَيْتًا، يَتَمَثَّلُ فِيهَا يَـأْسُ الشَّـاعِرِ مِـنْ رُؤْيَـةِ الحَيَـاةِ عَـلَىٰ مَـا كَانَتْ عَلَيْهِ وَهوَ مَعَ تِلْكَ الحَبِيبَةِ، يَقُولُ:

فَـقَـدْتُـكِ ذِكْرَىٰ فَوَاحَسْرَتَاهُ   لِـفَقْـدٍ مِنَ الْعَيْنِ وَالْـخَاطِرَهْ

وَيَتَرَدَّدُ فِي الْقَصِيدَةِ مَعَانِي الْيَأْسِ وَعَدَمُ جَدْوَىٰ الحَيَاةِ لَدَيْهِ، وَالْعَجِيبُ أَنَّ كَلِمَةَ الْيَأْسِ لَمْ تَأْتِ فِيهَا إِلَّا مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ، وَمَرَّةً فِي الْبَيْتِ الَّذِي حَدَثَ فِيهِ تَغَيُّرُ الْإِيقَاعِ، وَمِنْ ثَمَّ تَكْتَسِبُ هَذِهِ الظَّـاهِرَةُ الصَّوْتِيَّةُ دِلَالَةً مَعْنَوِيَّةً تَرْتَكِزُ عَلَيْهَا الدِّلَالَةُ الْعَامَّةُ لِلنَّصِّ، وَهِيَ فُقْدَانُ الْأَمَلِ فِي الحَيَاةِ بِفُقْـدَانِ المحْبُوبَـةِ أَوِ الجَنَّةِ الضَّائِعَةِ.

3 ـ فِي قَصِيدَةِ «صَدَىٰ قُبْلَـةٍ» [مِـنَ المُتَقَـارِبِ]، وَهِـيَ مِـنْ قَصَـائِدِ عَـامِ 1937، تَـأْتِي هَـذِهِ الظَّـاهِرَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ فِي بَيْتَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ هُمَا 15 و16 ، يَقُولُ :

قُوَىٰ كُلِّ هَيْكَلِ هَـٰذَا الْوُجُودِ   كَـذَاكَ قَـدَرْتِ يَـا قَـادِرَهْ

وَإِنِّــي لَأُغْـمِـضُ فِـي نَشْوَةٍ   وَأُمْسِكُ أَنْفَاسِي السَّاعِرَهْ [1]

وَتُوَضِّحُ الخَرِيطَةُ التَّالِيَةُ مَوْقِعَ الظَّاهِرَةِ الْإِيقَاعِيَّة عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

قُوَىٰ كُلْ	لِ هَيْكَ	لِ هَـٰذَا لْ	وُجُودِ	كذاكَ	قَدَرْتِ	يَا قَا	دِرَهْ
//ه/ه	//ه/	//ه/ه	//ه/ه	//ه/ه	//ه/ه	/ه/ه	//ه
وَإِنِّي	لَأُغْمِـــ	ـضُ فِي نَشْـ	وَةٍ	وَأُمْسِـــ	ـــكُ أَنْفَا	سِي السَّا	عِرَهْ
//ه/ه	//ه/	//ه/ه	//ه	//ه/	//ه/ه	/ه/ه	//ه

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 202 ، 203.

وَمِنَ المُلَاحَظِ أَنَّ الظَّاهِرَتَيْنِ الصَّوْتِيَّتَيْنِ قَدِ احْتَلتَا مَكَانًا وَاحِدًا فِي الْبَيْتَيْنِ، وَهَـذَا مِـنَ التَّنَاسُـقِ الصَّـوْتِيِّ الْفَنِّيِّ الْبَدِيعِ.وَإِذَا مَا أَرَدْنَا اسْتَنْطَاقَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي أَحْـدَثَتْ تَغْيِـيرًا فِي إِيقَـاعِ الْبَيْتَـيْنِ، فَسَـوْفَ نَرْتَدُّ إِلَىٰ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ قَبْلَ ذَلِكَ، وَهِيَ تُسَجِّلُ فَرْحَةَ الشَّاعِرِ الْعَارِمَةَ بَعْدَ إِصَابَتِهِ قُبْلَـةً مِـنْ حَبِيبَتِـهِ، لَقَـدْ غَيَّرَتْ وَجْهَ الْعَالَمِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ، وَحَـرَّرَتْ فِي جَسَـدِهِ طَاقَـاتٍ كَامِنَـةً يَقُـولُ وَاصِـفًا إِيَّاهَـا بِكُـلِّ مَعَـانِي الطُّهْـرِ وَالْعَفَافِ :

أَجَلْ هِيَ أَطْهَرُ مَا فِي الْوُجُودِ　　　فَمَا الرِّجْسُ إِلَّا الْقُوَىٰ الخَائِرَةْ

لَقَدْ أَزَالَتْ هَذِهِ الْقُبْلَةُ الصَّدَأَ مِنْ نَفْسِهِ وَقَدَرَتْ عَلَىٰ تَغْيِيرِهِ تَغْيِيرًا مَلْحُوظًا، وَمِـنْ ثَـمَّ يَقُـولُ:«كَـذَاكَ قَدَرْتِ يَا قَادِرَةْ ».وَلَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَذَكَّرُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الْمُمْتِعَةَ، وَيُسْمِعُنَا مَعَهُ صَدَىٰ هَذِهِ الْقُبْلَـةِ، ذَلِـكَ عَـنْ طَرِيقِ الظَّاهِرَتَيْنِ الصَّوْتِيَّتَيْنِ فِي الْبَيْتَيْنِ وَاللَّتَيْنِ تَأْخُذَانِ شَكْلَ الحَرَكَةِ المتَبُوعَةِ بِسُـكُونٍ مَـرَّتَيْنِ (/٥/٥)، هَكَـذا تُعَبِّرُ هَاتَانِ التَّفْعِيلَتَانِ عَنْ صَوْتِ الْقُبْلَةِ الَّتِي يَحْتَفِي بِهَا الشَّاعِرُ أَيَّمَا احْتِفَاءٍ، يُؤَكِّـدُ مَـا ذَهَبْنَـاَ إِلَيْـهِ فِي هَـذَا الاسْتِنْطَاقِ عُنْوَانُ الْقَصِيدَةِ نَفْسُهُ «صَدَىٰ قُبْلَةٍ»، وَيُؤَكِّدُهُ أَيْضًـا مَـا جَـاءَ فِي الْبَيْتَـيْنِ التَّـالِيَيْنِ لهـذَيْنِ الْبَيْتَـيْنِ، وَهُمَا الْبَيْتَانِ السَّابِعَ عَشَرَ وَالثَّامِنَ عَشَرَ ، يَقُولُ :

وَأَخْطَرُهَا قُـبْـلَـةً فِـي فَـمِي　　　فَـأَسْـمَعُ أَصْـدَاءَهَا الْـحَائِرَةْ

وَأَسْتَرْجِعُ اللَّحَظَاتِ الْقِصَارَ　　　فَأُلْـفِـي بِهَـا صُــورًا وَافِــرَةْ

بِهَاتَيْنِ الظَّاهِرَتَيْنِ الصَّوْتِيَّتَيْنِ الدَّخِيلَتَيْنِ عَلَىٰ تَفْعِيلَاتِ المُتَقَارِبِ أَسْمَعَنَا الشَّاعِرُ صَوْتَ الْقُبْلَـةِ أَوْ صَـدَىٰ صَوْتِهَا فِي نَفْسِهِ وَفِي أُذِنِنَا، وَكَأَنَّهُ ذَهَبَ بِهذَا التَّغْيِيرِ مَذْهَبًا صَوْتِيًّا رَائِعًا، حَيْـثُ جَعَـلَ تَفْعِيلَـةَ (//٥/٥) تُعَـبِّرُ عَنْ إِحْسَاسِهِ، وَتَفْعِيلَةَ (/٥/٥) تُعَبِّرُ عَنِ الصَّوْتِ الَّذِي أَدَّىٰ إِلَىٰ هَذَا الإِحْسَاسِ .

4 ـ فِي قَصِيدَةِ «صَوْتٌ» [مِنَ الطَّوِيلِ] وَهِيَ مِـنْ قَصَـائِدِ عَـامِ 1930 ، تَـأْتِي هَـذِهِ الظَّـاهِرَةُ فِي بَيْـتٍ وَاحِدٍ، هُوَ الْبَيْتُ الْعَاشِرُ، يَقُولُ:

هُـوَ الْيَوْمُ ذِكْرَىٰ لَا تُرْجَىٰ حَيَاتُهُ　　　فَـلَا هُوَ مَعْدُومٌ وَلَا هُوَ بَاقِيَا[1]

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 155.

وَتَتَمَثَّلُ الخَرِيطَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ لَهُ عَلَىٰ النَّحوِ التَّالِي :

هُوَ الْيَوْ	مُ ذِكْرَىٰ لَا	تُرْجَىٰ	حَيَاتُهُ	فَلَا هُـــ	ـــوَ مَعْدومًا	وَلَا هُـــ	وَ بَاقِيَا
//٥/٥	//٥/٥/٥	/٥/٥	//٥//٥	//٥/	//٥/٥/٥	//٥/	//٥//٥

وَإِذَا مَا حَاوَلْنَا اسْتِنْطَاقَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ، فَإِنَّنَا نَذْهَبُ إِلَىٰ مَا يَسْبِقُ ذَلِكَ الْبَيْتِ، فَسَوْفَ نَجِدُ أَنْفُسَنَا أَمَامَ حَالَةِ اعْتِرَافٍ.يَعْتَرِفُ فِيهَا الشَّاعِرُ بَيْنَ يَدَيْ مَحْبُوبَتِهِ عَنْ حُبٍّ قَدِيمٍ:

تُذَكِّرُنِي حُبًّا قَدِيمًا دَفَنْتُهُ   وَنَفَّضْتُ كَفِّي يَائِسًا مِنْهُ آسِيَا

وَرُحْتُ أُوَارِي كُلَّ آثَارِهِ الَّتِي   تَرَاءىٰ فَتُذْكِي الشَّجْوَ لَوْ بَاتَ خَابِيَا

تُمَثِّلُ هَذِهِ التَّفْعِيلَةُ الْمُخَالِفَةُ لِنَسَقِ التَّفْعِيلَاتِ رَفْضَ الشَّاعِرِ لِهَذَا الحُبِّ الْقَدِيمِ، وَأَنَّهُ يُحَاوِلُ نَفْيَهُ مِنْ حَيَاتِهِ فَلَا يَظْهَرُ مَرَّةً أُخْرَىٰ، تَتَأَتَّىٰ هَذِهِ الدِّلَالَةُ لِلتَّفْعِيلَةِ مِنْ تَكْثِيفٍ لِعُنْصُرِ النَّفِي فِي الْبَيْتِ:«لَا تُرْجَىٰ ..»، «لَا هُوَ مَعْدُومًا ..»، «لَا هُوَ بَاقِيًا .. » يُؤَكِّدُ مَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الاسْتِنْطَاقِ الصَّوْتِيِّ، أَنَّ أَبْيَاتَ الْقَصِيدَةِ الخَمْسَةَ عَشَرَ لَمْ يَأْتِ بِهَا عُنْصُرٌ لِلنَّفِيِّ إِلَّا فِي هذَا الْبَيْتِ وَفِي الْبَيْتِ الخَامِسِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ :

تَحَمَّلَهَا لَمْ يَشْكُ لِلنَّاسِ ثِقْلَهَا   وَقَدْ كَانَ مَعْذُورًا لَوِ الْتَاعَ شَاكِيَا

وَهُوَ يُوَضِّحُ الْمُعَانَاةَ الشَّدِيدَةَ لَهُ فِي ذَلِكَ الحُبِّ الْقَدِيمِ، الَّذِي لَمْ يُظْهِرْ مِنْهُ تَبَرُّمًا، يَصِلُ ـ إِذَنْ ـ الخَطُّ الْبَيَانِيُّ لِلنَّفْيِ إِلَىٰ قِمَّتِهِ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعَ الشَّاهِدِ.لَقَدْ عَبَّرَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ الصَّوْتِيَّةُ الْمُخَالِفَةُ لِلنَّسَقِ الْعَامِّ عَنِ انْفِعَالٍ نَفْسِيٍّ شَدِيدٍ جَرَّاءَ تَذَكُّرِ ذَلِكَ الحُبِّ الْقَدِيمِ، الْأَمْرَ الَّذِي جَعَلَ الشَّاعِرَ يَنْفِيهِ مِنْ حَيَاتِهِ نَفْيًا بِالثَّلَاثَةِ، مُؤَكِّدًا عَلَىٰ أَنَّهُ كَانَ ذِكْرَىٰ وَمَاضِيًا مُؤْلِمًا، يَقُولُ فِي أَوَّلِ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ :

تُذَكِّرُنِي الْمَاضِي فَآسَىٰ لِذِكْرِهِ   وَتُوقِظُ أَشْجَانِي وَقَدْ كُنْتُ نَاسِيَا

لَا نَرْكَبُ الشَّطَطَ إِذَا قُلْنَا:إِنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي أَخَذَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَقَطْ «تُرْجَىٰ» (/٥/٥) هِيَ بَيْتُ الْقَصِيدِ، فَهُوَ يُؤَكِّدُ لحَبِيبَتِهِ أَنَّ هَذَا الحُبَّ مَاتَ مِنْ ذَاكِرَتِهِ، وَلَا تُرْجَىٰ حَيَاتُهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ، بِلْ إِنَّهَا تُمَثِّلُ دَقَّاتِ قَلْبِهِ حِينَ يَلْهَجُ بِهَذَا التَّعْبِيرِ.

(2/3/2) دُخُولُ «مُتَفَاعِلُنْ » حَشْوَ الخَفِيفِ :

يَتَكَوَّنُ بَيْتُ الخَفِيفِ مِنْ «فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ»، وَدُخُولُ «مُتَفَاعِلُنْ» بَدَلًا مِنْ

«فَاعِلَاتُنْ»ظَاهِرَةٌ صَوْتِيَّةٌ لَمْ تَظْهَرْ فِي شِعْرِ«قُطْب»إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَذَلِكَ فِي الْبَيْتِ الحَادِي عَشَرَ مِنْ قَصِيدَةِ «جَوْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ الْـمَاضِي» ، يَقُولُ :

إِنَّ ذِكْرَىٰ الْـقَدِيمِ لِلنَّفْسِ تُؤْسِي　　　　وَتُهَيِّجُ الشُّجُونَ لِلْوِجْدَانِ[1]

تَظْهَرُ هَـٰذِهِ الظَّاهِرَةُ الصَّوْتِيَّةُ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

إِنَّ ذِكْرَىٰ لْ	قَدِيمِ لِنْ	نَفْسِ تُؤْسِي	وَتُهَيِّجُ اشْ	شُجُونَ لِلْ	وِجْدَانِ
/ه//ه/ه	///ه/ه	/ه//ه/ه	///ه//ه	//ه//ه	/ه/ه/ه

وَإِذَا مَا ذَهَبْنَا إِلَىٰ تَعْلِيلِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ عَرُوضِيًّا، فَإِنَّنَا نَذْكُرُ أَنْ «فَاعِلَاتُنْ» المخْبُونَةَ (///ه/ه)، تُشْبِهُ «مُتَفَاعِلُنْ»المقْطُوعَةَ (///ه/ه) ، لَكِنَّ هَذَا الْقَطْعَ عِلَّةٌ وَهِيَ لَازِمَةٌ فِي الْعَرُوْضِ وَالضَّرْبِ لَا الحشْوِ، وَمِنْ ثَمَّ يُعَدُّ دُخُولُ (///ه//ه) الْكَامِلَةُ فِي حَشْوِ الخَفِيفِ تَصَرُّفًا جَدِيدًا مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ .

أَمَّا إِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ أَثَرِ مَا أَحْدَثَهُ هَذَا التَّغْيِيرُ الصَّوْتِيُّ المَفَاجِئُ عَلَىٰ بِنْيَةِ السَّطْحِ، فَسَوْفَ نَرَىٰ فِي تَوَالِي المُتَحَرِّكَاتِ فِي (///ه//ه) تَزَاحُمًا يُمَثِّلُ حَالَةَ تَهَيُّجِ الشُّجُونِ بَعْدَ ازْدِحَامِ الصُّوَرِ الحَيَّةِ المُتَحَرِّكَةِ عَنِ المَاضِي فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ، فَهُوَ فِي جَوْلَةٍ فِي أَعْمَاقِ مَاضِيهِ، كَمَا أَخْبَرَنَا فِي عُنْوَانِ الْقَصِيدَةِ، وَكَما يَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ فِيمَا بَعْدُ :

فَاذْكُرَا لِي الْقَدِيمَ هَـمْسًا وَرِفْقًا　　　　وَدَعَانِي أَجِيشُ لَا تَعْذِلَانِ

فَهُوَ يَطْلُبُ مِنْ مُخَاطَبَيْهِ عَدَمَ لَوْمِهِ عَمَّا يَجِيشُ وَيَتَزَاحَمُ فِي رَأْسِهِ مِنْ ذِكْرَيَاتِ المَاضِي الْبَعِيدِ.

(3/3/2) دُخُولُ «فَعُولُنْ» فِي حَشْوِ الخَفِيفِ :

يُعَدُّ دُخُولُ«فَعُولُنْ»فِي حَشْوِ الخَفِيفِ مِنَ التَّجْدِيدِ الَّذِي أَضَافَهُ«قُطْب»إِلَىٰ أَدَائِهِ الْعَرُوضِيِّ، وَقَدْ ظَهَرَ ذَلِكَ فِي شِعْرِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَصِيدَةِ «بِيَانُو وَقَلْبٌ» فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ مِنْهَا:

أَمْ تُـرَاهُ ـ كَمَا أَرْجُو ـ فُـؤَادٌ　　　　بَيْنَ جَنْبَيْكِ مُلْهَمٌ خَفَقَانُهْ[2]

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 67 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 165.

وَالخَرِيطَةُ التَّالِيَةُ تُحَدِّدُ مَوْقِعَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ :

أَمْ تُـرَاهُ	كَمَا أَرْ	جُو فُؤَادٌ	بَيْنَ جَنْبَيْـ	كِ مُلْهَمٌ	خَفَقَانُهْ
٥/٥//٥/	٥/٥//	٥/٥//٥/	٥/٥//٥/	٥//٥//	٥/٥///

تَتَأَتَّى هَذِهِ الظَّـاهِرَةُ الصَّـوْتِيَّةُ مِـنْ دُخُـولِ زِحَـافِ «الشَّـكْلِ»عَـلَىٰ«مُسْـتَفْعِلُنْ» الَّتِـي تَتَوَسَّـطُ حَشْـوَ الخَفِيفِ، وَالشَّكْلُ هُوَ حَذْفُ الثَّانِي وَالسَّابِعِ السَّاكِنَيْنِ[1] فَتَتَحَوَّلُ إِلَىٰ «مُتَفْعِـلُ»، ثُـمَّ تَصَرَّفَ الشَّـاعِرُ فَحَـذَفَ الخَامِسَ المتَحَرِّكَ فتَحَوَّلَتْ إِلَىٰ «فَعُولُنْ»، وَلَا يَخْلُو ذَلِكَ مِنْ صَنْعَةٍ

بِالشَّكْلِ **بِالتَّصَرُّفِ**

أَجَازَ شَطْرًا مِنْهَا أَهْلُ الْعَرُوضِ أَمَّا الشَّطْرُ الآخَرُ فَقَدْ جَاءَ فِي إِطَارِ مَا لَمْ يُذْكُرْهُ أَهْلُ الصَّنْعَةِ وَعَلَىٰ أَيَّـةِ حَالٍ، يُوَضِّحُ المُخَطَّطُ التَّالِي مَا أَصَابَ «مُسْتَفْعِلُنْ»كَيْ تَصِلَ إلىٰ «فَعُولُن»:

٥//٥/٥/   ٥//٥//   ٥/٥// ← ←

أَمَّا عَنْ أَثَرِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ فَهِيَ تُمَثِّلُ نَغَمًا مُخَالِفًا لِمَا فِي الْقَصِيدَةِ مِنْ أَنْغَـامٍ، إِذْ إِنَّ الشَّاعِرَ يُمَثِّلُ دَقَّاتِ قَلْبِهِ بِآلَةِ الْبِيَانُو، بَلْ يَتَعَمَّقُ التَّشْبِيهُ أَكْثَرَ حِينَ يَجْعَـلُ دَقَّـاتِ إِصْبَعِ المحْبُوبَـةِ عَـلَىٰ الْبِيَانُو مِثْلَ دَقَّاتِ حُبِّهَا عَلَىٰ قَلْبِهِ ، يَقُولُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ :

هُوَ قَلْــبٌ لَـمَـسْـتِـهِ أَمْ بِـيَـانُـهْ   فَـتَـنَـادَتْ مِـنْ جَـوْفِهِ أَلْـحَانُهُ

هُوَ قَــلْبِي أَجَلْ فَهَـٰذِي الأَغَانِي   هُـوَ يَشْـدُو بِهَـا وَذَا تَـحْنَـانُهُ

وَبَعْدَ هَذَا التَّشَابُهِ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْبِيَانُو يَرْجُو الشَّاعِرُ أَنْ يَكُونَ هَـذَا الْقَلْـبُ بَـيْنَ جَنْبَـيْ حَبِيبَتِـهِ لَقَـدْ جَاءَتْ جُمْلَةُ التَّمَنِّي هَذِهِ جُمْلَـةً مُعْتَرِضَـةً فِي إِشَـارَةٍ إِلَىٰ أَنَّهَـا أُمْنِيـةٌ صَـعْبٌ تَحَقُّقُهَـا، وَكَأَنَّهَـا خَـارِجَ أَنْغَـامِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي جَاءَتْ عَاقِدَةً الصِّـلَةَ بَـيْنَ الْقَلْـبِ وَالْبِيَـانُو بَعْـدَ ذَلِـكَ، الْبَـدِيعُ فِي ذَلِـكَ أَنَّ الْوَحْـدَةَ الصَّـوْتِيَّةَ المخْتَلِفَةَ النَّغْمِ جَاءَتْ فِي طَيَّاتِ هَذِهِ الجُمْلَةِ الاعْتِرَاضِيَّةِ الخَارِجَـةِ عَـنِ السِّـيَاقِ التَّشْـبِيهِيِّ لِلْقَلْـبِ وَالْبِيَـانُو وَالَّذِي جَاءَ بِشَكْلٍ رَأْسِيٍّ عَلَىٰ طُولِ الْقَصِيدَةِ ، يَقُولُ :

---

(1) د . إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية ، ص 298 .

بَـلْ فُـؤَادِي مُـلَـحِّنٌ عَـبْـقَـرِيٌّ　　　لَـحْـنُـهُ مِـنْـهُ قِـطْـعَـةٌ وَبَـنَـانُهُ

التَّفْعِيلَةُ الخَارِجَةُ عَنِ السِّيَاقِ ـ إِذْنَ ـ تُسْهِمُ فِي تَمْيِيزِ الْأُمْنِيةِ الخَارِجَةِ عَنِ السِّيَاقِ فِي أَنْغَامِ الْقَصِيدَةِ ، وَمِنْ ثَمَّ تُعَدُّ عُدُولًا مُمَيَّزًا فِي الْبِنْيَةِ الْعَرُوضِيَّةِ لِلنَّصِّ.

(4/3/2) دُخُولُ «فَعُولُنْ» فِي حَشْوِ الرَّمَلِ :

يَتَكَوَّنُ وَزْنُ الرَّمَلِ مِنْ «فَاعِلَاتُنْ» مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي الصَّدْرِ وَمِثْلُهَا فِي الْعَجُزِ وَقَدْ أَسـفَرَ التَّقْطِيـعُ الْعَرُوضِيُّ لِأَعْمَالِ«قُطْب»عَنْ ظَاهِرَةٍ صَوْتِيَّةٍ مُخَالِفَةٍ لِذَلِكَ، وَهُوَ دُخُولُ «فَعُولُنْ» فِي حَشْوِ الرَّمَلِ، وَقَـدْ كَـانَ لِهذِهِ الظَّاهِرَةِ حُضُورٌ وَاحِدٌ فَقَطْ، فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مِنْ قَصِيدَةِ «الصُّبْحُ يَتَنَفَّسُ» :

نَـاعِـمًا مِـثْـلَ أَنْـفَـاسِ الْوُرُودِ　　　بَـلَّـلَ الـطَّـلُّ شَـذَاهَا بِنَدَاهُ [1]

يَكْشِفُ عَنْ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ التَّقْطِيعُ التَّالِي :

نَاعِمًا مِثْـ	لَ أَنْفَا	سِ الْوُرُودْ	بَلَّلَ الطَّلْ	لُ شَذَاهَا	بِنَدَاهْ
/ه//ه/ه	//ه/ه	/ه//ه/ه	/ه//ه/ه	///ه/ه	///ه ه

وَإِذَا مَا حَاوَلْنَا تَعْلِيلَ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ عَرُوضِيًّا، فَإِنَّـنَا نَـذْهَبُ إِلَىٰ أَنَّهَـا تَأَتَّـتْ مِـنْ خِـلَالِ خَـبْنِ «فَاعِلَاتُنْ»، فَتَتَحَوَّلُ إِلَىٰ «فَعَلَاتُنْ» ثُـمَّ تَصَرَّفَ الشَّـاعِرُ فِيهَـا بِحَـذْفِ أَحَـدِ المُتَحَرِّكَاتِ الثَّلَاثَـةِ، فَتَحَوَّلَـتْ إِلَىٰ «فَعُولُنْ» ، عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

/ه//ه/ه　بالخبن ←　///ه/ه　//ه/ه　بالتصرف ←

وَقَدْ يَذْهَبُ مُعْـتَرِضٌ إِلىٰ أَنَّ الشَّـاعِرَ حَـذَفَ المُتَحَـرِّكَ الْأَوَّلَ، وَهُـوَ بِـذَلِكَ لَا زَالَ فِي حَقْـلِ الْعَرُوضِ عَنْ طَرِيقِ الخَرْمِ ـ بِالرَّاءِ المُهْمَلَةِ ـ لَكِنَّا نَنْفِي هَذَا الاعْتِرَاضَ مِـنْ أَسَاسِـهِ لِأَنَّ الخَـرْمَ لَا يَدْخُلُ إِلَّا التَّفْعِيلَاتِ المَبْدُوءَةَ بِوَتَـدٍ مَجْمُـوعٍ[2]، وَالتَّفْعِيلَـةُ الَّتِـي أَمَامَنَـا الْآنَ مَبْـدُوءَةٌ بِفَاصِـلَةٍ صُغْرَىٰ، نَاهِيكَ عَنْ أَنَّ الخَرْمَ يَكُونُ فِي بِدَايَةِ الْأَبْيَـاتِ لَـيْسَ فِي الحشْـوِ، وَمِـنْ ثَـمَّ وَضَـعْنَا هـذَا الشَّاهِدَ فِي إِطَارِ التَّجْدِيدَاتِ الَّتِـي أَحْـدَثَهَا«قُطْـب» فِي حَشْـوِ الْبَيْـتِ وَالَّتِـي لَـمْ يَـذْكُرْهَا أَهْـلُ

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 224 .

(2) د . إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية ، ص 223 .

الصَّنْعَةِ.

أَمَّا إِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ دَوْرِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي إِنْتَاجِ دِلَالَةِ النَّصِّ فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهَا جَاءَتْ مُعَبِّرَةً عَـنْ رِقَّةِ أَنْفَاسِ الْوُرُودِ فِي سَاعَةِ الْفَجْرِ قَبْلَ أَنْ تَتَلَوَّثَ بِغَبَشِ الصَّبَاحِ.الْبَدِيعُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ كَلِمَةَ «الْوُرُود» لَمْ تَتَكَرَّرْ فِي النَّصِّ مَرَّةً أُخْرَىٰ لَا هِيَ وَلَا الزُّهُورُ أَوِ الْأَزْهَارُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَنْتَمِي لحَقْلِهَا الـدِّلَالِيِّ، وَكَـأَنَّ الشَّـاعِرَ أَرَادَ أَنْ يَضَعَ فِي سِيَاقِ التَّعْبِيرِ عَنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ الرَّقِيقَةِ تَفْعِيلَةً تَخْتَلِـفُ عَـنْ سَـائِرِ تَفْعِـيلَاتِ الْقَصِـيدَةِ، تَفْعِيلَـةً تَتَمَيَّزُ بِالرِّقَّةِ فَكَانَتْ تَفْعِيلَةُ «فَعُولُنْ» الخُمَاسِيَةِ فِي إِطَارِ كَمٍّ مِنَ التَّفْعِيلَاتِ السُّبَاعِيَّةِ.

(5/3/2) دُخُولُ «فَاعِلَاتُنْ» الْـمَخْبُونَةُ حَشْوَ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ :

يَتَكَوَّنُ مَجْزُوءُ الْكَامِلِ مِنْ «مُتَفَاعِلُنْ» مَرَّتَيْنِ فِي كُلٍّ مِنَ الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ، أَمَّا «فَاعِلَاتُنْ» المخْبُونَةُ فَهِـيَ مِنَ التَّفْعِيلَاتِ المُهَاجِرَةِ إِلَىٰ الْكَامِلِ، وَالَّذِي سَهَّلَ هَذِهِ الهِجْرَةَ غَيْرَ الشَّرْعِيَّةِ عَرُوضِيًّا عِنْدَ الشَّـاعِرِ هُـوَ تَشَـابُهُ «فَاعِلَاتُنْ» المخْبُونَةِ مَعَ «مُتَفَاعِلُنْ» المقْطُوعَةِ، وَالْقَطْعُ عِلَّةٌ تَلْزِم الْعَرُوضَ وَالضَّرْبَ لَا الحشْوَ، وَمِنْ ثَـمَّ يُعَـدُّ هذَا تَصَرُّفًا جَدِيدًا مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ.وَعَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ فَقَدْ تَجَلَّتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ الصَّوْتِيَّةُ عِنْدَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَذَلِكَ فِي الْبَيْتِ الثَّلَاثِينَ مِنْ قَصِيدَةِ «وَحْيٌ جَدِيدٌ» ، يَقُولُ :

فَـهِـبِي لِـي رُوحًا ⁝ مِـنْ رُقْيَةِ الثَّغْرِ [1]

وَتَكْشِفُ الخَرِيطَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ عَنْ مَوْقِعِ هَـٰذِهِ الظَّاهِرَةِ كَالْآتِي :

فَهِبِي لِي	رُوحًا	مِنْ رُقْيَةِ اثْ	ثَغْرِ
///ه/ه	/ه/ه	/ه/ه//ه	/ه/ه

وَلَعَلَّ مَا فِي تَوَالِي الحَرَكَاتِ الثَّلَاثَةِ مَا يُعْطِي دَلَالَةَ السُّرْعَةِ، وَهِيَ سُرْعَـةُ تَلْبِيَـةِ الرَّغْبَـةِ الَّتِـي يَنْشُـدُهَا الشَّاعِرُ مِنْ حَبِيبَتِهِ، بِهَا يَسْعَدُ فِي حَيَاتِهِ، يُؤَكِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتُ:

هِـيَ قُبْـلَـةٌ تَمْضِي مَـا شِـئْتِ مِنْ أَمْرِ

وَكَـأَنَّـهَـا قَـدَرٌ بِـسَـعَـادَتِي يَجْرِي

(4/2) تَفْعِيلَةُ الْعَرُوضِ :

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 207 .

تُمَثِّل تَفْعِيلَةُ «الْعَرُوضِ» أَحَدَ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلنَّصِّ الشِّعْرِيِّ بِصُورَتِهِ الْعَمُودِيَّةِ؛فَهِيَ تُعَدُّ السَّكْتَةَ « Rest » الصَّوْتِيَّةَ الْأُولَىٰ الَّتِي يُؤَدِّيهَا قَارِئُ الْبَيْتِ ـ وذَلِكَ فِي حَالَةِ عَدَمِ تَدْوِيرِهِ ـ وَتَصِلُ هذِهِ السَّكْتَةُ إِلَىٰ قِمَّةِ الْإِبْدَاعِ عِنْدَمَا تَكُونُ أَحَدَ الْعَنَاصِرِ الدَّالَّةِ فِي النَّصِّ؛ بَأَنْ تَتَكَثَّفُ عِنْدَهَا دَلَالَةٌ مَا، تُسْهِمُ فِي فَهْمِ بِنْيَتِهِ أَعْمَقَ.

تَفْعِيلَةُ «الْعَرُوضِ» تَقْتَرِبُ بِتِلْكَ الْوَظِيفَةِ إِلَىٰ مَا يُسَمِّيهِ اللُّغَوِيُّونَ المِفْصَلَ الصَّوْتِيَّ « Juncture» فَهِيَ فِي جَوْهَرِهَا فَاصِلٌ زَمَنِيٌّ خَفِيفٌ دَاخِلِ السِّلْسِلَةِ الْكَلَامِيَّةِ[1]، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ فَهِيَ تُضْفِي نَغَمًا دَاخِلِيًّا لِلنَّصِّ مصَاحِبًا لِلنَّغَمِ الَّذِي تُضْفِيهِ تَفْعِيلَةُ «الضَّرْبِ» المشْتَمِلَةِ عَلَىٰ حَرْفِ الرَّوِيِّ، وَفِي حَالَةِ تَعَدُّدِ تِلْكَ الْعَرُوضِ فِي نَصٍّ وَاحِدٍ فَإِنَّهَا تَقُومُ بِتَنْوِيعٍ إِيقَاعِيٍّ حَيَوِيٍّ يُكْسِبُ النَّصَّ تَنَوُّعًا صَوْتِيًّا عَلَىٰ صَعِيدَيْهِ الدَّاخِلِيِّ وَالخَارِجِيِّ.تَقْتَرِبُ تَفْعِيلَةُ «الْعَرُوضِ» ـ مِنْ هَذَا الْمُنْطَلَقِ ـ أَيْضًا إِلَىٰ مَا يُسَمَّىٰ فِي عِلْمِ المُوسِيقَىٰ بِـ«المرَكَّبِ النَّغَمِيِّ» « Complex»، الَّذِي يُمَثِّلُ «نَغْمَاتٍ مُصَاحِبَةٍ لِنَغَمَةٍ أَسَاسِيَّةٍ عَلَىٰ غِرَارِ نَغَمَاتِ السِّلْسِلَّةِ التَّوَافُقِيَّةِ الهرْمُونِيَّةِ».[2]وَالسِّلْسِلَةُ التَّوَافِقِيَّةُ الهرْمُونِيَّةُ فِي الشِّعْرِ ـ فِي نَظَرِ الْبَاحِثِ ـ مَا هِيَ إِلَّا تَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ بِرَوِيِّهَا الَّذِي يَقُومُ بِرَبْطِ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ؛مُنْتِجًا أَدَاءً صَوْتِيًّا مُمَيِّزًا يَصِلُ إِلَىٰ قِمَّةِ إِبْدَاعِهِ إِذَا جَاءَ مُتَنَاغِمًا مَعَ عَنَاصِرِ النَّصِّ الْأُخْرَىٰ.

تَتَمَيَّزُ تَفْعِيلَةُ الْعَرُوضِ ـ وَتَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ أَيْضًا ـ بِأَنَّهَا قَابِلَةٌ لِلتَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ بِمَا تُتِيحُهُ التَّغْيِيرَاتُ الْعَرُوضِيَّةُ المعْهُودَةُ، فَهِيَ تَقْبَلُ أَنْ تَتَعَامَلَ مَعَهَا الزِّحَافَاتُ وَالْعِلَلُ عَلَىٰ السَّوَاءِ، عَلَىٰ أَنَّهَا تَقْبَلُ تَرَدُّدَ الزِّحَافِ عَلَيْهَا بِمَجِيئِهِ وَعَدَمِهِ بَيْنَمَا تُلْزِمُ الْعِلَّةَ بِهَا إِذَا دَخَلَتْهَا إِلَىٰ آخِرِ النَّصِّ.

وَقَدْ أَسْفَرَ التَّتَبُّعُ الْعَرُوضِيُّ لِشِعْرِ«قُطْب»عَنْ مُلَاحَظَةٍ صَوْتِيَّةٍ ظَلَّتْ مُلَازِمَةً لِأَدَائِهِ الْأُسْلُوبِيِّ طِيلَةَ إِبْدَاعِهِ الشِّعْرِيِّ، وَتَتَمَثَّلُ هذِهِ الظَّاهِرَةُ فِي التَّنَوُّعِ الصَّوْتِيِّ لِتَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ فَهُوَ لَا يَلْتَزِمُ عَرُوضًا وَاحِدَةً فِي النَّصِّ، بَلْ نَرَاهُ يَسْتَغِلُّ كُلَّ السُّبِلِ المشْرُوعَةِ ـ وَغَيْرِ المشْرُوعَةِ عَرُوضِيًّا أَحْيَانًا ـ فِي إِضْفَاءِ تَنْوِيعًا صَوْتِيًّا إِيقَاعِيًّا فِي بِنْيَةِ النَّصِّ.

كَشَفَ هَذَا التَّتَبُّعُ عَنْ أَنَّ ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ قَصِيدَةً 43 تَمَثَّلَتْ فِيهَا هَذِهِ الظَّاهِرَةُ بِوُضُوحٍ،

---

(1)انظر د . عبد المقصود محمد : المفصل الصوتي وأثره في التحليل النحوي والدلالي للتراكيب اللغوية ، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها ، القاهرة ، ع مايو 2008 ، ص 367 .

(2)انظر : معجم الموسيقىٰ ، مجمع اللغة العربية ، ص 29 .

وَتَمَثَّلَ فِيهَا ظَوَاهِرُ أُخْرَىٰ خَارِجَةٌ عَنْ نِطَاقِ مَا حَدَّهُ الْعَرُوضِيُّونَ، وَالْمُلَاحَظُ أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ لَمْ تَتَجَسَّـدْ فِي قَصَائِدِ الْمُرَبَّعَاتِ فَحَسْبُ، بَلْ فِي الْقَصَائِدِ الَّتِي جَـاءَتْ مُوَحَّـدَةَ الْقَافِيَـةِ وَفِي الْمُسَـمَّطِ وَالْمُوَشَّحِ.وَقَـدْ كَشَـفَ التَّتَبُّعُ أَيْضًا عَنْ تَرَسُّخِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ أَكْثَرَ فِي وَزْنَي الرَّمَلِ وَالْمُتَقَـارِبِ، وَالجَـدْوَلُ التَّـالِي يَرْصُـدُ تَحَرُّكَاتِهَـا عَـنْ كَثَبٍ :

الْوَزْنُ	الرَّمَلُ	المُتَقَارِبُ	الخَفِيفُ	م.الخَفِيفِ	م.الكَامِلِ	الْكَامِلِ	المجْتَثُّ	المزْدَوَجَةُ
العدد	25	11	2	1	2	1	1	1

(1/4/2) عَرُوضُ الرَّمَلِ :

يُتِيحُ الْعَرُوضِيُّونَ لهِذِهِ الْعَرُوضِ شَكْلَيْنِ المحْذُوفَةَ (/٥//٥)، وَالصَّحِيحَةَ (/٥//٥/٥) وَلَكِنَّ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ تُسْتَخْدَمُ فِي المَجْزُوءِ.وَفِي قَصِيدَةِ «اضْطِرَابٌ حَانِقٌ» مَثَلًا نَرَاهُ قَدِ اسْـتَخْدَمَ المحْذُوفَـةَ وَالتَّامَّـةَ دُونَ أَنْ تَكُـونَ أَبْيَاتُ الْقَصِيدَةِ مَجْزُوءَةً ، يَقُولُ:

أَحَــيَـاةٌ أَمْ نَــارُ الْـجَـحِـيـمْ	بِلَـظَاهَـا الْـهَائِجِ الْـمُسْتَعِرْ
لَا.فَفِي نَفْسِي مِنَ الشَّجْوِ الْأَلِيمْ	مِـنْ حَـيَـاتِي فَـوْقَ مَا فِي سَقَرْ
آهِ.لَا شَـكْـوَىٰ وَلَابَـثٌّ شَـجَنْ	لَا أُرِيـدُ الضَّعْفَ كَلَّا.لا أُرِيدُ
سَـوْفَ لَا يَـظْـهَرُ مِنِّي مَا كَمُنْ	فَـلْيَـشِدَّ الْـخَـطْـبُ إِنِّي لَشَدِيدُ
لَا فِـرَارًا مِنْ جِـهَادٍ كَـالْـجَبَانِ	لَا فَـمَا كُـنْـتُ جَـبَانًـا أَحْـذَرْ
إِنَّــما أَنْــتِ سَـبِـيـلٌ لـلـهـوَانِ	لَـسْتُ أَرْضَىٰ وَنَفْسِي تَشْعُرْ[1]

وَالْمُلَاحَظُ فِي الْأَبْيَاتِ أَنَّ الشَّاعِرَ نَوَّعَ فِي تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ تَنْوِيعًا مُتَاحًا وَغَيْرَ مُتَاحٍ عَرُوضِيًّا، فَالْمُتَـاحُ لَـهُ وَهُوَ فِي غَيْرِ المجْزُوءِ «فَاعِلُنْ» (/٥//٥)، وَلننْظُرْ تَفْعِيلَةَ الْعَرُوضِ تَحْتَ المِجْهَرِ :

الْعَرُوضُ	بِنْيَتُهَا	الْقِرَاءَةُ	المُلَاحَظَةُ
«جَحِيمْ»	//٥ ٥	فَعُولْ	غَيْرُ مُتَاحٍ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 28 .

«ـوِ الْأَلِيمْ»	/ه//ه ه	فَاعِلَانْ	غَيْرُ مُتَاحٍ
«ـثَ شَجَنْ»	///ه	فَعَلُنْ	مُتَاحٌ
«مَا كَمُنْ»	/ه//ه	فَاعِلُنْ	مُتَاحُ
«كَالجَبَانِ»	/ه//ه/ه	فاعلاتن	غَيْرُ مُتَاحٍ
«لـلـهوَانِ»	/ه//ه/ه	فاعلاتن	غَيْرُ مُتَاحٍ

يُبْرِزُ التَّحْلِيلُ السَّابِقُ أَنَّ الشَّاعِرَ لجَأَ إِلَىٰ غَيْرِ المُتَاحِ لَهُ عَرُوضِيًّا أَكْثرَ مِمَّا هُوَ مُتَاحٌ لَهُ، فَعَـرُوضُ الْبَيْـتِ الْأَوَّلِ جَاءَتْ «فَعُولْ»، مَحْذُوفَةَ الخَامِسِ السَّاكِنِ ، وَقَدْ تَأَتَّىٰ لَهُ ذَلِكَ عَنْ طَرِيـقِ دُخُـولِ (/ه//ه) فِي (//ه/ه) وَقَدْ تَنَاوَلْنَا هَذِهِ الظَّاهِرَةَ مِنْ قَبْلُ، وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي تَأْتِي الْعَرُوضُ مُذَيَّلَةً، وَهَذَا التَّذْيِيلُ عِلَّـةُ زِيَـادَةٍ لَيْسَـتْ طَارِئَةً عَلَىٰ الْعَرُوضِ، أَمَّا فِي الْبَيْتَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ فَقَدْ لجَأَ إِلَىٰ مَا هُوَ مُتَـاحٌ لَـهُ، غَـيْرَ أَنَّ الْعَـرُوضَ فِي الْبَيْـتِ الثَّالِثِ مَخْبونَةٌ، وَهُوَ زِحَافٌ يَطْرَأُ وَيَزُولُ، وَفِي الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ جَاءَتْ (/ه//ه/ه) سَالمِةً عَلَىٰ الـرَّغْمِ مِـنْ أَنَّـهُ فِي إِطَارٍ غَيْرِ مَجْزُوءٍ، وَمِنْ ثَمَّ يَظْهَرُ تَنَوُّعٌ صَوْتِيٌّ فِي إِيقَاعِ نِهَايَةِ الصَّدْرِ، وَإِذَا مَا أَعَـدْنَا قِـرَاءَةَ الْأَبْيَـاتِ سَـنَجِدُ أَنْفُسَنَا نَسْكُتُ صَوْتِيًّا عِنْدَ هَذِهِ التَّفْعِيلَةِ سَكْتَةً لَطِيفَةً عِنْدَ هَـذِهِ السَّـكْتَةِ تَتَكَثَّـفُ دِلَالَاتٌ مَعْنَوِيَّـةٌ مُنْتِجَـةٌ لحَالَةِ «الاضْطِرَابِ الحَانِقِ» الَّتِي يَعِيشُهَا «قُطْب»، فَهُوَ فِي حِوَارٍ مَعَ نَفْسِهِ يَسْتَشْعِرُ «الجَحِـيمَ» بَـيْنَ جَنْبَيْـهِ، وَمِنْ ثَمَّ فَهُوَ فِي أَلَمٍ يَتَلَظَّىٰ فِي هَذَا الجَحِيمِ «فَوْقَ مَا فِي سَقَرَ»، وَهُوَ مَعَ ذَلِـكَ لَا يَجِـدُ مَـنْ يبـثُّ لَـهُ حُزْنَـهُ و«الشَّجَنَ» الَّذِي يَجْتَاحَهُ، وَيُقَرِّرُ أَنَّهُ لَنْ يَبُوحَ لِأَحَدٍ فَهُوَ شَدِيدٌ عَلَىٰ الخُطُـوبِ وَسَـوْفَ يَتَحَمَّـلُ وَطْـأَةَ «مَـا كَمُنَ » بِدَاخِلِهِ، ثُمَّ يَزْجُرُ نَفْسَهُ الَّتِي تَدْعُوهُ إِلَىٰ الرُّكُونِ، وَيُوَضِّحُ لهَا أَنَّ الرُّكُونَ وَالدِّعَةَ «سَبِيلُ الهَوَانِ»، أَمَّـا هُوَ فَلَمْ يَكُنْ بـ«الجَبَانِ» بَلْ سَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ وَطَنِهِ وَلَنْ يَتَنَحَّـىٰ عَـنْ هَـذَا الجِهَـادِ.وهَـا هُـوَ يُعَلَّـقُ عَـلَىٰ المِشْنَقَةِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ دَافِعًا ثَمَنَ هَذَا الجِهَادِ. تَظْهَرُ طَرَافَةُ هَذِهِ الدَّوَالِ الصَّوْتِيَّةِ فِي أَنَّهَا أُنْتِجَـتْ عَـامَ 1929 وَظَلَّتْ دَوَائِرَ فِكْرِيَّةً يَتَحَرَّكُ فِيهَا «قُطْب» حَتَّىٰ عَامِ 1966 المشْنُوقِ فِيهِ .

(2/4/2) عَرُوضُ الْـمُتَقَارِبُ:

يُتِيحُ الْعَرُوضِيُّونَ لِتَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ فِي وَزْنِ المُتَقَارِبُ شَكْلَيْنِ : (//ه/ه) ، و(//ه) ، وَهَـذِهِ الثَّانِيَـةُ مَـعَ المَجْزُوءِ مِنْ هَذَا الْوَزْنِ، وقد تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ يُنَوِّعُ فِي هَذِهِ التَّفْعِيلَةِ دَاخِلَ الْقَصِيدَةِ غَيْرِ المَجْزُوءَةِ، فَفِي قَصِيدَةِ «غَرِيبٌ» يُنَوِّعُ بَيْنَ مَا هُوَ مُتَاحٌ فِي التَّامِّ وَالمَجْزُوءِ، يَقُولُ:

غَـرِيـبٌ. أَجَـلْ أَنَـا فِي غُـرْبَةٍ	وَإِنْ حَفَّ بِي الصَّحْبُ وَالْأَقْرَبُونْ
غَـرِيـبٌ بِـنَـفْـسِي وَمَـا تَنْطَوِي	عَـلَـيْـهِ حَـنَـايَا فُؤَادِي الْـحَنُونْ
غَـرِيــبٌ وَإِنْ كَـانَ لَـمَّا يَـزَلْ	بِـبَـعْـضِ الْـقُـلُوبِ لِقَـلْبِي حَنِينْ
وَلَـكِـنَّـهَـا دَاخَـلَتْـهَـا الـظُّنُونِ	وَجَـاوَرَ فِيـهَـا الشُّـكُوكَ الْيَقِينْ

غَـرِيـبٌ فَـوَاحَـاجَتِي لِلْمُعِينِ وَوَالَــهْـفَ نَـفْسِي لِلْمُخْلِصِينْ[1]

وَلنَنْظُرْ إِلَىٰ تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ :

الْعَرُوضُ	بِنْيَتُهَا	الْقِرَاءَةُ	المُلَاحَظَةُ
غُرْ«بَةٍ»	//ه	فَعُو	غَيْرُ مُتَاحٍ
تَنْـ«ـطَوِي»	//ه	فَعُو	غَيْرُ مُتَاحٍ
«يَزَلْ»	//ه	فَعُو	غَيْرُمُتَاحٌ
«ظُنُونُ»	//ه/ه	فَعُولُنْ	مُتَاحُ
«مُعِينِ»	//ه/ه	فَعُولُنْ	مُتَاحٌ

لَجأَ الشَّـاعِرُ فِي الْأَبْيَـاتِ الخَمْسـة السَّـابِقَةِ إِلَىٰ مَـا هُـوَ غَـيْرُ مُتَـاحٍ فِي المُتَقَـارِبِ التَّـامِّ أَكْـثَرَ مِـمَّا هُـوَ مُتَاحٌ؛مُحْدِثًا بِذَلِكَ الْتِفَاتًا صَوْتِيًّا فِي نِهَايَةِ إِيقَاعِ الصَّدْرِ، صَاحَبَ هَذَا الالْتِفَاتَ الصَّوْتِيَّ تَكَاثُفُ سُحُبِ الْغُرْبَةِ فِي سَمَاءِ وِجْدَانِ الشَّاعِرِ، وَلنَتَأَمَّلِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَصَدَّرَتْ نِهَايَةَ الْعَجُزِ، فَسَنَجِدُ أَنَّهَا تُمَثِّلُ دَوَائِـرَ مُطْبَقَـةً مِـنَ «الْغُرْبَةِ» الَّتِي جَعَلَتِ الشَّاعِرَ مُنْسَحِبًا عَنِ المشْهَدِ الاجْتِمَاعِيِّ وَإِنْ أَحَاطَ بِهِ أَهْلُهُ وَالمُقَرَّبُونَ؛ذَلِكَ لِأَنَّ هَـذِهِ الْغُرْبَةَ غُرْبَةٌ نَفْسِيَّةٌ مِيتَافِيزِيقِيَّةٌ[2]«تَنْطَوِي» عَلَيْهِ فِي مَشَاعِرِهِ وَإِحْسَاسِهِ بِالْآخَرِينَ، وَإِذَا كَانَ «لمَّا يَـزَلْ» ثَمَّـةَ قُلُوبٌ حَنُونَةٌ تَشْعُرُ بِهِ، إِلَّا أَنَّهَا قُلُوبٌ لَيْسَتْ خَالِصَةً تَنْتَابُهَا «الظُّنُونُ» فِيهِ، وَلِذَا فَهُوَ فِي سَعْيٍ دَائِـمٍ يَبْحَـثُ عَنِ «المُعِينِ» لَهُ فِي الحَيَاةِ المُخْلِصِ فِي صَدَاقَتِهِ.وَنُلَاحِظُ فِي الْأَبْيَاتِ أَنَّ الشَّاعِرَ عَمَـدَ إِلَىٰ الاسْـتِدْرَاكِ بِــ«لَكِـنْ» لِيَنْفِيَ صَفَاءَ تِلْكَ الْقُلُوبِ، وَصَاحَبَ هَذَا الاسْتِدْرَاكَ تَغْيِـيرٌ صَـوْتِيٌّ مُتَمَـثِّلًا فِي تَفْعِيلَـةِ الْعَـرُوضِ الَّتِـي جَـاءَتْ بِصُورَتِهَا المُتَاحَةِ لِلشَّاعِرِ.وَمِنْ ثَمَّ نَقُولُ:إِنَّ هَذِهِ التَّفْعِيلَةَ أَسْهَمَتْ فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ؛لِأَنَّهَا جَاءَتْ مُحْتَلَّةً كَلِمَـةً كَامِلَةً دُونَ أَيِّ قَطْعٍ لهَا، مِمَّا يَشِي بِاشْتِمَالِ النُّقصَانِ الَّتِي تَتَمَتَّعُ بِهِ تِلْكَ الْقُلُوبُ وَإِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَىٰ التَّفْعِيلَـةِ الْأُخْرَىٰ «مُعِينِ»وَالَّتِي أَيْضًا جَاءَتْ فِي ثَوْبِ التَّفْعِيلَةِ الْكَامِلَةِ، أَدْرَكْنَا أَنَّ الشَّاعِرَ يُرِيدُ إِنْسَانًا مُعِينًا تَكْتَمِلُ فِيهِ كُلُّ الصِّفَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ .

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 55 .

(2) انظر : د . غالي شكري : شعرنا الحديث إلىٰ أين ، ط. دار الشروق ، القاهرة ، ط 1. ، 1991 ، ص 244 .

(3/4/2) عَرُوضُ الخَفِيفِ :

يُتِيحُ أَهْلُ الصَّنْعَةِ فِي عَـرُوضِ الخَفِيـفِ شَـكْلَيْنِ فِي الْإِطَـارِ التَّـامِّ مِنْـهُ، هُـمَا (/ه//ه/ه) و(/ه//ه)، وَفِي المَجْزُوءِ مِنْهُ (/ه/ه//ه)، وَبِالتَّتَبُّعِ الْعَرُوضِيِّ لِأَعْمَالِ الشَّاعِرِ اتَّضَحَ أَنَّـهُ امْتَثَـلَ هَـذَا المُتَـاحَ، وَلَـمْ يُنَـوِّعْ بِـهِ فِي حُدُودِ الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ فِي جَمِيـعِ أَعْمَالِـهِ، إِلَّا فِي مناسـبتين:الْأُولَىٰ فِي قَصِـيدَةِ «عَاشِـقُ المُحَـالِ» وَهِـيَ مِـنْ مَجْزُوءِ الخَفِيفِ، إِذْ إِنَّهُ نَوَّعَ بَيْنَ(//ه/ه)«مُتَفْعِلُنْ» وَهَذَا مُتَاحٌ وَبَيْنَ (//ه//ه ه) «مُتَفْعِلَانْ»، وَهَذَا بِالتَّذْيِيلِ لَمْ يَذْكُرْهُ أَهْلُ الْعَرُوضِ؛بَيْدَ أَنَّهُ جَاءَ فِي بَيْتَيْنِ فَقَطْ ، يَقُولُ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ .

أَنْـتَ تَـرْنُـو إِلَىٰ الْـمُحَالْ عَـاشِـقًـا بُـعْدَهُ السَّحِيقْ

فَـإِذَا شَـارَفَ الْـمَـنَـالْ خِـلْـتَـهُ لُـقْيَا طَـرِيــقْ[1]

وَتَتَمَثَّلُ تَفْعِيلَةُ الْعَرُوضِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فِي قَوْلِهِ: «إِلَىٰ المُحَالْ» =(//ه//ه ه)، وَفِي الثَّـانِي فِي قَوْلِـهِ:«رَفَ المَنَالْ» = (//ه//ه ه)، وَهَاتَانِ التَّفْعِيلَتَانِ هُمَا الخَارِجَتَانِ عَنِ المَنْظُومَةِ الْعَامَّةِ لِتَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ فِي الْقَصِيدَةِ ، وَقَدِ اسْتَطَاعَتْ هَاتَانِ التَّفْعِيلَتَانِ بَلْوَرَةَ مَدْلُولِ الْقَصِيدَةِ كَامِلَةً، لَيْسَ لِوُقُـوفِهِمَا نُتُـوءًا صَـوْتِيًّا خَارِجًـا عَـنِ السِّيَاقِ فَحَسْبُ، بَلْ لِأَنَّهُمَا يُمَثِّلَانِ بَيْتَ الْقَصِيدِ، فَـالْأُولَىٰ اشْـتَمَلَتْ عَـلَىٰ دَالِّ المُحَـالِ وَهُـوَ الـدَّالُّ الْأَسَـاسِيُّ لِلْقَصِيدَةِ وَالَّذِي اتَّخَذَهُ الشَّاعِرُ عُنْوَانًا لهَا، وَيُؤَكِّدُ دَوْرَ هَـذِهِ التَّفْعِيلَـةِ أَنَّ كَلِمَـةَ «المحَـال» لَـمْ تُـذْكَرْ إِلَّا فِي الْعُنْوَانِ فَقَطْ، وَلَمْ يَكُنْ لهَا أَيُّ حُضُورٍ آخَرَ إِلَّا فِي هَذِهِ التَّفْعِيلَـةِ المُذَيَّلَـةِ فِي إِشَـارَةٍ وَاضِـحَةٍ لِسَـعْيِ الشَّـاعِرِ الدَّائِمِ وَالطَّوِيلِ نَحْوَ الْقِيَمِ وَالْمُثُلِ الْعُلْيَا، فَإِذَا مَا تَمَّ سَعْيُهُ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ «المنالَ» مِنْ رِحْلَتِـهِ وَجَـدَ أَنَّـهُ قَدْ وَصَلَ إِلَىٰ لَا شَيْءٍ .

أَمَّا المُنَاسَبَةُ الثَّانِيَةُ فَقَدْ ظَهَرَتْ فِي قَصِيدَةِ «جَوْلَـةٌ فِي أَعْـمَاقِ المَـاضِي» وَهِـيَ مِـنَ الخَفِيـفِ التَّـامِّ فِي الْبَيْتِ 26 وَفِيهِ خَرَجَ الشَّاعِرُ خُرُوجًا وَاضِحًا عَنْ مَا خَطَّهُ الْعَرُوضِيُّونَ لهِذِهِ التَّفْعِيلَةِ فِي ذَلِـكَ الْإِطَـارِ، حَيْـثُ جَاءَتْ فِي ثَوْبِ «فَعُولُنْ»يَقُولُ :

هَا هُوَ الرَّوْضُ وَالْوُرُودُ وَالزَّهْــ ـرُ وَهَـٰذَا الحَمَامُ مِنْ فَوْقِ بَانِ[2]

وَعَـلَىٰ الـرَّغْمِ مِـنْ أَنَّ الْبَيْـتَ مُـدَوَّرٌ إِلَّا أَنَّ تَفْعِيلَـةَ الْعَـرُوضِ تَأْخُـذُ ثَـوْبَ «فَعُـولُنْ»، بِشَـكْلٍ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 33 .

(2) نفسه ، ص 68 .

وَاضِحٍ «دُوَالزَّهْـ»(//ه/ه) وَهَذَا الْبَيْتُ يُمَثِّلُ فِي الْقَصِيدَةِ لحظَةَ عَيْشٍ فِي المَاضِي الـنَّضِرِ بَـيْنَ الْـوُرُودِ وَالزُّهُـورِ بَيْدَ أَنَّهَا لحْظَةُ عَيْشٍ مُؤَقَّتَةٍ، إِذْ سُرْعَانَ مَا يَعُودُ الشَّاعِرُ إِلَىٰ كَآبَةِ وَاقِعِه، يَقُولُ :

إِنَّـهَا النَّفْـسُ حِـينَ تَصْفُو تَرَاهَا خَلَعَتْ صَفْوَهَا عَلَىٰ الْأَكْوَانِ

الرَّوْضُ وَالْوُرُودُ وَالزُّهُورُ تُمَثِّلُ عَالمًا بِكْرًا عَاشَهُ لحظَةً فِي خَيَالِهِ، وَهُوَ مَا كَانَ يَتَمَنَّـاهُ مِـنْ مُخَاطِبَيْـهِ فِي أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ وَتَحْدِيدًا فِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ، يَقُولُ :

صَوِّرَا لِي الرِّيَاضَ وَالزَّهْرَ وَالْوَرْ دَ وَلَحْنَ الطُّيُورِ عَذْبِ الْأَمَانِي

إِنَّ مَجِيءَ تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ مُخَالِفَةٌ عَنِ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ الْعَامِّ فِي الْبَيْتِ 26تُمَثِّلُ مُثِـيرًا صَـوْتِيًّا لِلْأُمْنِيَـاتِ الَّتِي تَخْتَلِجُ نَفْسَ الشَّاعِرِ وَتُشْعِلُ وِجْدَانَهُ.

(4/4/2) عروض الكامل :

لَمْ يَكُنْ تَنْوِيعُ «قُطْب» فِي تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ دَاخِلَ إِطَارِ وَزْنِ الْكَامِلِ تَنْوِيعًا مُسْتَمِرًّا فَقَدْ كَـانَ يَلْتَـزِمُ مَا هُوَ مُتَاحٌ لَهُ وَخَاصَّةً فِي الْكَامِلِ التَّامِّ، عَلَىٰ أَنَّهُ ظَلَّتْ حَالَةٌ خَرَجَ بِهَا عَنْ حُـدُودِ مَـا خَطَّـهُ أَهْـلُ الْعَـرُوضِ لهذَا الْوَزْنِ، وَهُوَ مَا حَدَثَ فِي الْبَيْتَيْنِ الرَّابِعِ وَالسَّادِسِ فِي قَصِيدَةِ «خَرِيفُ الحيَاةِ»، حَيْثُ جَاءَتِ الْعَـرُوضُ فِي ثَوْبِ (///ه//ه ه) أَيْ بِالتَّذْيِيلِ، عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ المُتَاحَ فِي هَذَا الْإِطَارِ بِصُورَتِهِ التَّامَّـةِ : (///ه//ه) و (///ه)، يقول في البيت الرابع :

وَالسُّحْبُ طَافِيَةٌ تُغَشِّي كَالسُّتُورْ وَتَسِيرُ وَانِيَةَ الْـخُطَا سَـيْرَ الْأَسِـيرْ

تُمَثِّلُ الْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ «شِي كَالسُّتُورْ» تَفْعِيلَةَ الْعَرُوضِ بِشَكْلِهَا المُزَيَّـلِ =(/ه/ه//ه ه) ، وَإِذَا مَـا أَتَيْنَـا لِاسْتِنْطَاقِهَا فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهَـا أَعْطَـتْ جَـوًّا ضَـبَابِيًّا مُكَثَّفًا لِلْقَصِـيدَةِ، إِنَّهَـا تُمَثِّـلُ الخَلْفِيَّـةَ «back ground » لِلصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الشَّاعِرُ عَنِ الخَرِيفِ، فَتَحْتَ هـذِهِ السُّـحُبِ المُعْتِمَـةِ تَتَحَـرَّكُ جَمِيـعُ عَنَـاصِرِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ حَالَةَ الجَفَافِ الشُّعُورِيِّ المُتَمَثِّـلِ فِي خَرِيـفِ الحَيَـاةِ، فَـلَا وُرُودَ وَلَا زُهُـورَ، وَلَا حُـبَّ.إِنَّـهُ نُضُوبٌ رُوحِيٌّ وَفَقْرٌ عَاطِفِيٌّ يَتَمَثَّلُ فِي خَرِيفِ حَيَـاةِ الشَّـاعِرِ، وَإِذَا مَـا نَظَرْنَـا إِلَىٰ التَّفْعِيلَـةِ الْأُخْـرىٰ، نَجِـدُهَا تُعَضِّدُ هَذِهِ الدِّلَالَةَ ، يَقُولُ :

وَالحُبُّ! وَيْحَ الحُبِّ مِنْ هَذَا الْبُكُورْ غَامَتْ عَلَيْهِ سَحَابَةُ الْيَأْسِ الْـمَرِيرْ

إِنَّ هَذَا النُّتُوءَ الصَّـوْتِيَّ الَّـذِي تُمَثِّلُـهُ تَفْعِيلَـةُ الْعَـرُوضِ «هَـذَا الْبُكُـورْ» =(/ه/ه//ه ه) لَيُعَضِّـدُ الدِّلَالَـةَ السَّـابِقَةَ لِلْوَحْـدَةِ الصَّـوْتِيَّةِ الْأُولَىٰ؛إِذْ إِنَّهَـا تُحَـدِّدُ وَقْـتَ هَـذِهِ السُّـحُبِ الَّتِـي عَتَّمَـتِ

الرُّؤْيَةَ فِي الْقَصِيدَةِ ، حَتَّىٰ غَامَتْ عَلَىٰ الحُبِّ فَأَفْقَدَتْهُ الْبَصِيرَةَ وَأَلْقَتْ عَلَيْهِ الْيَأْسَ والمَرَارَةَ .

(5/2) تَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ :

تُمَثِّلُ تَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ أَهَمِّيَةً بَالِغَةً فِي الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِأَيِّ وَزْنٍ، ذَلِكَ لِأَنَّ بِهَا الْقَافِيَةَ الَّتِي تُمَثِّلُ «قِمَّةَ الارْتِفَاعِ الصَّوْتِيِّ فِي الْبَيْتِ الشِّعْرِيِّ »، [1]كَمَا أَنَّهَا تُحْدِثُ تَغْيِيرَاتٍ صَوْتِيَّةً فِي إِيقَاعِ النِّهَايَةِ فِي حِينِ تَنَوُّعِهَا دَاخِلِ الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجعَلُ مِنْهَا «نِظَامًا إِشَارِيًّا خَاصًّا يَقُومُ كَأَحَدِ دَوَالِّ النَّصِّ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَىٰ بِنَائِهِ وَتَشْكِيلِهِ».[2]

قَدْ يَكُونُ الْوَزْنُ فِي الشِّعْرِ الْعَمُودِيِّ ذَا صُورَةٍ وَاحِدَةٍ، نَتِيجَةً لِتَعَدُّدِ أَعَارِيضِهِ وَأَضْرُبِهِ ؛ فَوَزْنُ الْكَامِلِ ـ مَثَلًا ـ ذُو ثَلَاثِ أَعَارِيضَ وَتِسْعَةِ أَضْرُبٍ؛وَلِذَلِكَ يُصْبِحُ عَلَىٰ الشَّاعِرِ إِذَا أَتَىٰ مَطْلَعُ قَصِيدَتِهِ بِإِحْدَىٰ هَذِهِ الصُّوَرِ أَنْ يَأْتِيَ بِبَقِيَّةِ الْقَصِيدَةِ عَلَىٰ هَذِهِ الصُّورَةِ، وَمِنْ ثَمَّ تَجِيءُ قَصَائِدُ الشِّعْرِ الْعَمُودِيِّ مِنْ وَزْنِ الْكَامِلِ عَلَىٰ تِسْعِ صُوَرٍ، كُلُّ صُورَةٍ مِنْهَا فِي هَذِهِ الْقَصَائِدِ تَجِيءُ مُسْتَقِلَّةً عَنْ غَيْرِهَا مِنْ سَائِرِ الصُّوَرِ .

بَيْدَ أَنَّ الْأَمْرَ يَخْتَلِفُ فِي شِعْرِ «قُطْب» بَعْضَ الشَّيْءِ، إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمْ ضَرْبًا وَاحِدًا فِي تِسْعٍ وَعِشْرِينَ قَصِيدَةً 29، مِنْ مَجْمُوعِ 129 و5 قِطَعٍ هِيَ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ الشِّعْرِيَّةِ، حَيْثُ اشْتَمَلَ الضَّرْبُ فِيهَا تَشْكِيلَاتٍ صَوْتِيَّةً عِدَّةً مِنْهَا مَا أَتَاحَهُ الْعَرُوضِيُّونَ وَمِنْهَا غَيْرُ ذَلِكَ؛وَمِنْ ثَمَّ تُعَدُّ هَذِهِ التَّشْكِيلَاتُ الَّتِي يُدْخِلُهَا عَلَىٰ الضَّرْبِ نِهَايَاتٍ خَاصَّةً وَمُتَمَيِّزَةً؛مِمَّا يَجْعَلُهَا عَامِلًا أَصِيلًا فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ.هَذَا، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ هَذِهِ الْقَصَائِدُ عَلَىٰ سِتَّةِ أُطُرٍ صَوْتِيَّةٍ نوَضِّحُهَا بالتالي:

الْوَزْنُ	الرَّمَلُ	المُتَقَارِبُ	الكَامِلِ	م.الْكَامِلِ	المجْتَثُّ	المزْدَوَجَةُ
العدد	20	3	1	1	2	1

(1/5/2) ضَرْبُ الرَّمَلِ :

يُتِيحُ الْعَرُوضِيُّونَ لِضَرْبِ الرَّمَلِ عِدَّةَ صُوَرٍ هِيَ : (/ه//ه/ه) ، و(/ه//ه) ، و(/ه//ه ه)، و(/ه//ه/ه/ه

(1) محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 46.

(2) شكري الطوانسيّ : مستويات البناء الشعريّ ، ص 31 .

ه)، و(/ه //ه/ه / ه)، وَقَدْ نَوَّعَ «قُطْب»فِي اسْتِخْدَامِ أَكْثَرَ مِنْ صُورَةٍ للضَّرْبِ فِي الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ؛وَمَعَ كُلِّ هَذِهِ الْإِمَكانَاتِ الُمتَاحَةِ، نَرَاهُ فِي قَصِيدَةِ «مَرَّ يَوْمٌ» يَأْتِي بِصُورَةٍ أُخْرَىٰ لِضَرْبِ الرَّمَلِ لَمْ يَذْكُرْهَا أَهْلُ الصَّنْعَةِ فِيمَا ذَكَرُوهُ، حَدَثَ ذَلِكَ فِي الْبَيْتِ 12 وَسَنَأْتِي بِبَعْضِ أَشْطُرِ الْقَصِيدَةِ ؛لِبَيَانِ تَنَوُّعِ الضَّرْبِ فِيهَا، يَقُولُ :

مَرَّ! يَوْمٌ مُنْذُ مَا اسْتَيْقَظْتُ أَمْسِ ، مَرَّ يَوْمْ

نَبَأٌ يَأْبَاهُ وِجْدَانِي وَحِسِّي فَهْوَ وَهْمْ

مَرَّ يَوْمٌ ؟قَالَتِ السَّاعَةُ مَرَّ، قَوْلَ وَاثِقْ

أَسْأَلُ الشَّمْسَ:أَحَقًّا؟ وَالْقَمَرَ فَيُوَافِقْ

كَيْفَ مَرَّ الْيَوْمُ؟ مَا هَٰذَا الْعَجَبُ كَيْفَ مَرْ

تَكْذِبُ الْأَفْلَاكُ أَمْ حِسِّي كَذَبَ؟أَمْ سَحِرْ

لَمْ تَكُنْ فِيهِ حَيَاةٌ أَوْ أَمَلٌ أَوْ تَمَتُّعْ

وَهْوَ مَحْسُوبٌ عَلَيْنَا فِي الْأَجَلِ فَهْوَ أَضْيَعْ

تُحْسَبُ الْأَقْدَارُ بِالْكَمِّ فَلَا هِيَ تُفَرِّقْ

بَيْنَ يَوْمٍ مَرَّ أَوْ يَوْمٍ خَلَا أَوْ تَحَقَّقْ

وَنُؤَدِّيهَا كَمَا تَبْغِي الْحِسَابَ وَهْوَ عُمْرُ

فِيهِ مِنْ خِصْبٍ وَفِيهِ مِنْ يَبَابٍ وَهْيَ تَذْرُو[1]

وَيَظْهَرُ تَنَوُّعُ الضَّرْبِ بِوُضُوحٍ مِنْ خِلَالِ الخَرِيطَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ التَّالِيَةِ :

الضَّرْبُ	بِنْيَتُهُ	الْقِرَاءَةُ	المُلَاحَظَةُ
«مَرَّ يَوْمْ»	/ه//ه ه	فَاعِلَانْ	مُتَاحٌ
«فَهْوَ وَهْمْ»	/ه//ه ه	فَاعِلَانْ	مُتَاحٌ
«قَوْلَ وَاثِقْ»	/ه//ه/ه	فَاعِلَاتُنْ	مُتَاحٌ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 56 .

«فَيُوَافِقْ»	///ه/ه	فَعَلَاتُنْ	مُتَاحُ
«كَيْفَ مَرْ»	/ه//ه	فاعلن	مُتَاحٌ
«أَمْ سَحِرْ»	/ه//ه	فاعلن	مُتَاحٌ
«أَوْ تَمَتُّعْ»	/ه//ه/ه	فاعلاتن	مُتَاحٌ
«فَهْوَ أَضْيَعْ»	/ه//ه/ه	فاعلاتن	مُتَاحٌ
«ـيَ تُفَرِّقْ»	///ه/ه	فَعَلَاتُنْ	مُتَاحٌ
«تُـحَقِّقْ»	//ه/ه	فَعُولُنْ	غَيْرُ مُتَاحٍ
«وَهْوَ عُمْرُ»	/ه//ه/ه	فاعلاتن	مُتَاحُ
«وَهْيَ تَذْرُو»	/ه//ه/ه	فاعلاتن	مُتَاحٌ

يَكْشِفُ التَّتَبُّعُ التَّحْلِيلِيُّ عَنْ تَنَوُّعٍ مَلْحُوظٍ فِي تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ، حَيْثُ نَوَّعَ الشَّاعِرُ بَيْنَ «فَاعِلُنْ»وَ«فَاعِلَانْ»بِالتَّذْيِيلِ، و«فَاعِلَاتُنْ» السَّالِمَةِ وَالمخْبُونَةِ و«فَعُولُنْ»، وَهِيَ تُعَدُّ خُرُوجًا عَنِ إِطَارِ الْأَضْرُبِ المُتَاحَةِ فِي الرَّمَلِ، لَكِنَّ مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ، يُفَسِّرُ لَنَا أَنَّ التَّبَادُلَ بَيْنَ (/ه//ه) و(//ه/ه) وَاقِعٌ لَا مَحَالَةَ بِمَا أَنَّهُمَا يَنْتَمِيَانِ لِدَائِرَةٍ وَاحِدَةٍ .وَإِذَا مَا أَتَيْنَا إِلَىٰ اِسْتِنْطَاقِ هَذِهِ التَّفْعِيلَةِ المُهَاجِرَةِ إِلىٰ سَاحَةِ إِطَارِ وَزْنِ الرَّمَلِ، فَإِنَّنَا سَوْفَ نَنْطَلِقُ مِنْ سَبَبِ تَنَوُّعِ الضَّرْبِ فِي الْقَصِيدَةِ ، وَهُوَ تَنَوُّعُ الْقَافِيَةِ، وَقَدْ أَخَذَتْ الْقَافِيَةُ هُنَا نَسَقًا صَوْتِيًّا انْزِيَاحِيًّا[1]، وَهُوَ يَتَمَثَّلُ فِي خُرُوجِ رَوِيٍّ عَنِ النَّسَقِ الصَّوْتِيِّ الْعَامِّ لِلْقَصِيدَةِ، حَيْثُ إِنَّ الحُرُوفَ الَّتِي تَرَدَّدَتْ رَوِيًّا هِيَ:المِيمُ ـ الْقَافُ ـ الرَّاءُ ـ الْعَيْنِ، وَكُلُّهَا حُرُوفٌ مَجْهُورَةٌ مَا عَدَا الْقَافُ فَهُوَ حَرْفٌ مَهْمُوسٌ[2]وَهُوَ الَّذِي مَثَّلَ هَذَا الخُرُوجَ أَوِ الانْزِيَاحَ عَنِ النَّسَقِ الصَّوْتِيِّ لحِرُوفِ الرَّوِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا، وَالمُتَتَبِّعُ لِصَوْتِ رَوِيِّ الْقَافِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ يَجِدُهُ قَدْ أَحْدَثَ تَمَوُّجًا صَوْتِيًّا بَيْنَ المجْهُورِ وَالمهْمُوسِ، نَتَّفِقُ ـ إِذَنْ ـ عَلَىٰ أَنَّ الْقَافَ نَسَقٌ صَوْتِيٌّ مُخَالِفٌ لِلنَّسَقِ الصَّوْتِيِّ الْعَامِّ

(1) عن الأنساق الصوتية لحروف الروي في النص . انظر الباب الثاني فقيه مزيد من التفصيل، ليس هنا مجال طرحه .
(2) انظر بصفة عامة : د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ط . مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، (د .ت) ، ص 22 وغيرها في مواضع متعددة من الكتاب .

لِلنَّصِّ، وَعَلَيْهِ نَنْظُرُ إِلَىٰ التَّفْعِيلَةِ الَّتِي مَثَّلَتْ خُرُوجًا عَنِ الْإِطَارِ الْعَامِ لِلضَّرْبِ سَنَجِدُ أَنَّ رَوِيَّهَا حَرْفُ الْقَافِ، وَهِيَ آخِرُ كَلِمَةٍ تَحْمِلُ هَذَا الرَّوِيَّ فِي النَّصِّ، يَشِي كُلُّ هَذَا بِأَنَّهَا تَحْمِلُ دِلَالَةً مَعْنَوِيَّةً مُهِمَّةً؛ إِذْ إِنَّهَا تُلَخِّصُ مَضْمُونَ الْقَصِيدَةِ الَّذِي يَتَمَثَّلُ فِي رِثَاءِ الْأَيَّامِ الَّتِي تَمُرُّ سَرِيعًا دُونَ تَحْقِيقِ أَيِّ جَدِيدٍ يُضَافُ لِرَصِيدِ الشَّاعِرِ فِي الحَيَاةِ.إِنَّ الْأَعْمَارَ تُقَاسُ بِمِقْدَارِ مَا يُحَقِّقُهُ الْإِنْسَانُ فِي الحَيَاةِ، فَكَثِيرُونَ هُمْ مَنْ مَاتُوا وَظَلَّتْ أَعْمَالُهُمْ بَاقِيَةً خَالِدَةً، إِنَّهُمْ قَهَرُوا الموْتَ بِمَا حَقَّقُوهُ مِنْ أَعْمَالٍ وَأُطْرُوحَاتٍ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِ الْإِنْسَانِيَّةِ، إِنَّ الشَّاعِرَ يَرْثِي هَذِهِ الْأَيَّامَ الَّتِي تَمُرُّ هَبَاءً مِنْ عُمْرِهِ ، فَهِيَ أَيَّامٌ مَحْسُوبَةٌ عَلَيْهِ مِنْ رَصِيدِ أَجَلِهِ.إِنَّ تَفْعِيلَةَ «تُحَقِّقْ» الَّتِي جَاءَتْ خَارِجَةً عَنِ النِّظَامِ الصَّوْتِيِّ لِلنَّصِّ عَلَىٰ صَعِيدَيِ الضَّرْبِ وَصَوْتِ الرَّوِيِّ عَكَسَتْ هَذَا الرِّثَاءَ فِي اخْتِزَالٍ لُغَوِيٍّ مُدْهِشٍ.

وَبِمَا أَنَّ الْقَافَ حَرْفٌ حَلْقِيٌّ يَحْتَاجُ إِلَىٰ جُهْدٍ عَضَلِيٍّ حِينَ النُّطْقِ بِهِ[1] فَهُوَ يُمَثِّلُ لَنَا ـ إِذَنْ ـ دَلَالَةَ الضِّيقِ وَالاخْتِنَاقِ الَّتِي يُعَانِي مِنْهَا الشَّاعِرُ لِمَا يَرَىٰ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ مِنْ عَبَثِيَّةٍ تَحْسِبُ أَيَّامَهُ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ فَاعِلًا مُؤَثِّرًا فِي أَحْدَاثٍ مُحِيطَةٍ بِهِ.

(2/5/2) ضَرْبُ الْـمُتَقَارِبُ :

فِي وَزْنِ المُتَقَارِبِ تَتَعَدَّدُ الضُّرُوبُ المُتَاحَةُ، مَا بَيْنَ (//ه/ه) ، و(//ه ه) ، و(//ه) ، و(/ه).وَقَدْ نَوَّعَ «قُطْب» بَيْنَ بَعْضِ هَذِهِ الْأَضْرُبِ فِي الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ، فِي ثَلَاثٍ مِنْ قَصَائِدِ هذَا الْوَزْنِ، فَفِي قَصِيدَةِ «الظَّامِئَةُ»[2] يُنَوِّعُ بَيْنَ (//ه) و (//ه/ه) و(//ه ه) ، وَفِي قَصِيدَةِ «رَسُولُ الحَيَاةِ»[3] يُنَوِّعُ بَيْنَ (//ه ه) و (//ه)، وَفِي قَصِيدَةِ «غَرِيبٌ» [4] يُنَوِّعُ بَيْنَ (//ه ه) و(//ه)، وَلِنَأْخُذْ مِثَالًا عَلَىٰ هَذَا الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِتَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ مِنْ قَصِيدَةِ «الظَّامِئَةُ» المُقَسَّمَةِ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ، نَقْتَطِفُ مِنْهَا الْأَبْيَاتَ التَّالِيَةَ :

بِعَيْنِكِ أُبْصِرُ رُوحَ الظِّمَاءِ وَبِالنَّفْسِ أَلْمَحُ طَيْفَ الْقَلَقْ

فَفِي الْخَطَرَاتِ وَفِي اللَّفَتَاتِ وَفِي النَّظَرَاتِ وَبَيْنَ الْحَدَقْ

(1) د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 33 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 166.

(3) السابق ، ص 169 .

(4) السابق ، ص 55 .

يُطِلُّ التَّلَهُّفُ فِي وَثْبَةٍ وَتَعْصِفُ رِيحُ اللَّظَىٰ المُحْتَرِقْ

أُحِسُّ بِأَنَّكِ مَلْهُوفَةٌ لِأَنْ تَنْهَلِي كُلَّ مَعْنَىٰ الْغَرَامِ

وَأَنْ تَنْهَبِي النُّورَ مِنْ فَجْرِهِ وَأَنْ تَسْلُبِي زَفَرَاتِ الظَّلَامِ

إِلَيَّ.. إِلَيَّ ، وَلَا تَجْفَلِي فَإِنِّي ظَمِئْتُ إِلَىٰ مَا تَظْمَئِينْ

وَأَحْسَبُنِي كُنْتُ أَهْفُو إِلَيْكِ كَمَا كُنْتِ لِي فِي الْمُنَىٰ تَرْقُبِينْ[1]

فَفِي الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَىٰ تَتَمَثَّلُ تَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ فِي الصُّورَةِ (//ه)، وَفِي الْبَيْتَيْنِ التَّالِيَيْنِ تَتَمَثَّلُ فِي (//ه/ه) وَفِي الْأَخِيرَيْنِ تَتَمَثَّلُ فِي (//ه ه)، وَإِذَا مَا أَتَيْنَا إِلَىٰ اسْتِنْطَاقِ تَنَوُّعِ الضَّرْبِ فِي هَذَا النَّصِّ، فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهُ قَدْ تَأَتَّىٰ مِنْ تَنَوُّعِ الرَّوِيِّ فِيهِ، وَقَدْ أَخَذَ هَذَا التَّنَوُّعُ نَسَقًا صَوْتِيًّا انْزِيَاحِيًّا أَيْضًا، وَهُوَ انْزِيَاحٌ اِسْتِهْلَالِيٌّ يَتَمَثَّلُ فِي أَنَّ المِيمَ وَالنُّونَ صَوْتَانِ مَجْهُورَانِ كَمَا أَنَّهُمَا مِنْ مَجْمُوعَةِ الْأَصْوَاتِ المَائِعَةِ «Liquids»[2]، أَمَّا الْقَافُ فَهُوَ صَوْتٌ مَهْمُوسٌ، وَلَيْسَ مِنْ مَجْمُوعَةِ الْأَصْوَاتِ المائِعَةِ، وَبِهَذَا يُعَدُّ وُجُودُهُ خُرُوجًا عَنْ النَّسَقِ الصَّوْتِيِّ لِلْمِيمِ وَالنُّونِ، وَهُوَ اِنْزِيَاحٌ اِسْتِهْلَالِيٌّ؛لِأَنَّ صَوْتَ الْقَافِ بُدِئَ بِهِ النَّصُّ.

إِنَّ تَنَوُّعَ الضَّرْبِ وَمَا يُصَاحِبُهُ مِنْ تَنَوُّعِ صَوْتِ الرَّوِيِّ نِظَامٌ إِشَارِيٌّ يُسْهِمُ فِي تَنَامِي دِلَالَةِ النَّصِّ؛ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْكِسُ حَالَةَ الْأَيْرُوتِيكَا المُلْتَهِبَةَ الَّتِي تَجْتَاحُ الْعَاشِقَيْنِ، وَهِيَ حَالَةٌ فِيهَا «يَتَحَوَّلُ التَّوْقُ الشَّبَقِيُّ المُجَسَّدُ فِي كُلِّ أَبْعَادِهِ وَبِصَوْتِ طَرَفَيْهِ مَعًا إِلَىٰ مَوْضُوعٍ جَمَالِيٍّ يَمْتَزِجُ فِيهِ الْعِشْقُ بِالشِّعْرِ، وَتَنْجَلِي فِيهِ لحْظَةُ النَّشْوَةِ فِي فَوْرَةِ الجَسَدِ وَاللُّغَةِ مَعًا فَيُصْبِحُ تَجَلِّيًا حَارِقًا لحُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ يَخْتَرِقُ سَقْفَ المُجْتَمَعِ وَحِصَارَ لُغَتِهِ».[3]

إِنَّ الضَّرْبَ فِي الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأُوَلِ فِي شَكْلِهِ (//ه) يَرْصُدُ وَصْفًا لِرَغْبَةِ الحَبِيبَةِ الظَّامِئَةِ، حَيْثُ تَظْهَرُ الرُّوحُ الظَّامِئَةُ وَالْقَلَقُ المُضْنِيُّ، وَالنَّظَرَاتُ المُتَتَابِعَةُ، وَالْأَنْفَاسُ المحْتَرِقَةُ وَالشَّرَرُ المُتَصَاعِدُ مِنَ الْعَيْنَيْنِ ، يَقُولُ:

شُوَاظٌ مِنَ الشَّوْقِ ؟ أَمْ جَمْرَةٌ مِنَ الْحُبِّ مُحْمَرَّةٌ كَالشَّفَقْ

(1) السابق ، ص 166.

(2) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 26 .

(3) د . صلاح فضل : تحولات الشعرية العربية ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003 ، ص 48.

يُغَلِّفُ هَذَا الرَّصْدَ المبْدَئِيَّ صَوْتُ الْقَافِ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَقْصَىٰ الحَلْقِ مُعَبِّرًا عَنْ سُعَارِ الرَّغْبَةِ الجَامِحَةِ وَهِيَ تَجْتَاحُ الجَسَدَ الْأُنْثَوِيَّ الثَّائِرَ .

وَإِذَا مَا أَتَيْنَا إِلَىٰ النَّوْعِ الْآخَرِ مِنْ تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ المُتَمَثِّلِ فِي الشَّكْلِ السَّالِمِ لِلتَّفْعِيلَةِ (//ه/ه) ، فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهُ يُمَثِّلُ مَعْرِفَةَ الشَّاعِرِ بِرَغْبَةِ الطَّرَفِ الْآخَرِ، يَقُولُ :

أُحِــسُّ بِـأَنَّـكِ مَـلْــهُــوفَـةٌ　　　لِأَنْ تَـنْــهَـلِي كُلَّ مَعْنَىٰ الْغَرَامِ

إِنَّ هَذَا الاخْتِلَافَ فِي تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ يَرْصُدُ ارْتِفَاعَ المُنْحَنَىٰ الـنَّفْسِيِّ لِلشَّـاعِرِ، إِذْ قَـدْ تَجَسَّـدَ الْإِحْسَـاسُ نَفْسُهُ لَدَيْهِ تَجْسِيدًا كَامِلًا ظَهَرَ فِي صُورَةِ التَّفْعِيلَةِ الْكَامِلَةِ وَمَا تَشْمَلُهُ مِنْ صَـوْتِ رَوِيِّ المِـيمِ، وَهُـوَ الحَـرْفُ الشَّفَوِيُّ المَائِعُ، الَّذِي تَأْخُذُ الشَّفَتَانِ فِيهِ شَكْلَ التَّقْبِيلِ حِينَ النُّطْقِ بِهِ !

مَهَّدَ هَذَا التَّنَاسُقُ الصَّوْتِيُّ بَيْنَ تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ وَصَوْتِ رَوِيِّهَا إِلَىٰ رَصْـدِ ارْتِفَـاعِ الخَـطِّ الْبَيَـانِيِّ لِلانْفِعَـالِ النَّفْسِيِّ لَدَىٰ الشَّاعِرِ فِي قَوْلِهِ :

إِلَــيَّ.. إِلَـــيَّ ، وَلَا تَجْـفَلِي　　　فَـإِنِّي ظَـمِـئْتُ إِلَىٰ مَـا تَظْمَئِينْ

وَهِيَ اللَّحْظَةُ الثَّالِثَةُ الَّتِي تَتَغَيَّرُ فِيهَا تَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ إِلَىٰ (//ه ه) الَّتِي يَتَتَابَعُ فِيهَا سُكُونَانِ مُعَبِّرَانِ عَنِ انْعِدَامِ الحَرَكَةِ، وَلِذَا تَرَاهُ يَطْلُبُ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ أَلَّا يَجْفَلَ أَيْ يَنْفِرَ، وَالنُّفُـورُ حَرَكَـةٌ سَرِيعَـةٌ، يُغَلِّـفُ هَـذَا السُّكُونَ صَوْتُ النُّونِ المَائِعُ الْأَغَنُّ الَّذِي يَرْصُدُ حَالَةَ النَّشْوَةِ بِاللِّقَاءِ، يَقُولُ فِي آخِرِ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ وَقَـدْ كَـرَّرَ صَوْتَ النُّونِ سِتَّ مَرَّاتٍ فِي تَنَاسُقٍ صَوْتِيٍّ فَنِّيٍّ مُوَزَّعٍ عَلَىٰ جُزْأَيِ الْبَيْتِ بِالتَّسَاوِي :

تَـعَالَيْ نُـرَوِّي ظِـمَاءَ السِّـنِيـنِ　　　تَـعَـالَيْ نَـعِـشْ لِلْمُنَىٰ وَالْفُتُونْ

وَهَكَذَا تُعَدُّ تَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ مُؤَشِّرًا صَوْتِيًّا يَعْكِسُ كَثِيرًا مِنَ الدِّلَالَاتِ المَرْكَزِيَّـةِ فِي الـنَّصِّ عَـلَىٰ نَحْـوَ مَـا رَأَيْنَا فِي التَّحْلِيلَيْنِ السَّابِقَيْنِ .

(6/2) التَّدْوِيرُ :

فِي دِرَاسَةِ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّـةِ نَسْـعَىٰ لِرَصْـدِ كَافَّـةِ التَّشْـكِيلَاتِ، سَـوَاءٌ أَكَانَـتْ فِي الحَشْوِ أَمْ فِي الْعَرُوضِ والضَّرْبِ، وَمِنَ الظَّوَاهِرِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِـي لَا يُمْكِـنُ تَخطِّيهَـا ظَـاهِرَةُ «التَّدْوِيرِ» الَّذِي يُمَثِّلُ دَمْجًا بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ، وَإِظْهَارَهُمَا فِي كُتْلَةٍ صَـوْتِيَّةٍ وَاحِـدَةٍ ، إِنَّـهُ يُلْغِـي المَحَطَّاتِ الصَّوْتِيَّةَ الَّتِي كَانَ الْقَارِئُ يَقِفُ عِنْدَهَا فِي تَفْعِيلَةِ الضَّرْبِ.إِنَّ التَّدْوِيرَ يَتَمَثَّـلُ فِي «إِزَالَـةِ

الحَاجِزِ الجُزْئِيِّ بَيْنَ الشَّطْرَيْنِ فِي الْبَيْتِ، وَإِخْرَاجِ الْبَيْتِ فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ يَصِلُ بَيْنَ صَدْرِهِ وَعَجُزِهِ لفظٌ مُشْتَرَكٌ بَيْنَهُمَا، فَالتَّدْوِيرُ يُلْغِي الثُّنَائِيَّةَ الجُزْئِيَّةَ فِي الْبَيْتِ، وَيُخْضِعُ الْبَيْتَ لِوَحْدَةٍ مُتَمَاسِكَةِ الْأَجْزَاءِ».(1)

تَمَثَّلَتْ ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ فِي شِعْرِ «قُطْب» فِي ثَمَانِيَةٍ وَثَمَانِينَ 88 بَيْتًا، بِنِسْبَةٍ ضَئِيلَةٍ 3.84 %، مِنْ مَجْمُوعِ أَبْيَاتِهِ الْبَالِغِ 2290 بَيْتًا، وَقَدْ تم رَصَد الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ فِيهَا ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ، كَمَا تمَّ رَصَد الحُقُول الدِّلَالِيَّة « Semantic Fields» الْأَكْثَرَ احْتِوَاءً لهَا، وَنَقُومُ مِنْ خِلَالِ هَذَا الرَّصْدِ بِتَقْيِيمِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

1 ـ يُمَثِّلُ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الخَفِيفِ أَكْثَرَ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ فِيهَا هَذِهِ الظَّاهِرَةُ ، حَيْثُ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ المُدَوَّرَةِ فِي هَذَا الْإِطَارِ 49 بَيْتًا.(2)

2 ـ يُعَدُّ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ ثَانِيَ هَذِهِ الْأُطُرِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ فِيهَا ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ، حَيْثُ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ المُدَوَّرَةِ فِي هَذَا الْإِطَارِ 26 بَيْتًا.

3 ـ يَأْتِي الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ مَجْزُوءِ الرَّمَلِ ثَالِثَ إِطَارٍ تَتَحَرَّكُ فِيهِ ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ، حَيْثُ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ المُدَوَّرَةِ فِيهِ 6 أَبْيَاتٍ فَقَطْ.

4 ـ تُعَدُّ الْأُطُرُ الصَّوْتِيَّةُ لِأَوْزَانِ الْكَامِلِ التَّامِّ وَالمُتَقَارِبِ وَمَجْزُوءِ الْوَافِرِ أَقَلَّ الْأُطُرِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ فِيهَا هَذِهِ الظَّاهِرَةُ، حَيْثَ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ المُدَوَّرَةِ فِي الْكَامِلِ التَّامِّ 3 أَبْيَاتٍ، وَفِي المُتَقَارِبِ 3 أَبْيَاتٍ أَيْضًا، وَفِي مَجْزُوءِ الْوَافِرِ بَيْتٌ وَاحِدٌ فَقَطْ.

5 ـ اخْتَفَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ مِنَ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ لِأَوْزَانِ الطَّوِيلِ وَالْبَسِيطِ وَالمُجْتَثِّ وَالرَّمَلِ التَّامِّ.

6 ـ يُعَدُّ حَقْلُ الْغَزَلِ أَكْثَرَ الحُقُولِ الدِّلَالِيَّةِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ فِيهَا ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ؛ إِذْ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ المُدَوَّرَةِ فِي هَذَا الحَقْلِ 27 بَيْتًا.

7 ـ ثُمَّ يَأْتِي الحَقْلُ الدِّلَالِيُّ لِمَوْضُوعِ الحَنِينِ ثَانِيَ أَكْثَرِ الحُقُولِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ فِيهِ ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ؛إِذْ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ المُدَوَّرَةِ فِيهِ 17 بَيْتًا .

8 ـ يُمَثِّلُ الحَقْلَانِ الدِّلَالِيَّانِ لمَوْضُوعَيِ التَّأَمُّلِ وَالرِّثَاءِ ثَالِثَ أَكْثَرِ الحُقُولِ الدِّلَالِيَّةِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ

---

(1) محمد الهادي الطرابلسيّ : خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 85 .

(2) انظر الفقرة (3 / 4) من الفصل التالي .

فِيهَا ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ؛ إِذْ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ فِي كُلِّ حَقْلٍ 14 بَيْتًا.

9 ـ يُمَثِّلُ الحَقْلُ الدِّلَالِيُّ لِمَوْضُوعِ الْوَصْفِ رَابِعَ أَكْثَرِ الحُقُولِ الدِّلَالِيَّةِ الَّتِي تَتَحَرَّكُ فِيهَا ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ؛إِذْ بَلَـغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ الْمدَوَّرَةِ فِيهِ 13 بَيْتًا.

10 ـ تُمَثِّلُ الحُقُولُ الدِّلَالِيَّةُ لِموْضُوعَيِ التَّمَرُّدِ وَالشَّكْوَىٰ أَقَلَّ الحُقُولِ الَّتِي تَحَرَّكَتْ فِيهَا ظَاهِرَةُ التَّـدْوِيرِ؛إِذْ بَلَغَ عَدَدُ الْأَبْيَاتِ فِي التَّمَرُّدِ بَيْتًا وَاحِدًا، وَفِي الشَّكْوَىٰ بَيْتَيْنِ فَقَطْ.

11 ـ اخْتَفَتْ ظَاهِرَةُ التَّدْوِيرِ مِنَ الحُقُولِ الدِّلَالِيَّةِ لِموْضُوعَاتِ المَدْحِ وَالهِجَاءِ السِّيَاسِيِّ وَالحَمَاسَةِ.

لَكِنَّ قِيمَةَ هَذَا التَّقْيِيمِ لِلْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لَا تُـؤْتِي ثِمَارَهَـا إِلَّا إِذَا خَرَجْنَـا بِهَـا مِـنْ وَضْـعِها الْإِسْـتَاتِيكِيِّ إِلَىٰ وَضْعِهَا الدِّينَامِيكِيِّ فِي لُغَةِ النَّصِّ، وَمِثَالُنَا لهذَا هُوَ قَصِيدَةُ «حُلْمُ الْفَجْرِ» [مِنَ الخَفِيفِ] المُكَوَّنَةِ مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ بَيْتًا، يَقُولُ :

عَـجَبًا ! أَنْـتِ لَا تَـزَالِينَ حُـلْمِي   وَمِـثَـالِـي وَفِـكْـرَتِي وَنَـشِـيدِي

مَـا تَـزَالِـينَ فِي خَـيَـالِـي رَمْـزًا   لِــرَجَـاءٍ مُـنَـوَّرٍ مِــنْ بَـعِيدِ

مَــا تَــزَالِــينَ حَـافِـزًا لِـجُهُودِي   مَـا تَــزَالِـينَ غَـايَــةً لِوُجُودِي

أَتَـحَـاشَـاكِ بِالْـجَـفَـاءِ وَالْبَــأْ   سِ فَـأَرْتَـدُّ سَاخِرًا مِنْ جُهُودِي

أَتَـحَـاشَـاكِ كَـالْـجَحِيمِ وَكَالسُّمْ   مِ ، وَلَـكِنْ إِلَيْـكِ يُفْضِي شُرُودِي

عَـجَـبًـا ! تَـرْكُدُ الْـحَيَاةُ فَأَنْسَــا   كِ قَـلِيــلًا فِي غَـمْـرَتِي وَرُقُودِي

فَـإِذَا دَبَّـــتِ الْـحَيَـــاةُ تَــرَاءَىٰ   طَـائِفٌ مُـسْتَـيْقِظٌ مِنْ جُهُودِي

وَتَــرَاءَتْ تَـــرِقُّ حَــوْلَكِ أَطْيَا   فٌ لِـــمَا كَـــانَ مِـــنْ عُـهُودِ

كُــلُّ مَــا لَامَسَتْ يَدَاكِ وَمَا مَسْ   سَ هَـــوَانَـــا مِــنْ قَيِّمٍ وَزَهِيدِ

أَتَـــمَــلَّاهُ بِـالْـخَيَـالِ وَبِالْـحِسْ   سِ كَـهَـاوٍ مِــنْ عَالَـمٍ مَوْعُودِ

عَــجَــبًا ! بَـعْـدَ كُـلِّ مَا كَانَ مِنَّا   مِــنْ صِـرَاعٍ دَامٍ وَجُـهْدٍ جَهِيدِ

أَتَـــمَــنَّاكِ فِي الْـمَنَامِ وَفِي الصَّحْـ   ـوِ تَـمَـنِّي الْـعَقِيمِ وَجْهَ الْوَلِيدِ

وَإِذَا سِـرْتُ فِي الــزِّحَـامِ فَـعَـيْنِي   لِـخَـيَالٍ مُـسْتَشْـرِفٍ مِـنْ بَعِيدِ

لَـهْـفَـةً تَـمْـلَأُ الْـحَنَايَا حَنِينَا لِـرَجَـاءٍ مُـجَـسَّـمٍ مَـفْقُودِ

أَنْتِ حُـلْمِ الحَيَاةِ فِي صَحْوَةِ الْفَجْـ ـرِ، فَـأَنَّـىٰ لِـحُلْـمِنَا مِنْ مُعِيدِ [1]

يُمَثِّلُ التَّدْوِيرُ فِي النَّصِّ السَّابِقِ أَحَـدَ المُنْتَجَـاتِ الصَّـوْتِيَّةِ المُسْـهِمَةِ فِي إِبْـرَازِ دَلَالَتِـهِ؛حَيْثُ إِنَّ الْأَبْيَـاتَ المُدَوَّرَةَ شَكَّلَتْ بِهِ 50% مِنْ عَدَدِ أَبْيَاتِهِ، وَمَثَّلَتْ دِينَامِيكِيَّةَ تَوَاصُلٍ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَمَحْبُوبَتِهِ.فَإِذَا كَـانَ التَّـدْوِيرُ يُمَثِّلُ فِي صُورَتِهِ الْبِدَائِيَّةِ اتِّصَالَ الصَّدْرِ بِالْعَجُزِ فَإِنَّ هَذَا الاتِّصَالَ يُعَدُّ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِمَا يُجَسِّدُهُ النَّصُّ.

إِنَّ ذِكْرَىٰ الحَبِيبَةِ مُسْتَمِرَّةٌ فِي وِجْدَانِ الشَّاعِرِ، مُتَّصِلَةٌ بِـوَتِينِ قَلْبِـهِ، يُحَـاوِلُ أَنْ يَتَحَاشَـاهَا لَكِنَّـهُ عَبَثًـا يُحَاوِلُ :

أَتَـحَاشَـاكِ بِالْـجَـفَـاءِ وْالبَــأْ ـسِ فَـأَرْتَـدُّ سَاخِرًا مِنْ جُهُودِي

أَتَـحَاشَـاكِ كَـالْـجَحِيمِ وَكَالسُّمْ ـمِ ، وَلَـكِنْ إِلَيْـكِ يُفْضِي شُرُودِي

إِنَّ التَّدْوِيرَ يُمَثِّلُ حَالَةَ الاتِّصَالِ الرُّوحِي بَيْنَ الشَّاعِرِ وَمَنْ يُحِبُّ كَمَا يُمَثِّلُ حَالَةَ اتِّصَالِ الصَّـدْرِ بِـالْعَجُزِ، فَإِذَا حَاوَلَ أَنْ يَتَلَاشَاهَا يَعْمَلُ التَّدْوِيرُ بِبِنْيَتِهِ الاتِّصَالِيَّةِ لِدَحْضِ هَذِهِ المُحَاوَلَـةِ ، وَيَجْعَـلُ المحْبُوبَـةَ شَاخِصَـةً أَمَامَ عَيْنَيْهِ .

وَإِذَا سِـرْتُ فِي الـزِّحَـامِ فَـعَـيْنِي لِـخَـيَالٍ مُـسْـتَشْـرِفٍ مِـنْ بَعِيدِ

لَقَدْ مَثَّلَ التَّدْوِيرُ فِي النَّصِّ السَّابِقِ رَابِطًا شُعُورِيًّا بَيْنَ شَـطْرَيْنِ هُـمَا الشَّـاعِرُ وَمَحْبُوبَتُـهُ الَّتِـي يَتَمَنَّـىٰ الْعَوْدَةَ إِلَيْهَا بَعْدَ كُلِّ مَا كَانَ مِنْ صِرَاعٍ بَيْنَهُمَا، يَقُولُ :

أَتَــمَـنَّاكِ فِي الْـمَنَامِ وَفِي الصَّحْـ ـوِ تَـمَـنِّي الْـعَقِيمِ وَجْهَ الْوَلِيدِ

إِنَّ تَمَنِّيَ عَوْدَةِ الشَّاعِرِ لِمحْبُوبَتِهِ تَمَـنٍّ مُسْـتَمِرٌّ مُتَّصِـلٌ ـ بِوَاسِـطَةِ التَّـدْوِيرِ ـ لَيْـلَ نَهَـارٍ، بَـلْ فِي مَنَامِـهِ وَصَحْوِهِ، يَدْعَمُ التَّدْوِيرُ هُنَا التَّشْبِيهَ الْبَلِيغَ فِي قَوْلِهِ :«تَمَنِّي الْعَقِيمِ وَجْهَ الْوَلِيدِ» فَهُوَ يُظْهِـرُ مَـا يُعَانِيـهِ مِـنْ حَرَارَةِ هَذَا التَّمَنِّي المُسْتَمِرِّ /المُتَوَاصِلِ فِي وِجْدَانِهِ، وَلَعَلَّ مَا تُفْرِزُهُ بِنْيَةُ الاسْتِفْهَامِ فِي قَوْلِهِ : «فَأَنَّىٰ لحُلْمِنَا مِـنْ مُعِيدِ» يَرْصُدُ هَذَا الشَّوْقَ المُستَمِرَّ لَدَيْهِ فِي الْعَوْدَةِ مَرَّةً أُخْرَىٰ .

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 213.

وَمِنْ ثَمَّ يُعَدُّ التَّدْوِيرُ ظَاهِرَةً صَوْتِيَّةً دِينَامِيكِيَّةً تُبْرِزُ الطَّبِيعَةَ الدِّرَامِيَّةَ فِي النَّصِّ، وَتَرْصُدُ عَنْ كَثَبٍ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَدَاءِ المعْنَىٰ النَّفْسِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْفَلْسَفَةَ فِي التَّدْوِيرِ تَنْبُعُ مِنْ طَبِيعَةِ الْقَصِيدَةِ نَفْسِهَا.

(7/2) التَّجْدِيدُ فِي الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ:

يَتَأَتَّىٰ التَّجْدِيدُ فِي الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ مِنْ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَهِيَ التَّفْعِيلَاتُ؛إذْ إِنَّهَا لَبِنَاتُ الْبِنَاءِ الصَّوْتِيِّ فِي الْإِطَارِ الْوَزْنِيِّ.إنَّ الْكَفَاءَةَ أَوِ الْقُدْرَةَ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَا الشَّاعِرُ ابْنُ اللُّغَةِ[1] تُعْطِيهِ الْآلِيَّاتِ الَّتِي مِنْ خِلَالها يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَلِّقَ أُطُرًا صَوْتِيَّةً جَدِيدَةً خَارِجًا عَمَّا هُوَ مَعْهُودٌ، ذَلِكَ بِمَا تَتَمَتَّعُ بِهِ اللُّغَةُ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَىٰ الْإِبْدَاعِ.

وَمِنَ الْآلِيَّاتِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا«قُطْب»لِأَدَائِهِ الْعَرُوضِيِّ فِي نِطَاقِ تَخْلِيقِ أُطُرٍ جَدِيدَةٍ آلِيَّةُ الزِّيَادَةِ « Additional » وَذَلِكَ فِي قَصِيدَةِ «إِلَىٰ الثَّلَاثِينَ»[مِنَ الْمُجْتَثِّ]، حَيْثُ أَضَافَ لَهُ إِطَارًا صَوْتِيًّا مِنَ الشِّعْرِ المَلْحُونِ وَهُوَ الزَّجَلُ، الَّذِي لَهُ أَرْبَعَةُ أَوْزَانٍ، اسْتَخْدَمَ مِنْهَا هُوَ صُورَةَ : «مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَاعِلُنْ»[2]، لَكِنَّهُ أَدْخَلَ الخَبْنَ عَلَىٰ «مُسْتَفْعِلُنْ» فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ فَجَاءَتْ (//ه//ه) ، يَقُولُ :

إِلَىٰ الثَّلَاثِينَ تَمْضِي الرِّكَابْ	حَثِيثَةً يَا لَيَالِ
مَضَىٰ مِنَ الْعُمْرِ أَغْلَىٰ اللُّبَابْ	فَلَسْتُ آسٍ لِغَالِ
مَضَىٰ مِنَ الْعُمْرِ مَا يُسْتَطَابْ	مِنْ بَهْجَةٍ وَجَمَالِ
مَضَىٰ كَمَا جَاءَ عَهْدُ الشَّبَابِ	عَهْدُ المُنَىٰ وَالْخَيَالِ
وَضَاعَ فِي غَمْرَةٍ وَاضْطِرَابْ	وَمَرَّ دُونَ احْتِفَالِ

فَأَسْرِعِي يَا لَيَالِ[3]

لَقَدْ أَسْهَمَ هَذَا التَّنَوُّعُ بَيْنَ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ فِي رَصْدِ مَا يَنْتَابُ الشَّاعِرَ مِنْ خَوْفٍ حَيْثُ يَسْعَىٰ الزَّمَانُ حَثِيثًا بِهِ إِلَىٰ نِهَايَةِ عُمْرِهِ، حَيْثُ إِنَّهُ جَعَلَ الشَّطْرَ الْأَوَّلَ الزَّجَلِيَّ وَصْفًا لِمَا أَصَابَهُ فِي

(1) عن الكفاءة والأداء انظر تمهيد هذه الدراسة .

(2) د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 236 .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 57.

سِنِيِّ عُمْرِهِ ، وَجَعَلَ شَطْرَ المُجْتَثِّ تَعْلِيقًا عَلَىٰ الْأَحْدَاثِ ، يَقُولُ:

عَـلَامَ مِـنْ بَعْـدِهِ تُـمْهِلِينْ	وَأَيِّ غَـيْـبٍ تَـهَابْ
وَمَـا احْـتِـفَــالٌ بِـمَرِّ السِّنِينْ	مِـنْ بَـعْدِ مَرِّ الشَّبَابْ
وَمَــا الَّــــذِي يَــا لَيْلُ يَكُونْ	بَـعْدَ اكْتِهَالِ الرِّغَابْ
يَـكُــونُ وَاحَــسْرَتَاهُ السُّكُونْ	عَــلَىٰ ضِفَافِ الْيَبَابِ
يَكُــونُ كَـالْقَـيْدِ عَقْلٌ رَزِينْ	يَعْطُو لِشَطِّ الصَّوَابْ

وَهَكَذَا يَسِيرُ إِلَىٰ نِهَايَةِ النَّصِّ مُعْطِيًا وَزْنَ الزَّجَلِ الْوَصْفَ، وَوَزْنَ المُجْتَثِّ التَّعْلِيقَ عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَصْفِ.

كَانَتْ هَذِهِ المُحَاوَلَةُ هِيَ الْأُولَىٰ لِلشَّاعِرِ لِتَخْلِيقِ إِطَارٍ صَوْتِيٍّ جَدِيدٍ يَبُثُّ فِيهِ أَفْكَارَهُ وَمَشَاعِرَهُ، وَلَعَلَّهَا كَانَتِ التَّجْرِبَةَ الْأَنْجَحَ فِي مُحَاوَلَةِ المزْجِ بَيْنَ الْأَوْزَانِ فِي جَمَاعَةِ شُعَرَاءِ أَبُولْلُـو، شَـهِدَ بِـذَلِكَ «د.الْبَحْـرَاوِيُّ» فِي دِرَاسَتِهِ لِمُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ عِنْدَ هَذِهِ الجَمَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ.[1]

فِي مُحَاوَلَةٍ أُخْرَىٰ لِتَخْلِيقِ إِطَارٍ صَوْتِيٍّ اسْتَخْدَمَ الشَّاعِرُ آلِيَّةَ الإِحْلَالِ ، «Replacement» حَيْثُ اسْـتَطَاعَ أَنْ يَسْتَبْدِلَ وَحْدَةً صَوْتِيَّةً مُجَازَةً عَرُوضِيًّا بِوَحْدَةٍ صَـوْتِيَّةٍ أُخْـرَىٰ جَدِيـدَةٍ فِي الْإِطَـارِ الصَّـوْتِيِّ.حَـدَثَ ذَلِـكَ فِي قَصِيدَةِ «وَحْيٌ جَدِيدٌ»، مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ المُعَدَّلِ، حَيْثُ قَامَ بِإِحْلَالِ«فَعْلُنْ» أَوْ «فَعَلُـنْ» مَحَـلَّ الْعَـرُوضَ الصَّحِيحَةَ وَأَضْرُبَ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ المُتاحَةِ، وَلِكَيْ تَقْتَرِبَ الفِكْرَةُ أَكْثَرَ نَـذْكُرُ أَنَّ مَجْـزُوءَ الْكَامِـلِ يَـأْتِي بِعَـرُوضٍ صَحِيحَةٍ دَائِمًا وَتَتَنَوَّعُ أَشْكَالُ الضَّرْبِ، عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يَتَّضِحُ أَكْثَرَ مِنْ خِلَالِ الشَّكْلِ التَّالِي :

	عَرُوضٌ صَحِيحَةٌ (///٥//٥)		
ضَرْبٌ صَحِيحٌ	ضَرْبٌ مُذَيَّلٌ	ضَرْبٌ مُرَفَّلٌ	ضَرْبٌ مَقْطُوعٌ
(///٥//٥)	(///٥// ٥ ٥)	(///٥// ٥ /٥)	(///٥ /٥)

(1) د . سيد البحراوي : موسيقى الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 116 .

وَالمُلَاحَظُ فِي النَّصِّ مَوْضِعِ الشَّاهِدِ أَنَّ الشَّاعِرَ لَمْ يَسْتَخْدَمْ فِيهِ الْعَرُوضَ الصَّحِيحَةَ وَلَا أَيَّ شَكْلٍ مِنْ أَشْكَالِ الْأَضْرُبِ الُمتاحَةِ بَلْ قَامَ بِإِحْلَالِ «فَعلنْ» مَحَلَّ كُلِّ ذَلِكَ فِي الْعَرُوضِ وَالضَّرْبِ، مُحْدِثًا بِذَلِكَ تَشْكِيلًا صَوْتيًا جَدِيدًا فِي إِطَارِ مَجْزوُءِ الْكَامِلِ، يَقُولُ :

فِي خَفْقَةِ الطَّيْرِ فِي نُضْرَةِ الزَّهْرِ
فَتَّانَةٌ تُغْرِي بِالسِّحْرِ وَالطُّهْرِ
فِي لَفْتَةِ الْجِيدِ فِي خَفْقَةِ الصَّدْرِي
تَقْسِيمُ مُوسِيقَىٰ مَنْغُومَةُ النَّبْرِ
يَا بَسْمَةَ الْفَجْرِ يَا نَفْحَةَ الْعِطْرِ
أَسْكَرْتِ وِجْدَانِي مِنْ لَوْنِكِ الخَمْرِي
أَلْهَبْتِ إِحْسَاسِي بِالشَّوْقِ كَالْجَمْرِ[1]

وَقَدْ تَطَرَّقْنَا إِلَىٰ هَذِا النَّصِّ عَنْدَ حَدِيثِنَا عَنْ زِحَافِ الْإِضْمَارِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ تُغْنِي عَنْ تَكْرَارِهِ هُنَا .

وَفِي النِّهَايَةِ يُمْكِنُ حَوْصَلَةُ نَتَائِجِ هَذَا الْفَصْلِ فِي النِّقَاطِ الخَمْسِ التَّالِيَةِ :

1 ـ كَانَ الْأَدَاءُ الْأُسْلُوبِيُّ لِـ«قُطْب» فِي الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ أَدَاءً لَا يَخْرُجُ عَنْ إِطَارِ الشِّعْرِ التَّقْلِيدِيِّ مِنْ حَيْثُ اسْتِخْدَامِ الزِّحَافَاتِ وَالْعِلَلِ .

2 ـ اِسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَغِلَّ كُلَّ الْإِمْكَانَاتِ المُتَاحَةِ وَغَيْرَ المُتَاحَةِ عَرُوضِيًّا دَاخِلَ الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِلْوَزْنِ اِسْتِخْدَامًا فَنِّيًّا بَدِيعًا عَبَّرَ فِيهِ عَنْ مَشَاعِرِهِ وَانْفِعَالَاتِهِ النَّفْسِيَّةِ وَخَلَجَاتِهِ الْوِجْدَانِيَّةِ عَلَىٰ نَحْوِ مَا رَأَيْنَا فِي المَرَاحِلِ الْبَحْثِيَّةِ فِي هَذَا الْفَصْلِ .

3 ـ كَانَ نَصِيبُ «قُطْب» مِنَ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ المُهَاجِرَةِ مِنْ أَوْزَانِهَا إِلَىٰ أَوْزَانٍ أُخْرَىٰ نَصِيبًا قَلِيلًا؛وَذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَىٰ صَرَامَةِ قَالِبِ الشِّعْرِ الْعَمُودِيِّ، عَلَىٰ الْعَكْسِ فِي شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ .

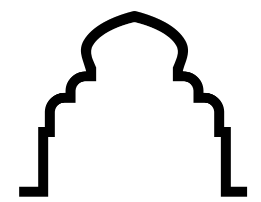
4 ـ كَانَ نَصِيبُ «قُطْب» مِنَ الخُرُوجِ عَنِ الْإِطَارِ إِلَىٰ إِطَارٍ صَوْتِيٍّ قَرِيبٍ مِنْهُ نَصِيبًا شِبْهَ مُنْعَدِمٍ،

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة : ص 206 .

وَرَدَ مَرَّةً وَاحِدَةً فَقَطْ فِي قَصِيدَةِ «اللَّيَالِي المبْعُوثَاتُ»بالْبَيْتِ الثَّانِي، وَبِهَـذَا لَـمْ يُشَـكِّلْ ظَـاهِرَةً صَـوْتِيَّةً فَلَمْ نَتَعَرَّضْ إِلَيْهِ، وَآثَرْنَا ذِكْرَهُ فِي إِشَارَةٍ خَاطِفَةٍ فِي نَتَائِجِ الْفَصْلِ.

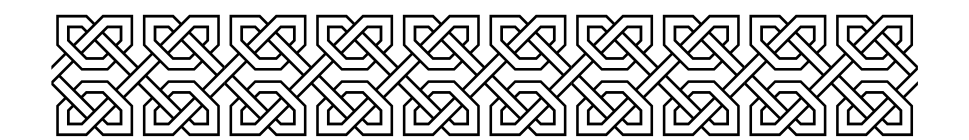
5 ـ حَاوَلَ «قُطْب» بِآلِيَتَي الزِّيَادَةِ وَالْإِخْلَالِ أَنْ يُحَـدِّثَ تَجْدِيـدًا فِي الْأُطُـرِ الصَّـوْتِيَّةِ لِـلْأَوْزَانِ وَلَكِنَّهَـا كَانَـتْ مُحَاوَلَاتٍ قَلِيلَةٍ .

وَمِنْ مَحْصُولِ هَذَا الْفَصْلِ وَالْفَصْلِ السَّابِقِ بَقِيَ أَنْ نَدْرُسَ كُلَّ هَذِهِ الظَّوَاهِرِ الصَّـوْتِيَّةِ فِي تَضَـافُرِهَا بِالْإِيقَـاعِ وَالدِّلَالَةِ، وَهَذَا مَطْلَبُ الْفَصْلِ التَّالِي .



الفصل الثالث

الْإِيقَاعُ وَالْوَزْنُ وَالدِّلَالَةُ



الفصل الثالث

الْإِيقَاعُ وَالْوَزْنُ وَالدِّلَالَةُ

(1/3) يَتَرَاءَىٰ فِي أُفُقِ النَّقْدِ جَدَلٌ حَوْلَ مَفْهُومِ الْإِيقَاعِ « Rhythm» وَعَلَاقَتِـهِ بِـالْوَزْنِ« Measure »مِـنْ حَيْثُ كَوْنِ الْوَزْنِ مَجْمُوعَةً مِنَ الحَرَكَاتِ وَالسَّكَنَاتِ مُرَتَّبَةٍ بِمَنْطِقٍ رِيَاضِيٍّ مَحْسُوبٍ، وَأَنَّهُ غَيْرُ حَامِـلٍ لِدَلَالَـةٍ مَعْنَوِيَّةٍ، بَلْ إِنَّهُ لِغَايَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ أَوْ غَايَةٍ ضَبْطِيَّةٍ لَيْسَ أَكْثَرَ فِي حِينِ يَتَّسِعُ مَفْهُومُ الْإِيقَاعِ لِيَشْمَلَ الْـوَزْنَ نَظَـرًا لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ تَوْلِيدِ دِلَالَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ فِي النَّصِّ الشِّعْرِيِّ .إِنَّ الْوَزْنَ أَوِ النَّظْمَ مِنَ النَّاحِيَـةِ التَّارِيخِيَّـةِ أَكْثَرُ الْتِصَـاقًا بِالشِّعْرِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْفُنُونِ . فَالْوَزْنُ هُوَ المِقْيَاسُ الَّذِي « يُنَظِّمُ الخَصَائِصَ الصَّوْتِيَّةَ فِي اللُّغَةِ » . [1]

وَيَرَىٰ «جَان كُوهن» أَنَّ الْوَزْنَ اعْتِمَادٌ تَحْلِيلِيٌّ عَلَىٰ تَوَافُرِ عَدَدٍ مُعَيَّنٍ مِنَ المقَاطِعِ يَتَكَوَّنُ مِنْهَـا الْبَيْـتُ الشِّـعْرِيُّ.وَلَيْسَـتِ الْعِـبْرَةُ فِي هَـذَا السِّـيَاقِ عَـدَدَ هَـذِهِ المقَـاطِعِ بَـلْ تَكْرَارَهَـا فِي سِـيَاقِ الْبَيْـتِ وَالْأَبْيَـاتِ اللَّاحِقَةِ؛وَذَلِكَ لِأَنَّهُ « لَيْسَ عَرُوضِيًّا إِلَّا لِكَوْنِهِ مُتَمَاثِلَ الْوَزْنِ، وَهُوَ مَا يُتِيحُ لَهُ تَحْقِيقَ تَمَاثُلٍ وَزْنِيٍّ دَاخِلِيٍّ». [2]

إِنَّ حَقِيقَةَ الْوَزْنِ تَتَمَثَّلُ فِي تَوَالِي مَقَاطِعَ صَوْتِيَّةٍ طَوِيلَةٍ وَقَصِيرَةٍ عَلَىٰ نَحْوٍ مُنْـتَظِمٍ وَمُتَكَـرِّرٍ، ذَلِـكَ مِـنْ خِلَالِ تَوْظِيفِ شَكْلِ السَّاكِنِ وَالمتُحَرِّكِ لِلْقِيَامِ بِهَذَا الدَّوْرِ انْتِهَاءً إِلَىٰ تَحْدِيدِ شَكْلِ الوحدة الصَّوْتِيَّةِ الَّتِـي يَـتِمُّ النَّسْجُ عَلَىٰ مِنْوَالِهَا فِي سِيَاقِ الْإِطَارِ الشِّعْرِيِّ.إِنَّ الْوَزْنَ ـ كَمَا يَرَىٰ «د.عِزُّ الـدِّينِ إِسْـمَاعِيلَ» ــ لَا يَعْـدُو إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَوَالِبَ مُفَرَّغَةً وَمُنَسَّقَةً تَنْسِيقًا تَجْرِيدِيًّا صِرْفًا، «أَلَسْنَا نَقُولُ الْبَيْتَ فَنَقُولُ:فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَـاعِلَاتُنْ مَثَلًا؟فَإِذَا تَمَشَّتْ فِيهِ الحَرَكَاتُ وَالسَّكَنَاتُ وِفْقَ هَذِهِ الصُّورَةِ المُجَرَّدَةِ كَانَ الْوَزْنُ سَلِيمًا وَحَازَ رِضَاءَنَا ». [3]

أَمَّـا مَفْهُـومُ الْإِيقَـاعِ فَهُـوَ مَفْهُـومٌ مُتَّسِـعٌ[4]؛ إِذْ إِنَّـهُ يَعْنِـي التَّنْظِـيمَ، أَيْ تَنْظِـيمَ أَيِّ شَيْءٍ فِي هَـذِهِ الحَيَـاةِ.فَتَـوَالِي الشُّرُفَـاتِ فِي الْبِنَايَـةِ الْعَالِيَـةِ بِانْتِظَـامٍ إِيقَـاعٌ، وَتَـوَالِي الْفَرَاغَـاتُ فِي فَـنِّ «الْأَرَابِيسك» إِيقَاعٌ.أَمَّا الْإِيقَاعُ كَمُصْطَلَحٍ فَنِّيٍّ فَيَتَمَثَّلُ فِي«تَتَـابُعِ مُنْـتَظِمٍ لمجْمُوعَـةٍ مِـنَ الْعَنَـاصِرِ، وَهَـذِهِ

---

(1) أوستن وارين ورينيه ويلك:نظرية الأدب، ترجمة:محيي الدين صبحي، ط. دار القلم ، دمشق ، 1988 ، ص 225 .

(2)جان كوهن : بنية اللغة الشعرية ، ترجمة : محمد العمري ومحمد الولي ، دار توبقال ، ط . الدار البيضاء ، 1986 ، ص 84 .

(3) د. عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر، ص 53 .

(4) انظر التمهيد النظري لدراستي:البنية الإيقاعية في شعر مُريد البرغوثي. دكتوراه بكلية الآداب جامعة دمياط.

الْعَنَاصِرُ قَدْ تَكُونُ أَصْوَاتًا مِثْلَ دَقَّاتِ السَّاعَةِ، وَقَدْ تَكُونُ حَرَكَاتٍ مِثْلَ دَقَّاتِ الْقَلْبِ، وَفِي الْفُنُونِ يَتَكَوَّنُ الْإِيقَاعُ مِنْ حَرَكَاتِ (الرَّقْص) ، أَوْ أَصْوَاتٍ (الموسِيقَىٰ) ، أَوْ أَلْفَاظٍ (الشِّعْر)».[1]

إِنَّ الْإِيقَاع بِمَفْهُومِهِ الْعَامِّ فِي الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ مَعًا يَنْطَلِقُ مِنْ عُنْصِرِ التَّنْظِيم؛لِيُمَارِسَ مِثْلَ هَذَا الدَّوْرِ فِي سِيَاقِ مُسْتَوَيَاتِ اللُّغَةِ، إِذْ يُنَاطُ بِهِ تَنْظِيمُهَا لِيَسْهُلَ أَدَاءِ الْوَظَائِفِ الْمُبْتَغَاةِ مِن اسْتِخْدَامِهَا.وَلِأَنَّ الشِّعْرَ جُزْءٌ مِنْ هَذِهِ اللُّغَةِ، فَإِنَّهُ يُعَدُّ لُغَةً فَوْقَ اللُّغَةِ، بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يُوَظِّف اللُّغَةَ تَوْظِيفًا فنيًّا فِي مُفَارَقَةٍ وَاضِحَةٍ لِلْمُسْتَوىٰ الْمِعْيَارِيِّ لهذِهِ اللُّغَةِ، [2]إِنَّ لُغَةَ الشِّعْرِ « إِعَادَةُ تَنْظِيمٍ لِلُغَةِ الْعَادِيَة، وَأَنَّ هَذَا التَّنْظِيمَ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ الصَّوْتِيِّ هُوَ مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ الدَّارِسُونَ بِالْإِيقَاعِ، وَهُوَ تَنْظِيمٌ لِأَصْوَاتِ اللُّغَةِ بِحَيْثُ تَتَوَالَىٰ فِي نَمَطٍ زَمَنِيٍّ مُحَدَّدٍ، وَلَاشَكَّ أَنَّ هَذَا التَّنْظِيمَ يَشْملُ فِي إِطَارِهِ خَصَائِصَ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ كَافَّةً».[3]

يُمَثِّلُ الْإِيقَاعُ الشِّعْرِيُّ ـ إذن ـ مَجْمُوعَةً مِنَ التَّشْكِيلَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُنْتَظِمَةِ ضِمْنَ مَنْظُومَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَجْمَعُ كُلَّ مُسْتَوَيَاتِ اللُّغَةِ:الصَّوْتِيَّةِ وَالصَّرْفِيَّةِ وَالنَّحْوِيَّةِ وَالدِّلَالِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ وَهُوَ نَاتِجٌ مِنْ تَكَاتُفِ جَمِيعِ الْمُسْتَوَيَاتِ.إِنَّ الْإِيقَاعَ ـ كَمَا يَقُولُ الهَاشِمِيُّ ـ : «خَطٌّ عَمُودِيٌّ يَخْتَرِقُ جَسَدَ النَّصِّ مِنْ أَعْلَاهُ إِلَىٰ أَسْفَلِهِ مُتَقَاطِعًا مَعَ خُطُوطِهِ الْأُفُقِيَّةِ فِي نُقْطَةِ ارْتِكَازٍ مِحْوَرِيَّةٍ.وَهَذِهِ الخُطُوطُ هِيَ الْوَزْنُ وَالصُّورَةُ وَالْأَفْكَارُ وَاللُّغَةُ وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي تَظَلُّ كُتَلًا جَامِدَةً لَا حَيَاةَ فِيهَا إِلَىٰ أَنْ يَخْتَرِقَهَا خَطُّ الْإِيقَاعِ».[4]

وَمِنْ جُمْلَةِ الْآرَاءِ السَّابِقَةِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ ثَمَّةَ فَارِقًا بَيْنَ الْوَزْنِ وَالْإِيقَاعِ؛فَالْأَوَّلُ «نَمُوذَجٌ نَظَرِيٌّ مُسْبَقٌ تَتَوَلَّدُ فِيهِ جَمِيعُ التَّرَاكِيبِ حَسْبَ تَرْتِيبٍ تَصَاعُدِيٍّ يُوَافِقُ الحَرَكَةَ التَّرْكِيبِيَّةَ الْعَامَّةَ لِلْكَلَامِ»، [5] فَمَا يُنَاسِبُ التَّنْسِيقَ الْمُسْبَقَ لِلْوَزْنِ يُعْتَمَدُ، وَإِلَّا يَسْعَىٰ الشَّاعِرُ إِلَىٰ إِنْتَاجِ تَرَاكِيبَ

---

(1) د. علي يونس : نظرة جديدة في موسيقىٰ الشعر العربي ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 ، ص 15 .

(2) انظر تمهيد هذه الدراسة .

(3) د .سيد البحراوي : العروض وإيقاع الشعر العربي ـ محاولة لإنتاج معرفة علمية ، ط .الهيئة المصرية العامة للكتاب 1993 ، ص ، 112 .

(4) د . علوي الهاشمي : فلسفة الإيقاع العربي ، ط. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط. 1 ، 2006 ، ص 23 ، ص 24 .

(5) د. جمال بن الشيخ: تحليل تفريعيّ بنيويّ لقصيدة للمتنبي، مجلة الأقلام العراقية ، ع 4 ، كانون الثاني ، 1987 ، ص 80 .

تَنْتَظِمُ فِي هَذَا الْإِطَارِ المُسْبَقِ.إنه «عِبَارَةٌ عَنْ رَوَابِطَ زَمَنِيَّةٍ مُتَصَلِّبَةٍ فِي حَرَكَاتِ الْأَصْوَاتِ، مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَلِطَ بِمَفْهُومِ الْإِيقَاعِ الْعَرِيضِ»، [1]وَالثَّانِي «يَعْتَمِدُ عَلَىٰ تَكْرَارِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَقَاطِعِ المُحَدَّدَةِ، وَالْوَزْنُ يَقُومُ عَلَىٰ تَكْرَارِ حِفْنَةٍ مِنَ الْإِيقَاعَاتِ، وَالْقَافِيَةُ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ قُوَّةَ هَذَا التَّكْرَارِ تَتَمَثَّلُ فِي تَوْلِيدِ نَوْعٍ مِنَ التَّوَازِي بَيْنَ الْكَلِمَاتِ وَالْأَفْكَارِ وَكُلَّمَا كَانَ هَذَا التَّوَازِي وَاضِحًا فِي تَكْوِينِهِ أَوْ نَغْمَتِهِ تَوَلَّدَ عَنْهُ تَوَازٍ قَوِيٌّ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ وَالمَعَانِي».[2]

إِنَّ الْإِيقَاعَ - كَمَا يَرَىٰ «رِيتْشَارْدِزْ» - هُوَ ذَلِكَ النَّسِيجُ مِنَ التَّوْقِيعَاتِ وَالْإِشْبَاعَاتِ أَوِ المُفَاجَآتِ غَيْرِ المُتَوَقَّعَةِ الَّتِي يُوَلِّدُهَا سِيَاقُ المَقَاطِعِ، وَهَذِهِ المُفَاجَآتُ غَيْرُ المُتَوَقَّعَةِ تُحْدِثُ لَذَّةً لَدَىٰ المُتَلَقِّي، رُبَّمَا تَفُوقُ اللَّذَّةَ الَّتِي يَجْتَنِيهَا مِنْ وَرَاءِ الْإِشْبَاعَاتِ الْبَسِيطَةِ المُتَكَرِّرَةِ الَّتِي يَمَجُّهَا الْقَارِئُ لِرَتَابَتِهَا، فَإِذَا وَرَدَتْ هَذِهِ المُفَاجَآتُ لِتُؤَكِّدَ مَعْنًىٰ مُعَيَّنًا، فَإِنَّ الْإِيقَاعَ وَالمَعْنَىٰ يَتَضَافَرَانِ حِينَئِذٍ لِيَبْلُغَا بِالتَّجْرُبَةِ هَدَفَهَا.[3]

فِي حِينِ يَأْخُذُ الْإِيقَاعُ مَنْحًىٰ آخَرَ يَتَعَلَّقُ بِالدَّلَالَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ؛إِذْ يَرَىٰ«عَبَّاسُ جَاسِم» أَنَّهُ ثَمَّةَ فَارِقٌ بَيْنَ الْإِيقَاعِ المُتَوَلِّدِ مِنَ الانْفِعَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ وَبَيْنَ الْإِيقَاعِ المُتَوَلِّدِ مِنَ الْأَوْزَانِ الْعَرُوضِيَّةِ؛فَالْإِيقَاعُ النَّفْسِيُّ «إِيقَاعٌ دَاخِلِيٌّ (مَعْنَوِيٌّ) مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِنِظَامِ الْعَلَاقَاتِ اللُّغَوِيَّةِ [الْأَنْمَاطِ وَالْكَلِمَاتِ وَالحُرُوفِ] بَيْنَمَا الْإِيقَاعُ الْعَرُوضِيُّ إِيقَاعٌ صَوْتِيٌّ (تَقْلِيدِيٌّ) مُعَبَّرٌ عَنْهُ بِنِظَامِ التَّفَاعِيلِ الْعَرُوضِيَّةِ.إِنَّ الْإِيقَاعَ النَّفْسِيَّ لِلشِّعْرِ هُوَ خُلَاصَةُ لُغَةٍ نَفْسِيَّةٍ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ لُغَةً عَرُوضِيَّةً، بِحَيْثُ يَنْفَعِلُ بِهَا الشَّاعِرُ وَيَتَفَاعَلُ مَعَهَا وَيَسْتَرْجِعُ اِنْفِعَالَاتِهِ مِنْ خِلَالها..إِنَّ إِيقَاعَ أَيِّ وَزْنٍ عَرُوضِيٍّ فِي الشِّعْرِ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا مِنْ خِلَالِ اللُّغَةِ المَعَبِّرِ عَنْهَا بِنِظَامٍ مِنَ الْعَلَاقَاتِ الْبِنْيَوِيَّةِ اِبْتِدَاءً مِنَ الْكَلِمَةِ كَأَصْغَرِ وَحْدَةٍ لُغَوِيَّةٍ، وَانْتِهَاءً بِالتَّفْعِيلَةِ كَأَصْغَرِ وَحْدَةٍ عَرُوضِيَّةٍ؛وَلِهَذا فَإِنَّ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الْبِنْيَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَالْبِنْيَةِ الْعَرُوضِيَّةِ عَلَاقَةٌ لَفْظِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ بِالْأَسَاسِ». [4]

---

(1) د. صلاح فضل: نظرية البنائية في النقد الأدبيّ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003 ، ص 50 .

(2) السابق ، ص 262 .

(3) **Richards, I.A: Principles of literary criticism, Rout ledge and kegan Pawl. London, 1976, PP 106, 107.**

نقلا عن د. أحمد عبد الحي : شعر صلاح عبد الصبور الغنائي الموقف والأداة ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1988 ، ص 265 .

(4) عباس عبده جاسم : الإيقاع النفسي في الشعر العربيّ ، مجلة الأقلام العراقية ، ع 5 ، آزار، 1985 ، ص 96 .

وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ هَذَا الْفَارِقِ بَيْنَ الْمُصْطَلَحَيْنِ تَجِدُ بَعْضَ الْبَاحِثِينَ يَرَىٰ الْوَزْنَ وَالْإِيقَاعَ شَيْئًا وَاحِدًا، حَيْثُ نَجِدُ «د.شُكْرِي عَيَّاد» يَضَعُ الْوَزْنَ وَالْإِيقَاعَ فِي سَلَّةٍ وَاحِدَةٍ فِي قَوْلِهِ : «الْوَزْنُ أَوِ الْإِيقَاعُ يُعْرَفُ إِجْمَالًا بِأَنَّهُ حَرَكَةٌ مُنْتَظِمَةٌ وَالْتِئَامُ أَجْزَاءِ الحَرَكَةِ فِي مَجْمُوعَةٍ مُتَسَاوِيَةٍ وَمُتَشَابِهَةٍ فِي تَكْوِينِهَا».[1]وَيَقُولُ «الْعَيَّاشِيُّ»:«الْإِيقَاعُ هُوَ المِيزَانُ، وَالمِيزَانُ هُوَ الْإِيقَاعُ، وَالْعَلَاقَةُ بَيْنَهُمَا كَعَلَاقَةِ الْعَيْنِ وَالْبَصَرِ، وَإِذَا أَسْنَدْنَا إِلَىٰ الْإِيقَاعِ وَظِيفَةً مَا فَإِنَّهُ يُصْبِحُ مِيزَانًا ضَابِطًا لِهذِهِ الْوَظِيفَةِ».[2]

وَنَسْتَطِيعُ مِنْ جُمْلَةِ الْآرَاءِ السَّابِقَةِ أَنْ نَخْلُصَ إِلَىٰ أَنْوَاعٍ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْإِيقَاعِ[3] :

ـ الْأَوَّلُ:الْإِيقَاعُ الْكَمِيُّ « Quantities» ، وَيَظْهَرُ فِيهِ الْإِيقَاعُ مُعْتَمِدًا عَلَىٰ تَوْزِيعِ المَقَاطِعِ « Syllables» الصَّوْتِيَّةِ ، وَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الْإِيقَاعِ يُعَدُّ أَنْسَبَ لِلشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ـ فِي رَأْيِ الْبَاحِثِ ـ ذَلِكَ لِكَوْنِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ شِعْرًا كَمِّيًّا يُؤَسَّسُ عَلَىٰ الْكَمِّ فِي المَقَاطِعِ وَمَا يَتَطَلَّبُهُ المَقْطَعُ مِنْ زَمَنٍ لِلنُّطْقِ بِهِ [4]

ـ الثَّانِي :الْإِيقَاعُ النَّبْرِيُّ : وَيَعْتَمِدُ فِيهِ الْإِيقَاعُ عَلَىٰ النَّبْرِ« Stress »؛ إِذْ إِنَّ المَقَاطِعَ لَا تُنْطَقُ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْعُلُوِّ «Loudness» [5]؛ إِذْ تُنَظَّمُ المَقَاطِعُ تِبْعًا لِانْتِظَامِ النَّبْرِ، فَالْإِيقَاعُ يُعْطِي نَوْعًا مِنَ النِّظَامِ لِلْمَقَاطِعِ المَنْبُورَةِ، وَيُمْكِنُ عَدُّهُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ تَبَادُلًا بَيْنَ المَقَاطِعِ المَنْبُورَةِ وَغَيْرِ المَنْبُورَةِ فِي دَاخِلِ انْتِظَامَاتٍ إِحْصَائِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ.

الثَّالِثُ: الْإِيقَاعُ النَّغْمِيُّ، وَفِيهِ يَعْتَمِدُ الْإِيقَاعُ عَلَىٰ التَّنْغِيمِ« Intonation » أَيْ أَصْوَاتِ الجُمَلِ مِنْ صُعُودٍ وَانْحِدَارٍ وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ.وَيَرَىٰ«د.الْبَحْرَاوِيُّ» أَنَّهُ «حَسْبَمَا تَنْتَهِي الجُمْلَةُ صَوْتِيًّا وَدِلَالِيًّا يَأْخُذُ التَّنْغِيمُ شَكْلَهُ.فَالجُمْلَةُ التَّقْرِيرِيَّةُ (الْإِثْبَاتُ، وَالنَّفْيُ ، وَالشَّرْطُ، وَالدُّعَاءُ)

---

(1) د. شكري محمد عياد : موسيقىٰ الشعر العربيّ «مشروع دراسة علمية»، ط. دار أصدقاء الكتاب ، القاهرة ، 1998، ص 53.

(2) د . محمد العياشي : نظرية إيقاع الشعر العربي ، ط . دار الكتاب العربي ، دمشق ، 1986 ، ص 90 .

(3)د. سيّد البحراويّ : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 32 ، والعروض وإيقاع الشعر العربيّ، ص127 .

(4) انظر : د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 147 .

(5) انظر : د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ترجمة د . ياسر الملاح ، ط . النادي الأدبي الثقافي جدة ، ط . 1 ، 1983 ، ص 134، 135 .

تَنْتَهِي بِنَغْمَةٍ هَابِطَةٍ ( )« Falling».كَذَلِكَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِلْجُمْلَةِ الاسْتِفْهَامِيَّةِ بِغَيْرِ الْأَدَاتَيْنِ (هَـل والهَمْـزَةِ). أَمَّا الاسْتِفْهَامُ بِهَاتَيْنِ الْأَدَاتَيْنِ فَإِنَّ الجُمْلَةَ الاسْتِفْهَامِيَّةَ تَنْتَهِي بِنَغْمَةٍ صَاعِدَةٍ ()

« Rising ».لكنْ إِذَا وَقَفَ المُتَكَلِّمُ قَبْـلَ تَمَـامِ المعْنَـىٰ وَقَـفَ عَـلَىٰ نَغْمَـةٍ مُسَـطَّحَةٍ ( ) «Flat» لَا هِـيَ بِالصَّاعِدَةِ وَلَا بِالهَابِطَةِ ».[1]

وَقَدْ قُمْنَا بِاعْتِمَادِ النَّوْعَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّالِثِ لِلْإِيقَاعِ فِي دِرَاسَتِنَا لِشِعْرِ «قُطْب»؛ ذَلِكَ لِأَنَّ فَاعِلِيَّـةَ النَّـبْرِ فِي الْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَسَارُ جَدَلٍ؛إِذْ «لَيْسَ لَدَيْنَا مِنْ دَلِيلٍ يَهْدِينَا إِلَىٰ مَوْضِعِ النَّبْرِ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا يُنْطَـقُ بِهَـا فِي الْعُصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُولَىٰ، إِذْ لَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ المُـؤَلِّفِينَ الْقُـدَمَاءِ».[2] كَـمَا أَنَّـهُ مِـنْ جِهَـةٍ أُخْـرَىٰ« لَا تَخْتَلِفُ مَعَانِي الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا اسْتِعْمَالها بِاخْتِلَافِ مَوْضِعِ النَّبْرِ فِيهَـا».[3] كَـمَا أَنَّ قَوَاعِـدَ النَّـبْرِ تَخْتَلِـفُ بِاخْتِلَافِ الـلهجَاتِ، أَوْ عَلَىٰ الْأَصَحِّ بِاخْتِلافِ كَيْفِيَّةِ الْأَدَاءِ، إِنَّ النَّبْرَ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ«لَيْسَ صِـفَةً جَوْهَرِيَّـةً فِي بِنْيَةِ الْكَلِمَةِ، وَإِنْ يَكُنْ ظَاهِرَةً مُطَّرِدَةً يُمْكِنُ مُلَاحَظَاتُهَا وَيُمْكِنُ ضَـبْطُهَا..وَلَعَـلَّ وَصْـفَ جُمْهُـورِ المُسْـتَشْرِقِينَ لِلشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ بِأَنَّهُ شِعْرٌ كَمِّيٌّ يَكُونُ أَدْنَىٰ لِلصَّوَابِ».[4] لَكِنَّ صَاحِبَيِ الرَّأْيَيْنِ السَّـابِقَيْنِ لَـمْ يَتَوَقَّفَـا عَـنِ المُضِيِّ قُدُمًا فِي تَقْدِيمِ دِرَاسَةٍ عَنِ النَّبْرِ، حَيْثُ يَقُومُ «د.أَنِيسٌ» بِتَحْدِيدِ مَوْضِعِ النَّبْرِ اسْتِنَادًا عَلَىٰ قِرَاءَةِ الحَاذِقِينَ مِنْ قَرَأَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مِصْرَ، وَيَقُومُ «د. عَيَّاد» صَاحِبُ الْقَوْلِ الثَّانِي بِتَطْبِيقِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ الَّتِي اسْتَقَاهَا مِنْ «د.أَنِيسٍ» و«جُويَارَ» عَلَىٰ دَالِيَّةِ أَبِي الْعَلَاءِ:«غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي»، وَيَمْضِي مُـبْرِزًا الْعَلَاقَـةَ بَـيْنَ النَّـبْرِ وَالمَقَاطِعِ الطَّوِيلَةِ غَيْرَ أَنَّهُ وَبَعْدَ تَفَاعُلٍ كَبِيرٍ مَعَ لَطَائِفِهَا الخَلَّابَةِ يَنْتَهِي إِلَىٰ التَّشَكُّكِ فِي قِيمَةِ الْبَحْثِ وَقُدْرَتِـهِ عَلَىٰ الْكَشْفِ عَنْ فَنِّيَّةِ الشِّعْرِ، بَلْ تَهَيَّبَ الانْطِلَاقَ فِي هَذِهِ الْآفَاقِ خِشْيَةَ أَنْ يَكُونَ سَاعِيًا وَرَاءَ سَرَابٍ.[5]

(2/3) تَأَسَّسَ عَرُوضُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ عَلَىٰ مَجْمُوعَةِ وَحْدَاتٍ أُطْلِقَ عَلَيْهَا المَقَاطِعَ الصَّـوْتِيَّةَ وَهِـيَ السَّـبَبُ الخَفِيـفُ (/ه)، وَالسَّـبَبُ الثَّقِيـلُ (//)، وَالْوَتَـدُ المجْمُـوعُ (//ه) وَالْوَتَـدُ

(1) د. سيد البحراوي : العروض وإيقاع الشعر العربي الإيقاع ، ص 127 .

(2) د. إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 99 .

(3) السابق ، ص 102 .

(4) د. شكري محمد عياد : موسيقىٰ الشعر ، ص 49 .

(5) السابق ، ص 56 .

المفْرُوقُ (/ه/)، وَالْفَاصِلَةُ الصُّغْرَىٰ (///ه)، وَالْفَاصِلَةُ الْكُبْرَىٰ (////ه) ، بَيْدَ أَنَّ المُتَأَمِّلَ لِلْمَقْطَعَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ يَرَىٰ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَنْحَلَّا إِلَىٰ أَسْبَابٍ وَأَوْتَادٍ ، وَمِنْ ثَمَّ نَسْتَطِيعُ الْقَوْلَ بِأَنَّ السَّبَبَ وَالْوَتَدَ هُمَا أَسَاسُ المَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْوَزْنِ.

فَإِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَىٰ الْوَتَدِ بِنَوْعَيْهِ وَجَدْنَاهُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْكَمِّيَّةِ أَكْثَرَ مِنَ السَّبَبِ فَهُوَ يَزِيدُ عَنْهُ بِحَرْفٍ، أَوْ بِمَقْطَعٍ آخَرَ قَصِيرٍ، وَمِنَ النَاحِيَةِ الْكَيْفِيَّةِ يُعَدُّ الْوَتَدُ بِاعْتِبَارِهِ زَمَنًا مُوسِيقِيًّا أَقْوَىٰ مِنَ السَّبَبِ[1]، وَبِالتَّالِي أَشَدَّ وَأَثْبَتَ، وَمِنْ هَذِهِ النَّظْرَةِ ذَهَبَ الْقَائِلُونَ بِارْتِكَازِيَّةِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ الْوَتَدَ هُوَ حَامِلُ النَّبْرِ فِي تَفْعِيلَةِ الْبَيْتِ الْعَرَبِيِّ.[2]

وَعَلَىٰ هَذَا يُعَدُّ الْوَتَدُ ـ بِهذِهِ الخَاصِيَّةِ المَائِزَةِ ـ هُوَ المُحَدِّدُ لِطَبِيعَةِ إِيقَاعِ التَّفْعِيلَةِ وَمِنْ ثَمَّ إِيقَاعِ الْوَزْنِ، فَتَوَالِي الْوَتَدِ المجْمُوعِ الَّذِي يَتَكَوَّنُ مِنْ مَقْطَعٍ قَصِيرٍ، يَلِيهِ مَقْطَعٌ طَوِيلٌ مَنْبُورٌ يُسَبِّبُ صُعُودًا لِلْإِيقَاعِ، وَعَلَيْهِ يَكُونُ تَوَالِي الْأَوْتَادِ المفْرُوقَةِ سَبَبًا لِهبُوطِ الْإِيقَاعِ، فَصُعُودُ الْإِيقَاعِ يَتَأَتَّىٰ مِنْ أَنَّ تَوَالِيَ الْوَتَدِ المجْمُوعِ يَكُونُ صَاعِدًا يَبْدَأُ مِنَ النَّغْمِ الْأَدْنَىٰ إِلَىٰ النَّغْمِ الْأَعْلَىٰ، فِي حِينِ أَنَّ هُبُوطَ النَّغْمِ يَتَأَتَّىٰ مِنْ أَنَّ تَوَالِيَ الْوَتَدِ المفْرُوقِ يَبْدَأُ بِالنَّغْمِ الْأَعْلَىٰ المنْبُورِ ثُمَّ يَعُودُ إِلَىٰ النَّغْمِ الْأَدْنَىٰ غَيْرِ المنْبُورِ.[3]

نَسْتَطِيعُ ـ إِذَنْ ـ أَنْ نَخْلُصَ إِلَىٰ أَنَّ: التَّفْعِيلَاتِ الَّتِي تَنْتَهِي بِوَتَدٍ مَجْمُوعٍ هِيَ أَعْلَىٰ التَّفْعِيلَاتِ صُعُودًا فِي الْإِيقَاعِ، وَهِيَ (///ه//ه) و(/ه/ه//ه) و(/ه//ه) ، تَلِيهَا التَّفْعِيلَاتُ الَّتِي يَتَوَسَّطُهَا الْوَتَدُ المجْمُوعُ مِثْلُ(/ه//ه/ه)، تَلِيهَا التَّفْعِيلَاتُ الَّتِي تَبْدَأُ بِالْوتَدِ المجْمُوعِ وَهِيَ (//ه/ه) و(//ه/ه/ه) و (//ه///ه).أَمَّا الْوَتَدُ المفْرُوقُ فَيُسَبِّبُ هُبُوطَ إِيقَاعِ التَّفْعِيلَةِ فِي أَيْ مَكَانٍ وُجِدَ.

وَعَلَىٰ هَذَا تَنْقَسِمُ أَوْزَانُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ إِلَىٰ أَرْبَعِ مَجْمُوعَاتٍ، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا صَاعِدَةُ الْإِيقَاعِ هِيَ الْكَامِلُ لِانْتِهَاءِ (///ه//ه) بِوَتَدٍ مَجْمُوعٍ، وَالرَّجَزُ ؛ لِانْتِهَاءِ (/ه/ه//ه) بِوَتَدٍ مَجْمُوعٍ أَيْضًا ، وَالْبَسِيطِ لِانْتِهَاءِ تَفْعِيلَتِيهِ بِالْوَتَدِ المجْمُوعِ(/ه//ه)، كَذَا المُتَدَارِكُ لِلْعِلَّةِ السَّابِقَةِ.

---

(1) ستانسيلاس جويار : نظرية جديدة في العروض العربي ، ترجمة المنجي الكعبي ، مخطوط ، ص 47 ، نقلا عن موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 35.

(2) السابق ، ص 35 .

(3) انظر : السابق ، ص 35 .

يَـلِي هَـذِهِ الْأَوْزَانَ صُـعُودًا فِي الْإِيقَـاعِ الطَّوِيـلُ لِوُجُـودِ الْوَتَـدِ المجْمُـوعِ فِي أَوَّلِ تَفْعِيلَتَيْـهِ (//٥/٥ ـ //٥/٥/٥)، وَالْوَافِرُ لِوُجُودِ الْوَتَدِ المجْمُوعِ فِي أَوَّلِ تَفْعِيلَتِهِ أَيْضًا (//٥///٥) وِالهَزَجُ وَالمُتَقَـارِبُ لِلْعِلَّـةِ السَّـابِقَةِ أَيْضًا.

يَـلِي هَـذِهِ الْأَوْزَانَ صُـعوُدًا فِي الْإِيقَـاعِ المدِيـدُ وَالرَّمَـلُ لِوُقُـوعِ الْوَتَـدِ المجْمُـوعِ فِي وَسْـطِ التَّفْعِيلَـةِ (/٥//٥/٥).

أَمَّـا أَوْزَانُ السَّرِيـعِ والُمـنْسَرِحِ والخَفِيـفِ وَالُمضَـارِعِ الُمقْتَضـبِ وَالُمجْتَـثِّ فَتُمَثِّـلُ أَوْزَانَ الْإِيقَـاعِ الهَابِطِ.وَبِهَذَا نَكُـونُ قَـدْ تَعَرَّفَنَـا إِلَىٰ الجَانِـبِ النَّغْمِـيِّ مِـنْ إِيقَـاعِ الْأَوْزَانِ الَّـذِي تُوَضِّـحُهُ مَجْمُوعَـةُ الْأَوْزَانِ الصَّاعِدَةِ وَالهَابِطَةِ.

تَكْتَمِلُ دِرَاسَةُ إِيقَاعِ الْأَوْزَانِ حِينَ نَتَعَرَّضُ لجَانِبِ السُّرْعَةِ الزَّمَنِيَّةِ فِي أَدَائِهَا، أَوِ الْإِيقَاعِ الزَّمَنِيِّ لهَا، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ بِالْبُطْءِ أَوِ السُّرْعَةِ الْفَرْضِيَّةِ.وَهُنَا نَقْـتَرِبُ مِـنْ عِلْـمِ الُموسِـيقَىٰ ؛ إِذْ إِنَّ مِقيَـاسَ «Tempo » مِقْيَـاسَ السُّرْعَةِ الْفَرْضِيَّةِ «يُعَدُّ أَحَدَ مُكَوِّنَاتِ الْعُنْصُرِ الزَّمَنِيِّ فِي الُموسِيقَىٰ، وَهُوَ خَاصٌّ بِتَحْدِيدِ سُرْعَةِ أَدَاءِ المقْطُوعَـةِ عَنْ طَرِيقِ سُرْعَةِ أَدَاءِ الْوَحْدَاتِ الْإِيقَاعِيَّةِ» .[1] الْوَحْدَاتُ الْإِيقَاعِيَّةُ فِي الشِّعْرِ هِيَ الْوَحْدَاتُ الصَّوْتِيَّةُ الحَامِلَةُ لِلْأَسْبَابِ وَالْأَوْتَادِ فَإِذَا كُنَّا قَدِ اتَّخَذْنَا مِنَ الْوَتَدِ وَسِيلَةً لِتَحْدِيدِ الْإِيقَاعِ النَّغْمِيِّ فَإِنَّنَا هُنَـا سَـنَلْجَأُ إِلَىٰ السَّـبَبِ بِاعْتِبَارِهِ المُكَوِّنِ الثَّانِي لِلتَّفْعِيلَةِ، وَعَلَيْهِ يُمْكِنُ حِسَابُ السُّرْعَةِ أَوِ الْبُطْءِ فِي الْإِيقَاعِ عَنْ طَرِيقِ الخُطْوَاتِ التَّالِيَةِ :[2]

1ـ تَحْدِيدُ نَوْعِ المَقْطَعِ، فَالمقْطَعُ الصَّوْتِيُّ الْقَصِيرُ(ص ح) يَأْخُذُ فَتْرَةً زَمَنِيَّةً أَقَلَّ، وَمِنْ ثَمَّ يُعَدُّ أَسْرَعَ مِنْ غَـيْرِهِ، أَمَّا المقطَعُ الصَّوْتِيُّ المُتَوَسِّطُ بِشَكْلَيْهِ (ص ح ح)و(ص ح ص) فَيَأْخُذُ فَتْرَةً زَمَنِيَّةً أَكْبَرَ مِنَ السَّابِقَةِ وَأَقَلَّ مِنَ الطَّوِيلِ، فَسُرْعَتُهُ إِذَنْ مُتَوَسِّطَةٌ.أَمَّا المقْطَعُ الطَّوِيلُ بِشَكْلَيْهِ (ص ح ح ص)و(ص ح ص ص) فَيَأْخُذُ فَتْرَةً زَمَنِيَّةً أَطْوَلَ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَهُوَ أَقَلُّ سُرْعَةً مِنَ الاثْنَيْنِ السَّابِقَيْنِ .

2 ـ لِإِيجَـادِ نِسْـبَةِ سُرْعَـةِ التَّفْعِيلَـةِ، نُقَسِّـمُ التَّفْعِيلَـةَ إِلَىٰ مَقَاطِعِهَـا الصَّـوْتِيَّةِ، ثُـمَّ نُعْطِـي كُـلَّ مَقْطَـعٍ

(1) معجم الموسيقىٰ : مجمع اللغة العربية ، ص 147 .

(2) انظر : د . سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 37 .

دَرَجَةً، فالْقَصِيرُ= (2) ، والمُتَوَسِّطُ =(1) ، وَالطَّوِيلُ = (½)، ثُمَّ نَجْمَعُ دَرَجَاتِ المقَاطِعِ المكَوِّنَةِ لِلتَّفْعِيلَةِ، وَتُقَسَّمُ عَلَىٰ عَدَدِ المَقَاطِعِ، فَيَكُونُ النَّاتِجُ مُتَوَسِّطًا رَمْزِيًّا لِسُرْعَةِ إِيقَاعِ التَّفْعِيلَةِ.

3 ـ لِإِيجَادِ نِسْبَةَ سُرْعَةِ الْوَزْنِ:تُحْسَبُ دَرَجَاتُ فَرْضِيَّةٍ لِسُرْعَةِ كُلِّ تَفْعِيلَةٍ فِي الْوَزْنِ، ثُمَّ تُجْمَعُ وَتُقَسَّمُ عَلَىٰ عَدَدِ هَذِهِ التَّفْعِيلَاتِ المُكَوِّنَةِ لِلْوَزْنِ.

فَإِذَا مَا أَرَدْنَا عَمَلِيًّا أَنْ نَعْرِفَ قِيمَةَ الْإِيقَاعِ الزَّمَنِي لِتَفْعِيلَةِ وَزْنِ الرَّمَلِ أَكْثَرِ الْأَوْزَانِ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا «قُطْب» وَأَطْوَلِ الْأَوْزَانِ فِي النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ أَيْضًا سَتَكُونُ كَالْآتِي :

ـ المقَاطِعُ الصَّوْتِيَّةُ فِي «فَاعِلَاتُنْ» :

التفعيلة	فَا	عِ	لَا	تُنْ
المقطع	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص
نوعه	متوسط	قصير	متوسط	متوسط
درجته	1	2	1	1

ـ المجْمُوعُ الرَّمْزِيُّ لِمقَاطِعِ التَّفْعِيلَةِ (5) × عَدَد التَّفْعِيلَاتِ فِي الْبَيْتِ (6) =30

ـ عَدَدُ المقَاطِعِ المكَوِّنَةِ لِلتَّفْعِيلَةِ (4) مَقَاطِعَ × عَدَد التَّفْعِيلَاتِ فِي الْبَيْتِ (6) =24 .

فَتَكُونُ السُّرْعَةُ الْإِيقَاعِيَّةُ فِي الرَّمَلِ :

$$\frac{6\times5}{6\times4} = \frac{30}{24} = \frac{1}{6}$$

إِلَّا أَن الرَّمَلَ لَا يَتَحَقَّقُ بِهَذَا الشَّكْلِ الْكَامِلِ؛لِأَنَّ تَفْعِيلَتَي الْعَرُوضِ والضَّرْبِ تَأْتِي «فَاعِلُنْ»، وَعَلَيْهِ تَتَحَوَّلُ نِسْبَةُ الْإِيقَاعِ إِلَىٰ 2 علىٰ 11 بما يساوي 1.18

نَسْتَطِيعُ ـ إِذَنْ ـ أَنْ نَحْسِبَ السُّرْعَةَ الزَّمَنِيَّةَ لِكُلِّ وَزْنٍ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ المُعَادَلَةِ ، وَحَسَبِ

أَكْثَرِ الْأَشْكَالِ تَحَقُّقًا فِي كُلِّ إِطَارٍ صَوْتِيٍّ ، وَهُوَ مَا يُظْهِرُهُ الجَدْوَلُ التَّالِي[1] :

الْوَزْنُ	سُرْعَتُـــــهُ الْفَرْضِيَّةُ	تَرْتِيبُهُ	الْوَزْنُ	سُرْعَتُـــــهُ الفَرْضِيَّةُ	تَرْتِيبُهُ
الْكَامِلُ	1.6	الْأَوَّلُ	السَّرِيعُ	1.27	الخَامِسُ
الْوَافِرُ	1.54	الثَّانِي	المنْسَرِحُ	1.25	السَّادِسُ
المُتَدَارِكُ	1.33	الثَّالِثُ	الهَزَجُ	1.25	السَّادِسُ
المُتَقَارِبُ	1.33	الثَّالِثُ	الرَّجَزُ	1.25	السَّادِسُ
الطَّوِيلُ	1.29	الرَّابِعُ	الخَفِيفُ	1.25	السَّادِسُ
المدِيدُ	1.29	الرَّابِعُ	المُجْتَثُّ	1.25	السَّادِسُ
الْبَسِيطُ	1.29	الرَّابِعُ	الرَّمَلُ	1.18	السَّابِعُ

وَبِالتَّعَرُّفِ إِلَىٰ الشِّقِّ النَّغْمِيِّ وَالزَّمَنِيِّ لِلْإِطَارَاتِ الصَّوْتِيَّةِ نَكُونُ قَدْ عَرَفْنَا الصِّفَاتِ الثَّابِتَةَ النَّمَطِيَّةَ لِلْإِطَارِ، وَهِيَ لَا تَتَحَقَّقُ تَحْقِيقًا كَامِلًا؛ذَلِكَ لِأَنَّ ثَمَّةَ عَنَاصِرَ أُخْرَىٰ تَدْخُلُ الْإِطَارَ الصَّوْتِيَّ لَا يُمْكِنُ ضَبْطُهَا إِلَّا مِنْ خِلَالِ النَّصِّ المدْرُوسِ، وَهِيَ الزِّحَافَاتُ والْعِلَلُ وَالصَّوَائِتُ وَالصَّوَامِتُ .

(1) انظر : د . سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 38 .

(3/3) الْإِيقَاعُ فِي وَزْنِ الرَّمَلِ :

وإِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ فِي كُتُبِ الْعَـرُوضِ نَجِـدُ أَنَّـهُ يُوصَـفُ بِالسُّرْعَـةِ؛لِأَنَّ الرَّمَـلَ فِي اللُّغَـةِ الْإِسْرَاعُ.[1]

بَيْدَ أَنَّ هَذَا الْوَصْـفَ فِي ضَـوْءِ المـنْهَجِ الْعِلْمـيِّ يَخْتَلِـفُ كَثِـيرًا، حَيْـثُ إِنَّ الرَّمَـلَ يُعَـدُّ أَبْطَـأَ الْأَوْزَانِ لَا أَسْرَعَهَا؛ذَلِكَ لِتَوَسُّطِ الْوَتَدِ المجْمُوعِ الْأَسْبَابَ، يَقُولُ الخَطِيبُ التَّبْرِيزِيُّ:«وَقِيلَ سُمِّيَ رَمَلًا لِدُخُولِ الْأَوْتَادِ بَـيْنَ الْأَسْبَابِ».[2] وَإِذَا مَا نَظَرْنَا لِدِرَاسَةِ الْبِنْيَةِ المَقْطَعِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ فِي الْفَقْرَةِ (6/1) بِالْفَصْلِ الْأَوَّلِ سَنَجِدُ أَنَّ المَقَاطِعَ الطَّوِيلَةَ هِيَ الْأَكْثَرُ فِي الرَّمَلِ بِنِسْبَةِ 18 مَقْطَعًا طَوِيلًا مُقَابِلَ 6 مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ، هَذِهِ المَقَاطِعُ الطَّوِيلَةُ أَحْدَثَتْ بُطْئًا فِي الْإِيقَاعِ الزَّمَنِيِّ لِلْوَزْنِ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ تَعْمَلُ زِحَافَاتُ الخَبْنِ وَالْكَفِّ وَالشَّكْلِ عَلَىٰ زِيَادَةِ سُرْعَتِـهِ؛إِذْ إِنَّهَا تُقَلِّلُ مِنْ نِسْبَةِ السَّاكِنِ عَلَىٰ حِسَابِ زِيَادَةِ الحُرُوفِ الْمتَحَرِّكَةِ .

وَزْنُ الرَّمَلِ وَزْنٌ صَاعِدُ الْإِيقَاعِ؛لَكِنَّهُ صُعُودٌ مِـنَ الدَّرَجَـةِ السُّـفْلَىٰ؛ لِأَنَّ الرَّمَـلَ يَقَـعُ فِي المرْتَبَـةِ الثَّالِثَـةِ صُعُودًا لِلْإِيقَاعِ، ذَلِكَ لِوُقُوعِ الْوَتَدِ المجْمُوعِ وَسْطَ «فَاعِلَاتُنْ».

وَلَعَلَّ السُّؤَالَ التَّقْلِيدِيَّ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ فِي شَأْنِ التَّجَارِبِ الْإِبْدَاعِيَّةِ :«مَا مَدَىٰ مُنَاسَبَةِ الْوَزْنِ لِلْغَرَضِ» أَنْ يَكُونَ سُؤَالًا عَقِيمًا مِنَ النَّاحِيَةِ النَّقْدِيَّةِ، وَأَنَّ السُّؤَالَ المُثْمِرَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُطْرَحَ هُوَ:أَيُّ دِلَالَةٍ لهـذَا الْـوَزْنِ فِي هَذَا النَّصِّ؟وَهَلْ تَفَاعَلَ مَعَ تَشْكِيلَاتِهِ الدِّلَالِيَّةِ؟وَبِهَذَا نَكُونُ قَدِ اسْتَنْطَقْنَا النَّصَّ عَـنْ حَقِيقَتِـهِ وَابْتَعَـدْنَا عَـنِ الْأَحْكَامِ الجَاهِزَةِ الَّتِي يَرْفُضُهَا النَّقْدُ الحَدِيثُ الَّذِي يَرْتَكِزُ عَلَىٰ النَّصِّ وَيَنْطَلِقُ مِنْهُ مِثْلَمَا يَعُودُ إِلَيْهِ.

إِلَّا أَنَّنَـا نَسْـتَطِيعُ أَنْ نَتَرَسَّـمَ مَلْمَحًـا عَامًّـا عَـنِ الْإِيقَـاعِ بِشِـقَّيْهِ :الزَّمَنِـيِّ وَالنَّغْمِـيِّ لِـوَزْنِ الرَّمَـلِ فِي شِـعْرِ«قُطْـب»، وَذَلِـكَ بِتَتَبُّعِـهِ فِي أَكْـثَرِ المَوْضُـوعَاتِ الشِّـعْرِيَّةِ عِنْـدَهُ، فَـإِذَا مَـا فَعَلْنَـا ذَلِـكَ فَسَنَجِدُ فِي مَوْضُوعِ«التَّأَمُّـلِ»، طُـولَ النَّظْـرَةِ إِلَىٰ الْأَشْـيَاءِ بُغْيَـةَ مَعْرِفَـةِ كُنْهِهَـا وَاكْتِشَـافِ عَالَمِهَـا الـدَّاخِلِيِّ ، وَتَفَاعُلِهَا مَعَ الْعَـالَمِ الخَـارِجِيِّ بِمَـا فِيـهِ الشَّـاعِرُ، هَـذَا التَّأَمُّـلُ يَلْزَمُـهُ وَقْـتٌ طَوِيـلٌ، يُنَاسِـبُهُ إِلَىٰ حَـدٍّ كَبِـيرٍ كَـثْرَةُ المقَـاطِعِ الصَّـوْتِيَّةِ الطَّوِيلَـةِ فِي الرَّمَـلِ، وَطُـولُ النَّظْـرَةِ وَتَوَقُّفُهَـا أَمَـامَ شَيْءٍ مُعَـيَّنٍ مَـا هُـوَ إِلَّا بُـطْءُ

---

(1) انظر :لسان العرب ، (رمل) .

(2) الخطيب التبريزي :كتاب الكافي في العروض والقوافي ، تحقيق الحساني حسن عبد اللـه ، ط . مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط . 2 ، 1994 ، ص 83.

إيقَاعِ الحَرَكَةِ الحَيَاتِيَّةِ، وَلِنَسْتَعْرِضْ مَطَالِعَ قَصَائِدِ وَزْنِ الرَّمَلِ في هذَا المَوْضُوعِ وَنُحَاوِلُ الْوُقُـوفَ عَـلَىٰ أَهَـمِّ الخَصَائِصِ الْإِيقَاعِيَّةِ فِيهَا :

1 ـ «بَسْمَةٌ بَعْدَ الْعُبُوسِ ، أَوْ حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتٍ» :

بَسْمَةٌ ! أَمْ تِلْكَ أَنْفَاسُ الـحَيَـاةْ　　　وَلِقَاءٌ ذَلِكَ أَمْ رَجْعُ الْـعُمُرْ؟

نَـفْـحَـةٌ تَـنْـفُـثُـهَا تِلْكَ الشِّفَاهْ　　　تَبْعَثُ المَيْتَ وَتُحْيِي مَا انْدَثَرْ[1]

2 ـ «عَوْدَةُ الحَيَاةِ» :

عَـجَـبٌ خَـفْـقَـتُكَ يَا قَلْبِي فِي　　　هَـٰذِهِ الْأَضْلُعِ بَعْـدَ الْـخُفُوتْ

أَ وَمَـا زِلْـتَ إِذَنْ لَمْ تَـشْـتَـفِ　　　مِنْ حَـنِـينٍ فِيكَ لَا يَمُوتْ [2]

3 ـ «الْبَعْثُ » :

قَدْ بُعِثْتُ الْيَوْمَ أَحْيَا مِنْ جَـدِيدْ　　　فَـهْـوَ بَعْثٌ مِنْ حَيَاةٍ خَامِدَةْ

مَرَّ نِصْفُ الْعُمْرِ أَوْ كَـادَ يَــزِيدْ　　　لَـهْفَ نَفْسِي فِي حَيَاةٍ رَاكِدَةْ [3]

4ـ «الشُّعَاعُ الْـخَابِي» :

لَاحَ لِــي مِـنْ جَانِبِ الْأُفْقِ شُعَـاعْ　　　بَيْنَمَا أَخْـبِـطُ فِي دَاجِي الــظَّلَامْ

فِي صَحَارَىٰ الْيَأْسِ أَسْرِي فِي ارْتِيَاعْ　　　حَيْثُ تَبْدُو مُوحِشَاتِ الرِّجَامْ[4]

5 ـ «فِي الصَّحَرَاءِ»:

مَـا لَنَـا فِي ذَلِــكَ الْـقَـفْـرِ هُنَا؟　　　مَا بَرِحْنَا مُـنْذِ حِينٍ شَاخِصَاتْ

كُـلُّ شَيْءٍ صَـامِـتٌ مِنْ حَوْلِنَا　　　وَأَرَانَا نَـحْـنُ أَيْضًا صَامِتَاتْ[5]

6 ـ «قَافِلَةُ الرَّقِيقِ»:

قِفْ بِنَا يَـا حَـادِيَ الْعُمْرِ هُـنَا　　　لَـحْظَةً تَنْظُرُ مَاذَا حَوْلَنَـا

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 103.
(2) السابق ، ص 106 .
(3) السابق ، ص 108.
(4) السابق ، ص 110.
(5) السابق ، ص 112 .

فِي طَــرِيقٍ قَــدْ نَثَرْنَا عُمْرَنَا   فِيــهَ أَشْلَاءَ حَيَاةٍ وَمُنَى[1]

7 ـ «أَقْدَامٌ فِي الرِّمَالِ» :

نَحْنُ ! أَمْ تِلْكَ عَلَى الْأَرْضِ ظِلَالْ   وَخَـيَــالٌ سَــارِبٌ إِثْرَ خَيَالْ

فِي مَـتَاهَاتِ وُجُــودٍ كَــالــزَّوَالْ   كَبَقَايَا الخَطْوِ فِي وَجْهِ الرِّمَالْ[2]

يَكْشِفُ مَطْلَعُ كُلِّ قَصِيدَةٍ مِنَ الْقَصَائِدِ السَّابِقَةِ عَنْ تَنَاغُمٍ صَوْتِيٍّ بَيْنَ المَنْطُوقِ النَّغْمِيِّ وَدَلَالَةِ الْبَيْتِ ؛ إِذْ إِنَّ جَمِيعَ المَطَالِعِ جَاءَتْ بِإِيقَاعٍ نَغْمِيٍّ هَابِطٍ تَمَثَّلَ فِي:

ـ الْإِثْبَاتِ : فِي قَوْلِهِ:

عَـجَـبٌ خَـفْـقَـتُكَ يَا قَلْبِي فِي   هَـٰذِهِ الْأَضْلُعِ بَعْـدَ الْـخُفُوتْ

نَغْمَةٌ هَابِطَةٌ تُمَثِّلُ حَدِيثَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ عَنْ طَرِيقِ آلِيَّةِ التَّجْرِيدِ، وَفِيهِ تَأَمُّلٌ لِشَأْنِ هَذَا الْقَلْبِ الَّذِي عَادَ يَخْفُقُ حُبًّا مِنْ جَدِيدٍ، ثُمَّ يَرْتَفِعُ الْإِيقَاعُ النَّغْمِيُّ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي مُنَاسِبًا حَالَةَ الدَّهْشَةِ مِـنْ ذَلِـكَ الْقَلْـب الَّذِي لَمْ يَمُتْ مِنْ كَثْرَةِ الخُطُوبِ . وَفِي قَوْلِهِ :

قَدْ بُعِثْتُ الْيَوْمَ أَحْيَا مِنْ جَـدِيدْ   فَـهْـوَ بَعْثٌ مِنْ حَيَاةٍ خَامِدَةْ

نَغْمَةٌ هَابِطَةٌ تُمَثِّلُ حَدِيثَ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ أَيْضًا، وتُمَثِّلُ حَالَـةَ السَّـأَمِ الَّتِـي يَعِيشُـهَا الشَّـاعِرُ، فَالحَيَـاةُ خَامِدَةٌ نَاضِبَةٌ جَافَّةٌ .وَفِي قَوْلِهِ :

لَاحَ لِي مِـنْ جَانِبِ الْأُفْقِ شُعَـاعْ   بَيْنَمَا أَخْـبِـطُ فِي دَاجِي الـظَّلَامْ

تُوَضِّحُ النَّغْمَةُ الهَابِطَةُ الْغُرْبَةَ المِيتَافِيزِيقِيَّةَ الَّتِي يَحْيَاهَا، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ بَارِقَةِ النُّورِ المُتَمَثِّلَةِ فِي الشُّعَاعِ إِلَّا أَنَّهُ يَعِيشُ فِي ظَلَامٍ يَتَخَبَّطُ فِيهِ.الْإِيقَاعُ النَّغْمِيُّ الهَابِطُ لِلْمَطَالِعِ يَتَمَثَّلُ فِي:

ـ الاسْتِفْهَامِ بِغَيْرِ «هَلْ» وَ«الهَمْزَةِ »، فِي قَوْلِهِ :

بَسْمَةٌ ! أَمْ تِلْكَ أَنْفَاسُ الـحَيَـاةْ   وَلِقَاءٌ ذَاكَ أَمْ رَجْعُ الْـعُمُرْ؟

نَغْمَـةٌ هَابِطَـةٌ تُمَثِّـلُ كَآبَـةً دَامَـتْ طَـوِيلًا عَـلَى وَجْهِـهِ، الْأَمْـرُ الَّـذِي يَجْعَلُـهُ يَضَـعُ الابْتِسَـامَ مَوْضِـعَ

---

(1) السابق ، ص 141.

(2) السابق ، ص 145 .

الحَيَاةِ بَعْدَ أَنْ ظَلَّ أَمَدًا مَيِّتًا فِي كَفَنِ الْعُبُوسِ وَالْكَآبَةِ .وَقَوْلُهُ :

مَـا لَنَـا فِي ذَلِكَ الْـقَـفْـرِ هُنَا؟ مَا بَرِحْنَا مُـنْذِ حِينٍ شَاخِصَاتْ

نَغْمَةٌ هَابِطَةٌ تُمَثِّلُ ضِيقًا بِالمَكَانِ وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ احْتِمَالِ الْعَيْشِ فِيهِ .وَقَوْلُهُ :

قِفْ بِنَا يَا حَادِيَ الْعُمْرِ هُـنَا لَـحْظَةً تَنْظُرُ مَاذَا حَوْلَنَـا

نَغْمَةٌ هَابِطَةٌ تُجَسِّدُ حَالَةً مِنَ التَّحَسُّرِ عَلَىٰ الْعُمْرِ الَّذِي وَلَّىٰ سَرِيعًا .وقوله :

نَحْنُ ! أَمْ تِلْكَ عَلَىٰ الْأَرْضِ ظِلَالْ وَخَـيَـالٌ سَـارِبٌ إِثْرَ خَيَالْ

نَغْمَةٌ هَابِطَةٌ تَعْكِسُ بِدَايَةَ تَفَاعُلٍ دَاخِلِيٍّ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَنَفْسِهِ .

أَمَّا إِذَا نَظَرْنَا إِلَىٰ المَوْضُوعِ الْآخَرِ الَّذِي احْتَوَاهُ هَذَا الْإِطَارُ أَكْثَرَ وَهُـوَ الْغَـزَلُ، فَسَـوْفَ نَجِـدُهُ فِي شِـعْرِ «قُطْب» لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا سَبَقَ؛لِأَنَّهُ فِي هَـذَا الْإِطَـارِ يَتَأَمَّـلُ أَحْـوَالَ نَفْسِـهِ وَأَحْـوَالِ حَبِيبَتِـهِ فِي إِطَـارِ التَّجْرِبَـةِ الْإِنْسَانِيَّةِ.وَيَحْسُنُ بِنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ مَطَالِعِ النُّصُوصِ الْغَزَلِيَّةِ مِنْ هَذَا الْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ :

1ـ «نَظْرَةٌ مُوحِشَةٌ»:

أَهْوَ حَظِّي مِنْكِ تِلْكَ النَّظَرَاتِ كُلَّمَا جَادَتْ بِمَرْآكِ الصُّدَفْ[1]

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ صَاعِدٌ يَعْكِسُ انْفِعَالًا نَفْسِيًّا مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ بَعْدَ تَأَمُّلٍ لِوَجْهِ الحَبِيبَـةِ المُقَطِّـبِ دَائِمًـا فِي وَجْهِهِ.

2ـ «طَيْفٌ» :

هُوَّ هَـٰذَا أَنْتَ يَا طَيْفُ ؟ فَأَهْلَا مَرْحَبًا يَا طَيْفَ مَنْ أَهْوَىٰ وَسَهْلَا[2]

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ هَابِطٌ يُرَحِّبُ بِهِ الشَّاعِرُ بِطَيْفِ الحَبِيبَةِ الَّذِي يَتَأَمَّلُ وُجُودَهُ حَوْلَهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

(1) السابق ، ص 151 .

(2) السابق ، ص 153 .

3ـ «اللُّغْزُ» :

خَفَقَ الْقَلْبُ الَّذِي مَسَّتْ يَدَاكِ جَانِبَيْهِ فِي جُفُونٍ وَاضْطِرَابْ[1]

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ هَابِطٌ فِيهِ تَأَمُّلٌ فِكْرِيٌّ فِي مُحَاوَلَةِ الْكَشْفِ عَنْ لُغْزِ حُبْهِ لهَا .

4ـ «قُبْلَةٌ» :

أَهِيَ الـنَّشْوَةُ أَمْ وَقْدَةُ جَـمْـرِ إِنَّنِي أَحْسَسْتُهَا تَذْكُو بِصَدْرِي[2]

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ صَاعِدٌ يَعْكِسُ فَوْرَةَ الْإِحْسَاسِ.وَتَأَمُّلٌ لِحَالَةِ النَّشْوَةِ الجَسَدِيَّةِ الَّتِي أَصَابَتْهُ .

5ـ «دَاعِي الحَيَاةِ» :

يَخْفُقُ الْقَلْبَانِ ، بَلْ تَهْفُو الشِّفَاهْ مُنْذُ أَنْ ضَمَّتْكِ فِي شَوْقٍ يَدَاهُ[3]

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ هَابِطٌ مُتَمَثِّلٌ فِي جُمْلَةٍ تَقْرِيرِيَّةٍ يَتَأَمَّلُ فِيهَا أَحْوَالَهُ الَّتِي تَحَوَّلَتْ إِلَىٰ النَّقِيضِ بَعْدَ أَنْ لَبَّـىٰ نِدَاءَ دَاعِي الحَيَاةِ فِي تَقْبِيلِ حَبِيبَتِهِ .

6ـ «حُلْمُ الحَيَاةِ» :

أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي كَانَتْ حَيَاتِي مِنْ حَوَالَيْهِ دُعَاءً وَصَلَاهْ[4]

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ هَابِطٌ، يُسَانِدُ تَأَمُّـلَ فَلْسَـفَةِ الحُـبِّ فِي الحَيَـاةِ، فَالحُـبُّ حُلْـمٌ نَـدِيٌّ فِي صَـحَرَاءِ الْيَقَظَـةِ المُحْرِقَةِ وَرُؤْيَا مُشِعَّةٌ فِي ظَلَامِ الحَيَاةِ.كَمَا يَقُولُ هُوَ نَثْرًا فِي تَعْلِيقٍ عَلَىٰ الْقَصِيدَةِ .

7ـ «انْتَهَيْنَا»:

اِنْتَهَيْنَا .. قَدْ مَضَىٰ المَاضِي جَمِيعًا وَمَضَيْنَا

---

(1) السابق ، ص 182 .

(2) السابق ، ص 183 .

(3) السابق ، ص 184 .

(4) السابق ، ص 209 .

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ هَابِطٌ فِي جُمْلَةٍ تَقْرِيرِيَّةٍ يَتَأَمَّلُ فِيهَا حَالَهُ أَثْنَاءَ الانْتِهَاءِ مِنْ قِصَّةِ الحُبِّ الَّتِي انْتَهَتْ بِالْفَشَلِ، فَهُوَ يَتَأَمَّلُ أَحْوَالَهُ قَبْلَ الحُبِّ وَبَعْدَهُ وَأَثْنَاءَهُ يَتَأَمَّلُ مَشَاعِرَ الْغَيْرَةِ وَالشَّكِّ وَالهَجْرِ، يَتَأَمَّلُ المَصِيرَ الَّذِي تَرْسُمُهُ إِلَيْهِ هَذِهِ التَّجْرُبَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ.

وَإِذَا حَاوَلْنَا كَشْفَ تَضَافُرِ مُسْتَوَيَاتِ الْإِيقَاعِ فَعَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ إِلَيْهِ فِي نَصٍّ كَامِلٍ، بِهِ تَتَّضِحُ التَّفَاعُلَاتُ الصَّوْتِيَّةُ مَعَ التَّشْكِيلَاتِ الدِّلَالِيَّةِ.نَرْصُدُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ نَصِّ: «الجَبَّارُ الْعَاجِزُ » ، يَقُولُ :

حَطَّمَ الدَّهْرُ قُوَاهُ فَانْحَطَمْ	وَتَنَزَّىٰ الدَّاءُ فِيهِ وَالْأَلَمْ
وَدَوَتْ مِنْ فِيهِ تَعْوِي صَرْخَةٌ	تَتَلَوَّىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَحْتَدِمْ
صَرْخَةُ الْجَبَّارِ يَشْكُو مُرْغَمَا	ذِلَّةَ الشَّكْوَىٰ وَإِهْوَانَ الرَّغَمْ
يَشْتَكِي الْعَجْزَ وَمَا يُؤْلِمُهُ	فِيهِ إِلَّا كَبْحُ نَفْسٍ تَضْطَرَمْ
يَشْتَكِي الْعَجْزَ الَّذِي أَقْعَدَهُ	عَنْ صِرَاعَاتٍ وَهَوْلٍ يُقْتَحَمْ
تَسْمَعُ الْقُوَّةَ مِنْ صَرْخَتِهِ	مِنْ وَرَاءِ الْعَجْزِ تَدْوِي فَتُصِمْ
وَيَهُمُّ الْبَأْسُ فِي أَشْلَائِهِ	نَاهِضًا ؛ لَكِنَّما الْعَجْزُ جَثَمْ
أَيُّ مَعْنًىٰ تَحْتَوِي صَرَخَتُهُ ؟	أَيُّ مَاضٍ فِي ثَنَايَاهَا ارْتَسَمْ
هُوَ مَاضٍ نَازَلَ الدَّهْرَ بِهِ	فِي عِنَادٍ شَامِخٍ حَتَّىٰ انْحَطَمْ
هُوَ مَاضٍ غَامِضٌ تَكْنُفُهُ	جَلْجَلَاتٌ ، وَهَزِيمٌ ، وَرُجَمْ
هُوَ مَاضٍ مَارِدٌ مُقْتَحِمٌ	لَا يَهَابَ الْمَوْتَ فِيمَا يَعْتَزِمْ
هُوَ مَاضٍ ! أَيُّ مَاضٍ؟ يَا لَهُ	مُبْهَمُ التَّعْبِيرِ كَالدَّهْرِ الْأَصَمْ [1]

يَتَضَافَرُ الْإِيقَاعُ بِمُسْتَوَيَاتِهِ المُخْتَلِفَةِ فِي الْكَشْفِ عَنِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ فِي هَذَا النَّصِّ، حَيْثُ يُمَثِّلُ الْإِيقَاعُ الزَّمَنِيُّ الْبَطِيءُ لِوَزْنِ الرَّمَلِ أَحَدَ الْعَنَاصِرِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ بُطْءِ حَرَكَةِ ذَلِكَ الْعَاجِزِ الَّذِي يَصِفُهُ الشَّاعِرُ، إِنَّهُ إِيقَاعٌ زَمَنِيٌّ رَتِيبٌ يُمَثِّلُ حَرَكَةَ عَاجِزٍ أَشَلَّ لَا يَقْوَىٰ عَلَىٰ الحَرَكَةِ ، أَسْهَمَ فِي حُدُوثِ رَتَابَةِ هَذَا الْإِيقَاعِ وُجُودُ 58 حَرَكَةَ مَدٍّ مُخْتَلِفَةً مَا بَيْنَ المَدِّ بِالْأَلِفِ وَالْيَاءِ

(1) السابق ، ص 230 .

وَالْوَاوِ.إنَّ هَذَا الْعَدَدَ مِنَ الْمُدُودِ الصَّوْتِيَّةِ يَعْمَلُ عَلَىٰ تَبْطِيءِ الْإِيقَاعِ بِفَضْلِ مَدِّ الصَّوْتِ فِي النُّطْقِ بِهَا، كَمَا أَنَّهُ يُضْفِي مِسَاحَاتٍ صَوْتِيَّةً وَاسِعَةً تُعَطِّلُ مِنَ الانْطِلَاقِ فِي الْقِرَاءَةِ الجَهْرِيَّةِ، وَهَذا التَّعْطِيلُ يُعَدُّ مُوَازِيًا صَوْتِيًّا لِتَعْطِيلِ حَرَكَةِ الرَّجُلِ الْأَشَلِّ.

أَمَّا إِذَا أَتَيْنَا إِلَىٰ الْإِيقَاعِ النَّغْمِيِّ فِي النَّصِّ فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهُ فِي نَغْمَةٍ هَابِطَةٍ تَمَثَّلَتْ فِي الجُمَلِ التَّقْرِيرِيَّةِ المُتَتَابِعَةِ، بِاسْتِثْنَاءِ الْبَيْتِ الثَّامِنِ الَّذِي حَمَلَ كُلُّ شَطْرٍ فِيهِ سُؤَالًا كَسَرَ مِنْ تَتَابُعِ الجُمَلِ الخَبَرِيَّةِ؛لَكِنَّهُ جَاءَ أَيْضًا بِنَغْمَةٍ هَابِطَةٍ، تِلْكَ النَّغْمَةُ تُمَثِّلُ فِي جَوْهَرِهَا حَرَكَةً جَسَدِيَّةً هَابِطَةً غَيْرَ نَشِطَةٍ تَتَمَثَّلُ فِي حَرَكَةِ ذَلِكَ الْأَشَلِّ الصَّارِخِ.

إِنَّ أَهَّم مَا يُمَيِّزُ هَذَا الْأَشَلِّ هُوَ صَوْتُهُ الَّذِي لَمَحَ الشَّاعِرُ فِيهِ أَنَّهُ يَنُمُّ عَنْ مَاضٍ عَنِيفٍ ، وَقَدْ جَعَلَنَا ـ بِفَنِّيَّةٍ وَمَهَارَةٍ ـ نَسْمَعُ ذَلِكَ الصَّوْتَ الشَّدِيدَ مِنْ خِلَالِ تَكْرَارِ عِدَّةِ دَوَالٍّ صَوْتِيَّةٍ هِيَ : (تَعْوِي ـ صَرْخَة ـ صَرْخَته ـ تَدْوِي ـ صَرْخَتْهُ ـ جَلْجَلَات ـ هَزِيم) ، وَالمُتَأَمِّلُ لِلنَّصِّ يَجِدُ أَنَّ الدَّوَالَّ الرَّئِيسِيَّةَ لِلصُّرَاخِ جَاءَتْ فِي مَوْضِعِ تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ، تِلْكَ التَّفْعِيلَةُ الَّتِي تُمَثِّلُ سَكْتَةً صَوْتِيَّةً تَتَكَثَّفُ عِنْدَهَا الدَّلَالَةُ وَذَلِكَ فِي الْأَبْيَاتِ:2 ، 6 ، 8.

يُسْهِمُ فِي تَمَثُّلِ هَذِهِ الدَّوَالِّ الصَّوْتِيَّةِ بِنْيَةُ التَّشْبِيهِ الصَّوْتِيِّ لَهَا بِـ«الجَلْجَلَات» وَ«الهَزِيم» ، بَلْ إِنَّ التَّتَبُّعَ الْعَرُوضِيَّ يَكْشِفُ عَنْ أَنَّ دَالَّ «جَلْجَلَات» الصَّوْتِيَّ قَدْ مَثَّلَ الْوَحْدَةَ الْعَرُوضِيَّةَ سَالِمَةً لَمْ يُصِبْهَا أَيُّ زِحَافٍ فِي إِشَارَةٍ صَوْتِيَّةٍ بَلِيغَةٍ إِلَىٰ قوَّةِ صَرَخَاتِ الْأَشَلّ الجَبَّار.

وَإِذَا مَا نَظَرْنَا لِصَوْتِ المِيمِ المُنْتَشِرِ عَلَىٰ جُغْرَافَيَا النَّصِّ فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهُ أَسْهَمَ فِي إِنْتَاجِ دِلَالَةٍ صَوْتِيَّةٍ مُوَازِيَةٍ لِدِلَالَةِ الْعَجْزِ النَّفْسِيِّ فِي خَلَجَاتِ الجبَّارِ الْأَشَلِّ، حَيْثُ يَتَكَرَّرُ صَوْتُ المِيمِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ 39 مَرَّةً مِنْهَا 12 مَرَّةً رَوِيًّا لِلْأَبْيَاتِ، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ المَدَىٰ الزَّمَنِيَّ «Duration»[1] لِصَوْتِ المِيمِ مَدًىٰ قَصِيرٌ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ 70ـ 90 م /ث ، وَأَنَّ لَهُ رَنِينًا ضَعِيفًا[2] تَرَسَّمَ لَدَيْنَا مَا وَرَاءَ صَرَخَاتِ الجَبَّارِ الْأَشَلِّ مِنْ أَلَمٍ شَدِيدٍ أَضْعَفَهُ وَأَقْعَدَهُ عَاجِزًا (مُرْغَمًا) رُغْمَ مَاضِيهِ الَّذِي كَانَ فِيهِ جَسُورًا.يُسَانِدُ هَذِهِ الدِّلَالَةَ الْمُتَوَلَّدَةَ مِنْ صَوْتِ المِيمِ مَا

(1) يعرف مدىٰ صوت ما بأنه الزمن الحقيقي الذي يستغرق إحداثه . انظر : د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 115 .

(2) السابق ، ص 51 .

نُلَاحِظُهُ مِنْ سُكُونِ رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ، وَالسُّكُونُ ضِدُّ الحَرَكَةِ، وَهُوَ يُمَثِّلُ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِسُكُونِ الْعُضْوِ الْأَشَلِّ فِي جَسَدِ الجَبَّارِ الْعَاجِزِ .

ثَمَّةَ مُلَاحَظَةٌ صَوْتِيَّةٌ أُخْرَىٰ تُسْهِمُ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي إِيضَاحِ الإِيقَاعِ النَّفْسِيِّ للنَّصِّ، وَهِيَ أَنَّ خَمْسَةَ عَشَرَ مَصْدَرًا مُنْتَهِيًا بِصَوْتِ المِيمِ يَدُلُّ عَلَىٰ السَّدَادِ وَالانْغِلَاقِ، بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ وَاقِعَةِ انْطِبَاقِ الشَّفَةِ عَلَىٰ الشَّفَةِ عِنْدَمَا تُلْفَظُ المِيمُ فِي نِهَايَةِ الْكَلَامِ.مِنْهَا:صَمَّ (ذَهَبَ سَمْعَهُ)، وَهِيَ أَحَدُ دَوَالِّ الْقَافِيَةِ فِي النَّصِّ مَوْضِعَ التَّحْلِيلِ فِي الْبَيْتَيْنِ 6 و12. وَأَنَّ تِسْعَةَ مَصَادِرَ تَنْتَهِي بِصَوْتِ المِيمِ تَدُلُّ مَعَانِيهَا عَلَىٰ الحَرَارَةِ مِنْهَا:ضَرَمَتِ النَّارُ (اتَّقَدَتْ وَاشْتَعَلَتْ).[1]

مِنْ هَاتَيْنِ المُلَاحَظَتَيْنِ يَتَكَشَّفُ لَنَا مَا وَرَاءَ صَوْتِ المِيمِ المَجْهُورِ، فَهُوَ مِنْ نَاحِيَةٍ يُعَبِّرُ عَنْ حَالَةِ جَهْرِ الرَّجُلِ بِأَوْجَاعِهِ، وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ يَعْكِسُ حَالَةَ الضَّعْفِ وَانْسِدَادِ شَرَايِينِ الدَّمِ وَتَجَلُّطِهَا فِي جَسَدِهِ، كَمَا أَنَّهُ فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ يَعْكِسُ حَرَارَةَ الْأَلَمِ الَّتِي تَنْتَابُ الْأَشَلَّ ذِي المَاضِي الجَبَّارِ الَّذِي كَانَ يُمَارِسُ فِيهِ تَسَلُّطَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِ ، إِنَّهُ الْقَعِيدُ بَعْد أَنْ حَطَّمَهُ الدَّهْرُ .

يُسْهِمُ إِيقَاعُ التَّكْرَارِ فِي الْأَبْيَاتِ 9 و10 و11 و12 فِي كَشْفِ مَرْكَزِ اسْتِقْطَابٍ نَفْسِيٍّ لِلْجَبَّارِ الْعَاجِزِ؛حَيْثُ تَجْعَلُنَا نَتَمَثَّلُ مَاضِيَهُ وَحَاضِرَهُ وَمُسْتَقْبَلَهُ فَالَماضِي مَاضِي بَطْشٍ وَصِرَاعٍ مَعَ الدَّهْرِ فِي عِنَادٍ شَامِخٍ.وَالحَاضِرُ حَاضِرُ مُعَانَاةٍ وَصُرَاخٍ وَكِبْرِيَاءَ عَلَىٰ المَرَضِ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنَ الضَّعْفِ. وَالمُسْتَقْبَلُ مُسْتَقْبَلٌ مَحْدُودٌ بِالموْتِ ذُلًّا.

(4/3)الإِيقَاعُ فِي وَزْنِ الْكَامِلِ:

يُعَدُّ الْإِيقَاعُ الزَّمَنِيُّ لِوَزْنِ الْكَامِلِ مِنْ أَسْرَعِ الْإِيقَاعَاتِ فِي الْأَوْزَانِ، وَذَلِكَ يَتَأَتَّىٰ مِنْ تَوَالِي الْمُتحَرِّكَاتِ فِي «مُتَفَاعِلُنْ» (///٥//٥)، فَنِسْبَةُ المُتَحَرِّكِ إِلَىٰ السَّاكِنِ نِسْبَةُ (2:5) ، وَيَتَأَتَّىٰ أَيْضًا مِنْ كَثْرَةِ عَدَدِ المَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ الْقَصِيرَةِ فِيهِ إِذْ تَبْلُغُ 18 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا قَصِيرًا فِي مُقَابِلِ 12 مَقْطَعًا طَوِيلًا، كَمَا أَنَّ الْكَامِلَ مِنَ الْأَوْزَانِ صَاعِدَةِ الْإِيقَاعِ لِانْتِهَاءِ تَفْعِيلَتِهِ بِالْوتَدِ المَجْمُوعِ.

وَكَانَ الشَّاعِرُ قَدْ لجَأَ إِلَىٰ هَذَا الإِطَارِ أَكْثَرَ فِي قَصَائِدِ قِسْمِ الْغَزَلِ فِي سِتِّ قَصَائِدِ، نَتَوَقَّفُ أَمَامَ بَعْضٍ مِنْهَا فِي مُحَاوَلَةٍ تَرْسُمُ مَلْمَحًا عَامًّا لِهَذَا الْإِيقَاعِ.

---

(1) انظر :حسن عباس :خصائص الحروف العربية ومعانيها ، دراسة ، ط . منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998، ص 74 ، 75 .

ـ «تَوَارُدُ خَوَاطِرَ» :

أَفَأَنْتِ ذِي؟أَمْ ذَاكَ طَيْفُ مَنَامِ ؟ .:. إِنِّي أَرَاكِ كَطَائِفِ الْأَحْـلَامِ [(1)]

إِيقَاعٌ نَغْمِيٌّ صَاعِدٌ مُتَمَثِّلٌ فِي الاسْتِفْهَامِ بِالهمْزَةِ، عَبَّرَ عَنْ دَهْشَتِهِ؛ إِذْ خَطَرَ بِبَالِهِ اسْمٌ مُعَيَّنٌ ثُـمَّ نَظَـرَ فَجْأَةً فَإِذَا بِصَاحِبَةِ الاسْمِ تَنْظُرُ إِلَيْهِ وَتُحَيِّيهِ، يَقُولُ :

فَدُهِشْتُ أَوْ فَارْتَعَتُ أَوْ فَتَضَرَّمَتْ .:. خَفَقَاتُ قَلْبِي المُنْتَشِي الْبَسَّامِ

إِنَّ تَوَالِي الُمتَحَرِّكَاتِ فِي (///ه//ه) يُمَثِّلُ إِيقَاعَ لحظَةِ المُفَاجَأَةِ الَّتِي حَلَّتْ عَلَيْهِ، كَـمَا أَنَّـهُ يَرْصُـدُ حَالَـةَ الدَّهْشَةِ وَمَـا يُصَـاحِبُهَا مِـنْ تَـوَالِي دَقَّـاتِ الْقَلْـبِ، «فَدُهِشْـتُ أَوْ» = (///ه//ه) «فَتَضَرَّمَـتْ» = (///ه//ه)، «خَفَقَاتُ قَلْ» = (///ه//ه).إنَّهَا لحظَةُ الدَّهْشَةِ المُغَلَّفَةُ بِالحُبِّ السَّامِي .

ـ «تَحِيَّةُ الحَيَاةِ» :

شَـفَـتَـايَ تَـخْتَلِجَانِ لِلتَّقْبِيلِ؟ فِي كُلِّ مُـطَّـلَعٍ لَدَيْكِ جَمِيلِ [(2)]

يُمَثِّلُ الْإِيقَاعُ الزَّمَنِيُّ السَّرِيعُ لِلْكَامِلِ تَأَجُّجَ الرَّغْبَةِ الْعَارِمَـةِ الَّتـي تَنْتَـابُ الشَّـاعِرَ ، فِي حِـينِ أَنَّ الْإِيقَـاعَ النَّغْمِيَّ الهَابِطَ يَعْكِسُ مَا فِي قَرَارِ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِن رَغْبَةٍ فِي رِوَاءِ الظَّمَإِ مِنَ الثَّغْرِ المعْسُولِ، إِنَّهَا الْعَاطِفَـةُ الُمتَأَجِّجَةُ المُتَحَرِّكَةُ بِقُوَّةٍ فِي صَدْرِهِ يُعَبِّرُ عَنْهَا إِيقَاعُ الْكَامِلِ بِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ ، يَقُولُ :

ظَـمَـأٌ تُـأَجِّـجُـهُ الْقُلُوبُ خَوَافِقًا تَـنْـزُو بِـعَـارِمِ لَـهْـفَةٍ وَغَلِيـلِ

مِنْ يَوْمِ مَا الْتَقَتِ الشِّفَاهُ فَحَدَّثَتْ عَـنْ حُـبِّـنَا بِسَـوَاحِـرِ التَّرْتِيلِ

أَفَـتَذْكُرِينَ وَقَدْ ضَمَمْتُكِ وَالهَوَىٰ يُغْـرِي وَيُـوقِظُ خَاطِرَ التَّقْبِيلِ

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْـرَىٰ يُسْـهِمُ صَـوْتُ الـلامِ الُمتَكَـرِّر فِي الـنَّصِّ كُلِّـهِ 36 مَـرَّةً فِي تَوْضِـيحِ حَالَـةِ الْأَيْرُوتِيكَا الُمَتَأَجِّجَةِ الَّتِي امْتَزَجَ فِيهَا الْعِشْقُ بِالشِّـعْرِ فِي فَـوْرَةِ اللُّغَـةِ وَالجَسَـدِ؛ إِذْ إِنَّـهُ « يُـوحِي بِمَزِيجٍ مِنَ اللُّيُونَـةِ وَالمُرُونَـةِ وَالتَّمَاسُـكِ وَالالْتِصَـاقِ.وَهَـذِهِ الخَصَـائِصُ الْإِيحَائِيَّـةُ لمْسِـيَّةٌ صِرْفَـةٌ »

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 159 .

(2) السابق ، ص 185 .

[1]، وَهِيَ تُسْهِمُ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي إِنْتَاجِ دِلَالَةِ النَّصِّ بِإِيقَاعِهِ الزَّمَنِيِّ وَالنَّغْمِيِّ.فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ حَرْفًا لِسَانِيًّا صِرْفًا، وَاللِّسَانُ هُوَ عُضْوُ الحَاسَّةِ الذَّوْقِيَّةِ، وَيَكُونُ لَهُ وَظِيفَةٌ خَاصَّةٌ فِي مِثْلِ تِلْكَ الحَالَـةِ ـ التَّقْبِيـل ـ الَّتِـي يَتَحَـدَّثُ عَنْهَا الشَّاعِرُ! !

ـ الْـحَيَاةُ الْغَالِيَةُ :

بِالْأَمْسِ كُنْتُ أَعِيشُ نِضْوَ تَرَقُّبِ   أُزْجِي حَيَاتِي كَالْأَجِيرِ المُتْعَبِ [2]

يَرْصُدُ إِيقَاعُ الْكَامِلِ السَّرِيعُ خَفَقَانَ الْقَلْبِ السَّعِيدِ الَّذِي يَشْعُرُ بِتَغَـيُّرِ الحَيَـاةِ مِـنَ الْأَمْـسِ إِلَىٰ الْيَـوْمِ، فَهُوَ يُظْهِرُ نَشْوَةً وَسَعَادَةً غَامِرَةً أَصَابَتِ الشَّاعِرَ الَّذِي شَعَرَ بِجَمَالِ الحَيَاةِ وَمَبَاهِجِهَا بِفَضْلِ الحُبِّ ، يَقُولُ :

الْـحُبُّ فَاضَ عَلَىٰ الحَيَاةِ بِخِصْبِـهِ   وَأَجَدَّ عُمْرَانًـا بِكُـلِّ مُـخَرَّبِ

وَأَزَاحَ أَسْتَـارَ الـدُّجَىٰ فَـتَكَشَّفَتْ   ظُـلُمَـاتُهُ عَـنْ كُلِّ زَاهٍ مُعْجِبِ

وَكَـذَاكَ تَـحْلُـو لِي الْـحَيَاةُ وَيَجْتَلِي   وَتَعِزُّ سَاعَاتِ الْغَرَامِ المُخْصِبِ

فَإِذَا مَا أَضَفْنَا الصِّفَةَ الصَّوْتِيَّةَ للْبَاءِ لهذِهِ الدِّلَالَةِ سَوْفَ نَسْتَنْتِجُ وَجْهَ السَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ الَّتِـي يَضْـطَرِبُ فِيهَا الْقَلْبُ سُرْعَةً وَفَرْحَةً، ذَلِكَ أَنَّ صَوْتَ الْبَاءِ صَوْتٌ انْفِجَارِيٌّ يَتَأَتَّىٰ مِـنِ انْحِبَـاسِ الـنَّفَسِ دَاخِـلَ الشَّـفَتَيْنِ المُغْلَقَتَيْنِ، ثُمَّ يَتِمُّ تَسْرِيحُهُ فَجْأَةً بِمَا يُشْبِهُ الانْفِجَارَ أَوْ بِمَا يُشْبِهُ شَكْلَ فَرْقَعَةٍ « Burst »[3]، وَهَذَا مَـا نُلَاحِظُـهُ فِي النَّصِّ؛إِذْ إِنَّ حَيَاةَ الشَّاعِرِ كَانَتْ حَيَاةَ ضِيقٍ وَيَأْسٍ وَانْحِبَاسٍ عَنْ رُؤْيَةِ الجَمَالِ، فَالحَيَاةُ مُقْفِـرَةٌ وَمُجْدِبَـةٌ ، يقول :

وَأُحِسُّ بِالْقَفْرِ الْـجَدِيبِ يَلُفُّـنِـي   وَيَجُوسُ فِي نَفْسِي كَقَبْرِ الْغَيْهَبِ

هَذَا الْإِحْسَاسُ يُمَثِّلُ حَالَةَ الانْحِبَاسِ الصَّوْتِيِّ، بَعْدَهَا يَأْتِي الانْفِجَارُ الصَّوْتِيُّ الْمتَمَثِّلُ فِي المشَـاعِرِ الْعَارِمَـةِ الْفَرِحةِ الَتِي تَرَىٰ الحَيَاةَ غَالِيَةً يَجِبُ أَلَّا يُفَرِّطَ فِي دَقِيقَةٍ مِنْهَا.

(1)حسن عباس :خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 78 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 191 .

(3) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 52 ، 53 .

وَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ اسْتَطَاعَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ مَشَاعِرِهِ الْمُتَأَجِّجَةِ فِي الحُبِّ فِي إِطَارِ وَزْنِ الْكَامِلِ، وَإِذَا كَانَ وَزْنُ الْكَامِلِ بِسُرْعَتِهِ الْأَدَائِيَّةِ قَدْ نَاسَبَ سُرْعَةَ نَبَضَاتِ الْقَلْبِ فِي حَالَاتِ النَّشْوَةِ الجَسَدِيَّةِ وَالْفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ.فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ دَلِيلًا عَلَىٰ كَوْنِهِ وَزْنًا خَاصًّا لِلتَّعْبِيرِ عَنْ عَاطِفَةِ الحُبِّ ؛ إِذْ إِنَّ هَذَا الْإِيقَاعَ السَّرِيعَ يُنَاسِبُ حَالَاتٍ أُخْرَىٰ يَخْفِقُ فِيهَا الْقَلبُ بِسُرْعَةٍ إِثْرَ تَعَرُّضِهِ لِمُثِيرٍ نَفْسِيٍّ عَنِيفٍ سَوَاءٌ أَكَانَ بِالسَّعَادَةِ أَمْ بِالحُزْنِ.

هَذَا مَا يُمْكِنُ أَنْ نَلْمَحَهُ فِي مَوْضُوعِ «الرِّثَاءِ» عِنْدَ «قُطْب». فَفِي الرِّثَاءِ تَنْصَهِرُ النَّفْسُ حُزْنًا عَلَىٰ فَقْدِ حَبِيبٍ أَوْ غَالٍ، وَهِيَ حَالَةٌ نَفْسِيَّةٌ تَزْدَادُ مَعَهَا نَبْضَاتُ الْقَلْبِ أَيْضًا، إِنَّ سُرْعَةَ وَزْنِ الْكَامِلِ تُلَائِمُ سُرَعَةَ النَّفَسِ وَتَهَدُّجِهِ وَارْتِفَاعِ الصَّدْرِ وَنُزُولِهِ فِي حَرَكَاتٍ مُتَتَالِيَةٍ سَرِيعَةٍ أَثْنَاءَ الْبُكَاءِ، وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ الشَّاعِرُ يَكْتُبُ الْقَصِيدَةَ تَحْتَ تَأْثِيرِ الصَّدْمَةِ أَوْ فَوْرَ وُقُوعِ المُصِيبَةِ.

فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ «يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْطِقَ بِثَلَاثَةِ مَقَاطِعَ صَوْتِيَّةٍ كُلَّمَا نَبَضَ قَلْبُهُ مَرَّةً وَاحِدَةً»، [1] وَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّ الْكَامِلَ يَتَكَوَّنُ مِنْ 30 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، فَإِنَّ الْقِرَاءَةَ الصَّوْتِيَّةَ لِبَيْتٍ مِنَ الْكَامِلِ يَتِمُّ خِلَال 10 نَبْضَاتٍ قَلْبِيَّةٍ سَرِيعَةٍ[2]؛ذَلِكَ لِأَنَّ الْقَلْبَ السَّلِيمَ يَنْبضُ 76 مَرَّةً فِي الدَّقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ.[3]وَنَتَوَقَّفُ عِنْدَ قَصِيدَةِ «صَدَىٰ الْفَاجِعَةِ» المنْشُورَةِ عَامَ 1945لِنَرْصُدَ إِيقَاعَهَا فِي ضَوْءِ مَا سَبَقَ :

جَفَّ الرِّثَاءُ بِخَاطِرِي الْـمَفْجُـوعِ	وَصَمَتُّ لَا أُفْضِي بِغَيْرِ دُمُوعِي
إِنِّي ذُهِلْتُ عَنِ الْـمُصَابِ بِوَقْعِـه	حِينًا ذُهُولَ الْوَاهِمِ الْـمَخْدُوعِ
فَظَلَلْتُ أَنْصِتُ لِلـرَّجَاءِ وَأَتَّـقِـي	صَوْتَ الْيَقِينِ الْفَاجِعِ المسْمُوعِ

(1) د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 160 .

(2) كان للباحث تجربةٌ عَمَلِيَّةٌ أجراها أثناء تدريسه «موسيقىٰ الشعر» بكلية اللغة العربية بتوتشين في جمهورية الصين حيث استعان بقصيدة مغناة من وزن الكامل هي «قولي أحبك» شعر نزار قباني ، غناء وألحان المطرب العراقي «كاظم الساهر»، ولاحظ علىٰ الأساتذة والطلاب أثناء الاستماع للنص الْمُغَنَّىٰ أن الإيقاع السريع أحدث حالة من النشوة والسعادة للجميع علىٰ الرَّغم من عدم فهم بعض الكلمات والإيحاءات الشعرية لدىٰ عدد غير قليلٍ ، لكنَّ جمعًا كبيرًا من الدارسين ـ أساتذَةٍ وطُلابٍ ـ ذكر أن إيقاع الموسيقىٰ جعل القلب في حالة اضطراب مستمر أثناء السماع .وقد انتفىٰ هذا الإحساس لدىٰ الجميع عند سماع قصيدة مغناة من وزن المتقارب لنفس الشاعر ولنفس المطرب، وهو وزن في إيقاعه أقل من الكامل سرعة ، ولعل هذا يؤكد ما نذهب إليه أثناء تحليل النصوص من هـٰذا الوزن .

(3) د .إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 160 .

أَيَمُوتُ؟ كَلَّا ! لَا يَمُوتُ وَهَـٰـذِهِ ... مِصْـرُ تُـرَجِّي نَجْمَهُ لِـسُـطُوعِ

أَيَمُـوتُ وَالْأَحْدَاثُ تَهْتِفُ بِاسْمِهِ ... أَتَـكُـونُ تِلْكَ هُتَافَةَ التَّوْدِيـعِ

قُلْ أَيُّهَا النَّاعِي سِـوَاهُ ، فَـمَا أَرَىٰ ... أَنِّي ـ وَإِنْ جَاهَدْتَنِي ـ بِسَـمِيـعِ

وَا وَيْلَـتَـاهُ أَإِنَّهَـا الْـحَـقِـيقَـةُ ... جَلَّتْ عَنِ الْإِيجَافِ وَالتَّرْوِيـعِ

صَمَتَ الذَّي قَدْ كَانَ أَلحَنَ حُجَّةً ... وَتَحَـدَّثَـتْ طَـعَـنَـاتُـهُ بِنَـجِيعِ

مُتَفَجِّـرَاتٍ بِـالـدِّمَـاءِ كَـأَنَّهَا ... كَـلِـمَاتُهُ فِي قُـوَّةٍ وَنُـصُوعِ

كَـلِـمَاتُـهُ اللَّائِــي نَـبَـضْنَ بِقَلْبِهِ ... وَدِمَـاؤُهُ مِـنْ ذَلِـكَ الْيَـنْبُوعِ

يَـا وَاهِـبَ الْـوَادِي مَرِيعَ حَيَاتِهِ ... مَـا بَـالُ عُمْرِكَ لَمْ يَكُنْ بِمَرِيعِ؟

يَـا مَـانِعَ الْـوَادِي الْعَزِيزِ بِنَفْسِهِ ... مَـا بَالُ عُمْرِكَ لَمْ يَكُنْ بِمَنِيعِ؟

خَـطَفَتْكَ عَادِيَةُ الْـمَنُونِ وَخَلَّفَتْ ... وَطَنًا يُعَالِجُ سَكْرَةَ الْـمَصْرُوعِ

لَـخَلَا مَـكَانُـكَ لَيْسَ يَمْلَأُ رَحْبَهُ ... إِلَّا الْأَسَىٰ وَتَفَـجُّعُ الْـمَفْجُوعِ

لَـخَلَا مَـكَانُـكَ وَالْبِـلَادُ تَهَـيَّأَتْ ... تَخْـطُو إِلَىٰ أُفُقٍ رَسَمْتَ وَسِيعِ

وَتَلَفَّتَتْ تُـصْغِي لِـصَوْتِكَ هَادِيًا ... فِي الْـمُدْلَهِمِّ وَرَأْيِكَ الْـمَسْمُوعِ

فَصَمَتَّ ـ يَالَـلـهوْلِ ـ صَمْتَةَ وَاجِمٍ ... مَـاضٍ لِـغَـيْرِ تَأَوُّبٍ وَرُجُوعِ

وَاهًـا لِــمِـصْرَ وَيَـا فَجِيعَةَ أَهْلِهَا ... فِي الرَّائِدِ الْـمُتَفَرِّدِ الْـمَتْبُوعِ(1)

يُمَثِّلُ الْإِيقَاعُ أَهَمَّ الْوَسَائِلِ الصَّـوْتِيَّةِ تِبْيَانًـا لِدَلَالَـةِ الـنَّصِّ السَّـابِقِ؛إِذْ إِنَّـهُ أَدَّىٰ المعْنَـىٰ أَدَاءً بَارِعًا، جَعَلَ الْمُتَلَقِّيَ يَشْتَرِكُ مَعَ الشَّاعِرِ فِي انْفِعَالَاتِهِ وَآلَامِهِ، فَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ مُرُورِ 18 عَامًا عَلَىٰ وَفَاةِ «سَعْد زَغْلُـول» وَذَلِـكَ مِـنْ تَـارِيخِ نَشْرِ الْقَصِـيدَةِ إِلَّا أَنَّ الشَّـاعِرَ لَازَالَ يَسْتَشْـعِرُ الْمِصـيبَةَ بِدَاخِلِهِ تَهَزُّ وِجْدَانَـهُ هَـزًّا عَنِيفًا؛إِنَّـهُ صَـدَىٰ الْفَاجِعَـةِ الَّـذِي لَا زَالَ يَـتَرَدَّدُ فِي طَيَّـاتِ نَفْسِـهِ، أَدَاءُ الْإِيقَاعِ السَّرِيعِ لِوَزْنِ الْكَامِلِ وَضَعَنَا أَمَامَ إِنْسَانٍ تَلَقَّىٰ صَدْمَةً نَفْسِـيَّةً عَنِيفَـةً أَثَّـرَتْ عَـلَىٰ فِكْـرِهِ فَأَوْقَفَتْهُ عَنِ الْكَلَامِ مُفْسِحَةً الطَّرِيقَ لِلْبُكَاءِ الْمُسْتَمِرِّ الَّذِي تَتَهَدَّجُ مَعَهُ الْأَنْفَاسُ ، وَيَضْطَرِبُ مَعَهُ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 264 ، 265 .

الصَّدْرُ عُلُوًّا وَانْخِفَاضًا، يَصِلُ إِلَىٰ قِمَّـةِ عُلُـوِّهِ النَّغْمِـيِّ فِي الاسْـتِفْهَامِ التَّعَجُّبِـيِّ « أَيَمُـوتُ ؟» هَـذَا الاسْـتِفْهَامُ بِالهَمْزَةِ يَجْعَلُ نَغْمَةَ الْقِرَاءَةِ صَاعِدَةً لِتُمَثِّلَ حَالَةَ الذُّهُولِ الَّتِي عَلَيْهَا الشَّاعِرُ، وَحِيـنَمَا يَصِـلُ إِلَىٰ ذَرْوَةِ تَـأَثُّرِهِ الانْفِعَالِيِّ، يرْجِعُ الْإِيقَاعُ إِلَىٰ النَّغْمَةِ الهَابِطَةِ المُتَمَثِّلَةِ فِي الجُمْلَةِ التَّقْرِيرِيَّةِ «كَـلَا لَا يَمُـوتُ »، لَكِنَّهَـا الحَقِيقَـةُ الَّتِي لَا فِرَارَ مِنْهَا، وَهَا هُوَ يَمُوتُ وَمِصْرُ كُلُّهَا كَانَتْ تَنْتَظِرُ صُعُودَ نَجْمِهِ .

تُمَثِّلُ التَّفْعِيلَاتُ السَّالِمَةُ /غَيْرُ المضْمَرَةِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ كُتَلًا صَوْتِيَّةً مُتَتَابِعَةً اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُسْرِعَ مِـنَ الْإِيقَاعِ وَتَجْعَلُهُ مُتَدَفِّقًا تَدَفُّقَ الْبُكَاءِ الَّذِي يُعَبِّرُ بِهِ؛إِذْ إِنَّ عَدَدَ التَّفْعِيلَاتِ السَّالِمَةِ الَّتِي تَتَمَتَّـعُ بِكَامِـلِ عَـدَدِ الْمتَحَرِّكَاتِ 51 تَفْعِيلَةً فِي مُقَابِلِ 35 تَفْعِيلَةً مُضْمَرَةً ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَخْرَجْنَا التَّفْعِيلَاتِ المقْطُوعَةَ فِي الضَّرْبِ، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ نِسْبَةَ الْإِضْمَارِ فِي هَذَا النَّصِّ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُوَقِّفَ مِنْ تَدَفُّقِهِ وَهَـذِهِ إِشَـارَةٌ إِلَىٰ انْفِعَـالٍ جَـارِفٍ يَنْتَابُ الشَّاعِرَ، انْظُرْ إِلَىٰ الْبَيْتِ 13 :

خَـطَفَتْكَ عَادِيَةُ الْـمَنُونِ وَخَلَّفَتْ وَطَنًا يُعَالِجُ سَكْرَةَ الْـمَصْرُوعِ

سَتَجِدُ أَنَّ جَمِيعَ التَّفْعِيلَاتِ المُكَوِّنَةِ لَهُ كُلُّهَا تَفْعِيلَاتٌ سَالِمَةٌ مَاعَدَا تَفْعِيلَـةَ الضَّرْبِ فَهِـيَ مَقْطُوعَـةٌ، فَهَـذَا الْبَيْتُ يُبْرِزُ المأْسَاةَ الحَقِيقِيَّةَ الَّتِي هَزَّتْ وِجْدَانَ الشَّاعِرِ، فِي أَنَّ مِصْرَ كَانَتْ تَأْمُلُ فِي الْفَقِيدِ خَيْرًا كَثِـيرًا، لَكِـنَّ يَـدَ المنُونِ قَطَعَتْ هَذَا الطَّرِيقَ عَلَىٰ الْبِلَادِ، فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَمَّانِ؛ الْأَوَّلُ: فِي فَقْدِ «سَعْد» وَالثَّـانِي:مَـا آلَـتْ إِلَيْـهِ مِصْرُ بَعْدَ فَقْدِهِ، إِنَّ هَذَا الْبَيْتَ يُمَثِّلُ انْفِعَالًا نَفْسِيًّا مُتَأَجِّجًا عَبَّرَ عَنْهُ الْإِيقَاعُ السَّرِيعُ فِي الْكَامِلِ تَعْبِيرًا صَوْتِيًّا مُتَمَيِّزًا.

إِنَّ المُتَأَمِّلَ لِلْأَصْوَاتِ الْأَكْثَرِ تَكْرَارًا فِي النَّصِّ السَّابِقِ يَجِدُ أَنَّ الْأَصْوَاتَ الحَلْقِيَّـةَ تَشْـغِلُ مِسَـاحَةً كَبِـيرَةً عَـلَىٰ جُغْرَافِيَّتِهِ وَهِيَ:الْغَيْنُ (3مَرَّاتٍ)، والحَاءُ (4مَرَّاتٍ)، والخَاءُ (7مَرَّاتٍ) ، وَالهَاءُ (26 مَرَّةً)، والهمْزَةُ(28 مَرَّةً)، لَكِنَّ أَكْثَرَهَا وُضُوحًا كَانَ صَوْتُ الْعَيْنِ ذَلِكَ الصَّوْتُ الحَلْقِيُّ، الَّذِي يُسْمَعُ لَهُ حَفِيفٌ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ[1] لَقَدْ تَكَرَّرَ صَـوْتُ الْعَيْنِ فِي النَّصِّ 32 مَرَّةً، مِنْهَا 18 مَرَّةً رَوِيًّا لِلْأَبْيَاتِ، وَالْعَيْنُ النِّهَائِيَّةُ ـ طِبْقًا لِلتَّتَبُّعِ الْإِحْصَائِيِّ ـ تَدُلُّ فِي أَحَدِ مَعَانِيهَـا عَـلَىٰ الشِّـدَّةِ وَالْفَاعِلِيَّـةِ، [2] وَهَاتَـانِ الـدِّلَالَتَانِ تَتَمَـثَّلَانِ بِقُـوَّةٍ فِي الـنَّصِّ، وَتُشَـكِّلَانِ إِيحَـاءَاتٍ صَـوْتِيَّةً تُشْـبِهُ

(1) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية، ص 75 .

(2) انظر: حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، 217 .

صَوْتَ النَّحِيبِ بِمَا فِي الْعَيْنِ مِنْ صَوْتٍ حَفِيفٍ لَيْسَ الْعَيْنُ فَحَسْبُ، بَلْ إِنَّ جَمِيعَ الحُرُوفِ الحَلْقِيَّةِ بِهَا هَذِهِ الصِّفَةُ الصَّوْتِيَّةُ ـ عَدَا الهمْزَةَ ـ انْظُرْ لِلْإِيقَاعِ الصَّوْتِيِّ لِلْحُرُوفِ الحَلْقِيَّةِ فِي قَوْلِهِ :

وَاهًـا لِـمِـصْرَ وَيَـا فَجِيعَةَ أَهْلِهَا   فِي الـرَّائِدِ الْـمُـتَفَرِّدِ الْـمَتْبُوعِ

تَجِدُ أَنَّ الْأَصْوَاتَ الحَلْقِيَّةَ شَكَّلَتْ اِمْتِدَادًا مُسْتَمِرًّا مِنَ التَّوَجُّعِ وَالْأَلَمِ، فَإِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَىٰ المدَىٰ الزَّمَنِـيِّ لهذِهِ الْأَصْوَاتِ فَسَوْفَ نَجِدُهُ مَدًّىٰ سَرِيعًا ـ عَدَا الهمْـزَةِ ـ ، فَـالْعَيْنُ النِّهَائِيَّـةُ مَـدَاهَا بَـيْنَ 170 ـ 200 م/ث ، وَالمدَىٰ الزَّمَنِيِّ لـلـهاءِ بَيْنَ 100 ـ 160 م/ث[1]، فَهَـذِهِ الْأَمْـدَاءُ الزَّمَنِيَّـةُ تَجْعَـلُ الْإِيقَـاعَ سَرِيعًـا مُتَـدَفِّقًا مِـمَّا يَتَنَاسَبُ مَعَ حَالَةِ تَهَدُّجِ النَّفَسِ وَامْتِلَاءِ الصَّدْرِ بِالزَّفَرَاتِ الحَارِقَةِ، وَإِخْرَاجِهَا مُتَهَدِّجَـةً مُتَصَـاحِبَةً مَـعَ وَطْـأَةِ الحُزْنِ الثَّقِيلَةِ فِي النَّفْسِ، يَقُولُ :

لـخَلَا مَـكَانُـكَ لَيْسَ يَمْلَأُ رَحْبَهُ   إِلَّا الْأَسَىٰ وَتَفَـجُّعُ الْـمَفْجُوعِ

إِنَّ الَّذِي يَمْلَأُ مَكَانَ الْفَقِيدِ فِي الْقُلُوبِ وَالْوِجْدَانِ دَوَالُّ يُمَثِّلُ صَوْتُ الْعَيْنِ أَسَاسَهَا التَّكْوِينِيَّ : التَّفَجُّـعُ وَ المَفْجُوعُ ، وَهُوَ مَا تَصَدَّرَ عُنْوَانِ النَّصِّ «صَدَىٰ الْفَاجِعَةِ» .

(5/3) الإِيقَاعُ فِي وَزْنِ الْـخَفِيفِ:

يَذْكُرُ الخَطِيبُ التَّبْرِيزِيُّ فِي تَقْدِيمِهِ لِـوَزْنِ الخَفِيـفِ أَنَّـهُ سُـمِّيَ خَفِيفًـا ؛«لِأَنَّ الْوَتَـدَ المفْـرُوقَ اتَّصَـلَتْ حَرَكَتُهُ الْأَخِيرَةُ بِحَرَكَاتِ الْأَسْبَابِ فَخَفَّتْ».[2]وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنَ الالْتِفَاتِ إِلَىٰ مَا يُحْدِثُهُ الْوَتَدُ المفْرُوقُ مِـنْ كَسْرِ تَصَاعُدِ إِيقَاعِ التَّفْعِيلَةِ وَبِالتَّالِي الْوَزْنِ إِلَّا أَنَّنَا لَا نَفْهَمُ المقْصُودَ مِنْ كَلِمَةِ «فَخَفَّتْ»، إِلَّا إِذَا كَانَ المقْصُودُ مِنْهَا هُبُوطَ الْإِيقَاعِ بِسَبَبِ انْكِسَارِ صُعُودِهِ لِوُقُوعِ سَاكِنِ الْوَتَدِ المفْرُوقِ بَيْنَ مُتَحَرِّكَيْنِ، أَمَّا إِذَا كَـانَ المقْصُـودُ مِـنْ «خَفَّتْ» السُّرْعَةَ فَهَذَا لَا يُطَـابِقُ الحَقِيقَـةَ الْكَمِّيَّـةَ لِلْـوَزْنِ حَيْـثُ يَتَكَـوَّنُ مِـنْ 24 مَقْطَعًـا صَـوْتِيًّا طَـوِيلًا فِي مُقَابِلِ 6 مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ فَقَطْ، كَمَا أَنَّهُ يَأْتِي فِي المرْتَبَةِ السَّادِسَةِ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ السُّرْعَةِ الْفَرْضِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ، فَهُـوَ وَزْنٌ بَطِيءٌ بِنِسْبَةِ 1.25وَتَقُومُ فِيهِ الزِّحَافَاتُ بِنَفْسِ الدَّوْرِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ فِي وَزْنِ الرَّمَـلِ، حَيْـثُ تَعْمَـلُ عَـلَىٰ زِيَـادَةِ سُرْعَتِـهِ لَكِنَّهَـا زِيَـادَةٌ بَسِـيطَةٌ فِي شِـعْرِ«قُطْـب»، حَيْـثُ إِنَّ أَكْـثَرَ الزِّحَافَـاتِ الدَّاخِلَـةِ عَـلَىٰ

---

(1) د .سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة الغربية ، ص 94 ، ص 100 .

(2) الخطيب التبريزي : كتاب الكافي في العروض والقوافي ، ص 109 .

«فَـاعِلَاتُنْ» (/ه//ه/ه) و«مُسْـتَفْعِلُنْ» (/ه/ه//ه) هِـيَ الخَـبْنُ فَقَـطْ، كَـمَا رَأَيْنَـا فِي دِرَاسَـتِنَا لِلزَّحَافَـاتِ الشَّائِعَةِ؛لَكِنَّ عِلَّةَ «التَّشْعِيثِ» الَّتِي تَجْعَلُ الْعَرُوضَ وَالضَّرْبَ(/ه/ه/ه) قَـدْ تُزِيـدُ مِـنْ سُرْعَتِـهِ؛ لِأَنَّهَـا تَجْعَـلُ التَّفْعِيلَةَ مُكَوَّنَةً مِنْ ثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ خَفِيفَةٍ.

وَزْنُ الخَفِيفِ وَزْنٌ هَابِطُ الْإِيقَاعِ بِسَبَبِ وُجُودِ الْوَتَدِ الْمَفْرُوقِ، وَبَطِيءٌ تَعْمَـلُ الزِّحَافَـاتُ عَـلَىٰ زِيَـادَةِ سُرْعَتِهِ، وَيُحَاوِلُ بَعْضُهَا الْآخَرُ زِيَادَةَ تَبْطِيئِهِ، «وَالْعِلَلُ الَّتِي تُصِيبُهُ تُحَقِّـقُ قَـدْرًا مِـنَ الاسْتِرْسَـالِ، سَـوَاءٌ بَـيْنَ الشَّطْرَيْنِ أَوْ بَيْنَ الْأَبْيَاتِ، حَيْثُ لَا وَقَفَاتِ حَادَّةً فِي الْعَرُوضِ وَالضَّرْبِ» .[1] وَلَعَلَّ هَذَا السَّـبَبَ يُـفَسِّرُ وُقُـوعَ ظَاهِرَةِ التَّدْوِيرِ أَكْثَرَ فِي هَذَا الْوَزْنِ كَمَا رَأَيْنَا فِي الْفَقْرَةِ (6/2) فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ؛حَيْثُ إِنَّ النِّسْبَةَ الْكُبْرَىٰ لهِذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي شِعْرِ «قُطْب» وَقَعَتْ فِي وَزْنِ الخَفِيفِ 49 بَيْتًا مِنْ مَجْمُوعِ 88 بَيْتًا .

وَنُحَاوِلُ فِيمَا يَلِي تِبْيَانَ دَوْرِ الْإِيقَاعِ وَتَضَافُرِ الْبِنَىٰ الصَّـوْتِيَّةِ مَعَـهُ فِي إِنْتَاجِ المعْنَـىٰ مِـنْ خِـلَالِ بَعْـضِ نُصُوصِهِ.

فِي قَصِيدَةِ «لَيْلَاتٌ فِي الرِّيفِ» :

مِــنْ حَـنِينِ الْـفُـؤَادِ مِنْ خَفَقَاتِهْ	ذَلِكَ الشِّعْرُ مِنْ صَدَىٰ زَفَرَاتِـهْ
وَسِـعَـتْهُ الْأَلْـفَـاظُ وَزْنًـا وَمَعْنًىٰ	ثُـمَّ ضَاقَتْ عَنْ رُوحِهِ وَسِمَاتِـهْ
هَـوُ وَحْـيٌ لِـذِكْـرَيَاتٍ حِسَانٍ	أَوْدَعَ الـخُـلْدُ بَيْنَـهَا ذِكْـرَيَاتِهْ
وَلَـيَـالٍ يَـا حُـسْـنُهَا مِـنْ لَيَالٍ	يَـشْـتَرِيـهَـا مُـخَـلَّدٌ بِحَيَاتِـهْ
هَـمَـسَ الصَّمْتُ بَيْنَهَا هَمَسَاتٍ	خَفَّضَ الْكَوْنُ عِنْدَهَا خَـفَقَاتِهْ
وَسَرَىٰ الْبَدْرُ مُغْمَضَ الجَفْنِ وَسْنَا	نَ كَـطَيْفٍ مُـسْتَغْرِقٍ فِي ثُبَاتِهْ[2]

يَعْمَلُ الْإِيقَاعُ بِمُسْتَوَيَيْهِ الْكَمِّـي وَالنَّغْمِـيِّ عَـلَىٰ تَخْلِيـقِ جَـوٍّ هَـادِئٍ تَنْسَـابُ فِيـهِ الـذِّكْرِيَاتُ الحَالِمَةُ مِنْ وِجْدَانِ الشَّاعِرِ إِلَىٰ عَالَمِهِ، إِنَّهَا الذِّكْرَيَاتُ النَّابِعَةُ مِنَ الرِّيفِ، ذَلِكَ الَّذِي كَانَ يُمَثِّلُ عَالمًا بِكْرًا مَلِيئًا بِالرُّؤَىٰ الْوَرْدِيَّةِ، حَيْثُ الْبَدْرُ مُغْمَضُ الجَفْنِ.يُمَثِّلُ المقْطَـعُ السَّـابِقُ مِـنْ الْقَصِـيدَةِ إِيقَاعًـا نَغْمِيًّـا هَابِطًـا مُتَّجِهًـا إِلَىٰ دَاخِـلِ الـذَّاتِ الشَّـاعِرَةِ مُعَـبِّرًا عَـنْ رَغَبَاتِهَـا لِلْعَـوْدَةِ إِلَىٰ عَـالَمِ الرِّيـفِ،

(1) د .سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 41 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 79.

بَيْنَمَا يُمَثِّلُ الْإِيقَاعُ الْكَمِّيُّ لحظَةَ ارْتِعَاشَةٍ وِجْدَانِيَّةٍ كُلَّمَا مَرَّتْ ذَاكِرَةُ الشَّاعِرِ بِمَوْقِفٍ مِنَ المَوَاقِفِ الحِسَانِ، يُمَثِّلُ هَذِهِ اللَّحْظَةَ تَفْعِيلَةُ «مُسْتَفْعِلُنْ» الَّتِي تَقِفُ نُتُوءًا صَوْتِيًّا «Spike» وَسْطَ بَيْتِ الخَفِيفِ وَالَّتِي عِنْدَهَا يَحْدُثُ زِيَادَةٌ قَلِيلَةٌ فِي سُرْعَةِ إِيقَاعِ الْبَيْتِ مَا يَلْبَثُ أَنْ يَنْتَهِيَ عِنْدَ تَفْعِيلَةِ «فَاعِلَاتُنْ»، نُلَاحِظُ ذَلِكَ فِي الدَّوَالِّ الَّتِي تُشَكِّلُ وَحْدَةَ «مُسْتَفْعِلُنْ» مِثْلِ «يَا حُسنَهَا» = (/٥/٥//٥)، و«مُسْتَغْرِقٌ» = (/٥/٥//٥) إِنَّ هَاتَيْنِ التَّفْعِيلَتَيْنِ يُمَثِّلَانِ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ فِي النَّصِّ كَكُلٍّ، إِذْ إِنَّ الدِّلَالَةَ الْعَامَّةَ لِلنَّصِّ تَدُورُ حَوْلَ حُسْنِ الحَيَاةِ الرِّيفِيَّةِ وَجَمَالِهَا، وَرَغْبَةِ الشَّاعِرِ فِي الاسْتِغْرَاقِ فِي هَذَا الجَمَالِ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ.كَمَا عَمِلَ زِحَافُ الخَبْنِ عَلَىٰ تَوْلِيدِ سُرْعَةٍ نِسْبِيَّةٍ فِي المَقْطَعِ السَّابِقِ؛لَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِالْكَبِيرَةِ؛ إِذْ إِنَّ 14 تَفْعِيلَةً سَالِمَةً فَقَطْ مُقَابِلَ 18 مَخْبُونَةً يَتَكَوَّنُ مِنْهَا المَقْطَعُ السَّابِقُ، وَلَكِنْ إِذَا تَأَمَّلْنَا بَعْضَ الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ المخْبُونَةِ نَجِدُ بَعْضَهَا يُمَثِّلُ إِيقَاعًا كَمِّيًّا سَرِيعًا يَتَنَاسَبُ مَعَ مَا يُنْتِجُهَا مِنْ دِلَالَةٍ مِثْلَ«خَفَقَاتِهْ» = (///٥/٥) الَّتِي يَتَوَالَىٰ فِيهَا ثَلَاثَةُ أَحْرُفٍ مُتَحَرِّكَةٍ مُوَازِيَةٍ لِحَرَكَةِ خَفَقَانِ الْقَلْبِ، كَذَا تَفْعِيلَةُ الضَّرْبِ «زَفَرَاتِهْ» =(///٥/٥) الَّتِي تُوَضِّحُ تَدَافُعَ النَّفَسِ مِنَ الصَّدْرِ بِمَدٍّ طَوِيلٍ فِيمَا يُشْبِهُ «التَّنْهِيدَةَ» الصَّوْتِيَّةَ وَمَا يَخْرُجُ مَعَهَا مِنْ زَفِيرٍ حِينَ تُذْكَرُ الْأَحْدَاثُ المَاضِيَةُ، الجَمِيلُ أَنَّ تَفْعِيلَةَ الْعَرُوضِ المخْبُونَة فِي أَوَّلِ بَيْتٍ تَتَكَرَّرُ ضَرْبًا فِي الْبَيْتِ الخَامِسِ مَخْبُونَةً أَيْضًا فِي إِشَارَةٍ صَوْتِيَّةٍ بَلِيغَةٍ لِاسْتِمْرَارِ حَالَةِ خَفَقَانِ الْقَلْبِ وَاضْطِرَابِهِ فِي لحظَةِ التَّذَكُّرِ، هَذَا الدَّالُّ الَّذِي مَثَّلَتْهُ وَحْدَةٌ صَوْتِيَّةٌ سَالِمَةٌ فِي ضَرْبِ الْبَيْتِ الثَّالِثِ «ذِكْرَيَاتِهْ» =(/٥//٥/٥)، فِي إِشَارَةٍ صَوْتِيَّةٍ تَوَاصُلِيَّةٍ مَعَ مَا جَاءَ فِي حَشْوِ الْبَيْتِ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ «لِذِكْرَيَاتٍ حِسَانٍ».

ثَمَّةَ مُلَاحَظَةٌ صَوْتِيَّةٌ أَخِيرَةٌ تُسْهِمُ فِي إِيضَاحِ إِيقَاعِ التَّذَكُّرِ الرَّتِيبِ وَهِيَ الانْتِشَارُ المُكَثَّفُ لِحُرُوفِ الهَمْسِ فِي المقْطَعِ، فَصَوْتُ السِّينِ ـ مَثَلًا ـ تَكَرَّرَ10 مَرَّاتٍ، كَذَا حَرْفُ التَّاءِ أَيْضًا 10 مَرَّاتٍ، فَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ الرَّنِينَ الصَّوْتِيَّ لِلسِّينِ ضَعِيفٌ جِدًّا، وَأَنَّ الضَّجَّةَ الصَّوْتِيَّةَ لِلتَّاءِ ضَجَّةٌ ضَعِيفَةٌ هِيَ الْأُخْرَىٰ[1] اتَّضَحَ لنَا تَضَافُرُ الْإِيقَاعِ الْبَطِيءِ وَالنَّغْمِ الهَابِطِ وَحُرُوفِ الهَمْسِ فِي إِنْتَاجِ دِلَالَةِ التَّذَكُّرِ وَالحَنِينِ إِلَىٰ المَاضِي وَحَدِيثِ النَّفْسِ بِالذِّكْرَيَاتِ الحِسَانِ وَالجَمَالِ المُقِيمِ فِي الرِّيفِ.

فِي قَصِيدَةِ «يَوْمٌ خَرِيفٌ» يُسْهِمُ إِيقَاعُ الخَفِيفِ فِي بَيَانِ صُورَةِ الْكَوْنِ وَقَدْ جَفَّتْ مَبَاهِجُهُ

(1) د .سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة الغربية ، ص 72، ص 75 .

وَارْتَسَمَ عَلَىٰ وَجْهِهِ الحُزْنُ، الَّذِي أَلْقَىٰ فِي قَلْبِ «قُطْب» الْكَآبَةَ ، يَقُولُ :

وَقَفَ الْكَـوْنُ شَاخِصًـا فِي سُـكُـونْ ... وَتَـرَاءَىٰ لِـخَاطِرِي كَالْـحَزِينِ

وَشُخُوصُ الْأَحْدَاثِ يُغْرِقُهَا الصَّمْـ ... ـتُ فَـتَـبْدُو كَـبَاهِتَاتِ الظُّنُونِ

وَكَـأَنَّ الـزَّمَـانَ سَـاوَرَهُ الْـحُـزْ ... نُ فَـأَغْـفَـىٰ إِغْفَاءَةَ الْـمُسْتَكِينِ

وَكَـأَنَّ الْأَفْـلَاكَ أَجْـهَـدَهَا السَّيْـ ... ـرُ فَنَاءَتْ بِحِمْلِ عِبْءِ الْقُرونِ

وَكَـأَنَّ الْأَقْـدَارَ أَرْخَـتْ يَـدَيْـهَا ... وَتَرَاخَتْ عَنْ صَرْفِهَا لِلشُّؤُونِ[1]

أَسْهَمَ التَّكْثِيفُ الصَّوْتِيُّ لحُرُوفِ المدِّ فِي إِحْدَاثِ إِيقَاعٍ رَتِيبٍ يُعَدُّ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِجَفَافِ وَجْهِ الطَّبِيعَةِ فِي الخَرِيفِ، فَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ فَقَطْ يَتَكَرَّرُ 9 حَرَكَاتِ مَدٍّ مُمَثِّلَةً كَثَافَةً صَوْتِيَّةً ثَقِيلَةً نُلَاحِظُهَا فِي (شَاخِصًا ـ فِي ـ سُكُونٍ ـ تَرَاءَىٰ ـ خَاطِرِي ـ حَزِينِ) فَبِهَذَا التَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ يُمَهِّدُ الشَّاعِرُ لِرَسْمِ صُورَةِ وَجْهِ الحَيَاةِ فِي الخَرِيفِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ الدَّوَالِّ تَجَسَّدَ فِيهَا بُطْءُ الْإِيقَاعِ وَرَتَابَتُهُ مِثْل:(فَنَاءَتْ ـ حِمْل ـ عِبْء ـ أَجْهَدَهَا ـ تَرَاخَتْ)، أَضِفْ إِلَىٰ ذَلِكَ قَافِيَةَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي جَاءَتْ مُكَوَّنَةً مِنْ ثَلَاثَةِ مَقَاطِعَ صَوْتِيَّةٍ، فِي قَوْلِهِ:(الحَزِينِ ـ الظُّنُونِ ـ الْقُرُونِ ـ الشُّؤُونِ) بَلْ وَصَلَتْ إِلَىٰ أَرْبَعَةِ مَقَاطِعَ صَوْتِيَّةٍ فِي قَوْلِهِ:«المُسْتَكِينِ».وَإِذَا تَرَكْنَا إِيقَاعَ نِهَايَةِ الْأَبْيَاتِ وَنَظَرْنَا إِلَىٰ إِيقَاعِ بِدَايَةِ الْأَبْيَاتِ فَسَوْفَ نُلَاحِظُ أَنَّهَا بَدَأَتْ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ فَقَطْ هُوَ «الْوَاوُ» مِمَّا يَجْعَلُ إِيقَاعَ الْبِدَايَةِ مُتَشَابِهًا رَتِيبًا فِي شَكْلٍ وَاحِدٍ ، مُتَوَازِيًا مَعَ إِيقَاعِ النِّهَايَةِ ذِي الشَّكْلِ الْوَاحِدِ أَيْضًا.

هَذَا الْإِيقَاعُ الرَّتِيبُ كَانَ فِعْلُهُ فِعْلَ المُوسِيقَىٰ التَّصْوِيرِيَّةِ فِي المَشْهَدِ المَرْئِيِّ، حَيْثُ قَامَ بِعَمَلِ خَلْفِيَّةٍ صَوْتِيَّةٍ مُتَحَرِّكَةٍ لِمَشْهَدِ الخَرِيفِ وَمَا يُلْقِيهِ فِي النَّفْسِ مِنْ إِحْسَاسٍ بِالْكَآبَةِ وَفَقْدٍ لِمَبَاهِجِ الحَيَاةِ، يَتَّضِحُ ذَلِكَ أَكْثَرَ فِي المَقْطَعِ التَّالِي مِنَ الْقَصِيدَةِ نَفْسِهَا ، يَقُولُ :

وَسَـرَىٰ الْـيَـأْسُ وَالْـخُـمُـولُ إِلَيْهِ ... فَـتَرَاخَـىٰ فِي سَـيْرِهِ كَـالْبَلِيدِ

وَتَـمَـشَّىٰ الْـهُـمُـودُ فِي كُـلِّ شَيْءٍ ... مِـشْـيَةَ الـدَّاءِ بِـالْأَسَىٰ وَالْكُنُودِ

فَـإِذَا الـدَّوْحُ فِـي وُجُـومٍ كَئِيبٍ ... وَإِذَا الـطَّـيْرُ فِي ذُهُـولٍ شَرِيدِ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 69.

وَإِذَا الــزَّهْــرُ فِي الــرِّيَـاضِ أَسِيفٌ | كَـصِـغَـارِ الْأَيْتَامِ فِي يَوْمِ عِيدِ
وَإِذَا بِـالــزَّمَــانِ يَـعْـطُو كَسِيحًا | كَـأَسِــيرٍ يُـسَـاقُ نِضْوَ الْقُيُودِ

يَرْصُدُ إِيقَاعُ المقْطَعِ السَّابِقِ المشَاهِدَ الَّتِي أَحْدَثَهَا الخَرِيفُ فِي الْكَوْنِ، الَّـذِي بَـدَا يَائِسًـا بَلِيـدًا، فَقَـدْ أَلْقَتِ المقَاطِعُ الصَّوْتِيَّةُ الطَّوِيلَةُ فِي كَلِمَاتٍ مِثْلِ:(خُمُول ـ تَرَاخَىٰ ـ بَلِيد ـ هُمُود ـ كُنُـود ـ كَئِيـب ـ ذُهُـول ـ شَرِيد ـ أَسِيف ـ عِيد ـ أَسِير ـ قُيُود) رَتَابَـةً إِيقَاعِيَّـةً عَـلَىٰ الصُّـورَةِ الشِّـعْرِيَّةِ فَمَسَـحَتْهَا بِمَسْـحَةٍ مِـنَ الحُـزْنِ وَالْكَآبَةِ بَدَتْ فِيهَا الْأَشْجَارُ وَاجِمَةً كَئِيبَةً، وَالطَّيْرُ ذَاهِلًا شَرِيدًا ، وَالزُّهُورُ أَطْفَالًا يَتَامَىٰ فِي يَوْمِ عِيـدٍ وَالزَّمَـانُ كَسِيحًا مُجْهَدًا فِي قُيُودِهِ.

(6/3) الإِيقَاعُ فِي وَزْنِ الطَّوِيلِ :

يَذْكُرُ الخَطِيبُ فِي تَقْدِيمِهِ لِوَزْنِ الطَّوِيلِ أَنَّهُ سُمِّيَ طَوِيلًا لِسَبَبَيْنِ ؛«أَحَـدُهُمَا:أَنَّـهُ أَطْـوَلُ الشِّـعْرِ؛لِأَنَّهُ لَا يُوجَدُ فِي الشِّعْرِ مَا يَبْلُغُ عَدَدُ حُرُوفِهِ ثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِـينَ حَرْفًـا غَـيْرُهُ، وَالثَّـانِي:أَنَّ الطَّوِيـلَ يَقَـعُ فِي أَوَائِـلِ أَبْيَاتِـهِ الْأَوْتَادُ، وَالْأَسْبَابُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَالْوَتَدُ أَطْوَلُ مِنَ السَّـبَبِ فَسُـمِّيَ طَـوِيلًا ».[1]وَفِي هَـذَا التَّقْـدِيمِ لمْحَـةٌ سَرِيعَـةٌ لِلدَّوْرِ الَّذِي يُؤَدِّيهِ الْوَتَدُ المجْمُوعُ فِي تَحْدِيدِ إِيقَاعِ التَّفْعِيلَةِ.وَبِالنَّظَرِ إِلَىٰ الْبِنْيَةِ المقْطَعِيَّةِ لِوَزْنِ الطَّوِيـلِ نَجِـدُ أَنَّهُ مُكَوَّنٌ 28 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا، مِنْهَا 20 مَقْطَعًا صَوْتِيًّا طَوِيلًا فِي مُقَابِلِ 8 مَقَاطِعَ قَصِـيرَةٍ، وَهَـذَا يَجْعَـلُ مِـنْ إِيقَاعِهِ إِيقَاعًا بَطِيئًا يَتَمَثَّلُ فِي كَثْرَةِ المقَاطِعِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي تَسْتَغْرِقُ زَمَنًا أَطْوَلَ فِي النُّطْقِ بِهَا.وَعَلَيْـهِ فَـإِنَّ وَزْنَ الطَّوِيلِ وَزْنٌ بَطِيءٌ يَحْتَلُّ المرْتَبَةَ الرَّابِعَةَ فِي جَدْوَلِ تَرْتِيبِ السُّرْعَةِ الْفَرْضِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ بِنِسْـبَةِ1.29وَمِـنْ نَاحِيَـةٍ أُخْرَىٰ يُمَثِّلُ وُجُودُ الْوَتَدِ المجْمُوعِ فِي بِدَايَـةِ «فَعُـولُنْ»و«مَفَـاعِيلُنْ» صُـعُودًا أَقَـلَّ لِلْإِيقَـاعِ، فَالطَّوِيـلُ يَـأْتِي فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ صُعُودًا لِلْإِيقَاعِ بَعْدَ الْأَوْزَانِ الَّتِـي تَنْتَهِـي تَفْعِيلَاتُهَـا بِالْوَتَـدِ المجْمُـوعِ وَالْأَوْزَانِ الَّتِـي يَتَوَسَّـطُ تَفْعِيلَاتُهَا الْوَتَدُ المجْمُوعُ .

فِي قَصِيدَةِ «نَاحِتُ الصَّخْرِ» نَرْصُدُ دَوْرَ الْإِيقَاعِ الصَّوْتِيِّ فِي صُنْعِ الدِّلَالَةِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي نَرَاهُ فِي التَّحْلِيلِ التَّالِي لِلنَّصِّ ، يَقُولُ :

لِـمَـنْ طَـرْقَةٌ خَرْسَاءُ صَمَّاءُ تُعْوَلُ | أَقَضَّ بِهَـا الـنُّوَامَ فِي الْـفَجْرِ مِعْوَلُ؟
لِـذَلِـكُمُ الصَّـخَّارُ يَحْـطِمُ صَخْرَهُ | وَلَــمَّا يَــزَلْ لِلَّيْلِ فِي الصُّبْحِ مَدْخَلُ

---

(1) الخطيب التبريزي : كتاب الكافي في العروض والقوافي ، ص 22 .

أَكَــبَّ عَــلَىٰ تَحْـطِيمِهِ وَانْتِحَاتِهِ	كَـرَاجٍ لَــهُ فِي ذَلِكَ الــصَّلْدِ مَأْمَلُ
يُـطَوِّحُ فِي عُـرْضِ الْفَضَـاءِ ذِرَاعَهُ	وَيَهْوَىٰ عَلَىٰ الصَّمَاءِ كَالْـخَطْبِ يَنْزِلُ
يَــدُورُ حَـوَالَيْــهَا لِيُـدْرِكَ مَـقْتَلَا	وَهَيْــهَاتَ فِي الصُّلْدِ الْأَصَمَّاءِ مَقْتَلُ
وَيَغْـمِــزُهَا غَـمْزَ الْـخَبِيرِ وَيَنْثَنِي	يُـحَاوِلُ مَــا أَعْيَـاهُ ، لَا يَـتَحَوَّلُ
وَقَـدْ جَاشَ فِي أَعْضَائِهِ كُلُّ نَابِضٍ	وَسَــالَ دَمٌ فِي صُــورَةِ الْــمَاءِ يَهْطِلُ
وَحِــينَ تَــوَالَتْ طَرْقَةٌ بَعْدَ طَرْقَةٍ	تَـفَـتَّتَ تَحْتَ الْعَزْمِ مَا كَانَ يَصْـمَلُ
فَــأَرْخَـىٰ ذِرَاعَيْهِ ، وَأَسْنَدَ جِسْمَهُ	إِلَىٰ مِـعْـوَلٍ نَـضَّــاهُ لِلْكَدْحِ مِـعْوَلُ
تَسِيــلُ جُـهُــودٌ أَوْ دِمَــاءٌ نَـقِـيَّةٌ	لِيُنْــصَبَ تِـمْــثَالٌ وَيُــرْفَعُ مَـنْزِلُ
وَمَا نُصِبَ التِّمْثَالُ لِلْكَادِحِ الشَّقِيِّ	وَلَيْــسَ لَــهُ فِي ذَلِكَ الْقَـصْرُ مَوْئِلُ
وَلَــكِنْ قُصَــارَاهُ شَــرَابٌ وَلُقْمَةٌ	وَمَــأْمَلُهُ فِي ذَلِــكَ الصَّــلْدِ مَـأْكَلُ
قِفَــارٌ كَـمِثْلِ الصَّخْرِ أَسْوَدَ كَالِحٍ	وَأَفْــرَاخُـــهُ كُـثْرٌ ؛ وَأُنْثَاهُ مُـطْفِلُ
فَــإِنْ كَــانَ إِكْلِــيلٌ فَـهَـٰذَا جَبِينُهُ	وَإِنْ كَــانَ تِـــمْثَالٌ فَهَـٰذَا الْـمُمَثَّلُ
وَيَا رَحْمَةَ الْإِنْسَانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي	أَمَـامَ بَنِي الْإِنْسَانِ إِنْ كَانَ يَخْجَلُ[1]

يُقَدِّمُ النَّصُّ وَصْفًا خَارِجِيًّا وَدَاخِلِيًّا لِعَامِلِ الْفَاعِلِ أَوْ نَاحِتِ الصَّخْرِ، وَقَدْ رَصَدَ الْإِيقَاعُ ذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ رَصْدًا دَقِيقًا؛إِذْ إِنَّ هَذَا النَّصَّ تَشَكَّلَ مِنْ مَجْمُوعَةِ حُرُوفٍ تَحْتَاجُ إِلَىٰ جُهْدٍ عَضَلِيٍّ حِينَ النُّطقِ بِهَا[2] وَهَـذَا هُـوَ المُعَـادِلُ الصَّوْتِيُّ لِلْجُهْدِ الَّذِي يَبْذُلُه نَاحِتُ الصَّخْرِ فِي عَمَلِهِ، وَقَدْ تَوَزَّعَتْ هَذِهِ الحُرُوفُ عَلَىٰ أَرْبَعِ مَجْمُوعَاتٍ هِيَ :

ـ مَجْمُوعَةُ حُرُوفِ الْإِطْبَاقِ: الطَّاءِ (7 مَرَّاتٍ) ، وَالصَّادُ (24 مَرَّةً) ، وَالضَّادُ (7 مَرَّاتٍ) .

ـ مَجْمُوعَةُ حرُوفِ الحَلْقِ: الهَمْزَةُ (23 مَرَّةً)، وَالهَاءُ (23 مَرَّةً) ، وَالْعَيْنُ (15 مَـرَّةً)، وَالحَـاءُ (11 مَـرَّةً) ، وَالخَاءُ (13 مَرَّةً) .

ـ مَجْمُوعَةُ حُرُوفِ أَقْصَىٰ الحَلْقِ : الْقَافُ (10 مَرَّاتٍ) ، وَالْكَافُ (20 مَرَّةً) .

ـ مَجْمُوعَةُ وَسْطِ اللِّسَانِ : الجِيمُ (8 مَرَّاتٍ)، وَالشِّينُ (3 مَرَّاتٍ) .

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 232 ، 233 .

(2) انظر : د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 33 .

وَقَدْ عَمِلَ الْإِيقَاعُ عَلَىٰ تَنْظِيمِ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ جُهْدٍ عَضَلِيٍّ تَنْظِيمًا بَارِعًا، وَجَعَلَهَا تَظْهَرُ فِي تَتَابُعٍ صَوْتِيٍّ مَثَّلَ بِصُورَةٍ نَاجِحَةٍ وَقْعَ الطَّرْقَاتِ الَّتِي يَطْرُقُهَا نَاحِتُ الصَّخْرِ، بَلْ إِنَّ النَّصَّ يُعَدُّ مُنْتَجًا صَوْتِيًّا عَلَىٰ وَقْعِ ضَرَبَاتِ مِعْوَلِ الْعَامِلِ عَلَىٰ الصَّخْرَةِ، وَلِنَنْظُرْ إِلَىٰ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، الَّذِي يُعَدُّ الدَّفْقَةَ الصَّوْتِيَّةَ الْأُولَىٰ لِمَجْمُوعَةِ طَرْقَاتِ الْعَامِلِ سَنَجِدُ أَنَّ كُلَّ تَفْعِيلَةٍ مِنْ تَفْعِيلَاتِهِ طَرْقَةً صَوْتِيَةً عَالِيَةً :

ـ «لِـمَنْ طَرْ» =(//٥/٥) ، يَقِفُ حَرْفُ الطَّاءِ صَوْتًا أَسَاسِيًّا لِلطَّرْقَاتِ، وَهُوَ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ يَظْهَرُ عَلَىٰ هَيْئَةِ فَرْقَعَةٍ صَوْتِيَّةٍ عَلَىٰ الإِسْبِكْتْرُوجِرَاف، وَيَتَرَاوَحُ مَدَىٰ هَذِهِ الْفَرْقَعَةِ بَيْنَ 20 ـ 30 م/ث.[1]

ـ «قَةٌ خَرْسَا» =(//٥/٥/٥) ، يُمَثِّلُ حَرْفُ الْقَافِ الْعُنْصُرَ الصَّوْتِيَّ الثَّانِي فِي صَوْتِ الطَّرْقَاتِ؛ إِذْ إِنَّنَا نَسْتَمِعُ إِلَىٰ الطَّرْقَةِ بِهَذَا الصَّوْتِ (طَقْ .. طَقْ .. طَقْ) فَالطَّاءُ وَالْقَافُ صَوْتَانِ أَسَاسِيَّانِ لِصَوْتِ الطَّرْقِ، وَصَوْتُ الْقَافِ يَظْهَرُ عَلَىٰ جِهَازِ التَّحْلِيلِ عَلَىٰ شَكْلِ فَرْقَةٍ قَوِيَّةٍ تَرْتَفِعُ إِلَىٰ دَرْجَةِ 3000 د/ث ، وَبِهَذَا يَرْتَفِعُ إِيقَاعُ صَوْتِ الطَّرْقَاتِ مِنْ طَرْقَةٍ إِلَىٰ أُخْرَىٰ.وَهَذِهِ الْفَرْقَعَةُ الصَّوْتِيَّةُ مَعَ سَابِقَتِهَا هِيَ الَّتِي دَعَتْ إِلَىٰ قَوْلِ الشَّاعِرِ فِي عَجُزِ الْبَيْتِ : «أَقَضَّ بِهَا النُّوَامَ فِي الْفَجْرِ» .

ـ «ءَ صَمَّا» = (//٥/٥) فِي هَذِهِ التَّفْعِيلَةِ يَأْتِي صَوْتُ الهمْزَةِ ، وَهُوَ صَوْتٌ يَظْهَرُ عَلَىٰ جِهَازِ التَّحْلِيلِ عَلَىٰ هَيْئَةِ فَرْقَعَةٍ يَتْلُوهَا ضَجَّةٌ ضَعِيفَةٌ، لَكِنَّ الْبَدِيعَ فِي الْأَمْرِ أَنَّ الْإِيقَاعَ يَنْظُمُ مَجِيءَ صَوْتِ الهَمْزَةِ فِي التَّفْعِيلَةِ التَّالِيَةِ؛إِذْ يَأْتِي فِي أَوَّلِها أَيْضًا «ءَ تُعْولُ» = (//٥/٥) وَلَعَلَّ هَذَا التَّنْظِيمَ الْإِيقَاعِيَّ يُمَثِّلُ تَنْظِيمَ وَقْعِ ضَرَبَاتِ المِعْوَلِ عَلَىٰ الصَّخْرِ وَفِي تَتَابُعٍ مُسْتَمِرٍّ مِنْ قِبَلِ الْعَامِلِ، وَالَّذِي رَأَىٰ مِنَّا عَامِلًا فِي مِثْلِ هَذِهِ الصُّورَةِ يَجِدُ أَنَّ تَطْوِيحَ الذِّرَاعِ فِي الهَوَاءِ وَعَوْدَتَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ لِلدَّقِّ يَسِيرُ بِإِيقَاعٍ مُنْتَظِمٍ.وَهَذَا مَا نَرَاهُ أَيْضًا فِي انْتِظَامِ إِيقَاعِ صَوْتِ الهمْزَةِ فِي بِدَايَةِ التَّفْعِيلَةِ التَّالِيَةِ وَالَّتِي تَأْخُذُ شَكْلَ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ «أَقَضَّ» =(//٥/٥) فَقَدْ جَاءَتِ الهمْزَةُ أَيْضًا فِي بِدَايَةِ التَّفْعِيلَةِ بِنَفْسِ الْإِيقَاعِ المُنْتَظِمِ لِلطَّرْقَاتِ مِنَ الْعَامِلِ، بَلْ إِنَّنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَنْتِجَ مَدَىٰ ارْتِفَاعِ صَوْتِ الطَّرْقَةِ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ مَوَاقِعَ قُوَّةِ صَوْتِ الهمْزَةِ تَظْهَرُ مَا بَيْنَ 2000 ـ 2600 د

---

(1) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 72 ، 73 .

/ث [1] مَعْنَىٰ ذَلِكَ أَنَّ هذَا الْإِيقَاعَ الْمُنْتَظِمَ لِصَوْتِ الهمْزَةِ يُمَثِّلُ طَرْقَاتٍ عَالِيَةَ الصَّوْتِ مِنْ مِعْوَلِ الْعَامِلِ، تِلْكَ الطَّرْقَاتُ الَّتِي أَيْقَظَتِ النَّاسَ فِي وَقْتِ الْفَجرِ، وَأَيْقَظَتْ إِحْسَاسَ الشَّاعِرِ فِي أَنْ يُقَدِّمَ فِيهِ وَصْفًا دَقِيقًا لِهَذَا الْعَامِلِ الْمُهَمَّشِ فِي الحَيَاةِ .

وَعَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ إِذَا نَظَرْنَا فِي الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ فِي النَّصِّ فَسَوْفَ نَجِدُ حَرْفًا مِنَ الحُرُوفِ الَّتِي تَحْتَاجُ جُهْدًا عَضَلِيًّا حِينَ النُّطْقِ بِهَا، وَبِالتَّحْلِيلِ الصَّوْتِيِّ لِكُلِّ صَوْتٍ فَسَيَظْهَرُ أَنَّ السِّمَةَ الْأَسَاسِيَّةَ لَهُ حُدُوثُ ضَجَّةٍ عَشْوَائِيَّةٍ أَوْ فَرْقَعَةٍ عِنْدَ النُّطْقِ بِهِ وَذَلِكَ فِي تَرْتِيبٍ إِيقَاعِيٍّ يَجْعَلُنَا نَتَمَثَّلُ إِيقَاعَ الطَّرْقَاتِ فِي الحَقِيقَةِ .

وَإِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَىٰ المشْهَدِ مِنْ قَرِيبٍ سَنَجِدُ أَنَّ الْإِيقَاعَ الصَّوْتِيَّ يُقَدِّمُ لَنَا مُعَانَاةَ هَذَا الْعَامِلِ فِي الحَيَاةِ، وَقَدِ انْتَظَمَ هَذَا الْإِيقَاعُ فِي صَوْتِ الشِّينِ الَّذِي هُوَ أَيْضًا يَظْهَرُ بِصُورَةِ ضَجَّةٍ عَشْوَائِيَّةٍ وَهُوَ حَرْفٌ يُمَثِّلُ التَّفَشِّيَ وَالانْتِشَارَ الصَّوْتِيَّيْنِ ، نَرْصُدُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ :

وَقَدْ جَاشَ فِي أَعْضَائِهِ كُلُّ نَابِضٍ   وَسَالَ دَمٌ فِي صُورَةِ الْـمَاءِ يَهْطِلُ

فِي هَذَا الْبَيْتِ يُمَثِّلُ صَوْتُ الشِّينِ الْقُوَّةَ الجَسَدِيَّةَ لِلْعَامِلِ وَقَدْ نَفَرَتْ كُلُّ عُرُوقِهِ، وَسَالَ الْعَرَقُ مِنْهُ وَهُوَ فِي الحَقِيقَةِ دَمٌ يَبْذُلُهُ فِي سَبِيلِ الْعَيْشِ الْكَرِيمِ مِنَ الرِّزْقِ الحَلَالِ، وَهُنَا تَظْهَرُ دَلَالَةَ صَوْتِ الشِّينِ مِنْ حَيْثُ تَفَشِّي الْقُوَّةِ وَانْتِشَارِهَا فِي جَسَدِ الْعَامِلِ .

وَمَا نُصِبَ التِّمْثَالُ لِلْكَادِحِ الشَّقِيّ   وَلَيْسَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْقَصْرُ مَوْئِلُ

فِي هَذَا الْبَيْتِ يُمَثِّلُ صَوْتُ الشِّينِ مُعَانَاةً حَيَاتِيَّةً انْتَشَرَ فِيهَا الْفَقْرُ وَتَفَشَّىٰ فِيهَا الشَّقَاءُ فَهُوَ يَتْعَبُ وَيَكِدُّ فِي الحَيَاةِ وَلَا يُقَامُ لَهُ تِمْثَالٌ وَلَا يَسْكُنُ فِي قَصْرٍ بَلْ غَايَةُ أَمَلِهِ كَمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ :

.... شَرَابٌ وَلُقْمَةٌ   وَمَأْمَلُهُ فِي ذَلِكَ الصَّلْدِ مَأْكَلُ

إِنَّ أَقْصَىٰ غَايَتِهِ فِي هذِهِ الحَيَاةِ الخَشِنَةِ لُقْمَةٌ لَهُ وَلِأَبْنَائِهِ يُقِيمُ بِهَا عُودَهُ اسْتِعْدَادًا لِيَوْمٍ آخَرَ مِنَ الشَّقَاءِ وَالْكَدِّ وَالْكَدْحِ .

إِنَّ انْتِظَامَ الْإِيقَاعِ لِصَوْتِ الشِّينِ رَصَدَ عَنْ كَثَبٍ مُعَانَاةً دَاخِلِيَّةً لِهذَا الْعَامِلِ، فَهُوَ الْكَادِحُ رَبُّ الْأُسْرَةِ ، صَاحِبُ الْعِيَالِ وَالزَّوْجَةِ الَّتِي مَازَالَتْ تُرْضِعُ أَصْغَرَ الْأَبْنَاءِ !!

---

(1) السابق ، ص 95 .

وَظَّفَ «قُطْب» إِيقَاعَ وَزْنِ الطَّوِيلِ تَوْظِيفًا فَنِّيًّا مُسْتَفِيدًا مِنْ مِقْدَارِ مَا يُتِيحُهُ الْوَزْنُ مِنْ مَقَاطِعَ صَوْتِيَّةٍ طَوِيلَةٍ، حَيْثُ احْتَوَىٰ الْإِيقَاعُ الطَّوِيلُ بِبُطْئِهِ النِّسْبِيِّ التَّجَارِبَ الَّتِي يَبْدُو فِيهَا الجُهْدُ النَّفْسِيُّ وَالصِّرَاعُ الفِكْرِيُّ أَكْثَرَ، فَإِذَا كَانَ الْإِيقَاعِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ قَدْ جَسَّدَ بِنَجَاحٍ الجُهْدَ الْعَضَلِيَّ الحَرَكِيَّ، فَإِنَّهُ أَيْضًا مَثَّلَ تَجَارِبَ الجُهْدِ النَّفْسِيِّ وَالصِّرَاعِ الْفِكْرِيِّ، الَّتِي هِيَ فِي جَوْهَرِهَا مُحَاوَلَاتٌ لِلارْتِقَاءِ بِالنَّفْسِ وَتَخْلِيصِهَا مِنْ كُلِّ دَنَايَا الْعَالَمِ، يَشِي مَا يُقَدِّمُ إِيقَاعُ الطَّوِيلِ فِي مِثْلِ هَذِهِ النُّصُوصِ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ حَالَاتِ الْوَجْدِ الصُّوفِي الَّتِي يَسْعَىٰ فِيهَا المُرِيدُ إِلَىٰ التَّخَلُّصِ مِنْ كُلِّ مَظَاهِرِ عَالَمِ المَادَّةِ سَعْيًا وَرَاءَ عَالَمِ الرُّوحِ ، عَالَمٍ تَتَكَشَّفُ فِيهِ مَبَاهِجُ النُّورِ السَّرْمَدِيِّ، تَمَثَّلَ هَذَا فِي إِيقَاعِ الطَّوِيلِ بِطُولِ نَفَسِهِ المُتَمَثِّلِ فِي طُولِ مَقَاطِعِهِ، وَقَدِ انْتَظَمَ هَذَا الْإِيقَاعُ فِي عَشْرِ قَصَائِدَ مِنْ أَعْمَالِ الشَّاعِرِ بِمجموع 282 بَيْتًا، وَسَنَرْصُدُ فِيمَا يَلِي حَرَكَةَ الْإِيقَاعِ فِي بَعْضِ هَذِهِ الْقَصَائِدِ[1] وَهُوَ كَمَا أَشَرْنَا إِيقَاعُ الجُهْدِ النَّفْسِيِّ وَالصِّرَاعِ الْفِكْرِيِّ لِلارْتِقَاءِ بِالذَّاتِ إِلَىٰ عَالَمِ الرُّوحِ.فَفِي قَصِيدَةِ «النَّفْسُ الضَّائِعَةُ» يَقُولُ :

أَئِـنِّي أَنَـا ؟ أَمْ ذَاكَ رَمْـزٌ لِـغَابِرِ	لَأَنْكَرْتُ مِنْ نَفْسِي أَخَصَّ مَشَاعِرِي
لَأَنْكَرْتُ إِحْسَاسِي وَأَنْكَرْتُ مَنْزَعِي	وَأَنْـكَـرْتُ آمَـالِي وَشَتَّىٰ خَوَاطِرِي
وَأَنْـكَرْتُ شِعْرِي وَهْوَ نَفْسٌ بَرِيئَةٌ	مُـمَحَّـصَةٌ مِنْ كُـلِّ خَلْطٍ مُخَامِـرِ[2]

تُمَثِّلُ تَفْعِيلَةُ «أَنْكَرْتُ» مَجْهُودًا نَفْسِيًّا شَاقًّا، يُحَاوِلُ فِيهِ الشَّاعِرُ أَنْ يَخْلَعَ مَا بِهِ مِنْ نَفْسٍ خَبِيثَةٍ سَعْيًا إِلَىٰ تَطْهِيرِهَا مِنْ كُلِّ مَأْثَمٍ، وَيُعْطِي إِيقَاعُ صَوْتِ الْكَافِ جُهْدًا صَوْتِيًّا تِكْرَارِيًّا؛إِذْ إِنَّهُ صَوْتٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ جُهْدٍ حِينَ النُّطْقِ بِهَا، كَمَا أَنَّ النُّطْقَ بِهِ يَظْهَرُ عَلَىٰ هَيْئَةِ فَرْقَعَةٍ وَضَجَّةٍ عَشْوَائِيَّةٍ،[3] وَإِذَا وَضَعْنَا مَا فِي ذَلِكَ الصَّوْتِ مِنْ حَقِيقَةٍ بِجِوَارِ تَكْرَارِهِ فِي تَفْعِيلَةِ «أَنْكَرْتُ» تَأَكَّدَ لَنَا مَا يُعَانِيهِ مِنْ جُهْدٍ نَفْسِيٍّ مِنْ إِنْكَارِ ذَاتِهِ وَمَشَاعِرِهِ وَآمَالِهِ وَشَتَّىٰ

(1) القصائد العشر هي : «النفس الضائعة» (ص 51)، «الإنسان الأخير» (ص 117) ، «الشاطئ المجهول» (ص 120) ، «الشاعر في وادي الموتى» (ص 122) ، «التجارب» (ص 127) ، «خبيئة نفسي» (ص 130) ، «القطيع» (ص 133) ، «علىٰ القمة» (ص 136) ، « صوت » (ص 155) ، «أحبك» (ص 128) .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 51 .

(3) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 54 .

خَوَاطِرِهِ ، زِدْ عَلَىٰ ذَلِكَ مِقْدَارَ المَقَاطِعِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَىٰ نَفَسٍ أَطْوَلَ وَهُوَ يَخْرُجُ فِي صُورَةِ زَفَرَاتٍ تَعْكِسُ الحَالَةَ النَّفْسِيَّةَ الَّتِي عَلَيْهَا .وَفِي نَفْسِ السِّيَاقِ تَأْتِي قَصِيدَةُ «الْإِنْسَانُ الْأَخِيرُ» الَّتِي يَبْدَأُهَا بِاسْتِعْرَاضِ مَبَاهِجِ الدُّنْيَا بِقَوْلِهِ :

صَحَا حِينَ يَوْمٍ حِينَ تَصْحُو الْبَوَاكِرُ — وَتَسْتَيْقِظُ الدُّنْيَا وَتَجْلُو الدَّيَاجِرُ

وَيُشْرِقُ وَجْهُ الصُّبْحِ فِي غَمْرَةِ الدُّجَىٰ — كَمَا تُشْرِقُ الْآمَالُ وَالْيَأْسُ غَامِرُ

وَحِينَ يَعِجُّ الْكَوْنُ بِالصَّوْتِ وَالصَّدَىٰ — وَبِالْكَدْحِ تُزْجِيهِ المُنَىٰ وَالخَوَاطِرُ[1]

فَالمقْطَعُ يُبَيِّنُ مَسْرَحَ الْأَحْدَاثِ بِمَا بِهَا مِنْ إِيقَاعِ الحَيَاةِ الْعَادِيَّةِ، الاسْتِيْقَاظُ مَعَ الطَّيْرِ، وَإِشْرَاقَةُ الصُّبْحِ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، امْتِلَاءُ الْكَوْنِ بِأَصْوَاتِ الْبَشَرِ الَّتِي تَسْعَىٰ لاكْتِسَابِ الرِّزْقِ، وَقَدْ غَلَّفَ هَذَا الْإِيقَاعَ الرَّتِيبَ تَكْرَارُ صَوْتِ الصَّادِ خَمْسَ مَرَّاتٍ وَهُوَ أَحَدُ الحُرُوفِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ مَجْهُودًا عَضَلِيًّا حِينَ النُّطْقِ، وَالَّذِي يَظْهَرُ عَلَىٰ جِهَازِ التَّحْلِيلِ الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ هَيْئَةِ ضَجَّةٍ عَشْوَائِيَّةٍ[2] تُنَاسِبُ إِلَىٰ حَدٍّ كَبِيرٍ الضَّجَّةَ الْعَشْوَائِيَّةَ فِي إِيقَاعِ الشَّارِعِ المُمْتَلِئِ بِالصَّوْتِ وَالصَّدَىٰ لِلْكَدْحِ فِي سُبُلِ الحَيَاةِ .وَلَكِنَّهُ يَبْتَعِدُ عَنْ هَذَا المشْهَدِ بِضَجِيجِهِ، وَيَتَّجِهُ إِلَىٰ عَالَمِهِ النُّورَانِيِّ فِي إِيقَاعِ الصِّرَاعِ مَعَ النَّفْسِ، يَقُولُ :

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْفَ بِالْكَوْنِ نَأْمَةً — تَنُمُّ عَلَىٰ حَيٍّ ، وَلَمْ يَهْفُ خَاطِرُ

فَفِي نَفْسِهِ مَا يُشْبِهُ الْمَوْتَ سَكْرَةً — وَمِنْ حَوْلِهِ مَوْتٌ نَمَتْهُ الْمَقَابِرُ

جَلَالٌ كَأَنَّ الله أَطْلَعَ وَجْهَهُ — عَلَيْهِ فَقَرَّتْ فِي النُّفُوسِ الضَّمَائِرُ

وَصَمْتٌ فَمَا فِي الْكَوْنِ صَوْتٌ وَلَا صَدَىٰ — وَلَا خَفْقَةٌ يُحْيِي بِهَا الْكَوْنَ شَاعِرُ

لَعَلَّ وَرَاءَ الْكَوْنِ مِفْتَاحَ لُغْزِهِ — وَطَلْسَمَ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ السَّرَائِرُ

وَمَا هِيَ إِلَّا وَمْضَةٌ تَكْشِفُ الدُّجَىٰ — وَيُخْلَعُ هَذَا الجِسْمُ وَالجِسْمُ جَائِرُ[3]

يَصِلُ الشَّاعِرُ بَعْدَ جُهْدٍ نَفْسِيٍّ وَفِكْرِيٍّ إِلَىٰ لحَظْةِ الجَلَالِ الَّتِي تَتَكَشَّفُ فِيهَا وَمْضَةُ الدُّجَىٰ

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 51 .

(2) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 76 .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 51 .

بَعْدَ انْعِزَالِهِ عَنِ المشْهَدِ الحَيَاتِيِّ ، وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَـةِ يَخِـفُّ الجِسْـمُ ، وَيَنْخَلِـعُ عَـنْ عَالَمِـهِ الْأَرْضِيِّ رَغْبَـةً فِي السُّمُوِّ وَالنَّقَاءِ ، يَقُولُ :

وَخَلَّفَ هَـٰذَا الْـجِسْمَ لِلْمَوْتِ وَالْبِلَىٰ وَأَشْرَقَ رُوحًا حَيْثُ تَصْفُو الْبَصَائِرُ

إِنَّ إِيقَاعَ الطَّوِيلِ فِي ذَيْنِ المقْطَعَيْنِ يُمَثِّلُ نَوْعًا مِنْ مُوسِـيقَىٰ الْوَجْـدِ الصُّـوفِيِّ الَّتِـي تَهْتَـزُّ مَعَهَـا دَقَّـاتُ الْقَلْبِ نَشْوَةً وَفَرْحَةً بِلَحْظَةِ المُكَاشَفَةِ، وَمَعَهَا يَتَحَلَّلُ الجِسْمُ وَيَهِيمُ فِي عَـوَالِمِ النُّـورِ الْبَهِـيِّ وَسَـعَادَةِ الـرُّوحِ بِلِقَاءِ الحَبِيبِ .

فِي قَصِيدَةِ «الشَّاطِئُ المجْهُولُ» مِنْ نَفْسِ الْإِيقَاعِ يَرْصُدُ «قُطْـب» مَلَامِـحَ هَـذَا الْعَـالَمِ وَلَكِنَّـهُ وَصْـفٌ هَائِمٌ يَنِدُّ عَنِ التَّحْدِيدِ؛لِأَنَّهُ «كُلَّمَا اتَّسَعَتِ الرُّؤْيَةُ ضَاقَتِ الْعِبَارَةُ » عَلَىٰ حَدِّ قَوْلِ النِّفَّـرِيِّ، لَقَـدْ خَلَـعَ قُيُـودَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَانْطَلَقَ إِلَىٰ حَيْثُ لَا حَيْثُ، يَقُولُ :

إِلَىٰ حَـيْثُ لَا تَدْرِي إِلَىٰ حَيْثُ لَا تَرَىٰ مَـعَـالِـمَ لِلْأَزْمَانِ وَالْـكَوْنِ تُـسْتَقْرَا
إِلَىٰ حَـيْــثُ لَا «حَيْثُ» تَمِيزُ حُـدُودَهُ إِلَىٰ حَيْثُ تَنْسَىٰ النَّاسَ وَالْكَوْنَ وَالدَّهْرَا
وَتَشْعُرُ أَنَّ «الجُزْءَ» وَ«الْكُلُّ» وَاحِـدٌ وَتَــمْزِجُ فِي الْـحِسِّ الْبَدَاهَةَ وَالْفِكْرَا
فَلَيْسَ هُنَا«أَمْسِ»وَلَـيْسَ هُنَا «غَدُ» وَلَا «الْيَوْمُ» فَالْأَزْمَانُ كَالحَلْقَةِ الْكُبْرَىٰ
فَـلَـيْسَ هُنَا «غَيْرٌ» وَلَيْسَ هُنَا «أَنَا» هُنَا الْوَحْدَةُ الْكُبْرَىٰ الَّتِي احْتَجَبَتْ سِرًّا
خَـلَعْـتُ قُيُــودِي وَانْطَلَقْتُ مُحَـلِّقًا وَبِي نَـشْـوَةُ الْـجَبَّــارِ يَـسْتَلْهِمُ الـظَّفْرَا
أُهَـــوِّمُ فِي هَـٰذَا الْـخُلُـودِ وَأَرْتَـقِي وَأَسْلُكُ فِي مَسْرَاهُ كَالـطَّيْـفِ إِذْ أَسْرَىٰ
وَأَكْشِــفُ فِيــهِ عَــالَـمًا بَعْدَ عَالَـمٍ عَـجَــائِبَ مَــازَالَـتْ مُمَنَّعَةً بِكْرَا[1]

وَفِي قَصِيدَةِ «الشَّاعِرُ فِي وَادِي الموْتَىٰ» رِحْلَةٌ لِاكْتِشَـافِ حَقِيقَـةِ الحَيَـاةِ فِي المقَـابِرِ ، وَهِـيَ تُمَثِّلُ مُعَانَاةً نَفْسِيَّةً عَارِمَةً لجَأَ فِيهَا الشَّـاعِرُ إِلَىٰ حِمَـىٰ المـوْتَىٰ بِشُـعُورٍ غَـامِضٍ، لَا يُبَـالِي وَحْشَـةَ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ فِي جُنْحِ اللَّيْلِ المُدْلَهِمِّ، وَسَارَ خُطْوَاتٍ فِي ذَلِكَ الْوَادِي؛ وَلَكِنَّهُ أَحَسَّ بِرَهْبَةٍ، وَشَعَرَ كَأَنَّ أَصْوَاتًا مِنْ وَرَاءِ الحَفَائِرِ تَتَنَاجَىٰ ، ثُمَّ تُوَجِّهُ الخِطَـابَ إِلَيْـهِ .وَقَـدْ أَحْـدَثَ الْإِيقَـاعُ فِي هَـذَا

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 120 ، 121 .

النَّصِّ مَا يُشْبِهُ المُوسِيقَىٰ الجَنَائِزِيَّةَ بِمَا تَتَمَيَّزُ بِـهِ مِـنْ إِيقَـاعِ « March »[1] المنْـتَظِمِ ، وَقَـدْ أَضْـفَىٰ«قُطْـب» تَنَوُّعًا نَغْمِيًّا عَلَىٰ الْإِيقَاعِ فِيمَا يُشْبِهُ بِإِشَارَةٍ صَوْتِيَّةٍ تَتَغَيَّرُ مَعَهَا المُوسِيقَىٰ التَّصْوِيرِيَّةُ لِكُلِّ صَوْتٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي نَادَتْهُ مِنْ وَرَاءِ الحَفَائِرِ ، يَقُولُ:

وَقَـالَ فَـتًىٰ مِـنْـهُـمْ حَدِيثُ قُدُومِهِ	بِـنَـغْـمَـةِ إِشْـفَـاقٍ وَنَـبْرَةِ سَـاخِـرِ
لَعَـلَّ الَّـذِي قَدْ دَبَّ فِي ذَلِكَ الحِمَىٰ	وَأَيْـقَـظَ فِي أَحْـشَـائِهِ كُـلَّ سَادِرِ
أَخُـو صَـبْوَةٍ يَهْـفُـو إِلَىٰ قَبْرِ مَيِّتٍ	لَـهُ عِـنْـدَهُ وَجْـدٌ وَتَحْنَـانُ ذَاكِرِ
وَقَـالَـتْ لَـهُمْ أُمٌّ وَفِي صَوْتِهَا أَسًىٰ	وَنَـبْرَةُ تَـحْـنَانٍ وَكِـتْـمَانُ صَابِرِ
أَلَا رُبَّـمَا كَـانَتْ ثَـكُولًا حَزِينَةً	عَـلَىٰ فَـلْذَةٍ مِـنْ قَلْبِهَا الْـمُتَنَاثِرِ
وَجَلْجَلَ صَـوْتُ الشَّيْخِ يَدْوِي كَأَنَّمَا	هُوَ الدَّهْرُ فِي صَوْتٍ مِنَ الرَّوْعِ ظَاهِرِ
مَـنِ الطَّارِقُ السَّارِي خِلَالَ الْـمَقَابِرِ	فَـأَقْـلَقَ مِـنَّا كُلَّ غَافٍ وَسَاهِرٍ[2]

فَقَدْ وَضَعَ الشَّاعِرُ الْإِشَارَةَ الصَّوْتِيَّةَ لِقَوْلِ الْفَتَىٰ حَدِيثِ الْقُدُومِ إِلَىٰ المَقَابِرِ بِقَوْلِه: «نَغْمَةِ إِشْفَاقٍ وَنَبْرَةِ سَاخِرٍ» هَذِهِ الْإِشَارَةُ الصَّوْتِيَّةُ تَجْعَلُنَا نَسْتَقْبِلُ جُمْلَةَ مَقُـولِ الْقَـوْلِ بِخَلْفِيَّـةٍ مُوسِـيقِيَّةٍ تَخْتَلِـفُ عَـنْ خَلْفِيَّـةِ المرْشِ الْبَطِيئَةِ المُجَلْجِلَةِ وَالَّتِي تَسِيرُ عَلَيْهَا الْأَبْيَاتُ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ، «نَغْمَةُ الْإِشْفَاقِ وَنَبْرَةُ السَّاخِرِ» الَّتِي تُمَيِّزُ صَوْتَ الْفَتَىٰ الشَّابِّ مُنَاسِبَةٌ لِسِنِّه فَهُوَ يَسْخَرُ مِنَ الشَّـاعِرِ الَّـذِي جَـاءَ إِلَىٰ هَـذَا المَكَانِ فِي وَقْـتٍ مِـنَ اللَّيْـلِ المُدْلَهِمِّ، فَهُوَ لَا يُقَدِّرُ رِحْلَةَ الشَّاعِرِ النَّفْسِـيَّةَ.وَإِذَا مَـا حَاوَلْنَـا تَمْثِيـلَ ذَلِـكَ النَّـوْعِ مِـنَ الخَلْفِيَّـاتِ المُوسِـيقِيَّةِ الْمصَاحِبَةِ لِلْمَشَاهِدِ فَإِنَّنَا نَتَمَثَّلُهُ فِي صَوْتِ «السُّوبْرَانُو»[3] الرَّفِيعُ الحَـادُّ المُنَاسِـبُ لحَالَـةِ الْـوَتَرَيْنِ الصَّـوْتِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونَانِ أَقَلَّ قِصَرًا وَأَقَلَّ ضَخَامَةً فِي سِنِّ الشَّبَابِ.[4]

أَمَّـا إِذَا مَـا أَتَيْنَـا لِصَـوْتِ الْأُمِّ فَسَـوْفَ نَجِـدُ الْإِشَـارَةَ الصَّـوْتِيَّةَ تُحَـدِّدُ الخَلْفِيَّـةَ المُوسِـيقِيَّةِ لجُمْلَةِ مَقُولِ الْقَوْلِ؛ فَفِي صَوْتِهَا أَسًىٰ وَنَبْرَةُ تَحْنَانٍ وَكِتْمَانُ صَـابِرٍ، فَهِـيَ أُمٌّ قَـدْ فَارَقَـتْ أَبْنَاءَهَـا، وَتَظُـنُّ أَنَّ

(1) انظر معجم الموسيقىٰ ، مجمع اللغة العربية ، ص 92.

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 124 ، 125 .

(3) انظر : معجم الموسيقىٰ ، مجمع اللغة العربية ، ص 140 .

(4) انظر : د إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 8.

الزَّائِرَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ أُمٌّ مِثْلُهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ صَوْتُ الْأَسَىٰ وَنَبْرَةُ التَّحْنَانِ وَكِتْمَانُ الْأَلَمِ فِيمَا يُشْبِهُ صَوْتَ النَّايِ الحَزِينِ حِينَمَا يُغَلِّفُ بِهِ المَشَاهِدَ المُؤْلِمَةَ.

وَإِذَا مَا أَتَيْنَا إِلَىٰ صَوْتِ الشَّيْخِ الْوَقُورِ فَسَوْفَ نَعُودُ لِلصَّوْتِ الرَّخِيمِ الَّذِي يَمْلَئُ فَرَاغَاتِ الْوَسْطِ السَّمْعِيِّ بِعُرَضِهِ وَطَلَاوَتِهِ وَامْتِلَائِهِ بِالحِكْمَةِ وَالخِبْرَةِ الحَيَاتِيَّةِ، وَهَذَا مَا نُلَاحِظُهُ فِي الْإِشَارَةِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي وَضَعَهَا الشَّاعِرُ لِصَوْتِ الشَّيْخِ صَاحِبِ التَّجْرِبَةِ.

إِنَّ مَا أَحْدَثَهُ الشَّاعِرُ فِي هَذَا النَّصِّ مِنْ تَنَوُّعٍ نَغْمِيٍّ أَضْفَىٰ الْتِفَاتًا صَوْتِيًّا مُؤَثِّرًا عَلَىٰ الْمتَلَقِّي، جَعَلَهُ يَسْمَعُ مَعَ الشَّاعِرِ تِلْكَ الْأَصْوَاتَ الَّتِي أَتَتْ مِنْ وَرَاءِ الحَفَائِرِ، وَكَذَا كَانَ أُسْلُوبًا صَوْتِيًّا مُمَيَّزًا أَسْهَمَ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ .

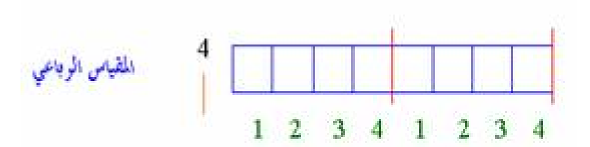
(7/3) الْإِيقَاعُ فِي وَزْنِ الْـمُتَقَارِبِ :

مَالَ «قُطْب» إِلَىٰ وَزْنِ المُتَقَارِبِ بِنِسْبَةِ 9% مِنْ مَجْمُوعِ أَشْعَارِهِ فِي 11 قَصِيدَةً كَانَ أَكْثَرُهَا فِي مَوْضُوعِ الْغَزَلِ بِنِسْبَةِ سِتِّ قَصَائِدَ، وَظَلَّ إِيقَاعُ الْمتَقَارِبِ عَالِقًا بِأُذُنَيْهِ حَتَّىٰ كِتَابَةِ آخِرِ قَصِيدَةٍ لَهُ خَلْفَ أَسْوَارِ المُعْتَقَلِ، وَهِيَ قَصِيدَةُ «أَخِي» عَامَ 1957، الَّتِي شَكَّلَ فِيهَا إِيقَاعُ الْمتَقَارِبِ السَّرِيعِ ضَرَبَاتٍ مُتَتَالِيَةً تُشْبِهُ إِلَىٰ حَدٍّ كَبِيرٍ أَصْوَاتَ دَقَّاتِ طُبُولِ الحَرْبِ ، الَّتِي سَمِعْنَاهَا مَثَلًا فِي مَشْهَدِ الحَرْبِ فِي فِيلم «النَّاصِرِ صَلَاحِ الدِّينِ» هَذَا الْإِيقَاعُ نَاسَبَ الجَوَّ الحَمَاسِيَّ المشْحُونَ بِالتَّحَدِّي وَالْإِصْرَارِ فِي مُوَاجَهَةِ كُلِّ أَفْعَالِ الْبَطْشِ وَالتَّعْذِيبِ الَّتِي تَعَرَّضَ لهَا أَثْنَاءَ اعْتِقَالِهِ هُوَ وَشَقِيقُهُ وَرِفَاقُهُ، يَقُولُ :

أَخِــي أَنْتَ حُرٌّ وَرَاءَ السُّدُودْ	أَخِــي أَنْتَ حُرٌّ بِتِلْكَ الْقُيُودْ
إِذَا كُنْتَ بِاللـه مُسْتَعْصِمَا	فَــمَاذَا يَضِيرُكَ كَيْدُ الْعَبِيدْ
أَخِــي سَتَبِيدُ جُيُوشُ الظَّلَامِ	وَيُشْـرِقُ فِي الْكَوْنِ فَجْرٌ جَدِيدْ
فَأَطْلِقْ لِـرُوحِـكَ إِشْـرَاقَهَا	تَــرَ الْفَجْرَ يَرْمُقُهَا مِنْ بَعِيدْ
أَخِــي قَدْ أَصَابَكَ سَهْمٌ ذَلِيلْ	وَغَــدْرًا رَمَــاكَ ذِرَاعٌ كَلِيلْ
سَـتُبْـتَرُ يَــوْمًا فَصَبْرٌ جَمِيلْ	وَلَمْ يَــدْمَ بَعْـدُ عَرِينُ الْأُسُودْ
أَخِي قَدْ سَرتْ فِي يَدَيْكَ الدِّمَاءْ	أَبَــتْ أَنْ تُشَـلَّ بِقَيْدِ الْإِمَاءْ

سَـــتَرْفَعُ قُـــرْبَـــانَهَا لِلسَّمَاءْ   مُـخَـصَّبَةً بِوِسَامِ الْـخُلُودْ[1]

يَأْخُذُ الْإِيقَاعُ فِي هَذَا النَّصِّ شَكْلًا رُبَاعِيًّا يَسِيرُ عَلَىٰ بُعْدِ وَحْدَاتٍ زَمَنِيَّةٍ مُتَسَاوِيَةٍ، فِيمَا يُشْبِهُ قَرْعَ الطُّبُولِ تَحْمِيسًا لِلْجُنُودِ قَبْلَ المعَارِكِ، وَهذِهِ الحَمَاسَةُ هِيَ الَّتِي يَدْعُو لهَا الشَّاعِرُ رُفَقَاءَ الدَّرْبِ أَنْ يَسْتَمِرُّوا عَلَيْهَا مَهْمَا كَلَّفَهُمْ سَبِيلُ الْكِفَاحِ كُلَّ غَالٍ وَنَفِيسٍ، وَتَمَثَّل مِقْيَاسُ هَذَا الْإِيقَاعِ عَلَىٰ الشَّكْلِ الموسِيقِيِّ التَّالِي :



وَيَتَّضِحُ إِيقَاعُ قَرْعِ الطُّبُولِ إِذَا قُمْنَا بِتَمْثِيلِهِ بِالسُّرْعَةِ السَّابِقَةِ بِالصِّيغَةِ الموسِيقِيَّةِ (دُمْ)[2] عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

ا ا ا ا .:. ا ا ا ا

دُمْ دُمْ دُمْ دُمْ .:. دُمْ دُمْ دُمْ دُمْ

أَسْهَمَ ذَلِكَ الْإِيقَاعُ فِي تَوْزِيعِ أَصْوَاتِ الْأَبْيَاتِ تَوْزِيعًا فَنِّيًّا يُوَضِّحُ صَوْتَ قَرْعِ الطُّبُولِ بِتَشْكِيلٍ صَوْتِيٍّ رَائِعٍ ، وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ صَوْتِ الدَّالِ الَّذِي يَتَكَرَّرُ رَوِيًّا لِلْأَبْيَاتِ.وَالدَّالُ مِنَ الْأَصْوَاتِ صَاحِبَةِ المدَىٰ الزَّمَنِيِّ الْقَوِيِّ؛إِذْ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ 80 ـ 100 م /ث [3] أَضِفْ إِلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ الدَّالَ مِنَ الْأَصْوَاتِ الانْفِجَارِيَّةِ « plosive»[4] مِمَّا يَتَنَاسَبُ مَعَ إِيقَاعِ قَرْعِ الطُّبُولِ، وَيَتَطَابَقُ مَعَ الحَالَةِ الحَمَاسِيَّةِ الَّتِي يَبُثُّهَا الشَّاعِرُ فِي نُفُوسِ أَصْدِقَائِهِ دَاخِلَ الزِّنْزَانَةِ، يَزْدَادُ الْأَمْرُ وُضُوحًا إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ نِسْبَةَ تَكْرَارِ هَذَا الصَّوْتِ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ فَقَطْ 19 مَرَّةً، وَأَنَّهُ لَا يُوحِي إِلَّا « بِالْأَحَاسِيسِ اللَّمْسِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ الصَّلَابَةِ وَالْقَسَاوَةِ وَكَأَنَّهُ مِنْ حَجَرِ الصَّوَّانِ. فَلَيْسَ فِي صَوْتِ الدَّالِ أَيُّ إِيحَاءٍ بِإِحْسَاسٍ ذَوْقِيٍّ أَوْ شَمِّيٍّ أَوْ بَصَرِيٍّ أَوْ سَمْعِيٍّ أَوْ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 281 .

(2) الصيغة الإيقاعية (دُمْ) تعزف براحة اليد، ويرمز لها بـ(ا) السميك الطويل رمزا لغلاظة الصوت، وهناك صيغة أخرىٰ =حادة هي(تَكْ) وهي تعزف برؤوس الأصابع، ويرمز لها بـ(ا) الرفيع القصير رمزا لحدة الصوت.ومن كلتا الصيغتين الصوتيتين وبمقاييس زمنية متنوعة تتشكل إيقاعات موسيقية مختلفة .

(3) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 74 .

(4) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 24 ، 25 .

شُعُورِيٍّ، لِيَكُونَ بِذَلِكَ أَصْلَحَ الحُرُوفِ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَعَانِي الشِّدَّةِ وَالْفَعَالِيَّةِ المَادِّيَّتَيْنِ ».[1] وَعَلَىٰ ذَلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَمَثَّلَ مِنْ خِلَالِ هَذَا الصَّوْتِ وَإِيحَائِهِ أَحْجَارَ الزِّنْزَانَةِ الْكَئِيبَةِ الَّتِي كَان فِيهَا «قُطْب»، وَنَسْتَشْعِرُ الجَوَّ الْقَاسِيَ الَّذِي كَانَ يُعَانِيهِ، حَيْثُ عَاشَ مَكْبُوتَ الحَوَاسِ: (الذَّوْقِ ـ الشَّمِّ ـ الْبَصَرِ ـ السَّمْعِ) فِي مَحْبَسِهِ بِمَا فِي دَلَالَةِ هَذَا الصَّوْتِ مِنْ صَلَابَةٍ وَقَسْوَةٍ، وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ لَمْ يَفْقِدِ الْأَمَلَ فِي الخَلَاصِ مُنْتَصِرًا لِدِينِهِ وَلِقَضِيَّتِهِ، يَقُولُ فِي آخِرِ قَصِيدَةِ «أَخِي» :

سَأَثْأَرُ لَكِنْ لِرَبٍّ وَدِينْ وَأَمْضِي عَلَىٰ سُنَّتِي فِي يَقِينْ

فَإِمَّا إِلَىٰ النَّصْرِ فَوْقَ الْأَنَامِ وَإِمَّا إِلَىٰ اللـه فِي الْخَالِدِينْ

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ تَوَقَّفْنَا عِنْدَ إِيقَاعِ أَكْثَرِ خَمْسَةِ أَوْزَانٍ عِنْدَ «قُطْب» لَكِنْ بَقِيَ أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ أَنَّ لِلشَّاعِرِ تَجْرِبَتَيْنِ لِلْمَزْجِ بَيْنَ إِيقَاعَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، وَهَذَا مَا سَوْفَ نَعْرِضُ لَهُ فِي الْفَقْرَةِ التَّالِيَةِ:

(8/3) المَزْجُ بَيْنَ إِيقَاعَيْنِ :

يُعَدُّ المزْجُ بَيْنَ إِيقَاعَيْنِ ظَاهِرَةً صَوْتِيَّةً تُثِيرُ انْتِبَاهَ المُتَلَقِّي إِلَىٰ شَيْءٍ مَا يُرِيدُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهُ الشَّاعِرُ، وَهَذِهِ الظَّاهِرَةُ لهَا مَا يُوَازِيهَا فِي المُوسِيقَىٰ ؛إِذْ قَدْ يَخْرُجُ المُلَحِّنُ مِنْ مَقَامٍ مُوسِيقِيٍّ إِلَىٰ مَقَامٍ آخَرَ مُجَاوِرٍ لَهُ رَغْبَةً فِي إِحْدَاثِ جَوٍّ مِنَ التَّطْرِيبِ، كَأَن يَخْرُجَ اللَّحْنُ مِنْ مَقَامِ الْعَجَمِ وَهُوَ مِنْ دَرَجَةِ(دُو) إِلَىٰ مَقَامِ الْبَيَاتِي وَهُوَ مِنْ دَرَجَةِ (رِي)، وَهُمَا دَرَجَتَانِ مُتَتَالِيَتَانِ مِنْ دَرَجَاتِ السُّلَّمِ المُوسِيقِيِّ[2]، عَلَىٰ أَنْ يَتِمَّ هَذَا الانْتِقَالُ بِشَكْلٍ سَرِيعٍ وَعَابِرٍ دَاخِلَ المُؤَلَّفَةِ المُوسِيقِيَّةِ، وَهَذَا مَا يُسَمَّىٰ بـ« Modulation ».[3]

مَزَجَ «قُطْب» بَيْنَ إِيقَاعَيْ وَزْنَيِ الخَفِيفِ وَالمُجْتَثِّ فِي قَصِيدَةِ «بَيْنَ عَهْدَيْنِ»، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ دَرَسْنَا إِيقَاعَ وَزْنِ الخَفِيفِ فِي الْفَقْرَةِ (5/3)، أَمَّا إِيقَاعُ وَزْنِ المُجْتَثِّ فَهُوَ إِيقَاعٌ قَرِيبٌ مِنْ إِيقَاعِ الخَفِيفِ، وَهَذَا الْقُرْبُ يَتَأَتَّىٰ مِنْ أَنَّ المُجْتَثَّ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ «مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ»، وَهُوَ مَقْلُوبُ الخَفِيفِ «فَاعِلَاتُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ»، كَمَا أَنَّ السُّرْعَةَ الْفَرْضِيَّةَ لِلْوَزْنَيْنِ وَاحِدَةٌ

---

(1) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 66 .

(2) انظر: عادل شافعي الخطيب:الأغاني الشعبية والخروج من المقام الواحد، مجلة العربي الكويتية، ع 515 ، أكتوبر2001، ص 53 .

(3) معجم الموسيقىٰ ، ص 9 .

وَهَذَا بِصُورَةِ المُجْتَثِّ الافْتِرَاضِـيَّةِ «مُسْـتَفْعِلُنْ فَـاعِلَاتُنْ فَـاعِلَاتُنْ»، لَكِـنَّ هَـذِهِ الصُّـورَةَ الْكَامِلَـةَ لَا تَتَحَقَّـقُ لِلْمُجتَثِّ، كَمَا أَنَّهُمَا وَزْنَانِ هَابِطِي الْإِيقَاعِ بِسَبَبِ وُجُـودِ الْوَتَـدِ المفْـرُوقِ.[1]زِدْ عَـلَىٰ كُـلِّ ذَلِـكَ أَنَّهُـمَا وَزْنَـانِ يَنْتَمِيَانِ لِدَائِرَةٍ عَرُوضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ دَائِرَةُ المجْتَلَبِ.

أَمَّا عَنِ الاسْتِخْدَامِ الْفَنِّيِّ لِلْإِيقَاعَيْنِ فَقَـدْ جَـاءَ مُتَنَاسِـبًا مَـعَ دِلَالَـةِ الـنَّصِّ «بَـيْنَ عَهْـدَيْنِ» إِذِ اسْـتَخْدَمَ الشَّاعِرُ لِكُلِّ عَهْدٍ يَتَحَدَّثُ عَنْهُ إِيقَاعًا، فَهُوَ يَبْدَأُ بِوَصْفِ الْعَهْدِ الْأَوَّلِ بِإِيقَاعِ الخَفِيفِ:

طِرْتِ عَنْ عُشِّكِ الجَمِيلِ فَأُوبِي ... شَــدَّ مَا اشْتَاقَ طَيْرُهُ أَنْ تَؤُوبِي

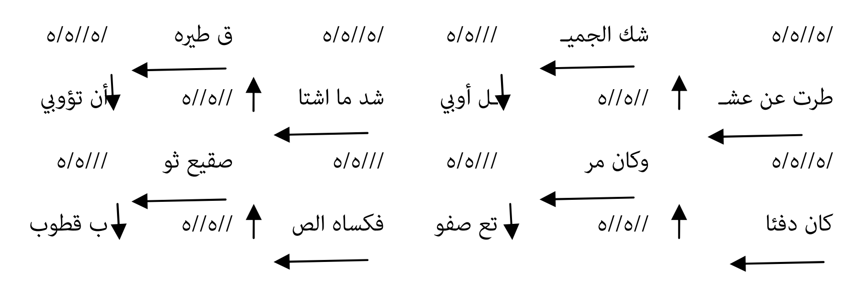
كَـانَ دِفْـئًا وَكَـانَ مَرْتَعَ صَفْوٍ ... فَـكَسَاهُ الصَّقِيعُ ثَوْبَ قُطُوبِ

مُـنْـذُ غَـادَرْتِهِ قَدِ انْتَثَرَ الْـحُبْ ... بُ وَطَاحَـتْ بِهِ رِيَاحُ الْـهُبُوبِ

وَتَـخَــلَّتْ عِـنَــايَةُ الـلـه عَـنْـهُ ... فَهْوَ فِي وَحْشَةِ الْغَرِيبِ الْكَئِيبِ

وَلَـيَــالِـيـهِ شَــاجِيَاتٍ حَيَارَىٰ ... يَـتَرَامَــيْنَ حَوْلَهُ مِنْ لُغُوبِ[2]

فَالشَّاعِرُ بِهَذَا الْإِيقَاعِ ذِي النُّتُوءِ الصَّوْتِيِّ لِتَفْعِيلَةِ (/ه//ه/ه) فِي وَسْطِ الْبَيْـتِ يَصِـفُ عَهْـدًا ظَـلَّ فِيهِ هُوَ وَمَحْبُوبَتُهُ يَنْعَمَانِ بِالحُبِّ؛ لَكِنَّهُ أَصْبَحَ يُقَـاسِي مَـرَارَةَ الْفِـرَاقِ مِـنْ بَعْـدِ أَنْ غَـادَرَتِ الْعُـشَّ وَطَـارَتْ بَعِيدًا، وَهَذَا هُوَ عَهْدُ المَاضِي الْقَرِيبِ ، الَّذِي يَصِفُهُ الشَّاعِرُ بِإِيقَاعٍ رَتِيـبٍ يُمَثِّـلُ نَبْضَـاتِ قَلْـبٍ عَلِيـلٍ أَتْعَبَـهُ طُولُ الانْتِظَارِ، وَأَرْهَقَهُ الْعَيْشُ وَحِيدًا، وَقَدْ تَمَثَّلَتْ هَذِهِ الْإِيقَاعَاتُ الْقَلْبِيَّةُ فِي شَكْلٍ خَطٍّ صَاعِدٍ هَـابِطٍ كَتِلْـكَ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَىٰ الشَّاشَةِ التِّلِفِزْيُونِيَّةِ الَّتِي تَرْصُدُ نَبْضَاتِ الْقَلْبِ .



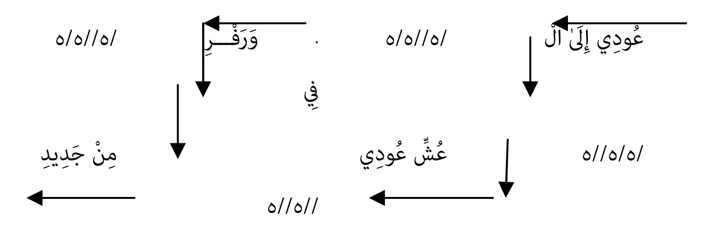
(1) انظر : د . سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، 41 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 90 .

فِي الْعَهْدِ الثَّانِي يَسْتَخْدِمُ الشَّاعِرُ إِيقَاعَ المُجْتَثِّ الأَقَلِّ بُطْئًا مِنْ إِيقَـاعِ الخَفِيـفِ وَذَلِـكَ لِأَنَّـهُ يُسْـتَخْدَمُ بِمِقْدَارِ تَفْعِيلَتَيْنِ (/٥/٥//٥ ـ /٥//٥/٥) ، وَهُوَ يُمَثِّلُ عَهْـدَ تَمَنِّـي عَـوْدَةِ المحْبُوبَـةِ الَّتِـي طَـارَتْ مِـنَ الْعُـشِّ ، يَقُولُ:

عُودِي إِلَىٰ الْعُشِّ عُودِي	وَرَفْرِفِي مِـنْ جَـدِيدِ
وَرَنِّـمِـي بِـالْأَغَـانِي	فِي جَـوِّهِ وَاسْتَعِيدِي
وَأَدْفِـئِـي بِـالْأَمَـانِي	مَـا مَسَّهُ مِنْ جُمُودِي
وَتَمْتِـمِي بِالتَّـعَـاوِيـ	ـذِ وَالـرُّقَىٰ وَالنَّشِيدِ
وَأَطْـلِـقِي فِيهِ لَحْنًا	يَشْـدُو لِحُبٍّ سَعِيدِ
وَيَطْـرُدُ الْيَـأْسُ عَـنْهُ	بِالشَّـدْوِ وَالتَّغْرِيدِ
طَـالَ انْتِظَـارُكِ وَهْنًا	فِي ظُـلْمَـةٍ وَكُنُودِ
عُودِي إِلَىٰ الْعُشِّ عُودِي	وَرَفْـرِفِي مِنْ جَدِيدِ[1]

إِيقَاعُ هَذَا الجُزْءِ مِنَ الْقَصِيدَةِ إِيقَاعٌ هَابِطٌ، يَبْدَأُ مِنَ المُرْتَفِعِ إِلَىٰ المـنْخَفِضِ، حَيْـثُ إِنَّ «مُسْـتَفْعِلُنْ» تَنْتَهِي بِالْوَتَدِ المجْمُوعِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ التَّفْعِيلَاتِ المنْتَهِيَةَ بِالْوَتَـدِ المجْمُـوعِ هِـيَ أَعْـلَىٰ التَّفْعِـيلَاتِ صُعُودًا يَلِيهَا التَّفْعِيلَاتُ الَّتِي يَتَوَسَّطُهَا الْوَتَدُ المجْمُوعُ وَهِيَ «فَاعِلَاتُنْ » مِـمَّا يَجْعَـلُ الْإِيقَـاعَ يَأْخُـذُ شَـكْلَ ( ) فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ هُبُوطِهِ وَتَحَدُّرِ نَغْمَتِهِ الَّتِي تُمَاثِلُ حَالَةَ التَّمَنِّي المشْفُوعَةِ بِالتَّرَقُّبِ .



وَإِذَا كَانَ هَذَا المَزْجُ تَمَّ بَيْنَ وَزْنَيْنِ مُتَجَاوِرَيْنِ فِي الدَّائِرَةِ الْعَرُوضِيَّةِ، فَإِنَّ ثَمَّـةَ مَزْجًـا آخَـرَ تَـمَّ بَيْنَ دَائِرَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا مَزَجَ الشَّاعِرُ بَـيْنَ إِيقَـاعِ وَزْنِ المُتَقَـارَبِ حَيْـثُ دَائِـرَةِ المُتَّفِـقِ وَإِيقَاعِ وَزْنِ الخَفِيفِ حَيْثُ دَائِرَةُ المُجْتَلَبِ فِي قَصِيدَةِ «الْغَيْرَةِ »، وَهِـيَ تُمَثِّـلُ شُـعُورَيْنِ مُخْتَلِفَـيْنِ

(1) السابق ، ص 90 ، 91.

لِلشَّاعِرِ انْتَابَاهُ جَرَّاءَ غَيْرَةِ مَحْبُوبَتِهِ عِنْدَمَا جَامَلَ أُخْتَهَا، فَفَهِمَتْ الحَبِيبَةُ أَنَّـهُ يَتَوَجَّـهُ إِلَىٰ شَـقِيقَتِهَا بِقَلْبِـهِ فِي حِينٍ لَمْ تَكُنْ إِلَّا مُجَامَلَةً فآلمَهَا ذَلِكَ، سَعِدَ الشَّاعِرُ بِهَذَا الموْقِفِ؛لِأَنَّ الْغَيْرَةَ هَذِهِ وَثِيقَةُ الحُبِّ، وَمِنْ ثَـمَّ كَـانَ التَّعْبِيرُ عَنْ هَذِهِ اللَّذَّةِ بِوَزْنِ الُمتَقَارِبِ، وَقَدْ بَدَا فِيهِ الْإِيقَاعُ كَنَبْضَـاتِ قَلْـبٍ سَرِيعَـةٍ إِثْـرَ الشُّـعُورِ بِالنَّشْـوَةِ وَلَذَّةِ الحُبِّ، يَقُولُ :

غَضِبْتِ فَيَا لَكِ مِنْ غَـاضِـبَـةْ	وَأَرْسَــلْتِـهَا نَـظْـرَةً عَاتِبَةْ
يُتَمِّـتِمُ فِيـهَا الـرَّجَاءُ الْأَسِيفُ	وَتَأْجَرُ فِيهَا الْـمُنَىٰ الْوَاثِبَةْ
وَفِيهَا هُدُوءُ الرِّضَا الْـمُطْمَئِنُّ	تُـمَازِجُهُ الْغَيْرَةُ الْغَاضِبَةُ[1]

وَقَدْ تَعَرَّضْنَا لِإِيقَاعِ الُمتَقَارِبِ ذِي الِمقْيَاسِ الرُّبَاعِيِّ الَّـذِي تَتَـوَالَىٰ فِيـهِ الضَّرَبَـاتُ السَّرِيعَـةُ وَهَـذَا مَـا يَتَمَاشَىٰ مَعَ دَقَّاتِ قَلْبِ الشَّاعِرِ الَّذِي تَمَلَّكَهُ السُّرُورُ؛[2] لِأَنَّهُ تَيَقَّنَ مِنْ حُبِّ حَبِيبَتِهِ لَهُ، يَقُولُ تَعْبِيرًا عَنْ هَـذِهِ السَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ الَّتِي امْتَلَكَتْ عَلَيْهِ كِيَانَهُ :

قَدِ انْتَصَرَ الحُبُّ . يَا لِلانْتِصَارْ	بِهَٰذا الْعِتَابِ وَهَٰذَا الْغَضَبْ
وَثِـقْـتُ مِـنَ الْيَوْمِ فِي حُبِّنا	وَأَنَّـكِ تَـرْعَـيْنَهُ فِي حَدَبْ
فَـلَـوْلَا اعْـتِـزَازُكِ بِالحُبِّ لَمْ	تَـثُـرْ فِي فُؤَادِكِ تِلْكَ الرِّيَبْ

لَكِنَّ هَذِهِ السَّعَادَةَ الْغَامِرَةَ سُرْعَـانَ مَـا تَنْقَلِـبُ وَيَتَغَـيَّرُ مَعَهَـا الْإِيقَـاعُ؛ ذَلِـكَ لِأَنَّ الحَبِيبَـةَ بَالَغَـتْ فِي الْغَيْرَةِ.وَمَضَىٰ الْيَوْمُ وَهِيَ لَا زَالَتْ عَلَىٰ تِلْكَ الْغَيْرَةِ الهَوْجَاءِ مِمَّا أَشْعَرَ الشَّاعِرَ بِالتَّبَرُّمِ؛لِأَنَّ هَـذِهِ الْغَـيْرَةَ المُبَـالَغَ فِيهَا تَكُونُ طَعْنَةً لِلحُبِّ، عَبَّرَ إِيقَاعُ وَزْنِ الخَفِيـفِ عَـنْ هَـذَا الشُّـعُورِ الـنَّفْسِيِّ بِدِقَّـةٍ بَالِغَـةٍ؛ذَلِكَ لِأَنَّ إِيقَـاعَ الخَفِيفِ يُمَثِّلُ حَالَةَ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ بِدَقَّاتٍ غَيْرِ مُنْتَظِمَةِ الْإِيقَاعِ، يُمَثِّلُ ذَلِكَ فِي بَيْتِ الخَفِيفِ النُّتُوءُ الصَّـوْتِيُّ الَّذِي تُحْدِثُهُ تَفْعِيلَةُ (/ه/ه//ه)؛حَيْثُ إِنَّهَا تَفْعِيلَةٌ تَنْتَهِي بِالْوَتَـدِ المجْمُـوعِ بَيْـنَمَا يَتَوَسَّـطُ الْوَتَـدُ المجْمُـوعُ (/ه//ه/ه)، كَمَا سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ :

حَـدِّثِينِي أَمَــا تَــزَالِينَ غَضْــبَىٰ	أَوَ مَــا زَالَ مِـلْءُ نَفْسِكِ رَيْبَـا

(1) السابق ، ص 175 ، 176 .

(2) انظر : د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 175 ، 176 .

وَلِـمَاذَا الْوَقَارُ وَالصَّـمْتُ يُضْفِـي	بَـعْـدَ مَـا كُنْتِ لِي مِرَاحًا وَوَثْبَا
كَانَ بِالْأَمْسِ كَالْعِتَابِ الْـجَمِيـلِ	مَـالَهُ الْيَـوْمَ لَمْ يَعُدْ مِنْكِ عَتْبَـا
صَمَتَ الْكَوْنُ مُذْ صَمَتِّ وَنَامَـتْ	صَادِحَـاتٌ تُرَدِّدُ اللَّحْنَ عَذْبَـا
أَنَـا أَخْـشَـىٰ وَلَا أُصَـرِّحُ مَـاذَا	أَنَـا أَخْـشَىٰ ، فَمَـا أَزَالُ مُحِبًّـا
ابْسُـمِـي تَـبْسُـمِ الدُّنْيَا وَتَرْضَىٰ	وَامـنْحِينِي الْيَقِينَ امْنَحْكِ حُبًّا

لَقَدْ أَسْهَمَ إِيقَاعُ المُتَقَارِبِ فِي التَّعبِيرِ عَنِ السَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ فِي الموْقِـفِ الْأَوَّلِ، بَـلْ قَـدْ جَعَلَنَـا نَسْـتَمِعُ إِلَىٰ خَفَقَانِ قَلْبِهِ وَهُوَ يَمْلَأُ الدُّنْيَا غِنَاءً وَنَشِيدًا عَذْبًا، بَيْنَمَا مَثَّلَ إِيقَاعُ الخَفِيفِ الْبَطِيءُ حَالَـةً مِـنَ الحُـزْنِ الرُّومَـانْسِيِّ أَلْقَىٰ بِظِلَالِهِ عَلَىٰ الحَيَاةِ، فَالْكَوْنُ صَامِتٌ وَالطُّيُورُ تَوَقَّفَتْ عَنِ الْغِنَاءِ، وَالدُّنْيَا مُقَطِّبَـةٌ فِي وَجْهِهِ.وَمِـنْ ثَـمَّ يُعَـدُّ هَذَا المَزْجُ بَيْنَ إِيقَـاعَيْنِ مُخْتَلِفَـيْنِ وَسِـيلَةً فَنِّيَّـةً نَاجِحَـةً اسْـتَطَاعَ الشَّـاعِرُ بِهَـا التَّعْبِـيرَ عَـنِ الحَـالَتَيْنِ النَّفْسِـيَّتَيْنِ المُخْتَلِفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ مَرَّ بِهِمَا.

مُلَخَّصُ الْبَابِ الْأَوَّلِ

سَعَىٰ هَذَا الْبَابُ فِي فَصْلِهِ الْأَوَّلِ لِدِرَاسَةِ المنْحَنَىٰ الْعَامِّ لِلْإِطَارِ الصَّوْتِيِّ، وَقَدْ ظَهَرَ مِنْهُ أَنَّ أَكْـثَرَ الْأَوْزَانِ الَّتِي مَالَ إِلَيْهَا «قُطْب» هُوَ وَزْنُ الرَّمَلِ وَقَدْ صَاحَبَ هَذَا المَيْلَ أَيْضًا طُولٌ فِي النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، وَقَدْ لَازَمَـهُ فِي مَرَاحِلَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ عُمْرِهِ الشِّعْرِيِّ، وَكَانَ وَصِيفُ الرَّمَلِ وَزْنَ الْكَامِلِ، ثُمَّ الخَفِيفِ ثُمَّ الطويلِ الَّـذِي جَـاءَ فِي المَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي مِقْيَاسِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ.

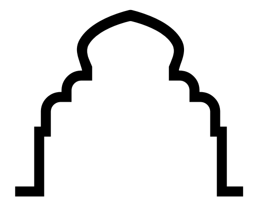
كَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ عَنِ انْتِمَاءِ شِعْرِ«قُطْب»انْتِمَاءً أَصِيلًا لِجمَاعَةِ أَبُولُّلُو، وَذَلِـكَ بِمُقَارَنَتِـهِ مَـعَ عَـدَدٍ مِـنَ الشُّعَرَاءِ: (أَبِي شَادِي ـ نَاجِي ـ طَـٰه ـ أَبُو الْوَفَا ـ الهَمْشَرِي ـ الشَّابِيِّ) عَلَىٰ المسْتَوَىٰ الشَّكْلِيِّ فِي نِسَبِ المَيْلِ إِلَىٰ الْأَوْزَانِ، وَعَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الموْضُوعِ فِي وُقُوفِهِ مَعَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ نِقَاطِ التَّمَاسِّ لِلاتِّجَاهِ الْوِجْدَانِيِّ.

كَمَا ظَهَرَ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ الْبِنْيَةِ المقْطَعِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْزَانِ مَيْلًا هِيَ الْأَوْزَانُ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِطُولِ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ، وَقَدِ اتَّفَقَتْ دِرَاسَةُ شِعْرِ «قُطْب» فِي ذَلِكَ مَعَ النَّتِيجَةِ الَّتِـي تَوَصَّـلَ إِلَيْهَـا كُـلٌّ مِـنْ جَـمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِ وَمُحَمَّدُ الهَادِي الطَّرَابُلْسِيُّ.

فِي حِـينِ سَـعَى الْفَصْـلُ الثَّـانِي لِدِرَاسَـةِ التَّشْـكِيلَاتِ الصَّـوْتِيَّةِ فِي مُوسِـيقَىٰ الحَشْـوِ وَدِرَاسَـةِ

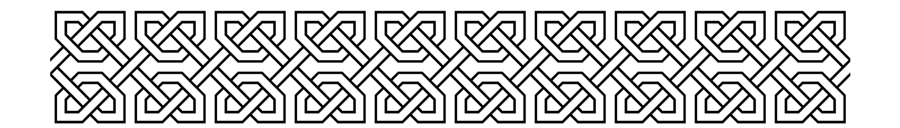
تَفْعِيلَتَيِ الْعَرُوضِ وَالضَّرْبِ وَدَوْرِهِمَا فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ.

ثُمَّ سَعَىٰ الْفَصْلُ الْأَخِيرُ لِدِرَاسَةِ الْعَلَاقَةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ الْإِيقَاعِ وَالْوَزْنِ وَالمعْنَىٰ، مَعَ إِيضَاحٍ لِمصْطَلَحِ الْإِيقَاعِ وَكَيْفِيَّةِ دِرَاسَتِهِ كَمِّيًّا وَنَغْمِيًّا، وَاخْتِلَافِهِ عَنْ مُصْطَلَحِ الْوَزْنِ .



الباب الثاني

أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ فِي الْقَافِيَةِ



الباب الثاني

أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ فِي الْقَافِيَةِ

اِنْبَثَقَ اتِّجَاهُ نَقْدِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ مِنْ خِلَالِ تَعْرِيفِهِ الَّذِي صَاغَهُ قُدَامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ «الشِّعْرُ قول مَوْزُونٌ مُقَفًّى»، وَمِنْ ثَمَّ رَاحَ النُّقَادُ يُؤَكِّدُونَ عَلَىٰ حَتْمِيَّةِ وُجُودِ الْعُنْصُرَيْنِ ـ الْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ ـ كَيْ يَتَحَقَّقَ الشِّعْرُ، يَقُولُ ابْنُ رَشِيقٍ الْقَيْرَوَانِيُّ :«وَالْقَافِيَةُ شَرِيكَةُ الْوَزْنِ فِي الاِخْتِصَاصِ بِالشِّعْرِ وَلَا يُسَمَّىٰ شِعْرًا حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُ وَزْنٌ وَقَافِيَةٌ».[1]

بَيْنَمَا رَأَىٰ ابْنُ جِنِّي أَنَّ الْعِنَايَةَ فِي الشِّعْرِ إِنَّمَا هِيَ عِنَايَةٌ بِالْقَوَافِي، فَقَدْ يَخْرُجُ الشَّاعِرُ عَنِ الْأَضْرُبِ وَالْأَعَارِيضِ الْمَوْضُوعَةِ، وَرُبَّمَا يَأْتِي بِالجَدِيدِ مِنَ الْأَوْزَانِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَخْرُجُ عَنِ اسْتِخْدَامِ الْقَافِيَةِ، «فَالْعِنَايَةُ بِهَا أَشَدُّ، وَالحَشْدُ عَلَيْهَا أَوْفَىٰ وَأَهَمُّ»، [2] وَيُؤَكِّدُ ذَلِكَ الْمَلْمَحَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ؛إِذْ يَذْكُرُ أَنَّهَا كَانَتْ ـ أَيِ الْقَافِيَة ـ «لِلشِّعْرِ نِظَامًا وَلِلْبَيْتِ اِخْتِتَامًا»[3]، بَلْ إِنَّهُ يزِيدُ مِنِ احْتِفَائِهِ بِهَا حِينَ يُورِدُ رِوَايَةً لِلْبُحْتُرِيِّ يَذْكُرُ فِيهَا وَصَايَا ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ بِالْقَافِيَةِ، إِذْ يَقُولُ:«اِسْتَجِيدُوا الْقَوَافِيَ، فَإِنَّهَا حَوَافِرُ الشِّعْرِ، وَقَالَ لِي الشَّجرِيُّ فِي بَعْضِ كَلَامِهِ :الْقَافِيَةُ رَأْسُ الْبَيْتِ، وَهَذَا لَيْسَ نَقْصًا لِأَوَّلِهِ ، وَإِنَّمَا غَرَضُهُ فِيهِ أَنَّهَا أَشْرَفُ مَا فِيهِ، كَمَا أَنَّ حَوَافِرَ الْفَرَسِ هِيَ أَوْثَقُ مَا فِيهِ وَبِهَا نُهُوضُهُ، وَعَلَيْهِ اعْتِمَادُهُ».[4]

وَمِنْ مَحْصُولِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَتَكَشَّفُ لَنَا عِنَايَةُ النُّقَّادِ بِالْقَافِيَةِ وَنَظْرَتُهُمْ إِلَيْهَا عَلَىٰ أَنَّهَا رُكْنٌ أَصِيلٌ مِنْ أَرْكَانِ الْبِنَاءِ الشِّعْرِيِّ؛إِذْ إِنَّ خُلُوَّهُ مِنَ الْقَافِيَةِ يَقْتَرِبُ بِهِ مِنْ تُخُومِ النَّثْرِ، وَيَضَعُهُ ـ مُبَاشَرَةً ـ خَارِجَ إِطَارِ الشِّعْرِيَّةِ ؛إِذْ بِالْقَافِيَةِ (الحَوَافِرِ) تَقُومُ قَوَادِمُ الشِّعْرِ .

اِنْبَثَقَ الاتِّجَاهُ النَّقْدِيُّ لِلشِّعْرِ مِنْ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ التَّلِيدَةِ، فَالْوَزْنُ عِنْدَهُمْ «رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ

---

(1) ابن رشيق القيرواني : العمدة ، 159/1 .

(2) ابن جني: الخصائص ، 85/1 .

(3) ابن جني : المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة ، تحقيق علي النجدي ناصف ، وآخرين ط. المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ، 209/2، 210 .

(4) السابق .

الشِّعْرِ، وَالقَافِيَةُ لَبِنَةٌ أَسَاسِيَّةٌ فِيهِ».[1]

وَمِنْ هَذَا المُنْطَلَقِ انْطَلَقَ رُوَّادُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ فِي مَرَاحِلِهِ الْكِلَاسِيكِيَّةِ الْأُولَىٰ، وَأَصْبَحَ اِخْتِفَاءُ الْقَافِيَـةِ فِي الشِّعْرِ جُنُوحًا بِهِ نَحْوَ النَّثْرِيَّةِ المَحْضَةِ .

وَبِارْتِفَاعِ الخَطِّ الْبَيَانِيِّ لِحَرَكَاتِ التَّجْدِيدِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ اخْتَلَفَتْ قَوَاعِدُ الْأَخْذِ بِآرَاءِ النُّقَّـادِ الْقُـدَمَاءِ، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ لِلْقَافِيَةِ أَمرًا ذَا بَالٍ.وَقَـدْ حَـاوَلَ شُـعَرَاءُ أَبُولْلُـو التَّطْـوِيرَ مِـنْ نِظَـامِ الْقَافِيَـةِ، فَجَـاءَتْ مُحَاوَلَاتُهُمْ دَاخِلَ الْإِطَارِ التُّرَاثِيِّ، فَكَثُرَ فِي شِعْرِهِمْ المرَبَّعَـاتُ وَالمُخَمَّسَـاتُ وَالمُوَشَّـحَاتُ، إِلَّا أَنَّ ثَمَّـةَ مُحَـاوَلَاتٍ تَجْدِيدِيَّةً تَمَثَّلَتْ فِي تَقْدِيمِ قَصَائِدِ الشِّعْرِ المُرْسَلِ وَالحُرِّ وَاسْتِمْدَادِ قَالِبِ «الصُّونَاتَا» مِنَ الشِّعْرِ الْغَرْبِيِّ.[2]

إِنَّ ثَمَّةَ جَدَلًا دَائِرًا حَوْلَ تَحْدِيدِ مُصْطَلَحِ الْقَافِيَةِ فِي حَرَكَةِ النَّقْدِ الشِّعْرِيِّ، وَقَدْ أَفَاضَ عَدَدٌ مِنَ النُّقَّـادِ وَاللُّغَوِيِّينَ فِي تَحْدِيدِ مُصْطَلَحٍ لِلْقَافِيَةِ[3] وَلَيْسَ هُنَـا مَجَـالٌ لِسَرْدِ هَـذِهِ التَّعْرِيفَـاتِ وَالْآرَاءِ، بَيْـدَ أَنَّـهُ يَجِـبُ تَحْدِيدُ المَسَارَاتِ المَنْهَجِيَّةِ لِدِرَاسَةِ الْقَافِيَةِ فِي هَذَا الْفَصْلِ .

فَفِي دِرَاسَتِنَا لِشِعْرِ «قُطْب» سَنَعْتَمِدُ تَعْرِيفَ الخَلِيلِ الْقَائِلَ بِأَنَّها « مِنْ آخِرِ حَرْفٍ فِي الْبَيْـتِ إِلَىٰ أَوَّلِ سَاكِنٍ يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ مَعَ حَرَكَةِ الحَرْفِ الَّذِي قَبْلَهُ...».[4] مُلْقِينَ الضَّوْءَ عَلَىٰ الحَـرْفِ الَّـذِي يَتَكَـرَّرُ فِي الْكَلِمَـةِ الْأَخِيرَةِ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ أَبْيَاتِ الْقَصِيدَةِ، أَيْ مَا يُسَمَّىٰ حَرْفَ الرَّوِيِّ؛ إِذْ إِنَّهُ أَسَاسُ الْقَافِيَةِ[5]، «وَقَدْ أَضْحَىٰ فِي الحِسِّ الْإِيقَاعِيِّ صُلْبَهَا وَرَكِيزَتَهَا، إِلَىٰ الحَدِّ الَّذِي أُطْلِـقَ عَلَيْـهِ فِي بَعْـضِ التَّصَـوُّرَاتِ الْقَافِيَـةَ».[6] كَـمَا اقْـتَضَىٰ الْبَحْثُ النَّظَرَ فِي صُوَرِ الْقَافِيَةِ بِمَا أَنَّهَا مَقَاطِعُ صَوْتِيَّةٌ تَدْخُلُ فِي الْأَسَاسِ الْبَحْثِيِّ لِلْأُسْلُوبِيَّةِ الصَّـوْتِيَّةِ فَاعْتَمَـدْنَا دِرَاسَةَ صُوَرِهَا المُتَعَدِّدَةِ، وَهِيَ صُوَرٌ انْبَثَقَتْ مِنْ التَّعْرِيفِ السَّابِقِ وَهِـيَ: المُتَكَـاوِسُ وَالمُتَرَاكِـبُ وَالمُتَـدَارِكُ ، وَالمُتَوَاتِرُ وَالمُتَرَادِفُ .

(1) د. محمد السيد الدسـوقيّ: جماليـات التلقـي وإعـادة إنتـاج الدلالـة ، دراسـة في لسـانية الـنص الأدبيّ ، ط. دار العلـم والإيمان، كفر الشيخ، ص 159 .

(2) انظر بشكل عام الباب الثالث من كتاب موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو.

(3) انظر مادة (قفو) في لسان العرب لابن منظور ، وانظر د. أحمد كشك : القافيـة تـاج الإيقـاع الشـعريّ ، ط. مكتبـة دار العلوم، القاهرة ، (د.ت) من ص 7 إلىٰ ص 22 .

(4) ابن رشيق : العمدة ، 159/1 .

(5) د. محمد الهادي الطرابلسيّ: خصائص الأسلوب ... ، ص38 .

(6) د. أحمد كشك : القافية تاج الإيقاع الشعريّ ، ص 46 .

وَكَانَ اِخْتِيَارُنَا دِرَاسَةَ حَرْفِ الرَّوِيِّ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ حُرُوفِ الْقَافِيَةِ لِـمَا يَتَمَتَّـعُ بِـهِ مِـنْ بُـرُوزٍ صَـوْتِيٍّ فِي النَّصِّ جَعَلَهُ أَسَاسَ الْقَافِيَةِ، إِنَّ حَرْفَ الرَّوِيِّ صَوْتٌ يَخْتَارُهُ الشَّاعِرُ اخْتِيَارًا فَنِّيًّا يَنْسَجِمُ وَيُؤَازِرُ الْبِنَىٰ الصَّوْتِيَّةَ الْأُخْرَىٰ فِي النَّصِّ[1]، وَسَيَتَّضِحُ لَنَا كَمْ كَانَ اخْتِيَارُ الشَّاعِرِ لحَرْفِ الرَّوِيِّ مَبْنِيًّا عَلَىٰ مَدَىٰ فَهْمِـهِ لِـدَوْرِ الْقَافِيَـةِ وَمَعْرِفَةِ حَجْمِ إِسْهَامِهَا فِي بِنَاءِ الدَّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ لِلنَّصِّ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِأَنَّهَا عَائِقٌ أَوْ سَدٌّ مَنِيـعٌ أَمَـامَ جَيَشَـانِ خَوَاطِرِهِ وَمَشَاعِرِهِ.

وَعَلَىٰ ذَلِكَ يَتَغَيَّرُ مَفْهُومُ الْقَافِيَةِ فِي إِطَارِ التَّجْرِبَةِ الشِّـعْرِيَّةِ الْأَصِـيلَةِ، فَهِـيَ كَلِمَـةٌ لَا يُبْحَـثُ عَنْهَـا فِي قَائِمَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَنْتَهِي نِهَايَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ مَـا مِـنْ بَـيْنِ كُـلِّ كَلِـمَاتِ اللُّغَـةِ يَشْـتَدُّ عَلَيْهَـا السِّيَاقَانِ:المَعْنَوِيُّ وَالمُوسِيقِيُّ لِلْبَيْتِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْكَلِمَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي تَصْنَعُ لِذَلِكَ الْبَيْتِ نِهَايَةً تَرْتَاحُ الـنَّفْسُ لِلْوُقُوفِ عِنْدَهَا.[2]

إِنَّ الْقَافِيَةَ ـ مِنْ هَذَا الْعَرْضِ السَّابِقِ ـ لَيْسَتْ صَوْتًا يَتَرَدَّدُ فِي أَنْحَاءِ الْقَصِيدَةِ وَالخُرُوجُ عَنْهُ يُعَـدُّ خَلَـلًا فِي بِنْيَةِ النَّصِّ، بَلْ إِنَّهَا تَنْتَمِي ـ بِدَرَجَةٍ مُتَسَاوِيَةٍ ـ إِلَىٰ أَنْظِمَةٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْهَـا مَـا هُـوَ إِيقَـاعِيٌّ وَمِنْهَـا مَـا هُـوَ صَوْتِيٌّ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ دِلَالِيٌّ.[3]

وَمِنْ ثَمَّ تَتَّضِحُ اتِّجَاهَاتُ دِرَاسَـةِ الْقَافِيَـةِ فِي الـنَّصِّ؛إِذْ إِنَّـهُ عَـلَىٰ الْبَاحِـثِ أَنْ يُجْـلِيَ هَـذِهِ المُسْـتَوَيَاتِ المُتَوَاشِجَةَ، وَيَكْشِفُ النِّقَابَ عَنِ الجَدَلِيَّةِ الْقَائِمَةِ بَيْنَ الْقَافِيَةِ وَالْإِيقَاعِ، وَالْقَافِيَـةِ وَالدِّلَالَـةِ، وَذَلِـكَ مِـنْ خِـلَال رَوِيِّهَا وَصُوَرِهَا، فَالْقَافِيَةُ بِمَا إِنَّهَا تُمَثِّلُ آخِرَ تَفْعِيلَةٍ فِي الْبَيْتِ، فَإِنَّهَا تَحْمِلُ هَذِهِ الْعَلَاقَاتِ المُتَوَاشِجَةَ السَّابِقَةَ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهَا تُمَثِّلُ مَرْكَزَ الثِّقَلِ الدِّلَالِيِّ وَالمَعْنَوِيِّ فِي الْبَيْتِ، فَهِيَ تُعَبِّرُ عَنِ الْإِيقَاعِ النَّفْسِيِّ وَالدَّفْقَاتِ الشُّعُورِيَّةِ ، وَالتَّمَوُّجَاتِ المُوسِيقِيَّةِ الَّتِي تَمُوجُ بِهَا نَفْسُ الشَّاعِرِ فِي حَالَةٍ شُعُورِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ ، كَمَا أَنَّ الصَّوْتَ ـ الحَرْفَ كَـرَوِيٍّ ـ وَمَا يَحْمِلُهُ مِنْ شِدَّةٍ وَلِينٍ وَجَهْرٍ وَهَمْسٍ وَاسْـتِفَالٍ وَانْفِتَـاحٍ وَغَيْرِهَـا مِـنَ الصِّـفَاتِ عَامِـلٌ أَصِـيلٌ فِي إِنْتَـاجِ الدِّلَالَةِ وَتَرْسِيخِهَا فِي ذِهْنِ المُتَلَقِّي.

جَاءَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ لِدِرَاسَةِ رَوِيِّ الْقَافِيَةِ وَصُوَرِهَا، وَذَلِكَ لِلْوُقُوفِ عَـلَىٰ أَهَـمِّ الخَصَـائِصِ الصَّوْتِيَّةِ المَائِزَةِ فِي الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِـ«قُطْب».

---

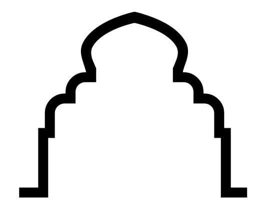
(1) انظر مثلا دلالة روي اللام في قصيدة «تحية الحياة» في الفقرة (4/3)، ودلالة روي الدال في حماسية «أخـي» في الفقـرة (7/3) في الفصل الثالث من الباب الأول .

(2) د . عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر ، ص 67 ، بتصرف .

(3) يوري لوتمان: بنية النص الشعري ، ص 93.

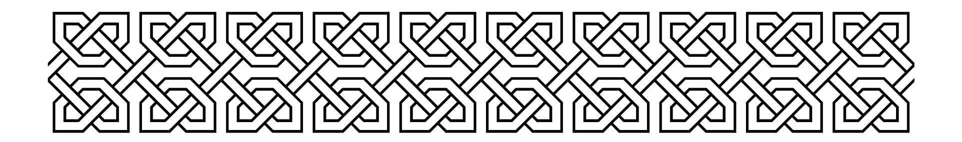
وَجَاءَ الْفَصْلُ الثَّانِي فِي شِقَّيْنِ؛ الْأَوَّلِ: لِدِرَاسَةِ أَنْمَاطِ التَّقْفِيَـةِ فِي الـنَّصِ؛ إِذْ إِنَّ الشَّـاعِرَ لَـمْ يَعُـدْ يَنْـتَهِجُ طَرِيقَةً وَاحِدَةً فِي تَوْزِيعِ الرَّوِيِّ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْتَهِجُ طُرُقًا أُخْرَىٰ مُتَعَـدِّدَةً تَـمَّ رَصْـدُهَا إِحْصَـائِيًّا عَلَىٰ نَحْوِ مَا سَيَظْهَرُ.أَمَّا الشِّقُّ الثَّانِي فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِدِرَاسَةِ الْأَنْسَاقِ الصَّوْتِيَّةِ لِصَوْتِ الرَّوِيِّ ؛ إِذْ إِنَّ الشَّـاعِرَ قَـدْ يُنَوِّعُ فِي أَصْوَاتِ الرَّوِيِّ دَاخِلَ النَّصِّ الْوَاحِدِ، لَكِنْ يَبْقَىٰ هَذَا التَّنَوُّعُ مُنَظَّمًا دَاخِلَ نَسَـقٍ صَـوْتِيٍّ وَاحِـدٍ يَجْمَـعُ أَصْوَاتًا عِدَّةً .

وَجَاءَ الْفَصْلُ الثَّالِثُ ـ فِي دَائِرَةٍ أَكْثَرَ اتِّسَاعًا ـ لِدِرَاسَةِ دَوْرِ الْقَافِيَةِ فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ.وَذَلِكَ مِـنْ خِلَالِ اخْتِيَارِ عِدَّةِ نُصُوصٍ إِبْدَاعِيَّةٍ.



الفصل الأول

الْقَافِيَةُ:رَوِيُّهَا وَصُوَرُهَا



الفصل الأول

الْقَافِيَةُ:رَوِيُّهَا وَصُوَرُهَا

(1/1) اِرْتَقَتِ الدِّرَاسَةُ مُرْتَقًىٰ إِحْصَائِيًّا قَامَ عَـلَىٰ حَصْرِ حُـرُوفِ الـرَّوِيِّ فِي الْقَصِـيدَةِ لَا عَـدَّ الْقَصِـيدَةِ وَحْدَةً قَافِوِيَّةً عَلَىٰ حِدَةٍ ؛ فَقَدْ تَشْتَمِلُ الْقَصِيدَةُ عَلَىٰ حَرْفَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ رَوِيًّـا لهَـا، كُـلُّ حَرْفٍ يَتَكَرَّرُ فِي عَدَدٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ، لِذَا رَأَتِ الدِّرَاسَةُ حَصْرَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ المُقَفَّاةِ بِرَوِيٍّ مُعَيَّنٍ، وَبِالتَّـالِي فِي أَعْمَالِ الشَّاعِرِ كُلِّهَا.

(2/1) نَتَجَ عَنِ التَّتَبُّعِ الْإِحْصَائِيِّ لِلْحُرُوفِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ رَوِيًّا مَا تَمَّ رَصْدُهُ فِي جدْوَلِ رقم (10) التَّالِي :

الحَرْفُ	مَـــرَّاتُ تَكْـــرَارِهِ رَوِيًّا	الحَرْفُ	مَـــرَّاتُ تَكْـــرَارِهِ رَوِيًّا
الرَّاءُ	510	الهَاءُ	46
النُّونُ	368	الكَافُ	35
المِيمُ	362	اليَاءُ	32
الْبَاءُ	284	الفَاءُ	29
الدَّالُ	230	السِّينُ	26
اللَّامُ	222	الحَاءُ	24
الهمْزَةُ	156	الضَّادُ	5
الْقَافُ	63	الجِيمُ	3
الْعَيْنُ	62	الْوَاوُ	2
التَّاءُ	58	ـ	ــ

<u>مِنْ خِلَالِ الرَّصْدِ السَّابِقِ يُمْكِنُ أَنْ نَخْرُجَ بِعِدَّةِ نَتَائِجَ:</u>

1 ـ مَثَّلَــتْ مَجْمُوعَــةُ الْأَصْـوَاتِ المَائِعَـةِ «Liquids» (الـرَّاءُ وَالنُّـونُ وَالمِـيمُ وَالـلَّامُ) النِّسْـبَةَ الْكُـبْرَىٰ

مِنَ الحُرُوفِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ رَوِيًّا فِي شِعْرِ «قُطْب»، وَهِيَ أَصْوَاتٌ مُتَوَسِّطَةٌ لَيْسَتِ انْفِجَارِيَّةً وَلَا احْتِكَاكِيَّةً، فَهِيَ تَجْمَعُ بَيْنَ خَصَائِصِ الْأَصْوَاتِ السَّاكِنَةِ وَأَصْوَاتِ اللِّين؛فَفِيهَا مِنْ صِفَاتِ الْأُولَىٰ أَنَّ مَجْرَىٰ النَّفَسِ مَعَهَا تَعْتَرِضُهُ بَعْضُ الحَوَائِلِ، وَمِنْ صِفَاتِ الثَّانِيَةِ أَنَّهَا لَا يَكَادُ يُسْمَعُ لهَا حَفِيفٌ.فَضْلًا عَنْ كَوْنِهَا أَصْوَاتًا مَجْهُورَةً، فَاللَّامُ وَالمِيمُ وَالنُّونُ«أَكْثَرُ الْأَصْوَاتِ السَّاكِنَةِ وُضُوحًا؛وَلِذَا يَمِيلُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ تَسْمِيَّتِهَا أَشْبَاهَ أَصْوَاتِ اللِّين»[1] أَمَّا اللَّامُ وَالرَّاءُ وَالنُّونُ فَهِيَ «أَصْوَاتٌ تَشْتَرِكُ فِي نِسْبَةِ وُضُوحِهَا الصَّوْتِيِّ، وَأَنَّهَا مِنْ أَوْضَحِ الْأَصْوَاتِ السَّاكِنَةِ فِي السَّمْعِ ».[2] وَإِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَىٰ الْإِحْصَاءِ الَّذِي أَجْرَاهُ «د.عَبْدُ الصَّبُور شَاهِين» لِلْحُرُوفِ المسْتَخْدَمَةِ فَاصِلَةً لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّ أَصْوَاتَ النُّونِ وَالمِيمِ وَالرَاءِ هِيَ أَكْثَرُ الحُرُوفِ الهِجَائِيَّةِ اسْتِخْدَمًا فِي نِهَايَةِ الْآيَاتِ.[3]

وَيُعَلِّلُ «الطَّرَابُلْسِيُّ» مَجِيءَ هَذِهِ الحُرُوفِ رَوِيًّا بِكَثْرَةٍ ـ مُضِيفًا الْبَاءَ وَالدَّالَ إِلَيْهَا ـ أَنَّهَا تُمَثِّلُ النِّسْبَةَ الْكُبْرَىٰ فِي أَبْوَابِ لِسَانِ الْعَرَب.[4] وَمِنَ المفِيدِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّ هَذِهِ الحُرُوفَ بِجَانِبِ الحَرْفَيْنِ الانْفِجَارِيَّيْنِ الْبَاءِ وَالدَّالِ شَكَّلَتْ أَيْضًا أَكْبَرَ نِسْبَةٍ فِي الاسْتِخْدَامِ رَوِيًّا فِي شِعْرِ «شَوْقِي»[5] وَهُوَ مَا يَتَطَابَقُ شَدِيدَ المطَابَقَةِ مَعَ شِعْرِ «قُطْب».

2 ـ تَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ مَجْمُوعَةُ الحُرُوفِ الانْفِجَارِيَّةِ «Plosive» (الْبَاءُ وَالدَّالُ وَالتَّاءُ وَالْكَافُ) وَهِيَ أَصْوَاتٌ تَتَأَتَّىٰ مِنِ انْحِبَاسِ الهَوَاءِ مَعَهَا عِنْدَ مَخْرَجِ كُلٍّ مِنْهَا حَتَّىٰ يَنْفَصِلَ الْعُضْوَانِ فَجْأَةً وَيُحْدِثُ النَّفَسُ صَوْتًا انْفِجَارِيًّا.[6]فَالْبَاءُ الَّتِي جَاءَتْ فِي مَرْتَبَةٍ ثَالِثَةٍ صَوْتٌ شَدِيدٌ مَجْهُورٌ، وَالدَّالُ الَّذِي جَاءَ فِي مَرْتَبَةٍ بَعْدَهُ شَدِيدٌ مَجْهُورٌ أَيْضًا، أَمَّا التَّاءُ وَالْكَافُ فَمَهْمُوسَانِ وَمِنْ ثَمَّ يُشَكِّلُ الْبَاءُ وَالدَّالُ مِنْ هَذِهِ المجْمُوعَةِ المرْتَبَةَ الثَّانِيَةَ فِي الحُرُوفِ المسْتَخْدَمَةِ رَوِيًّا.

---

(1) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 28 .

(2) السابق ، ص 55 .

(3) د. عبد الصبور شاهين : عربية القرآن ، ط . مكتبة الشباب ، القاهرة ، (د . ت) ، ص 215 .

(4) محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 46 .

(5) نفسه .

(6) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 24 ، 25 .

وَبِنَاءً عَلَىٰ مَا سَبَقَ : نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ إِنَّ نِهَايَاتِ الْأَبْيَاتِ فِي شِعْرِ «قُطْب» تَتَمَيَّزُ فِي الْغَالِبِيَّةِ الْعُظْمَىٰ بِالْوُضُوحِ الصَّوْتِيِّ الشَّدِيدِ ، وَالْقُوَّةِ الْإِسْمَاعِيَّةِ .

3 ـ شَكَّلَتِ الْأَصْوَاتُ المجْهُورَةُ النِّسْبَةَ الْكُبْرَىٰ فِي الحُرُوفِ المسْتَخْدَمَةِ رَوِيًّا، وَهِيَ الرَّاءُ وَالنُّونُ وَالمِيمُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ وَالهمْزَةُ، أَمَّا نِسَبُ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ المسْتَخْدَمَةِ رَوِيًّا فَهِيَ نِسَبٌ قَلِيلَةٌ، وَهِيَ (الْقَافُ وَالتَّاءُ وَالهَاءُ وَالكَافُ وَالْفَاءُ وَالسِّينُ وَالحَاءُ).وَهُوَ يُؤَكِّدُ مَا سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ.بَيْنَمَا بَقِيَتْ بَعْضُ الْأَصْوَاتِ المجْهُورَةِ قَلِيلَةَ النِّسَبِ ذَلِكَ لِقِلَّةِ الاعْتِمَادِ عَلَيْهَا رَوِيًّا كَمَا سَنَرَىٰ لَاحِقًا .

4 ـ يَكْشِفُ التَّتَبُّعُ الْإِحْصَائِيُّ عَنْ أَنَّ الحُرُوفَ الَّتِي اسْتَخْدَمَهَا «قُطْب» رَوِيًّا هِيَ الحُرُوفُ الَّتِي يَكْثُرُ مَجِيئُهَا لهَذَا الاسْتِخْدَامِ حَسَبَ إِحْصَاءِ «د.إِبْرَاهِيم أَنِيس»[1] ، حَيْثُ تُشَكِّلُ حُرُوفُ الرَّاءِ وَالنُّونُ وَالميمُ وَالْبَاءُ وَالدَّالُ وَاللَّامُ مَجْمُوعَ 1976 مَرَّةً رَوِيًّا فِي مُقَابِلِ 515 مَرَّةً هُوَ مَجْمُوعُ بَاقِي الحُرُوفِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْ رَوِيًّا .

5 ـ كَشَفَ التَّتَبُّعُ الإِحْصَائِيُّ أَيْضًا عَنْ مَجِيءِ حُرُوفٍ مُتَوَسِّطَةِ الشُّيُوعِ فِي اِسْتِخْدَامِهَا رَوِيًّا مِثْلُ الهمْزَةِ وَالْقَافِ وَالْعَيْنِ وَالتَّاءِ وَهُوَ مَا جَاءَ مُطَابِقًا إِلَىٰ حَدٍّ كَبِيرٍ مَعَ الْإِحْصَاءِ سَابِقِ الذِّكْرِ.

6 ـ حَرْفُ الضَّادِ مِنَ الحُرُوفِ قَلِيلَةِ الشُّيُوعِ فِي الاسْتِخْدَامِ رَوِيًّا بِحَسَبِ الْإِحْصَاءِ الْعَامِ لحُرُوفِ الرَّوِيِّ، فَلَيْسَ عَجَبًا ـ إِذَنْ ـ أَنْ نَجِدَ الشَّاعِرَ اِسْتَخْدَمَهُ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَقَطْ رَوِيًّا .

7 ـ حَرْفُ الْوَاوِ مِنَ الحُرُوفِ الَّتِي نَادِرًا مَا يُسْتَخْدَمُ رَوِيًّا حَسَبَ الْإِحْصَاءِ الْعَامِ لحُرُوفِ الرَّوِيِّ، وَلَعَلَّ هَذَا يُقَدِّمُ تَفْسِيرًا لمَا وَقَعَ لهذَا الحَرْفِ، حَيْثُ اسْتَخْدَمَهُ الشَّاعِرُ مَرَّتَيْنِ فَقَطْ رَوِيًّا.فِي حِينِ كَانَ حَرْفُ الجِيمِ مِنَ الحُرُوفِ مُتَوَسِّطَةِ الشُّيُوعِ فِي الْإِحْصَاءِ الْأَنِيسِيِّ لَكِنَّ نَسْبَةَ مَيْلِ الشَّاعِرِ إِلَيْهِ كَانَتْ قَلِيلَةً جِدًّا.

8 ـ جُمْلَةُ الْأَمْرِ: كَانَ «قُطْب» مُرَاعِيًا لِلسَّنَنِ الصَّوْتِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ جِهَةٍ، وَلِقَوَاعِدِ الشِّعْرِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ، حَيْثُ جَاءَتْ حُرُوفُ الجَهْرِ مُكَوِّنًا أَسَاسِيًّا لِإِيقَاعِ نِهَايَةِ الْبَيْت عِنْدَهُ، وَهَذَا يَتَمَاشَىٰ ـ عَامَّةً ـ مَعَ مُوسِيقِيَّةِ اللُّغَةِ ؛إِذْ إِنَّ «الْكَثْرَةَ الْغَالِبَةَ مِنَ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ مَجْهُورَةٌ، وَمِنَ الطَّبِيعِيِّ أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ وَإِلَّا فَقَدَتِ اللُّغَةُ عُنْصُرَهَا الموسِيقِيَّ وَرَنِينَهَا الخَاصَّ

(1) موسيقىٰ الشعر ، ص 246 .

الَّذِي نُمَيِّزُ بِهِ الْكَلامَ مِنَ الصَّمْتِ.،. إنَّ نِسْبَةَ شُيُوعِ الْأَصْوَاتِ المهْمُوسَةِ فِي الْكَـلَامِ لَا تَكَـادُ تَزِيـدُ عَـنِ الخُمْسِ أَوِ الْعِشْرِينَ بِالمِائَةِ فِي حِينِ أَنَّ أَرْبَعَة أَخْمَاسِ الْكَلَامِ تَتَكَوَّنُ مِنْ أَصْوَاتٍ مَجْهُورَةٍ ».وَمِنْ جِهَـةٍ أُخْرَىٰ نُلَاحِظُ نِسْبَةَ التَّطَابُقِ الْكَبِيرَةِ بَيْنَ مَرَاتِبِ الحُرُوفِ المسْتَخْدَمَةِ رَوِيًّا عِنْـدَهُ وَبَـيْنَ تَرْتِيـبِ نِسَـبِ شُيُوعِ حُرُوفِ الهِجَاءِ رَوِيًّا عنْدَ «د.أَنِيس».

(3/1) لَا تُؤْتِي نَتِيجَةُ الْإِحْصَاءِ ثِمَارَهَا إِلَّا إِذَا تَقَدَّمْنَا بِهَا خُطْوَاتٍ أُخَرَ، مِنْهَا هَذِهِ الخُطْوَةُ الَّتِي نَسْعَىٰ مِنْ خِلَالِهَا إِلَىٰ الْوُقُوفِ عَلَىٰ أَكْثَرِ المَخَارِجِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ فِي أَدَائِهِ الصَّوْتِيِّ لحَرْفِ الـرَّوِيِّ ، وَهَذَا مَا يُوَضِّحُهُ جَدْوَلُ رقم(11) التَّالِي :

المَخْرَجُ	المِنْطَقَةُ	الحُـرُوفُ التَّابِعَـةُ مِنْهُ	الحُـرُوفُ المسْـتَخْدَمَةُ رَوِيًّا	العَدَدُ
الْـحَلْقُ	أقصىٰ الحلق	ء ـ هـ	ء ـ هـ	156ـ 46
	وسط الحلق	ع ـ ح	ع ـ ح	62 ـ 24
	أدنىٰ الحلق	غ ـ خ	ــــ	ــــ
اللِّسَانُ	أقصاه مع الحنك اللحمي	ق	ق	63
	أقصاه مع الحنك العظمي	ك	ك	35
	وسط اللسـان مـع مـا يقابلـه مـن وسـط الحنك الأعلىٰ	ج ـ ش ـ ي (غير المدية)	ج ـ ي	3 ـ 32
	حافة اللسان مع الأضراس	ض	ض	5
	أدنىٰ حافة اللسان مع منتهىٰ طرفه	ل	ل	222
	طرف اللسان مـع مـا يقابلـه مـن الحنـك الأعلىٰ	ن ـ ر	ن ـ ر	368 ـ 510
	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	ط ـ د ـ ت	د ـ ت	230 ـ 58

	طرف اللسان مع فوق الثنايا السفلىٰ	ص ـ س ـ ز	س	26
	طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا	ظ ـ ذ ـ ث	ــــ	ــــ
الشَّفَتَانِ	ـ	ف ـ و ـ م ـ ب	ف ـ و ـ م ـ ب	29 ـ 2 ـ 362 ـ 284

مِنْ خِلَالِ الْعَرْضِ السَّابِقِ نَسْتَنْتِجُ مَا يَلِي :

1 ـ يُعَدُّ مَخْرَجَا «أَدْنَىٰ الحَلْقِ»، و«طَرَفِ اللِّسَانِ مَعَ أَطْرَافِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا» مَخْرَجَيْنِ صَوْتِيَّيْنِ مَهْجُورَيْنِ فِي الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ لِحُرُوفِ الرَّوِيِّ عِنْدَ «قُطْب»؛إِذْ لَمْ يَسْتَخْدِمْ أَيَّ صَوْتٍ فِيهِمَا رَوِيًّا.

2 ـ تُعَدُّ مَخَارِجُ : «أَقْصَىٰ اللِّسَانِ مَعَ الحَنَكِ اللَّحْمِيِّ وَالْعَظْمِيِّ»، و«وَسَطُ اللِّسَانِ مَعَ مَا يُقَابِلُـهُ مَـعَ وَسَـطِ الحَنَكِ الْأَعْلَىٰ»، و«حَافَّةُ اللِّسَانِ مَعَ الْأَضْرَاسِ»، و«طَرَفُ اللِّسَانِ مَعَ طَرَفِ الثَّنَايَا السُّفْلَىٰ» مَخَارِجَ مُتَوَسِّطَةِ الْإِنْتَاجِ فِي الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ لِحُرُوفِ الرَّوِيِّ فِي شِعْرِ «قطب».

3 ـ تُعَدُّ مَخَارِجُ:«أَقْصَىٰ الحَلْقِ»، و«أَدْنَىٰ حَافَّةِ اللِّسَانِ مَعَ مُنْتَهَىٰ طَرَفِهِ»، و«طَرَفُ اللِّسَانِ مَعَ مَا يُقَابِلُهُ مِـنَ الحَنَكِ الْأَعْلَىٰ»، و«طَرَفُ اللِّسَانِ مَعَ أُصُولِ الثَّنَايَا الْعُلْيَا»، و«الشَّفَتَانِ» مَخَارِجَ نَشِطَةً فِي الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ لِحُرُوفِ الرَّوِيِّ ؛ إِذْ أَفْرَزَتْ هَذِهِ المَخَارِجُ الْأَصْوَاتَ الْأَكْثَرَ اسْتِخْدَامًا لِرَوِيِّ الْأَبْيَاتِ .

4 ـ نَسْتَطِيعُ ـ إِذَنْ ـ أَنْ نَرْصُدَ طُولَ النَّفَسِ الصَّوْتِيِّ لِحُرُوفِ الرَّوِيِّ عَنْ طَرِيقِ مَخْرَجِهِ ، حَيْثُ إِنَّهُ كُلَّمَا كَانَ مَخْرَجُ الحَرْفِ مُتَقَدِّمًا أَوْ قَرِيبًا مِنَ الشَّفَتَيْنِ كَانَ الاعْتِمَادُ عَلَيْهِ أَكْثَرَ فِي الاسْتِخْدَامِ رَوِيًّا.

(4/1) نَتَقَدَّمُ بِالْإِحْصَاءِ الْأَوَّلِ خُطْوَةً أُخْرَىٰ حِينَ يَتِمُّ رَصْدُ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِصَوْتِ الرَّوِيِّ بِاعْتِبَارِ التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ ، وَهَذَا مَا نَسْعَىٰ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ اِسْتِنْطَاقِ جَدْوَلِ رقم(12) :

الحَرُف	مُقَيَّدًا	مُطْلَقًا			المجْمُوعُ
		بالفتحة	بالضمة	بالكسرة	
الرَّاءُ	147	78	63	222	510
النُّونُ	155	74	14	125	368
المِيمُ	73	37	32	220	362
البَاءُ	73	18	43	150	284
الدَّالُ	95	23	8	104	230
اللَّامُ	76	30	25	91	222
الهمزةُ	112	-	-	44	156
القافُ	35	5	15	8	63
العينُ	19	8	11	24	62
التاءُ	31	-	-	27	58
الهاءُ	40	2	-	4	46
الكافُ	13	-	-	22	35
الياءُ	8	24	-	-	32
الفاءُ	9	20	-	-	28
السينُ	2	-	-	24	26
الحاءُ	20	2	-	2	24
الضادُ	-	-	-	5	5
الجيمُ	3	-	-	-	3
الواوُ	-	2	-	-	2

مِنْ خِلَالِ الْعَرْضِ السَّابِقِ نَسْتَنْتِجُ مَا يَلِي :

1 ـ يَرْتَبِطُ مَجْرَىٰ النَّفَسِ بِكَثْرَةِ المَيْلِ إِلَىٰ اسْتِخْدَامِ الحَرْفِ رَوِيًّا بِشَكْلٍ مُطْرَدٍ ؛ إِذْ إِنَّ أَكْثَرَ الحُرُوفِ اسْتِخْدَامًا جَاءَ مُطْلَقَ الحَرَكَةِ، بَيْنَمَا جَاءَتْ أَقَلُّ الحُرُوفِ اِسْتِخْدَامًا رَوِيًّا مُقَيَّدَ الحَرَكَةِ .

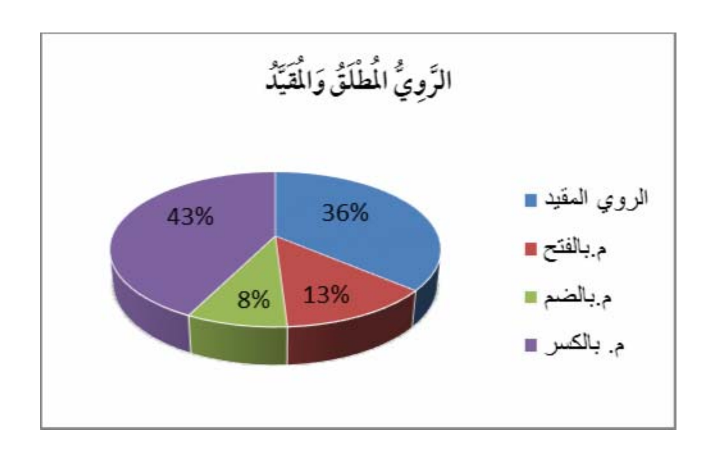
2 ـ جَرَيَانُ الصَّوْتِ بِالْكَسْرَةِ جَاءَ مَعَ أَكْثَرِ الحُرُوفِ اسْتِخْدَامًا رَوِيًّا، وَذَلِكَ فِي الرَّاءِ وَالمِيمِ وَالْبَاءِ وَالدَّالِ وَاللَّامِ، وَخَرَجَ عَنْ هذَا النُّونُ؛إِذْا جَاءَ فِي أَكْثَرِ مَرَّاتِ اِسْتِخْدَامِهِ رَوِيًّا مُقَيَّدًا.

3 ـ يُعَدُّ اسْتِخْدَامُ الرَّوِيِّ المُطْلَقِ هُوَ أَبْرَزُ الخَصَائِصِ الْأُسْلُوبِيَّةِ لِلْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ عِنْدَ «قُطْب»؛إِذْ يَبْلُغُ مَجْمُوعُ حُرُوفِ الرَّوِيِّ المُطْلَقِ1606رَوِيٍّ، فِي حِينِ يَبْلُغُ فِي المُقَيَّدِ911 رَوِيًّا، أَيْ إِنَّ مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَرْبَاعِ الرَّوِيِّ جَاءَ مُطْلَقًا، وَمِنْ ثَمَّ يَتَّفِقُ هَذَا الْإِحْصَاءِ مَعَ النَّتِيجَةِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا «د.أَنِيسُ» فِي أَنَّ الرَّوِيِّ المُطْلَقَ هُوَ الْأَكْثَرُ اسْتِخْدَامًا فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ؛ إِذْ إِنَّ «مَا يَقْرُبُ مِنْ 90% مِنَ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ جَاءَ مُحَرَّكَ الرَّوِيِّ»[1]، وَأَنَّ الرَّوِيَّ المُقَيَّدَ «قَلِيلُ الشُّيُوعِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ لَا يَكَادُ يَتَجَاوَزُ 10%».[2]

4 ـ يُعَدُّ الرَّوِيُّ ذَاتُ المجْرَىٰ المكْسُورِ هُوَ أَحَدُ أَبْرَزِ الخَصَائِصِ الْأُسْلُوبِيَّةِ فِي أَدَاءِ «قُطْب» لِصَوْتِ الرَّوِيِّ المُطْلَقِ؛إِذْ إِنَّ مَجْمُوعَ مَرَّاتِ اسْتِخْدَامِ الحُرُوفِ رَوِيًّا مَكْسُورًا 1072 بَيْنَمَا كَانَ مَجْمُوعُ اِسْتِخْدَامِهِ مَفْتُوحًا 323 ، وَكَانَ اِسْتِخْدَامُهُ مَضْمُومًا 211.أَيْ إِنَّ نِسْبَةَ الرَّوِيِّ ذِي المجْرَىٰ المكْسُورِ يُمَثِّلُ ثُلُثَ مَجْمُوعِ الرَّوِيِّ المُطْلَقِ ، وَيُمَثِّلُ مَا يَقْرُبُ مِنْ 43% مِنْ مَجْمُوعِ عَدَدِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ عَلَىٰ نَحْوِ مَا يُوَضِّحُهُ الشَّكْلُ التَّالِي :

(1) د . إبراهيم أنيس: موسيقىٰ الشعر ، ص 255 .

(2) السابق ، ص 258 .



(شكل:8) الروي المطلق والروي المقيد

فَإِذَا مَا عَلِمْنَا أَنَّ الْكَسْرَةَ الْقَصِيرَةَ تُحَقِّقُ أَعْـلَىٰ النِّسَـبِ عَـلَىٰ مَعَـالِمِ جِهَـازِ الْإِسْـبكْتْروجَرَاف ، حَيْـثُ تُسَجِّلُ فِي الْمَعْلَمِ الْأَوَّلِ290دَرَجَةً وَفِي الثَّانِي 2200 وَفِي الثَّالِثِ 2700 [1] ، تَأَكَّدَ لَنَا الْوُضُوحُ السَّـمْعِيُّ وَالْقُـوَّةُ الصَّوْتِيَّةُ لِإِيقَاعِ نِهَايَةِ الْبَيْتِ فِي شِعْرِ «قُطْب» .

(5/1) صُوَرُ الْقَافِيَةِ:

لِلْقَافِيَةِ خَمْسُ صُوَرٍ انْبَثَقَتْ مِنْ تَعْرِيفِهَا الَّذِي صَاغَهُ الخَلِيـلُ بْـنُ أَحْمَـدَ :«إِنَّهَـا مِـنْ آخِـرِ حَـرْفٍ فِي الْبَيْتِ إِلَىٰ أَوَّلِ سَاكِنٍ يَلِيهِ مِنْ قَبْلِهِ مَعَ حَرَكَةِ الحَرْفِ الَّذِي قَبْلَهُ...».[2] وَهَذِهِ الصُّوَرُ هِيَ :

1 ـ الْمُتَكَاوِسُ: وَتَكُونُ بِصُورَةِ أَرْبَعِ مُتَحَرِّكَاتٍ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ (٥ ////٥) .

2 ـ الْمُتَرَاكِبُ : وَتَكُونُ بِصُورَةِ ثَلَاثِ مُتَحَرِّكَاتٍ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ (٥///٥) .

3 ـ الْمُتَدَارِكُ : وَتَكُونُ بِصُورَةِ مُتَحَرِّكَيْنِ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ (٥//٥) .

4 ـ الْمُتَوَاتِرُ : وَتَكُونُ بِصُورَةِ مُتَحَرِّكٍ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ (٥/٥).

5 ـ الْمُتَرَادِفُ : وَتَكُونُ بِصُورَةِ سَاكِنَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَاصِلٌ (٥ ٥).

---

(1) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، 39 .
(2) ابن رشيق : العمدة ، 159/1 .

وَالمُتَحَرِّكُ الَّذِي قَبْلَ السَّاكِنِ الْأَوَّلِ مِنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْقَوَافِي يُعَدُّ مِنَ الْقَافِيَةِ.[1]

وَقَدْ تَوَافَرَتْ صُوَرٌ أَرْبَعٌ فَقَطْ فِي شِعْرِ «قُطْب» ؛إِذْ إِنَّ صُورَةَ المُتَكَاوِسِ لَمْ تَأْتِ فِي شِعْرِهِ، علىٰ النحو التالي:

الصُّورَةُ	المتواتر	المتدارك	المترادف	المتراكب
الْعَدَدُ	1064	720	668	93

مِنْ خِلَالِ الْعَرْضِ السَّابِقِ يَتَّضِحُ أَنّ صُورَةَ المُتَوَاتِرِ هِيَ أَكْثَرُ صُوَرِ الْقَافِيَةِ تَكْرَارًا فِي شِعْرِ «قُطْب» وَسَنَقُومُ بِدِرَاسَةِ كُلِّ صُورَةٍ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

(1/5/1) قَافِيَةُ الْـمُتَوَاتِرُ :

فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ الْقَافِيَةِ يَأْتِي إِيقَاعُ النِّهَايَةِ بِصُورَةِ (٥/٥)، وَإِذَا مَا أَضَفْنَا الُمتَحَرِّكَ قَبْلَ السَّاكِنِ الْأَوَّلِ، فَسَوْفَ نَكُونُ أَمَامَ عِدَّةِ أَشْكَالٍ مِنَ المَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ:

أ ـ (ص ح ح /ص ح ح): مَقْطَعَانِ مُتَوَسِّطَانِ مَفْتُوحَانِ«Open»، كَقَوْلِهِ:

مَهْدَ الرَّجَاءِ وَمَهْبَطَ الْأَحْلَامِ .:. وَطَنِي عَلَيْكَ تَحِيَّتِي وَسَلَامِي[2]

(لَا /مِي) =(/٥/٥) =(٥ ٥).[3]

ب ـ (ص ح ص /ص ح ص): مَقْطَعَانِ مُتَوَسِّطَانِ مُغْلَقَانِ «Closed»، كَقَوْلِهِ:

دَعِيهَا تُغَرِّدْ لحَنَهَا وَتُرَجِّعْ .:. وَتَمْرَحْ مَا شَاءَتْ وَتَلْهُ وَتَرْتَعْ[1]

(1) انظر : ـ الأخفش (سعيد بن مسعدة . ت 215 هـ) : كتاب القوافي ، تحقيق د . عزة حسن ، ط .دار مطبوعات إحياء التراث القديم ، دمشق ، 1970 ، ص 8 .

ـ القرطاجني (أبو الحسن حازم . ت 684 هـ) :الباقي من كتاب القوافي ، تحقيق د . علي لغزيوي ، ط .الدار الأحمدية ، المغرب ، 1997 ، ص 37 .

ـ الخطيب التبريزي : كتاب الكافي في العروض والقوافي ، ص 147 .

ـ د . عوني عبد الرءوف : القافية والأصوات اللغوية ، ط . مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د .ت) ، ص 4 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 81 .

(3) يُرْمَزُ للمقطع المتوسط بالرمز (٥) ، وللقصير (ـ) ، وللطويل (**q**) .

(تَرْ/تَعْ)=(ه/ه/) = (ه ه).

جـ ـ (ص ح ح / ص ح ص): مَقْطَعَانِ مُتَوَسِّطان؛ الْأَوَّلُ مَفْتُوحٌ وَالثَّانِي مُغْلَقٌ كَقَوْلِهِ :

طَالِعِينِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بِوَجْهٍ .:. فَلَدَيْكِ الْوُجُوهُ شَتَّىٰ طَرِيفَةْ[2]

(رِيـ/فَةْ) =(ه/ه/) = (ه ه) .

د ـ (ص ح ص / ص ح ح) : مَقْطَعَانِ مُتَوَسِّطَانِ؛ الْأَوَّلُ مُغْلَقٌ وَالثَّانِي مَفْتُوحٌ، وَهُوَ عَكْسُ الشَّكْلِ السَّابِقِ ، كَقَوْلِهِ:

تَطِيفُ بِنَفْسِي وَهْيَ وَسْنَانَةٌ سَكْرَىٰ .:.هَوَاتِفُ فِي الْأَعْمَاقِ سَارِيَةٌ تَتْرَا[3]

(تَتْـ/رَا) = (/ه/ه) =(ه ه).

هـ ـ (ص ح ح /ص ح) : مَقْطَعٌ مُتَوَسِّطٌ مَفْتُوحٌ وَالآخَرُ قَصِيرٌ ، كَقَوْلِهِ:

أَهُوَ الْبَعْثُ يَا لَيَالِي الخُلُودِ .:.أَمْ تُرَىٰ أَنْتِ نَفْحَةٌ مِنْ جَدِيدِ[4]

(دِيـ/دِ) =(ه/ه/) = (ه ـ) .

و ـ (ص ح ص / ص ح): مَقْطَعٌ مُتَوَسِّطٌ مُغْلَقٌ وَالثَّانِي قَصِيرٌ ، كَقَوْلِهِ :

تَخَاصَمْنَا تَخَاصَمْنَا .:. كَذَلِكَ يَعْبَثُ الْـحُبُّ[5]

(حُبْـ/بُ)=(ه/ه/) = (ه ـ) .

(2/5/1) قَافِيَةُ المُتَدَارَكِ :

فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ الْقَافِيَةِ يَأْتِي إِيقَاعُ النِّهَايَةِ بِصُورَةِ (ه//ه)، وَإِذَا مَا أَضَفْنَا الُمتَحَرِّكَ قَبْلَ السَّاكِنِ الْأَوَّلِ، فَسَوْفَ نَكُونُ أَمَامَ عِدَّةِ أَشْكَالٍ مِنَ المَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ:

أـ (ص ح ح/ ص ح /ص ح) : مَقْطَعٌ مُتَوَسِّطٌ مَفْتُوحٌ ، وَمَقْطَعَانِ قَصِيرَانِ، كَقَوْلِهِ :

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 226 .
(2) السابق ، ص 139 .
(3) السابق ، ص 120
(4) السابق ، ص 83 .
(5) السابق ، ص 163 .

لَمْ أَجِدْ قَلْبًا إِذَا ارْتَعْتُ خَفَقْ .:.خَفْقَةَ الحُبِّ بِوحْيٍ صَادِقِ[1]

(صَا/دِ/قُ) =(/٥//٥) =(٥ ـ ـ).

ب ـ (ص ح ص / ص ح / ص ح): مَقْطَعٌ مُتَوَسِّطٌ مُغْلَقٌ وَمَقْطَعَانِ قَصِيرَانِ ، كَقَوْلِهِ:

خَطَا الزَّمَنُ الْوَثَّابُ بَعْضَ التَّوَثُّبِ إِلَىٰ أَيْنَ؟ قَدْ أَوْغَلْتَ فِي غَيْرِ مَذْهَبِ[2]

(مَذْ/هَـ/بِ) = (/٥//٥) = (٥ ـ ـ).

جـ ـ (ص ح ص/ ص ح / ص ح ح) : مَقْطَعٌ مُتَوَسِّطٌ مُغْلَقٌ وَالثَّانِي قَصِيرٌ وَالثَّالِثُ مُتَوَسِّـطٌ مَفْتُـوحٌ ، كَقَوْلِهِ :

خَبِيئَةَ نَفْسِي قَدْ غَفَا الْكَوْنُ فَاسْفِرِي . وَكُونِي سَمِيرِي بَعْدَ أَنْ نَامَ سُمَّرِي[3]

(سُمْـ/مَـ/ـرِي) =(/٥//٥) = (٥ ـ ٥).

د ـ (ص ح ص /ص ح / ص ح ص) : مَقْطَعَانِ مُتَوَسِّطَانِ مُغْلَقَانِ بَيْنَهُمَا مَقْطَعٌ قَصِيرٌ كَقَوْلِهِ :

بَسْمَةٌ؟ أَمْ تِلْكَ أَنْفَاسُ الحَيَاةْ وَلِقَاءٌ ذَاكَ أَمْ رَجْـعُ الْعُمُرْ[4]

(عُلْـ/ عُمُرْ) =(/٥//٥) = (٥ ـ ٥) .

هـ ـ (ص ح ح /ص ح/ ص ح ح) : مَقْطَعَانِ مُتَوَسِّطَانِ مَفْتُوحَانِ بَيْنَهُمَا مَقْطَعٌ قَصِيرٌ ، كَقَوْلِهِ :

دَعْنِي وَلَا تَنْفُسْ عَلَيَّ مَوَاهِبِي .:. خُذْهَا وَخُذْ أَلَمِي بِهَا وَمَتَاعِبِي[5]

(تَا/عِـ/ـبِي) = (/٥//٥) = (٥ ـ ٥) .

---

(1) السابق ، ص 25 .
(2) السابق ، ص 59 .
(3) السابق ، ص 130 .
(4) السابق ، ص 103.
(5) السابق ، ص 41 .

و ـ (ص ح ح / ص ح / ص ح ص): مَقْطَعَانِ مُتَوَسِّطَانِ مَفْتُوحٌ وَمُغْلَقٌ بَيْنَهُمَا مَقْطَعٌ قَصِيرٌ ، وَهُـوَ عَكْسُ السَّابِقِ كَقَوْلِهِ :

أَطِلِّي بِطَلْعَتِكِ السَّاحِرَةْ .:.وَحَيِّ بِنَظْرَتِكِ الـشَّاعِرَةْ[1]

(شَا/عِـ/رَةْ)=(٥//٥/) =(٥ ـ ٥) .

(3/5/1) قَافِيَةُ الْـمُتَرَادِفُ :

فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ الْقَافِيَةِ يَأْتِي إِيقَاعُ النِّهَايَةِ بِصُورَةِ (٥ ٥)، وَإِذَا مَا أَضَفْنَا الُمتَحَرِّكَ قَبْلَ السَّاكِنِ الْأَوَّلِ، فَسَوْفَ نَكُونُ أَمَامَ شَكْلٍ وَاحِدٍ مِنَ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ في هَذِهِ الصُّـورَةِ: (ص ح ح ص) وَهُـوَ شَـكْلُ المقْطَـعِ الصَّوْتِيِّ الطَّوِيلِ ، كقوله :

حَلِّقِي يَا نَفْسُ فِي كُلِّ فَضَاءْ .:. وَاهْبِطِي بَيْنَ الْأَقَاحِي وَالزُّهُورْ[2]

(/هُورْ/)=(/٥ ٥) = (q) .

وَقَدْ تَكَرَّرَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ مِنَ الْقَافِيَةِ بِهَذَا النَّوْعِ مِنَ المَقَاطِعِ فِي جَمِيعِ الموَاضِعِ السِّتْمِائَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ مِنْ مَجْمُوعِ قَافِيَةِ المتَرَادِفِ.

(4/5/1) قَافِيَةُ الْـمُتَرَاكِبِ :

فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ الْقَافِيَةِ يَأْتِي إِيقَاعُ النِّهَايَةِ بِصُورَةِ (٥///٥)، وَإِذَا مَا أَضَـفْنَا الُمتَحَـرِّكَ قَبْـلَ السَّـاكِنِ الْأَوَّلِ، فَسَوْفَ نَكُونُ أَمَامَ عِدَّةِ أَشْكَالٍ مِنَ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ في هَذِهِ الصُّورَةِ:

أ ـ (ص ح ص/ص ح/ص ح/ ص ح ح): مَقْطَعَـانِ مُتَوَسِّـطَانِ الْأَوَّلُ مُغْلَـقٌ وَالثَّـانِي مَفْتُـوحٌ وَبَيْـنَهُمَا مَقْطَعَانِ قَصِيرَانِ ، كَقَوْلِهِ :

حَدِّثِينِي أَنْتِ يَا نَفْسِي فَمَا .:. أَفْهَمُ الْعَالَمَ أَوْ يَفْهَمُنِي[3]

(يَفْـ/هَـ/مُـ/نِي) =(/٥///٥) = (٥ ـ ـ ٥) .

ب ـ (ص ح ح / ص ح/ ص ح / ص ح ص) : وَهُـوَ عَكْـسُ الشَّـكْلِ السَّـابِقِ فِي تَرْتِيـبِ المقَـاطِعِ المتَوَسِّطَةِ ، كَقَوْلِهِ:

---

(1) السابق ، ص 170 .

(2) السابق ، ص 27 .

(3) السابق ، ص 25 .

آهِ لَوْ أَسْطِيعُ لِلْمَاضِي الحَسِيرْ .:. رَجْعَةً مِنْ بَعْدِ مَا جَـاءَ وَمَرْ[1]

(جَا/ءَ/ وَ/مَرْ) =(/٥//٥/٥) = (٥ ـ ـ ٥).

جـ (ص ح ص / ص ح / ص ح /ص ح) :مَقْطَعٌ مُتَوَسِّطٌ وَثَلَاثَةُ مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَمَا قُبُلَاتُنَا تَتْرًا .:. وَلَا الرُّسُلُ وَلَا الْكُتُبُ[2]

(لَلْـ/كُـ/تُـ/بُ) = (/٥//٥/٥) = (٥ ـ ـ ـ)

د ـ (ص ح ح / ص ح/ ص ح /ص ح): مَقْطَعٌ مُتَوَسِّطٌ مَفْتُوحٌ وَثَلَاثَةُ مَقَاطِعَ قَصِيرَةٍ ، كَقَوْلِهِ :

وَقُلْتُ وَقَدْ نَزَا أَلَمِي .:. فِدَاكَ الْكَوْنُ يَا طَلَلُ[3]

(يَا/ طَـ/لَـ/لُـ) = (/٥ ///٥) = (٥ ـ ـ ـ) .

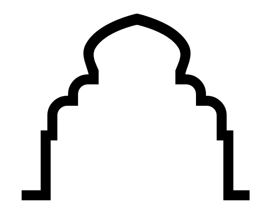
وَعَلَىٰ ذَلِكَ يُمَثِّلُ النَّوْعَانِ الْأَوَّلَانِ أَكْثَرَ صُوَرِ الْقَافِيَةِ تَكْرَارًا فِي شِعْرِ «قُطْب»، وَقَدْ تَنَوَّعَتْ فِي أَشْكَالِهَا المقْطَعِيَّةِ عَلَىٰ نَحْوِ مَا رَأَيْنَا.أَمَّا عَنِ التَّشْكِيلِ الْفَنِيِّ فِي تَوْزِيعِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ وَأَنْسَاقِهِ الصَّوْتِيَّةِ فَهَذَا مَا سَوْفَ نَتَوَقَّفُ عِنْدَهُ بِالدِّرَاسَةِ فِي الْفَصْلِ التَّالِي.

---

(1) السابق ، ص 108 .

(2) السابق ، ص 163 .

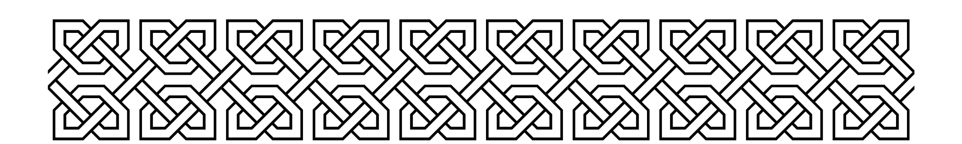
(3) السابق ، ص 201 .



الفصل الأول

أَنْمَاطُ التَّقْفِيَةِ فِي النَّصِّ

وَالْأَنْسَاقُ الصَّوْتِيَّةُ لِلرَّوِيِّ



الفصل الثاني

أَنْمَاطُ التَّقْفِيَةِ فِي النَّصِّ وَالْأَنْسَاقُ الصَّوْتِيَّةُ لِلرَّوِيِّ

(1/2) أَنْمَاطُ التَّقْفِيَّةِ فِي النَّصِّ :

(1/1/2) الْقَصَائِدُ ذَاتُ الْقَافِيَةِ الْمُوَحَّدَةِ:

يُمَثِّلُ هَذَا النَّمَطُ النِّسْبَةَ الْكُبْرَىٰ فِي شِعْرِ«قطب»؛ إِذْ يَبْلُغُ عَدَدُ الْقَصَائِدِ فِيهِ 74 قَصِيدَةً مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ بِنِسْبَةِ 58 %، وَقَدْ تَمَّ رَصْدُ هَذِهِ الْقَصَائِدِ، ونتج عن هذا الرصد التَّالي:

1 ـ يُمَثِّلُ الرَّوِيُّ فِي الْقَصَائِدِ الموَحَّدَةِ عَامِلًا صَوْتِيًّا مُتَمَيِّزًا؛نَظَرًا لِتَكْرَارِهِ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ إِلَىٰ آخِرِهَا بِمَجْرًىٰ وَاحِدٍ، وَقَدْ مَثَّلَ رَوِيُّ (الرَّاءِ) النِّسْبَةَ الْكُبْرَىٰ مِنَ الْقَصَائِدِ الموَحَّدَةِ ؛إِذْ بَلَغَ عَدَدُ الْقَصَائِدِ مِنْ هَذَا الرَّوِيِّ (17) قَصِيدَةً، يَلِيهِ رَوِيُّ (الميِمِ) فِي (13) قَصِيدَةً، يَلِيهِ رَوِيًّا (الْبَاءُ) فِي (10) قَصَائِدَ و(النُّونِ) فِي (10) قَصَائِدَ مِثْلُهُ، ثُمَّ رَوِيُّ (اللَّامِ) فِي (7) قَصَائِدَ، ثُمَّ رَوِيُّ (الدَّالِ) فِي (5) قَصَائِدَ، وَمِثْلُهُ رَوِيُّ(الهَمْزَةِ) فِي (5) قَصَائِدَ أَيْضًا، بَيْنَمَا مَثَّلَ رَوِيُّ حُرُوفِ: (السِّينِ) و(الْفَاءِ) و(الْيَاءِ)و(الْقَافِ) و(الْكَافِ) و(الهَاءِ) و (الْعَيْنِ) قَصِيدَةً وَاحِدَةً.

وَهَذِهِ النَّتِيجَةُ تَتَّفِقُ مَعَ سُلَّمِ تَرْتِيبِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ؛ إِذْ مَثَّلَتِ الحُرُوفُ المتَقَدِّمَةُ المخْرَجِ الصَّوْتِيِّ أَدَاةً فَنِّيَّةً يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ فِي أَكْثَرِ قَصَائِدِهِ، [1] وَخَاصَّةً تِلْكَ الَّتِي يَلْتَزِمُ فِيهَا حَرْفًا وَاحِدًا يَسْتَخْدِمُهُ رَوِيًّا فِي كُلِّ الْقَصِيدَةِ دُونَ غَيْرِهِ.

2 ـ شَكَّلَتْ صُورَةُ قَافِيَةِ الُمتَوَاتِرِ أَكْبَرَ نِسْبَةِ تَكْرَارٍ فِي الْقصَائِدِ ذَاتِ الْقَافِيَةِ المُوَحَّدَةِ ؛ إِذْ بَلَغَ عَدَدُ هَذِهِ الصُّورَةِ 37 قَصِيدَةً، تَلِيهَا صُورَةُ قَافِيَةِ المُتَدَارِكِ بِعَدَدِ 28 قَصِيدَةً، ثُمَّ صُورَةُ المُتَرَادِفِ بِعَدَدِ 9 قَصَائِدَ فَقَطْ، بَيْنَمَا جَاءَتْ صُورَةُ قَافِيَةِ المُتَرَاكِبِ فِي 6 أَبْيَاتٍ فَقَطْ مِنَ الْقَصَائِدِ مُوَحَّدَةِ الْقَافِيَةِ، مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ فِي قَصِيدَةِ «خِصَامٌ» [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ]، وَقَصِيدَةِ «الجَبَّارُ الْعَاجِزُ» [مِنَّ الرَّمَلِ]، وَهَذِهِ النَّتِيجَةُ تَتَّفِقُ مَعَ مَا تَمَّ عَرْضُهُ فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ أَيْضًا.[2]

---

(1) انظر الفقرة (3/1) من الفصل السابق .

(2) انظر الفقرة (5/1) من الفصل السابق .

3 ـ يُعَدُّ قِسْمُ الْغَزَلِ هُوَ أَكْثَرُ الْأَقْسَامِ الشِّعْرِيَّةِ فِي أَعْمَالِ «قُطْب» اِحْتِوَاءً لِلْقَصِيدَةِ ذَاتِ الْقَافِيَةِ المُوَحَّدَةِ ؛إِذْ جَاءَ فِي هَذَا الْقِسْمِ 31 قَصِيدَةً مُوَحَّدَةَ الْقَافِيَةِ، يَلِيهِ قِسْمُ التَّأَمُّلَاتِ 11 قَصِيدَةً، يَلِيهِ قِسْمُ الحَنِينِ 8 قَصَائِدَ، وَالْوَصْفُ مِثْلُهُ 8 قَصَائِدَ، ثُمَّ الشَّكْوَىٰ 5 قَصَائِدَ، يَلِيهِ قِسْمُ الْقَصَائِدِ الْوَطَنِيَّةِ 3 قَصَائِدَ ، ثُمَّ قِسْمَا التَّمَرُّدِ وَالمدْحِ بِقَصِيدَةٍ لِكُلِّ قِسْمٍ.

وَمِنْ ثَمَّ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ:

ـ إِنَّ رَوِيَّ الرَّاءِ هُوَ أَحَدُ الحُرُوفِ المُلَازِمَةِ لِلْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِـ«قُطْب» فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ الْقَصَائِدِ، وَلَعَلَّ مَا يَتَمَيَّزُ بِهِ هَذَا الحَرْفُ مِنْ صِفَاتٍ صَوْتِيَّةٍ بِجِوَارِ صِفَةِ التَّكْرَارِ جَعَلَهُ يُمَثِّلُ آلَةً فَنِّيَّةً مَرِنَةً يَتَّكِئُ عَلَيْهَا فِي إِنْتَاجِ النِّسْبَةِ الْكُبْرَىٰ مِنَ الْقَصَائِدِ ذَاتِ الْقَافِيَةِ المُوَحَّدَةِ.

ـ إِنَّ صُورَتَيْ قَافِيَةِ المُتَوَاتِرِ وَالمُتَدَارِكِ بِمَا تُفْرِزَانِهِ مِنْ ثِنْتَيْ عَشَرَةَ صُورَةً مَقْطَعِيَّةً صَوْتِيَّةً جَعَلَتَا الشَّاعِرُ يَرْتَكِزُ عَلَيْهِمَا فِي مِثْلِ هَذَا النَّمَطِ فِي الْقَافِيَةِ، بَيْنَمَا مَثَّلَتْ صُورَةُ قَافِيَةِ الُمتَرَاكِبِ بِمَا تُفْرِزُهُ مِنْ أَرْبَعِ صُوَرٍ مَقْطَعِيَّةٍ أَدَاةً ثَانَوِيَّةً لَا يَلْجَأُ إِلَيْهَا إِلَّا فِي سِتِّ أَبْيَاتٍ فَقَطْ مِنْ قَصَائِدِ هَذَا النَّمَطِ.

ـ إِنَّ الشَّاعِرَ وَجَدَ فِي الْقَصِيدَةِ ذَاتِ الْقَافِيَةِ المُوَحَّدَةِ قَالِبًا فَنِّيًّا يَتَحَمَّلُ أَشْوَاقَهُ وَاشْتِيَاقَهُ وَخَلَجَاتِ نَفْسِهِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الحُبِّ وَمَا يَشْمَلُهُ مِنْ قَضَايَا نَفْسِيَّةٍ، وَمَا بِهِ مِنْ عَوَاطِفَ مُتَأَجِّجَةٍ.

(2/1/2) الْقَصَائِدُ ذَاتُ الْقَافِيَةِ المُنَوَّعَةِ:

حَاوَلَ شُعَرَاءُ أَبُولْلُو بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ نَظْرَةٍ تَجْدِيدِيَّةٍ أَنْ يُغَيِّرُوا فِي شَكْلِ الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مِنْ حَيْثُ الخُرُوجِ مِنْ نَمَطِ الْقَافِيَةِ الْوَاحِدَةِ، وَنَظَرُوا إِلَىٰ تَجَارِبِ الْقَصَائِدِ مُتَنَوِّعَةِ الْقَافِيَةِ عِنْدَ مُبَشِّرِي الرُّومَانْسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ (مُطْرَانَ وَشُكْرِي وَالمَازِنِيِّ وَالْعَقَّادِ)، فَوَجَدُوهَا تَنْحَصِرُ فِي المقْطُوعَةِ وَالمُزْدَوَجِ وَالمُرَبَّعِ وَالمُسَمَّطِ وَالمُوَشَّحِ وَالدُّوبِيتْ، كَمَا حَاوَلُوا الاسْتِفَادَةَ مِنْ أَشْكَالِ النَّظْمِ فِي الشِّعْرِ الْغَرِبِيِّ فَقَدَّمُوا قَالِبَ «الصُّونَاتَا»، ثُمَّ الشِّعْرَ المرْسَلَ، وُصُولًا إِلَىٰ الشِّعْرَ الحُرَّ الَّذِي قَدَّمُوا فِيهِ بَعْضَ النَّمَاذِجِ الَّتِي كَانَتْ إِرْهَاصًا لِحَرَكَةِ شِعْرِ التَّفْعِيلَةِ فِيمَا بَعْدُ، كَمَا أَنَّهُمْ نَظَرُوا

إِلَىٰ التَّجْرِبَةِ المهْجَرِيَّةِ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَوَجَدُوا عِنْـدَهَا قُـدْرَةً تَشْـكِيلِيَّةً خَلَّاقَـةً عَـلَىٰ تَنَـوُّعِ الْقَافِيَـةِ فِي الـنَّصِّ الْوَاحِدِ.[1]

يُمَثِّلُ نَمَطُ الْقَصَائِدِ مُنَوَّعَةِ الْقَافِيَةِ فِي شِعْرِ «قُطْب» 42% مِنْ مَجْمُـوعِ أَعْمَالِـهِ بِمَجْمُـوعِ 55 قَصِـيدَةً، وَنقُومُ بِرَصْدِ هَذِهِ الْقَصَائِدِ ، وَالَّتِي جَاءَتْ فِي عِدَّةِ أَنْمَاطٍ أُسْلُوبِيَّةٍ كالآتِي:

1 ـ المُرَبَّعُ :

يُعَدُّ هَذَا النَّمَطُ أَكْثَرَ الْأَنْمَاطِ شُيُوعًا فِي الْقَصَائِدِ المُنَوَّعَةِ الْقَافِيَةِ، وَقَدْ مَالَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ فِي 20 قَصِيدَةً، وَقَدَّمَ لَهُ عِدَّةَ تَشْكِيلَاتٍ هِي :

(1 / أ) المُرَبَّعُ الْبَسِيطُ : وَهُوَ يَأْخُذُ شَكْلَيْنِ :

ـ الْأَوَّلُ :

(أ)____________ (أ)____________

(أ)____________ (أ)____________

بِتَكْرَارِ صَوْتِ الرَّوِيِّ فِي جَمِيعِ زَوَايَا المُرَبَّعِ، وَيَتَغَيَّرُ هَذَا الصَّوْتُ فِي كُلِّ مُرَبَّعٍ مِنْ مُرَبَّعَـاتِ الْقَصِـيدَةِ، وَقَدِ اسْتَخْدَمَهُ الشَّاعِرُ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ:«أَقْدَامٌ فِي الرِّمَالِ»، يَقُولُ فِي أَحَدِ مُرَبَّعَاتِهَا :

نَحْنُ أَمْ تِلْكَ عَلَىٰ الْأَرْضِ ظِلَالْ وَخَيَـالٌ سَـارِبٌ إِثْـرَ خِيَالْ

فِي مَتَـاهَـاتِ وُجُـودٍ لِـزَوَالْ كَبَقَايَا الخَطْوِ فِي وَجْهِ الرِّمَالْ[2]

ثُمَّ يُغَيِّرُ أَصْوَاتِ زَوَايَا المُرَبَّعِ فِي كُلِّ بَيْتَيْنِ، يَقُولُ فِي الْبَيْتَيْنِ التَّالِيَيْنِ :

زُمَـرٌ تَـدْلُـفُ فِي إِثْـرِ زُمَـرْ وَيْـحَ نَفْسِي!إِنَّهُ رَكْبُ الْبَشَرْ

مُـغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ فِي كَفِّ الْقَدَرْ كُـلَّمَا أَوْغَـلَ فِي التِّيـهِ انْدَثَرْ

ـ الثَّانِي :

(أ)____________ .:. ____________

(أ)____________ .:. ____________

(1) انظر بشكل عام الباب الثالث من كتاب موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو.

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 145 .

بِتَكْرَارِ صَوْتِ الرَّوِيِّ فِي زَاوِيَتَيْنِ فَقَطْ فِي كُلِّ مُرَبَّعٍ، وَقَدِ اسْتَخْدَمَ هذَا الشَّكْلَ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ، هِيَ «وَحْيُ اللِّقَاءِ» يَقُولُ:

هَـٰذَا اللِّقَاءُ كَأَنَّهُ ذِكْرَىٰ — مَـكْنُـونَةٌ فِي عَـالَمِ النَّـفْسِ
وَكَأَنَّهُ وَهْمٌ أُجَـسِّـمُـهُ — لَا حَادِثٌ فِي عَالَمِ الحِسِّ[1]

ثُمَّ يُكَرِّرُ هَذَا النَّمَطِ فِي كُلِّ بَيْتَيْنِ بِرَوِيٍّ مُخَالِفٍ لِمَا قَبْلَهُ، يَقُولُ فِي الْبَيْتَيْنِ التَّالِيَيْنِ :

هَـٰذَا اللِّقَاءُ الخَاطِفُ الْوَاجِـفْ — وَتَلَفُّفُ الْأَنْظَـــارِ فِي حَـذَرْ
كَثُمَالَةِ الْأَحْلَامِ كَالذِّكْـــــرىٰ — فِي رَعْشَةِ اللَّفَتَاتِ وَالصُّـوَرْ

(1/ب) المُرَبَّعُ المُشَرَّعُ : وَهُوَ يَأْخُذُ الشَّكْلَ التَّالِي :

ــــــــــــــ(أ) ــــــــــــــ(ب)
ــــــــــــــ(أ) ــــــــــــــ(ب)

حَيْثُ يَتَكَرَّرُ صَوْتَانِ مُخْتَلِفَانِ فِي كُلِّ زَاوِيَـةٍ مِـنْ زَوَايَا المُرَبَّـعِ، وَيُعَـدُّ هَـذَا الـنَّمَطُ هُـوَ أَكـثَرُ الْأَنمَـاطِ الْأُسْلُوبِيَّةِ اِسْتِخْدَامًا فِي جَمِيعِ أَشْكَالِ الْقَصَائِدِ المُنَوَّعَةِ بِشَكْلٍ عَـامٍّ وَأَكْثَرُ أَنْمَـاطِ المُرَبَّـعِ بِشَـكْلٍ خَاصٍّ؛حَيْـثُ اعْتَمَدَ عَلَيْهِ الشَّاعِرُ فِي 14 قَصِيدَةً ، يَقُولُ فِي «عَاشِقُ المُحَالِ» :

ضِـقْـتَ بِالْقَيْدِ فَانْطَلِقْ — أَيُّـهَا الْآبِـقُ الشَّـرُودْ
قَـدْ تَـحَـرَّرْتَ فَاسْتَبِقْ — لِلصِّرَاعَاتِ مِنْ جَدِيدْ[2]

وَفِي كُلِّ بَيْتَيْنِ يَتَغَيَّرُ صَوْتُ الرَّوِيِّ فِي كُلِّ زَاوِيَتَيْنِ مِنْ زَوَايَا الْـمُرَبَّعِ ، يَقُولُ فِي آخِرِ بَيْتَيْنِ:

ضِـقْـتَ بِالْقَيْدِ مِـنْ ذَهَبْ — ضِقْتَ بِالْأَمْنِ وَالْـقَرَارْ
فَـانْـطَـلِقْ ثُـــمَّ لَا تَثِبْ — عِشْتَ لِلْخَوْفِ وَالْعِثَارْ

(1/ج) المُرَبَّعُ المُصَرَّعُ : وَهُوَ يَأْخُذُ الشَّكْلَ التَّالِي:

ــــــــــــــ(أ) ــــــــــــــ(أ)
ــــــــــــــ ــــــــــــــ(أ)

---

(1) السابق ، ص 212 .
(2) السابق ، ص 33 .

بِتَكْرَارِ صَوْتِ الرَّوِيِّ فِي ثَلَاثِ زَوَايَا مِنْ زَوَايَا المُرَبَّعِ، مِمَّا يُوحِي أَنَّ بِدَايَةَ الْقَصِيدَةِ مُصَرَّعَةٌ، وَلَكِنْ فِي كُلِّ بَيْتَيْنِ يَخْتَلِفُ الرَّوِيُّ، وَقَدِ اسْتَخدَمَ الشَّاعِرُ هَذَا النَّمَطَ فِي قَصِيدَتَيْنِ: «حُلْمٌ قَدِيمٌ»[1]، و«نِهَايَةُ المَطَافِ» الَّتِي نَجْتَزِئُ مِنْهَا الجُزْءَ التَّالِي:

تَنْشُدُ السُّلْوَانَ مِنْ حُبٍّ عَقِيـــمْ وَتَـــرُومُ الْبُرْءَ مِــنْ دَاءٍ قَدِيمْ

هَا هُوَ السُّلْوَانُ فَانْظُرْ: أَتَـــرَىٰ شَارَةَ الموْتِ عَلَىٰ تِلْكَ الرُّسُــومْ

شَاهَ فِي خَاطِرِكَ الْكَوْنُ وَمَـــاتْ وَتَخَلَّتْ عَنْكَ أَحْـلَىٰ الذِّكْرَيَاتْ

وَبَدَا الْعُمْرُ حَزِينًا عَاطِـــــــلًا كَامِدَ السَّحْنَةِ مَجْفُوَّ السِّــمَاتْ

قَدْ مَضَىٰ الحُلْمُ، فَحَقِّقْ فِي الْعَيَانْ هَلْ تَرَىٰ إِلَّا خَوَاءً فِي الـــزَّمَانْ

وَتَهَاوِيلُ الرُّؤَىٰ ... يَــا وَيْحَهَا! غَالَهَا الصَّحْوُ فَمَاتَتْ مُنْذُ كَانْ[2]

(د/1) المُرَبَّعُ المُذَيَّلُ : وَهُو يَأْخُذُ الشَّكْلَ التَّالِي :

______ ______(أ)

______ ______(أ)

______(أ)

فِي هَذَا الشَّكْلِ مِنَ المُرَبَّعِ يَتَكَرَّرُ صَوْتُ الرَّوِيِّ فِي زَاوِيَتَـيْنِ فَقَـطْ، ثُـمَّ يُضِـيفُ لَـهُ الشَّـاعِرُ صَـوْتًا ثَالِثًا لِلرَّوِيِّ خَارِجَ المُرَبَّعِ عَنْ طَرِيقِ ذَيْلٍ يَتْبَعُ صَوْتَ الرَّوِيِّ فِي الـزَّاوِيَتَيْنِ، وَقَـدِ اسْـتَخْدَمَ الشَّـاعِرُ هـذَا الـنَّمَطَ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ «اللَّحْنُ الحَزِينُ»، يَقُولُ :

أَسَىٰ الْأَلحَانِ أَمْ هَــٰذَا أَسَاكِ يَسِيلُ فِي اللَّحْنِ؟

وَإِلَّا هَــٰذِهِ نَـــفْــسِي تَهِيــمُ بِـعَـالَمِ الْـحُزْنِ

فَتُوحِي النَّفْسُ لِلْأُذْنِ

وَأَيْنَ نَشِيدُكِ الـرَّاضِي؟ وَأَيْنَ نَشِيدُكِ الْـعَذْبْ؟

---

(1) السابق ، ص 35 .
(2) السابق ، ص 61 .

وَأَيْنَ الْفَرْحَةُ النَّشْوَىٰ؟ وَأَيْنَ الْقَفْزُ وَالْــوَثْبْ؟

فَيُذْكِي وَقْدَةَ الحُبّ؟

سَمِعْتُكِ أَمْسِ لَمْ أَسْمَعْ سِوَىٰ نَبْرَاتِ أَسْـفَــانِ

وَغِنْوَةِ عَاشِقٍ يَئِــسَتْ مُنَاهُ مِنَ الْـهَوىٰ الْفَـانِي

فَأَنَّ فُؤَادُهُ الحَانِي[1]

(1/هـ) المُرَبَّعُ المُشَرَّعُ المُذَيَّلُ:وَهُوَ مِثْلُ النَّمَطِ السَّابِقِ، لَكِنَّهُ يَزِيدُ عَلَيْهِ الْتِزَامُ الشَّاعِرِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ فِي زَاوِيَتَي الْعَرُوضِ ، نَحْوُ الشَّكْلِ التَّالِي :

__________(أ) __________(ب)

__________ (أ) __________(ب)

__________(ب)

وَقَدِ اسْتَخْدَمَ الشَّاعِر هَذَا النَّمَطَ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ قَصِيدَةُ «نَكْسَةٌ» الَّتِي نَجْتَزِئُ مِنْهَا الجُزْءَ التَّالِي :

خَـفَقْتَ يَا قَلْبُ! مَاذَا؟ أَنَـكْـسَةٌ مِــنْ جَدِيدْ؟

تَــوَثُّــبُ الْـحُبِّ هَـٰذَا بَعْدَ الْـهُدُوءِ الْـمَدِيدِ؟

وَبَـعْـدَ فَـكِّ الْقُيُودِ؟

يَا قَــلْبُ مَــاذَا أَثَارَكْ؟ وَهَــاجَ فِيكَ الْـحَنِينَا؟

وَقَــدْ خَـلَعْتَ إِسَارَكْ وَعِـشْتَ كَالنَّاسِ حِينَا

أَوْ عِشْتَ كَـالهَادِئِينَا!

لَقِــيتَــهَا يَـــا فُؤَادِي أَنَـــكْسَةُ الْـحُبِّ لُقْيَـا

كَالــنَّارِ تَـحْتَ الـرَّمَادِ مَــا يَلْبَثُ الْـحُبُّ حَيَّـا

مَـا أَعْجَبَ الحُبَّ دُنْيَا[2]

(1) السابق ، ص 173 .

(2) السابق ، ص 198 .

2 ـ المَقْطُوعَةُ :

يُمَثِّلُ شَكْلُ المقْطُوعَةِ ثَانِيَ أَكْثَرِ الأَنْمَاطِ الَّتِي اِعْتَمَدَ عَلَيْهَا «قُطْب» فِي الْقَصَائِدِ مُنَوَّعَةِ الرَّوِيِّ؛حَيْثُ اسْتَخْدَمَهُ فِي 18 قَصِيدَةً بِأَشْكَالٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، نُقَدِّمُهَا عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

(2/أ) المَقْطُوعَةُ الْبَسِيطَةُ :

وَفِيهَا يَلْتَزِمُ الشَّاعِرُ رَوِيًّا فِي كُلِّ عَدَدٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ ؛ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ أَوْ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ ، وَمَعَ تَغَيُّرِ الرَّوِيِّ قَدْ يَتَغَيَّرُ الضَّرْبُ وَقَدْ يَتَغَيَّرُ وَزْنُ المقْطُوعَةِ إِلَىٰ آخَرَ.

وَيُعَدُّ هَذَا الشَّكْلُ مِنَ المقْطُوعَاتِ هُوَ أَكْثَرُ الأَنْوَاعِ شُيُوعًا عِنْدَ «قُطْب» حَيْثُ اِسْتَخْدَمَهُ فِي 12 قَصِيدَةً ، فَفِي قَصِيدَةِ «عَبَثُ الجَمَالِ»[1] الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْ عِشْرِينَ بَيْتًا ، يَجْعَلُ الشَّاعِرُ لِكُلِّ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ رَوِيًّا، فَيَبْدَأُ بِرَوِيِّ الْعَيْنِ فِي قَوْلِهِ :

دَعِيهَا تُغَرِّدْ لَحْنَهَا وَتُرَجِّعْ وَتَمْرَحْ مَا شَاءَتْ وَتَلْهُ وَتَرْتَعْ

ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ يَبْدَأُ مَقْطُوعَةً أُخْرَىٰ وَيُغَيِّرُ رَوِيَّ الْعَيْنِ بِرَوِيِّ الدَّالِ السَّاكِنَةِ ، يَقُولُ:

عَزِيزٌ عَلَيْهَا عُشُّهَا دَرَجَتْ بِهِ فِرَاخًا نَحِيلَاتٍ تَهُمُّ فَتَقْعُدْ

ثُمَّ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ أُخْرَىٰ يَبْدَأُ مَقْطُوعَةً جَدِيدَةً ، يَتَغَيَّرُ مَعَهَا الرَّوِيُّ إِلَىٰ الرَّاءِ ، يَقُولُ:

وَيَا طَلَمَا غَنَّتْ وَيَا طَالَمَا بَكَتْ سُرُورًا بِقُرْبٍ أَوْ حَنِينًا أَوْ ذِكْرَىٰ

وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ يَذْهَبُ إِلَىٰ المقْطُوعَةِ الْأَخِيرَةِ ، بِرَوِيِّ الميمِ خَاتِمًا بِهِ الْقَصِيدَةَ ، يَقُولُ:

وَإِنْ لَا يَكُنْ بُدٌّ مِنَ اللهوِ فَاعْبَثِي بِأَلْبَابِنَا لَا بِالطُّيُورِ الْهَوَائِمِ

وَفِي قَصِيدَةِ «هِتَافُ الرُّوحِ»[2] يَتَغَيَّرُ الضَّرْبُ مَعَ تَغَيُّرِ الرَّوِيِّ، حَيْثُ تَتَكَوَّنُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ خَمْسَةَ عَشَرَ بَيْتًا، كُلُّ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ يُمَثِّلُ مَقْطُوعَةً بِرَوِيٍّ وَضَرْبٍ، فَفِي المقْطُوعَةِ الْأُولَىٰ يَبْدَأُ بِرَوِيِّ الْكَافِ وَمَعَهُ ضَرْبٌ سَالِمٌ (جَاء هُنَا مَخْبُونًا ، وَالخَبْنُ لَيْسَ شَرْطًا)، يَقُولُ:

فِي الجَوِّ يَا مِصْرُ دِفْءٌ يُدْنِي إِلَيَّ خَيَالَكْ

(1) السابق ، ص 226 .

(2) السابق ، ص 96.

وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ يَبْدَأُ الشَّاعِرُ مَقْطُوعَةً جَدِيدَةً بِرَوِيِّ النُّونِ السَّاكِنَةِ ، وَفِي هَـذِهِ المقْطُوعَـةِ يَكُـونُ الضَّرْبُ مَحْذُوفًا مُسَبَّغًا وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلضَّرْبِ فِي المقْطُوعَةِ الْأُولَىٰ ، يَقُولُ:

وَالنِّيلُ وَالْـمَـوْجُ سَارٍ   يُـقَـبِّلُ الشُّـطْـآنْ

وَبَعْدَ أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ بِهَذَا الرَّوِيِّ وَالضَّرْبِ، يَبْدَأُ مَقْطُوعَةً جَدِيدَةً بِرَوِيِّ الْكَـافِ وَالضَّرْبِ السَّـالِمِ كَـمَا فِي المقْطُوعَةِ الْأُولَىٰ، يَقُولُ :

فِي النَّفْسِ يَا مِصْرُ شَوْقٌ   لِـخَطْرَةٍ فِي رُبَاكِ

وَفِي قَصِيدَتَيْ «بَيْنَ عَهْدَيْنِ»[1] و«الْغَيْرَةُ»[2] يُنَوِّعُ الشَّاعِرُ بَيْنَ رَوِيٍّ كُلِّ مَقْطُوعَةٍ وَيُغَيِّرُ بَيْنَ الْأَوْزَانِ، فَفِي الْأُولَىٰ نَوَّعَ بَيْنَ وَزْنَي الخَفِيفِ والمُجْتَثِّ، وَالثَّانِيَةِ بَيْنَ المُتَقَارِبِ وَالخَفِيفِ، وَقَدْ تَوَقَّفْنَا عِنْدَهُمَا بِمَزِيـدِ إِيضَـاحٍ عِنْدَ تَحْلِيلِ المَزْجِ بَيْنَ إِيقَاعَيْنِ فِيالْفَصْلِ الثَّالِثِ مِنَ البَابِ الْأَوَّلِ.[3]

(2/ب) المَقْطُوعَةُ المُشَرَّعَةُ :

فِي هَذَا الـنَّمَطِ يَلْتَـزِمُ الشَّـاعِرُ بِـالتَّشْرِيعِ الـدَّاخِلِيِّ لِمَجْمُوعَـةِ الْأَبْيَـاتِ الَّتِـي تُشَـكِّلُ المَقْطُوعَـةَ، وَقَـدِ اسْتَخْدَمَ «قُطْب» هَذَا النَّمَطَ مَرَّتَيْنِ، كَانَ أَوَّلُهَا فِي أَوَّلِ قَصَائِدِ الدِّيوَانِ، «عُزْلَةٌ فِي ثَوْرَةٍ»:

حَـدِّثِـينِي أَنْـتِ يَـا نَفْسُ فَـمَا   أَفْـهَـــمُ الْـعَـالَمَ أَوْ يَـفْـهَـمُنِي

إِنَّـنِــي أَنْـكَـرْتُــهُ الْيَــوْمَ كَـمَا   أَنَّـــهُ بِــالْأَمْسِ قَــدْ أَنْـكَرَنِي

لَــمْ أَجِـدْ فِي الْكَـوْنِ إِلَّا أَلَــمَا   إِنَّـــمَا الْــوَحْـدَةُ أَصْلُ الشَّجَنِ

وَحْـدَةُ الْأَرْوَاحِ أَنْكَىٰ الْوَحَدَاتْ   وَحْـــدَةُ الْأَجْسَـامِ تُنْسَىٰ وَتَهُونْ

أَيُّ بُؤْسٍ تَسْـتَحِثُّ الــذِّكْرَيَاتْ   كَانْفِرَادِ الرُّوحِ فِي وَادِي الشُّجُونْ

إِنَّ رُوحِي قَدْ تَنَاسَتْ خُذ وَهَاتْ   وَانْـزَوَتْ فِي عَالَمٍ جَمِّ السُّكُونْ[4]

---

(1) السابق ، ص 90.

(2) السابق ، ص 175.

(3) انظر الفقرة (6/3) .

(4) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 25 .

فِي هَذَا الجُزْءِ مِنَ الْقَصِيدَةِ مَقْطُوعَتَانِ تَتَكَوَّنُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ، نَوَّعَ فِيهِمَا الشَّاعِرُ بَيْنَ رَوِيِّ النُّونِ المكْسُورةِ وَالنُّونِ السَّاكِنَةِ، وَقَدِ الْتَزَمَ صَوْتًا وَاحِدًا فِي تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ فِي كُلِّ مَقْطُوعَةٍ ، وَهَكَذا سَارَ فِي بَقِيَّةِ النَّصِّ.

وَفِي قَصِيدَةِ «خُدْعَةُ الخُلُودِ»[1] يُنَوِّعُ الشَّاعِرُ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَحْرُفِ رَوِيٍّ:الْبَاءِ السَّاكِنَةِ وَالرَّاءِ المكْسُورَةِ وَالدَّالِ السَّاكِنَةِ، فِي كُلِّ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ ، يَبْدَأُ بِخَمْسَةِ أَبْيَاتِ بِرَوِيِّ الْبَاءِ السَّاكِنَةِ مُحَافِظًا عَلَىٰ صَوْتٍ وَاحِدٍ فِي الْعَرُوضِ، يَقُولُ :

لَا أَنْتَ سَالَمَكِ الزَّمَانُ وَلَا أَنَا	لَا أَنْتِ دَاعِيَةٌ وَلَا أَنَا مُسْتَجِيبْ
هَـٰذِي مَيَاسِمُهُ عَلَىٰ قَسَمَاتِنَا	قَرَّتْ أَمَانِينَا عَلَىٰ الْأُفُقِ الْقَرِيبْ

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ يَبْدَأُ مَقْطُوعَةً جَدِيدَةً بِرَوِيِّ الرَّاءِ المكْسُورَةِ، وَالْتَزَمَ صَوْتَ النُّونِ السَّاكِنَةِ فِي الْعَرُوضِ، يَقُولُ :

مَا الْفَجْرُ مَا الْأَحْلَامُ مَا الشَّوْقُ الدَّفِينْ؟	أَلْقَاكِ كَالذِّكْرَىٰ تَمُرُّ بِخَاطِرِي
مَا نَشْوَةِ الذِّكْرَاتِ مَا حُرَقِ الْحَنِينْ؟	كَالخَطْرَةِ الْوَسْنَىٰ بِفِكْرَةِ شَاعِرِ

وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ أُخْرَىٰ يَبْدَأُ مَقْطُوعَةً جَدِيدَةً بِرَوِيِّ الدَّالِ السَّاكِنَةِ ، مُلْتَزِمًا الرَّاءَ السَّاكِنَةَ فِي الْعَرُوضِ، يَقُولُ :

خُطْوَتُكِ النَّشْوَىٰ كَادَتْ تَطِيرْ	وَيْحِي وَوَيْحَكِ مَا الحَيَاةُ وَمَا الخُلُودْ
وَتَوَفُّزُ النَّظَرَاتِ فِي أَلَقٍ مُثِيرْ	خُدَعٌ تُهَدْهِدُنَا بِهَا الْأُمُّ الْوَلُودْ

(2/جـ) المَقْطُوعَةُ المُشَرَّعَةُ المُذَيَّلَةُ :

وَهِيَ تُشْبِهُ النَّمَطَ السَّابِقَ مِنَ التَّقْفِيَةِ، لَكِنْ يُضَافُ إِلَيْهَا شَطْرٌ يَأْخُذُ صَوْتَ رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ لَا صَوْتَ التَّشْرِيعِ، وَقَدِ اسْتَخْدَمَ «قُطب» هَذَا النَّمَطَ فِي قَصِيدَةِ «إِلَىٰ الثَّلَاثِينَ» الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْ 20 بَيْتًا، كُلُّ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ تُمَثِّلُ مَقْطُوعَةً يَلْتَزِمُ فِي عَرُوضِهَا بِصَوْتٍ وَاحِدٍ وَبِرَوِيٍّ وَاحِدٍ يُتْبِعُهُ بِشَطْرٍ يَأْخُذُ صَوْتَ رَوِيِّ المَقْطُوعَةِ، وَسَوْفَ نَجْتَزِئُ مِنْهَا المَقْطُوعَةَ الْوُسْطَىٰ لِبَيَانِ هَذَا النَّمَطِ:

---

(1) السابق ، ص 147 .

فَـذَلِكَ الْـعَقْــلُ رَمْزُ الْقُيُودْ　　　وَنَــحْنُ شَرُّ الْعُـنَاهْ

يَزُودُنَا عَنْ مَـرَاقِي الْـخُلُودْ　　　وَخَـيْرِ مَا فِي الْـحَيَاهْ

وَالطَّيْشُ رَمْزُ الشَّبَابِ المُرِيدْ　　　يَـسْـمُو بِنَا عَنْ مَدَاهْ

فَنَـحْنُ نَـرْنُو لِـهَذَا الْوُجُودْ　　　بِـفِـتْـنَـةٍ وَانْـتِـبَـاهْ

فَــلَا نُبَالِي بِصَرْفِ الْـجُدُودْ　　　وَلَا نَخَــافُ الْغَدَاهْ

فَـكُــلُّ يَوْمٍ حَيَاهْ[1]

فَقَدِ الْتَزَمَ الشَّاعِرُ فِي خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ صَوْتًا وَاحِدًا فِي الْعَـرُوضِ، بِجِـوَارِ الالْتِـزَامِ الْأَصْـلِيِّ بِـرَوِيِّ الْأَبْيَـاتِ بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ شَطْرٍ يُذَيِّلُ المَقْطُوعَةَ يَأْخُذُ رَوِيَّ الْأَبْيَاتِ .

(د/2) المَقْطُوعَةُ المُتَنَاوِبَةُ :

فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ التَّقْفِيَةِ يُنَاوِبُ الشَّاعِرُ بَيْنَ صَوْتَيِ رَوِيٍّ يَتَكَرَّرَانِ بِالتَّنَاوُبِ عَلَىٰ مَدَارِ النَّصِّ، اِسْتَخْدَمَ الشَّاعِرُ هَذَا النَّمَطَ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، هِيَ «الْقَطِيعُ»[2] الَّتِي تتَكَوَّنُ مِنْ 40 بَيْتًا بَدَأَهَا بِمَقْطُوعَةٍ مُكَوَّنَةٍ مِنْ 10 أَبْيَاتٍ بِرَوِيِّ المِيمِ المكْسُورَةِ ، كَانَ أَوَّلُهَا قَوْلَهُ :

لَظَىٰ الشَّمْسِ أَمْ فَوَّارَةٌ مِنْ جَهَنَّمٍ　　　تَسِيلُ شَظَايَاهَا وَتَنْضَحُ بِالــدَّمِ

ثُمَّ يَبْدَأُ المقْطُوعَةَ الثَّانِيَةَ المُكَوَّنَةَ مِنْ 10 أَبْيَاتٍ بِرَوِيِّ اللَّامِ المَكْسُورِ، وَكَانَ أَوَّلُهَا قَوْلَهُ :

فَـمَـالَ بِهِ الرَّاعِي إِلَىٰ ظِـلِّ دَوْحَةٍ　　　ظَلِيلٍ وَعُشْبٍ نَابِتٍ قُرْبَ جَدْوَلِ

ثُمَّ يَبْدَأُ المَقْطُوعَةَ الثَّالِثَة المُكَوَّنَةَ مِنْ 10 أَبْيَاتٍ بِرَوِيِّ الـلَّامِ المكْسُـورَةِ لَكِـنِ المرْدُوفَـةِ بِـالْأَلِفِ وَكَـانَ أَوَّلُهَا قَوْلَهُ :

وَطَافَتْ عَلَىٰ الرَّاعِي رُؤًىٰ عَسْجَدِيَّةٌ　　　وَجَالَتْ بِهِ الْأَحْلَامُ كُلَّ مَـجَالِ

ثُمَّ يَبْدَأُ المَقْطُوعَةَ الرَّابِعَةَ المُكَوَّنَةَ مِنْ 10 أَبْيَاتٍ بِرَوِيِّ المِيمِ المكْسُورَةِ مِثْـلَ الَّتِـي بَـدَأَ بِهَـا المقْطُوعَـةَ الْأُولَىٰ. وَهَكَذا يَتَنَاوَبُ الصَّوْتَانِ(المِيمُ وَاللَّامُ) فِي النَّصِّ.

---

(1) السابق ، ص 68 .

(2) السابق ، ص 133 .

(2/هـ) المَقْطُوعَةُ المُزْدَوَجَةُ :

فِي هَذَا النَّمَطِ يَتَكَرَّرُ صَوتَا رَوِيٍّ فَقَطْ فِي النَّصِّ، دُونَ الْتِزَامِ عَدَدِ أَبْيَاتٍ، حَدَثَ ذَلَكَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَصِيدَةِ «المُعْجِزَةِ»[1] المُكَوَّنَةِ مِنْ 15 بَيْتًا، بِهَا قِطْعَةٌ 5 أَبْيَاتٍ بِرَوِيِّ اللَّامِ المَكْسُورَةِ ، أَوَّلُهَا قَوْلُهُ :

مَنَحْتِنِي الْيَوْمَ مَا الْأَقْدَارُ قَدْ عَجَزَتْ عَنْ مَنْحِـهِ وَتَـنَـاهَىٰ دُونَهُ أَمَلِي

ثُمَّ مَقْطُوعَةٌ مِنْ 5 أَبْيَاتٍ مِنْ رَوِيِّ النُّونِ السَّاكِنَةِ المَرْدُوفَةِ بِالْأَلِفِ كَانَ أَوَّلُهَا قَوْلَهُ :

وَاسْتَلْهَمَتْ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا طَبِيعَتَهَا فِي مُعْجِزٍ مِـنْ قُوَاهَا قَاهِرٍ حَانِ

ثُمَّ المَقْطُوعَةُ الثَّالِثَةُ مِنْ 5 أَبْيَاتٍ مِنْ رَوِيِّ النُّونِ المَكْسُورَةِ غَيْرِ المَرْدُوفَةِ ، أَوَّلُها قَوْلُهُ:

وَالآنَ أُخْلِـصُ لِلـدُّنْيَا وَأَمْـنَـحُهَا حُـبِّي وَأُدْرِكُ مَـا فِيـهَـا مِنَ الْفِتَنِ

(2/ و) المَقْطُوعَةُ المُكَرَّرَةُ المَطْلَعِ:

فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ التَّقْفِيَةِ يُقَسِّمُ الشَّاعِرُ النَّصَّ إِلَىٰ عِدَّةِ مَقْطُوعَاتٍ كُلُّ مَقْطُوعَةٍ، تَنْتَهِي بِالْبَيْتِ الَّذِي بَدَأَتْ بِهِ، وَقَدِ اسْتَخْدَمَ «قُطب» هَذَا النَّمَطَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَصِيدَةِ «طَيْفٌ»،[2] يَقُولُ فِي أَوَّلِ مَقْطُوعَةٍ مِنْهَا بِرَوِيِّ اللَّامِ المَفْتُوحَةِ فِي سِتَّةِ أَبْيَاتٍ:

هُوَ هَـٰذَا أَنْتَ يَا طَيْفُ؟ فَأَهْلَا مَرْحَبًا يَا طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ وَسَـهْلَا
هَـوَّمَ الـنَّـوْمُ وَأَرْخَىٰ رِيشَهُ وَاحْتَـوَانِي بِجَنَـاحٍ قَدْ تَدَلَّىٰ
وَانْـزَوَىٰ الْعَـالَمُ عَنِّي وَخَبَتْ ضَجَّـةُ الْـكَوْنِ وَمَا فِيـهِ وَوَلَّىٰ
هَـاهُـنَـا الـنَّـوْمُ أَلْقَىٰ عَالَمًا هَـادِئًـا رَحْبًا وَبَسَّـامًـا مُظِلًّا
وَتَـرَاءَىٰ الطَّيْفُ سَمْحًا رَاضِيًا بَاسِمًا كَالْأَمَـلِ الْحُلْوِ وَأَحْلَىٰ
هُوَ هَـٰذَا أَنْتَ يَا طَيْفُ ؟ فَأَهْلَا مَرْحَبًا يَا طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ وَسَهْلَا

ثُمَّ يَبْدَأُ مَقْطُوعَةً أُخْرَىٰ بِرَوِيِّ الْعَيْنِ السَّاكِنَةِ فِي خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ ، يَقُولُ :

أُدْنُ مِنِّي فَاسْتَمِعْ لَحْنَ فُؤَادِي إِنَّهُ لَحْـنٌ يُغَـنِّيـهِ بَـدِيعْ

---

(1) السابق ، ص 171 .
(2) السابق ، ص 153 .

إِنَّـــهُ عُـنْـوَانُ حُـبٍّ وَوِدَادِ   وَهُيَامٌ بَيْنَ أَنْحَاءِ الضُّلُـوعْ

إِنَّـــــهُ أُنْشُودَتِي أَخْلُو إِلَيْهَا   بَيْنَ صَمْتٍ وَهُيَامٍ وَخُشُـوعْ

إِنَّـــــهُ لَحْنٌ أُغَنِّيهِ وَقَلْبِي   خَافِقٌ وَالْعَيْنُ تَهْمِي بِالدُّمُوعْ

أُدْنِ مِنِّي فَاسْتَمْعِ لَحْنَ فُؤَادِي   إِنَّهُ لَحْــنٌ يُغَنِّيــهِ بَدِيعْ

ثُمَّ يَخْتَتِمُ النَّصَّ بِمَقْطُوعَةٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ بِرَوِيِّ المِيمِ المكْسُورَةِ يَقُولُ :

أَنْتَ يَا طَيْفُ وَرِيًّا حَبِيبِي   أَنْتَ رُوحُ الحُبِّ أَوْ رَمْزُ السَّلَامِ

لَكَ مِنِّي كُلُّ مَعْنًى قُدُسِيٍّ   يَهْمِسُ الْحُبُّ بِهِ بَيْنَ الْأَنَامِ

أَنْتَ يَا طَيْفُ وَرِيًّا حَبِيبِي   أَنْتَ رُوحُ الحُبِّ أَوْ رَمْزُ السَّلَامِ

3 ـ المُشَطَّرُ: فِي هَذَا النَّمَطِ يَسْتَخْدِمُ الشَّاعِرُ الْأَشْطُرَ بَدَلًا مِنَ الْأَبْيَاتِ، وَقَدْ أَخَذَ عِنْدَ «قُطْب» ثَلَاثَةَ أَشْكَالٍ :

ـ(3/ أ) المُشَطَّرُ الثُّنَائِي (المُزْدَوَجُ) : وَيَأْخُذُ الشَّكْلَ التَّالِي :

________(أ)

________(أ)

________(ب)

________(ب)

وَهَكَذا يَتَغَيَّرُ صَوْتُ الرَّوِيِّ كُلَّ شَطْرَيْنِ، وَقَدِ اسْتَخَدَمَ «قُطْب» هَذَا النَّمَطَ مِنَ التَّقْفِيَةِ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ «مَرَّ يَوْمٌ»، يَقُولُ :

مَرَّ يَوْمٌ مُنْذُ مَا اسْتَيْقَظْتُ أَمْسِ، مَرَّ يَوْمْ

نَبَأٌ يَأْبَاهُ وِجْدَانِي وَحِسِّي فَهْوَ وَهْمْ

مَرَّ يَوْمٌ قَالَتِ السَّاعَةُ مَرَّ ، قَوْلَ وَاثِقْ

أَسْأَلُ الشَّمْسَ : أَحَقًّا وَالْقَمَرَ فَيُوَافِقْ

كَيْفَ مَرَّ الْيَوْمُ!مَا هَذَا الْعَجَبُ كَيْفَ مَرْ

تَكْذِبُ الْأَفْلَاكُ أَمْ حِسِّي كَذَبَ أَمْ سَحِرْ[1]

(1) السابق ، ص 171 .

فَقَدْ تَكَرَّرَ صَوْتُ رَوِيٍّ وَاحِدٍ كُلَّ شَطْرَيْنِ (المِيم ـ الْقَاف ـ الرَّاء) وَكُلُّهُ رَوِيٌّ مُقَيَّدٌ.

(3/ ب) المُشَطَّرُ الثُّلَاثِيُّ (المُثَلَّثُ) : بِزِيَادَةِ شَطْرٍ عَنِ الشَّكْلِ السَّابِقِ، وَكُلُّ ثَلَاثَةِ أَشْطُرٍ يَتَغَيَّرُ صَوْتُ الرَّوِيِّ، وَقَدِ اِسْتَخْدَمَ الشَّاعِرُ هَذَا النَّمَطَ مِنَ التَّقْفِيَةِ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ هِيَ قَصِيدَةُ «نِدَاءُ الخَرِيفِ» ، يَقُولُ :

تَعَالَيْ . هَـٰذِهِ الْأَيَّامُ لَا تَرْجَـعْ

وَلَا تُصْغِي لَنَا الدُّنْيَا وَلَا تَسْمَعْ

وَلَا تُجْدِي شَكَاةُ الدَّهْرِ أَوْ تَنْفَعْ

تَعَالَيْ . نَحْنُ بَعْثَرْنَا السُّوَيْعَاتِ

وَضَحَّيْنَا بِأَيَّامٍ عَزِيزَاتِ

فَيَا أُخْتَاهُ يَكْفِينَا حَمَاقَاتِ[1]

(3/ جـ) المُشَطَّرُ الرُّبَاعِيُّ: بِزِيَادَةِ شَطْرٍ عَنِ الشَّكْلِ السَّابِقِ، وَكُلُّ أَرْبَعَةِ أَشْطُرٍ يَتَغَيَّرُ صَوْتُ الرَّوِيِّ، وَقَدِ اِسْتَخْدَمَ الشَّاعِرُ هَذَا النَّمَطَ مِنَ التَّقْفِيَةِ فِي قَصِيدَتَيْنِ؛الْأُولَىٰ : «بَعْدَ الْأَوَانِ» وَالثَّانِيَةُ «فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الرَّبِيعِ» ، يَقُولُ فِي الْأُولَىٰ :

الْآنَ وَالْأَيَّامُ مُدْبِرَةٌ تُوَلْوِلُ بِالنُّوَاحْ

وَالْأُفْقُ مَخْضُوبُ الْأَدِيمِ ، وَقَدْ تَأَذَّنَ بِالرَّوَاحْ

أَقْبَلْتِ وَيْحَكِ تَبْسُمِينَ، فَأَيْنَ كُنْتِ لَدَىٰ الصَّبَاحْ

وَجْهُ الخَرِيفِ يُطِلُّ فَاسْتَمِعِي لِإِعْوَاءِ الصَّبَاحْ[2]

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِي بِمُشَطَّرٍ رُبَاعِيٍّ بِرَوِيِّ الْبَاءِ السَّاكِنَةِ ثُمَّ بِآخَرَ بِرَوِيِّ الهَمْزَةِ السَّاكِنَةِ يَلِيهِ آخَرُ بِرَوِيِّ النُّونِ المَكْسُورَةِ ، ثُمَّ يَخْتَتِمُ بِمُشَطَّرٍ بِرَوِيِّ الْكَافِ السَّاكِنَةِ ، يَقُولُ :

هَـٰذِي خُطَايَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ وَاجِفَةٌ وَتِلْكَ وَاجِفَةٌ خُطَاكْ

---

(1) السابق : ص 92 .

(2) السابق : ص 37 .

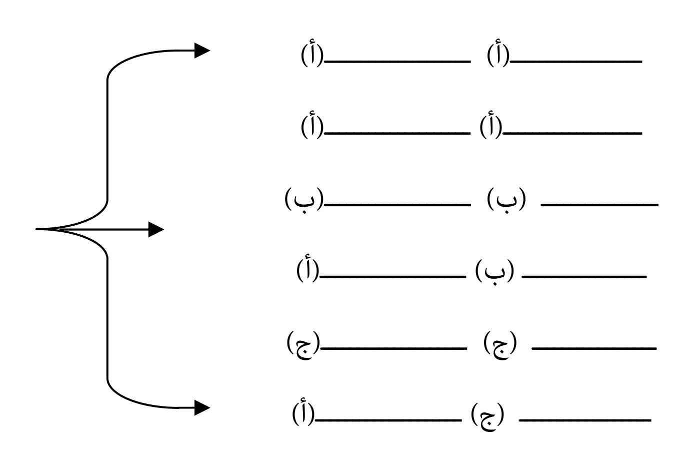
الــرِّيحُ تَطْـمِسُــهَا فَـلَا خَـطْــوَ وَلَا أَثَــرٌ هُـنَـاكْ
شَبَـــحَانِ قَـــدْ عَـبَـــرَا فَـلَـمْ تَـشْـعُـرْ بِهَـٰذَا أَوْ بِذَاكْ
تَـتْــلُــوهُـمَـا الْأَشْـبَــاحُ وَالْأَيَّـــامُ مَــاضِيَةٌ دَرَاكْ

فِي الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ يَلْتَزِمُ الشَّاعِرُ بِالْمُشَطَّرِ الرُّبَاعِي فِي أَرْبَعِ مَجْمُوعَاتٍ مُشَطَّرَاتٍ، كُلُّ مَجْمُوعَـةٍ تَـأْتِي بِرَوِيٍّ مُخْتَلِفٍ؛حَيْثُ يَبْدَأُ بِرَوِيِّ الرَّاءِ السَّاكِنَةِ، يُتْبِعُـهُ رَوِيَّ الهَمْـزَةِ السَّـاكِنَةِ، ثُـمَّ الهَـاءِ السَّـاكِنَةِ، ثُـمَّ النُّـونِ السَّاكِنَةِ، يَقُولُ فِي آخِرِ مَجْمُوعَةٍ مُشَطَّرَةٍ مِنَ النَّصِّ :

هُوَ ذَا الرَّبِيعُ وَإِنَّهُ لَـهْوُ الْـهَوَاتِفِ وَالْـحَنِينْ
أَبَــدًا يَــهِــيجُ إِلَىٰ عَـوَالِـمَ تَائِهَاتٍ لَا تَبِينْ
وَيُهَدِّدُ الْأَحْلَامَ وَالــذِّكْرَاتِ شَتَّىٰ وَالْفُنُونْ
فَإِذَا الحَيَاةُ هَوًى يَرِفُّ وَفِتْنَةٌ وَشَجًىٰ دَفِينْ(1)

4 ـ المُسَمَّطُ:

يَأْخُذُ المُسَمَّطُ الشَّكْلَ التَّالِي:



حَيْثُ يُمَثِّلُ صَوْتُ الـرَّوِيِّ(أ) عُمَـودَ المُسَـمَّطِ الَّـذِي يَـتَرَدَّدُ فِي أَرْوِقَـةِ الْقَصِـيدَةِ عَـلَىٰ أَبْعَـادٍ مُتَسَاوِيَةٍ مُمَثِّلًا رَجْعَ الصَّوْتِ الَّذِي بَدَأَ بِـهِ الشَّـاعِرُ أَوَّلَ الْقَصِـيدَةِ، فَـيَكْسَرُ مِـنْ حِـدَّةِ الْأَصْـوَاتِ المُتَلَاحِقَةِ المُخْتَلِفَةِ، وَقَدِ اسْتَخْدَمَ «قُطْب» هَـذَا الـنَّمَطَ مَـرَّتَيْنِ:الْأُولَىٰ كَانَـتْ فِي قَصِـيدَةِ :«قَافِلَـةُ

(1) السابق : ص 241 .

الطَّرِيقِ» وَالثَّانِيَةُ: فِي قَصِيدَةِ «عَلَىٰ أَطْلَالِ الحُبِّ»، وَسَنَعْرِضُ لِأَجْزَاءٍ مِنَ الثِّنْتَيْنِ، يَقُولُ فِي الْأُولَىٰ:

قِـفْ بِـنَـا يَـا حَادِي الْعُمْرِ هُنَا	لَـحْـظَـةً نَـنْـظُـرُ مَا حَوْلَنَا
فِي طَـرِيقٍ قَـدْ نَـثَـرْنَـا عُـمْرَنَا	فِـيـهِ أَشْـلَاءَ حَيَـاةٍ وَمُـنَىٰ
قَـدْ نَـثَـرْنَا عَـلَىٰ طُولِ الطَّرِيقْ	وَمَضَيْنَا ضِمْنَ قُطْعَانِ الرَّقِيقْ
مَوْكِبٌ يَعْطُو إِلَىٰ الشَّطِّ السَّحِيـقْ	مُغْمَضَ الْعَيْنَيْنِ يَسْرِي مُوهِنَا
مِــنْ ظَـلَامِ الْغَيْبِ تَخْطُو قَدَمَاهْ	لِـظَـلَامِ الْغَيْبِ تَنْسَاقُ خُطَاهْ
فِي طَرِيقٍ غَـامِضٍ يُدْعَىٰ الْـحَيَاهْ	يَهْتِـفُ الحَادِي فَيَمْضِي مُذْعِنَا
لَـهْفَـةً لَوْ عُدْتُ أَرْعَىٰ خُطُوَاتِي	فِي طَـرِيقٍ دَرَجَتْ فِيهِ حَيَاتِي
فَتَـطَـلَّـعْتُ إِلَىٰ هَـٰذَا الشَّتَـاتِ	وَأَنَـا فِي الْكَرَّةِ الْأُخْرَىٰ أَنَا [1]

يُمَثِّلُ صَوْتُ رَوِيِّ النُّـونِ المفْتُوحَـةِ فِي هَـذِهِ الْأَبْيَـاتِ عَمُـودَ المُسَـمَّطِ الَّـذِي يَـتَرَدَّدُ صَـدَاهُ عَـلَىٰ أَبْعَـادٍ مُتَسَاوِيَةٍ مُنَبِّهًا عَلَىٰ الصَّوْتِ الَّذِي بَدَأَ بِهِ الشَّاعِرُ فِي الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَخْتَلِفُ الصَّوْتُ الْفَـارِقُ بَـيْنَ النُّونِ المفْتُوحَةِ(الْقَاف ـ الهَاء ـ التَّاء)، وَهَذِهِ الْفَوَارِقُ الصَّوْتِيَّةُ تُمَثِّلُ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ صَوْتًا يَتَرَدَّدُ عَلَىٰ أَبْعَـادٍ مُتَسَاوِيَةٍ أَيْضًا فِي تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ، وَهَكَذا تَتَعَـدَّدُ الْأَصْـوَاتُ الدَّاخِلِيَّـةُ وَالخَارِجِيَّـةُ فِي الـنَّصِّ مُحْدِثَـةً تَنَوُّعًـا إِيقَاعِيًّا تَنْغِيمِيًّا، يَكْسَرُ مِنْ رَتَابَةِ تَكْرَارِ الصَّوْتِ الْوَاحِدِ .

فِي النَّصِّ الثَّانِي يَنْتَهِجُ الشَّاعِرُ نَهْجًا فَنِّيًّا مُخَالِفًـا لِلـنَّهْجِ السَّـابِقِ بَعْـضَ الشَّيْءِ؛حَيْـثُ يَبْـدَأُ بِمَـا يُشْـبِهُ المَقْطُوعَةَ الَّتِي يَلْتَزِمُ فِيهَا رَوِيًّا وَاحِدًا، ثُمَّ يُثَنِّي بِمَقْطُوعَةٍ أُخْرَىٰ بِرَوِيٍّ مُخَالِفٍ لِلْمَقْطُوعَـةِ السَّـابِقَةِ عَـلَىٰ أَنْ يُبْقِي رَوِيَّهَا الْأَخِيرَ مِثْلَ رَوِيِّ الْأُولَىٰ، وَيَكُونُ هَذَا الرَّوِيُّ الْأَخِيرُ هُوَ عَمُودُ المُسَمَّطِ الَّذِي يَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي أَرْجَاءِ الْقَصِيدَةِ، فِي هَذَا النَّمَطِ تَبْتَعِدُ المَسَافَةُ بَيْنَ رَوِيٍّ عَمُودِ المُسَمَّطِ، مِـمَّا يَعْنِـي أَنَّ المُتَلَقِّـيَ يَظَـلُّ مَشْـدُودًا إِلَىٰ صَوْتِ الرَّوِيِّ الْأَوَّلِ بَعْدَ كُلِّ أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ، عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

---

(1) السابق : ص 141 .

تَـفَـرَّدَ ذَلِكَ الـطَّـلَـلُ وَطَافَ بِرُكْنِهِ الْوَجَلُ

يُـغَشِّي الْيَأَسُ صَفْحَتَهُ وَيَـبْرُقُ تَـحْـتَهُ الْأَمَلُ

وَتَهْمِسُ حَوْلَهُ الذِّكْرَىٰ فَـتَـلْمَعُ بَيْنَهَا الشُّعَلُ

جَــفَـاهُ أَهْـلُــهُ مَـلَلًا فَـخَـيَّمَ فَـوْقَهُ الْـمَلَلُ

عَـزِيــزٌ عَــهْدُهُمْ فِيهِ عَــزِيزٌ أَنْــتَ يَا طَلَلُ

بَـنَـاهُ خَـيْــرُ بَـنَّـــاءٍ بَـنَـاهُ الْـحُبُّ مُبْتَدِعَا

وَبَـــثَّ عَــلَىٰ جَوَانِبِهِ مَـفَـاتِنَ تَفْتِنُ الْوَرِعَا

وَأَطْـلَـقَ حَوْلَهُ سِحْرًا يَـبُثُّ الشَّوْقَ وَالْوَلَعَا

وَأَنْـشَــدَ بِاسْمِهِ شِعْرًا مِــنَ الْآمَــالِ مُنْتَزِعَا

وَظَـلَّـــلَ أَهْلَهُ الْأَمَلُ فَمَــاذَا جَدَّ يَا طَلَلُ[1]

5ـ المُوَشَّحُ:

قَدَّمَ «قُطْب»سَبْعَ قَصَائِدَ فِي نَمَطِ المُوَشَّحِ، فِي حِينِ ذَكَرَ «د.الْبَحْرَاوِيُّ» فِي دِرَاسِتِهِ لمُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ عِنْـدَ شُعَرَاءِ أَبُولْلُو أَنَّ لِـ«قُطْب» مُوَشَّحَيْنِ فقط .[2]وَبِدِرَاسَةِ بِنْيَةِ المُوَشَّحَيْنِ نَسْتَنْتِجُ مَا يَلِي:

1 ـ نَظَم «قُطْب» جَمِيعَ مُوَشَّحَاتِهِ مِنَ النَّمَطِ المَرْذُولِ عَلَىٰ حَدِّ قَوْلِ ابْنِ سَنَاءِ المُلْكِ[3] ذَلِكَ لِأَنَّهُ اِتَّبَـعَ فِيهَـا الْأَوْزَانَ الخَلِيلِيَّةَ .

2 ـ نَظَمَ «قُطْب» جَمِيعَ مُوَشَّحَاتِهِ مِنْ وَزْنِ الرَّمَـلِ وَمَجْزُوئِـهِ، وَهُـوَ فِي ذَلِـكَ لَـيْسَ خَارِجًـا عَـنِ الخَصَـائِصِ الْعَامَّةِ لِشُعَرَاءِ أَبُولْلُو؛ إِذْ إِنَّ هَذَا الْوَزْنَ جَاءَتْ عَلَيْهِ نِصْفُ مُوَشَّحَاتِ الجَمَاعَةِ الْأَبُولِّيَّةِ.[4]

3 ـ جَاءَتْ مُوَشَّحَاتُ «قُطْب» السَّبْعُ مَا بَيْنَ عَامَيْ 1930 ـ 1933 .

(1) السابق : ص 200.

(2) د . سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 28 .

(3) نفسه .

(4) نفسه .

4 ـ كَانَ أَكْثَرَ الْأَقْسَامِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الْقَصَائِدُ بِنَمَطِ المُوَشَّحِ قِسْمُ التَّأَمُّلِ؛إِذْ شَمِلَ 3 قَصَائِدَ، يَلِيهِ قِسْمُ الحَنِينِ بِقَصِيدَتَيْنِ، ثُمَّ قِسْمَا الشَّكْوَىٰ وَالْوَصْفِ بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فِي كُلِّ قِسْمٍ.

بِنْيَةُ المُوَشَّحِ عِنْدَ «قُطْب» :

أَخَذَتْ بِنْيَةُ المُوَشَّحِ عِنْدَ «قُطْب» شَكْلَيْنِ؛الْأَوَّلُ:بَسِيطٌ، وَالثَّانِي: مُرَكَّبٌ ، نَقُومُ بِدِرَاسَتِهِمَا عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

ـ المُوَشَّحُ الْبَسِيطُ :

وَهُوَ يَأْخُذُ الشَّكْلَ التَّالِي :

مطلع:

______(أ) ______ (ب)

______(أ) ______(ب)

الأغصان:

______(ج)

______(ج)

______(ج)

قفل:

______(أ) ______ (ب)

______(أ) ______(ب)

وَيَتَغَيَّرُ رَوِيُّ الْأَغْصَانِ فِي كُلِّ دَوْرٍ.وَقَدْ نَظَمَ عَلَىٰ هَذَا النَّسَقِ ثَلَاثَ قَصَائِدَ هِيَ:«الصَّدِيقُ المَفْقُودُ»[1]و«الْبَعْثُ»[2] و«الشُّعَاعُ الخَابِي»[3]، وَهَذِهِ الْأَخِيرَةُ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنَ الْقَصِيدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ ذَكَرَهُمَا «د.البَحْرَاوِيُّ».[4]

فِي الْقَصِيدَةِ الْأُولَىٰ الْتَزَمَ الشَّاعِرُ صَوْتَ الْعَرُوضِ (أ) وَصَوْتَ الرَّوِيِّ(ب) فِي جَمِيعِ أَدْوَارِ المُوَشَّحِ، بَيْنَمَا كَانَ يُنَوِّعُ فِيهِمَا فِي كُلِّ دَوْرٍ فِي الْقَصِيدَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ، يَقُولُ فِي الْأُولَىٰ:

اِبْحَثُوا لِي مَا اسْتَطَعْتُمْ عَنْ صَدِيقْ   فَلَقَدْ أَعْيَانِي الْبَحْثُ الْكَثِيرْ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 45 .
(2) السابق ، ص 108 .
(3) السابق ، ص 110 .
(4) د . سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 171 .

مُـخْـلِـصِ الـطَّـبْـعِ لَهُ قَلْبٌ رَقِيقْ　　　خَالِصُ الْإِحْسَاسِ فَيَّاضُ الشُّعُورْ

إِنَّ هَـٰذَا الْقَلْبَ يَهْفُو أَبَدَا

لِصَدِيقٍ أَصْطَفِيهِ مُفْـرَدَا

وَأُرِيدُ الْوُدَّ رَطْبًا كَالنَّدَىٰ

غَيْرَ أَنَّ الْـكَــوْنَ ذُو طَبْعٍ صَفِيقْ　　　نَاضِبِ الْإِحْسَاسِ مَمْسُوخِ الضَّمِيرْ

يَحْقِرُ الْإِخْلَاصَ فِي الْقَلْبِ الشَّفِيقْ　　　وَيَــرَىٰ الْـغَـدْرَ بِإِعْجَابٍ جَدِيرْ

طَالمَا هِمْتُ بِحُبِّ الْأَصْدِقَاءْ

وَتَغَنَّيْتُ بِأَحْــلَامِ الْوَفَاءْ

سَامِيَاتٍ بِأَنَــاشِيدِ الْوَفَاءْ

سَـكْــرَةٌ عَـجْــلَىٰ وَمِـنْ ثَمَّ أَفِيقْ　　　فَــإِذَا بِي أَلْـمِسُ الْـغَدْرَ الْـحَقِيرْ

وَإِذَا الْإِخْــلَاصُ خَــلَّابٌ بَرِيقْ　　　مِــنْ سَــرَابٍ أَوْ سَنَا بَرْقٍ قَصِيرْ

يَا صَدِيقَ الْغَيْبِ يَا طَيْفَ الْأَمَلْ

هَــا هُنَا قُلْبٌ مِنَ الْوَحْدَةِ مَلْ

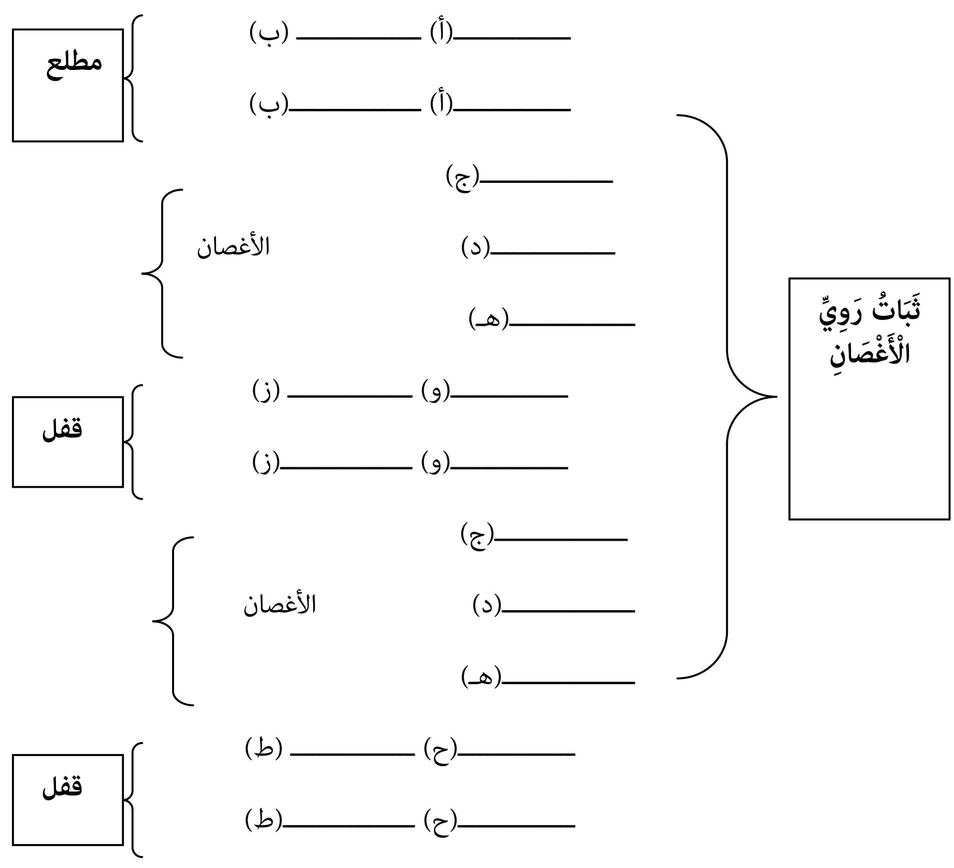
يَنْشُدُ الْإِخْلَاصَ فِي قَلْبٍ خَضَلْ

وَهْــوَ لَا يَنْــوِي عِـتَابًا لِصَدِيقْ　　　حِـينَـمَا يُـخْـطِئُ أَخْطَاءَ الْغَرِيرْ

فَـبِـحَـسْبِي قَـلْبُهُ السَّمْحُ الرَّقِيقْ　　　فِي فَـيَــافِي الْعَيْشِ إِلْفًا لِي سَمِيرْ

المُوَشَّحُ المُرَكَّبُ :ـوَقَدْ أَخَذَ الأشْكَالَ التَّالِيَةَ :

- الشَّكْلُ الْأَوَّلُ :



وَيُلَاحَظُ فِي هَذَا الشَّكْلِ تَغَيُّرُ رَوِيِّ المَطْلَعِ وَالْقُفْلِ فِي كُلِّ دَوْرٍ، بَيْنَمَا يَثْبُتُ صَوْتُ رَوِيِّ الْأَغْصَانِ فِي المُوَشَّحِ كُلِّهِ.وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الشَّكْلُ فِي قَصِيدَةِ «المَاضِي»[1] الَّتِي نَجْتَزِئُ مِنْهَا جُزْءًا لِبَيَانِ تَنَوُّعِ الْقَافِيَةِ يَقُولُ :

شَبَحُ الْـمَاضِي وَمَا المَاضِي سِوَىٰ بَعْضُ نَفْسِي قَدْ تَوَلَّاهُ الْـعَـدَمْ

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 70 .

يَــتَرَاءَىٰ كُــلَّمَا شَــطَّ النَّوَىٰ فَــإِذَا الــذِّكْرَىٰ شُجُونٌ وَأَلَــمْ

وَإِذَا الْكَامِنُ فِي نَفْسِي ثَارْ

جَائِشًا مُضْطَرِمَا

كَالجَحِيمْ

كُــلَّـــمَا أَقْــبَــلَ يَــوْمٌ وَمَضَىٰ أَوْغَلَ المَاضِي بِمَجْهُولٍ سَحِيقْ

ذَاهِبًــا عَــنِّي كَبَرْقٍ أَوْمَضَا ثُمَّ دَوَّىٰ بَعْدَهُ الصَّمْتُ الْعَمِيقْ

وَهْوَ صَمْتٌ تَحْتَهُ صَمْتٌ مُثَارْ

وَحَنِينٍ أُضْرِمَا

وَوُجُومْ

آهِ لَوْ مَلَــكْتُ تَصْرِيفَ الزَّمَنْ كَيْفَمَا أَهْـــوَىٰ وَأَنَّىٰ أَرْغَــبُ

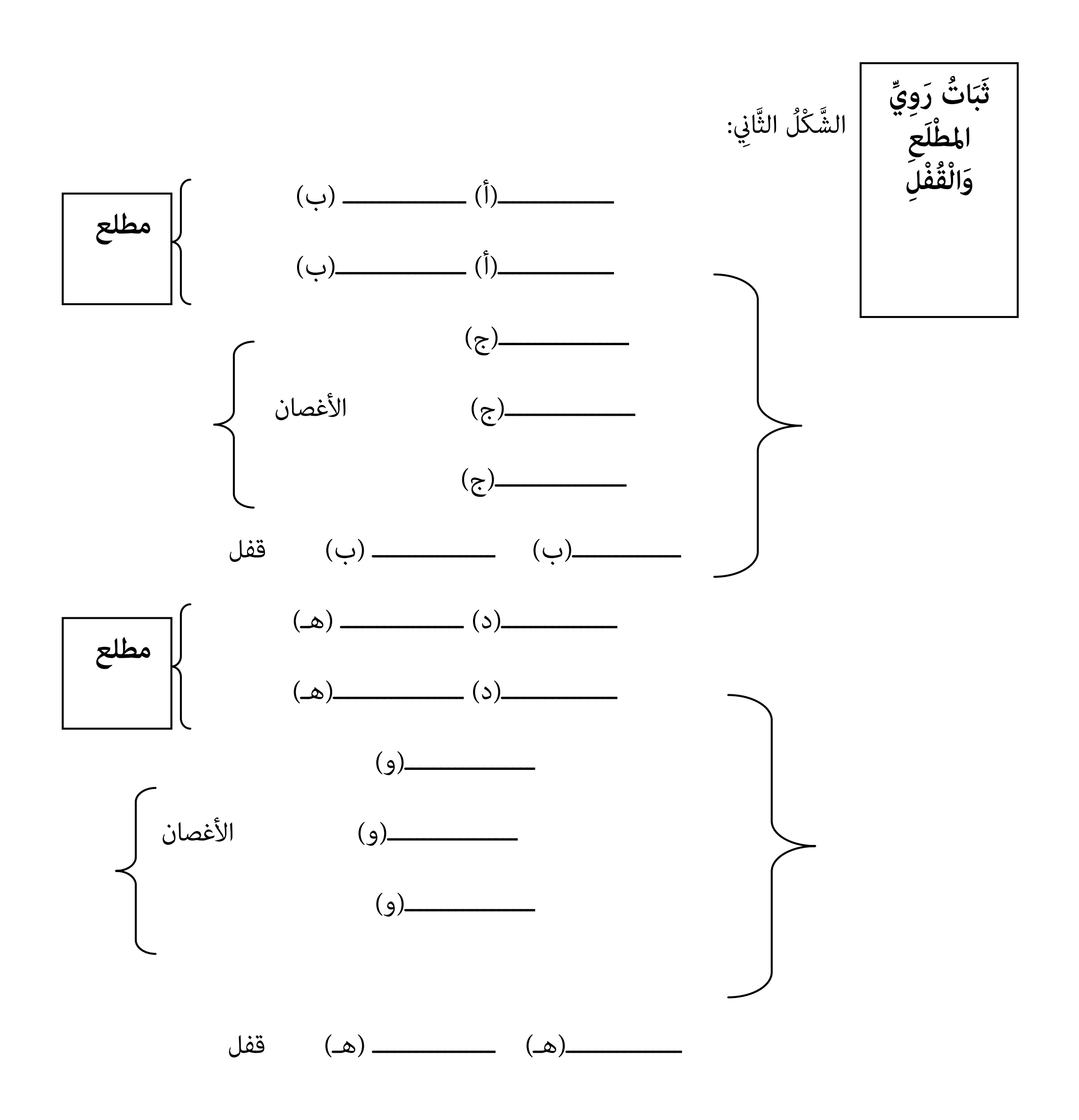
لَرَجــعْتُ الدَّهْرَ لِلــمَاضِي إِذَنْ فَــإِذَا بِي حَـيْــثُ كُــنَّا نَلْعَبُ

وَرِفَاقٌ لَيِّنُو الْعُودَ صِغَارْ

لَيْسَ تَدْرِي الْأَلَــمَا

وَالهُمُومْ

وَالمُلَاحُظَ أَيْضًا فِي هَذَا الشَّكْلِ أَنَّ الْأَغْصَانَ تَتَلَاشَىٰ كُلَّـمَا اِقْتَرَبَـتْ مِـنَ النِّهَايَـةِ، حَيْـثُ يَتَكَـوَّنُ الْغُصْـنُ الْأَوَّلُ مِنْ ثَلَاثِ تَفْعِيلَاتٍ، وَالثَّانِي مِنْ ثِنْتَيْنِ ، وَالثَّالِثُ مِنْ وَاحِدَةٍ.



فِي هَذَا الشَّكْلِ يَتَّحِدُ رَوِيُّ الْقُفْلِ مَعَ المَطْلَعِ، لَكِنْ كُلُّ دَوْرٍ لَهُ مَطْلَعٌ وَقُفْلٌ خَاصٌّ بِهِ، وَفِي كُلِّ دَوْرٍ يَتَّحِدُ رَوِيُّ الْأَغْصَانِ فِيمَا بَيْنَهَا، بَيْنَمَا يَخْتَلِفُ عَنْ رَوِيِّ الْأَغْصَانِ فِي الدَّوْرِ السَّابِقِ لَهُ ، وَهَذَا عَلَىٰ عَكْسِ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ.تَحَقَّقَ هَذَا الشَّكْلُ فِي قَصِيدَةِ «عَهْدٌ ذَاهِبٌ»[1] الَّتِي نَجْتَزِئُ مِنْهَا الجُزْءَ التَّالِي :

(1) السابق ، ص 74 .

هُــوَّ عَـهْـدٌ صِيغَ مِنْ حُبٍّ نَقِيّ   وَسُـمُـوٍّ فَوْقَ إِحْسَاسِ الْبَشَرْ

وَوِقَـــاءٌ سَـــابِقُ الْغَيْضِ نَدِيّ   وَحَــنَـــانٌ مِثْلُ أَرْوَاحِ الزَّهَرْ

صَوَّرَتْهُ سَاعَةَ الْعَطْفِ السَّمَاءْ

وَرَعَـــتْـــهُ يَدُ أَمْلَاكٍ بَرَاءْ

فَغَـذَتْـــهُ بِأَفَاوِيقِ النَّقَاءْ

وَتَـجَـلَّىٰ الْـغَـيْـبُ عَنْهُ فَسَفَرْ   فِي جَـــلَالْ وَجَـــمَالٍ مُزْدَهِرْ

«كَانَ» وَالْمُؤْلِمُ فِي «كَانَ» الْفَنَـاءْ   حَيْثُ لَا رُجْعَىٰ وَلَا طَيْفُ أَمَلْ

وَرَمَـــاهُ بَـغْــتَةً سَـهْمُ الْقَضَاءْ   فَـتَرَاخَىٰ فِي اِنْحِلَالٍ وَاضْمَحَلْ

وَتَـــرَاءَىٰ بَعْدَ حِينٍ خَالِيَا

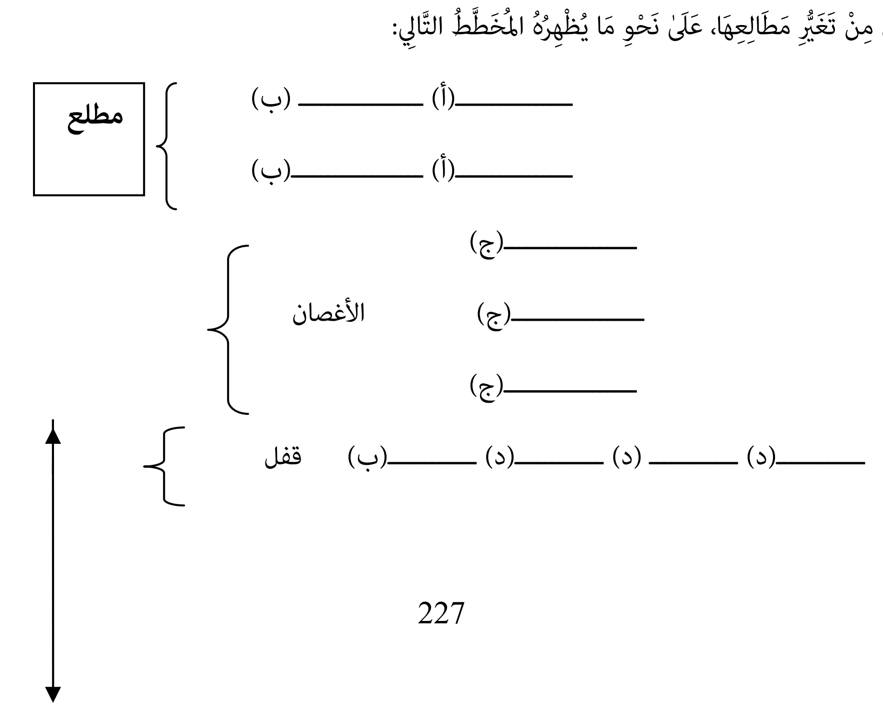
مِـــنْ رُوَاءٍ كَانَ فِيهِ حَالِيَا

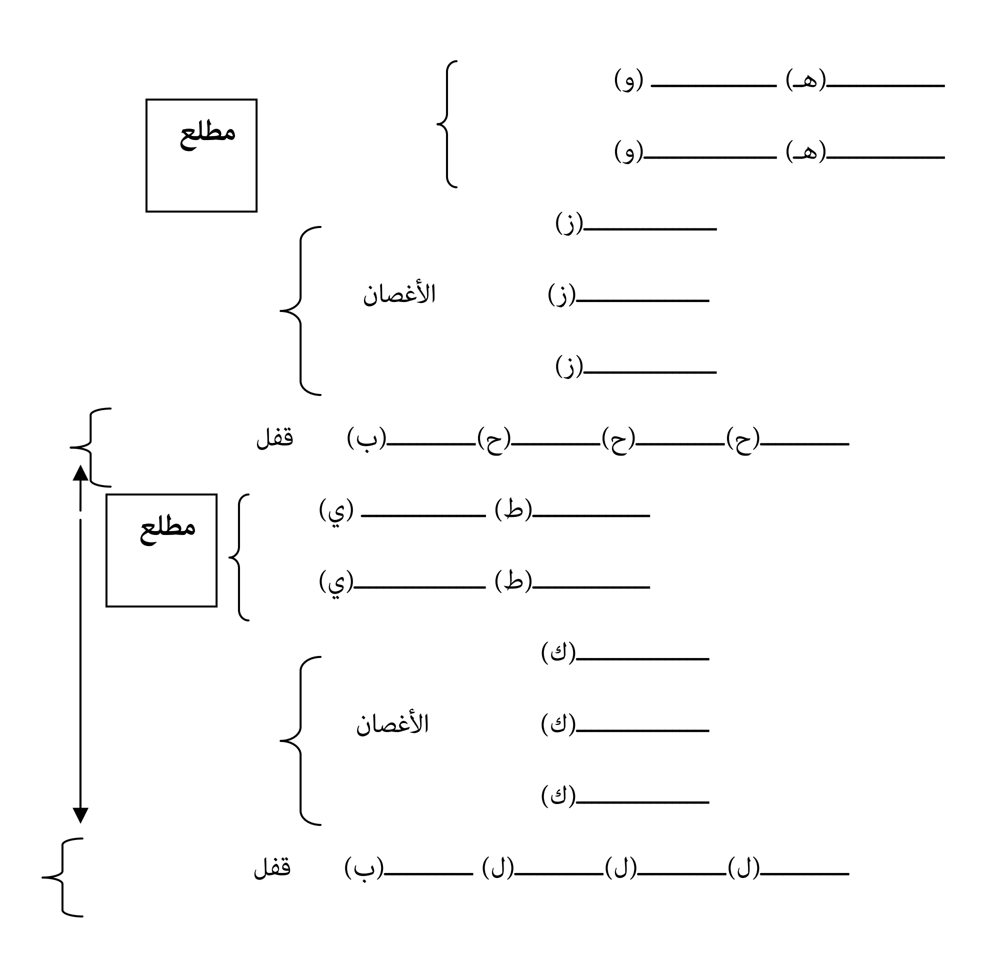
مُوحِشَ الْأَرْجَاءِ يَبْدُو خَاوِيَا

غَـــاضَ مِـنْهُ كُلُّ أُنْسٍ وَارْتَحَلْ   مِـثْـلَمَا يَخْلُو مِنَ الْأَهْلِ الطَّلَلْ

- الشَّكْلُ الثَّالِثُ :

وَهُوَ مُنْبَثِقٌ مِنَ الشَّكْلِ السَّابِقِ، إِلَّا أَنَّ الْقُفْلَ أَرْبَعَةُ أَجْـزَاءٍ: ثَلَاثَـةٌ مِنْهَـا بِصَـوْتِ رَوِيٍّ وَاحِـدٍ، وَهَـذِهِ الثَّلَاثَةُ تَتَغَيَّرُ فِي كُلِّ دَوْرٍ، وَالرَّابِعُ بِصَوْتِ رَوِيِّ الْمَطْلَعِ الْأَوَّلِ مِـن الْمُوَشَّـحِ وَلَا يَتَغَـيَّرُ فِي جَمِيـعِ الْأَدْوَارِ عَـلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ تَغَيُّرِ مَطَالِعِهَا، عَلَىٰ نَحْوِ مَا يُظْهِرُهُ الْمُخَطَّطُ التَّالِي:





وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الشَّكْلُ فِي قَصِيدَةِ «فِي الصَّحَرَاءِ»، [1] الَّتِي نُقَدِّمُ مِنْهَا الجُزْءَ التَّالِي :

مَـا لَنَـا فِي ذَلِـكَ الْـقَـفْـرِ هُنَا　　　مَـا بَـرِحْنَا مُنْذُ حِينٍ شَاخِصَاتْ

كُـلُّ شَـيْءٍ صَامِتٌ مِنْ حَوْلِنَا　　　وَأَرَانَـا نَـحْنُ أَيْضًا صَامِتَاتْ

تَطْلُعُ الشَّمْسُ عَلَيْنَا وَتَغِيبْ

وَيَطِلُّ اللَّيْلُ كَالشَّيْخِ الْكَئِيبْ

وَالنُّجُومُ الزُّهْرُ تَغْدُو وَتَغِيبْ

وَهَجِيرٌ وَأَصِيلْ　　وَطُلُوعٌ وَأُفُولْ　　ثُمَّ نَبْقَىٰ فِي ذُهُولْ　　سَـاهِـمَاتْ

رُبَّـمَا كُـنَـا أَسِـيرَاتِ الْقَدَرْ　　　تَسْـخَـرُ الْأَيَّـامُ مِنَّا وَاللَّيَالِي

(1) السابق ، ص 112. وهي القصيدة الثانية التي ذكرها البحراوي لـ«قطب» في شكل الموشح .

تُـضْـرَبُ الْأَمْــثَالُ فِينَا وَالْعِبَرْ   وَإِذَا نَــشْــكُو أَذَاهَــا لَا تُبَالِي

رُبَّـــــمَا كُنَّا مَسَاحِيرَ الزَّمَنْ

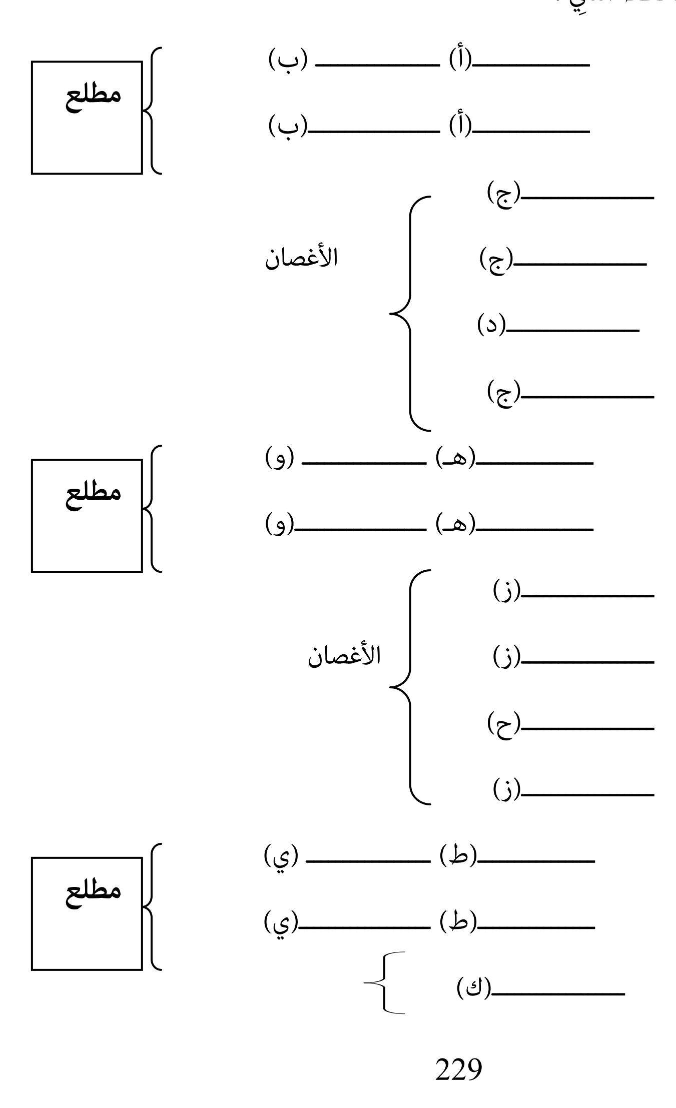
قَــدْ مُسِخْنَا هٰكَذَا بَيْنَ الْقِنَنْ

فِي ارْتِقَابِ السَّاحِرِ المُحْيِي الْفَطِنْ

فَإِذَا كَانَ يَـعُودْ   فَكَّ هَاتِيكَ الْقُيُودْ   فَرَجِعْنَا لِلْوُجُودْ   ظَـافِــرَاتْ

- الشَّكْلُ الرَّابِعُ :

يَأْتِي بِلَا قُفْلٍ، وَيَدْخُلُ فِي مَجْمُوعِ أَغْصَانِهِ رَوِيٌّ مُخَالِفٌ لِنَسَقِ رَوِيِّ الْأَغْصَانِ، وَلَا يَتَكَرَّرُ إِلَّا فِي آخَرِ دَوْرٍ، عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُبَيِّنُهُ المُخَطَّطُ التَّالِي :



ــــــــــــــــ(ك)   الأغصان

ــــــــــــــــ(د)

ــــــــــــــــ(ك)

وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الشَّكْلُ فِي قَصِيدَةِ «بِرِيشَةِ الشِّعْرِ»[1]، الَّتِي نُقَدِّمُ مِنْهَا الـدَّوْرَ الْأَوَّلَ وَالثَّـانِي وَالرَّابِـعَ وَهُوَ الْأَخِيرُ لِتِبْيَانِ الرَّوِيِّ الَّذِي لَا يَظْهَرُ إِلَّا فِي الدَّوْرِ الْأَوَّلِ وَالْأَخِيرِ، يَقُولُ :

كَانَ بِالْأَمْسِ، وَبِالْأَمْسِ الْقَرِيبْ   يَـــتَـــرَاءَىٰ كَـــالْأَمَانِي هَـــا هُنَا

هَـــائِمًا كَـالرُّوحِ يَغْدُو وَيَؤُوبْ   وَالرَّجَاءُ الْـعَذْبُ فِي وَادِي الـمُنَىٰ

وَادِعًا كَالزَّهْرِ حَيَّاهُ النَّسِيمْ

سَاهِيًا كَالصَّمْتِ فِي وُجُومْ

حَالِـمًا يَصْحُو قَلِيلًا وَيَهِيمْ

بَــيْنَ أَطْـــيَـــافِ الْأَمَانِي

وَخَيَالَاتِ الْـهُـمُــومْ

زَهْرَةٌ قَدْ كَادَ يَعْرُوهَا الذُّبُولْ   ثُـــمَّ حَـــيَّـــاهَا تَبَاشِيرُ الرَّبِيعْ

فَهْيَ تَرْنُو بَيْنَ صَحْوٍ وَذُهُولْ   مِـثْــلَمَا تَـحْتَارُ فِي الْعَيْنِ الدُّمُوعْ

وَهْوَ لَحنٌ مِنْ أَنَاشِيدِ السَّمَاءْ

أَرْسَلَتْهُ فِي تَضَاعِيفِ الضِّيَاءْ

فَـــوَعَاهُ كُلُّ ذِي حِسٍّ بَرَاءْ

وَشُـعُـــورٍ كَـــالنَّسِيمْ

فِـي الْـحَنَــانِ وَالنَّــقَــاءْ

---

(1) السابق ، ص 220.

كَـانَ بِالْأَمْـسِ وَلَكِنْ قَدْ تَوَلَّىٰ ذَلِكَ الْأَمْــسُ فَخَـلَّانِي وَغَـابْ

وَإِذَا بِـي مُـــوحِشٌ لَا أَتَسَلَّىٰ وَالخَصِيبُ النَّضْرُ كَالجَدْبِ الْيَبَابْ

أَذْكُرُ السَّاعَاتِ وَمْضًا يَنْقَضِينْ

ثُمَّ يَعْرُونِي لِذِكْرَاهَا الْـحَنِينْ

فَيَهِيجُ الْوَجْدُ وَالشَّوْقُ الدَّفِينْ

إِيهِ سَـاعَــاتِ الْأَمَــانِي

أَتُرَىٰ قَــــدْ تَرْجِعِـينْ

وَبِهَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ الشَّاعِرَ كَانَ يُطَوِّرُ فِي كُلِّ قَصِيدَةٍ مِنْ تَنَوُّعِ صَوْتِ الرَّوِيِّ؛بُغْيَةَ تَحْقِيقِ تَلْوِينٍ مُوسِيقِيٍّ يُخْرِجُ الْقَصِيدَةَ مِنْ إِطَارِ صَوْتِ الرَّوِيِّ الْوَاحِدِ.

وَمِنَ المُفِيدِ أَنْ نَذْكُرَ أَنَّهُ بِهَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْقَصَائِدِ المُوَشَّحَةِ يَفُوقُ «قُطْب» شَـاعِرًا آخَـرَ ذَائِـعَ الصِّيتِ مِـنَ الاتِّجَـاهِ نَفْسِـهِ هُـوَ «مَحْمُـودُ حَسْـن إِسْـمَاعِيلَ» الَّـذِي لَـهُ سِـتُّ قَصَـائِدَ بِـنَمَطِ المَوَشَّـحِ، بَيْـنَمَا يَتَسَاوَىٰ«قُطْب»مَعَ«خَلِيل مُطْرَانَ» وَهُوَ مِنْ المُبَشِّرِينَ بِالرُّومَانسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّذِي قَدَّمَ مُوَشَّحَاتٍ سَبْعًا.[1]

6ـ الصُّونَاتَا:

«الصُّونَاتَا»[2] فِي الْأَصْلِ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ التَّأْلِيفِ الموسيقِيِّ العالميِّ، وَهِيَ«كَلِمَةٌ مشتقَّةٌ مِنَ اللاتينيَّـةِ وأصلُهَا « sonare»أي يَسْمَعُ، أَوْ مَا يُعْزَفُ وَيُغَنَّىٰ».[3] ويعرِّفُهَا معجمُ الموسِـيقَىٰ بأنَّهَـا: « وَاحـدةٌ مـن أهـمِّ أَشْكالِ التَّأليفِ الموسيقِيِّ الآليِّ الجادِّ.وهيَ مؤلفةٌ لآلةٍ مُنْفَـرِدَةٍ ـ غَالبًـا مَـا تَكُـونُ الْبِيَـانُو ـ وتقـعُ في ثَـلَاثِ حَرَكاتٍ أو أربعِ مُتَبَايِنَةِ السُّرعةِ والشَّخصيَّةِ».[4]

(1) انظر : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 82 ، 170 .

(2) تكتب «السوناتا» و«السوناته» ، ولكن الباحث آثر كتابتها كما أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجـم الموسـيقىٰ .

(3) يوسف السيسي : دعوة إلىٰ الموسيقىٰ ، ص 114 ، 115

(4) معجم الموسيقىٰ ، ص 140

وَتتكَوَّنُ «الصُّونَاتَا» المُوسِيقِيَّةُ مِنَ : الْعَرْضِ وَالتَّفَاعُلِ وَإِعَادَةِ الْعَرْضِ وَالخِتَامِ، أَوْ مِـنْ ثَـلَاثِ حَرَكَـاتٍ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ ، وَتُوجَدُ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ الشَّهِيرَةِ مِنْ أَرْبَعِ حَرَكَاتٍ .

أَمَّا عَنِ الحَرَكَاتِ الزَّمَنِيَّةِ فِي«الصُّونَاتَا»، «فَالحَرَكَـةُ الْأُولَىٰ مِنْهَـا تكُـونُ سَرِيعَـةً، أَمَّـا الحَرَكَـةُ الثَّانِيَـةُ فَتَكُونُ بَطِيئَةً وَغِنَائِيَّةَ الطَّابِعِ، وَكَثِيرًا مَا تَكُونُ فِي قَالِبِ الْأُغْنِيَةِ الرَّفِيعَةِ، أَمَّا الحَرَكَةُ الثَّالِثَـةُ وَالْأَخِـيرَةُ فَتَكُـونُ عَادَةً سَرِيعَةً وَبَرَّاقَةً ». (1)

هَذَا عَنِ «الصُّونَاتَا» فِي عِلْمِ الموسِيقَىٰ.أَمَّا مِنْ حَيْثُ كَوْنِهَا قَالِبٌ شِعْرِيٌّ «فَقَدْ شَاعَ هَذَا الشَّـكْلُ عَـلَىٰ يَدِ الرُّومَانسيِّينَ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَتَعَدَّدَتِ الْأَغْرَاضُ الَّتِي يُنْظَمُ فِيهَا، فَبَدَلًا مِن اقْتِصَارِهِ فِي الْبِدَايَةِ عَلَىٰ مَدْحِ حَبِيبَاتِ الشُّعَرَاءِ وَتَحْلِيلِ مَشَاعِرِهِمْ تِجَاهِهِنَّ أَصْبَحَتْ عِنْدَ الرُّومَانسِـيِّينَ تُعَـبِّرُ عَـنِ الْعَاطِفَـةِ الْفَرْدِيَّـةِ الْعَمِيقَةِ، وَتَعْمَدُ إِلَىٰ تَحْلِيلِ الْعَوَاطِفِ وَاسْـتِرْجَاعِ الـذِّكْرَياتِ وَالموضُـوعَاتِ الْعَقائديَّـةِ والوطَنِيَّـةِ والسِّيَاسِـيَّةِ وَالهِجَائِيَّةِ». (2)

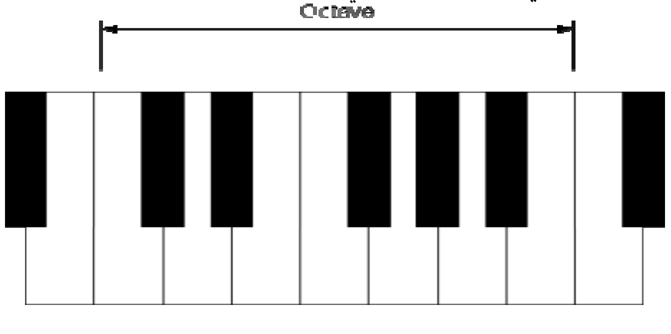
أَمَّا عَنْ تَنَوُّعِ الْقَوَافِي فِي «الصُّونَاتَا» فَهِيَ تَتَكَوَّنُ مِنْ ثَمَانِيَـةِ « Octave» (3) [أ ب ب أ أ ب ب أ] يَعْقُبُهَـا سُدَاسِـيَّةٌ تَتَكَـوَّنُ مِـنْ [ج ـ د ج ـ د ج ـ د] أو مـن [ج ـ د ج ـ ج ـ د هــ] ثُـمَّ

---

(1) يوسف السيسي : دعوة إلىٰ الموسيقىٰ ، 115 .

(2) د . سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 97 ، 98 .

(3) «الأوكتاف» من المصطلحات الموسيقية ، وهو: «مسافةٌ موسِيقِيَّةٌ بَيْنَ نَغمَةٍ ذاتِ تردُّد معيَّن وبَيْنَ جَوانِبِها الذِي يَصل تَرَدُّده إلىٰ ضعف تَردُّد النَّغمَة الأساسيَّة . وَتُقسَّمُ هـٰذه المسَافَةُ إلىٰ مسافَاتٍ أَصْغَرَ تُشَكِّلُ السُّلَّم الموسِيقيِّ ». معجـم الموسـيقىٰ ، ص 105 . و«الأوكتاف» علىٰ آلة البيانو ثماني مسافات بيضاء كالتالي :



تَعَدَّلَ هَـٰذَا الشَّكْلُ وَأَصْبَحَ [أ ب أ ب ج ـ د ج ـ د هـ ـ و هـ] [1] إِلَّا أَنَّ هَـذَا الـنَّمَطَ مِـنَ الْقَافِيَـةِ قَـدْ يَتَغَيَّرُ بِاخْتِلَافِ الشُّعَرَاءِ كَمَا قرَّر ذَلِكَ «د . إِبْرَاهِيمُ أَنِيس».[2]

قَدَّمَ « قُطْب» فِي قَالِبِ «الصُّونَاتَا» قَصِيدَتَيْنِ، لَكِنْ قَبْلَ أَنْ نَخُوضَ فِي تَحْلِيلِهِمَا، نَتَسَاءَلُ تَسَاؤُلَيْنِ:هَلْ قَدَّمَ شُعَرَاءُ أَبُولُّلو قَصَائِدَ مِنْ هَذَا النَّمَطِ الموسِيقِيِّ ؟وَهَـلِ الْتَـزَم «قُطْـب» بِالْقَالِـبِ الشِّـعْرِيِّ أَمْ بِالْقَالِـبِ الموسِيقيِّ للصُّونَاتَا ؟

وَالْإِجَابَةُ عَنِ التَّسَاؤُلِ الْأَوَّلِ نَرَاهَا فِيمَا قَدَّمَهُ «أَحْمَدُ زَكِي أَبُو شَادِي» مِنْ ثَـلَاثِ قَصَـائِدَ بِهَـذَا الـنَّمَطِ مِنَ التَّقْفِيَةِ، يَسْبِقُ إِحْدَاهَا حَدِيثٌ عَنِ شَكْلِ «الصُّونَاتَا» وَأُصُولِهِ وَتَارِيخِهِ[3] فَكَانَ هَذَا تَقْعِيدًا لهَا كَيْ يَحْذُوَ الشُّعَرَاءُ حَذْوَهُ.لَقَدْ حَـاوَلَ رَائِـدُ جَمَاعَـةِ أَبُولُّـلو تَرْجَمَـة إِحْـدَىٰ الصُّـونَاتَاتِ الشِّكْسـبِيرِيَّةِ بِنَسَـقِهَا ذَاتِـهِ إِلَىٰ الْعَرَبِيَّةِ.لَكِنَّهَا جَاءَتْ مُحَاوَلَةً اِهْتَمَّتْ بِالشَّكْلِ فَقَطْ دُونَ المضْمُونِ. إِنَّ أَبَا شَادِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ هَذَا الشَّـكْلِ ـ عَلَىٰ الرُّغْمِ مِنْ وَعْيِهِ بِهِ ـ عَمَلًا شِعْرِيًّا طَيِّبًا، تَجْعَلُهُ مُفِيدًا وَضَرُورِيًّا لِلشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ كَمَا يَقُولُ «د .الْبَحْـرَاوِيُّ» :« وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ لَمْ نَجِدْ عِنْدَ شُعَرَاءِ أَبُولُّلو مَنْ حَاوَلَ مُتَابَعَةَ أَبِي شَادِي فِي النَّظْمِ عَلَىٰ هَـذَا الشَّـكْلِ إِطْلَاقًـا، وَظَلَّتْ قَصَائِدُهُ الثَّلَاثَةُ أَمْثِلَةً وَحِيدَةً للسُّونَاتَا عِنْدَ جَمَاعَةِ أَبُولُّلُو».[4]

وَنَحْنُ إِذْ نَقْبَلُ مِنْهُ شَطْرَ الجُمْلَةِ الْأَوَّلَ المتَمَثِّلَ فِي أَنَّ أَحَدًا مِنْ شُعَرَاءِ أَبُولُّلُو لَمْ يُحَاوِلْ مُتَابَعَـةَ أَبِي شَادِي فِي النَّظْمِ عَلَىٰ هَذَا الشَّكْلِ، لَا نَقْبَلُ مِنْهُ الشَّطْرَ الْأَخِيرَ لِلْجُمْلَـةِ ؛إِذْ إِنَّ هَـذِهِ الْقَصَـائِدَ الـثَّلَاثَ لَيْسَـتِ الْوَحِيدَةَ لِشَكْلِ «الصُّونَاتَا» عِنْدَ شُعَرَاءِ أَبُولُّلو ـ يُؤَكِّدُ هَذَا الْقَوْلَ مَا قَدَّمَهُ «قُطْب» مِـنْ صُـونَاتَاتَيْنِ نَتَعَـرَّضُ لِهُمَا بِالتَّحْلِيلِ فِي الصَّفَحَاتِ التَّالِيَةِ.

أَمَّا عَنِ الْإِجَابَةِ عَنِ التَّسَاؤُلِ الثَّانِي الَّذِي طَرَحْنَاهُ مِنْ قَبْلُ فَسَـوْفَ تَكُـونُ بَعْـدَ عَـرْضٍ مُوَضِّـحٍ لِشَـكْلِ «الصُّونَاتَا» الَّذِي قَدَّمَهُ «قُطْب».

(1) د .سيد البحراوي : موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 98.
(2) د . إبراهيم أنيس : موسيقىٰ الشعر ، ص 290 .
(3) القصـائد الـثلاث نشرت إحـداها «الصـدىٰ» بمسرح الأدب بعـد المقـال المشـار إليـه ، ونشرت الثانيـة «نـور الجحـيم» في مختارات وحي العام ، والثالثة « في ذكرىٰ شكسبير» . راجع موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 97 .
(4) نفسه .

أَمَّا الْأُولَىٰ فَهِيَ بِعُنْوَانِ : «بَيْنَ الظِّلَالِ »[1] وَهِيَ مَنْشُورَةٌ عام 1934 ، وَهِيَ مِنَ الْقَصَائِدِ التَّأَمُّلِيَّةِ الَّتِي يَسْتَرْجِعُ فِيهَا الشَّاعِرُ الذِّكْرَيَاتِ الْبَعِيدَةَ لِعَالَمِهِ الْبِكْرِ الطَّازَجِ وَرُؤَاهُ الْوَرْدِيَّةِ الحَالِمَةِ.فَمِنْ حَيْثُ المضْمُون نَجِدُ الْقَصِيدَةَ تَسْرِي عَلَىٰ نَمَطِ«الصُّونَاتَا» عِنْدَ الشُّعَرَاءِ الرُّومَانسيِّين ـ كَمَا أَشَرْنَا مِنْ قَبْلُ ـ أَمَّا مِنْ حَيْثُ الشَّكْل فَإِنَّنَا نَجِدُ الشَّاعِرَ قَدِ الْتَزَمَ الشَّكْلَ الخَارِجِيَّ الْعَامَّ للصُّونَاتَا كَمَا يُوَضِّحُهُ الْمُوسِيقِيُّونَ وَهُوَ : الْعَرْضُ وَالتَّفَاعُلُ وَإِعَادَةُ الْعَرْضِ وَالخِتَامُ، فَفِي الجُزْءِ الْأَوَّلِ نَجِدُ عَرْضًا لِفِكْرَةِ الشَّاعِرِ وَهِيَ اِسْتِدْعَاءُ الذِّكْرَيَاتِ الْبَعِيدَةِ بِمَا فِيهَا مِنْ آمَالٍ وَمَا تُصْدَمُ بِهِ هَذِهِ الْآمَالُ فِي الْوَاقِعِ المرِيرِ الَّذِي يَحْيَاهُ، وَأَهَمُّ مَا يُمَيِّزُ هَذَا الجُزْءِ ـ تِبْعًا لِعِلْمِ الموسِيقَىٰ ـ هُوَ أَنَّهُ جُزْءٌ سَرِيعٌ، وَلَكِنْ مِنْ أَيْن تَتَأَتَّىٰ هَذِهِ السُّرْعَةُ لِوَزْنِ المجْتَثِّ ـ وَهُوَ وَزْنُ الْقَصِيدَةِ ـ وَهُوَ مِنَ الْبُحُورِ الْبَطِيئَةِ بِحِسَابِ tempo»» كَمَا رَأَيْنَا فِي مَبْحَثِ السُّرْعَةِ الْفَرْضِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ؟ لَقَدْ عَمَدَ الشَّاعِرُ إِلَىٰ الشَّطْرِ المكَوَّنِ مِنْ تَفْعِيلَتَيْنِ:«مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلَاتُنْ» وَاسْتَخَدَمَ نِظَامًا فِي التَّقْفِيَةِ يَقْتَرِبُ مِنْ نِظَامِ «الْأُوْكَتافِ» الَّذِي أَشَرْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، فَقَدِ اسْتَخَدَم «قُطْب» النَّمَطَ التَّالِي:

[أ أ ب ـ ج ج د ـ هـ هـ و ـ ز ز و] ، يَقُولُ فِي الجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ «الصُّونَاتَا» :

يَا ذِكْرَيَاتِي الْبَعِيدَةْ

يَا أُمْنِيَاتِي الشَّرِيدَةْ

إِلَيَّ قَبْلَ الصَّبَاحِ

إِلَيَّ مِنْ كُلِّ صَوْبِ

فَهَيْمِنِي حَوْلَ قَلْبِي

فَأَنْتِ وَحْيِي وَزَادِي

غَفَلْتِ يَا ذِكْرَيَاتِي

بَيْنَ اضْطِخَابِ الْحَيَاةِ

وَكُلِّ جَأْرٍ قَوِيٍّ

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، 115 .

سَــهَوْتِ يَـا أُمْـنِيَـاتِي

إِلَىٰ مَــــرَاقِي الْـحَيَاةِ

بِــحَـاضِـرٍ مَـأْتِــيِّ

وَهَذَا الْـجُزْءُ مِنَ «الصُّونَاتَا» تَتَنَوَّعُ فِيهِ الْقَافِيَةُ بِشَكْلٍ مُنْـتَظِمٍ [د د ح ـ ب ب د ـ ت ت يِّ ـ ت ت ي] .

أَمَّا الجُزْءُ الثَّانِي مِنَ «الصُّونَاتَا» بِشَكْلِهَا الموسِيقِيِّ فَهُوَ «التَّفَاعُلُ» وَهُوَ جُزْءٌ بَطِيءٌ غِنَائِيُّ الطَّبْعِ، وَهَذِهِ الْغِنَائِيَّـةُ تَتَمَثَّـلُ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِـي بَـيْنَ أَيْـدِينَا فِي تَنَـوُّعٍ جَدِيـدٍ فِي الْقَـوَافِي يَخْتَلِـفُ عَـنْ تَنَـوُّعِ الْقَـوَافِي فِي عَرْضِ«الصُّونَاتَا»، فَقَدْ سَارَ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

[أ ب أ ب ب ـ أ ب أ ب ب] ، يقولُ:«قُطْب» :

يَا ذَاكِـرَتِي الْبَـعِيـدَةْ   فِي عَـالَـــمِ الْأَشْبَـاحِ

يَا أُمْنِيَـاتِي الشَّـرِيدَةْ   فِي عَـالَـــمِ الْأَرْوَاحِ

إِلَيَّ قَـبْـلَ الصَّـباحِ

اللَّيْـــلُ أَرْخَىٰ سُتُورَهْ   فِي هَـدْأَةٍ كَـالْـخُلُودِ

وَالْبَــدْرُ أَرْسَلَ نُورَهْ   كَبَـسْــمَـةٍ مِنْ وَلِـيـدِ

رَاضِي الْــمُـحَيَّا سَعِيدِ

وَخَـفَـقَ الْكَوْنُ خَفْقَا   قَـدْ ضَـرَّمَـتْـهُ الـلَّيَالِي

وَعَــادَ يَـهْـمِسُ رِفْقَا   بِـذِكْـرَيَاتِي الْـخَـوَالِي

وَأُمْــنِـيَـــاتِي الْـغَـوَالِي

وَجَـدْتُ نَفْسِي وَكَانَتْ   ضَـاعَتْ ضَيَاعَ الْإِيَاسِ

وَرُضْتُ نَفْسِي فَـلَانَتْ   مِـنْ بَـعْدِ طُولِ الشِّمَاسِ

وَبَعْدَ صَعْبِ الْـمَرَاسِ

وَرَفْـرَفَـتْ ذِكْـرَيَـاتُ   أَثَـرْنَ قَـلْبِـي حَـنِـينَا

وَنُــضِّـرَتْ أُمْـنِـيَاتٌ ذَبُـلْـنَ كَـالـزَّهْرِ حِينَا

فَيَـالِـصُنْعِ السِّــنِينَا

إِنَّ الْبُطْءَ الزَّمَنِيَّ الَّذِي تَحَدَّثَ عَنْهُ الموسِيقِيُّوَن فِي الجُزْءِ الثَّانِي مِنَ «الصُّونَاتَا» اسْـتَطَاعَ أَنْ يَجِـدَ لَـهُ «قُطْب» مُعَادِلًا زَمَنِيًّا آخَرَ، وَهُوَ مُعَادِلٌ كَمِّيٌّ فِي زِيَادَةِ نِسْبَةِ الْأَسْطُرِ مَعَ تَنْوِيعٍ جَدِيدٍ فِي رَوِيِّ الْقَوَافِي، الَّذِي خَلَقَ جَوًّا غِنَائِيًّا مُتَعَدِّدَ الْقَفْلَةِ الموسِيقِيَّةِ « Close» الَّتِي هِيَ «تَتَابُعُ تَآلُفَيْنِ يُعْطِي إِحْسَاسًا بِنِهَايَةٍ مَـا ».[1] وَالتَّآلُفَانِ هُنَا هُوَ الرَّوِيُّ الَّذِي يُنْهِي بِهِ «قُطْب» الجُمْلَةَ الشِّعْرِيَّةَ : [أ ب أ ب ب] .أَمَّا إِذَا وَصَلْنَا إِلَىٰ الجُزْءِ الثَّالِثِ مِنَ «الصُّونَاتَا» وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ الموسِيقِيُّونَ إِعَادَةَ الْعَرْضِ، فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَامَ بِإِعَادَةِ مَدْخَلِ الْعَرْضِ بِبُطْءٍ كَمِّيٍّ أَيْضًا، يَقُولُ

يَا ذَاكِرَتِي الْبَـعِيـدَةْ فِي عَـالَــمِ الْأَشْبَــاحِ

يَا أُمْنِيَـاتِي الشَّرِيدَةْ فِي عَــالَـــمِ الْأَرْوَاحِ

إِلَيَّ قَـبْـلَ الصَّبَاحِ

وَهِيَ الجُمْلَةُ الافْتِتَاحِيَّةُ نَفْسُهَا لِلْعَرْضِ وَالتَّفَاعُلِ، وَكَأَنَّ الشَّـاعِرَ كَـانَ عَـلَىٰ وَعْـيٍ لِلشَّـكْلِ الموسِـيقِيِّ لِلصُّونَاتَا أَكْثَرَ مِنَ الشَّكْلِ الشِّعْرِيِّ ، هَذَا الْأَمْرُ جَعَلَهُ يَأْتِي إِلَىٰ جُزْءِ الخِتَامِ بِتَنْظِيمٍ وَاعٍ؛ إِذْ إِنَّ هَذَا الجُزْءَ كَـمَا يَقُولُ أَرْبَابُ الموسِيقَىٰ يَكُونُ سَرِيعًا وَبَرَّاقًا، وَالسُّرْعَةُ الَّتِي قَصَدَ إِلَيْهَا «قُطْب» تَتَأَتَّىٰ فِي الشَّكْلِ الَّـذِي اِخْتَـارَهُ لِتَنْظِيمِ الرَّوِيِّ، حَيْثُ جَاءَ بِلَحْنِ الخِتَامِ فِي قَالِبِ المـزْدَوَجِ «Couplet» بِهَـذَا الشـكل : [أ أ ، ب ب] ، وَهُـوَ أَيْضًا مِنْ أَشْكَالِ تَنَوُّعِ الْقَافِيَةِ عِنْدَ شُعَرَاءِ الْغَرْبِ، يَقُولُ فِي لحَنِ الخِتَامِ :

فَالْفَجْرُ فِي الْكَوْنِ لَاحَ وَالصُّبْحُ يُذْكِي الصِّيَاحَ

فَــأَقْبِـــلِي فِي انْفِرَادِي وَرَفْـرِفِي فِـي فُـؤَادِي

(1) معجم الموسيقىٰ ، ص 28 .

وَإِذَا كُنَّا نَفْهَمُ مِنْ كَلَامِ أَرْبَابِ الموسِيقَىٰ السُّرْعَةَ الزَّمَنِيَّةَ الَّتِي يُحَدِّدُونَهَا بِمَا يُسَمَّىٰ «المَازُورَة»[1] «bar»، فَإِنَّنَا نَتَوَقَّفُ عِنْدَ مُصْطَلَحِ «بَرَّاق»، فَهَلِ المقْصُودُ بِهِ الْبَرِيقُ المعْنَوِيُّ المتَمَثِّلُ فِي حِدَّةِ النَّغَمَاتِ الموسِيقِيَّةِ مِمَّا يَجْعَلُهَا سَاطِعَةً فِي السَّمْعِ كَضَوْءِ الشَّمْسِ الْبَرَّاقِ؟ أَمْ أَنَّ الْبَرِيقَ بَرِيقٌ مَادِيٌّ تُصْدِرُهُ الْآلَاتُ النُّحَاسِيَّةُ ذَاتُ الْبَرِيقِ اللَّامِعِ ؟وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، فَقَدِ اسْتَطَاعَ «قُطْب» أَنْ يُكَثِّفَ مِنْ عَنَاصِرِ الْبَرِيقِ المعْنَوِيِّ فِي لَحنِ خِتَامِ «الصُّونَاتَا» إِذْ أَتَىٰ بِدَالَّيْنِ مَعْنَوِيَّيْنِ مِنْ حَقْلٍ دِلَالِيٍّ يَتَوَلَّدُ مِنْهُمَا الْبَرِيقُ وَالنُّورُ، وَهُمَا«الْفَجْرُ» الَّذِي يُعْطِي دَلَالَةَ الْبَرِيقِ الهَادِئِ، وَ«الصُّبْحُ» الَّذِي يُعْطِي دَلَالَةَ الْبَرِيقِ الْقَوِيِّ، وَقَدْ كَثَّفَ مِنْ وُجُودِهِمَا تَرْكِيبِيًّا مَرَّةً بِالاسْمِ الظَّاهِرِ وَمَرَّةً أُخْرَىٰ بِالضَّمِيرِ المسْتَتِرِ فِي الْفِعْلَيْنِ «لَاحَ» ، و«يُذْكِي»، وَذَلِكَ بِوَضْعِهِمَا مُبْتَدَأً الَّذِي هُوَ «رَبُّ الجُمْلَةِ» عَلَىٰ حَدِّ تَعْبِيرِ ابْنِ جِنِّي.[2]

لَقَدْ كَانَ «قُطْب» عَلَىٰ وَعْيٍ بِمَفْهُومِ «الصُّونَاتَا» مُوسِيقِيًّا وَتَشْكِيلًا شِعْرِيًّا جَدِيدًا يُمْكِنُ طَرْحُهُ أُنْمُوذَجًا لِإِمْكَانِيَّةِ تَنَوُّعِ الْقَافِيَةِ فِي الشَّعْرِ الْعَرِبِيِّ الحَدِيثِ. وَأَرَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ «صُونَاتَا» أَبِي شَادِي الَّتِي حَاوَلَ أَنْ يُقَدِّمَهَا مُحَاكِيًا «شِكْسِبِيَر» شَكْلًا وَمَضْمُونًا ـ فَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ وَعْيِهِ لهٰذَا الْقَالِبِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ إِقْنَاعَنَا بِهِ قَالِبًا شِعْرِيًّا لِتَنَوُّعِ الْقَافِيَةِ.[3]

أَمَّا «الصُّونَاتَا» الثَّانِيَةُ الَّتِي قَدَّمَها «قُطْب» فَهِيَ قَصِيدَةُ «هُبَلٌ هُبَلْ»[4]، وَهِيَ مِنْ وَزْنِ الْكَامِلِ، وَقَدْ جَاءَتْ مُتَأَخِّرَةً عَنْ «بَيْنَ الظِّلَالِ» بِثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا ؛ إِذْ إِنَّ قَصِيدَةَ «هُبَل» نُشِرَتْ بَعْدَ ثَوْرَةِ تَمُّوز/ يُولْيُو عام 1952 فِي مَجْمُوعَةٍ شِعْرِيَّةٍ صَدَرَتْ فِي عمانَ بِعُنْوَانِ «لحنُ الْكِفَاحِ»، وَقَدْ جَاءَتِ الْقَصِيدَةُ بِشَكْلِ الشِّعْرِ الحُرِّ بِمَفهُومِهِ الَّذِي ظَهَرَ عَلَىٰ يَدِ كَثِيرٍ مِنْ شُعَرَاءِ العَرَبِ ؛ إِذْ لَمْ يَلْتَزِمِ الشَّاعِرُ عَدَدًا مُعَيَّنًا مِنَ التَّفْعِيلَاتِ فِي كُلِّ سَطْرٍ، وَقَدْ نَوَّعَ فِي الْقَافِيَةِ عَلَىٰ نَحْوِ مَا نَرَىٰ فِي السُّطُورِ التَّالِيَةِ:

---

(1) «المازورة» : «الوحدة الصغيرة في التدوين الزمني في الموسيقىٰ وتسمىٰ كذلك حقلا ويحتوي الحقل علىٰ عدد محدد من النبضات يوضحه الميزان الموسيقي ». انظر معجم الموسيقىٰ ص 13 .

(2) يرىٰ ابن جني أنك إذا قلت : «زيد ضربته »، فـ«زيد» رب الجملة ، ولا يمكن حذفه ، ولـ «زيد» فيها ذكران : أحدهما اسمه الظاهر ، والآخر الضمير ، وهو الهاء . انظر المحتسب في تبيين وجوه القراءات الشاذة ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، ط . المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية بمصر ، 1999 ، 1 / 179 .

(3) راجع صوناتا «صدىٰ» لأبي شادي في كتاب موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 97 وما بعدها .

(4) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 279 .

بَدَأَ «قُطْب» «الصُّونَاتَا» بِالْعَرْضِ «الْأُوكْتَافِيِّ» فِي شَكْلِهِ التَّقْلِيدِيِّ : [أ ب ب ج ج أ] عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

هُبَلٌ هُبَلْ ... رَمْـزُ السَّـخَـافَةِ وَالـدَّجَلْ

مِنْ بَعْدِ مَا انْـدَثَـرَتْ عَـلَىٰ أَيْـدِي الْأُبَاةْ

عَـــادَتْ إِلَـيْـنَا الْـيَـوْمَ فِي ثَـوْبِ الطُّغَاةْ

تَتَنَشَّقُ الْبُـخُورَ تَـحْـرِقُهُ أَسَاطِيرُ النِّفَاقْ

مَنْ قُيِّدَتْ بِالْأَسْرِ فِي قَيْدِ الخَنَا وَالارْتِزَاقْ

وَثَـنٌ يَـقُـودُ جُـمُـوعَـهُمْ ... يا لِلْخَجَلْ

وَهَذَا الْعَرْضُ ـ وَالْقَصِيدَةُ كُلُّهَا ـ تَأْتِي بِإِيقَاعٍ سَرِيعٍ ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهَا مِنْ وَزْنِ الْكَامِـلِ أَسْرَعَ بُحُـورِ الشِّـعْرِ بِحِسَابِ «tempo» هَذا مِنْ نَاحِيَةِ الزَّمَنِ، أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ المضْمُونِ فَهِيَ تُمَثِّلُ التَّطَوُّرَ الطَّبِيعِيَّ للصُّونَاتَا عِنْـدَ الرُّومَانسيِّينَ، حَيْثُ تَجِيءُ مُفْعَمَةً بِمَوْضُوعَاتٍ عَقَائِدِيَّـةٍ وَوَطَنِيَّـةٍ وَسِيَاسِـيَّةٍ هِجَائِيَّـةٍ.[1] وَقَـدْ جَـاءَتْ هَـذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي مَعْرَضِ هِجَاءٍ سِـيَاسِيٍّ وَاضِـحٍ.اتَّكَأَ فِيهَـا الشَّـاعِرُ عَـلَىٰ مَـوْرُوثٍ رَمْـزِيٍّ وَهُـوَ الصَّـنَمُ المعْبُـودُ فِي الجَاهِلِيَّةِ «هُبَلْ» وَهُوَ رَمْزٌ لِلسَّخَافَةِ وَالْغَبَاءِ وَالجَهْلِ، لَقَدْ حَدَّدَ الشَّاعِرُ فِي هذَا الْعَـرْضِ مَأْسَـاةَ هَـذِهِ الْـبِلَادِ الَّتي انْتَقَلَتْ مِنْ أَيْدِي طُغَاةٍ إِلَىٰ أَيْدِي طُغَاةٍ أَمْثَالِهِمْ ، لَكِنْ فِي هَـٰذِهِ المـرَّةِ إِلَىٰ طُغَـاةٍ يَقُـودُ مَسِـيرَهُمْ وَثَـنٌ نَصَّبَهُ الشَّاعِرُ رَمْزًا لِلسَّخَافَةِ حَيْثُ يَسْتَخِفُّ عُقُولَ قَوْمِهِ فَيُطِيعُونَهُ، وَرَمْزًا لِلدَّجَلِ وَالشَّعْوَذَةِ وَتَلْبِيسِ الْأُمُـورِ عَلَىٰ قَوْمِهِ حَتَّىٰ يَسُودُوا لَهُ.وَبِهَذَا يَكُونُ قَدْ حَدَّدَ مِحْـوَرَ قَضِـيَّتِهِ فِي اِسْـتِهْلَالٍ مُوسِـيقِيٍّ « Prelude»[2] رَائِـعٍ يُتْبِعُهُ تَفَاصِيلَ الْقَضِيَّةِ.

يَأْتِي بَعْدَ الْعَرْضِ الحَرَكَةُ الثَّانِيَةُ لِلصُّونَاتَا وَهُوَ «التَّفَاعُلُ»، حَيْثُ نَرَىٰ الشَّاعِرَ يُزِيدُ عُنْصُرًا كَمِيًّا جَدِيدًا عَلَّهُ يَظْفَرُ بِبُطْءٍ زَمَنِيٍّ لهذَا الُجزْءِ، فَيَأْتِي تَنَوُّعُ الْقَافِيَةِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ : [أ ب ب ج ج أ] ، يقول :

هُبَلٌ هُبَلْ ...

---

(1) راجع: موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 97 ، 98 .

(2) «الاستهلال الموسيقي» : مصطلح يستخدمه أرباب الموسيقىٰ للتعبير عن مقطوعة موسيقية تتخذ مقدمة لعمل أكبر منها . انظر معجم الموسيقىٰ ، ص 120 .

رَمْـزُ السَّـخَـافَةِ والـجهالة وَالـدَّجَلْ
لَا تَسْأَلَنْ يَا صَـاحِبِي تِـلْكَ الْـجُمُوعْ
لِمَنِ التَّعَبُّدُ وَالْـمَثُوبَةُ وَالْـخُـضُوعْ
دَعْهَا فَمَـا هِـيَ إِلَّا خِـرْفَـانُ الْقَطِيعْ
مَعْبُودُهَا صَنَـمٌ يَـرَاهُ ...الْعَمُّ سَـامْ
وَتَكَفَّلَ الدُّولَارُ كَيْ يُضْفِي عَلَيْهِ الاحْتِرَامْ
وَسَعَـىٰ الْقَطِيعُ غَبَـاوَةً ... يَا لِلْبَطَلْ !

يُقَدِّمُ الشَّاعِرُ فِي الحَرَكَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ «الصُّونَاتَا» بُطْأً كَمِّيًّا نَوْعًا مَا مُتَمَثِّلًا فِي تِلْكَ الْوَقْفَةِ الصَّـوْتِيَّةِ بَعْـدَ الجُمْلَةِ الافْتِتَاحِيَّةِ «هُبَلٌ ..هُبَلْ» الَّتِـي تُمَثِّـلُ وَحْـدَهَا تَفْعِيلَـةً كَامِلَـةً دُونَ تَـدَخُّلٍ لِأَيِّ زِحَـافٍ (///ه //ه) ، مُسْتَغِلًّا مَا تُتِيحُهُ لَهُ الضَّرُورَةُ الشِّعْرِيَّةُ فِي تَنْـوِينِ «هُبَـل» الْعَلَـمِ المعْـدُولِ مِـنْ وَزنِ «فَاعِـلٍ»، ثُـمَّ يُضِـيفُ عُنْصُرًا سَلْبِيًّا آخَرَ لِهَذَا الصَّنَمِ لَـمْ يَكُـنْ مَوْجُـودًا فِي الجُـزْءِ الْأَوَّلِ مِـنَ «الصُّـونَاتَا»، فَقَـدْ أَصْـبَحَ رَمْـزًا لِثَلَاثَـةِ أَشْيَاءَ:السَّخَافَةِ وَالجَهَالَةِ وَالدَّجَلِ، هَذَا بِجَانِبِ الْعُنْصِرِ الثَّالِثِ مِنْ عُنْصُرِ الـرَّوِيِّ (ب)، فَقَـدْ سَـارَ التَّشْـكِيلُ الصَّوْتِيُّ لِلرَّوِيِّ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي : [ل ل ع ع ع م م ل] بِزِيَادَةِ الْعُنْصُرِ (ع)، مُمَثِّلًا نَوْعًا مِنَ التَّفَاعُلِ المعْنَوِيِّ وَالصَّوْتِيِّ فِي آنٍ وَاحِدٍ نَظَرًا لِطَبِيعَةِ حَرْفِ الْعَيْنِ الحَلْقِيَّةِ الَّتِي تُعْطِي دَلَالَةَ الصَّوْتِ المرْتَفِـعِ فِي مُوَاجَهَـةِ هَالَـةِ التَّقْدِيسِ الَّتِي يَحْظَىٰ بِهَا «هُبَلُ» مِنْ مُؤَيِّدِيهِ (تِلْكَ الجُمُوعْ).

تَأْتِي الَحركَةُ الثَّالِثَةُ فِي «الصُّونَاتَا» تَحْمِلُ نَفْسَ التَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ السَّابِقِ لِحَرْفِ الـرَّوِيِّ : [أ أ ب ب ج ج أ] مَعَ زِيَادَةٍ كَمِّيَّةٍ فِي الجُمْلَةِ الافْتِتَاحِيَّة ، يَقُولُ «قُطْب» :

هُبَلٌ هُبَلْ ...

رَمْزُ الخِيَانَةِ وَالْـجَهَالَةِ السَّخَافَةِ وَالدَّجَلْ

هُتَّافُهُ التَّهْرِيجُ مَا مَلُّوا الثَّنَاءْ

زَعَمُوا لَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءْ

مَلِكٌ تَجَلْبَبَ بِالضِّيَاءِ وَجَاءَ مِنْ كَبِدِ السَّمَاءْ

هُوَ فَاتِحٌ .. .هُوَ عَبْقَرِيٌّ مُلْهَمُ

هُوَ مُرْسَلٌ ... هُوَ عَالِمٌ وَمُعَلِّمُ

وَمِنَ الجَهَالَةِ مَا قَتَلْ ..

الزِّيَادَةُ الْكَمِّيَّةُ فِي الجُمْلَةِ الافْتِتَاحِيَّـةِ تَتَمَثَّـلُ فِي إِضَـافَةِ عُـنْصرٍ سَـلْبِيٍّ جَدِيـدٍ لِهبُـلَ، فَهُـوَ أَيْضًـا رَمْـزٌ لِلْخِيَانَةِ، خِيَانَةِ شَعْبِهِ الَّذِي نَصَّبُوهُ حَاكِمًا خَارِقًا، وَأَلْقَىٰ عَلَيْهِ هَالَاتِ التَّقْدِيسِ تِلْكَ الَّتِـي يُقَـدِّمُهَا الشَّـاعِرُ فِي جُمْلَةٍ تَتَوَازَىٰ صَوْتِيًّا فِيمَا بَيْنَهَا عَلَىٰ نَحْوٍ يُثِيرُ التَّعَجُّبَ مِنْ قُدْرَةِ هَذَا الصَّنَمِ الخَارِقَةِ:

مُلْهَمُ	عَبْقَرِيٌّ	هُوَ	فَاتِحٌ	هُوَ
وَمُعَلِّمُ	عَالِـمٌ	هُوَ	مُرْسَلٌ	هُوَ

بِهَذا التَّوَازِيِّ الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ المسْتَوَىٰ النَّحْوِيِّ يُبْرِزُ الشَّاعِرُ دَلَالَةَ السُّخْرِيَّةِ مِنْ هَذَا الصَّنَمِ الَّذِي يَرَىٰ فِيهِ مُرِيدُوهُ وَحْيًا جَدِيدًا مِنَ السَّمَاءِ ، بَلْ إِنَّ لَدَيْهِ طَاقَةً تَفُوقُ طَاقَاتِ الْأَنْبِيَاءِ.وَمِنْ ثَمَّ تَـأْتِي الْقَفْلَـةُ الموسِـيقِيَّةُ الصَّادِمَةُ لِهَذِهِ الحَرَكَةِ مِنَ «الصُّونَاتَا»، وَهِيَ:«وَمِنَ الجَهَالَةِ مَا قَتَـلْ»، مَوْضُـوعَةً فِي سِـيَاقٍ مُضَـادٍ لمَـا قَالَـهُ الشَّاعِرُ الْقَرَوِيُّ مِنْ قَبْلُ:«وَمِنَ الْعِلْمِ مَا قَتَـلْ».ثَمَّـةَ مُلَاحَظَـةٌ أَخِـيرَةٌ نَـذْكُرُهَا لِهَـذِهِ الحَرَكَـةِ الموسِـيقِيَّةِ مِـنَ «الصُّونَاتَا»، وَهِيَ اخْتِيَارُ الشَّاعِرِ لِحَرْفٍ حَلْقِيٍّ آخَرَ يَتَكَرَّرُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ رَوِيًّا وَهُوَ الهَمْزَةُ (ء) مُتَسَاوِيًا مَـعَ تَكْرَارِ الحَرْفِ الحَلْقِيِّ فِي الجُزْءِ السَّابِقِ، وَمُتَوَازِيًا مَعَهُ فِي المكَانِ ذَاتِه، وَهُوَ الْعَـيْنُ ، مِـمَّا يَـدُلُّ عَـلَىٰ وَعْـيِ الشَّاعِرِ بِالتَّشْكِيلِ الصَّوْتِيِّ وَالموسِيقِيِّ للصُّونَاتَا حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ دُونَ قَصْدٍ لحَظْةَ الْإِبْدَاعِ الشِّعْرِيِّ .

فِي لَحنِ الِخَتامِ يَسْتَبْدِلُ الشَّاعِرَ عُنْصَرَ «الْعِمَالَةِ» بالجَهَالَةِ وهو عنصر يَتَـوَازَىٰ مَـع المسْـتَبْدَلِ صَـوْتِيًّا، وَاضِعًا إِيَّاهُ فِي الجُمْلَةِ الافْتِتَاحِيَّةِ لِلَحْنِ الخِتَام، مُضِيفًا عَنَاصِرَ أُخْرَىٰ كَمِّيَّةً تَظْهَرُ فِي تَنَوُّعِ الرَّوِيِّ عَلَىٰ نَحْـوِ: [أ أ ب ب ج ج د د أ أ] ، وَهَذَا التَّشْكِيلُ الصَّوْتِيُّ لِلرَّوِيِّ لَمْ نَرَهْ فِي الحَرَكَاتِ السَّابِقَةِ مِنَ «الصُّونَاتَا»، وَكَـأَنَّ الشَّاعِرَ أَحَسَّ بِضَرُورَةِ إِنْهَاءِ «الصُّونَاتَا» بِحَرَكَاتِهَا الْأَرْبَعِ، فَأَضَافَ عَنَاصِرَ جَدِيدَةً فِي الْوَقْتِ الَّذِي يُؤَكِّـدُ فِيـهِ أَرْبَابُ الموسِيقَىٰ عَلَىٰ ضَرُورَةِ سُرْعَةِ الخِتَامِ وَبَرِيقِهِ ، يَقُولُ «قُطْب» :

هُبَلٌ هُبَلْ ...
رَمْزُ الخِيَانَةِ وَالْعِـمَالَـةِ وَالدَّجَلْ
صِيغَتْ لَهُ الْأَمْـجَادُ زَائِفَةً فَصَدَّقَهَا الْغَبِيّ
وَاسْتَنْكَرَ الْكَذِبَ الصُّرَاحَ وَرَدَّهُ الحُرُّ الْأَبِيّ
لَكِنَّمَا الْأَحْرَارُ فِي هَـٰذَا الزَّمَانِ هُمُ الْقَلِيلْ
فَلْيدَخْلُوُا السِّجْنَ الرَّهِيبَ وَيَصْبِرُوا الصَّبْرَ الجَمِيلْ
وَلْيَشْهَدُوا أَقْسَىٰ رِوَايَةْ
فَلِكُلِّ طَاغِيَةٍ نِهَايَةْ
وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ أَجَلْ
هُبَلٌ هُبَلْ .. هُبَلٌ هُبَلْ..!

إِنَّ لحَنَ الخِتَامِ الَّذِي يُقَدِّمُهُ الشَّاعِرُ جَاءَ مَرِيرًا مُظْلِمًا عَلَىٰ كُـلِّ حُـرٍّ أَبِيٍّ ، تَـؤُولُ بِـهِ حُرِّيَّتُـهُ إِلَىٰ السِّجْنِ الرَّهِيبِ مُنْتَظِرًا قَضَاءَ الـلـه فِي كُلِّ طَاغِيَةٍ .لَقَدْ سَيْطَرَ عَلَىٰ هَذَا الجَـوِّ ظَـلَامٌ لَا بَرِيـقٌ.وَإِنْ كَـانَ يَحْدُوهُ الْأَمَلُ فِي الخَلَاصِ مِنَ الطَّاغِيَةِ، هَذَا الْأَمَلُ الحَذِرُ مُتَمَثِّلٌ فِي تَعْبِيرَاتٍ جَاهِزَةٍ تَتَرَدَّدُ عَلَىٰ الْأَفْـوَاه : «وَيَصْبِرُوا الصَّبْرَ الجَمِيلْ» ـ «لِكُلِّ طَاغِيَةٍ نِهَايَـةْ» «لِكُـلِّ مَخْلُـوقٍ أَجَـلْ»، لَعَلَّـهُ يَـرَىٰ فِي أَصْـدَاءِ هَـذِهِ الْكَلِمَاتِ عَزَاءً لِمَا يُكَابِـدُهُ مِـنْ آلَامِ السِّـجْنِ وَتَعْذِيبِـهِ الجَسَـدِيِّ وَالـنَّفْسِيِّ.وَالْآنَ بَقِـيَ لَنَـا أَنْ نَتَصَـدَّىٰ لِلْإِجَابَةِ عَنِ السُّؤَالِ الثَّانِي الَّذِي طَرَحْنَاهُ فِي بِدَايَةِ المبْحَثِ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَدَىٰ الْتِـزَامِ «قُطْـب» بِالشَّـكْلِ الموسِيقِيِّ وَالشَّكْلِ الشِّعْرِيِّ لِقَالِبِ «الصُّونَاتَا».وَنَقُولُ: إِنَّ الشَّـاعِر كَـانَ عَـلَىٰ وَعْـيٍ بِـأَدَوَاتِ التَّشْـكِيلِ الْفَنِيِّ لهَذَا الْقَالِبِ عَلَىٰ المسْتَوَيَيْنِ :الموسِيقِيِّ وَالشِّعْرِيِّ . هَذَا مَـا لمسْـنَاهُ مِـنْ خِـلَالِ التَّحْلِيـلِ الصَّـوْتِيِّ وَالموسِيقِيِّ للصُّونَاتَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، فَهُوَ مِنْ جَانِبٍ يَلْتَزِمُ بِالموْضُوعِ الشِّعْرِيِّ الرُّومَانسِيِّ لِلصُّـوَنَاتَا، وَمِـنْ جَانِبٍ آخَرَ يَلْتَزِمُ بِأَقْسَـامِهَا الَّتِـي حَـدَّدَها الموسِـيقِيُّونَ، وَمِـنْ جَانِـبٍ ثَالِـثٍ أَرَاهُ الْتَـزَمَ جَانِـبَ الْـوَزْنِ الشِّعْرِيِّ ، فَـ«الصُّونَاتَا» تُنْظَمُ عَلَىٰ وَزْنِ «أَيَامْبِيٍّ»[1] وَهَـٰذَا الْوَزْنُ يُقَابِلُهُ فِي رَأْيِ كَثِيرٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ وَزْنَ الرَّجَزِ فِي الشِّعرِ الْعَرَبِيِّ[2]، وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ تَفْعِيلَـةَ الْكَامِـلِ المضْـمَرَةِ (مُتْفَـاعِلُنْ) تَتَسَـاوَىٰ زَمَنِيًّـا مَـعَ تَفْعِيلَةِ الرَّجَزِ (مُسْتَفْعِلُنْ) (/٥ /٥ //٥) عَلِمْنَا إِلَىٰ أَيِّ مَدَىٰ كَانَ الشَّاعِرُ مُوَفَّقًا فِي «الصُّـونَاتَا» الْأَخِـيرَةِ ،

(1) راجع: موسيقىٰ الشعر عند شعراء أبوللو ، ص 97 ، 98 .
(2) يعد المستشرقون أوزان الرجز والكامل و الوافر أوزانا أيامبيـة ، ووزن المجتـث والرمـل أوزانـا إيوانيـة .انظـر د .شـكري محمد عياد : موسيقىٰ الشعر العربي ، ص 69 .

وَإِذَا عَلِمْنَا أَنَّ وَزْنَ المجْتَثّ الَّذِي نَظَمَ بِهِ «بَيْنَ الظلال»وَإِنْ كَانَ وَزْنًا «إِيونِيًّا»إِلَّا أَنَّـهُ يَشْـتَمِلُ فِي تَفْعِيلَتِـهِ الْأُولَىٰ عَلَىٰ تَفْعِيلَةِ الرَّجَزِ (/ه/ه//ه)، وَأَنَّ تَفْعِيلَتَهُ الثَّانِيَةَ (فَاعِلَاتُنْ) (/ه//ه/ه) قَدْ يُصِيبُهَا التَّشْعِيثُ فَتَصِيرُ (/ه/ه/ه) وَهُوَ الشَّكْلُ نَفْسُهُ الَّذِي تَصِيرُ إِلَيْـهِ (مُسْـتَفْعِلُنْ) إِذَا أَصَـابَهَا الْقَطْـعُ (/ه/ه/ه) لَكِـنَّ الْقَطْـعَ عِلَّـةٌ لَازِمَةٌ، إِذَا عَلِمْنَا هَذَا نُدْرِكُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَدْ يُحَالِفُهُ التَّوْفِيقُ فِي «الصُّونَاتَا» الْأُولَىٰ أَيْضًا.

وَبَعْدَ ذَلِكَ أَلَا يَحِقُّ لِلْبَحْرَاوِيِّ أَنْ يُتْبِعَ تَيْنِ الْقَصِيدَتَيْنِ جَدْوَلَ الْقَصَائِدِ المتَنَوِّعَةِ لِشُعَرَاءِ أَبُولُّلو مِثَالًا جَادًّا عَلَىٰ قَالِبِ «الصُّونَاتَا» إِضَافَةً إِلَىٰ الْقَصَائِدِ الثَّلَاثِ الْيَتِيمَاتِ لِأَبِي شَادِي ؟

7ـ المَزْجُ بَيْنَ أَكْثَرِ مِنْ نَمَطٍ:

مَزَجَ «قُطْب» بَيْنَ نَمَطَي المُسَـمَّطِ وَالمُرَبَّـعِ المُصَرَّعِ فِي قَصِـيدَةِ «أَخِـي»[1] حَيْـثُ بَـدَأَهَا بِالمُسَـمَّطِ إِلَىٰ الْبَيْتِ الثَّامِنَ عَشَرَ، ثُمَّ بِنَمَطِ المُرَبَّعِ المُصَرَّعِ مِـنَ الْبَيْـتِ التَّاسِـعِ إِلَىٰ نِهَايَتِهَـا، يَقُـولُ فِي بِدَايَـةِ جُـزْءِ المرَبَّـعِ المُصَرَّعِ :

أَخِي إِنَّنِي مَا سَئِمْتُ الْكِفَاحْ	وَلَا أَنَا أَلْقَيْتُ عَنِّي السِّلَاحْ
وَإِنْ طَوَّقَتْنِي جُيُوشُ الظَّلَامْ	فَـإِنِّي عَـلَىٰ ثِقَةٍ بِـالصَّبَاحْ

وَيَقُولُ فِي آخِرِهَا :

سَـأَثْأَرُ لَكِنْ لِرَبٍّ وَدِينْ	وَأَمْشِي عَلَىٰ سُنَّتِي فِي يَـقِـينْ
فَإِمَّا إِلَىٰ النَّصْرِ فَوْقَ الْأَنَامْ	وَإِمَّـا إِلَىٰ اللـه فِي الْـخَالِدِينْ

(2/2) الْأَنْسَاقُ الصَّوْتِيَّةُ لِلرَّوِيِّ :

يُعَدُّ النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ اِنْتِظَامَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ المُخْتَلِفَـةِ فِي مَجْمُوعَـةٍ وَاحِـدَةٍ تَجْمَـعُ بَـيْنَ صِفَةٍ مُتَشَابِهَةٍ بَيْنَهَا.مِثْلُ اللَّامِ وَالنُّونِ وَالمِيمِ وَالرَّاءِ فَكُلُّ حَـرْفٍ مِـنْ هَـذِهِ الحُـرُوفِ لَـهُ خَصَائِصُـهُ الصَّـوْتِيَّةُ المُخْتَلِفَةُ عَنِ الْآخَرِ؛لَكِنَّهَا تُجْمَعُ فِي نَسَقٍ صَوْتِيٍّ وَاحِدٍ هُـوَ نَسَـقُ الحُـرُوفِ المَائِعَـةِ ؛لِأَنَّهَـا أَصْـوَاتٌ مُتَوَسِّـطَةٌ لَيْسَتِ اِنْفِجَارِيَّةً وَلَا اِحْتِكَاكِيَّةً.

(1/2/2) النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ المُتَمَاثِلُ:

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 282 .

فِي هَذَا النَّسَقِ يَتَّفِقُ صَوْتُ رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ كُلِّهَا فِي كُلِّ الصِّفَاتِ وَالخَصَائِصِ، وَهُوَ يَتَحَقَّقُ فِي الْقَصَائِدِ ذَاتِ الرَّوِيِّ المُوَحَّدِ، وَيُعَدُّ هَذَا النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ هُوَ الْأَكْثَرُ ظُهُورًا عِنْدَ الشَّاعِرِ؛ نَظَرًا لمَيْلِهِ الْعَامِّ لِلْقَصِيدَةِ ذَاتِ الرَّوِيِّ الْوَاحِدِ ـ كَمَا ذُكِرَ فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ ـ بِنِسْبَةِ 58 % مُتَحَقِّقَةً فِي 74قَصِيدَةً مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ .

(2/2/2) النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ الْعُنْقُودِيُّ :

وَفِيهِ تَتَجَمَّعُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ فِي عُنْقُودٍ وَاحِدٍ، وَمِنْ أَنْوَاعِهِ الَّتِي ظَهَرَتْ فِي شِعْرِ «قُطْب ».

<u>أ ـ النَّسَقُ الجَهْرِيُّ :</u> وَفِيهِ تَتَابُعُ الْأَصْوَاتُ اللُّغَوِيَّةُ المُخْتَلِفَةُ المُسْتَخْدَمَةُ رَوِيًّا لَكِنْ يَجْمَعُهَا كُلُّهَا صِفَةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ الجَهْرُ، وَقَدِ اِسْتَخْدَمَ الشَّاعِرُ هَذَا النَّسَقَ الصَّوْتِيَّ 13 مَرَّةً فِي قَصَائِدَ مُنَوَّعَةِ الرَّوِيِّ، نَرَاهَا عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

م	القصيدة	الصفحة	أصوات الروي المختلفة	صفة النسق الصوتي
1	الصَّدِيقُ المفْقُودُ	45	ر ـ د ـ ء ـ ب ـ ل	الجهر
2	إِلَىٰ الثَّلَاثِينَ	57	ل ـ ب	الجهر
3	عَهْدٌ ذَاهِبٌ	74	ب ـ ي ـ ر ـ ل ـ م	الجهر
4	اللَّيْلَاتُ المبْعُوثَاتُ	83	د ـ م ـ ب	الجهر
5	رَيْحَانَتِي الْأُولَىٰ	85	م ـ ب ـ د	الجهر
6	الشُّعَاعُ الخَابِي	110	م ـ ر ـ ء ـ ن	الجهر
7	خَبِيئَةُ نَفْسِي	139	ر ـ د ـ م ـ ن	الجهر
8	أَقْدَامٌ فِي الرِّمَالِ	145	ل ـ ر ـ د ـ ء ـ ن	الجهر
9	رَسُولُ الحَيَاةِ	169	د ـ ي	الجهر
10	اللَّحْنُ الحَزِينُ	173	ن ـ ب ـ م ـ ل	الجهر
11	عَلَىٰ أَطْلَالِ الحُبِّ	200	ل ـ ع ـ ر	الجهر
12	عَبَثُ الجَمَالِ	226	ع ـ د ـ ر ـ م	الجهر
13	يَوْمٌ خَرِيفٌ	228	ن ـ ض ـ د ـ م	الجهر

ب ـ نَسَقُ الْأَصْوَاتِ الْـمَائِعَةِ : وَفِيهِ تَتَابُعُ أَصْوَاتِ النُّونِ وَالمِيمِ وَالـلَّامِ وَالـرَّاءِ ، وَهِـيَ أَصْـوَاتُ أَشْـبَاهِ اللِّينِ ، وَقَدِ اِسْتَخْدَمَ الشَّاعِرُ هَـٰذَا النَّسَقَ الصَّوْتِيَّ مَرَّتَيْنِ ؛ كَانَـتِ الْأُولَىٰ فِي قَصِـيدَةِ «الْقَطِـيعُ»[1] وَالثَّانِيَـةُ فِي قَصِيدَةِ «المعْجِزَةِ ».[2]

فَفِي الْأُولَىٰ نَوَّعَ بَـيْنَ صَـوْتَيِ المِـيمِ وَالـلَّامِ، وَهُـمَا صَـوْتَانِ مَائِعَـانِ، وَفِي الثَّانِيَـةِ نَـوَّعَ بَـيْنَ صَـوْتَيِ الـلَّامِ وَالنُّونِ.وَقَدْ تَوَقَّفْنَا عِنْدَ نَمَاذِجَ مِنْهُمَا عِنْدَ الحَدِيثِ عَنِ المقْطُوعَاتِ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ.

جـ ـ النَّسَقُ الانْفِجَارِيُّ : وَفِيهِ تَتَابُعُ أَصْوَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ تَجْمَعُ بَيْنَهَا صِـفَةُ الانْفِجَارِيَّـةِ ، وَقَـدِ اِسْـتَخْدَمَ الشَّاعِرُ هَـٰذَا النَّسَقَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَصِيدَةِ «بَيْنَ عَهْدَيْنِ»[3] حَيْثُ نَوَّعَ بَيْنَ صَوْتَيِ الدَّالِ وَالْبَـاءِ رَوِيًّا وَهُـمَا صَوْتَانِ مُخْتَلِفَا المخْرَجِ ، لَكِن تَجْمَعُ بَيْـنَهُمَا صِـفَةُ الانْفِجَـارِ، حَيْـثُ يَنْحَـبِسُ الهَـوَاءُ فِي مَخْـرَجِ كُـلٍّ مِـنْهُمَا اِنْحِبَاسًا لَا يُسْمَحُ بِمُرُورِهِ حَتَّىٰ يَنْفَصِلَ الْعُضْوَانِ فَجْأَةً وَيُحْدِثُ النَّفَسُ صَوْتًا اِنْفِجَارِيًّا.[4]

(3/2/2) النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ الانْزِيَاحِيُّ:

فِي هَذَا النَّسَقِ الصَّوْتِيِّ يَخْرُجُ صَوْتُ رَوِيٍّ عَنِ النَّسَقِ الْعَـامِّ لِمَنْظُومَـةِ الْأَنْسَـاقِ الصَّـوْتِيَّةِ فِي الْقَصِـيدَةِ، وَيُمْكِنُ تَصْنِيفُهُ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

أ ـ الانْزِيَاحُ الاسْتِهْلَالِيُّ : وَهُوَ خُرُوجُ صَوْتِ الرَّوِيِّ فِي بِدَايَـةِ الْقَصِـيدَةِ عَـنْ سَـائِرِ المنْظُومَـةِ الصَّـوْتِيَّةِ فِيهَا، وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ هَذَا الانْزِيَاحِ الاِسْتِهْلَالِيِّ إِلَىٰ :

(أ /1) الاسْتِهْلَال بِالْأَصْوَاتِ غَيْرِ المائِعَةِ وَانْتِظَامِ الْأَصْوَاتِ المائِعَةِ سَائِرَ الْقَصِيدَةِ:

وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتَيْنِ فَقَطْ ؛الْأُولَىٰ :«عَهْدٌ ذَاهِبٌ»[5] الَّتِي اِسْتَهَلَّهَا الشَّاعِرُ بِصَوْتِي الْبَاءِ وَالْيَـاءِ ، وَهُمَا صَوْتَانِ غَيْرُ مَائِعَانِ بَيْنَمَا انْتَظَمَ مَنْظُومَةَ الرَّوِيِّ فِي سَائِرِ الْقَصِيدَةِ نَسَقُ الْأَصْـوَاتِ المائِعَـةِ:الـرَّاء وَالـلَّام والمِيم.

---

(1) السابق ، ص 133 .
(2) السابق ، ص 171 .
(3) السابق ، ص 90 .
(4) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 24 ، 25.
(5) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 74 .

أَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ قَصِيدَةُ «عَبَثُ الجَمَالِ»[1] الَّتِي اِسْتَهَلَّهَا بِصَـوْتَيِ الْعَـيْنِ وَالـدَّالِ، بَيْـنَمَا انْـتَظَمَ نَسَـقُ الْأَصْوَاتِ المَائِعَةِ الرَّاءِ وَالمِيمِ سَائِرَ مَنْظُومَةِ الْقَصِيدَةِ .

(أ/2)الاسْتِهْلَال بِصَوْتٍ مَائِعٍ وَانْتِظَامِ الْأَصْوَاتِ غَيْرِ المَائِعَةِ سَائِرَ الْقَصِيدَةِ:

وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ هِيَ «رَيْحَانَتِي الْأُولَىٰ»[2] الَّتِي اِسْتَهَلَّهَا بِصَوْتِ المِيمِ المَائِعِ ، ثُمَّ اِنْتَظَمَ الْقَصِيدَةَ نَسَقُ الْأَصْوَاتِ غَيْرِ المَائِعَةِ الْبَاءِ وَالدَّالِ وَهِـيَ أَصْـوَاتٌ اِنْفِجَارِيَّـةٌ، وَمِـنْ ثَـمَّ يُعَـدُّ الْبَـدْءُ بِصَوْتِ رَوِيِّ المِيمِ اِنْزِيَاحًا اِسْتِهْلَالِيًّا .

(أ/3)الاسْتِهْلَال بِالْأَصْوَاتِ المهْمُوسَةِ وَانْتِظَامِ الْأَصْوَاتِ المجْهُورَةِ سَائِرَ الْقَصِيدَةِ:

وَقَدْ حَدَثَ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ قَصَائِدَ :

الْأُولَىٰ:«عَوْدَةُ الحَيَاةِ»[3] الَّتِي اِسْتَهَلَّهَا بِصَوْتِ التَّاءِ المهْمُوسِ ، ثُمَّ انْـتَظَمَ نَسَـقُ الْأَصْـوَاتِ المجْهُـورَةِ سَائِرَ الْقَصِيدَةِ ، وَهِيَ النُّونُ وَالدَّالُ وَالْعَيْنُ.

الثَّانِيَةُ :«الظَّامِئَةُ»[4]يَسْتَهِلُّهَا الشَّاعِرُ بِصَوْتِ رَوِيِّ الْقَافِ المهْمُوسِ، وَيَنْتَظِمُ نَسَقُ الْأَصْـوَاتِ المجْهُـورَةِ المَائِعَةِ المِيمِ وَالنُّونِ سَائِرَ الْقَصِيدَةِ .

الثَّالِثَةُ : «وَحْيُ اللِّقَاءِ»[5] يَسْتَهِلُّهَا الشَّاعِرُ بِصَوْتِ رَوِيِّ السِّينِ المهْمُـوسِ، ثُـمَّ يَنْـتَظِمُ نَسَـقُ الْأَصْـوَاتِ المجْهُورَةِ المَائِعَةِ الرَّاءِ وَالنُّونِ وَاللَّامِ سَائِرَ الْقَصِيدَةِ.

الرَّابِعَةُ : «هُبَلٌ هُبَلْ»[6]يَسْتَهِلُّهَا بِصَوْتِ رَوِيِّ الْقَافِ المهْمُوسِ، ثُـمَّ يَنْـتَظِمُ نَسَـقُ الْأَصْـوَاتِ المجْهُـورَةِ الْعَيْنِ وَاللَّامِ وَالمِيمِ وَالْيَاءِ سَائِرَ الْقَصِيدَةِ .

(ب) الاِنْزِيَاحُ الدَّاخِلِيُّ : وَهُـوَ خُـرُوجُ صَـوْتِ الـرَّوِيِّ عَـنِ مَنْظُومَـةٍ صَـوْتِيَّةٍ سَـابِقَةٍ أَوْ لَاحِقَـةٍ وَهَـذَا الخُرُوجُ يُحْدِثُ تَمَوُّجًا صَوْتِيًّا لِإِيقَاعِ نِهَايَةِ الْأَبْيَاتِ، وَيَأْتِي هَذَا التَّمَوُّجُ فِي شِعْرِ «قُطْب» عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

(ب/ 1) تَمَوُّجُ الْأَصْوَاتِ المَائِعَةِ وَغَيْرِ المَائِعَةِ :

(1) السابق ، ص 226 .
(2) السابق ، ص 85 .
(3)السابق ، ص 106 .
(4)السابق ، ص 166 .
(5)السابق ، ص 212 .
(6)السابق ، ص 279 .

وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ التَّمَوُّجُ الصَّوْتِيُّ فِي عَشْرِ قَصَائِدَ مِنْ أَعْمَالِ الشَّاعِرِ يُظْهِرُهَا الجَدْوَلُ التَّالِي:

م	القصيدة	ص	أصوات الروي المختلفة	الأصوات المائعة	الأصوات غير المائعة
1	الصَّدِيقُ المفْقُودُ	45	ر ـ د ـ ء ـ ب ـ ل	ر ـ ل	د ـ ء ـ ب
2	إِلَىٰ الثَّلَاثِينَ	57	ل ـ ب ـ هـ	ل	ب ـ هـ
3	اللَّيْلَاتُ المبْعُوثَاتُ	83	د ـ م ـ ب	م	د ـ ب
4	الشُّعَاعُ الخَابِي	110	م ـ ر ـ ء ـ ن	م ـ ر ـ ن	ء
5	خَبِيئَةُ نَفْسِي	139	ر ـ د ـ م ـ ن	ر ـ م ـ ن	د
6	أَقْدَامٌ فِي الرِّمَالِ	145	ل ـ ر ـ د ـ ء ـ ن	ل ـ ر ـ ن	د ـ ء
7	خُدْعَةُ الخُلُودِ	147	ب ـ ر ـ د	ر	ب ـ د
8	اللَّحنُ الحَزِينُ	173	ن ـ ب ـ م ـ ل	ن ـ م ـ ل	ب
9	عَلَىٰ أَطْلَالِ الُحبِّ	200	ل ـ ع ـ ر	ل ـ ر	ع
10	يَوْمٌ خَرِيفٌ	228	ن ـ ض ـ د ـ م	ن ـ م	ض ـ د

(ب/2) تَمَوُّجُ أَصْوَاتِ الجَهْرِ وَالهَمْسِ :

وَهُوَ مِنْ أَكْثَرِ الْأَنْسَاقِ الصَّوْتِيَّةِ تَكْرَارًا فِي شِعْرِ«قُطْب» بَعْـدَ النَّسَـقِ المُتَمَاثِـلِ، وَقَـدِ اِسْـتَخْدَمَهُ فِي 30 قَصِيدَةً نُوَضِّحُ التَّمَوُّجَاتِ الصَّوْتِيَّةِ لحَرْفِ الرَّوِيِّ فِيهَا عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

م	القصيدة	ص	أصوات الروي المختلفة	الأصوات المجهورة	الأصوات المهموسة
1	عُزْلَةٌ فِي ثَوْرَةٍ	25	ن ـ ق ـ ل ـ ء ـ ر ـ ج ـ ع ـ س	ن ـ ل ـ ء ـ ر ـ ج ـ ع	ق ـ س
2	اِضْطِرَابٌ حَانِقٌ	28	ر ـ د ـ س ـ و ـ ء ـ ف	ر ـ د ـ و ـ ء	س ـ ف
3	عَاشِقُ المُحَالِ	33	د ـ ح ـ ء ـ ق ـ ر	د ـ ء ـ ر	ح ـ ق

4	حُلْمٌ قَدِيمٌ	35	م[1] ـ ك ـ س	م	ك ـ س
5	بَعْدَ الْأَوَانِ	37	ح ـ ب ـ ء ـ ن ـ ك	ب ـ ءـ ن	ح ـ ك
6	خَرَابٌ	48	م ـ ل ـ ت ـ ن ـ د	م ـ ل ـ ن ـ د	ت
7	مَرَّ يَوْمٌ	56	م ـ ق ـ ر ـ ع	م ـ ر ـ ع	ق
8	رِثَاءُ عَهْدٍ	72	ء ـ ت ـ ق ـ ب	ء ـ ب	ت ـ ق
9	لَيْلَاتٌ فِي الرِّيفِ	79	ت ـ ر	ر	ت
10	نِدَاءُ الخَرِيفِ	92	د ـ ع ـ ن ـ ت ـ ر	د ـ ع ـ ن ـ ت	ت
11	هتَافُ الرُّوحِ	95	ك ـ ن	ن	ك
12	دُعَاءُ الْغَرِيبِ	97	ب ـ ر ـ ل ـ د ـ م ـ ق	ب ـ ر ـ ل ـ د ـ م ـ	ق
13	بَسْمَةٌ بَعْدَ عُبُوسٍ	103	ر ـ ت ـ ل ـ ب ـ م	ر ـ ل ـ ب ـ م	ت
14	الْبَعْثُ	108	د ـ هـ ـ ء ـ ن ـ ر	د ـ ء ـ ن ـ ر	هـ
15	فِي الصَّحَرَاءِ	112	ت[2] ـ ب ـ ن ـ ل	ب ـ ن ـ ل	ت
16	بَيْنَ الطَّلَالِ	115	د ـ ح ـ ت ـ ل ـ س	د ـ ل ـ س	ح ـ س
17	قَافِلَةُ الطَّرِيقِ	141	ن ـ ق ـ هـ ـ ت ـ ر ـ ف	ن ـ ق ـ ر	هـ ـ ت ـ ف
18	نَظْرَةٌ مُوحِشَةٌ	151	ف ـ ر ـ ء ـ م ـ ب ـ ل ـ ك ـ ع ـ د	ر ـ ء ـ م ـ ب ـ ل ـ ع ـ د	ف ـ ك
19	طَيْفٌ	153	ل ـ ع ـ ت ـ م	ل ـ ع ـ م	ت
20	الْغَيْرَةُ	175	ب ـ ف	ب	ف
21	الحُبُّ المكْرُوهُ	196	ب ـ ق ـ س ـ ء ـ م ـ ن ـ ل	ب ـ ء ـ م ـ ن ـ ل	ق ـ س
22	نَكْسَةٌ	198	د ـ ن ـ ي ـ ت ـ ر	ن ـ ي ـ ر	ت
23	حُلْمُ الحَيَاةِ	209	هـ ـ ب ـ ر ـ م ـ ق ـ ف ـ ل ـ ت ـ د ـ ع ـ ء	ب ـ ر ـ م ل ـ د ـ ع ـ ء	هـ ـ ق ـ ف ـ ت

(1)في هذه القصيدة بدأ الشاعر بصوت الميم وانتهىٰ به ؛ مما جعلنا نضعها في هـٰذا النسق الصوتي .
(2)هذه القصيدة بنظام الموشح بدأها الشاعر بصوت التاء المهموس ويردده في نهاية كل دور .

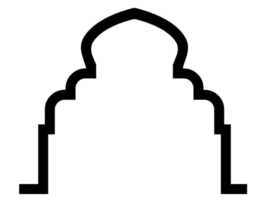
24	اِنْتَهَيْنَا	214	ن - ق - هـ - ل	ن - ل	ق - هـ
25	بِرِيشَةِ الشِّعْرِ	220	ن - م - ء - ق - ب	ن - م - ء - ب	ق
26	الصُّبْحُ يَتَنَفَّسُ	224	هـ - ق - ت - ء - ح - ل - ع -	ء - ل - ع -	هــ - ت - ق - ح -
27	الْوَادِي المُقَدَّسُ	236	ن - ء - هــ - ب - د - ف - م - ر - ك - ي	ن - ء - ب - د - م - ر - ي	هـ - ف - ك
28	مِنْ لَيَالِي الرَّبِيعِ	241	ر - ء - هـ - ن	ر - ء - ن	هـ
29	نُوسَةُ	260	ن - ع - ر - ب - ح - ء - هــ - ت - ل - د	ن - ع - ر - ب - ء - ل - د	ح - هـ - ت
30	أَخِي	281	د - ل - ء - ح - س - ن - ق	د - ل - ء - ن	ح - س - ق

(جـ) الانْزِيَاحُ الخِتَامِيُّ: هُوَ خُرُوجُ صَوْتِ الرَّوِيِّ الْأَخِيرِ عَنِ المنْظُومَةِ الصَّوْتِيَّةِ السَّابِقَةِ لَهُ، وَقَدْ حَدَثَ هَـٰذَا النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ فِي قِطْعَةٍ شِعْرِيَّةٍ وَقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ فَفِي الْقِطْعَةِ وَهِيَ بِعُنْوَانِ «سُخْرِيَّةُ الْأَقْدَارِ»(1) بَـدَأَ الشَّاعِرُ بِصَوْتَيْنِ مِنَ الحُرُوفِ المَائِعَـةِ هُـمَا الـرَّاءُ وَالنُّـونُ ، وَخَـتَمَ بِـرَوِيِّ الحَـاءِ، وَهُـوَ صَـوْتٌ خَـارِجُ نَسَـقِ الْأَصْوَاتِ المَائِعَةِ.

وَفِي قَصِيدَةِ «اللُّغْزُ»(2) يَخْرُجُ الرَّوِيُّ الْأَخِيرِ عَنِ النَّسَقِ الصَّوْتِيِّ المتَمَثِّلِ فِي الْقَصِيدَةِ؛ إِذْ إِنَّهَا تَسِيرُ بِنَسَقِ الْأَصْوَاتِ المجْهُورَةِ الْبَاءِ وَالنُّونِ، وَيَجِيءُ النَّسَقُ الانْزِيَاحِيُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ المهْمُوسَةِ وَهُوَ الهَاءُ.

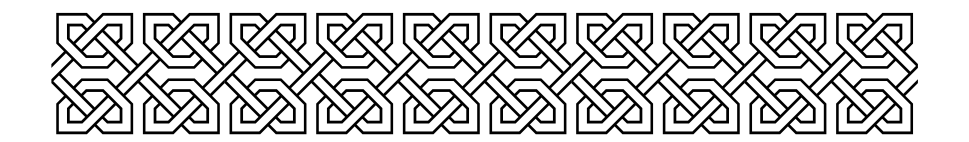
وَبِذَا يَتِمُّ التَّشْخِيصُ الْأُسْلُوبِيُّ لِلْقَافِيَةِ بِصُوَرِهَا وَرَوِيِّهَا وَأَنْسَاقِهِ الصَّوْتِيَّةِ فِي شِـعْرِ «قُطْـب» عَـلَىٰ مَـدَارِ الْفَصْلِ السَّابِقِ وَهَذَا الْفَصْلِ، بَيْدَ أَنَّهُمَا لَمْ يُوَضِّحَا دَوْرَ هَذِهِ اللَّبِنَةِ الصَّوْتِيَّةِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي إِنْتَاجِ دَلَالَةِ النَّصِّ ، وَهَذِهِ هِيَ مُهِمَّةُ الْفَصْلِ الْآتِي .

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 44 .
(2) السابق ، ص 182 .



الفصل الثالث

الْقَافِيَةُ وَإِنْتَاجُ الدَّلَالَةِ



الفصل الثالث

الْقَافِيَةُ وَإِنْتَاجُ الدَّلَالَةِ

(1/3) يَتَّجِهُ هَـذَا الْفَصْـلُ إِلَىٰ دِرَاسَـةِ دَوْرِ صَـوْتِ رَوِيِّ الْقَافِيَـةِ فِي إِنْتَـاجِ دِلَالَـةِ الـنَّصِّ؛ إِذْ إِنَّ اِخْتِيَـارَ الشَّاعِرِ صَوْتَ رَوِيٍّ مَا يُعَدُّ آلِيَّةً مِنْ آلِيَّاتِ التَّشْكِيلِ الْفَنِيِّ الَّذِي يَنْسَجِمُ مَعَ الْبِنَىٰ الصَّوْتِيَّةِ الْأُخْرَىٰ فِي النَّصِّ، مِمَّا يَجْعَلُ هَذَا الصَّوْتَ يَحْمِلُ دِلَالَةً مَا تَتَخَلَّقَ فِي رَحَمِ النَّصِّ.

إِنَّ صَوْتَ الرَّوِيِّ الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ الشَّـاعِرِ لخَلْـقِ وَحْـدَةِ التَّنَـاغُمِ الصَّـوْتِيِّ وَالمُوسِـيقِيِّ لِـنَّصِّ يَتَضَـمَّنُ بِالضَّرُورَةِ عَلَاقَةً دَلَالِيَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَحْدَاتِ النَّصِّ الْأُخْرَىٰ؛ذَلِكَ لِأَنَّ «لِلْحَـرْفِ فِي اللُّغَـةِ الْعَرَبِيَّـةِ إِيحَـاءً خَاصًّـا، فَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَدُلُّ دَلَالَةً قَاطِعَةً عَلَىٰ المعْنَىٰ يَدُلُّ دَلَالَةَ اتِّجَاهٍ وَإِيحَاءٍ، وَيُثِيرُ فِي النَّفْسِ جَـوًّا يُهَيِّـئُ لِقَبُـولِ المعْنَىٰ وَيُوَجِّهُ إِلَيْهِ وَيُوحِي بِهِ».[1]

وَيَحْسُنُ بِنَا هُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَىٰ صَنِيعِ عَالِمِ الْعَرَبِيَّـةِ الْفَـذِّ ابْـنِ جِنِّـي فِي بَـابِ «إِمْسَـاسِ الْأَلْفَـاظِ أَشْـبَاهِ المعَانِي» بِكِتَابِ الخَصَائِصِ، الَّذِي حَشَدَ فِيهِ نَمَاذِجَ عَدِيدَةً لِعَلَاقَةِ الصَّوْتِ المفْرَدِ بِالمعْنَىٰ . لَقَدْ كَانَ ابْنُ جِنِّي يُؤْمِنُ أَنَّ ثَمَّةَ دَلَالَةً مَا يُوَلِّدُهَا الصَّوْتُ مِنْهَا مَا يُمْكِنُ أَنْ يُتَوَصَّلَ إِلَيْهِ بِإِمْعَانِ النَّظَرِ وَمِنْهَا مَا يَظَلُّ مُرَاوِغًا يَأْبَىٰ الْإِمْسَاكَ بِهِ وَالتَّطَلُّعَ عَلَىٰ أَسْرَارِهِ؛ لَكِنَّهُ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ يَظَلُّ مَوْجُـودًا لَـهُ دَوْرٌ فِي إِثَـارَةِ انْفِعَالَاتِنَـا تِجَـاهَ نَصٍّ مَا.يَقُولُ بَعْدَ أَنْ حَشَدَ لِعَدَدٍ وَافِرٍ مِنَ النَّمَاذِجِ : «فَإِنْ رَأَيْتَ شَيْئًا مِـنْ هَـذَا النَّحْـوِ لَا يَنْقَـادُ إِلَيْـكَ فِـيمَا رَسَمْنَاهُ، وَلَا يُتَابِعُكَ عَلَىٰ مَا أَوْرَدْنَاهُ فَأَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ تَكُونَ لَمْ تُنْعِمِ النَّظَرَ فِيـهِ فَيَقْعُـدُ بِفِكْـرِكَ عَنْـهُ، أَوْ لِأَنَّ لهِذِهِ اللُّغَةِ أُصُولًا وَأَوَائِلَ قَدْ تَخْفَىٰ عَنَّا وَتَقْصُرُ أَسْبَابُهَا دُونَنَا ».[2]

إِنَّ الْقَافِيَةَ بِصَوْتِ رَوِيِّهَا المتَمَيِّزِ « تَتَحَدَّدُ تِبْعًا لِعَلَاقَتِهَا بِالمُحْتَوَىٰ، وَهَذِهِ الْعَلَاقَةُ قَدْ تَكُونُ إِيجَابِيَّـةً أَوْ سَلْبِيَّةً، وَلَكِنْ ـ عَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ ـ هُنَاكَ عَلَاقَةٌ دَاخِلِيَّةٌ وَبَنَّاءَةٌ لِلسِّيَاقِ، وَفِي دَاخِلِ هَذِهِ الْعَلَاقَـةِ تَنْبَغِـي دِرَاسَـةُ الْقَافِيَةِ».[3]

---

(1) د .محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية . دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربيـة الأصـيل في التجديد والتوليد ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ط . 6 ، 1975 ، ص 261 .

(2) ابن جني : الخصائص ، 164/2 .

(3) جان كوهين: بناء لغة الشعر، ترجمة د. أحمد درويش ، ط. الهيئـة العامـة لقصـور الثقافـة ، بمصر ، سلسـلة كتابـات نقدية (3) ، 1990، ص: 40 .

(2/3) صَوْتُ رَوِيِّ الرَّاءِ :

يُمَثِّلُ صَوْتُ الرَّاءِ صَوْتًا مُمَيَّزًا عَنْ أَصْوَاتِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَاطِبَةً؛نَظَرًا لِكَوْنِهِ حَرْفًا مُكَرَّرًا «Trill» وَهَـذِهِ الصِّفَةُ لَمْ تَتَوَفَّرْ لِصَوْتٍ آخَرَ مِنْ أَصْوَاتِ الْعَرَبِيَّةِ.كَمَا أَنَّهُ أَحَدُ الْأَصْوَاتِ السَّاكِنَةِ الَّتِي تَتَمَتَّـعُ بِنِسْـبَةِ وُضُـوحٍ عَالِيَةٍ فِي السَّمْعِ.[1]وَقَدْ مَرَّ بِنَا فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذَا الْبَابِ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ هُوَ أَكْثَرُ الْأَصْوَاتِ الَّتِي اِعتَمَدَ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ رَوِيًّا، وَنُحَاوِلُ هُنَا الْوُقُوفَ عَلَىٰ دَوْرِ هَذا الصَّوْتِ فِي إِنْتَاجِ دَلَالَةِ النُّصُوصِ .

فَفِي قَصِيدَةِ «النَّفْسُ الضَّائِعَةُ»[2] يُمَثِّلُ رَوِيُّ الرَّاءِ بِتَكْرَارِهِ الصَّوْتِيِّ النَّاتِجِ مِنْ اِضْطِرَابِ طَرَفِ اللِّسَـانِ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِاضْطِرَابِ المشَاعِرِ وَغَلَيَانِهَا فِي الْوُجْدَانِ، يَقُولُ

أَئِنِّي أَنَا ؟ أَمْ ذَاكَ رَمْزٌ لِـغَابِرِ؟   لَأَنْكَرْتُ مِنْ نَفْسِي أَخَصَّ شَعَائِرِي

إِنَّ خَاصِيَّةَ التَّكْـرَارِ الصَّـوْتِيِّ فِي حَـرْفِ الـرَّاءِ جَعَلَـتْ مِنْـهُ آلِيَـةً صَـوْتِيَّةً مُمْتَـازَةً لِلتَّعْبِـيرِ عَـنِ الحَرَكَـةِ وَالاضْطِرَابِ وَجَيَشَانِ الْأَفْكَارِ وَتَزَاحُمِهَا فِي الْوِجْدَانِ .يَقُولُ :

أُنَـقِّــبُ عَــنْ مَــاضِيَّ بَيْنَ سَرَائِرِي   فَأَلمحَهُ كَالْوَهْمِ ، أَوْ طَيْفِ عَابِرِ

أُنَـقِّـبُ عَــنْ نَفْـسِي الَّـتِي فَقَدْتُهَا   بِنَـفْـسِي الَّتِي أَحْيَا بِهَا غَيْرَ شَاعِرِ

وَأَطْـلُـبُـهَا فِي الرَّوْضِ إِذْ كَانَ هَمُّهَا   تَـأَمُّـلُـهُ يُفْضِي بِتِلْكَ الْأَزَاهِرِ

وَفِي اللَّيْلَةِ الْقَمْرَاءِ إِذْ تَهْـمِسُ الرُّؤَىٰ   وَتُـومِـئُ لِلْأَرْوَاحِ إِيمَاءَ سَاحِرِ

وَفِي الْفَجْرِ، وَالْأَنْدَاءُ يَقْطُرْنَ وَالشَّذَىٰ   يَفُوحُ وَيُشْجِي سَمْعَهُ لحْنُ طَائِرِ

وَفِي الـحُبِّ إِذْ كَانَتْ شَـوَاظًا وَحُرْقَةً   وَمَـهْـبِـطَ آمَالٍ وَمَـطْمَحِ ثَائِرِ

وَفِي الـنَّـكْـبَةِ النَّـكْبَاءِ وَالْغِبْطَةِ الَّتِي   تَـجُودُ بِهَا الْأَقْدَارُ جُـودَ المُحَاذِرِ

يُمَثِّلُ التَّكْرَارُ الصَّوْتِيُّ فِي حَرْفِ الرَّاءِ تَعْبِيرًا فَنِّيًّا نَاجِحًا عَنْ دَلَالَاتِ التَّحَرُّكِ وَالتَّرْجِيعِ وَالتَّكْرَارِ، [3]وَإِذَا مَـا ذَهَبْنَا نَنْظُرُ إِلَىٰ الْكَلِمَاتِ الَّتِي جَاءَتْ بِرَوِيِّ الرَّاءِ سَنَجِدُ أَنَّهَا عَبَّرَتْ عَنْ هَذِهِ الْإِيحَاءَاتِ تَعْبِيرًا صَادِقًا:

(1) د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 55 .

(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 51 .

(3) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، 86 .

ـ «شَعَائِرِي»: مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْأَفْعَالِ تَتَحَرَّكُ مَعَهَا النَّفْسُ إِلَىٰ الْمُقَدَّسِ، وَيَتَكَـرَّرُ فِعْلُهَـا رَغْبَـةً فِي الْفَـوْزِ بِرِضَاهُ.

ـ «عَابِرِ» : حَرَكَةٌ وَعُبُورٌ مِنْ مَكَانٍ إِلَىٰ آخَرَ، وَالطَّيْفُ الْعَابِرُ، هُوَ غَيْرُ الْمُسْتَقِرُّ فِي خَيَالِ الشَّاعِرِ.

ـ «شَاعِرِ» : يَشْعُرُ بِتَحَرُّكِ عَوَاطِفِهِ بِصَدْرِهِ، يَتْبَعُهَا جَيَشَانُ الْعَاطِفَةِ وَتَأَجُّجِهَا.

ـ «الْأَزَاهِرِ»:حَرَكَةٌ رَقِيقَةٌ تَدُلُّ عَـلَىٰ النَّضَـارَةِ وَالرِّقَّـةِ وَالرَّخَـاوَةِ، وَهَـذِهِ أَيْضًـا مِـنَ الـدَّلَالَاتِ المعْنَوِيَّـةِ لِلْمَصَادِرِ الَّتِي تَنْتَهِي بِالرَّاءِ.[1]

ـ «سَاحِرِ» : حَرَكَةٌ لِإِخْفَاءِ الْأَشْيَاءِ وَإِظْهَارِهَا.

ـ «طَائِرِ»: حَرَكَةٌ وَخَفَقَانٌ وَتَرْدِيدٌ لِلصَّوْتِ.

ـ «ثَائِرِ» : حَرَكَةٌ وَاضْطِرَابٌ وَفَوَرَانٌ لِلشُّعُورِ.

ـ «مُحَاذِرِ» : الحَذَرُ حَرَكَةٌ نَفْسِيَّةٌ تَتْرُكُ الدِّعَةَ وَالسُّـكُونَ إِلَىٰ حَالَـةِ المُرَاقَبَـةِ وَالتَّتَبُّـعِ، فَالمُحَـاذِرُ يَكُـونُ شَدِيدُ التَّلَفُّتِ لِلْمُتَابَعَةِ وَتَوَقِّي الخَطَرَ .

وَهَكَذَا تُمَثِّلُ كَلِمَاتُ الرَّوِيِّ دَوَالَّ مَعْنَوِيَّةً تَتَّسِمُ بِالحَرَكَةِ وَعَدَمِ الثَّبَاتِ عَلَىٰ وَضْـعٍ وَاحِـدٍ ، وَهُـوَ مِـمَّا يَتَوَازَىٰ بَصَرِيًّا مَعَ حَرَكَةِ اللِّسَانِ المُتَكَرِّرَةِ فِي نُطْقِ صَـوْتِ الـرَّاءِ، وَيَتَـوَازَىٰ مَعْنَوِيًّـا مَـعَ الحَرَكَـةِ الَّتِـي يَبْـذُلهَا الشَّاعِرُ فِي الْبَحْثِ عَنْ نَفْسِهِ الضَّائِعَةِ.

وَإِذَا مَا تَرَكْنَا دَلَالَةَ الحَرَكَةِ وَالتَّكْرَارِ وَالتَّرْجِيعِ المُتَوَلِّـدَةَ مِـنْ دَوَالِّ رَوِيِّ الـرَّاءِ صَـوْتِيًّا وَأَتَيْنَـا إِلَىٰ الْبِنَـىٰ الصَّوْتِيَّةِ الْأُخْرَىٰ فِي النَّصِّ، فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهَا تُؤَازِرُ دَلَالَةَ الحَرَكَـةِ وَالاضْـطِرَابِ الَّتِـي تَمُـوجُ فِي نَفْـسِ الشَّـاعِرِ، فَبِتَأَمُّلِ الْوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ «أُنَقِّـ» (//ه/) فِي قَوْلِهِ :«أُنَقِّبُ عَنْ ..» المُتَكَرِّرَةِ مَـرَّتَيْنِ فِي الْأَبْيَـاتِ السَّـابِقَةِ نُطَـالِعُ جُهْدًا مُتَكَرِّرًا وَمُحَاوَلَاتٍ مُتَعَدِّدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّاعِرِ فِي الْوُصُولِ لِنَفْسِـهِ الضَّـائِعَةِ، لَقَـدْ أَسْـهَمَ تَشْـدِيدُ صَـوْتِ الْقَـافِ المُعَـبِّرِ عَـنِ الجُهْـدِ المُضْـنِيِّ المبْـذُولِ بَحْثًـا عَـنِ الـنَّفْسِ الضَّـائِعَةِ فِي إِحْـدَاثِ تَكْـرَارٍ صَـوْتِيٍّ يتَـوَازَىٰ مَعَ تَكْرَارِ صَوْتِ الرَّاءِ رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ.مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ نَجِدُ تَكْرَارَ مَطَالِعَ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعَةِ الْأَخِـيرَةِ يُمَثِّـلُ تَكْـرَارَ المُحَاوَلَاتِ الَّتِي يَبْـذُلُها الشَّـاعِرُ فِي الْبَحْـثِ عَـنِ الـنَّفْسِ الضَّـائِعَةِ، وَتَكْـرَارُ الْمحَـاوَلَاتِ فِي حَـدِّ ذَاتِـهِ حَرَكَـةٌ

---

(1) السابق ، 87 .

دَؤُوبٌ وَمُسْتَمِرَّةٌ يُنْتِجُهَا صَوْتُ الرَّاءِ المُكَرَّرِ بِطَبِيعَتِهِ.وَمِنْ ثَمَّ يُعَدُّ تَكْرَارِ مَطَالِعِ الْأَبْيَاتِ مُوَازِيًّا صَوْتِيًّا لِصَوْتِ رَوِيِّ الرَّاءِ الُمكَرَّرِ .

فِي قَصِيدَةِ «عَهْدُ الصِّغَرِ»[1] يُمَثِّلُ صَوْتُ رَوِيِّ الرَّاءِ بِصَفِتِه التِّكْرَارِيَّةِ دِلَالَةَ تَحَرُّكِ الذِّكْرَيَاتِ فِي النَّفْسِ ، يَقُولُ :

إِذَا اللَّيْــلُ جَنَّ تَجِيشُ الْفِكَرْ	يُــؤَرِّقُ جَـفْــنِي مَرُّ الذِّكَرْ
وَيَـخْـلُو فُــؤَادِي لِأَحْـلَامِهِ	فَيَجْعَلُ مِنْهَا حَدِيثَ السَّمَرْ
وَتَخْلُدُ رُوحِي إِلَىٰ الذِّكْرِيَـاتِ	فَتَسْـرِي تِبَـاعًا سِرَاعًا تَـمُرْ
فَــآنَــا تَــؤُزُّ وَآنَـــا تَلِذُّ	وَآنَـــا تَسُـــــوءُ وَآنَا تَسُرْ
هُدُوءٌ طَوِيلٌ وَصَمْتٌ رَهِيبٌ	وَفِي النَّفْسِ أَشْجَانُهَا تَشْتَجِرْ

يُعَـدُّ رَوِيُّ الـرَّاءِ بِصِـفَتِهِ التِّكْرَارِيَّـةِ فِي هَـذِهِ الْأَبْيَـاتِ ـ وَفِي الـنَّصِّ كُلِّـهِ ـ مُعَـادِلًا مَوْضُـوعِيًّا لِلْحَرَكَـةِ وَالْعُنْفُوَانِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهِمَا الشَّاعِرُ فِي صِبَاهُ ، وَهُـمَا مَـا يُحَـاوِلُ أَنْ يَسْـتَدْعِيهِمَا مِـنْ ذَاكِرَتِـهِ الْقَرِيبَـةِ؛إِذْا لَا يَزَالَانِ يُطَلِّانِ بِرَأْسِيْهِمَا مِنْ حِينٍ إِلَىٰ آخَرَ، وَيَتَكَرَّرُ ظُهُورُهُمَا فِي لَيْلِهِ فَيَظَـلُّ بَاحِثًـا عَـنْ عَالَمِـهِ الْغَـضِّ الْـبَرِيءِ النَّقِيِّ .

يُؤَازِرُ هَذِهِ الدِّلَالَةَ الحَرَكِيَّةَ الُمتَوَلِّدَةَ مِنْ صَوْتِ الرَّاءِ المُكَرَّرِ بِنَىٰ صَوْتِيَّةٌ أُخْرَىٰ تَعْمَلُ عَلَىٰ إِبْرَازِ الحَرَكَةِ وَالاسْتِمْرَارِ، وَهِيَ الْوَحْدَاتُ الصَّـوْتِيَّةُ لِلْأَفْعَـالِ المُضَـارَعَةِ «تَجِـيشُ» = (//ه/) ، «يُـؤَرِّ» = (//ه/)، «وَيَخْلُـو» =(//ه/ه)، «فَيَجْعَــ» = (//ه/)«وَتَخْلُـدُ» = (//ه/) ، «فَـتَسْرِي» = (//ه/ه) ، «تَـؤُزُّ» =(//ه/ه) ، «تَلِـذُّ» (//ه/ه).

وَهِيَ دَوَالُّ تَعْكِسُ حَرَكِيَّـةَ الْفِكْـرِ المُسْتَمِرَّةَ؛سَـعْيًا وَرَاءَ الـذِّكْرَيَاتِ الجَمِيلَـةِ الَّتِـي تَرْتَسِـمُ فِي وِجْـدَانِ الشَّاعِرِ بَحْثًا عَنْ عَالَمِ الصِّبَا.

كَمَا أَسْهَمُ ـ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ ـ صَوْتُ الحُرُوفِ الُمكَرَّرَةِ فِي الْأَفْعَالِ «تُؤَرِّقُ» وَ«تَؤُزُّ» و«تَلِذُّ» فِي إِحْـدَاثِ نَغَمٍ تِكْرَارِيٍّ يَتَوَازَىٰ صَوْتِيًّا مَعَ النَّغَمِ التِّكْرَارِيِّ لِصَوْتِ رَوِيِّ الرَّاءِ فِي نِهَايَةِ الْأَبْيَاتِ .

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 65.

وَمِنْ جَانِبٍ ثَالِثٍ يُمَثِّلُ تَكْرَارُ الْوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ «آنًا » حَالَةَ اِسْتِمْرَارٍ مُتَكَرِّرَةٍ تُؤَازِرُ تَكْرَارَ رَوِيِّ الـرَّاءِ فِي الْأَبْيَاتِ.

فِي قَصِيدَةِ «فِي السَّمَاءِ»[1] يُمَثِّلُ صَوْتُ رَوِيِّ الرَّاءِ المُكَرَّرُ رَصْدًا لحَرَكَةِ المشَاعِرِ الَّتِـي أَخَـذَتْ تَتَحَـرَّكُ فِي قَلْبِ الشَّاعِرِ بَعْدَ أَنْ أَحْيَتْهُ الحَبِيبَةُ بِحُبِّهَا، لَقَدْ أَحْيَتْ مَشَاعِرَ كَانَتْ مُتَصَلِّبَةً جَامِـدَةً ، وَجَعَلَتْهَـا مُتَدَفِّقَـةً فِي الصَّدْرِ تَمُوجُ عِشْقًا وَشَوْقًا ، يَقُولُ :

فَبِأَيِّ مُعْجِزَةٍ كَشَفْتِ ضَـمَائِرِي	وَجَلَـوْتِ كُـلَّ مُحَجَّبٍ مَسْتُورِ
وَجَعَلْتِ مِنْ زَادِ الخُلُودِ مَطَامِحِي	وَجَـعَلْتِ أَشْوَاقِي صَلَاةَ طَهُورِ
بِالـحُبِّ وَالحُسْنِ الْوَدِيعِ وَنَظْرَةٍ	بَـيْـضَاءَ صَافِيَةٍ تُرِيحُ شُعُورِي

فَالمسْتُورُ المسْتَقِرُّ تَحَوَّلَ بِحَرَكَةِ الحُبِّ إِلَىٰ مَجْلُوٍّ ظَاهِرٍ، وَالصَّلَاةُ الطَّهُورُ حَرَكَـةٌ وَتَرْدِيـدٌ مِـنْ آنٍ لِآخَـرَ وَالشُّعُورُ حَرَكَةٌ فِي الصُّدُورِ وَإِحْسَاسٌ مُتَكَرِّرٌ، وَبِذَا يُسْـهِمُ صَـوْتُ الـرَّاءِ المُكَـرَّرُ فِي تَجْسِـيدِ مَشَـاعِرَ إِنْسَـانِيَّةٍ مُتَسَامِيَّةٍ بِالحُبِّ، مُتَحَرِّكَةٍ بِصَاحِبِهَا إِلَىٰ أَعْلَىٰ مَرَاقِي الصَّـفَاءِ وَالسُّـمُوِّ وَهِـيَ السَّـمَاءُ، وَمِـنْ ثَـمَّ يُعْلِـنُ دُونَ مُوَارَبَةٍ أَنَّهُ بِهَذَا الحُبِّ الهَائِجِ فِي صَدْرِهِ فِي السَّمَاءِ، وَهَذَا هُوَ عُنْوَانُ النَّصِّ نَفْسُهُ .

(3/3) صَوْتُ رَوِيِّ النُّونِ :

يُعَدُّ صَوْتُ رَوِيِّ النُّونِ ثَانِيَ أَكْثَرِ الْأَصْوَاتِ الَّتِي كَلَّلَتْ إِيقَاعَ نِهَايَـةِ الْبَيْـتِ فِي شِـعْرِ «قُطْـب»؛ إِذْ لَجـأَ إِلَيْهِ 368 مَرَّةً .

فَفِي قَصِيدَةِ «هَدَأْتَ يَا قَلْبُ»[2] يُعَبِّرُ صَوْتُ رَوِيِّ النُّونِ عَـنِ المشَـاعِرِ الدَّفِينَـةِ الَّتِـي تَنْتَـابُ الشَّـاعِرَ تَعْبِيرًا بَلِيغًا ، يَقُولُ :

هَدَأْتَ يَا قَلْبُ فَاهْدَأْ هَكَذَا أَبَدَا	وَعِشْ هَنِيئًا إِذَا أَحْسَسْتَ سُـلْوَانَا
فَنَجْمَةُ الـحُبِّ قَـدْ تَخْبُو وَيَعْقُبُهَا	بَـــرْدُ السُّـلُوِّ وَتَنْسَـىٰ كُـلَّ مَا كَانَا
فَلَا جَـفَــاءَ وَلَا شَكْوَىٰ تُرَدِّدُهَا	وَلَا دَلَالًا وَلَا وَجْـــدًا وَتَـحْـنَـانَا

(1) السابق ، ص 89.

(2) السابق ، ص 105.

يَمْتَازُ صَوْتُ النُّونِ بِأَنَّ لَهُ رَنِينًا ضَعِيفًا[1] تَتَجَاوَبُ اِهْتِزَازَاتُهُ الصَّوْتِيَّةُ فِي التَّجْوِيفِ الْأَنْفِيِّ مُحْدِثًا تَـوَتُّرًا أَوِ انْفِعَالًا لِلْأَغْشِيَةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْأَنْفِ حِينَ النُّطْقِ بِهِ، مِمَّا يَجْعَلُهُ مُعَبِّرًا عَنْ إِيحَاءَاتٍ مَعْنَوِيَّـةٍ«مُسْـتَمَدَّةٍ أَصْـلًا مِنْ كَوْنِهِ صَوْتًا هَيَجَانِيًّا يَنْبَعِثُ مِنَ الصَّمِيمِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَلَمِ الْعَمِيقِ»[2]كَمَا فِي المَصْدَرِ (أَنَّ أَنِينًا).وَمِـنْ ثَـمَّ صَارَ مِنْ أَكْثَرِ الْأَصْوَاتِ قَاطِبَةً لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَشَاعِرِ الْأَلَمِ وَالخُشُـوعِ، وَالضَّـعْفِ وَالاِسْـتِكَانَةِ.[3]وَإِذَا نَظَرْنَـا إِلَىٰ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَحْمِلُ صَوْتَ رَوِيِّ النُّونِ فَسَنَجِدُ أَنَّهَا تُعَبِّرُ عَنْ مَعَانٍ مُنْبَثِقَـةٍ مِـنْ صَـمِيمِ الْوِجْـدَانِ الشِّـعْرِيِّ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَلَمِ الدَّفِينِ ، يَقُولُ :

وَمَـا يُضِـيرُكَ مِـنْ فُقْدَانِ رِقَّتِهِ | إِذَا فَـقَـدْتَ بِهَا بُؤْسًا وَأَشْجَانَا

وَمَا الحَيَاةُ إِذَا رَقَّ الشُّـعُورُ سِوَىٰ | بُـؤْسٍ يُجَرَّعَهُ الْإِنْسَانُ غَصَّـانَا

ـ «سُلْوَانَا» : مَاءٌ زَعَمُوا أَنَّهُ يُنْسِي الْعَاشِقَ حُبَّهُ، ذَلِكَ الحُبُّ الَّذِي أَفْقَدَ الشَّاعِرَ نَضَارَتَهُ وَأَسْـلَمَهُ إِلَىٰ الهُمُـومِ وَالْأَحْزَانِ .فَهُوَ يُرِيدُ نِسْيَانَ مَا تَرَكَهُ هَذَا الحُبُّ فِي نَفْسِهِ .

ـ «تَحْنَانًا »:الحَنِينُ الشَّدِيدُ إِلَىٰ أَيَّامِ سَعَادَتِهِ الْأُولَىٰ الَّتِي كَانَ يَمْرَحُ غَيْرَ عَابِئٍ بِغَدْرِ الحَبِيبِ وَقَسْوَتِهِ ، يَقُولُ :

تُمْسِي وَتُصْبِحُ حُرًّا غَيْرَ مُضْـطَرِبٍ | ثَبْتَ الْـجِنَانِ مُرِيحَ الْبَالِ طَـمْآنَا

سَتُبْصِرُ الْوَرْدَ وَرْدًا وَالسَّــمَاءَ كَمَا | تَلُـوحُ لِلـنَّـاسِ وَالْأَكْوَانَ أَكْوَانَا

ـ «أَشْجَانَا»:الهَمُّ وَالحُزْنُ اللَّذَانِ يَتَشَابَكَانِ فِي النَّفْس فَيُوَرِّثَانِهَا التَّوَجُّعَ وَالْأَنِينَ، وَيُفْقِدَانِهَا الْقُدْرَةَ عَلَىٰ التَّمَتُّـعِ بِالحَيَاةِ.لَقَدْ هَدَأَتْ ثَوْرَةُ الحُبِّ فِي قَلْبِهِ ، وَرَكَنَ إِلَىٰ الْعَيْشِ بِسَلَامٍ مَعَ نَفْسِهِ فِي أَمَانٍ وَاسْتِكَانَةٍ .

ـ «غَصَّانَا» : غَيْرُ مَرْوِيٍّ ، يُعَانِي مِنْ عَذَابَاتِ الْعَطَشِ .وَالمَاءُ حَوْلَهُ .

صَوْتُ رَوِيِّ النُّونِ يُغَلِّفُ إِيقَاعِ النِّهَايَةِ بِنَغْمَةِ شَجَنٍ مُعَبِّرَةٍ عَنْ أَلَمْ دَفِينٍ، الْأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُهُ شَبِيهًا بِصَوْتِ آلـةِ النَّـايِ؛ تِلْـكَ الآلَـةِ الَّتـي يَتَمَيَّـزُ صَـوْتُهَا بِالشَّـجَنِ تَعْبِـيرًا عَـنِ الْأَلَـمِ وَمَوَاقِـفِ

(1) د. سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 52 .

(2) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، 158.

(3) نفسه ، بتصرف .

الحُزْنِ.

فِي قَصِيدَةِ «خَبِيئَةُ نَفْسِي»[1] يُمَثِّلُ صَوْتُ رَوِيِّ النُّونِ بِرَنِينِهِ الضَّعِيفِ صَدَىٰ صَوْتِ نَفْسٍ مُجْهَـدَةٍ مِـنْ رِحْلَةٍ شَقَاءٍ طَوِيلَةٍ بَحْثًا عَنِ الذَّاتِ ، يَقُولُ:

خَبِـيئَـةُ نَـفْسِي فِي ثَنَايَاكِ مَعْرِضٌ	لِـمَا لَقِـيَـتْـهُ الْأَرْضُ فِي الْـجَوَلَانِ
وَفِيــكِ مِــنَ الْآبَـادِ سِرٌّ وَرَوْعَةٌ	وَفِيــكِ صِـرَاعَاتٌ فِي كُلِّ زَمَانِ
وَفِيكِ الْتَـقَىٰ الْإِنْسَانُ مِنْ عَهْدِ خَلْقِهِ	وَفِيكِ الْتَقَىٰ الرُّوحِيُّ و الْـحَيَوَانِي
وَإِنَّــكِ طَلْـسَمُ الْـحَيَــاةِ جَمِيعِهَا	وَصُـورَتُهَا الصُّـغْرَىٰ بِكُلِّ مَكَانِ
أَبِيــنِي إِذَنْ عَــنْ ذَلِكَ الْـعَالَمِ الَّذِي	تَضَمَّـنْـتِهِ مِــنْ صُـورَةٍ وَمَـعَانِ
أَبِــيــنِي أُطَـالِعُ فِي ثَنَـايَاكِ مَا مَضَىٰ	وَمَـا هُــوَ آتٍ مِــنْ رُؤًىٰ وَأَمانِ

يَأْتِي رَوِيُّ النُّونِ فِي نِهَايَةِ قَصِيدَةِ «خَبِيئَةُ نَفْسِي» تَعْبِيرًا عَنِ الجُهْدِ المُضْنِيِّ الَّذِي بَذَلَهُ الشَّاعِرُ فِي رِحْلَـةِ الْبَحْثِ عَنْ ذَاتِهِ، مُسْتَفِيدًا مِمَّا يُنْتِجُهُ هَذَا الصَّوْتُ مِنْ إِيحَاءَاتِ الضَّعْفِ وَالتَّعَبِ بَعْدَ طُولِ شَقَاءٍ فِي الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ، يُؤَكِّدُ مَا نَذْهَبُ إِلَيْهِ فِي هَذَا الْإِيحَاءِ تِلْكَ الْكَسْرَةُ لِصَوْتِ النُّـونِ وَالَّتِـي تُعَـبِّرُ عَـنِ اِنْكِسَـارٍ نَـفْسِيٍّ وَتَعَبٍ شَدِيدٍ إِثْرَ آلَامِ الْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ، وَلِذَا نَرَاهُ يَكَرِّرُ الْوَحْدَتَيْنِ الصَّوْتِيَّتَيْنِ «أَبِينِـي» = (//٥/٥) فِي مَطْلَـعِ الْبَيْتَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ، وَكَأَنَّ هذَا الْأَمْرَ المُتَكَرِّرَ اِسْـتِجْدَاءٌ أَخِـيرٌ بَعْـدَ أَنِ اسْـتَهْلَكَ طَاقَتَـهُ وَضَـعُفَ وَاسْـتَكَانَ أَمَـامَ طَلْسَمِ الذَّاتِ، وَالضَّعْفُ وَالاسْتِكَانَةُ مِنْ إِيحَاءَاتِ صَـوْتِ النُّـونِ مُضِـيفًا إِلَيْهَـا الـكَسْرَةَ الصَّـوْتِيَّةَ الَّتِـي تُمَثِّـلُ اِنْكِسَارَ الهِمَّةِ لِمُوَاصَلَةِ الْبَحْثِ عَنِ الذَّاتِ .

فِي قَصِيدَةِ «الْعُودُ»[2] يُؤَدِّي صَوْتُ رَوِيِّ النُّونِ دَوْرًا مُوسِيقِيًّا فِي سَمَاعِ تَقَاسِمِ أَوْتَـارِ آلَـةِ الْعُـودِ الَّتِـي تَمْتَازُ بِالشَّجَنِ ، يَقُولُ :

مُـحَـلِّـلَ الْقَـلْـبِ أَنْغَامًا وَأَلْـحَانَا	وَمُــلْهِمَ الْوَحْيِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا
وَمُوقِظَ النَّفْـسِ إِنْ طَافَتْ بِهَا سِنَةٌ	وَأَنْتَ تَهْمِـسُ بِالْأَلْـحَانِ وَسْنَانَا
وَبَاعِثَ الذِّكْرِ اللَّائِي إِذَا اشْتَجَرَتْ	أَثَـرْنَ فِي النَّفْسِ آلَامًـا وَأَشْجَانَا

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 131.

(2) السابق ، ص 219.

أَسَلْتَ نَفْسِــيَ بِالْأَلْـحَـانِ تُنْشِدُهَا	إِنْشَــادَ ذِي شَـجَنٍ قَدْ هَامَ تَحْنَانَا
حَــدِيــثُ أَيِّ فُــؤَادٍ أَنْتَ تَذْكُرُهُ	أَبَاسِــمٌ فَــرِحٌ أَمْ كَــانَ حَـزْنَانَا

يَصْدُرُ صَوْتُ النُّونِ بِاهْتِزَازِ التَّجْوِيفِ الْأَنفِيِّ ـ كَمَا سَبَقَتِ الْإِشَارَةُ ـ وَهَذَا الاِهْتِزَازُ يُمَاثِلُ اِهْتِزَازَ أَوْتَـارِ الْعُودِ الَّتِي يُقَدِّمُ الشَّاعِرُ وَصْفًا لهَا مُنَبِّهًا عَلَىٰ مَا تُلْقِيهِ فِي النَّفْسِ مِنْ شُعُورٍ، وَلَعَلَّ الرَّنِينَ الْمُنْبَعِثَ مِنْ صَوْتِ النُّونِ هُوَ أَنْسَبُ الْأَصْوَاتِ لِتَمْثِيلِ الرَّنِينِ المُوسِيقِيِّ لِلْأَوْتَارِ، فَتَتَابُعُ اِهْتِزَازِ أَوْتَارِ الْعُودِ يُمَثِّلُـهُ تَتَـابُعُ اِهْتِـزَازَاتِ تَجَاوِيفِ الْأَنْفِ حِينَ تَتَوَتَّرُ وَتَهِيجُ فِي حَالَةِ النُّطْقِ بِهِ. وبِهَذَا يَجْعَلُ الشَّـاعِرُ مِـنْ صَـوْتِ رَوِيِّ النُّـونِ مُعَـادِلًا مَعْنَوِيًّا وَصَوْتِيًّا فِي آنٍ وَاحِدٍ؛ مَعْنَوِيًّا: بِمَا يُمَثِّلُهُ نَغْمُ الْعُودِ مِنْ شَجَنٍ يَتَنَاسَبُ مَعَ طَبِيعَـةِ صَـوْتِ النُّـونِ الَّتِـي تُعَبِّرُ عَنِ الْأَلَمِ وَالْأَنِينِ، وَصَوْتِيًّا : حِينَ اسْتَغَلَّ مِيكَانِيكِيَّةَ النُّطْقِ بِحَرْفِ النون بِتَمَثِيلِهَا اِهْتِزَازَ أَوْتَارِ الْعُودِ.

(4/3) صَوْتُ رَوِيِّ المِيمِ :

اتَّكَأَ «قُطْب» عَلَىٰ صَوْتِ رَوِيِّ المِيمِ 368 مَرَّةً فِي مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ.أَمَّا عَنْ مِيكَانِيكِيَّةِ صَوْتِ المِيمِ فَتَتَأَتَّىٰ بِانْطِبَاقِ الشَّفَتَيْنِ عَلَىٰ بَعْضِهِمَا بَعْضًا فِي ضَمَّةٍ مُتَأَنِّيَـةٍ وَانْفِتَـاحِهِمَا عِنْـدَ خُـرُوجِ الـنَّفَسِ. وبِهـذَا فَهُـوَ يُـوحِي بِالانْسِدَادِ وَالانْغِلَاقِ فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهِ وَبِالتَّوَسُّعِ وَالامْتِدَادِ فِي جَانِبٍ آخَرَ.[1]

وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ الْإِيحَاءَيْنِ تَوْظِيفًا فَنِّيًّا مُتَمَيِّزًا. وَقَدْ مَرَّ بِنَا كَيْفَ وَظَّفَ صَوْتَ رَوِيِّ المِيمِ السَّـاكِنَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ انْسِدَادِ الشَّرَايِينِ وَانْغِلَاقِهَا فِي قَصِيدَةِ «الجَبَّارُ الْعَاجِزُ » الَّتِي وَصَفَ فِيهَا رَجُلًا أَشَلَّ.[2]

وَفِي قَصِيدَةِ «الذِّكْرَىٰ الخَالِدَةُ لِسَعْدٍ»[3] يُوَظِّفُ نَفْسَ الْإِيحَاءِ الْأَوَّلِ لِصَوْتِ المِيمِ ، يَقُولُ:

هِيَ هَـٰذِهِ الذِّكْرَىٰ لِثَالِثِ عَــامِ	حَـــثَّــتْ رَكَائِبَهَا يَدُ الْأَيَّامِ
هِيَ هَـٰذِهِ ذِكْرَىٰ الخُلُودِ وَرَمْزُهَا	وَشِعَـارُهُ الْبَاقِي عَلَىٰ الْأَعْوَامِ

(1) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، 71 .

(2) انظر تحليل إيقاع قصيدة «الجبار العاجز ». بالفقرة (3/3) في الباب السابق .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 246.

ذِكْرَىٰ الْبُطُولَةِ وَالزَّمَانُ يَـحِـفُّهَا   بِجَلَالِـهَـا فَتَجِلُّ فِي الْأَفْهَامِ

حَيْثُ يُمَثِّلُ صَوْتُ رَوِيِّ المِيمِ المكْسُورَةِ مَشْهَدَ دَفْنِ الْفَقِيدِ وَانْغِلَاقِ قَبْرِهِ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَشْهَدٌ مُتَـوَازٍ مَـعَ مَشْهَدِ انْغِلَاقِ الشَّفَتَيْنِ وَانْضِمَامِهِمَا.فِي رَوِيِّ هَذَا النَّصِّ تَنْضَمُّ الشَّفَتَانِ ثُمَّ تَتَّجِهُ نَحْوَ الْأَسْـفَلِ بِـالْكَسْرَةِ بَعْـدَ أَنْ سَبَقَهَا حَرْفُ مَدٍّ بِالْأَلَفِ يُمَثِّلُ الحَيَاةَ المُمْتَدَّةَ.

فَالمدُّ بِالْأَلِفِ يُمَثِّلُ حَيَاةَ النِّضَالَ وَالْفِدَاءِ الْوَطَنِيَّيْنِ، وَالْكَسْرَةُ تُمَثِّلُ حَرَكَةَ الاتِّجَاهِ فِي نِهَايَةِ هَـذِهِ الحَيَـاةِ وَهُوَ اتِّجَاهٌ إِلَىٰ أَسْفَلَ نَحْوَ قَبْرٍ انْسَدَّ وَأُغْلِقَ عَلَىٰ الْفَقِيدِ .

وَمِنْ هَاتَيْنِ الحَرَكَتَيْنِ الصَّاعِدَةِ (الحَيَاة) ثُمَّ الهَابِطَةِ (الموْت) نَلْمَحُ عَضَلَاتُ الْوَجْهِ وَقَدْ تَوَقَّفَـتْ عِنْـدَ الحَرَكَةِ الهَابِطَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ انْكِسَارَ النَّفْسِ وَعَدَمَ إِقْبَالِهَا عَلَىٰ الحَيَاةِ، وَمَعَ تَرَسُّـمِ عَلَامَـةِ الحُـزْنِ عَـلَىٰ الْوَجْـهِ يَأْتِي صَوْتُ الرَّنِينِ الضَّعِيفِ المُتَوَلِّدِ مَعَ صَوْتِ المِيمِ.[1]وَهُوَ صَوْتٌ مُعَبِّرٌ عَنْ حُزْنٍ عَمِيقٍ وَانْكِسَـارٍ نَـفْسِيٍّ لَازَمَ الشَّاعِرَ؛حُزْنًا عَلَىٰ فَقِيدِ الْأُمَّةِ حَتَّىٰ بَعْدَ مُرُورِ أَعْوَامٍ ثَلَاثٍ عَلَىٰ رَحِيلِهِ.وَإِذَا مَا أَضَفْنَا إِلَىٰ ذَلِكَ أَنَّ صَوْتَ المِـيمِ مِنْ ضِمْنِ إِيحَاءَاتِهِ إِيحَاءُ الحَرَارَةِ وَالاشْتِعَالِ[2] عَلِمْنَا مَدَىٰ مَا يُعَانِيهِ الشَّاعِرُ مِنْ لَوْعَةٍ وَحُرْقَةٍ نَفْسِيَّةٍ مَرِيرَةٍ عَلَىٰ زَعِيمِ المِصْرِيِّينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَهِيَ حُرْقَةٌ جَعَلَتِ المدَّ الشُّعُورِيَّ مَوْصُولًا حَتَّـىٰ بَعْـدَ الرَّحِيـلِ بِـأَعْوَامٍ. يَقُولُ :

يَا سَعْدُ شَخْصُكَ فِي الْقُلُوبِ مُجَسَّمٌ   فِي كُـــلِّ تِـمْـــثَالٍ هُنَاكَ مُقَامِ

إِنَّ الَّـــذِي يُـحْـيِي مَـشَــاعِرَ أُمَّةٍ   تُـحْـيِيـهِ بِالْأَرْوَاحِ لَا الْأَجْسَامِ

فِي قَصِيدَةِ «خَبِيئَةُ نَفْسِي»[3]عَالَمٌ مُنْغَلِقٌ مُخْتَبِـئٌ يُحَـاوِلُ الشَّـاعِرُ النَّفَـاذَ إِلَيْـهِ وَمَعْرِفَـةَ كَوْنِـهِ، هَـذَا الْعَالَمُ المنْغَلِقُ هُوَ عَالَمُ النَّفْسِ، فَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَفْهَمَ ذَاتَهُ ، يَقُولُ :

خَبِيئَةُ نَفْسِي، مَــا تُـرَىٰ أَنْـتِ؟ إِنَّنِي   أُرِيدُكِ فِي جَوٍّ مِـــنَ الضَّوْءِ مُعْلَمِ

أَعُنْـصُـرُكِ الْإِيـمَانِ وَالـطُّهْرُ أَصْـلُهُ؟   وَإِلَّا إِلَىٰ الْـكُفْرَانِ وَالرِّجْسِ مُنْتَمِ؟

وَفِي أَيِّ وَادٍ أَنْــتِ تَـسْــرِينَ خِلْسَةً؟   وَفِي أَيِّ عَـهْدٍ فِي الجَهَالَاتِ مُبْهَمِ؟

وَكَمْ فِيكِ مِنْ نَصْرٍ وَكَمْ مِنْ هَزِيمَةٍ؟   تَـجَـاوَزْتُـهَا فِي حَشْدِكِ الْـمُتَزَحِّمِ

(1) انظر : د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 115 .

(2) انظر :حسن عباس :خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 74 ، 75

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 131.

وَكَمْ فِيكِ مِنْ يَأْسٍ؟ وَكَمْ فِيكِ مَأْمَلٌ وَكَـمْ مِـــنْ تَـرَدٍّ؟ أَوْ ثَوْبِ تَقَحُّمِ

وَكَمْ فِيكِ مِنْ حُبٍّ؟وَكَمْ فِيكِ بَغْضَةٌ وَمِنْ رُشْدِ إِلْـهَامٍ ، إِلَىٰ خَبْطِ مُظْلِمِ

يُمَثِّلُ رَوِيُّ المِيمِ المَكْسُورَةِ مُعَادِلًا مَوْضُوعِيًّا لِانْغِلَاقِ سُبُلِ المعْرِفَةِ وَانْسِدَادِ أُفُـقِ الرُّؤْيَـةِ أَمَـامَ الشَّـاعِرِ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَهُ يَلْجَأُ إِلَىٰ الْبِنَىٰ الاِسْتِفْهَامِيَّةِ المُتَكَرِّرَةِ الَّتِي يُحَاوِلُ مِنْ خِلَالِهَا النَّفَاذَ إِلَىٰ هَذَا الْعَـالَمِ المنْغَلِـقِ عَلَىٰ ذَاتِهِ.لَقَدْ كَثَّفَ الشَّاعِرُ مِنْ بِنَىٰ الاِسْتِفْهَامِ (ثِنْتَا عَشَرَ سُؤَالًا) تَكْثِيفًا كَانَ الْغَرَضُ مِنْ وَرَائِـهِ الْوُصُـولَ إِلَىٰ المعْرِفَةِ وَإِزَاحَةِ أَسْتَارِ ذَلِكَ الْعَالَمِ المُخْتَبِئِ دَاخِلَهُ، بِمَا يُوحِيهِ صَوْتُ المِيمِ مْنِ انْغِلَاقٍ مَعْرِفِيٍّ وَانْسِدَادٍ فِي أُفُقِ اليقين.وَالمُلَاحَظُ فِي الْأَبْيَاتِ أَنَّهُ كُلَّمَا زَادَ الْعَـالَمُ فِي انْغِلَاقِـهِ وَاخْتِبَائِـهِ ازْدَادَ السُّـؤَالُ عَنْـهُ، وَكَـثُرَتِ الرَّغْبَـةُ فِي اِقْتِحَامِهِ.لَقَدْ مَثَّلَ صَوْتُ رَوِيِّ المِيمِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ عَالمًا ضَـبَابِيًّا تَنْعَـدِمُ فِيـهِ الرُّؤْيَـةُ، وَيَـخْشَىٰ السَّـائِرُ فِيـهِ صِدَامًا بِالْأَشْيَاءِ، فَيُحَاوِلُ بِكُلِّ قُوَّةٍ أَنْ يُزِيحَ هَذَا الضَّبَابَ الْكَثِيفَ عَنْ عَيْنَيْهِ، وَأَن يَتَجَاوَزَهُ بِمَعْرِفَةِ مَـا وَرَاءَهُ مِنْ وُضُوحٍ .

فِي قَصِيدَةِ «ابْتِسَامَةٌ»[1] يُنْتِجُ صَوْتُ رَوِيِّ المِيمِ دَلَالَةً عَكْسَ مَا سَبَقَ مِنْ نُصُوصٍ، وَهِيَ دَلَالَةُ التَّوَسُّـعُ وَالامْتِدَادُ وَالانْفِتَاحُ، وَهَذِهِ الدَّلَالَةُ تَتَأَتَّىٰ مِنْ مِيكَانِيكِيَّةِ النُّطْقِ بِصَوْتِ المِيمِ فِي مَرْحَلَتِهَا الثَّانِيَةِ؛إِذْ إِنَّ اِنْطِبَاقَ الشَّفَةِ عَلَىٰ الشَّفَةِ مَعَ حَرْفِ المِيمِ «يُمَاثِلُ الْأَحْـدَاثَ الطَّبِيعِيَّـةَ الَّتِـي يَـتِمُّ فِيهَـا السَّـدُّ وَالانْغِـلَاقُ.أَمَّـا اِنْفِـرَاجُ الشَّفَتَيْنِ أَثْنَاءَ خُرُوجِ صَوْتِ المِيمِ فَهُوَ يُمَثِّلُ الْأَحْدَاثَ الَّتِي يَتِمُّ فِيهَا التَّوَسُّعُ وَالامْتِدَادُ».[2] يَقُولُ « قُطْب»:

أَنِرْ بِفُـؤَادِي كُـلَّ أَسْـــوَانَ مُظْلِمِ بِبَسْمَةِ رَاضٍ فِي الْـحَيَاةِ مُـنَعَّمِ

وَصَـوِّرْ بِهَا الْآمَــالَ ؛ إِنِّي رَأَيْتُهَا تَطِيفُ بِرِيًّا ثَغْرِكَ الْـمُـــتَبَسِّـمِ

وَطَالِعْ بِهَا وَجْهَ الْـحَيَـاةِ نَـدِيَّـــةً تَمَسُّ حُشَاشَاتِ الْقُلُوبِ بِبَلْسَمِ

وَتَسْرِي إِلَىٰ الْأَرْوَاحِ رُوحًا مُهَمَّومًا يُفِيضُ عَلَيْهَا مِنْ رِضَاءٍ وَأَنْعُـمِ

يُمَثِّـلُ صَـوْتُ رَوِيِّ المِـيمِ شَـكْلَ الْفَـمِ فِي حَالَـةِ الابْتِسَـامِ، فَهُـوَ يَأْخُـذُ شَـكْلًا مُنْفَرِجًـا فَيُظْهِـرُ مَـا كَـانَ مَسْـتُورًا وَرَاءَهُ، وَهَـذَا الانْفِـرَاجُ هُـوَ الَّـذِي يَرْجُـوهُ الشَّـاعِرُ مِـنْ حَبِيبَتِـهِ؛إِذْ إِنَّ اِبْتِسَـامَتَهَا تُنِـيرُ

(1) السابق ، ص 99.

(2)حسن عباس :خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 71 .

وَجْهَ الحَيَاةِ وَتَمْنَحُهُ الْأَمَلَ وَتُضَمِّدُ جِرَاحَ قَلْبِهِ، وَتُزِيلُ مِنْ نَفْسِهِ الْكَآبَةَ، كُلُّ ذَلِكَ يُمَثِّلُ اِنْفِرَاجًا لِنَفْسِ الشَّاعِرِ الَّتِي ظَلَّتْ حَبِيسَةَ أَحْزَانِهَا.وَإِذَا مَا تَأَمَّلْنَا الْكَلِمَاتِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الرَّوِيُّ ، سَنَجِدُ أَنَّهَا تَحْمِلُ دِلَالَةَ الاِنْفِرَاجِ وَالتَّوَسُّعِ وَالاِمْتِدَادِ :

ـ «مُنَعَّمٍ» : النَّعِيمُ تَوْسِيعُ النِّعْمَةِ وَامْتِدَادُهَا لِتَشْمَلَ جَمِيعَ مَبَاهِجِ الحَيَاةِ.

ـ «المُتَبَسِّمِ» : التَّبَسُّمُ اِنْفِرَاجُ الْفَمِ وَامْتِدَادُهُ .

ـ «بِبَلْسَمِ» : دَوَاءٌ يَمْتَدُّ أَثَرُهُ عَلَىٰ الجُرُوحِ لِيَشْفِيَهَا .

ـ «أَنْعُمِ» : النِّعَمُ تُفَرِّجُ الهُمُومَ وَتُوَسِّعُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَبَاهِجَهُ .

وَهَكَذَا يُسْهِمُ صَوْتُ رَوِيِّ المِيمِ ـ فِي هَذَا النَّصِّ ـ فِي الْكَشْفِ عَمَّا تُحْدِثُهُ الابْتِسَامَةُ المُمْتَدَّةُ عَلَىٰ وَجْهِ الحَبِيبَةِ مِنْ تَفْرِيجٍ لِلهُمُومِ وَإِزَالَةٍ لِآلَامِ الْقَلْبِ فِي الحَيَاةِ المُظْلِمَةِ.

(5/3) صَوْتُ رَوِيِّ الْبَاءِ:

يُعَدُّ صَوْتُ الْبَاءِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الانفِجَارِيَّةِ الشَّفَوِيَّةِ الَّتِي اِعْتَمَدَ عَلَيْهَا «قُطْب» 284 مَرَّةً فِي إِيقَاعِ نِهَايَةِ الْبَيْت، وَقَدِ اكْتَسَبَ هَذَا الصَّوْتُ دَلَالَاتَهُ المعْنَوِيَّةَ مِنْ مِيكَانِيكِيَّةِ النُّطْقِ بِهِ ؛ إِذْ إِنَّهُ «بِحُكْمِ انْفِجَارِهِ الصَّوْتِيِّ بِانْفِرَاجِ الشَّفَتَيْنِ سَرِيعًا بَعْدَ ضَمَّةٍ شَدِيدَةٍ، فَهُوَ أَوْحَىٰ مَا يَكُونُ بِمَعَانِي الْبَعْجِ وَالحَفْرِ، وَالْقَطْعِ وَالشَّقِّ، وَالتَّحْطِيمِ وَالتَّبْدِيدِ، وَالمُفَاجَأَةِ وَالشِّدَّةِ، وَذَلِكَ(حَذْوًا لِمَسْمُوعِ الْأَصْوَاتِ عَلَىٰ مَحْسُوسِ الْأَحْدَاثِ)». [1]

يُؤَكِّدُ تِلْكَ الدِّلَالَاتِ الَّتِي تَدُورُ حَوْلَ مِحْوَرِ الْإِظْهَارِ بِقُوَّةٍ الْوَصْفُ التَّحْلِيلِيُّ لِطَبِيعَتِهِ إِذْ يَظْهَرُ هَذَا الصَّوْتُ بِصُورَةِ فَرْقَعَةٍ عَلَىٰ صُورَةِ الْإِسْكترُوجِرَاف بِذَبْذَبَةٍ مِقْدَارُهَا 250 د/ث [2]، وَهَذِهِ الْفَرْقَعَةُ تَنْتُجُ عَنِ التَّسْرِيحِ الْفُجَائِيِّ لِلهَوَاءِ بَعْدَ حَبْسِهِ وَرَاءَ الشَّفَتَيْنِ.

وَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ صَوْتَ الْبَاءِ رَوِيًّا لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَشَاعِرِ الْأَلَمِ وَالْغَضَبِ وَاسْتَخْدَمَهُ أَدَاةً صَوْتِيَّةً لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الانْفِجَارِ النَّفْسِيِّ نَتِيجَةَ كَبْتٍ مَعْنَوِيٍّ وَمَادِيٍّ أَنَّ كَثِيرًا تَحْتَ وَطْأَتِهِمَا.

فَفِي قَصِيدَةِ «سَعَادَةُ الشُّعَرَاءِ»[1] يَقُولُ :

---

(1)السابق ، ص 99 ، 100 .

(2)انظر : د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، 51 ، 52 .

دَعْـنِي وَلَا تَنْفُـسْ عَـلَيَّ مَوَاهِبِي ... خُـذْهَـا وَخُذْ أَلَمِي بِهَا وَمَتَاعِبِي

دَعْنِي فَلَـسْتُ كَـمَا حَسِبْتَ مُنَعَّمًا ... بِمَـوَاهِـبٍ مَلَكَتْ عَلَّي مَوَاهِبِي

دَعْـنِي أَعِيشُ كَمَا يَشَاءُ لِيَ الْأَسَىٰ ... لَا كُنْتَ مِثْلِي لَا دَهَـتْـكَ نَوَائِبِي

إِنِّي شَقِـيٌّ لَـوْ عَـلِمْتَ دَخَائِلِي ... فَدَعِ الـمَظَاهِرَ لَا تَرُعْكَ نَوَائِبِي

يَرْصُدُ صَوْتُ الْبَاءِ حَالَةً عَارِمَةً مِنَ الثَّوْرَةِ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي تَعْتَرِي الشُّعَرَاءَ، فَأَصْـحَابُ الْعُقُـولِ المُتَرَاخِيَـةِ يَعِيشُونَ فِي دِعَةٍ وَهُدُوءٍ ، أَمَّا الشُّعَرَاءُ فَإِنَّهُمْ يَنْظُرُونِ إِلَىٰ الدُّنْيَا فِي وَجْهِهَا ـ لَا فِي قَفَاهَا ـ وَلِـذَا تَتَعَـدَّدُ سُـبُلُ شَقَائِهِمْ فِيهَا، فَهُمْ لَا يَقْنَعُونَ بِمَا تُقَدِّمُهُ الدُّنْيَا مِنْ مَبَاهِجَ؛لِأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَا وَرَاءَ تِلْكَ المبَاهِجِ، وَمِـنْ ثَـمَّ تُعَدُّ حَيَاتُهُمْ لحَظَاتٍ مِنَ الْيَأْسِ المَرِيرِ والحقائق المُؤْلِمَةِ.

صَوْتُ الْبَاءِ بِانْفِجَارِهِ يُعَبِّرُ عَنْ ثَوْرَةٍ عَارِمَةٍ تَتَخَلَّقُ فِي طَيَّاتِ الشَّاعِرِ تِجَاهَ مَنْ يَنْظُـرُونَ إِلَيْـهِ عَـلَىٰ أَنَّـهُ صَاحِبُ المَوْهِبَةِ المُنَعَّمِ بِهَا، لَكِنَّهُ يُظْهِرُ أَنَّ هَذِهِ المواهِبَ سَبَبُ شَقَائِهِ لَا نَعِيمِهِ فِي الحَيَاةِ:

النَّـاسُ تَـقْنَعُ بِالْـحَيَاةِ وَتَرْتَضِي ... مِــنْهَا مَحَاسِنَ شُوِّهَتْ بِمَثَالِبِ

وَالشَّــاعِرُونَ تَـؤُزُّهُمْ أَدْرَانُهَا ... يَـبْـغُونَهَا لَمْ تَـمْتَزِجْ بِشَوَائِبِ

فَعَوَامُّ النَّاسِ يَرْضَوْنَ بِمَبَاهِجِ الحَيَاةِ وَيَتَعَامَوْنَ عَنْ رُؤْيَةِ مَثَالِبِهَا، أَمَّا الشَّاعِرُ فَهُـوَ يَـرَىٰ المَثَالِـبَ قَبْـلَ المَبَاهِجِ ، وَهَذا يَجْعَلُهُ يَشْقَىٰ فِي نَعِيمِ الحَيَاةِ، كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ :

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَىٰ فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ ... وَأَخُو الجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْعَمُ

الشَّاعِرُ مُؤَرَّقٌ دَائِمًا يَبْحَثُ عَنِ السَّعَادَةِ الدَّائِمَةِ، يَبْحَثُ عَنْ قِيَمٍ وَمُثُلٍ عُلْيَا تَسْـعَدُ بِهَـا الْبَشَرِيَّـةُ، إِنَّـهُ يَسْعَىٰ إِلَىٰ عَالَمِ الْكَمَالِ ، يَقُولُ :

مَــنْ لِي إِذَا جَـنَّ الظَّلَامُ بِهَدْأَةٍ ... كَالْـهَادِئِــينَ وَمَنْ يُطَمْئِنُ جَانِبِي

أَنَا فِي الـطَّبِيعَـةِ مُغْرَمٌ بِمَشَاهِدٍ ... تُلْـهِي فُـؤَادِي عَنْ أَعَزِّ رَغَائِبِي

يَا لَـيْـتَ لِي نَفْسًا إِذَا سُمْتَهَا ... عَكَرَ الْوُرُودِ اسْتَرْشَدَتْ بِتَجَارِبِي

لَكِـنَّهَا نَفْسٌ سَمَتْ فَتَأَلَّـمَتْ ... وَالْـمَاءُ لَا يَصْفُو الْـحَيَاةَ لِشَارِبِ

يُمَثِّـلُ صَـوْتُ رَوِيِّ الْبَـاءِ اِنْفِجَـارًا مَعْنَوِيًّـا يُعَـبِّرُ الشَّـاعِرُ مِـنْ وَرَائِـهِ عَـنْ مَتَاعِبِـهِ فِي اللَّيْـلِ، إِنَّـهُ

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 41.

المُؤَرَّقُ الَّذِي لَا يَرْقَأُ لَهُ جَفْنٌ، إِنَّ السَّبَبَ وَرَاءَ هَذِهِ المتَاعِبِ الَّتِي تُنَغِّص عَلَيْهِ حَيَاتَهُ هُوَ أَنَّ نَفْسَهُ سَمَتْ عَنْ ثَقَافَةِ الْقَمْعِ وَتَكْمِيمِ الْأَفْوَاهِ، سَمَتْ عَنِ التَّبَعِيَّةِ وَالخُضُوعِ وَالاسْتِجْدَاءِ، فَتَأَلَّمتْ بِمَشَاهِدِ الْقُبْحِ الَّتِي تَنَاسَلَتْ وَتَكَاثَرَتْ، تَأَلَّمتْ مِنْ مَشَاهِدِ كُهَّانِ الْكَلِمَاتِ الْكَذَبَةِ وَمُحْتَرِفِي الْكَذِبِ وَتَضْلِيلِ الشُّعُوبِ، تَأَلَّمتْ مِنْ مَشَاهِدِ سَحْقِ الْإِنْسَانِ وَسَحْلِهِ عَلَىٰ طُرُقَاتِ الْوَطَنِ المَحْبُوسِ، يَقُولُ فِي آخِرِ بَيْتٍ :

دَعْنِي أَعِيشُ مُعَذَّبًا مُتَأَلِّمَا ... بِمَوَاهِبِي ، يَا شِقْوَتِي بِمَوَاهِبِي

وَالمُلَاحَظُ هُنَا هَذَا التَّكْثِيفُ الصَّوْتِيُّ لِلْحُرُوفِ الانْفِجَارِيَّةِ مِنْ بِدَايَةِ الْبَيْتِ حَيْثُ (الدَّالِ) إِلَىٰ نِهَايَتِهِ (الْبَاءِ)، وَهَذَا التَّكْثِيفُ يَتَوَازَىٰ صَوْتِيًّا مَعَ الْأَبْيَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَىٰ فِي الْقَصِيدَةِ حَيْثُ الْبِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ بِصَوْتَيْنِ انْفِجَارِيَّيْنِ .

فِي قَصِيدَةِ «الحِرْمَانُ»[1] يُوَظِّفُ الشَّاعِرُ صَوْتَ الْبَاءِ تَوْظِيفًا فَنِّيًا بَاحَ بِهِ عَنْ آلَامِهِ النَّفْسِيَّةِ المَكْبُوتَةِ وَآمَالِهِ المَحْرُومِ مِنْهَا، وَقَدِ انْفَجَرَ هَذَا بِصَوْتِ الْبَاءِ فِي تَنْظِيمٍ صَوْتِيٍّ مُتَمَيِّزٍ، يَقُولُ :

رَيْحَانَتِي الْأُولَىٰ وَرَجْعُ شَبَابِي ... أَئِذَا دَعَوْتُ سَمِعْتِ رَجْعَ جَوَابِ

أَنَا فِي الْجَحِيمِ هُنَا وَأَنْتِ بِجَنَّةٍ ... مِنْ رَوْحِ إِعْجَابٍ وَرَيْقِ شَبَابِ

أَنَا فِي الجَحِيمِ وَأَنْتِ نَاعِمَةُ المُنَىٰ ... خَضْرَاءَ ذَاتَ تَطَلُّعٍ وَطِلَابِ

أَنَا لَا أُرِيدُكِ هَا هُنَا فِي عَالَمِي ... إِنِّي أُعِيذُكِ مِنْ لَظًىٰ وَعَذَابِ

يُجَسِّدُ صَوْتُ الْبَاءِ مُعَانَاةً نَفْسِيَّةً أَلِيمَةً يَتَعَرَّضُ لهَا الشَّاعِرُ فِي بَلَدِهِ، فَهُوَ يَعِيشُ الحِرْمَانَ فِيهَا، بَيْنَمَا هِيَ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ بَلْ تَتْرُكُهُ يَتَلَظَّىٰ فِي نَارِ الجَحِيمِ وَالحِرْمَانِ فَصَوْتُ الْبَاءِ بِدَلَالَتِهِ الانْفِجَارِيَّةِ يَرْصُدُ الثَّوْرَةَ النَّفْسِيَّةَ الْعَارِمَةَ الَّتِي تَهُزُّ مِرْجَلَ نَفْسِهِ هَزًّا عَنِيفًا.

وَفِي قَصِيدَةِ «صَوْتِ الْوَطَنِيَّةِ»[2] يَرْتَفِعُ الخَطُّ الْبَيَانِيُّ لِصَوْتِ الْبَاءَ أَكْثَرَ، حِينَ يُوَجِّهُ خِطَابَهُ الشِّعْرِيَّ مُبَاشَرَةً إِلَىٰ مِصْرَ ، يَقُولُ :

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 85.

(2) السابق ، ص 271. ومن المفيد أن نذكر أن هذه القصيدة كانت قبل أن يتجه «قطب» توجهه الفكري الذي عُرِفَ عنه بعد ذلك .

ضَـجَّتِ الـدُّنْيَا فَمَاذَا تَـرْتَقِبْ	مِـصْرُ مِنْ أَهْوَالِـهَا حَتَّىٰ تَثِبْ
ضَجَّتِ الدُّنْيَا مِنَ الْـهَوْلِ الَّذِي	تَـــرَكَ الـدُّنْيَا جَمِيعًا تَضْطَرِبْ
فَـــارَ مَـاءُ النِّيلِ أَوْ صَارَ إِلَىٰ	حِمَـمٍ أَوْ نِـقْـمَةٍ مِـنْهُ تُصَبْ
وَأَرَىٰ مِـصْـرَ تُـعَانِي سَـكْرَةً	وَإِذَا تَصْـحُو تَـوَلَّتْ تَنْتَحِبْ
مِـصْرُ . يَـا مِصْرُ مَا يُجْدِي الْبُكَا	غَـضْبَةٌ يَا مِصْرُ كَاللَّيْثِ وَثَبْ
غَـضْبَةٌ يَا مِصْرُ . أَوْ لَا فَادْرُجِي	فِي قُيُـودِ الذُّلِّ وَارْضِي بِالخَرِبْ
أَفَـهَـٰذِي مِـصْـرُ أَمْ مَاذَا أَرَىٰ	أُمَّـــةٌ أُخْرَىٰ وَشَعْـبٌ مُنْقَلِبْ
أَمْ تُـــرَىٰ الْأَيَّـــامُ دَارَتْ دَوْرَةً	فَـــإِذَا الْأُسْـــدُ شِيَاهٌ تُحْتَلَبْ !
مَا عَـــهِدْنَا مِصْرَ تُمْطِي ظَهْرَهَا	كَـذَلُولِ النُّوقِ مَنْ شَاءَ رَكَبْ

لَقَدْ أَخَذَتِ الدُّنْيَا بِأَسْبَابِ التَّقَدُّمِ فِي الحَيَاةِ، وَدَخَلَتْ بِلَادٌ أَقَلُّ حَضَـارَةً مِـنْ مِصْرَ إِلَىٰ مَصَـافِ التَّقَـدُّمِ وَالرُّقِيِّ، وَلَا زَالَتْ مِصْرُ تَحْبُو عَلَىٰ الرَّغْمِ مِن امْتِلَاكِهَا مُكَوِّنَاتِ الْبَلادِ الْعُظْمَىٰ .

مِنْ هُنَا مَثَّلَ صَوْتُ الْبَاءِ السَّاكِنَةِ الْمُقَلْقَلَةِ اِنْفِجَـارًا عَارِمًـا وَثَـوْرَةَ عُنْـفٍ فِي وَجْـهِ حَـاكِمِ مِصْرَ آنَـذاكَ، سَاعَدَ عَلَىٰ تَمْثِيلِهَا صَوْتِيًّا الْبَاءُ الْمُقَلْقَلَةُ؛ إِذْ إِنَّ «الْقُدَمَاءَ قَدْ أَضَافُوا صَـوْتَ الْقَلْقَلَـةِ إِلَىٰ الْبَـاءِ السَّـاكِنَةِ حِرْصًـا مِنْهُمْ عَلَىٰ إِظْهَارِ كُلِّ مَا فِيهَا مِنْ صِفَاتِ الجَهْرِ»[1] وَهَذَا يُنَاسِبُ الثَّوْرَةَ الْعَارِمَـةَ وَالْفَـوَرَانَ الْعَـامَّ (فَـارَ مَـاءُ النِّيلِ أَوْ صَارِ إِلَىٰ حِمَمٍ) الُمعَبَّرَ عَنْهُما حَرَكَةً وَصَوْتًا.

أَسْهَمَ صَوْتُ الْبَاءِ الانْفِجَارِيّ فِي تَوْضِيحِ دِلَالَةِ الْاِسْـتِفْهَامِ فِي الْبَيْتَـيْنِ السَّـابِعِ وَالثَّـامِنِ، إِذْ شَـكَّلَا دَلَالَـةَ الحُزْنِ عَلَىٰ مَا آلَ إِلَيْهِ حَالُ هَذِهِ الْبِلَادِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ مَطِيَّةً ذَلُولًا لِكُلِّ رَاغِبِـي السُّـلْطَةِ وَالمَنَاصِـبِ وَالْأَمْوَالِ. وَهَذَا كَانَ مَبْعَثَ الْغَضَبِ وَالثَّوْرَةِ وَالانْفِجَارِ.

(1) انظر : د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 47 .

(6/3) صَوْتُ رَوِيِّ الدَّالِ:

يُمَثِّلُ صَوْتُ الدَّالِ أَحَدَ الأَصْوَاتِ الانْفِجَارِيَّةِ أَيْضًا الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا «قُطْب» فِي إِيقَـاعِ نِهَايَـةِ الْبَيْـتِ، وَصَوْتُ الدَّالِ صَوْتٌ مَجْهُورٌ شَدِيدٌ.وَقَدْ ذُكِرَ مِنْ قَبْلُ أَنَّ هَذَا الصَّوْتَ يُوحِي بِالْقَسْوَةِ وَالصَّلَابَةِ، أَثْنَاءَ تَحْلِيـلِ إِيقَاعِ قَصِيدَةِ «أَخِي»[1]:

أَخِـــي أَنْتَ حُرٌّ وَرَاءَ السُّدُودْ	أَخِـــي أَنْتَ حُرٌّ بِتِلْكَ الْقُيُودْ
إِذَا كُـنْتَ بِاللـه مُسْتَعْصِمَا	فَـــمَاذَا يَـضِيرُكَ كَـيْدُ الْعَبِيدْ
أَخِـــي سَتَبِيدُ جُيُوشُ الظَّلَامِ	وَيُشْــرِقُ فِي الْكَوْنِ فَجْرٌ جَدِيدْ
فَأَطْلِقْ لِـرُوحِـكَ إِشْـرَاقَهَا	تَـــرَ الْفَـجْرَ يَرْمُقُهَا مِنْ بَعِيدْ
أَخِـــي قَدْ أَصَابَكَ سَهْمٌ ذَلِيلْ	وَغَــدْرًا رَمَـــاكَ ذِرَاعٌ كَـلِيلْ
سَــتُبْــتَرُ يَـــوْمًا فَصَبْرٌ جَمِيلْ	وَلَمْ يَـــدْمَ بَعْــدُ عَرِينُ الْأُسُودْ

فَقَدِ اسْتَطَاعَ الشَّاعِرُ أَنْ يُعَبِّرَ مِنْ خِلَالِهِ عَنْ صَلَابَةِ أَحْجَارِ الزِّنْزَانَةِ وَالْقَسْوَةِ الَّتِي تَعَرَّضَ لهَا إِبَّانَ فَـتْرَةِ اعْتِقَالِهِ الَّتِي اِنْتَهَتْ بِشَنْقِهِ. لَقَدْ أَسْهَمَ رَوِيُّ الدَّالِ بِمَا يُوحِيهِ مِنْ دَلَالَةِ الانْغِلَاقِ[2] فِي رَصْدِ مَشَاعِرِ السَّجِينِ المُعَذَّبِ فِي زِنْزَانَةٍ لَا تَلِينُ حِجَارَتُهَا لِأَنَّاتِ المَظْلُومِينَ.إِنَّ صَوْتَ الدَّالِ « أَصَمُّ أَعْمَىٰ مُغْلَقٌ عَلَىٰ نَفْسِـهِ كَـالهَرَمِ، لَا يُوحِي إِلَّا بِالْأَحَاسِيسِ اللَّمْسِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ الصَّلَابَةِ وَالْقَسَاوَةِ ، وَكَأَنَّهُ مِنْ حَجَـرِ الصَّـوَّانِ. فَلَـيْسَ فِي صَوْتِ الدَّال أَيُّ إِيحَاءٍ بِإِحْسَاسِ ذَوْقِيٍّ أَوْ شَـمِّيٍّ أَوْ بَصَرِيٍّ أَوْ سَـمْعِيٍّ أَوْ شُـعُورِيٍّ، لِيَكُـونَ بِـذَلِكَ أَصْـلَحَ الحُرُوفِ لِلتَّعْبِيرِ عَنْ مَعَانِي الشِّدَّةِ وَالْفَعَالِيَّةِ المَادِّيَّتَيْنِ».[3]

وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَىٰ مَثَّلَ صَوْتُ الدَّالِ المجْهُورِ بِمَدَاهُ الزَّمَنِيِّ الْقَوِيِّ الَّذِي يَتَرَاوَحُ بَـيْنَ 80 ـ 100 م /ث [4] وَبِصِفَتِهِ الانْفِجَارِيَّةِ الأَصِيلَةِ فِيهِ إِيقَاعَ قَرْعِ الطُّبُولِ تَحْمِيسًا لِرُفَقَاءِ الزِّنْزَانَةِ وَبَثًّا لِـرُوحِ الثَّبَـاتِ وَالْعَزِيمَـةِ فِي نُفُوسِهِمْ.

---

(1) انظر الفقرة (5/3) من الباب السابق .

(2) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 66.

(3) نفسه .

(4) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 74 .

وَفِي قَصِيدَةِ «الْغَدُ المَجْهُولُ»[1] يُمَثِّلُ صَوْتُ رَوِيِّ الدَّالِ انْغَلَاقَ أُفُقِ المسْتَقْبَلِ أَمَامَ الشَّاعِرِ ، يَقُولُ :

لَـيْــتَ شِـعْـرِي مَـا يُخَبِّئُهُ غَدِي؟	إِنِّي أَرُوحُ مَــعَ الظُّنُـونِ وَأَغْتَدِي
وَأجِـيــلُ بَــاصِرَتِي بِهَا وَبَصِيرَتِي	أَبْـغِي الْـهُدَىٰ فِيهَا وَمَا أَنَا مُهْتَدِ
حَـتَّىٰ إِذَا لَاحَ الْـيَــقِينُ خِـلَالَـهَا	أَشْفَقْتُ مِنْ وَجْهِ الْيَقِينِ الْأَسْوَدِ
وَأَشَحْتُ عَنْهُ ، وَلَوْ أَطَقْتُ دَعْوَتُهْ	وَطَــرَحْتُ عَنِّي حِيرَتِي وَتَرَدُّدِي
فَـكَــأَنَّنِي الْـمَــلَّاحُ تَــاهَ سَفِينُهُ	وَيَـخَـافُ مِـنْ شَطٍّ مُرِيبٍ أَجْرَدِ

يُمَثِّلُ صَوْتُ الدَّالِ هُنَا بِدَلَالَتِهِ الانْغِلَاقِيَّةِ مُسْـتَقْبَلًا مَجْهُـولًا غَامِضًـا، يَـتَرَدَّدُ الشَّـاعِرُ فِي تَحدِيـدِ مَلَامِـحَ أُخْرَىٰ فِيهِ غَيْرَ السَّوَادِ، فَقَدِ انْغَلَقَ وَجَهُ الْأُفُقِ أَمَامَهُ، وَأَصْـبَحَ كَـالمَلَّاحِ التَّائِـهِ فِي ظُلُـمَاتِ بَحْـرٍ لُجِـيٍّ يَغْشَـاهُ مَوْجٌ. فِي إِشَارَةٍ إِلَىٰ اسْتِشْرَافِهِ نِهَايَةٍ مَأْسَاوِيَّةٍ مُعْتِمَةٍ ، يَقُولُ:

مَــاذَا سَـيُولَـدُ يَوْمَ تُولَدُ يَا غَدِي؟	إِنِّي أَحُــسُّ بِهَــوْلِ ذَاكَ الْـمَـوْلِدِ
سَيَــصْرُخُ الشَّكُّ الدَّفِينُ بِمُهْجَتِي	فَأَبِيتُ فَــاقِدَ خَيْرِ مَا مَلَكَتْ يَدِي
سَتَـجِفُّ أَزْهَـــارٌ يَفُـوحُ عَبِيرُهَا	حَوْلِي ، وَيَنْفَحُنِي بِهَا الْأُرُجُ النَّدِي
وَالْـمِشْعَلُ الْـهَادِي سَيَخْبُو ضَوْؤُهُ	وَيَــلُــفُّنِي اللَّيْلُ الْبَهِيمُ بِمُفْرَدِي

يُحَاوِلُ الشَّاعِرُ مِنْ خِلَالِ بِنْيَةِ الاسْتِفْهَامِ أَنْ يَسْتَشْرِفَ المُسْتَقْبَلَ الَّـذِي خَـيَّمَ عَلَيْـهِ التَّعْتِـيمُ وَالانْغِـلَاقُ مِمَّا جَعَلَهُ يَحْيَا مُنْفَرِدًا كَئِيبًا قَدْ لَفَّهُ السَّوَادُ، فَاقِدًا الْإِحْسَاسَ بِالْأَشْيَاءِ، وَفَاقِدًا كُلَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاهُ، « ذَلِـكَ أَنَّ انْغِلَاقَ صَوْتِ الدَّالِ عَلَىٰ نَفْسِهِ قَدْ جَعَلَهُ فِي عُزْلَةٍ عَمْيَاءَ صَمَّاءَ عَنْ أَيِّ إِحْسَاسٍ آخَرَ أَوْ مَشَاعِرَ إِنْسَانِيَّةٍ.وَهَذَا الانْغلَاقُ جَعَلَهُ أَصْلَحَ الحُرُوفِ لِلتَّعْبِيرِ الُمبَاشِرِ عَنِ الظَّلَامِ وَالسَّوَادِ دُونَمَا كِنَايَةٍ أَوْ تَوْرِيَةٍ».[2]

وَفِي قَصِيدَةِ «يَوْمٌ خَرِيفٌ»[3] يُمَثِّلُ رَوِيُّ الدَّالِ مَشْهَدَ افْتِقَادِ الحَيَاةِ إِلَىٰ النَّضَارَةِ وَالْبَهْجَةِ، يَقُولُ :

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 53.

(2) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 68 .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 229.

وَكَــأَنَّ الـسَّمَاءَ وَالْأَرْضَ مَـرْضَىٰ بَــرِمَــــاتٍ بِـثِــقْـلَةِ الْعُوَّادِ

وَتَــرَىٰ السُّحْبَ فِي الـسَّمَاءِ تُغَشِّي نَــاظِـرَيْهَا كَـصَـفْحَةٍ مِنْ رَمَادِ

وَتَرَىٰ الْأَرْضَ كَالْكَظِيمِ مِنَ الحُــزْ نِ ثَكُــولًا تَسَــرْبَلَتْ بِـالْـحِدَادِ

وَالْـفَـنَـاءُ الْـمَرِيضُ طَافٍ عَلَيْهَا طَـائِـفٌ مَــنْ فِي ثَنَـايَا الرُّقَادِ

كُـلُّ شَــيْءٍ يَـرْنُو إِلَىٰ كُـلِّ شَيْءٍ كَـسَجِينٍ يَـرْنُــو إِلَىٰ الْـجَـلَّادِ

يُلْقِي صَوْتُ الدَّالِ بِصَلَابَتِهِ وَانْغِلَاقِهِ إِحْسَاسًا بِالْكَآبَةِ فِي فَصْـلِ الخَرِيـفِ ؛ إِذْ فَقَـدَتْ الحَيَـاةُ نَضَـارَتَهَا وَجَمَالهَا، وَانْطَفَأَ بَهَاءُ الْأَرْضِ، وَتَصَلَّبَتِ الْأَغْصَانُ وَفَقَدَتِ الزُّهُورُ تَمَايُلَهَـا مَـعَ النَّسِـيمِ، وَتَحَـوَّلَ كُـلُّ شَيْءٍ إِلَىٰ سِجْنٍ صُلْبٍ قَاسِي الجُدْرَانِ .

إِنَّ صَوْتَ الدَّالِ أَلْقَىٰ بِصَلَابَتِهِ وَعَمَاهُ وَصَمَمِهِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ فِي فَصْـلِ الخَرِيـفِ وَتَحَوَّلَـتِ السَّـمَاءُ وَالْأَرْضُ إِلَىٰ مَرْضَىٰ لَا تُرِيدَانِ زُوَّارًا كَيْ لَا يَطَّلِعُوا عَلَىٰ مَرَضِهِمَا، وَأَضْحَىٰ السَّحَابُ أَعْمَىٰ قَـدْ غَشِيَ نَظَـرَهُ رَمَـادُ الْغُبَارِ الثَّائِرِ إِثْرَ رِيَاحٍ تُؤْذِنُ بِالجَفَافِ.

لَقَدْ عَبَّرَ صَوْتُ الدَّالِ بِإِيحَاءَاتِهِ المعْنَوِيَّةِ عَنْ كُلِّ مَعَانِي افْتِقَادِ الحَيَاةِ لِلنَّضَارَةِ وَالجَمَالِ؛ مِمَّا جَعَلَهُ دَالًّا صَوْتِيًّا أَصِيلًا فِي إِنْتَاجِ دَلَالَةِ النَّصِّ .

فِي قَصِيدَةِ «وَحْيُ الخُلُودِ»[1] يُمَثِّلُ صَوْتُ الدَّالِ مُوسِيقَىٰ جَنَائِزِيَّةً فِي مَشْهَدِ حِدَادٍ :

الْـمَوْتُ مَرْحَلَةُ الْـخُلُودْ والــذِّكْـرُ عُمْرٌ لَا يَبِيدْ

فَإِذَا انْتَهَىٰ أَجَلُ الْعَظِيـــ ـــمِ فَذِكْرُهُ أَجَلٌ جَدِيدْ

مَــاتَ الـــزَّعِيمُ وَلَمْ تَزَلْ آثَـــارُهُ تُحْــيِي الْـجُنُودْ

وَمَــضَىٰ شَـهِيدًا طَاهِرًا يَا نِـعْــمَ ذَيَّاكَ الشَّهِيدْ

هُــوَ كَــانَ رُوحًـا بَيْنَنَا يَحْيَـا فَيُـحْيِي مِـنْ يُرِيدْ

هُـــوَ عَلَّمَ الشَّعْبَ الجِهَا دَ، وَأَيْـقَـظَ الْقَوْمَ الرُّقُودْ

هُوَ كَانَ كَالْأَمَلِ الْـمُضِي ءِ، وَكَانَ كَالْـجَدِّ السَّعِيدْ

(1) السابق ، ص 244.

هُوَ قَدْ حَـبَـا الْأَشْبَالَ مِنْ　　عَــزَمَـاتِـهِ بَأْسَ الْأُسُودْ

فَإِذَا مَضَىٰ الْأَسَدُ الْـهَصُو　　رُ فَــخَلْــفَـهُ أَسَـدٌ عَتِيدْ

وَإِذَا خَــبَا الرَّأْيُ الرَّشِيــ　　ـدُ فَخَلْفَهُ الرَّأْيُ الـرَّشِيدْ

يَا سَعْدُ أَدْمَنْتَ الْـجُــهُو　　دَ فَحَسْبُنَا تِلْكَ الْـجُهُودْ

نَــــمْ مُــطْمَــئِنًّا بَعْـدَمَا　　عَــلَّمْــتَنَا مَعْنَىٰ الْوُجُودْ

يُمَثِّلُ صَوْتُ الدَّالِ ـ بِجِوَارِ مَا يُوحِيهِ مِنْ سَوَادٍ رَمْزًا لِلْحُزْنِ وَالحِدَادِ عَلَىٰ الْفَقِيدِ ـ مَشْهَدًا صَوْتِيًّا يَعْلُـو فِيهِ إِيقَاعُ «المَرْشِ» الجَنَائِزِيِّ ذُو المسَافَاتِ الْمتَسَاوِيَةِ.وَالطَّرِيفُ أَنَّ هَذَا الْإِيقَاعَ المُوسِيقِيَّ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ تَكْـرَارِ الْوَحْدَةِ الصَّوْتِيَّةِ (دُمْ .. دُمْ .. دُمْ) وَهِيَ تَبْدَأُ بِصَوْتِ الدَّالِ بِجَهْرِهِ وَشِـدَّتِهِ.وَعَـلَىٰ ذَاكَ فَعِنْـدَمَا يَصِـلُ قَـارِئُ النَّصِّ عِنْدَ صَوْتِ رَوِيِّ الدَّالِ السَّاكِنَةِ فِي كُلِّ بَيْتٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ قَدْ قَرَعَ فِي كُـلِّ مَـرَّةٍ طُبُـولِ المَـرْشِ الجَنَـائِزِيِّ، وَهَذا الْقَرْعُ يَتِمُّ بِمَسَافَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ، مِمَّا يُمَثِّـلُ مَشْـهَدَ الجَنَـازَةِ الْعَسْـكَرِيَّةِ لِـزَعِيمِ الْأُمَّـةِ سَـعْدِ زَغْلُـولٍ خَـيْرَ تَمْثِيلٍ.يُؤَكِّدُ هَذَا المشْهَدَ الصَّوْتِيَّ الَّذِي يُؤَدِّيهِ صَوْتُ رَوِيِّ الدَّالِ بِكُلِّ دِقَّةٍ فَنِّيَّةٍ قَوْلُ «قُطْب» :

يَــا أَيُّهَا الخَلَفُ الْعَظِيــ　　ـمُ وَيَا أَخَا الرَّأْيِ السَّدِيدْ

الشَّــعْـبُ خَلَّفَكَ كُتْلَةً　　فِي مَوْقِفِ الْـهَوْلِ الشَّدِيدْ

لَقَدْ تَزَاحَمَ أَوْ تَكَتَّلَ الشَّعْبُ كُتْلَةً بَشَرِيَّةً وَرَاءَ جُـثْمَانِ الـزَّعِيمِ فِي مَشْـهَدٍ جَنَـائِزِيٍّ رَهِيـبٍ شَـيَّعَ فِيـهِ زَعِيمَهُ الَّذِي أَذْكَىٰ فِيهِ رُوحَ الْوَطَنِيَّةِ وَالْفِدَاءِ فِي أَوَّلِ مُظَاهَرَةٍ شَعْبِيَّةٍ جَمَعَتْ بَيْنَ طَوَائِفِ الْأُمَّةِ كُلِّهَا.وَفِي أَثْنَـاءَ ذَلِكَ يُؤَدِّي صَوْتُ الدَّالِ دَوْرَ المُوسِيقَىٰ التَّصْوِيرِيَّةِ لِلْمَشْهَدِ أَدَاءً صَوْتِيًّا مُتَمَيِّزًا.

(7/3) صَوْتُ رَوِيِّ اللَّامِ:

يُمَثِّلُ صَوْتُ اللَّامِ أَحَدَ الْأَصْوَاتِ المَائِعَةِ الَّتِي شَكَّلَتْ مَعَ حُرُوفِ مَجْمُوعَتِهَا (الميمِ ـ النُّونِ ـ الرَّاءِ) ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ فِي شِعْرِ «قُطْب».إِنَّ صَوْتَ اللَّامِ صَوْتٌ مَجْهُورٌ مُتَوَسِّطُ الشِّدَّةِ، يَتَشَكَّلُ عَلَىٰ مَرْحَلَتَيْنِ :

ـ الْأُولَىٰ: بِالْتِصَاقِ اللِّسَانِ بِأَوَّلِ سَقْفِ الحَنَكِ قَرِيبًا مِنَ اللَّثَةِ الْعُلْيَا حَبْسًا لِلنَّفَسِ.

ـ الثَّانِيَةُ: بِانْفِكَاكِ اللِّسَانِ عَنْ سَقْفِ الحَنَكِ، وَانْفِلَاتِ النَّفَسِ خَارِجَ الْفَمِ.

وَقَدْ كَانَ لِمِيكَانِيكِيَّةِ نُطْقِ صَوْتِ اللَّامِ نَصِيبٌ فِي تَكْوِينِ إِيحَاءَاتِهِ المَعْنَوِيَّةِ؛إِذْ إِنَّ طَرِيقَةَ نُطْقِهِ « تُمَاثِلُ الْأَحْدَاثَ الَّتِي يَتِمُّ فِيهَا الالْتِصَاقُ مِمَّا يُجِيزُ تَصْنِيفُهَا فِي فِئَةِ الحُرُوفِ الْإِيمَائِيَّةِ التَّمْثِيلِيَّةِ، وَهِيَ هُنَا لَمْسِيَّةٌ..إِنَّ صَوْتَ هَذَا الحَرْفِ يُوحِي بِمَزِيجٍ مِنَ اللُّيُونَةِ وَالْمُرُونَةِ وَالتَّمَاسُكِ وَالالْتِصَاقِ.وَهَذِهِ الخَصَائِصُ الْإِيحَائِيَّةُ لَمْسِيَّةٌ صِرْفَةٌ ..كَمَا أَنَّ طَرِيقَةَ النُّطْقِ بِصَوْتِ اللَّامِ تُمَاثِلُ الْأَحْدَاثَ الَّتِي تَتِمُّ فِيهَا الاسْتِعَانَةُ بِاللِّسَانِ فِي عَمَلِيَّاتِ اللَّوْكِ وَالمَضْغِ وَاللَّحْسِ وَمَا إِلَيْهَا، مِمَا جَعَلَهَا أَلْصَقَ مَا يَكُونُ بِالذَّوْقِيَّاتِ».[1]

وَقَدْ مَرَّ بِنَا[2] كَيْفَ عَبَّرَ صَوْتُ اللَّامِ تَعْبِيرًا مُبَاشِرًا عَنْ تَأَجُّجِ الرَّغْبَةِ الْعَارِمَةِ فِي قَصِيدَةِ «تَحِيَّةُ الحَيَاةِ»[3]، الَّتِي مَطْلَعُهَا :

شَفَتَايْ تَخْتَلِجَانِ لِلتَّقْبِيلِ؟	فِي كُلِّ مُطَّلعٍ لَدَيْكِ جَمِيلِ

إِذْ يَعْكِسُ صَوْتُ اللَّامِ بِإِيحَاءَاتِهِ اللِّيُونَةِ وَالمُرُونَةِ وَالالْتِصَاقِ مَا فِي قَرَارِ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِن رَغْبَةٍ فِي رِوَاءِ الظَّمَإِ مِنَ الثَّغْرِ المعْسُولِ :

ظَمَأٌ تُأَجِّجُهُ الْقُلُوبُ خَوَافِقًا	تَنْزُو بِعَارِمِ لَهْفَةٍ وَغَلِيلِ
مِنْ يَوْمِ مَا الْتَقَتِ الشِّفَاهُ فَحَدَّثَتْ	عَنْ حُبِّنَا بِسَوَاحِرِ التَّرْتِيلِ
أَفَتَذْكُرِينَ وَقَدْ ضَمَمْتُكِ وَالهَوَىٰ	يُغْرِي وَيُوقِظُ خَاطِرَ التَّقْبِيلِ

لَقَدْ وَظَّفَ الشَّاعِرُ مِيكَانِيكِيَّةَ نُطْقِ صَوْتِ اللَّامِ ذَلِكَ الحَرْفِ اللِّسَانِيِّ الصِّرْفِ تَوْظِيفًا فَنِيًّا مُتْقَنًا، مِمَّا جَعَلَ مَوْقِعَهُ رَوِيًّا لِلْأَبْيَاتِ يَرْصُدُ حَالَةً شَبَقِيَّةً عَارِمَةً اِمْتَزَجَ فِيهَا الْعِشْقُ بِالشِّعْرِ فِي فَوْرَةِ اللُّغَةِ وَالجَسَدِ مَعًا، حَيْثُ قَامَ اللِّسَانُ وَهُوَ عُضْوُ الحَاسَّةِ الذَّوْقِيَّةِ وَآلَةُ نُطْقِ اللَّامِ بِوَظِيفَةٍ حَيَوِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ تَتْرُكُ أَثَرًا شُعُورِيًّا كَبِيرًا عَلَىٰ النَّفْسِ. وَهَذَا التَّوْظِيفُ لِصَوْتِ اللَّامِ بِإِيَحاءَاتِهِ هُوَ التَّوْظِيفُ الْفَنِيُّ نَفْسُهُ فِي قَصِيدَةِ «الزَّادُ الْأَخِيرُ»[4]، يَقُولُ :

زَوِّدِينِي مِنَ الرَّجَاءِ الْأَصِيلِ	مُشْرِقًا فِيكِ فِي المُحَيَّا الْجَمِيلِ
أَنْتِ كَنْزٌ مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْـ	ـرِ وَدُنْيَا مِنَ السَّنَا الْمَعْسُولِ

---

(1) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 78 ، 79 .

(2) انظر الفقرة (4/3) من الباب السابق .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 185 .

(4) السابق ، ص 259 .

وَهَــجٌ يُبْـهِرُ النُّفُوسَ وَيُـذْكِي	خَفَقَاتِ الْقُلُوبِ عِنْدَ الْـمُـثُولِ
زَوِّدِينِي لَـكَـادَ يَـنْـفَـدُ زَادِي	فِي صِرَاعٍ مِنَ الْـحَيَــاةِ طَـوِيـلِ
كَادَ يَخْبُو المِصْبَاحُ إِلَّا بَصِـيـصًا	فَاسْكُبِي الزَّيْتَ فِي بَقَايَا الْفَتِيــلِ

يَرْصُدُ صَوْتُ اللَّامِ حَالَةً مِنَ اللِّيُونَةِ المُتَهَافِتَةِ السَّاعِيَةِ لِتَحْقِيقِ التَّقْبِيلِ (دَلَالَة الالْتِصَاقِ)، فَهُوَ الْوَقُودُ الْعَاطِفِيُّ الَّذِي يَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِهِ مُوَاصَلَةَ الحَيَاةِ، بَعْدَمَا شَعَرَ بِنَفَادِ الْكِمِّيَّةِ اللَّازِمَةِ لِلْعَيْشِ هَانِئًا، وَمِنْ ثَمَّ تَصَدَّرَ الْأُسْلُوبُ الْإِنْشَائِيُّ الطَّلَبِيُّ قَائِمَةَ الْقَصِيدَةِ؛ فَجَذْوَةُ الشَّوْقِ أَخَذَتْ تَشْتَعِلُ، وَفَتِيلُ مِصْبَاحِ الرُّوحِ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ زَيْتِ التَّقْبِيلِ!!

فِي قَصِيدَةِ «فِي مُفْتَرَقِ الطُّرُقِ»[1] يُفْرِزُ صَوْتُ رَوِيِّ اللَّامِ دَلَالَةً أُخْرَىٰ تَنْبَعِثُ مِـنْ إِيحَـاءَاتِ الالْتِصَـاقِ وَالتَّمَاسُكِ بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ وَاقِعَةِ الْتِصَاقِ اللِّسَانِ بِأَوَّلِ سَقْفِ الحَنَكِ أَثْنَـاءَ خُـرُوجِ صَـوْتِ الـلَّامِ، وَهِـيَ دَلَالَـةُ الارْتِبَاطِ بِالمَكَانِ، يَقُولُ مُخَاطِبًا نَفْسَهُ بِأُسلُوبِ التَّجْرِيدِ :

أَنْتَ أَوْغَلْتَ فِي الظَّلَامِ طَوِيلَا	فَمَـتَىٰ يَـا رَفِيقُ تَبْغِي الْقُفُولَا
شَدَّ مَا آدَنَا التَّخَبُّطُ فِي اللَّيْــــ	ــلِ وَخِفْنَا ظَلَامَهُ الْـمَدْخُـولَا
وَرَأَيْنَا الْأَوْهَامَ تَبْدُو شُخُوصًا	وَرَأَيْنَا الشُّخُوصَ تَبْدُو هُـيُولَىٰ
يَا رَفِـيقِـي إِذَا قَـدَرْتَ فَأَوِّبْ	إِنَّ هَـٰذَا الظَّلَامَ يُضْنِي الْعُقُولَا

تَرْتَبِطُ حَافَّةُ اللِّسَانِ بِسَقْفِ الحَنَكِ جُزْءًا مِنَ الْوَقْتِ أَثْنَاءَ النُّطْقِ بِهَـا، وَهَـذَا مَـا يُفْـرِزُهُ صَـوْتُ رَوِيِّ اللَّامِ فِي هَذَا النَّصِّ ؛ إِذْ إِنَّ نَفْسَ الشَّاعِرِ ارْتَبَطَتْ بِـالظَّلَامِ وَاللَّيْـلِ؛ فَقَـدْ رَأَتْ فِـيهِمَا مَلْجَـأً آمِنًـا مِـنْ صَـخَبِ الْعَالَمِ وَضَجِيجِهِ، فَلَزِمَتِ الْعَيْشَ بِالمَكَانِ المظْلِمِ وَارْتَبَطَـتْ بِـهِ حِينًـا مِـنَ الـدَّهْرِ، مِـنْ أَجْـلِ ذَلِـكَ خَاطَـبَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ فِي الْبَيْتِ الْأَخِيرِ، وَرَجَا أَنْ تَؤُوبَ مِنْ هَذَا الظَّلَامِ الَّذِي يُضْهِرُ الْوِجْدَانِ، يُؤَكِّدُ مَا يُفْـرِزُهُ صَـوْتُ رَوِيِّ اللَّامِ مِنْ دَلَالَةِ الارْتِبَاطِ بِالظَّلَامِ قَوْلُهُ فِيمَا بَعْدُ :

أَنَا أَخْــشَىٰ الضِّيَاءُ أُبْصِرُ فِيهِ	ذِكْــرَيَاتِي ، تَبَــدَّلَتْ تَبْـــدِيلَا
أَنَا أَخْشَىٰ النَّهَارَ يَكْشِفُ عَنِّي	كُــــلَّ وَهْــــمٍ أَرُودُهُ تَعْلِيلَا

(1) السابق ، ص 143 .

الـظَّلَامُ الـظَّلَامُ أَرْوَحُ لِلْقَلْـــ ـــبِ وَلَوْ كَانَ لَا يُرِيحُ الْعُقُولَا

فِي قَصِيدَةِ «طَيْفٌ»[1] يُفْرِزُ صَوْتُ رَوِيِّ اللَّامِ الدِّلَالَةَ نَفْسَهَا حَيْثُ يَقُولُ :

هُوَ هَـٰذَا أَنْـتَ يَا طَيْفُ ؟ فَأَهْلَا مَرْحَبًا يَا طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ وَسَـهْلَا

هَـــوَّمَ النَّـــوْمُ وَأَرْخَـىٰ رِيشَهُ وَاحْـتَـوَانِي بِـجَـنَـــاحٍ قَـدْ تَدَلَّىٰ

وَانْـزَوَىٰ الْـعَـــالَمُ عَنِّي وَخَبَتْ ضَجَّـةُ الْـكَـوْنِ وَمَـا فِيـهِ وَوَلَّىٰ

هَـاهُـنَـا النَّـــوْمُ أَلْقَىٰ عَالَـمًا هَـادِئًـا رَحْـبًا وَبَسَّـامًـا مُظِلَّا

وَتَـرَاءَىٰ الطَّيْـفُ سَمْحًا رَاضِيًا بَاسِمًـا كَـالْأَمَـــلِ الْـحُلْوِ وَأَحْلَىٰ

هُوَ هَـٰذَا أَنْـتَ يَا طَيْفُ ؟ فَأَهْلَا مَرْحَبًا يَا طَيْفُ مَنْ أَهْوَىٰ وَسَهْلَا

إِنَّ صَوْتَ اللَّامِ يَرْصُدُ مُلَازَمَةَ طَيْفِ الحَبِيبَةِ لَهُ أَثْنَاءَ نَوْمِـهِ، فَهُـوَ يَسْـعَىٰ إِلَىٰ اللَّيْـلِ جَاهِـدًا مُسْتَأْنِسًـا بِظَلَامِهِ كَيْ يُفْسِحَ المَجَالَ لِعَالِمِهِ الرَّحْبِ الَّذِي يُلَازِمُهُ سَعِيدًا هَانِئًا .

(8/3) صَوْتُ رَوِيِّ الـهَمْزَةِ :

يَجِيءُ رَوِيُّ الهَمْزَةِ فِي المَرْتَبَةِ السَّابِعَةِ فِي سُلَّمِ تَرْتِيبِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ عِنْدَ «قُطْب».وَيَتَأَتَّىٰ صَوْتُ الهَمْزَةِ بِانْطِبَاقِ فَتْحَةِ المِزْمَارِ وَانْفِرَاجِهِ الْفُجَائِيِّ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ النَّفَسُ إِلَىٰ الحَنْجَرَةِ.وَمِنْ هَذِهِ المِيكَانِيكِيَّةِ انْبَثَقَ إِيحَاءُ صَوْتُ الهَمْزَةِ فِي رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ عِنْدَ «قُطْب» إِذْ مَثَّـلَ خُرُوجُهَا مِـنْ مِنْطَقَـةِ الحَلْـقِ إِيحَـاءً بِالضِّـيقِ وَالسَّـأَمِ وَالاخْتِنَاقِ مِنَ الْوَاقِعِ المُحِيطِ بِهِ، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ «السَّعَادَةُ حَدِيثُ الْأَشْقِيَاءِ»[2] :

إِيهِ حَـدِّثْ عَـنِ السَّـعَادَةِ إِنِّي قَـدْ مَـلَلْتُ الشَّـقَاءَ كُلَّ الشَّقَاءِ

أَطْلِـعِ الصُّبْحَ فِي حَدِيثِكَ يَجْلُو بَعْضُ هَـٰذَا الْأَسَىٰ بِفَيْضِ الضِّيَاءِ

يَا أَخِي ضَاقَ بِالحَوَادِثِ ذَرْعِي وَسَئِـمْـتُ الشِّـكَاةَ مِنْ بَأْسَائِي

وَمَلَلْتُ الْـحَدِيثَ فِيهَا فَحَدِّثْ أَنْتَ يَا صَاحِـبِي حَدِيثَ الْـهَنَاءِ

إِنَّ بَـعْضَ الحَدِيثِ يُدْنِي الْأَمَانِي بِــخُيُوطٍ إِنْ وَهَــتْ مِــنْ رَجَاءِ

(1) السابق ، ص 153 .

(2) السابق ، ص 76 .

أَبْعَـثُ الطَّرْفَ فِي الْفَضَاءِ مَلِيًّا فَـأَرَىٰ الْأُفْـقَ ضَـيِّقًا فِي الْفَضَاءِ

وَالصَّبَاحُ الْوَدِيعُ مَا عَادَ يَسْرِي لِفُـؤَادِي كَـمَا سَـرَىٰ بِالرِّضَاءِ

يُمَثِّلُ صَوْتُ رَوِيِّ الهَمْزَةِ نُتُوءًا يَعْتَرِضُ الحَنْجَرَةَ حِينَ النُّطْقِ بِهِ وَهَـذَا النُّتُـوءُ يُمَثِّـلُ ضِيقًا فِي مَجْـرَىٰ النَّفَسِ، مِمَّا يُفْرِزُ دَلَالَةَ الضِّيقِ وَالاخْتِنَاقِ مِنَ الْوَاقِعِ أَوِ الحَيَاةِ، وَهَذَا مَا نَلْمَحُهُ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ، فَالشَّاعِرُ قَدْ ضَاقَ بِالحَيَاةِ ذَرْعًا، وَالْأُفُقُ الْفَسِيحُ قَدِ اسْتَحَالَ فِي عَيْنِيهِ ضَيِّقًا، كَمَا أَنَّ مَظَاهِرَ الْبَهْجَـةِ قَـدْ جَفَّـتْ فِي حَيَاتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ يَطْلُبُ مِنْ صَاحِبِهِ أَنْ يُحَدِّثَهُ حَدِيثَ السَّعَادَةِ عَلَّ هَذَا الحَدِيثَ يُخَفِّفُ مِنْ لَأْوَائِـهِ وَحُرْقَـةِ صَدْرِهِ الضَّيِّقِ، يَتَأَكَّدُ هَذَا الْإِيحَاءُ لِصَوْتِ رَوِيِّ الهَمْزَةِ أَكْثَرَ حِينَ نَجِـدُ أَنَّ أَرْبَعَـةَ أَبْيَـاتٍ قَـدْ بَـدَأَتْ بِصَـوْتِ الهَمْزَةِ أَيْضًا، وَالْبِدَايَةُ بِالهَمْزَةِ يُمَثِّلُ نُتُوءًا صَوْتِيًّا فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ يُوَازِي النُّتُوءَ الصَّوْتِيَّ فِي آخِرِهِ ، كَمَا أَنَّ صَـوْتَ الهَمْزَةِ فِي أَوَّلِ اللَّفْظَةِ « يُضَاهِي نُتُوءًا فِي الطَّبِيعَةِ..وَهُوَ يَأْخُذُ فِي هَذَا المَوْقِعِ صُورَةَ الْبُرُوزِ كَمَـنْ يَقِـفُ فَـوْقَ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ فَيَلْفِتُ الانْتِبَاهَ».[1] وَكَأَنَّ الشَّاعِرُ يُعْلِنُ أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ تَحَطَّمَـتْ مِـنْ شَـقَائِهِ وَتَعَبِـهِ المُسْـتَمِرِّ فِي الحَيَاةِ ، وَهُوَ بِوُقُوفِهِ عَلَىٰ ذَلِكَ المَكَانِ المُرْتَفِعِ قَدْ ضَاقَتْ نَفْسُهُ وَشَعَرَ بِالاخْتِنَـاقِ كَمَـنْ يَصَـعَّدُ إِلَىٰ السَّـمَاءِ، وَهَذَا أَمْرٌ طَبْعِيٌّ، فَكُلَّمَا زَادَ صُعُودُ الْإِنْسَانِ إِلَىٰ السَّـمَاءِ يَشْـعُرُ بِالضِّـيقِ فِي الـنَّفَسِ، وَأَنَّ شَـيْئًا مَـا يَقِـفُ فِي حَلْقِهِ يُسَبِّبُ لَهُ الاخْتِنَاقَ، وَكُلُّ مَنْ رَكِبَ الطَّائِرَةَ مِنَّا تَحْـدُثُ لَـهُ هَـذِهِ الظَّـاهِرَةُ ، وَمِـنْ ثَـمَّ مَثَّـلَ صَـوْتُ الهَمْزَةِ فِي رَوِيِّ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ نُتُوءًا صَوْتِيًّا أَصَابَ الشَّاعِرَ بِالاخْتِنَاقِ مِمَّا يُوَازِي دَلَالَـةَ الضِّـيقِ وَالسَّـأَمِ مِـنْ هَذِهِ الحَيَاةِ الْقَاسِيَةِ.

فِي قَصِيدَةِ «الْبَطَلُ»[2] يَتَأَكَّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ فِي إِيحَاءِ صَوْتِ الهَمْزَةِ رَوِيًّا، يَقُولُ :

سَجِّلِي يَا أَرْضُ وَارْعِي يَا سَمَاءْ مَصْـرَعَ الْـجَبَارِ بَـيْنَ الْعُظَمَاءْ

نَـالَ مِنْهُ الْـمَوْتُ مَا لَمْ يَسْتَطِعْ نَـيْـلَهُ الْـغُصَّابُ فِي سَبْعٍ وِلَاءْ

عَـذَّبُـوهُ وَنَـفَـوْهُ وَمَـضُوا فِي فُنُونِ الظُّلْمِ مَا الظُّلْمُ يَشَاءْ

أَرْسَلُوهُ حَيْثُ وَادِي المَـوْتِ إِذْ لَا يَرَىٰ الْأَحْيَاءُ أَطْيَافَ الرَّجَاءْ

وَهِـيَ قَصِـيدَةٌ فِي وَصْـفِ مَأْسَـاةِ السَّـيِدِ الْعُبَيْـدِ رَئِـيسِ جَمْعِيَّـةِ اللِّـوَاءِ الْأَبْـيَضِ فِي السُّـودَانِ ،

(1) حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 93.
(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 250 .

وَهُوَ شَابٌّ جَرِيءٌ ظَلَّ يُنَدِّدُ بِسِيَاسَةِ الاسْتِعْمَارِ غَيْرَ عَابِئٍ بِسِجْنٍ مُرْهِقٍ شَدِيدٍ ، وَلَا بِتَنْكِيلٍ وَحْشِيٍّ قَاسٍ. بَلَغَ مِنْ وَحْشِيَّتِهِ وَقَسْوَتِهِ أَنْ يُسْجَنَ الْبَطَلُ ـ وَهُوَ سِيَاسِيٌّ ـ فِي سِجْنٍ رَطْبٍ فِي بُقْعَةٍ نَائِيَةٍ مِنَ السُّودَانِ تُحِيطُ بِهَا الْمُسْتَنْقَعَاتُ وَيَطُوفُ حَوَالَيْهَا الْفَنَاءُ الرَّهِيبُ وَظَلَّ يُعَذَّبُ بِحَمْلِ الحِجَارَةِ فِيهِ سَبْعَ سَنَوَاتٍ كَامِلَةٍ لَمْ تَهُنْ فِيهَا نَفْسُهُ وَلَمْ يَخْضَعِ لِلإِذْلَالِ.وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ بُطُولَاتِهِ مَاتَ وَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ أَحَدٌ فِي مِصْرَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يُسَجِّلُ الشَّاعِرُ سَخْطَهُ عَلَىٰ الْوَاقِعِ المِصْرِيِّ الَّذِي انْغَمَسَ فِي مَرَحِهِ وَلهْوِهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِآلَامِ ذَلِكَ الْبَطَلِ.وَقَدْ مَثَّلَ صَوْتُ رَوِيِّ الهَمْزَةِ بِنُتُوئِهِ الصَّوْتِيِّ فِي الحَلْقِ إِحْسَاسَ الشَّاعِرِ بِالمَرَارَةِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا مَثَّلَ ضِيقًا وَتَذَمُّرًا مِنْ شَبَابِ مِصْرَ المُتْرَفِ المشْغُولِ بِالتَّطْرِيَةِ وَالزِّينَةِ وَالحَقَارَاتِ النَّفْسِيَّةِ الْوَضِيعَةِ، فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ ـ كَمَا يَقُولُ نَثْرًا فِي بِدَايَتِهَا ـ « نَفْثَةٌ مِنْ شَابٍّ يَقْضِي بِهَا حَقَّ الشَّبَابِ، وَهَذَا مَا يَسْتَطِيعُ فَرْدٌ أَنْ يَعْمَلَهُ، فَإِذَا كَانَ بِالشُّبَّانِ الْآخَرِينَ حَيَاةٌ تَعْمَلُ شَيْئًا لِلذِّكْرَىٰ كَانَ بِهَا وَإِلَّا فَحَسْبِي هذِهِ النَّفْثَةُ الحَرَّىٰ»، وَمِنْ ثَمَّ تُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ نِدَاءً مِنَ الشَّاعِرِ لِتَقْضِيَةِ حَقٍّ وَاجِبٍ مِنَ الشَّبَابِ المِصْرِيِّ لِذَاكَ الشَّابِّ السُّودَانِيِّ الْبَطَلِ المُنَاضِلِ، وَهُوَ نِدَاءٌ يَخْرُجُ مِنَ الحَلْقِ مَوْضِعِ خُرُوجِ الهمْزَةِ ، وَلَعَلَّنَا نُلَاحِظُ الْبَيْتَ الرَّابِعَ الَّذِي بَدَأَ بِالهَمْزَةِ، وَهُوَ كَمَا أَشَرْنَا مِنْ قَبْلُ يُعْطِي صُورَةً مَنْ وَقَفَ عَلَىٰ مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ يُنَادِي وَيُعْلِنُ عَنْ مَقْتَلِ ذَلِكَ الْبَطَلِ مِنْ تَعْذِيبِ الاسْتِعْمَارِ ، يَقُولُ «قُطْب»:

يَا شَبَابَ النِّيلِ مَاذَا وَيْحَكُمْ؟	أَفَأَنْتُمْ حَيْثُ يُحْيِيكُمْ دُعَاءْ
يَا شَبَابًا نَاعِمًا مُسْتَأْنِثًا	كَذَوَاتِ الْخِدْرِ فِي ظِلِّ الْخِبَاءْ
يَا شَبَابًا تَافِهًا مُحْتَقِرًا	تَأْنَفُ الْأَجْيَالُ مِنْهُ فِي ازْدِرَاءْ
يَا شَبَابًا هَمُّهُ لَذَّاتُهُ	فَهْوَ يَحْيَا بَيْنَ يَأْسٍ وَخَنَاءْ
يَا شَبَابًا قَصُرَتْ آمَالُهُ	كَخَشَاشِ الْأَرْضِ مَرْمَاهُ الْغِذَاءْ
يَا شَبَابًا نُكِبَ النِّيلُ بِهِ	فِي الْأَمَانِي وَالتِّعِلَّاتِ الْوِضَاءْ
يَا شَبَابَ النِّيلِ هَلْ أَبْصَرْتُمُو	فِي فَتَىٰ السُّودَانِ كَيْفَ الشُّهَدَاءْ

يَكْشِفُ المَقْطَعُ السَّابِقُ عَنْ دِلَالَةِ صَوْتِ الهَمْزَةِ وَمَا يُفْرِزُهُ مِنْ ضِيقٍ وَاخْتِنَاقٍ مَبْعَثُهُ الْغَضَبُ مِنْ شَبَابِ مِصْرَ الَّذِي انْغَمَسَ فِي مَلَذَّاتِهِ غَيْرَ عَابِئٍ بِقَضِيَّةِ وَطَنِهِ، وَغَيْرَ مُسْتَنْكِرٍ مَا فَعَلَهُ الاسْتِعْمَارُ فِي الْبَطَلِ الشَّابِّ، لَقَدْ مَثَّلَ أُسْلُوبُ النِّدَاءِ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ قَافِيَةَ مَطَالِعَ يَقِفُ

عَلَىٰ بُعْدٍ مُوَازٍ لِصَوْتِ رَوِيِّ الهَمْزَةِ فِي قَافِيَةِ الْأَبْيَاتِ، فِي إِشَارَةٍ صَوْتِيَّةٍ دَلَالِيَّةٍ بَلِيغَةٍ تَضَعُ الْقَارِئَ مُبَاشَرَةً أَمَامَ مَبْعَثِ الضِّيقِ وَالاخْتِنَاقِ ـ وَهُوَ غَضَبُ الشَّاعِرِ مِنْ ذَلِكَ الشَّبَابِ المُنَعَّمِ المُطْرَفِ فِي مُقَابِلِ رِضَاهُ التَّامِّ عَنْ فَتَىٰ السُّوَدَانِ وَحُزْنِهِ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ قَامَتْ قُوَىٰ الاسْتِعْمَارِ بِمَصِّ دَمِهِ تَعْذِيبًا طِيلَةَ سَبْعِ سَنَوَاتٍ ، يَقُولُ :

يَا شَبَابَ النِّيلِ هَـٰذَا مَثَلٌ   لِجَلَالِ الْمَوْتِ فِي ظِلِّ الْإِبَاءِ

لَقَدْ مَثَّلَ صَوْتُ رَوِيِّ الهَمْزَةِ حَالَةَ غَضَبٍ عَارِمَةٍ انْتَابَتِ الشَّاعِرَ، مَزَجَهَا بِأَلَمٍ شَدِيدٍ عَلَىٰ ذَلِكَ الْبَطَلِ السُّودَانِيِّ، وَلِمَ لَا أَلَيْسَ الصَّوْتُ المُعَبِّرُ بِهِ عَنِ الْأَلَمِ (آه) مَبْدُوءًا بِالهَمْزَةِ أَيْضًا؟ أَلَيْسَ الْقَارِئُ لِلْأَبْيَاتِ عِنْدَمَا يَنْتَهِي مِنْ قِرَاءَةِ كُلِّ بَيْتٍ يَكُونُ قَدْ وَقَفَ عِنْدَ الهَمْزَةِ الَّتِي هِيَ بِدَايَةِ صَوْتِ التَّأَلُّمِ وَالتَّوَجُّعِ ؟

وَبِهَذَا نَكُونُ قَدْ تَوَقَّفْنَا عِنْدَ دَلَالَةِ أَصْوَاتِ أَكْثَرِ الحُرُوفِ اسْتِخْدَامًا رَوِيًّا فِي شِعْرِ «قطب»، وَالَّتِي مَثَّلَتْ 90 % مِنْ مَجْمُوعِ أَشْعَارِهِ، وَكَمَا رَأَيْنَا أَنَّ هَذِهِ الدِّلَالَةَ الصَّوْتِيَّةَ تُلْقِي بِأَثَرِهَا عَلَىٰ مُسْتَوَيَاتِ النَّصِّ الْأُخْرَىٰ، وَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ دَلَالَةَ إِيحَاءٍ فَهِيَ دَلَالَةُ تَوْجِيهٍ لِلْمَعْنَىٰ عَلَىٰ نَحْوِ مَا رَأَيْنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ.

مُلَخَّصُ الْبَابِ الثَّانِي

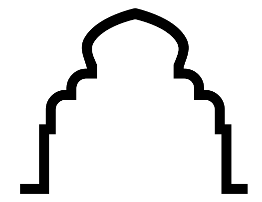
سَعَىٰ هَذَا الْبَابُ إِلَىٰ تَشْخِيصِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لـ«قُطْب» فِي الرُّكْنِ الثَّانِي مِنْ أَرْكَانِ الشِّعْرِ، وَهُوَ الْقَافِيَةُ، فَاتَّجَهَ التَّشْخِيصُ فِي فَصْلِهِ الْأَوَّلِ لِدِرَاسَةِ رَوِيِّ الْقَافِيَةِ وَصُوَرِهَا المَقْطَعِيَّةِ، وَقَدْ ظَهَرَ مِنْهُ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ المُسْتَخْدَمَةِ رَوِيًّا كَانَتْ مُتَمَثِّلَةً فِي مَجْمُوعَةِ الحُرُوفِ المَائِعَةِ(الرَّاءِ ـ النُّونِ ـ المِيمِ ـ اللَّامِ) شَارَكَهَا صَوْتَانِ مِنْ مَجْمُوعَةِ الحُرُوفِ الانْفِجَارِيَّةِ هُمَا (الْبَاءُ ـ الدَّالُ)، وَقَدْ تَبَيَّنَ مِنَ التَّتَبُّعِ الْإِحْصَائِيِّ أَنَّ تَيْنِ المَجْمُوعَتَيْنِ مَثَّلَتَا ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ شَعْرِهِ الَّذِي تَمَيَّزَ إِيقَاعُ النِّهَايَةِ فِيهِ بِالْقُوَّةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْوُضُوحِ السَّمْعِيِّ.

كَمَا اتَّجَهَ ذَاكَ الْفَصْلُ لِتَتَبُّعِ الصُّوَرِ المَقْطَعِيَّةِ لِلْقَافِيَةِ، وَنَتَجَ عَنْ هَذَا التَّتَبُّعِ أَنَّ صُورَةَ قَافِيَةِ المُتَوَاتِرِ هِيَ أَكْثَرُ الصُّوَرِ الَّتِي اِعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي شِعْرِهِ، وَهِيَ صُورَةٌ أَفْرَزَتْ سِتَّ تَشْكِيلَاتٍ مِنَ المَقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ.

فِي حِينِ سَعَىٰ الْفَصْلُ الثَّانِي لِدِرَاسَةِ أَنْمَاطِ التَّقْفِيَةِ فِي النَّصِّ، وَالَّذِي كَشَفَ فِيهِ الْبَحْثُ ـ بِآلِيَّةِ الْإِحْصَاءِ ـ أَنَّ أَكْثَرَ قَصَائِدَ «قُطْب» كَانَتْ مُوَحَّدَةَ الْقَافِيَةِ 74 قَصِيدَةً مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ بِنِسْبَةِ 58 % بَيْنَمَا مَثَّلَتِ الْقَصَائِدُ المُنَوَّعَةِ الْقَافِيَةِ 42% مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ بِمَجْمُوعِ 55 قَصِيدَةً، جَاءَتْ بِأَنْمَاطٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي تَوْزِيعِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ :المُرَبَّعِ بِأَنْوَاعِهِ ـ المَقْطُوعَة بِأَنْوَاعِهَا ـ المُشَطَّرِ بِأَنْوَاعِهِ ـ المُسَمَّط ـ المُوَشَّح ـ الصُّونَاتَا، وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ تَوَقَّفنَا بِدِرَاسَةٍ فَنِّيَّةٍ لِتِبْيَانِ صُورَتِهَا عِنْدَ أَرْبَابِ المُوسِيقَىٰ.

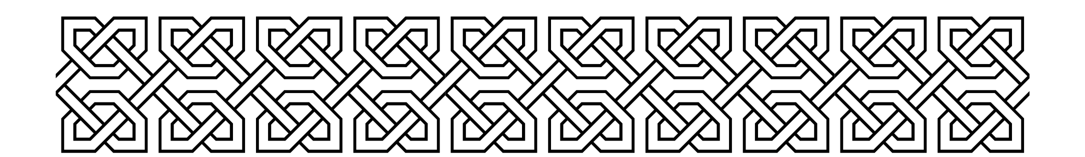
ثُمَّ اتَّجَهَ الْفَصْلُ الثَّانِي فِي شِقِّهِ الْآخَرِ نَحْوَ دِرَاسَةِ الْأَنْسَاقِ الصَّوْتِيَّةِ لِحُرُوفِ الرَّوِيِّ، وَهِيَ أَنْسَاقٌ تَجْمَعُ مَجْمُوعَةً مِنَ الحُرُوفِ مُخْتَلِفَةِ النُّطْقِ لَكِنَّهَا مُتَّفَقَةٌ فِي الصِّفَاتِ، وَقَدْ ظَهَرَ مِنْ خِلَالِهَا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْسَاقِ الصَّوْتِيَّةِ اِسْتِعْمَالًا فِي شِعْرِ«قُطْب» هُوَ النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ المُتَمَاثِلُ نَظَرًا لِأَكْثَرِيَّةِ الْقَصَائِدِ المُوَحَّدَةِ الْقَافِيَةِ.

ثُمَّ سَعَىٰ الْفَصْلُ الْأَخِيرُ لِدِرَاسَةِ دَوْرِ صَوْتِ الرَّوِيِّ وَمَا يُفْرِزُهُ مِنْ دِلَالَاتٍ مَعْنَوِيَّةٍ وَإِيحَائِيَّةٍ فِي إِنْتَاجِ دِلَالَةِ النَّصِّ، وَفِيهِ تَوَقَّفْنَا عِنْدَ نَمَاذِجَ عِدَّةٍ لِأَصْوَاتِ الحُرُوفِ السَّبْعِ الْأَكْثَرِ اِسْتِخْدَامًا فِي شِعْرِ «قُطْب» بِحَسْبِ سُلَّمِ تَرْتِيبِ الحُرُوفِ عِنْدَهُ، وَقَدْ نَتَجَ عَنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ أَنَّ صَوْتَ الرَّوِيِّ قَدْ يفْرِزُ الدِّلَالَةَ مِنْ خِلَالِ مِيكَانِيكِيَّةِ النُّطْقِ بِهِ، أَوْ مِنْ خِلَالِ مَعَانِي مَصَادِرِهِ وَمَا تُعْطِيهَا مِنْ إِيحَاءَاتٍ، وَهَذِهِ الدِّلَالَةُ إِنْ لَمْ تَكُنْ دَلَالَةَ إِيحَاءٍ فَهِيَ دَلَالَةُ تَوْجِيهٍ لِلْمَعْنَىٰ المُتَخَلِّقِ فِي رَحِمِ النَّصِّ .



الباب الثالث

أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المُتَوَازِيِّ



أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المُتَوَازِيِّ

فِي دِرَاسَةِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِلْمُسْتَوَىٰ الصَّوْتِيِّ يَجِبُ أَلَّا يَتَوَقَّفَ الْبَاحِثُ عِنْدَ حُدُودِ الدِّرَاسَةِ الْعَرُوضِيَّةِ وَوَحْدَاتِهَا الصَّوْتِيَّةِ وَمَا يُصِيبُهَا مِنْ عَوَامِلِ نُقْصَانٍ أَوْ زِيَادَةٍ، كَمَا أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا يَتَوَقَّفَ عِنْدَ دِرَاسَةِ إِيقَاعِ النِّهَايَةِ رَوِيًّا وَمَقْطَعًا صَوْتِيًّا وَأَثَرِهِمَا فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ ـ بِجِوَارِ دِرَاسَتِهِ كُلَّ مَا سَبَقَ ـ أَنْ يَسْعَىٰ إِلَىٰ دِرَاسَةِ كَافَّةِ التَّشْكِيلَاتِ التَّنْظِيمِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي النَّصِّ الشِّعْرِيِّ؛بِمَا أَنَّهَا أَيْقُونَةٌ صَوْتِيَّةٌ لها دَلَالَتُهَا وَفَاعِلِيَّتُهَا.

فَإِذَا صَحَّ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْعَرُوضَ وَالْقَافِيَةَ عَوَامِلُ مُنْتِجَةٌ لِلْمُوسِيقَىٰ الخَارِجِيَّةِ، فَإِنَّ ثَمَّةَ مُوسِيقَىٰ أُخْرَىٰ دَاخِلِيَّةً، يُنْتِجُهَا تَكْرَارُ الصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ، وَهِيَ المُوسِيقَىٰ الَّتِي تَتَكَثَّفُ دَاخِلَ الْبَيْتِ، وَهَذِهِ المُوسِيقَىٰ تَتَوَلَّدُ مِنَ الصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ، وَالمَقْطَعِ الصَّوْتِيِّ وَالمُفْرَدَةِ وَإِيحَاءَاتِهَا وَالتَّرْكِيبِ النَّحْوِيِّ وَتَنَاسُقِهِ. لَنَا الحَقُّ ـ إِذَنْ ـ أَنْ نَبْحَثَ عَنِ التَّشْكِيلِ الْأَوَّلِيِّ مِنْ أَصْوَاتٍ وَمَقَاطِعَ وَكَلِمَاتٍ مُفْرَدَةٍ « عَلَىٰ أَنْ نَضَعَ نُصْبَ أَعْيُنِنَا مَوْضِعَهَا فِي السِّيَاقِ وَالتَّأْلِيفِ؛لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الخَيْطُ الَّذِي نَسْتَمِدُّ مِنْهُ أَهَمِّيَّةَ الْأَصْوَاتِ وَالمَقَاطِعِ وَالْكَلِمَاتِ المُفْرَدَةِ ».[1]

الْبَحْثُ فِي مُوسِيقَىٰ الصَّوْتِ وَالمُفْرَدَةِ وَالتَّرْكِيبِ عُنْصُرٌ أَصِيلٌ مِنْ عَنَاصِرِ الدِّرَاسَةِ فِي المُسْتَوَىٰ الصَّوْتِيِّ؛إِذْ إِنَّ « اتِّجَاهَ المُبْدِعِ نَحْوَ أَصْوَاتٍ بِعَيْنِهَا اتِّجَاهٌ لهُ دَلَالَةٌ مِحْوَرِيَّةٌ فِي بِنْيَةِ دَلَالَةِ نَصِّهِ الْعَامَّةِ، فَيُرَكِّزُ عَلَيْهَا عَنْ طَرِيقِ تَكْرَارِهَا، إِمَّا عَبْرَ مُفْرَدةٍ كَامِلَةٍ، وَإِمَّا عَبْرَ جُزْءٍ مِنَ المُفْرَدَةِ، وَيَكُونُ عَمْدُ المُبْدِعِ نَحْوَ تَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ أَمْرًا مَقْصُودًا فِي رِسَالَةِ نَصِّهِ».[2]

مِفْتَاحُ هَذَا الْبَابِ:التَّكْرَارُ «Reiteration»؛ إِذْ إِنَّ جَوْهَرَ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ الْمَتَوَازِي يَقُومُ عَلَىٰ« تَكْرَارِ أَكْثَرَ مِنْ حَرْفٍ وَاحِدٍ»[3] أَوْ تَكْرَارِ كَلِمَةٍ، أَوْ تَكْرَارِ تَرْكِيبٍ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ فَبِنْيَةُ الشِّعْرِ أَسَاسًا « تَعْتَمِدُ عَلَىٰ وَحْدَاتٍ نَغْمِيَّةٍ تَتَكَرَّرُ بِانْتِظَامٍ دَاخِلَ الْبَيْتِ الشِّعْرِيِّ، وَبِتَكْرَارِ الْأَبْيَاتِ تَتَكَوَّنُ الْقَصِيدَةُ، فَالتَّكْرَارُ هُوَ الْبِنْيَةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِلْبَيْتِ، وَبِالتَّالِي لِلْقَصِيدَةِ، وَيَفْرُضُ

---

(1) د. محمد إبراهيم شادي : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، ط. دار الرسالة ، القاهرة ، ط1، 1988 ، ص 19 .

(2) د. محمد السيد الدسوقي : إنتاج المكتوب صوتا ، دراسة في إبداع الصوت في النص الأدبيّ ، ط. دار العلم والإيمان ، كفر الشيخ ، 2007 ، ص 13، 14 .

(3) جوزيف مشيل شريم : دليل الدراسات الأسلوبية، ص 100 .

تَكْرَارُ الْوَحْدَاتِ النَّغْمِيَّةِ نِظَامًا مِنَ الْوَحْدَاتِ النَّحْوِيَّةِ المُعْجَمِيَّةِ، أَيْ إِنَّ التَّكْرَارَ يَخْلُقُ أَنْمَاطًا مِنَ التَّوَازِيَاتِ المُوَزَّعَةِ دَاخِلَ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ»[1]، وَيَقُومُ التَّوَازِي « Parallelism» بِشَتَّىٰ أَنْوَاعِهِ بِإِحْدَاثِ المُوسِيقَىٰ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَلِفُ عَنِ المُوسِيقَىٰ الخَارِجِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ فِي الْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ، فَـ «المُوسِيقَىٰ الدَّاخِلِيَّةُ عِبَارَةٌ عَنْ نَسِيجٍ نَغْمِيٍّ يَنْسَابُ خِلَالَ الْبِنْيَةِ الْإِيقَاعِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ».[2]

وَقَدْ حَفِظَ لَنَا عِلْمُ الْبَدِيعِ أَنْمَاطًا عِدَّةً مِنَ التَّوَازِيَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ ـ فِي الْأَصْلِ ـ عَلَىٰ التَّكْرَارِ، وَلَكِنْ نُظِرَ إِلَىٰ هَذِهِ الْأَنْمَاطِ عَلَىٰ أَنَّهَا مُجَرَّدُ أَدَوَاتٍ تَحْسِينِيَّةٍ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يُفْرِدْ لَهُ السَّكَّاكِيُّ مَبَاحِثَ طِوَالًا كَتِلْكَ الَّتِي أَفْرَدَهَا لِلْمَعَانِي وَالْبَيَانِ، وَذَكَرَ مَبَاحِثَ عِلْمِ الْبَدِيعِ فِي عُجَالَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، وَذَكَرَهَا بِأَنَّهَا «كَثِيرًا مَا يُصَارُ إِلَيْهَا لِقَصْدِ تَحْسِينِ الْكَلَامِ»[3]، وَجَاءَ الْقَزْوِينِيُّ لِيُعَرِّفَ هَذَا الْعِلْمَ بِقَوْلِهِ: «هُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ وُجُوهُ تَحْسِينِ الْكَلَامِ».[4]

كَانَتْ النَّظْرَةُ لِمبَاحِثِ عِلْمِ الْبَدِيعِ ـ إِذَنْ ـ نَظْرَةً تَكْمِيلِيَّةً لِمُجَرَّدِ «تَحْسِينِ الْكَلَامِ» لَكِنَّ هَذِهِ النَّظْرَةَ قَدْ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا فِي ضَوْءِ اللِّسَانِيَّاتِ لِصَالِحِ الْبَدِيعِ لَا لِضِدِّهِ؛ إِذْ قَدْ أَصْبَحَ لِلْبَدِيعِ أُفُقٌ جَدِيدٌ مِنْ مَنْظُورِ اللِّسَانِيَّاتِ النَّصِّيَّةِ، وَهُوَ فَاعِلِيَّتُهُ فِي رَبْطِ أَجْزَاءِ النَّصِّ[5]، وَعَلَىٰ ذَلِكَ تَكُونُ هَذِهِ النَّظْرَةُ نَظْرَةً عَادِلَةً؛إِذْ إِنَّهَا تَكْشِفُ عَنِ الدَّوْرِ الدِّلَالِي وَالصَّوْتِيِّ الَّذِي يَقُومُ بِهِ بَدَلًا مِنَ الْوَظِيفَةِ التَّكْمِيلِيَّةِ الَّتِي حُصِرَ فِيهَا، وَفِي ضَوْءِ الْبَدِيعِ يُصْبِحُ التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ ـ بِأَشْكَالِهِ المُتَنَوِّعَةِ ـ أَدَاةَ سَبْكٍ نَحْوِيٍّ « Grammatical cohesion»، وَعَنْ طَرِيقِهِ تَظَلُّ لِلنَّصِّ صِفَةُ الاسْتِمْرَارِيَّةِ « Continuity».[6]

(1) شكري الطوانسي : مستويات البناء الشعري ، ص 142 .

(2) محمد عماد الفضلي : بين الأدب والموسيقىٰ ، مجلة فصول ، مج5 ، ع2 ، 1985، ص 112 .

(3) السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق د . عبد الحميد هنداوي ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 532 .

(4) القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، تحقيق د . محمد عبد القادر الفاضلي ، ط . المكتبة العصرية ، بيروت، 2004 ص333 .

(5) د. جمال عبد الحميد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006، ص7 .

(6) رأت اللسانيات النصية أن الصفة الأساسية القارة في النص هي صفة الاطراد أو الاستمرارية « **Continuity**» وهي صفة تعني التواصل والترابط بين الأجزاء المكونة للنص ، وبصيغة أخرىٰ تعني أنه «في كل مرحلة من مراحل الخطاب « **Discourse** » نقاط اتصال « **Contact** » بالسابقة عليها ، وهٰذه الاستمرارية تتجسد في سطح أو ظاهر النص «**Surface Text**» ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ينطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني ، والتي نحطها أو نراها بما هي كمٌّ متصلٌ علىٰ صفحة الورقة ، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعًا للمباني اللغوية، ولكنها لا تشكل نصًّا إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظًا بكينونته واستمراريته . انظر : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص 76.

مِنْ مَحْصُولِ مَا سَبَقَ تَتِمُّ دِرَاسَةُ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ فِي نَصِّ «قُطْب» مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ مُجْتَمِعَـةٍ لَا مَزِيَّـةَ لِوَاحِدَةٍ عَنِ الْأُخْرَىٰ:

الْأُولَىٰ : بِمَا إِنَّهُ أَدَاةُ سَبْكٍ نَصِيٍّ .

الثَّانِيَةُ: بِمَا إِنَّهُ مُنْتِجٌ لِدَلَالَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ .

الثَّالِثَةُ: بِمَا إِنَّهُ مُنْتِجٌ لِدَلَالَةٍ صَوْتِيَّةٍ مُتَعَانِقَةٍ مَعَ الدَّلَالَةِ المعْنَوِيَّةِ.

وَقَدْ لُوحِظَ أَنَّهُ يُمْكِنُ تَقْسِيمُ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المُتَوَازِي إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مُسْتَوَيَاتٍ :

ـ الْأَوَّلُ:التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الحَرْفِ، بِمَا إِنَّـهُ أَصْـغَرُ وَحْـدَةٍ تَتَكَـوَّنُ مِنْهَـا الْكَلِمَـةُ، وَفِي هَـذَا المُسْتَوَىٰ لَا تَقِفُ الدِّرَاسَةُ بَعِيدًا عَنْ لَبِنَاتِ الْعَمَلِ الْأُخْرَىٰ، بَلْ تَسْعَىٰ إِلَىٰ دِرَاسَةِ الصَّوْتِ مِنْ خِلَالِ تَشْكِيلِهِ مَعَ مُفْرَدَاتِ الْعَمَلِ الْأَدَبِيِّ كُلِّهِ؛«فَالصَّوْتُ المعْزُولُ وَإِنِ انْقَطَعَـتِ صِـلَتُهُ بِالدَّلَالَـةِ بِمُقْـتَضَىٰ عَزْلِـهِ عَـنِ الْإِطَـارِ الدِّلَالِيِّ الْأَدْنَىٰ، فَإِنَّهُ بِحُكْمِ انْعِقَادِ صِلَةٍ جَدِيدَةٍ بِأَصْوَاتٍ مُنْعَزِلَةٍ مِثْلِهِ يَكْتَسِبُ صِلَتَهُ بِالمدْلُولِ إِثْرَ رَبْطِ هَـٰذِهِ الْأَصْوَاتِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ».[1]

فِي دِرَاسَةِ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المُتَوَازِي يَجِبُ التَّوَقُّفُ عِنْدَ الصَّـوْتِ مُفْـرَدًا خَاصَّـةً إِذَا مَثَّـلَ أَيْقُونَـةً صَـوْتِيَّةً تَبْسُطُ دَلَالَتَهَا عَلَىٰ النَّصِّ؛ إِذْ إِنَّ «تَجْمِيعَ عَدَدٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ المُعَيَّنَةِ بِشَكْلٍ أَشَدّ كَثَافَة مِنَ المُعْتَادِ، أَوْ تَرْكِيبِ نَوْعَيْنِ مِنَ الْأَنْسِجَةِ الصَّوْتِيَّةِ المخْتَلِفَةِ فِي بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ مَقْطَعٍ مِنْ قَصِيدَةٍ يَقُومُ بِوَظِيفَتِـهِ كَنَـوْعٍ مِـنَ التَّيَارِ الدِّلَالِيِّ الْبَاطِنِ ـ عَلَىٰ حَدِّ تَعْبِيرِ إِدْجَارْآلَانْ بُو ـ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْخَذَ فِي الاعْتِبَارِ عِنْدَ أَيِّ تَحْلِيلٍ لِلنَّسِيجِ الصَّوْتِيِّ ، وَتَمَاسُكِهِ فِي الْبِنْيَةِ الشِّعْرِيَّةِ».[2]

وَقَدْ نَاقَشَ الْفَصْلُ الْأَوَّلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ ذَاكَ المُسْتَوىٰ تَطْبِيقًا عَلَىٰ عِدَّةِ نَمَاذِجَ إِبْدَاعِيَّةٍ مِنْ شِعْرِ «قُطْب».

ـ الثَّـانِي:التَّـوَازِي الصَّـوْتِيُّ عَـلَىٰ مُسْـتَوَىٰ الْكَلِمَاتِ، وَهُـوَ فِي أَسَاسِـهِ قَـائِمٌ عَـلَىٰ ظَـاهِرَةِ التَّكْـرَارِ النَّمَطِـيِّ[3]لِكَلِمَتَـيْنِ فِي بِنْيَـةِ الْبَيْـتِ، وَهَـذَا التَّكْـرَارُ يَقُـومُ بِسَـبْكِ الـنَّصِّ وَتَرَابُطِـهِ، «وَيَخْـدُمُ وَظِيفَـةً مُهِمَّةً لِلسِّيَاقِ الشِّعْرِيِّ، وَهِيَ جَذْبُ انْتِبَاهِ الْقَـارِئِ إِلَىٰ كَلِمَـةٍ أَوْ لَفْظَـةٍ يَـوَدُّ الشَّـاعِرُ أَنْ يُؤَكِّـدَ عَلَيْهَـا

(1) محمد الهادي الطرابلسي : خصائص الأسلوب في الشوقيات ، ص 59 .

(2) د. صلاح فضل : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ص263.

(3) انظر: د . محمد عبد المطلب : التكرار النمطي في شعر حافظ إبراهيم ، دراسـة أسـلوبية ، مجلـة فصـول، مـج3، ع2، مارس 1983 ، ص 47 .

أَوْ يُنَبِّهَ الْقَارِئَ إِلَيْهَا».[1] وَقَدْ تَعَـدَّدَتْ ظَـوَاهِرُ التَّـوَازِي الصَّـوتِيِّ عَـلَىٰ مُسْـتَوَىٰ الْكَلِـمَاتِ فِي شِـعْرِ«قُطْـب» وَجَاءَتْ عَلَىٰ سِتِّ صِوَرٍ ، هِيَ:

[أ] التَّصْرِيعُ. [ب] التَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ.

[جـ] الجِنَاسُ (بِأَنْوَاعِهِ). [د] رَدُّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ (بِصِوَرِهِ) .

[هـ] التَّرْدِيدُ. [و] الْقَافِيَةُ المعْكُوسَةُ أَوْ قَافِيَةُ المَطَالِعِ.

وَقَدْ تَوَقَّفَ الْفَصْلُ الثَّانِي عِنْدَ هَذِهِ الصُّوَرِ تَطْبِيقًا مُفَصَّلًا.

ـ الثَّالِثُ : التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ، وَفِيهِ يَتِمُّ التَّوَازِي بَـيْنَ تَـرْكِيبَيْنِ أَوْ أَكْـثَرَ صَـوْتِيًّا عَـنْ طَرِيقِ:

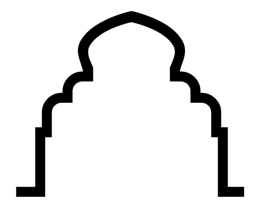
[أ] التَّوَازِي الْقَرِيبِ « Near Parallelism»، وَهُوَ يَقُومُ بِدَوْرِهِ فِي إِنْتَاجِ الُممَاثَلَـةِ الصَّـوْتِيَّةِ فِي خَطَّـيْنِ : أُفُقِيٍّ وَرَأْسِيٍّ .

[ب] التَّوَازِي الْبَعِيدِ « Far Parallelism»، وَهُوَ تَكْرَارُ بَيْتٍ فِي نِهَايَةِ الْقَصِيدَةِ سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي صَـدْرِهَا، أَوْ مَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ رَدَّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ بِمُسْتَوىٰ رَأْسِيٍّ ، حَيْثُ يَتِمُّ رَدُّ آخِرِ الْقَصِيدَةِ إِلَىٰ أَوَّلِهَا، أَوْ تَكْـرَارُ جُمْلَةٍ شِعْرِيَّةٍ عَبْرَ عِدَّةِ أَبْيَاتٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ بِمَـا يُشَـكِّلُ لَازِمَـةً مُوسِـيقِيَّةً يَـتَرَدَّدُ صَـدَاهَا فِي كُـلِّ مَرْحَلَـةٍ مِـنْ مَرَاحِلِ اللَّحْنِ.

وَبِذَا تَتَحَقَّقُ أَنْمَاطٌ عِدَّةٌ لِلتَّوَازِي الصَّوْتِيِّ فِي أَعْمَالِ الشَّـاعِرِ، وَمِـنْ ثَـمَّ نَقُـولُ إِنَّ التَّـوَازِي الصَّـوْتِيَّ هُـوَ المُكَوِّنُ الْأَسَاسِيُّ لِـلـهِنْدَسَةِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْقَصِيدَةِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِلْبَاحِثِ فِي بِنْيَةِ الْأَعْمَالِ الْأَدَبِيَّةِ خَاصَّـةً الشِّعْرِيَّةَ أَنْ يَغْفَلَ الصَّوْتَ وَمَصَادِرَهُ فِي تَكْرَارِ الحَرْفِ، أَوْ تَكْـرَارِ المُفْـرَدَةِ، أَوْ تَكْـرَارِ التَّرْكِيـبِ، بَـلْ عَلَيْـهِ أَنْ يَسْعَىٰ لِبَحْثِ أَثَرِ هَذَا التَّوَازِي فِي بِنْيَةِ النَّصِّ .

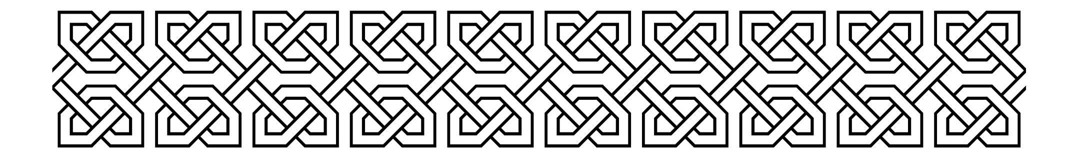
---

(1) محمد أحمد الطويل : الأسلوبية والخطاب الشعري ، الشريف الرضي نموذجًا ، ط. الهيئة العامـة لقصـور الثقافـة بمصر، سلسلة كتابات نقدية (158) ، ص187 .



الفصل الأول

التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوىٰ الحَرْفِ



الفصل الأول

التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوىٰ الحَرْفِ

(1/1) لَيْسَ النِّظَامُ اللُّغَوِيُّ ـ طِبْقًا لِسُوسِير ـ سِوَىٰ مَجْمَوعَةٍ مِنَ الْفَوَارِقِ الصَّوْتِيَّةِ المُتَآلِفَةِ مَعَ مَجْمُوعَةٍ أُخْرَىٰ مِنَ الْفَوَارِقِ الْفِكْرِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ المُقَابَلَةَ بَيْنَ عَدَدٍ مِنَ الرُّمُوزِ السَّمْعِيَّةِ وَعَدَدٍ آخَرَ مِنَ الْأَفْكَارِ يُوَلِّدُ نِظَامًا مِنَ الْقِيَمِ الخِلَافِيَّةِ، هَذَا النِّظَامُ هُوَ الَّذِي يُمَثِّلُ الرَّابِطَةَ الْفَاعِلَةَ بَيْنَ الْعَنَاصِرِ الصَّوْتِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ دَاخِلَ كُلِّ رَمْزٍ.[1]

وَيُعَدُّ الْفُونِيمُ « Phoneme » أَحَدَ أَصْغَرِ مُكَوِّنٍ لِلْكَلِمَةِ، [2]وَلِكُلِّ فُونِيمَ/حَرْفٍ سِمَاتٌ صَوْتِيَّةٌ يُنْتِجُهَا جِهَازُ النُّطْقِ، وَلَكِنَّنَا لَا نَتَكَلَّمُ أَصْوَاتًا مُفْرَدَةً أَوْ مُنْعَزِلَةً؛«إِذِ الْكَلَامُ الْإِنْسَانِيُّ مُكَوَّنٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْأَصْوَاتِ المُتَعَاقِبَةِ الُمتَشَابِكَةِ..وَلِذَا يَجِبُ عَلَيْنَا النَّظَرُ إِلىٰ الْأَصْوَاتِ فِي الْكَلَامِ الْفِعْلِيِّ، لَا النَّظَرُ إِلَيْهَا مُنْعَزِلَةً مُفْرَدَةً؛لِأَنَّ الْكَلَامَ الْفِعْلِيَّ هُوَ مَادَّةُ الدِّرَاسَةِ».[3]

وَهَذِهِ النَّظْرَةُ الشُّمُولِيَّةُ لِلْفُونِيمِ تَتَأَتَّىٰ حِينَ يَتَجَمَّعُ عَدَدٌ مِنَ الْأَصْوَاتِ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ مِنَ المُعْتَادِ فِي بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ، أَوْ مَقْطَعٍ مِنْ قَصِيدَةٍ، وَمِنْ ثَمَّ يُصْبِحُ الصُّوْتُ المنْبَعِثُ مِنَ الحَرْفِ وَالْكَلِمَةِ بِأَكْمَلِهَا حَامِلًا لِدِلَالَةٍ مَعْنَوِيَّةٍ يَسْعَىٰ نَحْوَهَا النَّصُّ، وَيَجْتَهِدُ المُبْدِعُ فِي ثَرَائِهَا وَغِنَاهَا، وَإِلَّا لِمَا جَاءَ بِهَا دُونَ غَيْرِهَا بِكَثَافَةٍ شَدِيدَةٍ فِي مَقْطَعٍ مِنْ قَصِيدَتِهِ أَوْ فِي الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا، «إِنَّ تَوْظِيفَ الْأَصْوَاتِ فِي الشِّعْرِ لَا يَقِفُ عِنْدَ حُدُودِ الجَرْسِ المُوسِيقِيِّ الخَارِجِيِّ، وَإِنَّمَا يُسْهِمُ بِالتَّدَاخُلِ فِي التَّشْكِيلِ الدِّلَالِيِّ».[4]

إِنَّ إِنْتَاجَ الصَّوْتِ فِي النَّصِّ الْأَدَبِيِّ عَمَلٌ لَا يُمْكِنُ تَنَاسِيهِ، فَاللُّغَةُ فِي مَقَامِهَا الْأَوَّلِ مَا هِيَ إِلَّا أَصْوَاتٌ ـ عَلَىٰ حَدِّ تَعْبِيرِ ابْنِ جِنِّي[5] ـ هَذِهِ الْأَصْوَاتُ تَحْمِلُ دَلَالَاتٍ مَعْنَوِيَّةً عَبْرَ مَسَارَاتٍ

---

(1) د. صلاح فضل : نظرية البنائية ، ص27 .

(2) د . صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 124، والمكون الثاني للكلمة هو الخطيم « **Grapheme** » وهو الحرف مكتوبًا .

(3) د. كمال بشر: علم اللغة العام ، القسم الثاني الأصوات ، ط . دار المعارف بمصر ، ط 2 ، 1982 ، ص 201 .

(4) د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب، ص 162 .

(5) ابن جني : الخصائص ، 34/1 .

تَرْكِيبِيَّةٍ أَوْ مُفْرَدَةٍ نَحْوَ المُتَلَقِّي مُسْتَهْلِكِ النَّصِّ، «إِنَّ اللُّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ لُغَةٌ شَاعِرَةٌ فِي تَقْسِيمِ حُرُوفِهَا فَهِيَ لُغَـةٌ إِنْسَـانِيَّةٌ نَاطِقَـةٌ يُسْـتَخْدَمُ فِيهَـا جَهَـازُ النُّطْـقِ الحَـيِّ أَحْسَـنَ اِسْـتِخْدَامٍ يُهْـدِي إِلَيْـهِ الافْتِتَـانُ فِي الْإِيقَـاعِ المُوسِيقِيِّ».[1]

وَإِذَا كَانَتِ المُؤَلَّفَاتُ المُوسِيقِيَّةُ تُبْدَعُ عَنْ طَرِيقِ تَنْظِيمِ اللُّغَـةِ الْإِيقَاعِيَّـةِ بَـيْنَ المُـدْرَكِ المُوسِـيقِيِّ ـ أَيِ اللَّحْنِ ـ وَبَيْنَ المُدْرَكِ الرَّأْسِي لهَا ـ أَيْ تَجْمِيـعِ الـنَّغْمَاتِ المُصَاحِبَةِ وَالَّتِـي نَعْرِفُهَا بِاسْـمِ الهَرْمُـونِي ـ[2] فَـإِنَّ المُؤَلَّفَاتِ الشِّعْرِيَّةَ تُبْدَعُ عَنْ طَرِيقِ تَعَانُقِ الصَّوْتِ بِالدِّلَالَةِ إِذْ إِنَّ «الْأَصْوَاتَ تَابِعَةٌ لِلْمَعَانِي ، فَمَتَـىٰ قَوِيَـتْ قَوِيَتْ ، وَمَتَىٰ ضَعُفَتْ ضَعُفَتْ».[3]

لَقَدْ وَقَفَ الْعَرُوضُ عِنْدَ مُجَرَّدِ تَقْسِيمِ الْبَيْتِ إِلَىٰ حَرَكَاتٍ وَسَـكَنَاتٍ غَـافِلًا عَـنْ قِيمَـةِ الصَّـوْتِ المُفْـرَدِ وَإِنْتَاجِهِ لِلدِّلَالَةِ،[4] وَمِنْ ثَمَّ يَتَّجِهُ هَذَا الْفَصْـلُ إِلَىٰ دِرَاسَـةِ التَّكْـرَارِ الْفُـونِيمِي« Phonematic Recurrence » بِوَصْفِهِ مُمَثِّلًا لِلتَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الحَرْفِ لِلْكَشْفِ عَنْ قِيمَةِ الصَّوْتِ الُمفَـرِدِ فِي مِسَـاحَتِهِ الصَّـوْتِيَّةِ وَمُدَّتِهِ الزَّمَنِيَّةِ وَعَلَاقَتِهِ بِمَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ، وَمَا يُنْتِجُهُ مِنْ دِلَالَةٍ، وَهِيَ قِيمٌ وَقَفَ دُونَهَا الْعَرُوضُ مُكْتَفِيًا بِالتَّقْطِيعِ الصَّوْتِيِّ إِلَىٰ حَرَكَاتٍ وَسَكَنَاتٍ.

(2/1) فِي قَصِيدَةِ «الْكَأْسُ المسْمُومَةُ»[5] ، يَقُولُ «قُطْب» :

أَقْـلَاكِ أَقْلَاكِ كَالشَّيْطَانِ أَقْلَاكِ	أَقْـلَاكِ كَـالسُّمِّ يَسْرِي جَـدَّ فَتَّاكِ
أَقْـلَاكِ إِنَّـكِ فِي نَفْـسِي وَفِي زَمَـنِي	وَفِي حَـيَاتِيَ أَفْـعَـىٰ ذَاتُ أَشْـوَاكِ
سَمَّمْتِ عَيْشِي وَأَحْلَامِي وَأَخْيِلَتِي	وَأَنْتِ شَـيْـطَانَةٌ فِي سَمْتِ أَمْلَاكِ
وَعِـشْتُ أَرْعَاكِ فِي قَلْبِي وَأَنْتِ بِلَا	قَـلْبٍ يُحِسُّ وَيَرْعَىٰ كَيْفَ يَرْعَاكِ
مَـنْ أَنْتِ؟ مَـا أَنْتِ؟ إِنِّي حَائِرٌ قَلِقٌ	أَأَنْـتِ أُسْـطُورَةٌ فِي سِـفْرِ أَفَّاكِ
أَنْـسَىٰ اللَّيَالِي الَّـتِي قَضَيْتُهَا قَلِقَا	وَأَنْـتِ سَـــاكِنَةٌ رَاضٍ مُـحَـيَّاكِ

(1) عباس محمود العقاد : اللغة الشاعرة ، ط. مكتبة غريب ، القاهرة (د.ت) ، ص 14 .

(2) عواطف عبد الكريم: تعدد التصويت في الموسيقىٰ ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع 2 ، 1985 ، ص 100 .

(3) ابن جني : المحتسب ، 210/2 .

(4) انظر د . مدحت الجيار: موسيقىٰ الشعر العربيّ ، ط. دار النديم للصحافة والنشر ، ط .2 ، 1994 ، ص 17 .

(5) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 17 .

أَنْـسَىٰ الدُّمُوعَ الَّتِي أَرْسَلْتُهَا غَدَقًا	وَلَسْـتُ لَوْلَا هَوَاكِ الْـمُرِّ بِالْبَاكِي
وَكِـبْرِيَائِي الَّتِي مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا	مِــنْ قَبْـلُ أَوْ بَعْدُ فِي دُنْيَايَ لَوْلَاكِ
أَنْـسَىٰ وَأَذْكُـرُ أَحْـلَامِي وَأَخْيِلَتِي	كَــأَنَّــهُـنَّ نُـجُــومٌ بَـيْنَ أَحْلَاكِ
وَكُــلُّـهُـنَّ نَسِيجُ الْوَهْمِ فِي خَلَدِي	وَلَسْــنَ غَـيْرَ أَحَــابِيلٍ وَأَشْوَاكِ

لَعَلَّ أَهَمَّ مَا يُمْكِنُ مُلَاحَظَتُهُ فِي النَّصِّ السَّابِقِ التَّكْثِيفُ الصَّوْتِيُّ لحَرْفِ الْكَافِ، الَّذِي تَكَرَّرَ 27 مَرَّةً مِنْهَا 10 مَرَّاتٍ فَقَطْ رَوِيًّا ، وَ17 مَـرَّةً فِي الحَشْـوِ، وَيُمَثِّـلُ الْبَيْـتُ الْأَوَّلُ فَقَـطْ طَلْقَـةً أُولَىٰ مِـنْ مِدْفَعِيَّـةِ الانْفِجَـارِ النَّفْسِيِّ؛إِذْ وَرَدَ فِيهِ هُوَ فَسَحْبُ 7 مَرَّاتٍ فِي الْوَحْدَاتِ الصَّوْتِيَّةِ : «أَفْلَاكِ» (أَرْبَـعَ مَـرَّاتٍ) ـ «كَالشَّـيْطَانِ» ـ «كَالسُّمِّ» ـ «فَتَّاكِ» ، وَهُوَ تَكْثِيفٌ لَمْ يَتَكَرَّرْ فِي أَيِّ بَيْتٍ آخَـرَ، مِـمَّا يُنَبِّـأُ عَـنْ تَيَـارٍ دِلَالِيٍّ بَـاطِنِيٍّ يَتَمَثَّـلُ فِي انْفِجَارٍ شُعُورِيٍّ فِي وَجْهِ مُتَلَقِّي الرِّسَالَةِ وَهُوَ المرْأَةُ المكْرُوهَةُ.

صَوْتُ الْكَافِ مِنَ الْأَصْوَاتِ الانْفِجَارِيَّةِ، يَتَأَتَّىٰ مِنْ حَبْسِ النَّفَسِ ثُمَّ تَسْرِيحُهُ فَجْأَةً بِقُوَّةٍ ، وَهُوَ يَأْخُـذُ عَلَىٰ الْإِسْبكتْرُوجِرَاف صُورَةَ فَرْقَعَةٍ تَتَرَاوَحُ قُوَّتُهَا مَعَ الْكَسْرَةِ بِنَوْعَيْهَـا ـ الْقَصِـيرَةِ وَالطَّوِيلَـةِ ـ مَـا بَـيْنَ 2500 ـ 3000 د /ث.[1]

وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَإِنَّ الطَّلْقَةَ الْأُولَىٰ مِنْ مِدْفَعِيَّةِ الْكُرْهِ الْكَثِيفِ جَاءَتْ مُحَمَّلَةً بِكُلِّ دِلَالَاتِ الانْفِجَارِ النَّفْسِيِّ بَعْدَ كَبْتٍ شُعُورِيٍّ دَامَ طَوِيلًا، كَانَ عَلَىٰ أَثَرِهِ هَذَا التَّكْثِيفُ الصَّوْتِيُّ وَمَا اكْتَنَفَهُ مِنْ تَكْثِيفٍ تَصْوِيرِيٍّ فِي بِنْيَتَي التَّشْبِيهِ المُجْمَلِ : «كَالشَّيْطَانِ» ـ «كَالسُّمِّ» .

لَقَدْ كَرِهَ الشَّاعِرُ هَذِهِ المرْأَةَ الْأَفَعَىٰ كُرْهًا بَالَغَ كُلَّ وَصْفٍ، الْأَمْرُ الَّذِي جَعَلَـهُ يُكَـرِّرُ الْوَحْـدَةَ الصَّـوْتِيَّةَ «أَفْلَاكِ»(/٥/٥/) أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ وَمَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَهُوَ تَكْثِيفٌ يَعْكِسُ حَجْـمَ الْكُـرْهِ ؛ إِذْ إِنَّ لِكُلِّ فِعْلٍ رَدَّ فَعْلٍ.

وَإِذَا مَا حَاوَلْنَا اِسْتِنْطَاقَ صَوْتِ الْكَافِ أَكْثَرَ سَوْفَ نَجِدُ أَنَّ صِفَةَ الاحْتِكَاكِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِهَـا تُفْرِزُ دَلَالَةَ الخُشُونَةِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَهِيَ خُشُونَةٌ تُحَاكِي صَوْتَ اِحْتِكَـاكِ الخَشَـبِ بِالخَشَـبِ،[2] وَعَلَىٰ هَذَا فَإِنَّ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَهَذِهِ المرْأَةِ المكْرُوهَةِ قَـدْ أَضْـحَتْ عَلَاقَـةً مُتَخَشِّـبَةً، عَلَاقَـةَ

(1) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 54 .

(2) انظر : حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 68 .

مُخَاشَنَةٍ لَا مُلَاطَفَةٍ، نُفُورٍ لَا قُرْبٍ، مَشَاعِرِ حُبٍّ مَيِّتَةٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ تَخَشَّبَ قَلْبَاهُمَا

َشْتَرِكُ صَوْتُ الْقَافِ مَعَ الْكَافِ فِي الْبِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ الدِّلَالِيَّةِ فِي النَّصِّ السَّابِقِ؛إِذْ تَكَرَّرَ 13 مَـرَّةً فِي حَشْـوِ الْأَبْيَاتِ.وَصَوْتُ الْقافِ يَتَأَتَّىٰ مِنْ مِنْطَقَةٍ بَعْدَ مِنْطَقَةِ الْكَافِ فِي الحَلْقِ، فَهُوَ مِنْ أَقْصَىٰ الحَنَكِ اللَّحْمِـيِّ، بَيـنْمَا الْكَافُ مِنْ أَقْصَىٰ الحَنَكِ الْعَظْمِيِّ، وَمَعَ هَذَا تَرَىٰ أَنَّ صِفَةَ الْوَقْفِ « Stop» صِفَةٌ جَامِعَةٌ لهُمَا، إِذْ إِنَّ كِـلَا الحَرْفَيْنِ يَكَوِّنُ قُفْلًا فِي الحَلْقِ، حَيْثُ يَقِفُ تَيَارُ الهَوَاءِ الُمنَدِفعِ لِأَعْلَىٰ ثُمَّ يَنْفَرِجُ قَوِيًّـا، فَلَـيْسَ غَرِيبًـا ـ إِذَنْ ـ أَنْ نَجِدَ لهذَيْنِ الحَرْفَيْنِ حُضُورًا فِي بِنْيَةِ الـنَّصِّ وَبِمَـا أَنَّهُـمَا مِـنْ أَقْصَىٰ الحَنَـكِ فَهُـمَا يَضْـغَطَانِ عَـلَىٰ الحَلْـقِ، فَيُشْعِرَانِ النَّاطِقَ بِأَنَّ ثَمَّةَ نُتُوءًا صَوْتِيًّا يَعْـتَرِضُ الحَلْـقَ مِـمَّا يُسَـبِّبُ حَالَـةً مِـنَ الانْغِـلَاقِ الَّـذِي يُفْـرِزُ دِلَالَـةَ الاخْتِنَاقِ والحَنَقِ، وَهُما دِلَالَتَانِ حَاضِرَتَانِ فِي النَّصِّ بِقُوَّةٍ :

حَاضِرَتَانِ فِي الْبِنَىٰ التَّشْبِيهِيَّةِ الْأُخْرَىٰ فِي النَّصِّ:

ـ إِنَّكِ فِي نَفْسِي وَفِي زَمَنِي وَفِي حَيَاتِي أَفْعَىٰ .

ـ وَأَنْتِ شَيْطَانَةٌ.وَهِيَ بِنْيَةُ تَشْبِيهٍ بَلِيغٍ بَعْدَ بِنْيَةِ التَّشْبِيهِ المُجْمَلِ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ .

ـ وَلَسْنَ غَيْرَ أَحَابِيلٍ وَأَشْوَاكِ .

وَحَاضِرَتَانِ أَيْضًا فِي الْبِنَىٰ الاسْتِعَارِيَّةِ :

ـ سَمَّمْتِ عَيْشِي وَأَحْلَامِي وَأَخْيِلَتِي .

ـ وَكِبْرِيَائِي مَا كُنْتُ أَخْفِضُهَا .. فِي دُنْيَايَ لَوْلَاكِ.

وَحَاضِرَتَانِ أَيْضًا فِي الْأَسَالِيبِ الخَبَرِيَّةِ :

ـ إِنِّي حَائِرٌ قَلِقٌ .

ـ أَنْتِ بِلَا قَلْبٍ يُحِسُّ .

وَحَاضِرَتَانِ فِي الْأَسَالِيبِ الْإِنْشَائِيَّةِ أَيْضًا :

ـ أَأَنْتِ أُسْطَورَةٌ فِي سِفْرِ أَفَّاكِ ؟

ـ مَنْ أَنْتِ ؟ مَا أَنْتِ ؟ وَهُمَا اِسْتِفْهَامَانِ يَعْكِسَانِ ضِيقًا وَحَنَقًا، مِـمَّا جَعَلَـهُ يَسْـأَلُ عَنْهَـا بِالاسْـمِ المُسْـتَخْدَمِ لِلْعَاقِـلِ وَالاسْـمِ المُسْـتَخْدَمِ لِغَـيْرِ الْعَاقِـلِ، فِي إِشَـارَةٍ إِلَىٰ خُشُـونَةِ الْعَلَاقَـةِ

وَالمشَاعِرِ الَّتِي تَخَشَّبَتْ .وَهَذَا مِنْ دِلَالَةِ الْكَافِ الاِحْتِكَاكِيَّةِ .

لَقَدْ شَكَّلَ صَوْتَا الْكَافِ وَالْقَافِ نَسِيجًا صَوْتِيًّا أَبْرَزَ دَلَالَتَيْ: تَخَشُّبِ المَشَاعِرِ وَالْكُرْهِ وَالحَنَقِ وَالضِّيقِ، وَقد أَلْقَيَتَا بِدَلَالَاتِهِما عَلَىٰ مُسْتَوَيَاتِ النَّصِّ الُمخْتَلِفَةِ، وَجَعَلَانَا نَزْدَادُ اقْتِنَاعًا ـ بِمَا لَا يَـتْرُكُ مَجَالًا لِلشَّـكِّ ـ فِي كُرْهِ الشَّاعِرِ لِتِلْكَ المرْأَةِ ، الَّتِي أَسْقَتْهُ الْكَأْسَ المسْمُومَةَ فِي الحَيَاةِ .

(3/1) فِي قَصِيدَةِ «بِيَانُو وَقَلْبٌ»[1] ، يَقُولُ «قُطْب» :

هُــوَ قَـلْبٌ لَـمَسْتِهِ ، أَمْ بِيَانُهْ	فَتَنَـادَتْ مِـنْ جَـوْفِهِ أَلْحَانُهْ
هُـوَ قَلْبِي أَجَلْ فَهَـٰذِي الْأَغَانِي	هُـوَ يَشْـدُو بِهَا وَذَا تَـحْنَـانُهْ
أَمْ تَــرَاهُ كَـمَا أَرْجُـو فُـؤَادٌ	بَيْنَ جَـنْـبَـيْكِ مُـلْهَمٌ خَفَقَانُهْ
فَتَلَاقَىٰ الْقَلْبَانِ فِي ذَلِكَ اللَّحْــ	ـنِ وَحَــاكَـتْ خَفْقَاتِهَا أَوْزَانُهْ
وَتَرَاءَىٰ فِي اللَّحْنِ طَيْفُ الْأَمَانِي	مُـطْبَــقَاتٌ عَلَىٰ الرُّؤَىٰ أَجْفَانُهْ
لَـحْنِي أَنْتِ خَـفَـقَ قَلْبِي نَشِيدًا	أَنْتِ أَدْرَىٰ بِـمَا حَـوَىٰ وِجْدَانُهْ
وَالْـمِسِي قَلْبِي بِالحَنَانِ وَيَشْـدُو	مِثْلَمَا تَلْمِسُ الْبَنَـانُ «الْبِـيَـانُهْ»
بَــلْ فُــؤَادِي مُـلَحِّنٌ عَـبْقَرِيٌّ	لَـحْنُـهُ مِـنْـهُ قَـطْـعَـةٌ وَبَنَانُهْ
أَلْـهِـمِيـهِ النَّشِيـدَ وَهْــوَ يُغَنِّي	لَكِ وَادِي الـخُلُودِ سَامٍ حَنَانُهْ
أَلْـهِـمِيـهِ النَّشِيـدَ وَهْــوَ يُجَلِّي	لَكِ وادي الـخُلُودِ زُهْرٌ جِنَانُهْ
أَطْـلِـقِيهِ مِــنَ الْقُيُـودِ بِلَـحْنٍ	قَـدْ تَسَامَىٰ عَلَىٰ الْقُيُودِ افْتِنَانُهْ
وَدِّعِــيــهِ يَـطِــرْ دُونَ جَنَاحٍ	غَــيْـــرَ حُــبٍّ يَـزِيدُهُ طَيَرَانُهْ

يُمَثِّلُ صَوْتُ النُّونِ أَيْقُونَةً صَوْتِيَّةً فِي هَذَا النَّصِّ، لَيْسَ فَقَطْ لِمجِـيءِ رَوِيُّـهُ مِنْـهُ؛بَلْ مِـنْ تِكْـرَارِ صَـوْتِ النُّــونِ 40 مَـرَّةً مِنْهَـا 12 مَـرَّةً فَقَـطْ رَوِيًّـا لِلْأَبْيَـاتِ، وَإِذَا مَـا أَضَـفْنَا النُّـونَ السَّـاكِنَةَ فِي حَرَكَـةِ تَنْـوِينِ الْكَلِمَاتِ:«قَلْبٌ» ـ «فُؤَادٌ» ـ «مُطْبَقَاتٌ» ـ «مُلَحِّنٌ» ـ «نَشِيدًا» ـ«عَبْقَرِيٌّ» ـ «سَامٍ» ـ «زُهْـرٌ» ــ «بِلَحْـنٍ» ــ «حُبٍّ» فَسَوْفَ يَصِلُ تَكْرَارُ صَوْتِ النُّونِ إِلَىٰ خَمْسِينَ مَرَّةً فِي النَّصِّ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَثَّلَ صَوْتُ النُّـونِ أَيْقُونَـةً صَوْتِيَّةً تَحْمِلُ دَلَالَةً مَعْنَوِيَّةً مَا .

(1) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 165 .

وَإِذَا مَا نَظَرْنَا إِلَىٰ مِيكَانِيكِيَّةِ صَوْتِ النُّونِ فَسَوْفَ نَجِدُ أَنَّهُ حَرْفٌ أَغَنُّ ـ أَيْ يَحْمِلُ الْغُنَّةَ ـ الَّتِي تَتَخَلَّقُ فِي الْأَنْف مُحْدِثَةً اِهْتِزَازًا فِي التَّجْوِيفِ الْأَنْفِيِّ، وَهَذَا الاهْتِزَازُ وَتِلْكَ الْغُنَّةُ هُمَا أَهَمُّ مَا يُمَيِّزُ صَوْتَ آلَةِ الْبِيَانُو، الَّذِي تَصْدُرُ نَغْمَتُهُ الصَّوْتِيَّةُ مِنْ خِلَالِ اِهْتِزَازِ ثَلَاثَةِ أَوْتَارٍ مَشْدُودَةٍ عَلَىٰ نَفْسِ التَّرَدُّدِ الصَّوْتِيِّ لِلْمَفَاتِيحِ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنِ آلَةِ الْقَانُونِ الْعَرَبِيِّ، وَمِنْ ثَمَّ يَقِفُ صَوْتُ النُّونِ مُعَادِلًا نَغْمِيًّا لِصَوْتِ آلَةِ الْبِيَانُو، تِلْك الْآلَةُ الَّتِي جَعَلَ الشَّاعِرُ مِنْهَا صُورَةً مُجسَّدَةً لِقَلْبِهِ الَّذِي تَلْمِسُهُ الحَبِيبَةُ بِأَنَامِلِهَا .

أَمَّا عَنْ إِيحَاءِ صَوْتِ النُّونِ ، فَإِنَّهُ يُمَثِّلُ صَوْتَ الرِّقَّةِ وَالجَمَالِ وَالْأَنَاقَةِ ، كَمَا أَنَّهُ مِنْ أَصْلَحِ الْأَصْوَاتِ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْأَلَمِ وَالخُشُوعِ ؛ نَظَرًا لِخُرُوجِهِ مِنْ صَمِيمِ التَّجْوِيفِ الْأَنْفِي، [(1)] وَهَذَا الْإِيحَاءُ إِذَا مَا قُورِنَ بِصَوْتِ الْبِيَانُو نَجِدَهُ إِيحَاءً مُطَابِقًا؛ إِذْ إِنَّ كَلِمَةَ بِيَانُو ـ أَصْلًا ـ كَلِمَةٌ إِيطَالِيَّةٌ مَعْنَاهَا لَيِّنٌ أَوْ رَقِيقٌ، [(2)] نَظَرًا لِما يَبْعَثُهُ صَوْتُ الْبِيَانُو فِي النَّفْسِ مِنْ رَهَافَةٍ وَجَمَالٍ، كَمَا أَنَّ الْأَعْمَالَ المُوسِيقِيَّةَ لِلْبِيَانُو تَكْتَسِي ثَوْبَ الطَّلَاوَةِ وَالْأَنَاقَةِ وَالجَمَالِ مِمَّا جَعَلَهُ آلَةً مُوسِيقِيَّةً يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ المُوسِيقِيِّينَ العَالمِيِّينَ فِي أَعْمَالِهِمُ الخَالِدَةِ فِي ذَاكِرَةِ الْفَنِّ أَمْثَالِ«مُوتْسَارت»و«بِيتْهُوفِن» [(3)] و«شُوبَان»و«لِيسْت».[(4)] وَعَلَىٰ هَذا يُمَثِّلُ صَوْتُ النُّونِ فِي النَّصِّ نَغْمَ الْبِيَانُو عَلَىٰ المسْتَوَيَيْنِ : الحَرَكِيِّ، حَيْثُ اِهْتِزَازِ صَوْتِ النُّونِ فِي التَّجْوِيفِ الْأَنْفِيِّ يُوَازِي اِهْتِزَازَ الْأَوْتَارِ الثَّلَاثَةِ المشْدُودَةِ أَسْفَلَ كُلِّ مِفْتَاحٍ مِنَ الْبِيَانُو.وَالْإِيحَائِيِّ، حَيْثُ يُوحِي صَوْتُ الْبِيَانُو بِالرِّقَّةِ وَالجَمَالِ، كَمَا يُوحِي صَوْتُ النُّونِ ـ مِنْ ضِمْنِ إِيحَاءَاتِهِ ـ بِالرِّقَّةِ وَالجَمَالِ وَالْعُذُوبَةِ المَمْزُوجَةِ بِالْأَلَمِ وَالشَّجَنِ.

يَرْتَسِمُ وَجْهُ دِلَالَةِ صَوْتِ النُّونِ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ مِنْ خِلَالِ كَلِمَاتٍ تُعَبِّرُ عَنِ الرِّقَّةِ المَمْزُوجَةِ بِالشَّجَنِ وَتَبَارِيحِ الْعِشْقِ، مِثْل:«قَلْبٌ» ـ «أَلحَانُهُ» ـ «الْأَغَانِي» ـ «الْقَلبَانِ» ـ «فُؤَادٌ» ـ «جَنْبَيْكِ» ـ «حَنَانُهُ» ـ «تَحْنَانُهُ» ـ «خَفَقَانُهُ» ـ «حُبٌّ» . . .إلخ

وَقَدْ أَلْقَىٰ الطَّابِعُ المُوسِيقِيُّ لِلنَّصِّ عَلَىٰ جَانِبٍ مِنْ تَشْكِيلِهِ اللُّغَوِيِّ، فَظَهَرَ فِي الْبَيْتَيْنِ التَّاسِعِ وَالْعَاشِرِ تَوَازٍ صَوْتِيٌّ مَنْشَؤُهُ التَّوَازِي النَّحْوِيِّ بِالْأُسْلُوبِ الرَّأْسِيِّ، حَيْثُ إِنَّ كِلَا الْبَيْتَيْنِ قَدْ رُكِّبَ تَرْكِيبًا نَحْوِيًّا وَاحِدًا، وَقُسِّمَ تَقْسِيمًا مُتَوَازِيًا بِمَا يُشَابِهُ المَازُورَةَ المُوسِيقِيَّةَ بِمَقَايِيسِهَا

(1) انظر : حسن عباس : خصائص الحروف العربية ومعانيها ، ص 158 ، 162 .

(2) انظر :بحث «بيانو »علىٰ الموسوعة الحرة ويكيبديا .

(3) استمع مثلا إلىٰ «كونشيرتو » البيانو في مطلع السيمفونية السابعة له .

(4)انظر : بحث «بيانو »علىٰ الموسوعة الحرة ويكيبديا .

المُحَدَّدَةِ:

أَلْهِمِيهِ النـ	نَشِيـدَ وَهْـ	ـوَ يُغَنِّي	لَكِ وَادِي الْـ	خُلُودِ سا	مٍ حَنَانُهْ
أَلْهِمِيهِ النـ	نَشِيـدَ وَهْـ	ـوَ يُجَلِّي	لَكِ وادي الْـ	خُلُودِ زُهْـ	رٌ جِنَانُهْ

فِي إِشَارَةٍ صَوْتِيَّةٍ إِلَىٰ سَيْطَرَةِ اللَّحْنِ الصَّوْتِيِّ لِلْبِيَانُو عَلَىٰ الوِجْدَانِ فِي هَذَا النَّصِّ، وَبِمَا يُوحِي ـ دِلَالِيًّا ـ بِحَالَةِ حُزْنٍ رُومَانْسِيٍّ، يَعِيشُ فِيهَا فِي جِنَانِ المحْبُوبِ يَسْتَقِي مِنْ حَنَانِهِ، وَيَنْشُقُ مِنْ عَبِيرِ أَلحَانِهِ، هَارِبًا مِنْ دَمَامَةِ الْعَالَمِ وَقَسْوَتِهِ .

إِنَّ صَوْتَ النُّونِ بِرَنِينِهِ الضَّعِيفِ[1] مَثَّلَ صَوْتَ الْبِيَانُو بِرِقَّتِهِ وَلِينِهِ وَعُذُوبَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ مَثَّلَ حَالَةَ الحُزْنِ الرُّوَمَانْسِيِّ الَّتِي أَنْعَشَتْ وِجْدَانَ الشَّاعِرِ.

(4/1) فِي المَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنْ قَصِيدَةِ «خَبِيئَةُ نَفْسِي»[2]، يَقُولُ:

خَبِيئَةَ نَفْسِي قَدْ غَفَا الْكَوْنُ فَاسْفِرِي   وَكُونِي سَمِيرِي بَعْدَ أَنْ نَامَ سُمَّرِي
سَهَا الدَّهْرُ وَالْأَقْدَارُ رَنَّقَهَا الْكَرَىٰ   وَهَــوَّمَ فِي جَوْفِ الدُّجَىٰ رُوحُ خَيِّرِ
يَطِيفُ عَلَىٰ الْعَانِينَ بِالْعَطْفِ وَالرِّضَا   وَيَغْـمُرُ بِالْإِغْفَاءِ رَأْسَ مُفَكِّرِ
وَيَنْتَظِمُ الـدُّنْيَا هُدُوءًا كَأَنَّهَا   عَـوَالِمُ فِي وَادِي الْمُنَىٰ لَمْ تُصَوَّرِ
فَلَا صَوْتَ إِلَّا خَفْقَةٌ مِنْ جَوَانِحٍ   كَمَا خَفَقَتْ لِلضَّوْءِ عَيْنُ الْمُصَوِّرِ
وَلَمْ يَبْقَ مِــنْ تِلْكَ الْحَيَاةِ وَأَهْلِهَا   سِوَىٰ طَيْفِهَا السَّارِي بِوَادِي التَّذَكُّرِ

فِي هَذَا المقْطَعِ مِنَ الْقَصِيدَةِ تُشَكِّلُ مَجْمُوعَةُ أَصْوَاتِ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ[3] شَبَكَةً صَوْتِيَّةً مُتَوَازِيَةَ التَّوْزِيعِ الْفَنِيِّ فِيمَا بَيْنَهَا، حَيْثُ مَثَّلَتْ جَوًّا هَادِئًا هَامِسًا، مُنَاسِبًا لمِوْقِفِ النَّجْوَىٰ أَوْ حَدِيثِ النَّفْسِ لِلنَّفْسِ، فَالشَّاعِرُ يَسْتَدْعِي خَبِيئَةَ نَفْسِهِ يُحَدِّثُهَا وَيُحَاوِرُهَا وَيُحَاوِلُ أَنْ يَتَعَرَّفَ كُنْهَهَا، كُلُّ ذَلِكَ فِي إِطَارِ حِوَارٍ دَاخِلِيٍّ أَدَّتْهُ الحُرُوفُ المهْمُوسَةُ أَدَاءً فَنِّيًّا مُتَمَيِّزًا.

فَفِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ يَتِمُّ اسْتِدْعَاءُ النَّفْسِ بِالنِّدَاءِ المحْذُوفِ الْأَدَاةِ؛وَذَلِكَ لِقُرْبِ المُسْتَدْعَىٰ

(1) انظر : الفقرة (3/3) من الباب الثاني .
(2) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 130 .
(3) الأصوات المهموسة اثنا عشر صوتا : ت ـ ث ـ ح ـ خ ـ س ـ ش ـ ص ـ ط ـ ف ـ ق ـ ك ـ هـ . انظر : د . إبراهيم أنيس : الأصوات اللغوية ، ص 22 .

مِنَ الشَّاعِرِ، وَمِنْ ثَمَّ تَتَحَدَّدُ دَرَجَةُ الصَّوْتِ فِي الحِوَارِ وَهِيَ دَرَجَةٌ مَهْمُوسَةٌ سَيْطَرَ عَلَيْهَا 13 صَوْتًا مِنَ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ تَمَثَّلَتْ فِي وَحْدَاتٍ صَوْتِيَّةٍ مَثَّلَتْ رَكَائِزَ الْقَصِيدَةِ، مِثْلُ:

ـ «خَيِبَةَ نَفْسِي»: اِسْتِدْعَاءٌ لَطِيفٌ مَهْمُوسٌ لِطَرَفِ الحِوَارِ الْآخَرِ.كَثَّفَ مِنْ دَرَجَةِ هَمْسِهِ وُجُودُ أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ مَهْمُوسَةٍ هي:الخَاءُ وَالتَّاءُ وَالْفَاءُ وَالسِّينُ .

ـ «فَاسْفِرِي»:جُمْلَةُ جَوَابِ النِّدَاءِ وَالْغَرَضِ مِنَ الاسْتِدْعَاءِ، وَالَّتِي عَلَيْهَا امْتِدَادُ الْقَصِيدَةِ فِيمَا بَعْدُ، وَهِيَ جُمْلَةٌ مَهْمُوسَةٌ، بَدَأَتْ بِالْفَاءِ ثُمَّ السِّينِ ثُمَّ الْفَاءِ مَرَّةً أُخْرَىٰ .

يَتَقَدَّمُ الْأَدَاءُ الصَّوْتِيُّ المُتَوَازِي عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الحَرْفِ خُطْوَةً فِي الظُّهُورِ مِنْ خِلَالِ المقْطَعِ السَّابِقِ حِينَ يَأْتِي الْبَيْتُ الثَّانِي بِعَدَدِ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ الْقَرِيبِ مِنَ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ، حَيْثُ شَكَّلَ 12 صَوْتًا مَهْمُوسًا بِنْيَتَهُ اللُّغَوِيَّةَ، بَدَأَتْ أَيْضًا بِالحَرْفِ المهْمُوسِ السِّينِ، وَظَلَّتِ الْأَصْوَاتُ المهْمُوسَةُ فِيهِ تُمَثِّلُ عَالَمًا مِنَ الهُدُوءِ يَتَنَاسَبُ مَعَ حِوَارِ النَّفْسِ وَالتَّنَاجِي مَعَهَا، يَرْصُدُ هَذَا الْبَيْتُ بِحُرُوفِهِ المهْمُوسَةِ إِطَارًا خَارِجِيًّا لِلْحِوَارِ، وَهُوَ وَقْتُ السُّكُونِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ.وَهُوَ إِطَارٌ يَلُفُّهُ الهُدُوءُ، يَتَمَثَّلُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ وَحْدَاتٍ صَوْتِيَّةٍ مِثْلِ :

ـ «سَهَا الدَّهْرُ»:غَفَا، وَمَالَ إِلَىٰ السُّكُونِ، وَنُلَاحِظُ الحُرُوفَ المهْمُوسَةَ تَتَصَدَّرُ الْبَيْتَ حَيْثُ السِّينِ وَالهَاءِ، ثُمَّ الهَاءُ مَرَّةً أُخْرَىٰ .

ـ «رَنَّقَهَا الْكَرَىٰ»:أَتْعَبَهَا النَّوْمُ فَمَالَتْ إِلَىٰ الرَّاحَةِ وَالدِّعَةِ، مِمَّا يُنْتِجُ دَلَالَةَ السُّكُونِ وَالهُدُوءِ. مَعَ مُلَاحَظَةِ الْأَحْرُفِ المهْمُوسَةِ : الْقَافِ وَالهَاءِ وَالْكَافِ .

ـ «هَوَّمَ جَوْفُ الدُّجَىٰ» :مَالَ إِلَىٰ الهُدُوءِ فِي قَلْبِ الظَّلَامِ تَمْهِيدًا لِجَوٍّ مَشْحُونٍ مِنَ الهُدُوءِ.

ثُمَّ يَأْتِي الْبَيْتَانِ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ بِأَقَلِّ عَدَدٍ مِنَ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ؛لَكِنَّهُ عَدَدٌ مُتَقَارِبٌ فِيمَا بَيْنَهُمَا حَيْثُ جَاءَ الثَّالِثُ بِتِسْعَةِ أَحْرُفٍ وَالرَّابِعُ بِسَبْعَةِ أَحْرُفٍ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ نَبْرَةَ الحِوَارِ قَدْ سَيْطَرَ عَلَيْها جَانِبُ الجَهْرِ؛ذَلِكَ لِأَنَّهُ انْتَقَلَ إِلَىٰ رَصْدِ عَنَاصِرَ مِنْ الْعَالَمِ الخَارِجِيِّ، أَيْ إِنَّ دَائِرَةَ الْإِطَارِ الخَارِجِيِّ لِلْمَشْهَدِ قَدِ اتَّسَعَتْ لِتَشْمَلَ «الْعَانِينَ»، و«الدُّنْيَا»، وَبِاتِّسَاعِ الْإِطَارِ لِيَشْمَلَ عَنَاصِرَ أُخْرَىٰ غَيْرَ الشَّاعِرِ وَنَفْسِهِ تَزْدَادَ حُرُوفُ الجَهْرِ عَلَىٰ حُرُوفِ الهَمْسِ فِي الْبَيْتَيْنِ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ هِيَ مُعَادِلٌ صَوْتِيٌّ لِلصَّخْبِ الَّذِي يُمَثِّلُهُ «الْعَانُونَ» وَالْعَنَاصِرُ الْأُخْرَىٰ فِي الدُّنْيَا .

يَأْتِي الْبَيْتُ الخَامِسُ حَامِلًا 14 صَوْتًا مَهْمُوسًا ، وَهذا الْعَدَدُ مِنَ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ الَّذِي

لَمْ يَحْمِلْهُ أَيُّ بَيْتٍ مِنَ الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ، وَقَدْ مَثَّلَ انْحِصَارَ الحِوَارِ بَيْنَ الشَّاعِرِ وَنَفْسِهِ أَيْ إِنَّ الدَّائِرَةَ الشُّعُورِيَّةَ أَخَذَتْ تَنْغَلِقُ عَلَىٰ طَرَفَيِ الحَدَثِ الْوِجْدَانِيِّ الشَّاعِرِ وَنَفْسِهِ، وَلَعَلَّ هَذَا الْعَدَدَ مِنَ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ قَدْ نَاسَبَ دَلَالَةَ الْبَيْتِ بِوُضُوحٍ؛إِذْ إِنَّ الْبَيْتَ يَبْدَأُ بِقَوْلِهِ:«فَلَا صَوْتَ»، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَىٰ صَمْتِ الْعَالَمِ الخَارِجِيِّ، وَيَتَحَدَّدُ انْغِلَاقُ الدَّائِرَةِ الشُّعُورِيَّةِ فِي قَوْلِهِ : «إِلَّا خَفْقَةٌ فِي الجَوَانِحِ»، فَالحِوَارُ الدَّاخِلِيُّ حِوَارٌ فِي الجَوَانِحِ لَا يَتَجَاوَزُ الْعَالَمِ الخَارِجِيَّ، هَذَا مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْوَحدَةُ الصَّوْتِيَّةُ «خَفْقَةٌ» الَّتِي جَاءَتْ بِنْيَتُهَا التَّرْكِيبِيَّةُ كُلُّهَا بِأَصْوَاتٍ مَهْمُوسَةٍ، كَذَا جَاءَتْ الْوَحْدَةُ الصَّوْتِيَّةُ«جَوَانِحٍ» بِالتَّنْوِينِ عَلَىٰ الحَرْفِ المهْمُوسِ الحَاءِ، وَهُوَ تَنْوِينٌ كَاسِرٌ لِقَاعِدَةِ صِيَغِ مُنْتَهَىٰ الجُمُوعِ، مُضِيفٌ رَنِينًا ضَعِيفًا يُنَاسِبُ حَالَةَ تَهَافُتِ النَّفْسِ وَضَعْفِهَا.

الْبَدِيعُ فِي هَذِهِ الشَّبَكَةِ الصَّوْتِيَّةِ مِنَ الحُرُوفِ المهْمُوسَةِ أَنْ يَأْتِيَ الْبَيْتُ الْأَخِيرُ بِعَدَد 14 صَوْتًا مَهْمُوسًا، وَهُوَ عَدَدٌ يُوَازِي مَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، وَهُوَ فِي مَعْنَاهُ يُؤَدِّي المعْنَىٰ نَفْسَهُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ أَيْضًا، وَمِنْ ثَمَّ يَحْدُثُ التَّوَازِي عَلَىٰ المُسْتَوَيَيْنِ الصَّوْتِيِّ وَالمعْنَوِيِّ، وَلَعَلَّ مِنْ دَلَالَاتِ هَذَا التَّسَاوِي المعْنَوِيِّ بَدْءُ الْبَيتِ بِعُنْصُرِ نَفْيٍ أَيْضًا مِثْلَمَا بَدَأَ الْبَيْتُ السَّابِقُ.

وَبِذَا يُعْتَبَرُ ذَلِكَ المقْطَعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَصْفًا صَادِقًا لِمسْرَحِ الحَدَثِ الوِجْدَانِيِّ وَضَعَ فِيهِ الشَّاعِرُ الخَلْفِيَّةَ الْبَصَرِيَّةَ أَوْ مَا يُسَمَّىٰ الدِّيكُور مُتَمَثِّلًا فِي الظَّلَامِ المُخَيِّمِ عَلَىٰ المشْهَدِ «فِي جَوْفِ الدُّجَىٰ»، كَمَا وَضَعَ فِيهِ الخَلْفِيَّةَ المُوسِيقِيَّةَ أَوْ مَا يُسَمَّىٰ المُوسِيقَىٰ التَّصْوِيرِيَّةَ لِلْمَشْهَدِ، وَهِيَ مُوسِيقَىٰ نَاعِمَةٌ هَادِئَةٌ تُنَاسِبُ الجَوَّ اللَّيْلِيَّ وَالظَّلَامَ المُخَيِّمَ وَالحَدِيثَ المهْمُوسَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ.

لَا نَرْكَبُ الشَّطَطَ ـ إِذَنْ ـ حِينَمَا نَقُولُ:إِنَّ حُرُوفَ الهَمْسِ فِي المقْطَعِ السَّابِقِ أَدَّتْ أَدَاءً فَنِّيًّا رَائِعًا مِنْ حَيْثُ تَمْثِيلِ المُنَاجَاةِ النَّفْسِيَّةِ وَتَمْثِيلِ الخَلْفِيَّةِ المُوسِيقِيَّةِ، المُوسِيقَىٰ التَّصْوِيرِيَّةِ لِلْحَدَثِ الْوِجْدَانِيِّ.

(5/1) فِي المَقْطَعِ الْأَوَّلِ مِنْ قَصِيدَةِ «عَبَثُ الجَمَالِ»[1] يَقُولُ:

دَعِيهَا تُغَرِّدْ لَحْنَهَا وَتُرَجِّعْ	وَتَمْرَحْ مَا شَاءَتْ وَتَلْهُ وَتَلْعَبْ
دَعِيهَا تُنَمِّقْ لِلْحَيَاةِ تَحِيَّةً	وَتَبْعَثُهَا لَحْنًا يَلَذُّ وَيُمْتِعْ

(1) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 226 .

دَعِيــهَـا تُعَبِّرْ عَنْ مَشُوقٍ مُتَيَّمٍ   تَلِجُّ بِهِ الذِّكْرَىٰ ؛ فَيَهْفُو وَيَنْزَعْ

دَعِيهَا فَفِي أَلْحَـانِهَا الحُبُّ نَاطِقٌ   وَمِنْ وَحْيِهِ تَشْدُو مَلِيًّا وَتَسْجَعْ

دَعِــيهَا فَقَدْ رَوَّعْتِهَا وَتَرَكْتِهَا   مُـشَـتَّتَةً حَـيْـرَىٰ تُطِلُّ وَتَرْجِعْ

يُمَثِّلُ المقْطَعُ السَّابِقُ مِنَ الْقَصِيدَةِ مِثَالًا حَيَوِيًّا لِلْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ الُمتـوَازِي عَـلَىٰ مُسْـتَوَىٰ الحَـرْفِ، حَيْـثُ يُمَثِّلُ صَوْتُ الْعَيْنِ تَرَدُّدًا نَغْمِيًّا عَلَىٰ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ فِي كُلِّ بَيْتٍ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ التَّنْسِيقِ الصَّوْتِيِّ قَـدْ عَـبَّرَ عَـنْ دِلالَةِ النِّدَاءِ تَعْبِيرًا صَادِقًا؛إِذْ إِنَّهُ حَرْفٌ حَلْقِيٌّ مَجْهُورٌ يُعَبِّرُ تَعْبِيرًا وَاضِحًا عَنِ الحَرَكَـاتِ وَالْأَصْـوَاتِ الْعَنِيفَـةِ ، إِذِ الْقَصِيدَةُ وَصْفٌ لِغَادَةٍ طَرُوبٍ مِمْرَاحٍ لَمْ تَقْتَنِعْ أَنْ تَعْبَثَ بِقُلُوبِ الُمعْجَبِينَ فَعَمَدَتْ إِلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ الطَّـيْرِ تُرَوِّعُهَا وَقَدِ اتَّخَـذَتْ عُشًّـا بَـيْنَ أَحْضَـانِ الْغُصُـونِ، وكَلَّـمَا عَـادَتْ جَمَاعَـةُ الطّـيْرِ عَـادَتِ الْفَتَـاةُ المِمْـرَاحُ إِلَىٰ ذَوْدِهَا.وَعَلَىٰ ذَلِكَ يُعَدُّ صَوْتُ الْعَيْنِ الُمتكَرِّرُ إِعْلَانًا مِنَ الشَّاعِرِ لِلْفَتَاةِ بَعَدَمِ المسَاسِ بِهَذِهِ الجَمَاعَةِ المسْكِينَةِ مِنَ الطَّيْرِ؛لِأَنَّهَا تُثِيرُ أَشْجَانَهُ عِنْدَمَا يَسْتَمِعُ إِلَىٰ تَرْجِيعِهَا.

صَوْتُ الْعَيْنِ ـ الُمتَكَرِّرُ 14 مَرَّةً ـ يَرْسُمُ صُورَةَ شَخْصٍ فَاتِحٍ حَلْقَهُ يَهْتِفُ بِأَعْلَىٰ صَـوْتِهِ فِي هَـذِهِ الْفَتَـاةِ اللَّعُوبِ، وَيُكَرِّرُ نِدَاءَهُ بِصَوْتٍ عَالٍ، مَعَ تَحَرُّكِهِ صَوْبَ هَذِهِ الْفَتَاةِ مُحَـاوِلًا مَنْعَهَـا عَـنْ هَـذَا الْفِعْـلِ الْغَـادِرِ، وَعَلَيْهِ يُمَثِّلُ صَوْتُ الْعَيْنِ ـ كَمَا ذَهَبْنَا ـ دَلَالَةً وَاضِحَةً فِي رُؤْيَةِ الحَرَكَاتِ ـ حَرَكَـةِ الـذَّوْدِ الْعَنِيفَـةِ مِـنَ الْفَتَـاةِ، وَحَرَكَةِ المنْعِ مِنَ الشَّاعِرِ ـ وَفِي سَمَاعِ الْأَصْوَاتِ ـ صَوْتِ الطُّيُورِ وَهِيَ تَصْرُخُ ، وَصَوْتُ الشَّاعِرِ وَهُوَ يَهْتِفُ .

انْتَظَمَ صَوْتُ الْعَيْنِ فِي المقْطَعِ السَّابِقِ انْتِظَامًا وَاضِحًا مِـنْ خِـلَالِ مَجِيئِـهِ رَوِيًّـا لِلْأَبْيَـاتِ وَمِـنْ خِـلَالِ مَجِيئِهِ نُتُوءًا صَوْتِيًّا بَارِزًا فِي قَافِيَةِ المَطَالِعِ أَوِ الْقَافِيَةِ المعْكُوسَةِ[1] الَّتِي انْتَظَمَتْ مَطْلَعَ كُلِّ بَيْتٍ، كَمَا انْـتَظَمَ مَجِيئُهُ فِي حَشْوِ الْأَبْيَاتِ كُلِّهَا مَا عَدَا الْبَيْتَ الرَّابِعَ.

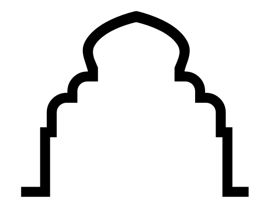
إِنَّ هـذَا التَّوزِيـعَ الُموسِـيقِيَّ لِعُـنْصَرٍ صَـوْتِيٍّ يَرْصُـدُ حَرَكَـةَ إِيقَـاعٍ حَـرَكِيٍّ مُسْـتَمِرٍّ مِـنْ قِبَـلِ الْفَتَـاةِ اللَّعُـوبِ، وَهُـوَ إِيقَـاعٌ وَصَـفَهُ هُـوَ نَـثْرًا فِي بِدَايَـةِ الْقَصِـيدَةِ بِقَوْلِـهِ:«وَكُلَّـمَا عُـدْنَ إِلَىٰ الْعُـشِّ عَـادَتْ هِـيَ إِلَىٰ الـذَّوْدِ ».فَثَمَّـةَ حَرَكَـةٌ مُتَكَـرِّرَةٌ ـ إِذَنْ ـ مَثَّلَهَـا تَكْـرَارُ صَـوْتِ الْعَـيْنِ، وَهِـيَ حَرَكَـةٌ عَنِيفَـةٌ رَصَـدَهَا

(1) د . سلمان حسن العاني : التشكيل الصوتي في اللغة العربية ، ص 100 .

صَوْتُ الْعَيْنِ بِجَهْرِهِ وَبِضَجِيجِهِ الَّذِي يَصِلُ فِي ذَبْذَبَتِهِ إِلىٰ حَوَالَيْ 1000 د/ث.[1]

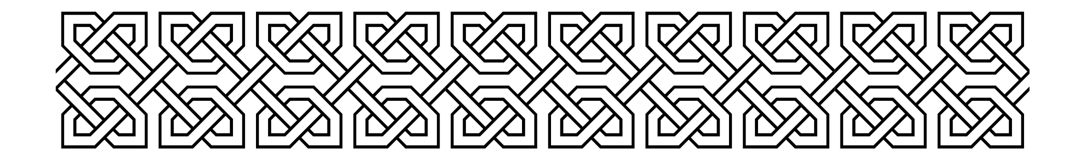
إِنَّ الْقِيمَةَ الصَّوْتِيَّةَ لِلْحَرْفِ ـ إِذَنْ ـ لَيْسَتْ بِوُجُوده مُنْفَـرِدًا، وَلَكِـنْ بِوُجُـودِهِ مُتَشَـابِكًا مَـعَ غَـيْرِهِ مِـنَ الحُرُوفِ، كَمَا أَنَّ تَكْرَارَهُ الصَّوْتِيَّ يَعْكِسُ تَكْثِيفًا دِلَالِيًّا يَجْعَلُ المُبْدِعَ يَخْتَارَهُ دُونَ غَيْرِهِ لِيُحَمِّلَـهُ دَلَالَـةً صَـوْتِيَّةً تَتَآزَرُ مَعَ الْبِنَىٰ اللُّغَوِيَّةِ الْأُخْرَىٰ فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ .

(1)انظر الفقرة (7/2) من الفصل التالي .



الفصل الثاني

التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوىٰ الْكَلِمَةِ



التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوىٰ الْكَلِمَةِ

(1/2) يَقُومُ التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْكَلِمَاتِ بِأَدْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ، إِذْ إِنَّهُ يَقُومُ بِرَبْطِ أَجْزَاءِ النَّصِّ، أَيْ رَبْطِ السَّابِقِ بِاللَّاحِقِ مُحْدِثًا عُنْصُرَ السَّبْكِ، كَمَا إِنَّهُ يَعْمَلُ عَلَىٰ إِثَارَةِ انْتِبَاهِ الْقَارِئِ إِلَىٰ كَلِمَةٍ أَوْ لَفْظَةٍ مُكَرَّرَةٍ يَوَدُّ الشَّاعِرُ أَنْ يُؤَكِّدَ عَلَيْهَا أَوْ يُنَبِّهَ الْقَارِئَ إِلَيْهَا، وَمِنْ ثَمَّ يَقُومُ بِتَنْشِيطِ ذَاكِرَةِ المُسْتَمِعِ أَوِ الْقَارِئِ، فَضْلًا عَنْ إِنْتَاجِهِ دِلَالَةً مُوسِيقِيَّةً صَوْتِيَّةً تَتَعَانَقُ مَعَ الْقَضِيَّةِ الَّتِي تَسْعَىٰ إِلَيْهَا الرِّسَالَةُ الشِّعْرِيَّةُ.وَقَدَ رَصَدَ هَذَا الْفَصْلُ أَشْكَالَ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْكَلِمَاتِ فِي شِعْرِ «قُطْب» ، فَجَاءَ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :

(2/2) التَّصْرِيعُ :

يُعَدُّ التَّصْرِيعُ أَحَدَ أَشْكَالِ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ المُهِمَّةِ فِي النَّصِّ، وَذَلِكَ لِموْقِعِهِ الُمتَمَيِّزِ فِي صَدْرِ الْقَصِيدَةِ ، حَيْثُ تَتَوَازَىٰ الْعَرُوضُ وَالضَّرْبُ وَزْنًا وَتَقْفِيَةً.[1]

يَلْجَأُ الشَّاعِرُ إِلَىٰ التَّصْرِيعِ لِتَحْقِيقِ دَفْقَةٍ دِلَالِيَّةٍ فِي بِدَايَةِ الْقَصِيدَةِ مِمَّا يُمَهِّدُ لِتَقَبُّلِ الرِّسَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ وَاسْتِقْرَارِهَا فِي ذِهْنِ المُتَلَقِّي، فَالتَّصْرِيعُ«أُسْلُوبُ الْقَفْزِ إِلَىٰ الْأَمَامِ، وَقَدْ يَتَّسِعُ مَدَاهُ، وَلَكِنَّهُ لا يَقْتَضِي أَكْثَرَ مِنْ بَيْتٍ وَاحِدٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَحَقَّقُ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ، وَيَتَجَشَّمُ بِرَبْطِ آخِرِ الصَّدْرِ بِآخِرِ الْعَجُزِ».[2]

وَقَدْ تمَّ رَصَدُ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِـ«قُطْب» فِي هَذَا الْعُنْصُرِ الصَّوْتِيِّ ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَسْتَجْلِيَ وَجْهَ هَذَا الْأَدَاءِ عَنْ طَرِيقِ النِّقَاطِ التَّالِيَةِ :

1 ـ لَجَأَ «قُطْب» لِآلِيَّةِ التَّصْرِيعِ فِي بِدَايَةِ 73 قَصِيدَةً ، بِنِسْبَةِ 57% مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ.

2 ـ تَمَثَّلَتْ آلِيَّةُ التَّصْرِيعِ أَكْثَرَ فِي صُدُورِ الْقَصَائِدِ مُوَحَّدَةِ الْقَافِيَةِ، وَذَلِكَ فِي 58 قَصِيدَةً ، ثُمَّ فِي الْقَصَائِدِ ذَاتِ الْقَافِيَةِ المقْطُوعَةِ بِنِسْبَةِ 11 قَصِيدَةً، ثُمَّ فِي الْقَصَائِدِ المُتَّبِعَةِ نِظَامَ المرَبَّعِ المُصَرَّعِ بِوَاقِعِ قَصِيدَتَيْنِ، كَذَا الْأَمْرُ فِي الْقَصَائِدِ ذَاتِ نَمَطِ المُسَمَّطِ بِوَاقِعِ قَصِيدَتَيْنِ أَيْضًا .

(1) انظر في تعريفه مثلا : ابن رشيق القيرواني: العمدة في صناعة الشعر ونقده ، 183/1 .

(2) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب ، ص 83 .

3 ـ مَثَّلَ رَوِيُّ الرَّاءِ أَكْثَرَ الأَصْوَاتِ المُصَاحِبَةِ لِآلِيَّةِ التَّصْرِيعِ؛ إِذْ بَلَغَتِ القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ الرَّاءِ 17 قَصِيدَةً، تَلِيهَا القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ المِيمِ بِوَاقِعِ 14 قَصِيدَةً، تَلِيهَا القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ البَاءِ بِوَاقِعِ 10 قَصَائِدَ كَذَا القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ المِيمِ بِوَاقِعِ 10 قَصَائِدَ أَيْضًا، تَلِيهَا القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ اللَّامِ بِوَاقِعِ 7 قَصَائِدَ ، تَلِيهَا القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ الدَّالِ بِوَاقِعِ 6 قَصَائِدَ، ثُمَّ القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ الهَمْزَةِ بِوَاقِعِ 3 قَصَائِدَ، ثُمَّ القَصَائِدُ المُصَرَّعَةُ بِصَوْتِ رَوِيِّ العَيْنِ بِوَاقِعِ قَصِيدَتَيْنِ، بَيْنَمَا مَثَّلَ صَوْتُ رَوِيِّ التَّاءِ وَالسِّينِ وَالكَافِ وَالهَاءِ الأَقَلَّ حُضُورًا فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ لِكُلِّ صَوْتٍ .

4 ـ تَمَثَّلَتْ آلِيَّةُ التَّصْرِيعِ أَكْثَرَ فِي أَكْثَرِ الأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ سُرْعَةً وَهُوَ إِطَارُ وَزْنِ الكَامِلِ بِوَاقِعِ 16 قَصِيدَةً، ثُمَّ فِي إِطَارِ وَزْنِ الطَّوِيلِ بِوَاقِعِ 14 قَصِيدَةً ، ثُمَّ فِي إِطَارِ وَزْنِ الخَفِيفِ بِوَاقِعِ 12 قَصِيدَةً ، ثُمَّ فِي إِطَارِ وَزْنِ الرَّمَلِ أَقَلِّ الأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ سُرْعَةً بِوَاقِعِ 10 قَصَائِدَ، ثُمَّ فِي إِطَارِ وَزْنِ المُتَقَارِبِ بِوَاقِعِ 9 قَصَائِدَ، بَيْنَمَا تَمَثَّلَتْ فِي إِطَارِ الكَامِلِ المجْزُوءِ 4 مَرَّاتٍ وَفِي إِطَارِ وَزْنِ البَسِيطِ 3 مَرَّاتٍ، ثُمَّ فِي إِطَارِ الوَافِرِ مَرَّتَيْنِ وَفِي مَجْزُوئِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً، ثُمَّ تَمَثَّلَتْ أَخِيرَةً مَرَّةً وَاحِدَةً فِي إِطَارَيْ وَزْنِ المُجْتَثِّ وَمَجْزُوءِ الرَّمَلِ.

يَقُودُنَا هَذَا الاسْتِقْرَاءُ إِلَىٰ الآتِي :

1ـ مَيْلُ «قُطْب» إِلَىٰ هَذِهِ الآلِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَمَثَّلَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ قَصَائِدِ التُّرَاثِ الشِّعْرِيِّ العَرَبِيِّ أَعْطَىٰ شِعْرَهُ صِبْغَةً تُرَاثِيَّةً شَكْلِيَّةً .

2 ـ كَانَ أَكْثَرُ الأَصْوَاتِ مُلَازَمَةً لهذِهِ الظَّاهِرَةِ الصَّوْتِيَّةِ صَوْتُ الرَّاءِ وَهِيَ نَتِيجَةٌ مُوَافِقَةٌ لِسُلَّمِ تَرْتِيبِ الأَصْوَاتِ رَوِيًّا عِنْدَهُ.يَقُودُنَا هَذَا إِلَىٰ مُلَاحَظَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ خَاصِّيَتَيْ التَّكْرَارِ وَالجَهْرِ اللَّتَيْنِ يَتَمَتَّعُ بِهِمَا صَوْتُ الرَّاءِ أَعْطَتَا اِسْتِمْرَارِيَّةً صَوْتِيَّةً لِإِيقَاعِ المَطَالِعِ عِنْدَهُ.

3 ـ ارْتَبَطَتْ ظَاهِرَةُ التَّصْرِيعِ عِنْدَ «قُطْب» أَكْثَرَ بِالإِطَارِ الصَّوْتِيِّ لِوَزْنِ الكَامِلِ، وَهُوَ أَسْرَعُ الأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ قَاطِبَةً؛لَكِنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَخْلُصَ بِنَتِيجَةٍ مَفَادُهَا أَنَّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ مُرْتَبِطَةٌ بِالسُّرْعَةِ الإِيقَاعِيَّةِ، وَإِنَّمَا هُوَ ارْتِبَاطٌ مُتَغَيِّرٌ؛فَفِي حِينِ ارْتَبَطَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ الصَّوْتِيَّةُ بِالكَامِلِ وَالطَّوِيلِ وَهُمَا مِنَ الأَوْزَانِ السَّرِيعَةِ[1] نَرَاهَا جَاءَتْ بِعَدَدٍ وَافِرٍ فِي الخَفِيفِ

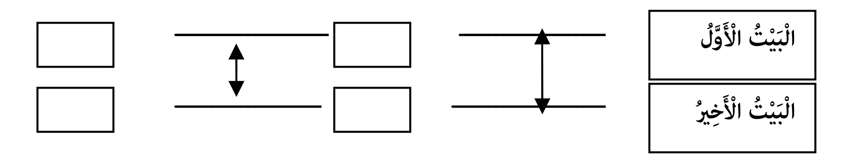
(1) يحتل الكامل المرتبة الأولىٰ ، بينما الطويل يحتل المرتبة الرابعة في جدول السرعة الفرضية .

وَالرَّمَلِ وَهُمَا مِنَ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ الْبَطِيئَةِ السُّرْعَةِ.[1]

وَنَمَاذِجُ التَّصْرِيعِ فِي بِدَايَةِ الْقَصِيدَةِ مَرَّتْ بِنَا كَثِيرًا خِلَالَ تَحْلِيلِنَا لِنَمَاذِجَ عِدَّةٍ، وَمِنْ خِلالِهَا نُلَاحِظُ أُسْلُوبِيَّةَ هَذِهِ الْأَدَاةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي أَنَّهَا تُمَثِّلُ مُثِيرًا صَوْتِيًّا يَجْعَلُ الْمُتَلَقِّي مُتَحَفِّزًا لِتَقَبُّلِ الرِّسَالَةِ الشِّعْرِيَّةِ بِمَا تَتَضَمَّنُ مِنْ قَضَايَا، كَمَا أَنَّهُ يُحَقِّقُ عُنْصُرَيِ السَّبْكِ وَالتَّوَاصُلِ الصَّوْتِيِّ مِنْ أَوَّلِ وَقْفَةِ قِرَاءَةٍ فِي النَّصِّ وَهِيَ تَفْعِيلَةُ الْعَرُوضِ إِلَىٰ آخِرِ بَيْتٍ فِي الْقَصِيدَةِ .

(3/2) التَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ :

عُرِفَ التَّصْرِيعُ بِأَنَّهُ آلِيَّةٌ صَوْتِيَّةٌ تَتَصَدَّرُ الْقَصَائِدَ، وَلَكِنَّ تَتَبُّعَ الْأَنْمَاطِ الْمُتَوَازِيَةِ عَلَىٰ مُسْتَوىٰ الْكَلِمَةِ يَكْشِفُ عَنْ ظَاهِرَةٍ صَوْتِيَّةٍ أُخْرَىٰ تَأْتِي فِي نِهَايَةِ الْقَصِيدَةِ، وَهِيَ التَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ وَهِيَ ـ إِنْ صَحَّتِ التَّسْمِيَّةُ ـ تَشَابُهُ الْعَرُوضِ وَالضَّرْبِ رَوِيًّا وَمَقْطَعًا فِي آخِرِ بَيْتٍ فِي الْقَصِيدَةِ ، تَوَازِيًا مَعَ التَّصْرِيعِ الحَاصِلِ فِي صَدْرِ الْقَصِيدَةِ، عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :



إِنَّ هَذِهِ الْآلِيَّةَ التَّعْبِيرِيَّةَ تَخْدُمُ النَّصَّ عَلَىٰ الْمُسْتَوَيَيْنِ :

الْأَوَّلِ: المسْتَوَىٰ الصَّوْتِيُّ؛إِذْ يَظَلُّ رَنِينُ الْبِدَايَةِ مُتَمَثِّلًا فِي النِّهَايَةِ مُحْدِثًا تَوَاصُلًا إِشَارِيًّا يُثِيرُ الذِّهْنَ وَيُنَشِّطُهُ .

الثَّانِي: تَحْقِيقُ دَرَجَةِ سَبْكٍ وَإِحْكَامٍ لِلنَّصِّ بِشَكْلٍ رَأْسِيٍّ ، يَحْكُمُ النَّصَّ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ.

لَجأَ «قُطْب» إِلَىٰ هَذِهِ الْآلِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي 13 قَصِيدَةً، وَنَخْرُجُ مِنْهَا بِالاسْتِقْرَاءِ التَّالِي:

1 ـ تَمَثَّلَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ فِي الْقَصَائِدِ الْمُوَحَّدَةِ الْقَافِيَةِ دُونَ سِوَاهَا.

2 ـ يُعَدُّ إِطَارُ وَزْنِ الْكَامِلِ أَكْثَرَ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ اِحْتِوَاءً لِهَذِهِ الظَّاهِرَةِ، إِذْ حَدَثَتْ فِيهِ بِصُورَتِهِ التَّامَّةِ مَرَّتَيْنِ وَالْمَجْزُوءَةِ مَرَّتَيْنِ أَيْضًا، يَلِيهِ وَزْنَا الرَّمَلِ وَالْمُتَقَارِبِ بِوَاقِعِ ثَلَاثِ قَصَائِدَ لِكُلٍّ

(1) يحتل الخفيف المرتبة السادسة والرمل السابعة والأخيرة من الجدول السابق .

وَزْنٍ، يَلِيهِ وَزْنُ الطَّوِيلِ بِوَاقِعِ قَصِيدَتَيْنِ، وَيَأْتِي أَخِيرًا وَزْنُ الخَفِيفِ بِقَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ.

3ـ مَثَّلَ صَوْتُ رَوِيِّ الرَّاءِ أَكْثَرَ الْأَصْوَاتِ الَّتِي احْتَوَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ، وَذَلِكَ بِوُقُوعِهَا بِهِ فِي 5 قَصَائِدَ، يَلِيهِ صَوْتُ رَوِيِّ الدَّالِ وَالنُّونِ بِوَاقِعِ قَصِيدَتَيْنِ، أَمَّا أَصْوَاتُ رَوِيِّ الْبَاءِ وَالسِّينِ وَاللَّامِ وَالهَاءِ فَقَدْ تَمَثَّلَتْ فِي قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ.

4 ـ تَمَثَّلَتْ هَذِهِ الظَّاهِرَةُ فِي الْقَصَائِدِ الْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ نِسْبِيًّا، إِذْ لَمْ يَقْتَصِرْ مَجِيئُهَا عَلَىٰ أَحَدِ النَّوْعَيْنِ ، عَلَىٰ نَحْوِ مَا يُوَضِّحُهُ الْبَيَانُ التَّالِي :

م	الْقَصِيدَةُ	عَدَدُ الْأَبْيَاتِ
1	الْغَدُ المجْهُولُ	15
2	عَهْدُ الصِّغَرِ	16
3	تَسْبِيحٌ	15
4	عَلَىٰ الْقِمَّةِ	25
5	مَصْرَعُ قَصِيدَةٍ	12
6	هِيَ أَنْتِ	19
7	أُحِبُّكِ	19
8	سِرُّ انْتِصَارِ الحَيَاةِ	10
9	قُبْلَةٌ	13
10	دَاعِي الحَيَاةِ	12
11	تَحِيَّةُ الحَيَاةِ	10
12	الخَطَرُ	21
13	المهْرَجَانُ	37

فَفِي حِينَ يَبْدَأُ قَصِيدَةَ «الْغَدُ المجْهُولُ»[1] بِقَوْلِهِ :

يَا لَيْتَ شِعْرِي ، مَا يُخَبِّئُهُ غَدِي .:. إِنِّي أَرُوحُ مَعَ الظُّنُونِ وَأَغْتَدِي

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 55 .

يُنْهِيهَا بِقَوْلِهِ :

رَبَّــاهُ إِنِّي قَـدْ سَئِمْتُ تَرَدُّدِي .:. فَـالْآنَ فَـلْتُقْدِمْ بِهَـوْلِـكَ يَا غَدِي

فالْبَيْتُ الْأَخِيرُ يَحْمِلُ شُحْنَةً دَلَالِيَّةً نَفْسِيَّةً يَئِنُّ الشَّاعِرُ تَحْتَ وَطْأَتِهَا مِمَّا جَعَلَهُ مُسْتَعْجِلًا لِمَجِيءِ غَدِهِ عَلَىٰ أَيَّةِ حَالٍ، مُتَمَثِّلًا المقُولَةَ: «وُقُوعُ الْبَلَاءِ أَفْضَلُ مِنِ انْتِظَارِهِ»، وَنُلَاحِظُ مَـعَ هَـذَا تَـرَدُّدِ الـدَّالِّ المرْكَـزِيِّ فِي الْقَصِيدَةِ وَهُوَ «الْغَدُ» إِذْ هُوَ اللَّحْنُ الْأَسَاسِيُّ لها، وَبِذَا يَتَحَقَّـقُ السَّـبْكُ بِشَـكْلٍ رَأْسِيٍّ مُحَقِّقًـا تَرَابُطًـا مَعْنَوِيًّـا وَإِيقَاعًا صَوْتِيًّا مُتَوَازِيًا لَا يُمْكِنُ إِغْفَالُهُ .

وَفِي قَصِيدَةِ «عَهْدُ الصِّغَرِ »[1] يَبْدَأُ «قُطْب» بِقَوْلِهِ :

إِذَا اللَّيْلُ جَنَّ تَجِيشُ الْفِكَرْ .:. يُؤَرِّقُ جَفْنِي مَرُّ الذِّكَرْ

وَيُنْهِيهَا بِقَوْلِهِ :

فَذَلِكَ عَهْدٌ صَبُوحٌ أَغَرْ .:. وَهَـٰذَا عَبُوسٌ ظَلُومٌ قَتِرْ

فَالتَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ جَاءَ لِيُوَضِّـحَ طَبِيعَـةَ الْعَهْـدَيْنِ اللَّـذَيْنِ يَتَحَـدَّثُ عَـنْهُمَا الشَّـاعِرُ، الْعَهْـدُ الْأَوَّلُ عَهْـدُ الطُّفُولَةِ وَالْبَرَاءَةِ وَالنَّقَاءِ، أَمَّا الثَّانِي فَهُوَ عَهْدُ الْعَبُوسِ وَالتَّجْرِيبِ، وَعَلَىٰ ذَلِكَ يُمْكِـنُ تَلْخِـيصُ الْقَضِـيَّةِ بِعِبَـارَةٍ وَجِيزَةٍ:إِذَا اللَّيْلُ جَنَّ تَجِيشُ الْفِكَـرُ، وَأَتَـذَكَّرُ عَهْـدَيْنِ الْأَوَّلَ صَـبُوحًا أَغَـرَّ وَالثَّـانِي ظَلُومًـا قَـتِرًا، وَبِـذَا يُحَقِّـقُ التَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ إِحْكَامًا دَلَالِيًّا وَصَوْتِيًّا مُتَمَيِّزًا .

وَفِي قَصِيدَةِ «تَسْبِيحٌ»[2] يَبْدَأُ بِقَوْلِهِ :

لِعَيْنَيْكِ تَسْبِيحِي وَهَمْسُ سَرَائِرِي .:. وَفِي صَمْتِهَا المُوحِي مُرَادُ خَوَاطِرِي

وَيُنْهِيهَا بِقَوْلِهِ :

فَيَا لَـكِ مِـنْ هَادٍ سَنِيِّ المَنَائِرِ .:.وَيَـا لِي مِـنْ سَـارٍ وَحِـيِّ الْبَصَائِرِ

إِذْ تُمَثِّلُ آلِيَّةُ التَّصْرِيعِ النِّهَائِيِّ اِمْتِدَادَ اللَّحْنِ الصُّوفِيِّ لهذَا الُمتَنَسِّكِ فِي عَيْنَيِ الحَبِيبَةِ، وَهُوَ لحنٌ تَغْلِـبُ عَلَيْهِ صِفَةُ التَّرْدِيدِ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا يَتَمَتَّعُ بِهِ صَوْتُ الرَّاءِ مِنْ تَكْرَارٍ فِي طَبِيعَتِهِ الصَّوْتِيَّةِ.

---

(1) السابق ، ص 65 .

(2) السابق ، ص88.

(4/2) الجناس:

يُعَدُّ الجِنَاسُ وَاحِدًا مِنْ أَكْثَرِ أَشْكَالِ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ اِنْتِشَارًا فِي شِعْرِ «قُطْب». وَالجِنَاسُ ـ فِي الْبَـدِيعِ ـ تَوَازٍ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ فِي كُلِّ الحُرُوفِ أَوْ أَكْثَرِهَا مَعَ اخْتِلَافِ المعْنَىٰ، وَقَدْ تمَّ رَصَد أَنْوَاعِ الجِنَاسِ فِي شِعْرِهِ ، حَيْـثُ جَاءَ عَلَىٰ الْأَنْمَاطِ التَّالِيَةِ :

1 ـ جِنَاسِ الاشْتِقَاقِ فِي 129 مَوْضِعًا.

2 ـ جِنَاسِ التَّرْجِيعِ 18 مَوْضِعًا .

3 ـ جِنَاسِ التَّصْرِيفِ 9 مَوَاضِعَ.

4 ـ جِنَاسِ الْعَكْسِ فِي 5 مَوَاضِعَ .

6 ـ جِنَاسِ التَّمَاثُلِ فِي 4 مَوَاضِعَ.

7 ـ جِنَاسِ التَّغَايُرِ فِي 3 مَوَاضِعَ .

وَهَكَذا يَكْشِفُ التَّتَبُّعُ الْإِحْصَائِيُّ عَنْ أُسْلُوبِيَّةِ الْأَدَاءِ فِي هَذا النَّمَطِ الُمتوَازِي، حَيْثُ يَتَّضِحُ أَنَّ الِجَنَـاسَ الاشْتِقَاقِيَّ هُوَ أَكْثَرُ الْأَنْوَاعِ الَّتِي ارْتَكَزَ عَلَيْهَا الشَّاعِرُ فِي التَّوَازِي بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ، وَسَوْفَ نَتَوَقَّـفُ عِنْـدَ كُـلِّ نَمَـطٍ مِنَ الْأَنْمَاطِ السَّابِقَةِ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي:

(1/4/2) جِنَاسُ الاشْتِقَاقِ :

يُعَدُّ جناسُ الاشْتِقَاقِ نَمَطًا مِن أَنمَاطِ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ التَّكْـرَارِيِّ عَـلَىٰ مُسْـتَوَىٰ الْكَلِـمَاتِ، وَلَكِنْ يَتَمَيَّزُ عَنْ جَمِيعِ الْأَنْمَاطِ الصَّـوْتِيَّةِ المُتَوَازِيَـةِ أَنَّ الْكَلِمَتْـيِن المُتَكَـرِّرَتَيْنِ فِيـهِ تَكُونَـانِ مِـنْ جِذْرٍ مُعْجَمِيٍّ وَاحِدٍ.يُعَرِّفُهُ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ بِقَوْلِهِ:«هُوَ اشْتِرَاكُ المَعَانِي فِي أَلْفَاظٍ مُتَجَانِسَةٍ عَـلَىٰ جِهَةِ الاشْتِقَاقِ»[1] فَهُوَ ـ إِذَنْ ـ «عِبَارَةٌ عَنِ اسْتِخْدَامِ اشْتِقَاقَاتٍ مِنْ مَادَّةٍ لُغَوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهُـوَ مَا أَطْلَقَ عَلَيْهِ«دِيبوجُرَانـد»و «درسـيلر» التَّكْـرَارَ الجُـزْئِيَّ، وَهُـوَ وَسِـيلَةٌ مِـنْ وَسَـائِلِ السَّـبْكِ

(1) ابن أبي الإصبع المصري (585 ـ654 هـ) : كتاب تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيـان إعجـاز القـرآن ، تحقيقـد . حفني محمد شرف ، ط . المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ، (د .ت) ، 1 / 102 .

المُعْجَمِيِّ وَمِنْ ثَمَّ يَكُونُ الاشْتِقَاقُ مِنْ حَيثُ اتِّحَادِ الْأَصْلِ المُعْجَمِيِّ بَيْنَ طَرَفَيْهِ مُسْهِمًا فِي السَّبْكِ المُعْجَمِيِّ وَمِنْ حَيْثُ التَّكْرَارِ الصَّوْتِيِّ مُسْهِمًا فِي السَّبْكِ النَّحْوِيِّ».[1] فَفِي قَصِيدَةِ «حُلْمُ الحَيَاةِ»[2] يَقُولُ :

5ـ أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي طَهَّرَ نَفْسِي	بِالْعَذَابِ الحُلْوِ وَالدَّمْعِ الطَّهُورْ
9 ـ أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي جَسَّمَ وَهْمِي	فَإِذَا الْأَوْهَامُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَةْ
15 ـ أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي ظَلَّلَها	فِي خَيَالِي بِأَعَاجِيبِ الظِّلَالِ

نُلَاحِظُ فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ التَّوَازِيَ الصَّوْتِيَّ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ المُشْتَقَّتَيْنِ مِنْ مَادَّةٍ لُغَوِيَّةٍ وَاحِدَةٍ (طَهَّرَ ـ الطَّهُور) ، (وَهْمِي ـ الْأَوْهَام) ، (ظَلَّلها ـ الظِّلَال) ، فَهَذَا الجِنَاسُ بِجِوَارِ مَا يُحْدِثُهُ مِنْ تَوَازٍ صَوْتِيٍّ، يَعْمَلُ عَلَىٰ رَبْطِ أَجْزَاءِ الْبَيْتِ مَعْنَوِيًّا فَالحُلْمُ الَّذِي طَهَّرَ النَّفْسَ نَقَّهَا مِنْ أَدْرَانِهَا وَآثَامِهَا يَمْتَلِكُ آلِيَّةَ الدُّمْعِ الطَّهُورِ الَّتِي تَغْسِلُ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ أَمْرَاضٍ بَغِيضَةٍ.إِنَّ هَذَا الحُلْمَ بِهِ قَدْ أَبْصَرَ الشَّاعِرُ حَقِيقَةَ دُنْيَاهُ وَمَا يَتَمَثَّلُ فِيهَا مِنْ أَوْهَامٍ مُتَعَدِّدَةٍ. لَقَدْ ظَلَّلَ هَذَا الحُلْمُ بِظِلَالِهِ خَيَالَ الشَّاعِرِ وَعَذَابَاتِ نَفْسِهِ المُوحِشَةِ.الحُلْمُ فِي هَذَا النَّصِّ هُوَ الحُبُّ، فَالحُبُّ الطَّهُورُ يُطَهِّرُ النَّفْسَ، وَيُبَصِّرُهَا بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَوْهَامِ، وَيُظَلِّلها بِظِلَالِهِ الْوَرْدِيَّةِ بَعِيدًا عَنْ دَمَامَةِ الْوَاقِعِ وَشَظَفِهِ .

وَفِي قَصِيدَةِ «حُبُّ الشَّكُورِ»[3] يَقُولُ :

5 ـ إِنْ لَمْ أُحِبّكِ حُبَّ مَفْتُونٍ وَلَا	حُبَّ الْأَسِيرِ إِذَنْ فَحُبُّ الشَّكُورِ
6ـ حُبَّ الَّذِي أَحْيَيْتِ فِيهِ حَيَاءَهُ	مِمَّا لَدَيْكِ مِنَ الْحَيَا الْمَذْخُورِ
11ـ أَ فَلَأُحِبُّكِ حُبَّ مَنْ أَلهَمْتِهِ	شِعْرًا يُضِيءُ سَنَاهُ كُلَّ شُعُورِ
15 ـ أَفَلَا أُحِبُّكِ ؟ إِنَّهَا لَفَرِيضَةٌ	حُبَّ الشَّكُورِ لِوَاهِبٍ مَشْكُورِ

فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْأَرْبَعِ يُوَازِي الشَّاعِرُ بَيْنَ كَلِمَاتٍ تَنْتَسِبُ إِلَىٰ جِذْرٍ مُعْجَمِيٍّ وَاحِدٍ، فَمِنْ (حَبَّ) نَجِدُ: «أُحِبُّكِ» ـ «حُبَّ».وَمِنْ (حَيَيَ) نَجِدُ:«أَحْيَيْتِ» ــ «حَيَاء» ــ «الحَيَا».وَمِنْ (شَعَرَ): نَجِدُ: «شِعْرًا» ـ «شُعُورًا».وَمِنْ (شَكَرَ) :نَجِدُ «الشَّكُور» ـ «مَشْكُورٍ» . وَعَلَىٰ ذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ الْأَدَاءَ المُتَوَازِي يَتَسَاوَىٰ مُعْجَمِيًّا أَيْضًا مِمَّا يُحَقِّقُ دَرَجَةً عَالِيَةً

(1) د. جمال عبد الحميد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص 101 .
(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 209 .
(3) السابق ، ص 193 .

مِنَ الْفَنِّيَّةِ يُشَارِكُ فِي إِنْتَاجِهَا الصَّوْتُ مُتَعَانِقًا بِالدِّلَالَةِ. وَفِي قَصِيدَةِ «أُحِبُّكِ»[1] يَقُولُ :

1 ـ أُحِبُّكِ حُبَّ الْـهَوَىٰ وَالْـجُنُونْ	أُحِبُّـكِ حُـبَّ الرَّشَـادِ الـرَّزِينْ
6ـ لِـمَاذَا أُحِبُّكِ هَلْ تَـفْـكُـرِينْ ؟	وَمَـا السِّرُّ فِي الْأَمْرِ هَلْ تَعْلَمِينْ؟
7ـ أَلِلْحُسْنِ ؟ كَمْ قَدْ لَقِيتُ الِحسَانَ	فَـمَا هِـجْـنَ لِي وَمْـضَةً مِنْ حَنِينْ
8 ـ أَلِلْعَطْفِ ؟ إِنِّي الْقَوِيُّ الْعَطُوفُ	فَـمَا أَرْتَجِـي رَحْمَـةَ الْـعَـاطِـفِينْ

وَعَلَىٰ هَذَا يَظَلُّ الشَّاعِرُ مُوَازِيًّـا بَـيْنَ كَلِمَتَـيْنِ أَوْ ثَـلَاثٍ مِـنْ جِـذْرٍ مُعْجَمِـيٍّ وَاحِـدٍ (أُحِبُّـكِ حُـبَّ)، (أَلِلْحُسْنِ ـ الِحسَانَ)، (أَلِلعَطْفِ ـ العَطُوفُ ـ الْعَاطِفِينَ) مُحْدِثًا بِذَلِكَ عَالَمًا مِنَ التَّوَازِيَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الدَّاخِلِيَّـةِ الَّتِي لَا تَتَقَيَّدُ بِمَكَانٍ، بَلْ تَأْتِي سَابِحَةً فِي فَضَاءِ النَّصِّ تُنْتِجُ مَعَ مَا يُوَازِيهَا دَلَالَةً صَوْتِيَّةً مَعْنَوِيَّةً .

(2/4/2) جِنَاسُ التَّرْجِيعِ :

وَهُوَ يَتَحَقَّقُ حِينَ يُوجَدُ فِي إِحْدَىٰ الْكَلِمَتَيْنِ حَرْفٌ لَا يُوجَدُ فِي الْأُخْرَىٰ[2] ، كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةِ «لَيْلَاتٌ فِي الرِّيفِ»[3]:

7ـ يَا جَمَالًا بِرِيفِ مِـصْـرَ قَـرِيرَا	هَــادِئَ الْبَالِ فِي خُشُوعٍ وَقُورِ
8 ـ لَسْتُ أَنْسَىٰ فِيكَ لَيَالِيَ مَرَّتْ	هُنَّ أَطْيَـافُ عَـهْدِنَا الْـمَأْثُورِ

وَيُلَاحَظُ أَنَّ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ الُمتَوَازِيَتَيْنِ وَشَـائِجَ صِـلَةٍ مُتَمَثِّلَـةٍ فِي حَـرْفَيِ الْقَـافِ وَالـرَّاءِ ، بَيْـنَمَا اخْتَلَفَـتَا بِوُجُودِ الْيَاءِ وَالرَّاءِ .وَفِي قَصِيدَةِ «عِبَادَةٌ جَدِيدَةٌ »[4] يَقُولُ :

11ـ فَـإِذَا عَـبَـدْتُكَ لَمْ أَكُـنْ	يَـا حُـسْنُ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالْ
12 ـ بَلْ كُنْتُ مَحْمُودَ الْعَقِيدَ	ةِ فِي الْـحَـقِيـقَةِ وَالْـخَيَـالْ

فَفِـي الْكَلِمَتَـيْنِ الُمتَـوَازِيَتَيْنِ تَتَّحِـدُ حُـرُوفُ الْقَـافِ وَالْيَـاءِ وَالتَّـاءِ ، بَيْـنَمَا اخْتَلَفَتَـا بِوُجُـودِ الْعَـيْنِ

(1) السابق ، ص 167 .

(2) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 1 / 107 .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 79 .

(4) السابق ، ص 87 .

وَالحَاءِ .وَفِي قَصِيدَةِ «خَبِيئَةُ نَفْسِي»[1] يَقُولُ :

خَبِيئَةَ نَفْسِي قَدْ غَفَا الْكَوْنُ فَاسْفِرِي وَكُونِي سَمِيرِي بَعْدَ أَنْ نَامَ سُمَّرِي

حَيْثُ نَجِدُ الْكَلِمَتَيْنِ مُتَوَازِيَتَيْنِ فِي جَمِيعِ الحُرُوفِ ، بَيْنَمَا زَادَتْ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ الْأُخْرَىٰ .

(3/4/2) جِنَاسُ التَّصرِيفِ :

وَهُوَ اخْتِلَافُ صِيغَةُ الْكَلِمَتَيْنِ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْ حَرْفٍ إِمَّا مِنْ مَخْرَجِهِ أَوْ مِنْ قَرِيبٍ مِنْهُ.[2] يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ «رَسُولُ الحَيَاةِ»[3]:

6ـ هُوَ الحُبُّ لَا الْقَدَرُ المُسْتَطِيلُ يُقَسِّمُ فِي الْكَوْنِ شَتَّىٰ الجُدُودْ

7ـ فَيَمْنَعُ فَالْكَوْنُ شَاكٍ شَقِيٌّ وَيَمْنَحُ فَالْكَوْنُ رَاضٍ سَعِيدْ

حَيْثُ اخْتَلَفَتْ صِيغَةُ الْكَلِمَتَيْنِ الُمتَوَازِيَتَيْنِ بِإِبْدَالِ حَرْفٍ مِنْ حَرْفٍ وَهُمَا مُتَقَارِبَانِ فِي المخْرَجِ (ع ـ ح)، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يُنَاسِبُ المعْنَىٰ تَمَامًا؛إِذْ إِنَّ الْعَيْنَ حَرْفُ جَهْرٍ يُعَبِّرُ عَنِ الْقُوَّةِ فِي المنْعِ وَمِنْ ثَمَّ يَحْدُثُ شَقَاءُ الْكَوْنِ تَحْتَ وَطْأَةِ هَذِهِ الْقُوَّةِ المَانِعَةِ ، أَمَّا حَرْفُ الحَاءِ فَهُوَ حَرْفٌ مَهْمُوسٌ يُعَبِّرُ عَنِ الرِّقَّةِ فِي الْعَطَاءِ وَمِنْ ثَمَّ يَحْدُثُ الرِّضَا وَالسَّعَادَةُ لِلْكَوْنِ .وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةِ «هَدَأْتَ يَا قَلْبُ» [4] :

تُمْسِي وَتُصْبِحُ غَيْرَ مُضْطَرِبٍ ثَبْتَ الجِنَانِ مُرِيحَ الْبَالِ طَمْآنَا

نَعَمْ سَتَعْدِمُ حِسًّا رَقَّ جَانِبُهُ وَدَقَّ فِي عَالَمِ الْإِحْسَاسِ مِيزَانَا

تَأْتِي الْكَلِمَتَانِ المُتَوَازِيَتَانِ بِاخْتِلَافِ الرَّاءِ وَالدَّالِ، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَتَنَاسَبُ مَعَ بِنْيَةِ الْبَيْتِ الدِّلَالِيَّةِ، حَيْث يُمَثِّلُ الرَّاءُ بِتَكْرَارِهِ حَرَكَةَ اضْطِرَابِ الجَوَانِحِ ، وَيُمَثِّلُ الدَّالُ بِدَلَالَتِهِ الانْغِلَاقِيَّةِ[5] عَالَمَ الْإِحْسَاسِ الخَفِيِّ المُنْغَلِقِ عَلَىٰ ذَاتِهِ .

---

(1) السابق ، ص 130 .

(2) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 1 / 107 .

(3) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 79 .

(4) السابق ، ص 105 .

(5) انظر الفقرة (6/3) من الباب الثاني .

(4/4/2) جِنَاسُ الْعَكْسِ :

وَهُوَ أَنْ تَكُونَ إِحْدَىٰ الْكَلِمَتَيْنِ عَكْسُ الْأُخْرَىٰ بِتَقْدِيمِ بَعْضِ حُرُوفِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ[1] ، كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةِ «قَافِلَةُ الرَّقِيقِ»[2] :

وَإِذَا الْآمَــالُ وَالْآلَامُ خَـلْفِي ... سَاخِرَاتٌ مِنْ مَوَاعِيدِي وَخُلْفِي

مُلْـقَـيَـاتٌ بَيْنَ إِهْمَـالٍ مُسِفٍّ ... لَـمْ أُوَدِّعْــهَـا . فَـيَـا وَاحَـزَنَـا

فِي هَـٰذَا الشَّاهِدِ تَأْتِي الْكَلِمَتَـانِ الْمتَوَازِيَتَـانِ صَـوْتِيًّا بِعَـدَدٍ وَاحِـدٍ مِـنَ الحُـرُوفِ ، وَلَكِـنْ تَـمَّ عَكْـسُ حُرُوفِهِمَا ؛ فَالمِيمُ فِي «الآمَالُ» تُوحِي بِالانْغِلَاقِ [3] ، وَهُوَ الَّذِي يَرْغَبُ /يَأْمُلُ مِنْهِ الشَّاعِرُ انْعِتَاقًا ، وَالمِـيمُ فِي نِهَايَةِ «الآلامُ» تُوحِي بِالْوَجَعِ الَّذِي يَظَلُّ مُلَازِمَهُ فِي بَحْثِـهِ عَـنِ الانْعِتَـاقِ وَالحُرِّيَّـةِ. وَفِي قَصِـيدَةِ «صَـوْتٌ» [4] يَقُولُ :

تُــذَكِّــرُنِي حُــبًّـا قَـدِيمًا دَفَنْتُهُ ... وَنَـفَّضْـتُ كَـفِّي يَائِسًا مِنْهُ آسِيَا

حَيْثُ تَشْتَمِلُ كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ المُتَوَازِيَتَيْنِ عَلَىٰ عَدَدٍ وَاحِدٍ مِنَ الحُرُوفِ ، وَلَكِنْ مَعَ عَكْسِ التَّرْتِيبِ .

(5/4/2) جِنَاسُ التَّمَاثُلِ :

وَهُوَ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَتَانِ الْمُتَوَازِيَتَانِ اِسْمَيْنِ أَوْ فِعْلَيْنِ[5] ، كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةِ «صَوْتٌ»:

هُوَ الْيَوْمَ ذِكْرَىٰ لَا تُرْجَىٰ حَـيَاتُـهُ ... فَـلَا هُـوَ مَعْدُومًا وَلَا هُوَ بَاقِيَا

هُوَ الْيَوْمَ آلَامٌ وَقَدْ كَـانَ مُـتْـعَـةً ... وَرَوْحًـا وَرَيْحَانًا وَطَيْـفًا مُنَاغِيًا

فَقَدْ جَاءَتِ الْكَلِمَتَانِ الْمتَوَازِيَتَانِ اِسْمَيْنِ مِنْ جِذْرَيْنِ لُغَوِيَّيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، وَلَمْ يَـأْتِ فِي شِـعْرِ «قُطْـب» مِنْ هَـٰذَا النَّوْعِ تَوَازٍ بَيْنَ فِعْلَيْنِ .

---

(1) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 1 / 108 .
(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 143 .
(3) انظر الفقرة (4/3) من الباب الثاني .
(4) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 155 .
(5) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 1 / 105 .

(6/4/2) جِنَاسُ التَّغَايُرِ :

وَهُوَ أَنْ تَكُونَ إِحْدَىٰ الْكَلِمَتَيْنِ اِسْمًا وَالْأُخْرَىٰ فِعْلًا [1]، كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةِ «خَرِيفُ الحَيَاةِ»[2] :

وَالسُّحْبُ طَافِيَةٌ تُغَشِّي كَالسُّتُورْ وَتَسِيرُ وَانِيَةَ الخُطَا سَيرَ الْأَسِيرْ

حَيْثُ جَاءَتِ الْكَلِمَتَانِ الْمتَوَازِيَتَانِ مِنْ جِذْرٍ مُعْجَمِيٍّ مُخْتَلِفٍ ، وَالْأُولَىٰ فِعْلٌ وَالثَّانِيَةُ اِسْمٌ . وَبِهَذَا يَكْتَمِلُ الْكَشْفُ عَنِ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِاسْتِخْدَامِ الجِنَاسِ بِأَنْمَاطِهِ فِي شِعْرِ «قُطْب» .وَهُوَ يُبْرِزُ مَا يُحْدِثُهُ التَّوَازِي بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ مِنْ نَغْمٍ صَوْتِيٍّ وَسَبْكٍ دَلَالِيٍّ لِلنَّصِّ .

(5/2) رَدُّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ:

فِي هَذَا النَّمَطِ مِنَ التَّوَازِي يُصَدَّرُ الْبَيْتُ بِكَلِمَةٍ، وَيُخْتَتَمُ بِنَفْسِ الْكَلِمَةِ أَوْ بِإِحْدَىٰ مُشْتَقَّاتِهَا، «وَلَعَلَّ تَصْدِيرَ الْعِبَارَةِ وَخِتَامَهَا بِنَفْسِ اللَّفْظَةِ ـ أَيْ كَوْنَهَا مُحَاصَرَةً وَمُحْكَمَةً بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ـ يَعْمَلُ عَلَىٰ تَقْيِيدِ الدِّلَالَةِ وَالدَّفْعِ بِهَا فِي شَكْلِ تَقْرِيرٍ لَا يَقْبَلُ نِقَاشًا أَوْ جَدَلًا».[3]

وَقَدْ أَخَذَ عِنْدَ «قُطْب» نَمَطَيْنِ مِنَ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ :

الْأَوَّلَ: فِي مُسْتَوَىٰ أُفُقِيٍّ، وَهَذَا هُوَ المشْهُورُ فِي مَبَاحِثِ الْبَدِيعِ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ لَهُ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ صُورَةً [4] نَذْكُرُهَا فِيمَا بَعْدُ.

الثَّانِي: فِي مُسْتَوَىٰ رَأْسِيٍّ، يُرَدُّ فِيهِ عَجُزُ النَّصِّ كُلِّهِ عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَقَدْ تَحَقَّقَ فِي تِسْعِ قَصَائِدَ، نُرْجِئُ دِرَاسَتَها إِلَىٰ الْفَصْلِ الثَّالِثِ :«التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ» لِأَنَّ المُنَاسَبَةَ بِهِ أَلْيَقُ هُنَاكَ.

صُوَرُ النَّمَطِ الْأُسْلُوبِيِّ لْأَوَّلِ :

ـ الصُّورَةُ الْأُولَىٰ : وَفِيهَا تَأْتِي الْكَلِمَتَانِ الْمتَوَازِيَتَانِ عَلَىٰ طَرَفِي الْبَيْتِ، حَيْثُ تُوَافِقُ آخِرُ كَلِمَةٍ فِي الْبَيْتِ أَوَّلَ كَلِمَةٍ مِنْهُ، وَهُوَ مَا يُسَمِّيهِ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ المِصْرِيِّ «تَصْدِيرُ الطَّرَفَيْنِ» .[5]

---

(1) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 1 / 104 .
(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 49 .
(3) شكري الطوانسي : مستويات البناء الشعري ، ص 143 ، 144 .
(4) الصورة الحادية عشرة لم تأت مفردة ، بل جاءت مجتمعة مع صورة أخرىٰ .وسيذكر هذا في نهاية دراسة الصور العشر .
(5) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 1 / 116 .

(....) ــــــــــــــــ .:. ــــــــــــــــ(....)

وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي 7 مَوَاضِعَ فَقَطْ ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «الْبِلَادُ الشَّقِيقَةُ»[1]:

9ـ غَرَّتْهُمُو سِنَةُ الْكَرَىٰ فَتَوَهَّمُوا .:. يَا لِلذَّكَاءِ ! فَكَيْفَ قَدْ غَرَّتْهُمُو!

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «صَدَىٰ الْفَاجِعَةِ»[2] :

12 ـ يَا مَانِعَ الْوَادِي الْعَزِيزِ بِنَفْسِهِ .:. مَا بَالُ عُمْرِكَ لَمْ يَكُنْ بِمَنِيعِ

فِي هَذِهِ الصُّورَةِ يُحَقِّقُ رَدُّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ ثَلَاثَ فَوَائِدَ لِلْبَيْتِ يَتَعَانَقُ فِيهَا الصَّوْتُ بِالدِّلَالَةِ، وَهِيَ :

1 ـ رَبْطُ أَوَّلِ الْبَيْتِ بِآخِرِهِ وَالْعَكْسُ مِمَّا يُحَقِّقُ عُنْصُرَ السَّبْكِ فِي أَجْلَىٰ صُوَرِهِ .

2 ـ إِنْتَاجُ مُنْتَجٍ صَوْتِيٍّ مُقَيَّدٍ (الْقَافِيَةِ) مُتَوَازِيًا مَعَ إِيقَاعِ النِّهَايَةِ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ واللَّاحِقِ .

3ـ يَضَعُ الجُمْلَةَ الَّتِي بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ الُمتَوَازِيَتَيْنِ بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ مِمَّا يُزِيدُ مِنْ دِلَالَتِهَا المعْنَوِيَّةِ .

ـ الصُّورَةُ الثَّانِيَةُ : وَفِيهَا تَتَقَدَّمُ الْكَلِمَةُ الْأُولَىٰ إِلَىٰ دَاخِلِ الحَشْوِ، بَيْنَمَا تَظَلُّ الْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ فِي نِهَايَةِ الْبَيْتِ :

ــــــــ(....) ــــــ .:. ــــــــــــــــ(....)

وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي 14مَوْضِعًا ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «عُزْلَةٌ فِي ثَوْرَةٍ »[3]:

2 ـ إِنَّنِي أَنْكَرْتُهُ الْيَوْمَ كَمَا .:. أَنَّهُ بِالْأَمْسِ قَدْ أَنْكَرَنِي

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «بَعْدَ الْأَوَانِ»[4] :

---

(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 269 .

(2) السابق ، ص 265 .

(3) السابق ، ص 25 .

(4) السابق ، ص 38 .

17 ـ هَـٰذِي خُطَايَ عَلَىٰ الطَّرِيقِ وَتِلْكَ وَاجِفَةٌ خُطَاكِ.

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «جَوْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ المَاضِي»[1] :

2 ـ وَاذْكُرَا لِي زَمَانَ عِشْتُ طَرُوبًا .:. لَا أُبَـالِي بِحَـادِثِ الـزَّمَانِ

وَبِهَذَا التَّقَدُّمِ نَجِدُ أَنَّ المَسَافَةَ الزَّمَنِيَّةَ قَدْ ضَاقَتْ شَيْئًا مَا بَيْنَ الْمُنْتَجَيْنِ الْمتَوَازِيَيْنِ، مِمَّا يَجْعَـلُ الْأَثَـرَ الصَّوْتِيَّ لِلتَّوَازِي قَرِيبًا نَوْعًا مَا إِلَىٰ الْأُذُنِ .

ـ الصُّورَةُ الثَّالِثَةُ : وَفِيهَا تَتَقَدَّمُ الْكَلِمَةُ الْأُولَىٰ خُطْوَةً أُخْرَىٰ لِتَصِلَ إِلَىٰ تَفْعِيلَةِ الْعَرُوضِ ، وَبِهَذَا يَحْدُثُ أَثَرٌ صَوْتِيٌّ مُوَازٍ لِأَثَرِ التَّصْرِيعِ فِي بِدَايَةِ الْقَصِيدَةِ .

ـــــــــ (....) .:. ــــــــــــ (....)

وَقَدْ وَرَدَتْ هَـٰذِهِ الصُّورَةُ فِي 13 مَوْضِعًا ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «زَفَرَاتٌ جَامِحَةٌ مَكْبُوحَةٌ»[2] :

5 ـ إِنْ كَانَ بَثُّ الحُبِّ عِنْدَكَ مَأْثَمًا .:. فَكَذَاكَ عِنْدِي سَوْفَ يَغْدُو مَأْثَمَا

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «ابْتِسَامَةٌ» [3]:

9 ـ فَدَيْتُكَ لَا تَأْلُ الحَيَاةَ تَبَسُّمَا .:. فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ لِغَيْرِ التَّبَسُّمِ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «حُلْمُ الحَيَاةِ »[4]:

30 ـ أَيُّهَا الحُلْمُ تُرَىٰ هَلْ كُنْتَ خِدَاعَا   إِيهِ مَا أَصْـدَقَـهُ هَـٰذَا الْـخِـدَاعْ

31 ـ أَيُّهَا الحُلْـمُ الَّـذِي فَـاتَ وَدَاعَـا   مَـا الَّــذِي تَـمْلُـكُهُ غَيْرَ الْـوَدَاعْ

ـ الصُّورَةُ الرَّابِعَةُ : وَفِيهَا تَتَقَدَّمُ الْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ إِلَىٰ حَشْوِ الْعَجُزِ ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ الْأُولَىٰ فِي أَوَّلِ الصَّـدْرِ :

(....) ـــــــــــ .:. ـــــــ (....) ـــــــ

(1) السابق ، ص 67 .
(2) السابق ، ص 31 .
(3) السابق ، ص 99 .
(4) السابق ، ص 209 .

فِي هَذِهِ الصُّورَةِ تَقِفُ الْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ نُتُوءًا فِي مُنْتَصَفِ الْعَجُزِ، حَيْثُ تَقُومُ بِبَثٍّ إِشَارَاتٍ صَوْتِيَّةٍ تَتَّجِهُ إِلَىٰ أَوَّلِ الصَّدْرِ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ فِي 4 مَوَاضِعَ فَقَطْ ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «التَّجَارِبُ»[1] :

4 ـ فَأَصْغَتْ لَهُ الْأَقْدَارُ فِي أُمْنِيَّاتِهِ .:. عَلَىٰ أَنَّهَا لَمْ تُصْغِ يَوْمًا لِطَالِبِ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «فِي مُفْتَرَقِ الطَّرِيقِ» [2]:

4 ـ وَخَبَرْنَا فَلَمْ يُفِدْنَا اخْتِبَارٌ .:. وَسَخِرْنَا مِمَّا خَبَرْنَا طَوِيلَا

ـ الصُّورَةُ الخَامِسَةُ : وَفِيهَا تَتَقَدَّمُ الْكَلِمَةُ الْأُولَىٰ لِمُنْتَصَفِ الصَّدْرِ مَعَ ثَبَاتِ الثَّانِيَةِ عَلَىٰ وَضْعِهَا فِي مُنْتَصَفِ الْعَجُزِ :

ـــــــ (....) ـــــــ .:. ـــــــ (....) ـــــــ

وَبِهَذَا الشَّكْلِ تَتَعَادَلُ الْكَلِمَتَانِ الْمتَوَازِيَتَانِ مَكَانًا وَصَوْتًا، مِمَّا يَجْعَلُ الْأَثَرَ الصَّوْتِيَّ أَكْثَرَ إِثَارَةً لِلْأُذُنِ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي 19 مَوْضِعًا ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ فِي قِطْعَةِ «الحَنِينُ وَالدُّمُوعُ » [3] :

5ـ يَا دُمُوعَ الْوَفَاءِ أَنْتُنَّ أَغْلَىٰ .:. أَنْ تُرَقْرِقْنَ لِلْوَفَاءِ الْغَبِينِ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «قُبْلَةٌ»[4] :

11 ـ أَمْ تُرَاهَا قُبْلَةُ النُّورِ الَّتِي .:. فَاضَ مِنْهَا النُّورُ فِي أَوَّلِ فَجْرِ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «هَدْأَةُ اللَّيْلِ»[5] :

13 ـ هَاتِ يَا لَيْلُ أَحَادِيثَ الهَوَىٰ .:. وَاتْلُ يَا لَيْلُ شُجُونَ الْعَاشِقِينْ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «نَاحِتُ الصَّخْرِ»[6] :

---

(1) السابق ، ص 127 .
(2) السابق ، ص 143 .
(3) السابق ، ص 181 .
(4) السابق ، ص 183 .
(5) السابق ، ص 222 .
(6) السابق ، ص 232 .

16 ـ وَيَا رَحْمَةَ الْإِنْسَانِ أَدْعُوكِ فَاخْجَلِي .:. أَمَامَ بَنِي الْإِنْسَانِ إِنْ كَانَ يَخْجَلُ

ـ الصُّورَةُ السَّادِسَةُ : وَفِيهَا تَصِلُ الْكَلِمَةُ الْأُولَىٰ إِلَىٰ آخِرِ الصَّدْرِ، أَيْ تَحْتَلُّ تَفْعِيلَةَ الْعَرُوضِ ، وَتَبْقَىٰ الْكَلِمَةُ الثَّانِيَةُ فِي مُنْتَصَفِ الْعَجُزِ :

ـــــــــ (....) ـــــــ .:. ـــــــ (....) ـــــــ

وَبِهَذَا الانْتِقَالِ يَتِمُّ الاقْتِرَابُ شَيْئًا مَا، وَبِهِ يَكُونُ الْإِنْتَاجُ الصَّوْتِيُّ قَرِيبًا لِلْأُذُنِ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مُنْفَرِدَةً [1]، فِي قَصِيدَةِ «اضْطِرَابٌ حَانِقٌ»[2]، في البيت رقم(9):

لَا فِرَارًا مِنْ جِهَادٍ كَالجَبَانِ .:. لَا فَمَا كُنْتُ جَبَانًا أَحْذَرُ

ـ الصُّورَةُ السَّابِعَةُ : وَفِيهَا يَتَوَازَىٰ طَرَفَا الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ، حَيْثُ تَحْتَلُّ الْكَلِمَةُ الْأُولَىٰ صَدَارَةَ الصَّدْرِ، وَالثَّانِيَةُ صَدَارَةَ الْعَجُزِ :

(....) ـــــــــــــ .:. (....) ـــــــــــــ

وَهَذِهِ الصُّورَةُ هِيَ أَكْثَرُ الصُّوَرِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا «قُطْب» فِي الْأَدَاءِ الْمُتَوَازِي لِرَدِّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ، إِذْ بَلَغَ عَدَدُ مَوَاضِعِهَا 34 مَوْضِعًا، وَتَتَمَيَّزُ هَذِهِ الصُّورَةُ بِكَوْنِ الْمُتَوَازِي الصَّوْتِيِّ يَأْتِي فِي الصَّدَارَةِ مُنَبِّهًا عَلَىٰ مَا يَحْتَوِيهِ الْبَيْتِ مِنْ مَعَانٍ بَعْدَ الْكَلِمَةِ الْأُولَىٰ وَالثَّانِيَةِ، كَمَا أَنَّهُ يُمَثِّلُ نَغْمَةً تَتَكَرَّرُ عَلَىٰ بُعْدٍ زَمَنِيٍّ وَاحِدٍ ، كَمَا هُوَ الحَالُ فِي الْأَلحَانِ الَّتِي يَتَكَرَّرُ فِيهَا صَوْتُ آلَةٍ مَا عَلَىٰ مَسَافَةٍ مُتَسَاوِيَةٍ .وَمِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ :

قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «اضْطِرَابٌ حَانِقٌ» :

21 ـ حَقَرُوا الْعِفَّةَ وَالحِسَّ الْبَرَاءْ .:. حَقَرُوا الرُّوحَ وَهَامُوا بِالجُسُومِ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «عَاشِقُ الْمُحَالِ»[3] :

13 ـ ضِقْتَ بِالْقَيْدِ مِنْ ذَهَبْ .:. ضِقْتَ بِالْأَمْنِ وَالْقَرَارْ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «لِمَاذَا أُحِبُّكِ»[4] :

---

(1) للصورة السادسة مواضع ثلاثة أخرىٰ مجتمعة مع الصورة السابعة ، ولذا أرجأنا ذكرها إلىٰ لاحقٍ .
(2) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 28.
(3) السابق ، ص 33.
(4) السابق ، ص 167.

1 ـ أُحِبُّكِ حُبَّ الهَوَىٰ وَالجُنُونْ   أُحِبُّكِ حُـبَّ الـرَّشَـادِ الـرَّزِينْ

2 ـ أُحِـبُّـكِ بِالْـقَلْبِ وَفِي وَقْدَةٍ   أُحِبُّكِ بِالْعَقْلِ جَمِّ السُّكُــونْ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «اللَّحْنُ الحَزِينُ»[1] :

1 ـ أَسَىٰ الْألْـحَانِ أَمْ هَٰذا   أَسَــاكِ يَسِيــلُ فِي اللَّحْنِ

3 ـ وَأَيْنَ نَشِيدُكِ الرَّاضِي   وَأَيْــنَ نَشِيـــدُكِ الْعَذْبُ

4 ـ وَأَيْنَ الْفَرْحَةُ النَّشْوَىٰ   وَأَيْـــنَ الْـقَـفْـزُ وَالْوَثْبُ

ـ الصُّورَةُ الثَّامِنَةُ : وَفِيهَا تَتَقَدَّمُ الْكَلِمَةُ الأُْولَىٰ لِتَحْتَلَّ وَسْطَ الصَّدْرِ، بَيْنَمَا تَظَـلُّ الْكَلِمَـةُ الثَّانِيَـةُ فِي أَوَّلِ الْعَجُزِ، وَهَذَا يُقَرِّبُ بَيْنَ الْكَلِمَتَيْنِ الُمتَوَازِيَتَيْن :

ـــــــ (....) ــــــ .:. (....) ـــــــــــــــــ

وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي 11 مَوْضِعًا ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «ذِكْرَىٰ سَعْدٍ »[2]:

18 ـ هِيَ بَعْضُ تَارِيخِ الْبِلَادِ فَلَمْ تَكُنْ .:. تَـارِيخَ فَــرْدٍ يَنْــطَـوِي وَيُثَارُ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «صَدَىٰ قُبْلَةٍ»[3] :

7 ـ أَذَلِكَ جِسْمٌ فَأَيْنَ الخَيَالُ .:. وَأَيْــنَ عَـرَائِسُهُ النافِـرَهْ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «هِيَ أَنْتِ»[4] :

15 ـ شَجِّعِينِي عَلَىٰ الجِهَادِ طَوِيلًا .:. فَـجِـهَادُ الحَيَاةِ جَدُّ شَدِيدِ

ـ الصُّورَةُ التَّاسِعَةُ : وَفِيهَا تَقْتَرِبُ الْكَلِمَتَانِ أَكْثَرَ ، حَيْثُ تَحْتَلُّ الْأُولَىٰ الْعَرُوضَ ، وَالثَّانِيَةُ أَوَّلَ الْعَجُزِ :

ـــــــــــــ (....) .:. (....) ـــــــــــــــــ

وَهَـذِهِ الصُّـورَةُ عَـلَىٰ مَـا بِهَـا مِـنْ تَقَـارُبٍ صَـوْتِيٍّ بَـيْنَ الْكَلِمَتَـيْنِ إِلَّا أَنَّهَـا لَـمْ تَـأْتِ إِلَّا فِي مَوْضِـعٍ

(1) السابق ، ص 173.
(2) السابق ، ص 253 .
(3) السابق ، ص 202 .
(4) السابق ، ص 156 .

وَاحِدٍ، وَذَلِكَ فِي قَصِيدَةِ «رِثَاءُ عَهْدٍ»[1] في البيت 11 :

أَهُـنَـا مَـثْـوَاكَ يَـا عَـهْـدُ هُنَا .:. أَهُـنَـا يَا عَهْدُ أَقْصَىٰ خُطُوَاتِكْ

وَهَذَا الشَّاهِدُ يُمَثِّلُ مَا أَسْمَاهُ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ المِصْرِيّ تَصْدِيرَ التَّبْدِيلِ، «وَهُوَ أَنْ يُصَدِّرُ الُمـتَكَلِّمُ الآخِـرَ مِنْ كَلَامِهِ أَوَّلًا وَبِالْعَكْسِ».[2]

ـ الصُّورَةُ الْعَاشِرَةُ : وَفِيهَا تَتَقَارَبُ الْكَلِمَتَـانِ بِحَيْـثُ تُصْبِحَان فِي عَجُـزِ الْبَيْـتِ ، تَحْتَـلُّ الْأُولَىٰ بِدَايَتَـهُ وَالثَّانِيَةُ نِهَايَتَهُ، وَهَكَذا يُحَمِّلُ الْعَجُزَ دَلَالَةً صَوْتِيَّةً مَعْنَوِيَّةً مَسْبُوكَةً :

———— .:. (....) ———— (....)

وَقَدْ تَحَقَّقَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ فِي 7 مَوَاضِعَ فَقَطْ ، مِنْهَا :

قَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «اضْطِرَابٌ حَانِقٌ» :

3 ـ آهِ لَا شَكْوَىٰ وَلَا بَثَّ شَجَنْ .:. لَا أُرِيدُ الضَّعْفَ كَلَّا لَا أُرِيدْ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «سَعَادَةُ الشُّعَرَاءِ»[3] :

15 ـ اللَّيْلُ يُشْجِينِي بِرَائِعِ صَحْوِهِ .:. وَكَوَاكِبٍ يَغْرُبْنَ إِثْرِ كَوْكَبِ

وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَةِ «صَوْتُ الْوَطَنِيَّةِ»[4] :

10 ـ المَطَايَا حِينَ تَخْشَىٰ حَتْفَهَا .:. تُعْطِبُ السَّائِقَ دُونَ الْعَطَبِ

ـ الجَمْعُ بَيْنَ صُورَتَيْنِ:

وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا فِي (8) مَوَاضِعَ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ صُورَتَيْنِ مِنَ الصُّوَرِ السَّابِقَةِ، أَوْ بِصُورَةٍ مِـنَ السَّـوَابِقِ مَـعَ الصُّورَةِ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ، الَّتِي تَأْتِي فِيهَا الْكَلِمَتَانِ الُمتَوازِيَتَانِ فِي صَدْرِ الْبَيْتِ، الْأُولَىٰ فِي أَوَّلِهِ وَالثَّانِيَةُ فِي آخِرِهِ .

(....)———— (....) .:. ————

- الجَمْعُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ السَّادِسَةِ وَالسَّابِعَةِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ:

---

(1) السابق ، ص 72 .

(2) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 1 / 118 .

(3) السابق ، ص 41 .

(4) السابق ، ص 271 .

أ ـ فِي قَصِيدَةِ «خُدْعَةُ الخُلُودِ» [1]:

1 ـ لَا أَنْتِ سَالِكِ الزَّمَانُ وَلَا أَنَا .:. لَا أَنْتِ دَاعِيَةٌ وَلَا أَنَا مُسْتَجِيبُ

ب ـ فِي قَصِيدَةِ «فِي مُفْتَرَقِ الطَّرِيقِ»:

3 ـ وَرَأَيْنَا الْأَوْهَامَ تَبْدُو شُخُوصًا .:. وَرَأَيْنَا الشُّخُوصَ تَبْدُو هُيُولَىٰ

جـ ـ فِي قَصِيدَةِ «جَوْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ المَاضِي»:

17 ـ هِيَ عِنْدِي أَعَزُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .:. وَهْـيَ تَبْـقَىٰ وَكُـلُّ مَـا عَزَّ فَانِ

● الجَمْعُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الثَّانِيَةِ وَالسَّابِعَةِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ :

د ـ فِي قَصِيدَةِ «عِبَادَةٌ جَدِيدَةٌ» [2] :

1 ـ لَكَ يَا جَمَالُ عِبَادَتِي .:. لَكَ أَنْتَ وَحْدَكَ يَا جَمَالْ

● الجَمْعُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الثَّالِثَةِ وَالسَّابِعَةِ فِي مَوْضِعٍ فَقَطٍ :

هـ ـ فِي قَصِيدَةِ «جَوْلَةٌ فِي أَعْمَاقِ المَاضِي»:

30 ـ لَوْ تَسَاوَىٰ الْإِحْسَاسُ فِي كُلِّ آنٍ .:. تَتَسَاوَىٰ الْأَشْيَاءُ فِي كُلِّ آنِ

● الجَمْعُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الخَامِسَةِ وَالسَّابِعَةِ فِي مَوْضِعٍ فَقَطْ :

و ـ فِي قَصِيدَةِ «أَقْدَامٌ فِي الرِّمَالِ» [3] :

7 ـ مِنْ ظَلَامِ الْغَيْبِ فِي التِّيهِ الْبَعِيدِ .:. لِظَلَامِ الْغَيْبِ فِي التِّيهِ المدِيدِ

● الجَمْعُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ السَّابِعَةِ وَالحَادِيَةَ عَشْرَةَ فِي مَوْضِعٍ فقط:

ز ـ فِي قَصِيدَةِ «الْكَأْسُ المسْمُومَةُ» [4] :

1 ـ أَقْلَاكِ أَقْلَاكِ كَالشَّيْطَانِ أَقْلَاكِ .:. أَقْلَاكِ كَالسُّمِّ يَسْرِي جَدَّ فَتَّاكِ

● الجَمْعُ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ الخَامِسَةِ وَالْعَاشِرَةِ فِي مَوْضِعٍ فقط :

---

(1) السابق ، ص 147.
(2) السابق ، ص 87.
(3) السابق ، ص 145.
(4) السابق ، ص 211 .

ح ـ فِي قَصِيدَةِ «حُبُّ الشَّكُورِ »[1]:

5 ـ إِنْ لَمْ أُحِبَّكِ حُبَّ مَفْتُونٍ وَلَا .:. حُبَّ الْأَسِيرِ ، إِذَنْ فَحُبُّ الشَّكُورِ

وَلَعَلَّهُ مِنَ الْمُلَاحَظِ أَنَّ الصُّورَةَ السَّابِعَةَ هِيَ الْقَاسِمُ الْمُشْتَرَكُ فِي سَبْعِ مَوَاضِعَ مِنْ مَوَاضِعِ الجَمْعِ بَيْنَ صُورَتَيْنِ، وَهَذَا يُؤَازِرُ مَا تَوَصَّلَتْ إِلَيْهِ الدِّرَاسَةُ مِنْ أَنَّ الصُّورَةَ السَّابِعَةَ هِيَ أَكْثَرُ الصُّوَرِ تَكْرَارًا فِي شِعْرِ «قُطْب»، وَعَلَىٰ ذَلِكَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْأَدَاءَ الْأُسْلُوبِيَّ لَهُ فِي هَذَا النَّمَطِ الصَّوْتِيِّ الْمُتَوَازِي ـ رَدِّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ بِشَكْلٍ أُفُقِيٍّ ـ يَمِيلُ إِلَىٰ تَكْرَارِ الْبِدَايَةِ ، حَيْثُ تُمَثِّلُ هَذِهِ الصُّورَةُ نَغْمَةً تَتَكَرَّرُ فِي بِدَايَةِ الصَّدْرِ وَبِدَايَةِ الْعَجُزِ، فَهُمَا أَوَّلُ مَا يَقْرَعُ الْأُذُنَ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْ جُزْأَيِ الْبَيْتِ .

(6/2) التَّرْدِيدُ:

يُمَثِّلُ التَّرْدِيدُ آلِيَّةً صَوْتِيَّةً تَنْتُجُ عَنِ تَوَازِي مَوْضِعَيْنِ لِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ «أَنْ يُعَلِّقَ الْمُتَكَلِّمُ لَفْظَةً مِنَ الْكَلَامِ بِمَعْنَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّهَا بِعَيْنِهَا وَيُعَلِّقُهَا بِمَعْنًى آخَرَ».[2] وَهُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ مُنْتِجٌ صَوْتٌ مَعْنَوِيٌّ مِنَ الدَّرَجَةِ الْأُولَىٰ، إِذْ إِنَّهُ «يَأْخُذُ طَابِعًا مُتَمَيِّزًا عَلَىٰ تَرْتِيبِ الدِّلَالَةِ وَالنُّمُو بِهَا تَدْرِيجِيًّا فِي نَسَقٍ أُسْلُوبِيٍّ يَعْتَمِدُ عَلَىٰ التَّكْرَارِ اللَّفْظِيِّ» .[3]

فَفِي قَصِيدَةِ «الشَّاعِرُ فِي وَادِي الْـمَوْتَىٰ»[4]:

5ـ وَغَشَّاهُ رَوْعُ الموْتِ ، وَالموْتُ رَوْعَةٌ	تَـغَـشَّىٰ فَيَعْنُو كُـلَّ نَكْسٍ وَقَادِرِ
9 ـ وَسَاءَلَ عَنْهُ الموْتَ ، وَالموْتُ سَادِرٌ	وَسَاءَلَ عَنْهُ الشِّعْـرَ فِي حَـنْـقٍ ثَائِرِ
12 ـ أَلَمْ يَـخْـلَـعِ الموْتُ الْأَحَابِيلَ كُلَّهَا	أَحَـابِيــلَ أَوْهَـامِ الحَيَاةِ الْـجَوَائِرِ
40 ـ وَمَاذَا وَرَاءَ الْغَيْبِ ، وَالْغَيْبُ مُطْبَقٌ	وَهَــلْ يَجْـتَـلِي مَـرَّةً لِلـنَّــوَاظِــرِ
41ـ سُـؤَالُ أَخِي شَوْقٍ وَقَدْ طَالَ شَوْقُهُ	وَحِـيرَتُــهُ بَـيْنَ الشُّـكُوكِ الْكَوَافِرِ

فِي هَـذِهِ الْأَبْيَـاتِ الخَمْـسِ يَظْهَـرُ التَّرْدِيـدُ جَلِيًّـا غَـيْرَ مُـرْتَبِطٍ بِمَكَـانٍ فَتَـارَةً تَـتَرَدَّدُ الْكَلِمَـةُ فِي

(1) السابق ، ص 193.

(2) ابن أبي الإصبع المصري : كتاب تحرير التحبير ، 2 / 253 .

(3) د . محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، ص 300 .

(4) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 122.

الصَّدْرِ، وَتَارَةً أُخْرَىٰ بَيْنَ الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ، وَلَعَلَّهُ مِنَ المُلَاحَظِ أَنَّ الْكَلِمَةَ نَفْسَهَا تَرِدُ فِي مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَفِي الْبَيْتِ الخَامِسِ تَأْتِي كَلِمَةُ «المَوتِ» فِي مَعْنَىٰ الإِخْبَارِ، ثُمَّ تَتَرَدَّدُ فِي مَعْنَىٰ الْإِقْرَارِ بِرَوْعَةِ المَوْتِ وَفَزَعِهِ، كَذَا هُوَ الْأَمْرُ فِي الْبَيْتِ التَّاسِعِ، وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَشَرَ تَتَرَدَّدُ كَلِمَةُ «الْأَحَابِيلَ» فِي مَعْنَىٰ الخَبَرِ تَارَةً ثُمَّ فِي مَعْنَىٰ الْإِجَابَةِ عَنْ سُؤَالٍ مَحْذُوفٍ فِي بِنْيَةٍ عَمِيقَةٍ لِلُغَةِ النَّصِّ، تَقْدِيرُهُ :مَا الْأَحَابِيلُ الَّتِي خَلَعَهَا المَوْتُ ؟ وَتَكُونُ الْإِجَابَةُ: خَلَعَ أَحَابِيلَ الحَيَاةِ ..، وَفِي الْبَيْتِ الْأَرْبَعِينَ تَتَرَدَّدُ كَلِمَةُ «الْغَيْبِ» فِي مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ وَاضِحَيْنِ، الْأَوَّلُ :مَعْنَىٰ السُّؤَالِ الَّذِي يَعْكِسُ حَرَارَةَ الرَّغْبَةِ فِي مَعْرِفَةِ مَا وَرَاءَ الْغَيْبِ، وَالثَّانِي: مَعْنَىٰ الْإِقْرَارِ بِأَنَّ الْغَيْبَ لَا يُفْصِحُ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ مُطْبَقٌ عَلَىٰ أَسْرَارٍ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللـه ﷻ. وَفِي الْبَيْتِ الحَادِي وَالْأَرْبَعِينَ تَتَرَدَّدُ كَلِمَةُ «شَوْق» فِي إِطَارِ مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، الْأَوَّلُ: فِي وَصْفِ الزَّائِرِ الَذِي زَارَ المَقَابِرَ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ البَهِيمِ ، وَالثَّانِي: فِي إِقْرَارِ حَالَتِهِ.

وَعَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ يَتَدَرَّجُ التَّرْدِيدُ فِي النُّمُوِّ بِالدِّلَالَةِ، وَيَتْبَعُ هَذَا التَّدَرُّجَ المعْنَوِيَّ تَغَيُّرٌ فِي إِيقَاعِ الْقِرَاءَةِ، فَحِينَ تُقْرَأُ هَذِهِ الْأَبيَاتُ قِرَاءَةً صَوْتِيَّةً سَيُلَاحَظُ انْكِسَارُ الْإِيقَاعِ عِنْدَ الْكَلِمَةِ الثَّانِيَةِ وَذَلِكَ لِإِيضَاحِ المعْنَىٰ الجَدِيدِ لِلْكَلِمَةِ فِي السِّيَاقِ الآخَرِ، فَنَغْمَةُ الْقِرَاءَةِ فِي قَوْلِهِ : «وَغَشَّاهُ رَوْعُ الموْتِ» تَخْتَلِفُ أَيَّمَا اِخْتِلَافٍ عَنْهَا فِي قَوْلِهِ:«وَالموتُ رَوْعَةٌ» فَهِيَ نَغْمَةُ إِقْرَارٍ بِحَقِيقَةِ الموْتِ وَفَزَعِهِ وَوَحْشَةِ قَبْرِهِ، وَنَغْمَةُ الْقِرَاءَةِ الصَوْتِيَّةِ لِقَوْلِهِ «وَمَاذَا وَرَاءَ الْغَيْبِ» تَخْتَلِفُ عَنْ نَغْمَةِ قَوْلِهِ:« والْغَيْبُ مُطْبَقٌ» ، إِذْ هِيَ نَغْمَةُ إِقْرَارٍ بَعْدَ نَغْمَةِ سُؤَالٍ.

تَعَامَلَ «قُطْب» مَعَ آلِيَّةِ التَّرْدِيدِ فِي 37 مَوْضِعًا مِنْ أَبْيَاتِهِ فِي 27 قَصِيدَةً، تمَّ رصْدُها وَنَخرج بِالمُلَاحَظَاتِ الآتِيَةِ :

1 ـ يُعَدُّ الْإِطَارُ الصَّوْتِيُّ لِوَزْنِ الْكَامِلِ هُوَ أَكْثَرُ الْأُطُرِ الَّتِي يَتَحَرَّكُ فِيهَا التَّرْدِيدُ بِنِسْبَةِ 8 قَصَائِدَ، يَلِيهِ الرَّمَلُ فِي 7 قَصَائِدَ، يَلِيهِ الخَفِيفُ فِي 4 قَصَائِدَ ، يَلِيهِ الطَّوِيلُ وَالْبَسِيطُ فِي 3 قَصَائِدَ ، ثُمَّ الُمتَقَارِبُ فِي قَصِيدَتَيْنِ.

2 ـ يَدْخُلُ التَّرْدِيدُ الْقَصَائِدَ ذَاتَ الْقَافِيَةِ المُوَحَّدَةِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا، حَيْثُ يَنْتَشِرُ أَكْثَرَ فيهَا بِنِسْبَةِ 17 قَصِيدَةً بَيْنَمَا تَوَزَّعَتْ الْأَنْمَاطُ الْأُخَرىٰ لِلتَّقْفِيَةِ عَلَىٰ 10 قَصَائِدَ .

(7/2) قَافِيَةُ المَطَالِعِ:

لَا تَقْتَصِرُ الْبَلَاغَةُ المفْتُوحَةُ عَلَىٰ الْأَنْمَاطِ الُمتَدَاوَلَةِ فِي الْأَشْكَالِ الْبَلَاغِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَتَجَاوَزُ ذَلِكَ

إِلَىٰ الاعْتِدَادِ بِكُلِّ مَا يَتَمَثَّلُ فِي النَّصِّ بِاعْتِبَارِهِ شَكْلًا لُغَوِيًّا.[1] وَقَدْ يَحْدُثُ أَحْيَانًا أَنْ تَتَحَـوَّلَ لَازِمَـةٌ لُغَوِيَّـةٌ إِلَىٰ رَكِيزَةٍ بِنَائِيَّةٍ يَنْبَثِقُ مِنْهَا الْبَيْتُ أَوْ مَجْمُوعَةُ الْأَبْيَاتِ، وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الرَّكِيزَةُ هِيَ الْبُـؤْرَةُ الَّتِـي تَنْبَثِـقُ مِنْهَـا الْقَصِيدَةُ كُلُّهَا .

وَقَدْ لُوحِظَ عِنْدَ «قُطْب» اِسْتِخْدَامُ أَنْمَاطٍ لُغَوِيَّةٍ لِبِدَايَةِ الْبَيْتِ، تَتَكَـرَّرُ عَـبْرَ مِسَـاحَةِ ثَلَاثَـةِ أَبْيَـاتٍ أَوْ يَزِيدُ.وَهَذَا التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ الْمتكَرِّرُ فِي بِدَايَةِ الْبَيْتِ يُكَوِّنُ مَا يُشْـبِهُ قَافِيَـةً.[2] فَـإِذَا كَانَـتِ الْقَافِيَـةُ فِي نِهَايَـةِ الْبَيْتِ، فَإِنَّ هَذِهِ الرَّكَائِزَ اللُّغَوِيَّةَ تُمَثِّلُ قَافِيَةً مَعْكُوسَةً؛ قَافِيَةٌ لِأَنَّ بِدَايَاتِ الأَبْيَاتِ تَتَـوَازَىٰ صَـوْتِيًّا وَمَقْطَعِيًّـا، وَمَعْكُوسَةً لِأَنَّهَا تَجِيءُ فِي بِدَايَةِ الْأَبْيَاتِ .

وَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَتَمَثَّلُ فِيهَا هَذِهِ الْآلِيَّةُ الصَّـوْتِيَّةُ 117 مَوْضِـعًا مُوَزَّعَـةً عَـلَىٰ 73 قَصِـيدَةً، يَقُولُ فِي قَصِيدَةِ «مَأْسَاةُ الْبَدَارِيّ» [3]:

يَـا أَيُّهَـا الــرُّفَقَاءُ بِالْـحَـيَـوَانِ لَا	تَـنْـسُـوا أَنَـاسِـيًّـا تَـئِــنُّ وَتَـأْلَمُ
فِي مِصْرَ قَدْ تَلْقَىٰ الْكِلَابُ رِعَايَةً	بَـيْـنَـا يُـحَـقَّـرُ شَـعْـبُهَا وَيُحَطَّمُ
فِي مِصْرَ لَا يَلْقَىٰ الْـمُسِيءُ جَزَاءَهُ	لَا بَـلْ يُـكَـافَـأُ دُونَـهُ وَيُـكَـرَّمُ
فِي مِصْرَ مَا لَا يَحْفَظُ التَّـارِيخُ مِنْ	فُحْشٍ يَـعِـجُّ بِهَـا وَفُحْشٍ يُكْتَمُ
فِي مِصْرَ لَوْ فِي مِصْرَ بَعْضُ كَرَامَةٍ	غَضِبَتْ وَفَارَ عَلَىٰ جَوَانِبِهَا الدَّمُ

فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ تُمَثِّلُ شِبْهُ الجُمْلَةِ «فِي مِصْرَ» قَافِيَةً مَعْكُوسَةً تَتَوَازَىٰ مَعَ الْقَافِيَـةِ الطَّبِيعِيَّـةِ، وَهِـيَ نُقْطَةُ انْطِلَاقٍ يَهْدُفُ الشَّاعِرُ مِنْ وَرَائِهَا التَّنْدِيـدَ بِالسِّيَاسَـةِ التَّعْذِيبِيَّـةِ لِلشُّرْطَـةِ آنَـذَاك، وَقَـدْ تَجَلَّـتْ هَـذِهِ السِّيَاسَةُ الْغَاشِمَةُ فِي مَأْمُورِ سِجْنِ الْبَدَارِي الَّذِي مَارَسَ وَحْشِيَّةً بَالِغَةً مَعَ السُّجَنَاءِ، جَدِيرٌ بِالذِّكْرِ أَنَّ الشَّـاعِرَ كَتَبَ هَذَا النَّصَّ قَبْلَ أَنْ يَتَّجِهَ اتِّجَاهَهُ الْفِكْرِيَّ الْمشْهُورَ عَنْهُ بِسَنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ .

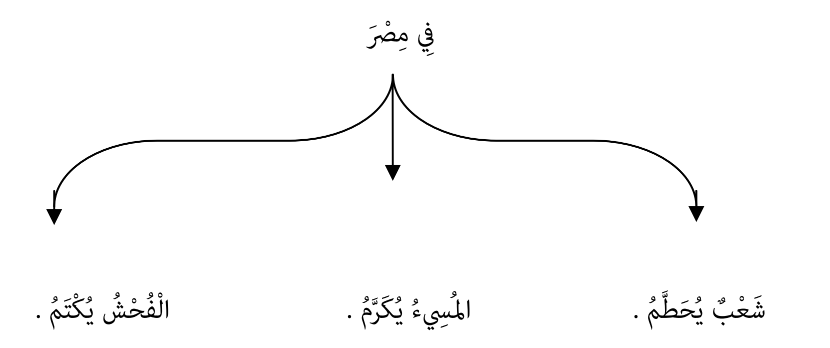
قَامَتِ الْقَافِيَةُ الْمعْكُوسَةُ فِي هذَا الْمقْطَعِ بِحَصْرِ الْمأْسَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ فِي مِصْرَ وَحْدَهَا، مِمَّا جَعَلَهَـا مُنْتَجًـا صَوْتِيًّا وَمَعْنَوِيًّا مِنَ الطِّرَازِ الْأَوَّلِ عَلَىٰ نَحْوِ الشَّكْلِ التَّالِي :

---

(1) د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص 176 .

(2) انظر : د. عوني عبد الرؤوف : القافية والأصوات اللغوية ، ص 10 .

(3) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 270 .



إنَّ المُنْتَجَ الصَّـوْتِيَّ المُتَـوَازِي يُقَـدِّمُ جَوَانِـبَ المَأْسَـاةِ الحَقِيقِيَّـةِ لمِصْرَ إِبَّـانَ السِّيَاسَـةِ السَّـيِّئَةِ فِي إِدَارَةِ شُؤُونِها، هَذِهِ السِّيَاسَةُ الَّتِي أَفْقَدَتْ الإِنْسَانَ إِنْسَانِيَّتَهُ وَسَحَقَتْهُ؛سَعْيًا لِتَنْفِيذِ مَشَارِيعِهَا النَّهْضَوِيَّةِ .

وَيَقُولُ فِي قَصِيدَةِ «عَيْنَانِ » [1]:

إِلَىٰ أَيِّ سِــرٍّ بَـلْ إِلَىٰ أَيِّ طَلْـسَـمِ ... تَـوَجَّـهَ مِـنْ عَيْنِك شُعَاعُ مُلْهِمِ
إِلَىٰ مَـخْبَأِ الْأَسْـرَارِ فِي نَـفْـسٍ كَاهِنٍ ... تُـحَـجِّـبُـهَا أَسْـتَـارُ دُجْوَانٍ مُظْلِمِ
إِلَىٰ الْغَـابِرِ المَاضِي الَّذِي ضَاعَ رَسْمُهُ ... وَغَـيَّـبَـهُ النِّـسْـيَانُ فِي تِـيـهِ عَيْلَمِ
إِلَىٰ الْـقَـابِـلِ الْآتِي الَّــذِي نَـدَّ طَيْفُهُ ... عَنِ الْوَهْمِ بَلْ ضَلَّتْهُ رُؤْيَا الْـمُنَجِّمِ
إِلَىٰ حَـيْـثُمَا الْأَقْدَارُ تَمْضِي أُمُــورَهَـا ... عَـلَىٰ خُـفْـيَـةٍ مِـنْ وَهْمِهِ الْـمُتَوَهِّمِ
إِلَىٰ مَـا وَرَاءَ الْـكَـوْنِ وَالْـعَالَمِ الَّذِي ... تُـحِـيطُ بِـهِ رُؤْيَـا السَّحِيرِ الْـمُنَوِّمِ

فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يَبْدَأُ النَّصُّ بِسُؤَالٍ يَبْحَثُ عَنْ عُمْقِ تِلْكَ الْعَيْنَيْنِ، الَّتِي تَحْمِلُ الْأَسْرَارَ وَالطَّلَاسِمَ، ثُمَّ تَنْبثُق الْإِجَابَةُ عَنْ هذا الطَّلْسَمِ فِي عِدَّةِ احْتِمَالَاتٍ مِنْ خِلَالِ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ كُلٌّ منها يَحْمِلُ اِحْتِمَالًا يَتَّجِـهُ إِلَىٰ مَكَانٍ، فَهُوَ تَارَةً يَتَّجِهُ إِلَىٰ عَالَمٍ دَفِينٍ، وَأُخْـرَىٰ يَرْتَـدُّ إِلَىٰ المَـاضِي، وَثَالِثَـةً إِلَىٰ المسْـتَقْبَلِ، وَرَابِعَـةً حَيْـثُ تَشَـاءُ الْأَقْدَارُ، وَخَامِسَةً إِلَىٰ مَا وَرَاءَ الْكَوْنِ مِنْ عَوَالِمَ .

لَقَدْ أَدَّتْ قَافِيَةُ المَطَالِعِ إِلَىٰ إِحْدَاثِ عَالَمٍ مُتَمَزِّقِ الاتِّجَاهَاتِ وَالرُّؤَىٰ، غَيْرِ مُسْتَقِرٍّ عَلَىٰ حَالٍ، مِمَّا جَعَلَهَا أَدَاةً نَاجِحَةً فِي تَمْثِيلِ الطَّلْسَمِ المُخَبَّإِ الاتِّجَاهَاتِ أَوِ الاحْتِمَالَاتِ الَّتِي تُحَاوِلُ أَنْ تُؤَوِّلَـهُ، وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَىٰ أَحْدَثَتْ خَطًّا مُتَوَازِيًا مَعَ خَطِّ الْقَافِيَةِ الطَّبِيعِيِّ فِي نِهَايَـةِ كُـلِّ بَيْـتٍ مِـمَّا جَعَـلَ

(1) السابق ، ص 161 .

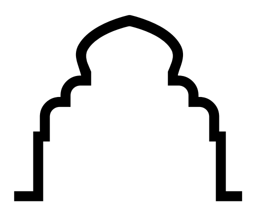
المقْطَعَ يَسِيرُ فِي خَطَّيْنِ مُتَوَازِيَيْنِ رَأْسِيًّا :

إِلَىٰ	⟷	مُـلْـهِمِ
إِلَىٰ	⟷	مُـظْلِـمِ
إِلَىٰ	⟷	عَـيْلَـمِ
إِلَىٰ	⟷	الْـمُنَجِّمِ
إِلَىٰ	⟷	الْـمُتَوَهِّمِ
إِلَىٰ	⟷	الْـمُنَوِّمِ

كَمَا قَامَتْ بِإِحْدَاثِ عَالَمٍ ضَبَابِيٍّ يَتَوَازَىٰ دَلَالِيًّا مَعَ عَـالَمِ الطَّلَاسِـمِ، فَـإِذَا مَـا قَرَأْنَـا مُعْطَيَـاتِ الشَّـكْلِ السَّابِقِ بِطَرِيقَةٍ أُفُقِيَّةٍ، سَنَجِدُ أَنَّ الدَّلَالَـةَ تَـؤُولُ إِلَىٰ دَوَائِـرِ الْعُمْـقِ : فَـ«مُلْهِـمِ»، تَنْتَمِـي إِلَىٰ عُمْـقِ الْفِكْـرِ، و«مُظْلِمِ» تَنْتَمِي إِلَىٰ عُمْقِ الظَّلَامِ وَاسْتِحَالَةِ الرُّؤْيَةِ وَ«عَيْلَمِ»(الْبَحْرُ) يُمَثِّلُ الْعُمْـقَ المَـادِيَّ، وَ«المـنَجِّمِ» يُمَثِّـلُ النَّظْرَةَ الْعَمِيقَةَ الَّتِي تُحَاوِلُ أَنْ تَسْتَشرِفَ المسْتَقْبَلَ وَ«المتَـوَهِّمِ» المُتعَمِّـقُ فِي تَصـدِيقِ أَوْهَامِـهِ، و«المنَـوِّمِ» الَّذِي يُحْدِثُ النَّوْمَ بِعُمْقٍ.

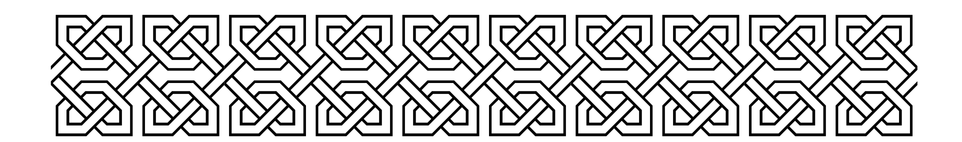
تَوَقَّفَ هَذَا الْفَصْلُ عِنْدَ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَـلَىٰ مُسْـتَوَىٰ الْكَلِمَـةِ المتكَـرِّرَةِ فِي أَنْمَـاطٍ مُتَعَـدِّدَةٍ مِنْهَـا مَـا يَكْتَفِي بِتَصَدُّرِهِ أَوَّلَ الْقَصِيدَةِ مِثْلُ التَّصْرِيعِ، وَمِنْهَا مَا يَكْتَفِي بِوُجُودِهِ فِي نِهَايَةِ النَّصِّ مُتَوَازِيًـا مَـعَ التَّصْرِيـعِ، وَهَذَا مَا ذَهَبْنَا إِلَىٰ تَسْمِيَّتِهِ التَّصْرِيعَ النِّهَائِيَّ، وَمِنْهَا مَا لَـمْ يَتَقَيَّـدْ بِمَكَـانٍ فَيَظَـلُّ هَائِمًـا فِي سَـمَاءِ الـنَّصِّ مِثْـلُ الجِنَاسِ بِأَنْوَاعِهِ، وَمِنْهَا مَا يَرْتَبِطُ بِصَدْرِ الْبَيْتِ وَعَجُزِهِ مِثْلُ رَدِّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ، وَمِنْهَا مَا يَلْتَزِمُ بِدَايَةَ كُـلِّ بَيْتٍ مِثْلُ قَافِيَةِ المطَالِعِ .

بَيْدَ أَنَّ أَبْعَادَ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المتَوَازِي لَا تَكْتَمِـلُ إِلَّا إِذَا تَوَقَّفْنَـا بِـهِ فِي مَرْحَلَـةٍ أَخِـيرَةٍ أَمَـامَ التَّرْكِيـبِ أَوِ الجُمْلَةِ ، وَهَذَا هُوَ مَوْضُوعُ الْفَصْلِ الْأَخِيرِ مِنَ الدِّرَاسَةِ .



الفصل الثالث

التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوىٰ التَّرْكِيبِ



التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوىٰ التَّرْكِيبِ

(1/3) يُعَدُّ التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ مِنْ أَكْثَرِ المسْتَوَيَاتِ أَهَمِّيَّةً فِي تَقْيِيمِ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المُتَوَازِي؛وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشْمَلُ تَوَازِيَ جُمْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ مَعَ غَيْرِهَا، وَهَذَا التَّوَازِي يُحَقِّقُ قِيمَةً «صَوْتَ دَلَالِيَّةٍ» عَلَىٰ مُسْتَوًىٰ أَوْسَعَ، وَمِنْ ثَمَّ يُحَقِّقُ التَّمَاسُكَ النَّصِّيَّ أَوِ الامْتِدَادَ النَّصِّيِّ « Stretch Text » عَلَىٰ أَكْبَرِ مُحِيطٍ مُمْكِنٍ .

وَيَحْدُثُ التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ عَنْ طَرِيقِ:

1 ـ التَّوَازِي الْقَرِيبِ « Near Parallelism»، وَهُوَ يَقُومُ بِدَوْرِهِ فِي إِنْتَاجِ الُممَاثَلَةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي خَطَّيْنِ : أُفُقِيٍّ وَرَأْسِيٍّ عَلَىٰ بُعْدٍ قَرِيبٍ .

2 ـ التَّوَازِي الْبَعِيدِ « Far Parallelism»، وَهُوَ تَكْرَارُ بَيْتٍ فِي نِهَايَةِ الْقَصِيدَةِ سَبَقَ أَنْ جَاءَ فِي صَدْرِهَا، أَوْ مَا يُمْكِنُ أَنْ نُسَمِّيَهُ رَدَّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ بِمُسْتَوىٰ رَأْسِيٍّ ، حَيْثُ يَتِمُّ رَدُّ آخِرِ الْقَصِيدَةِ إِلَىٰ أَوَّلِهَا، أَوْ تَكْرَارُ جُمْلَةٍ شِعْرِيّةٍ عَبْرَ عِدَّةِ أَبْيَاتٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ بِمَا يُشَكِّلُ لَازِمَةً مُوسِيقِيَّةً يَتَرَدَّدُ صَدَاهَا فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِ اللَّحْنِ.

وَهَذَا مَا سَنَتَوَقَّفُ عِنْدَهُ فِي الْفَقَرَاتِ التَّالِيَةِ مِنْ هذَا الْفَصْلِ الْأَخِيرِ .

(2/3) التَّوَازِي الْقَرِيبُ فِي خَطٍّ أُفُقِيٍّ :

يَرْتَكِزُ هَذَا النَّمَطُ الصَّوْتِيُّ عَلَىٰ تَقْسِيمِ الْبَيْتِ إِلَىٰ تَرَاكِيبَ نَحْوِيَّةٍ مُتَسَاوِيَةٍ، يُمَثِّلُ كُلٌّ مِنْهَا مَعْنًىٰ يُوَازِرُ الدِّلَالَةَ الْعَامَّةَ لِلْقَصِيدَةِ، وَقَدْ تَمَّ رَصْد مَلَامِح الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِلشَّاعِرِ فِيهِ ، وَهُوَ مَا نُوَضِّحُهُ فِيمَا يَلِي :

1 ـ تَمَثَّلَ هَذَا النَّمَطُ الصَّوْتِيُّ فِي 27 مَوْضِعًا فِي شِعْرِ «قُطْب» مُوَزَّعًا عَلَىٰ 21 قَصِيدَةً.

2 ـ تَمَثَّلَ هَذَا النَّمَطُ الصَّوْتِيُّ فِي إِطَارِ وَزْنَي الُمتَقَارِبِ وَالْبَسِيطِ بِنِسْبَةِ 4 قَصَائِدَ لِكُلِّ وَزْنٍ ، بَيْنَمَا مَثَّلَ الْكَامِلُ وَالخَفِيفُ وَالطَّوِيلُ مَرْتَبَةً ثَانِيَةً مِنَ الْأُطُرِ الَّتِي ظَهَرَ فِيهَا هَذَا النَّمَطُ الصَّوْتِيُّ.

3 ـ الُملَاحَظَةُ الجَدَلِيَّةُ فِي هَذَا الحَصْرِ أَنَّ ظَاهِرَةَ التَّوَازِي الْأُفُقِيِّ تَتَجَلَّىٰ أَكْثَرَ فِي الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَىٰ «فَعُولُنْ» وَمَقْلُوبِهَا «فَاعِلُنْ» فَالْأُولَىٰ فِي الُمتَقَارِبِ وَالطَّوِيلِ ، وَالثَّانِيَةُ

فِي الْبَسِيطِ.فَمِنْ هَذِهِ الْأُطُرِ جَاءَ 14 مَوْضِعًا مِـنْ مَجْمُـوعِ 27 .أَيْ إِنَّهَـا مَثَّلَـتْ مَـا يَقْـرُبُ مِـنْ نِصـفِ المَوَاضِعِ.وَلَعَلَّ سُهُولَةَ تَيْنِ التَّفْعِيلَتَيْنِ جَعَلَتْهُمَا أَسْهَلَ فِي التَّنَـاوُلِ الصَّـوْتِيِّ وَأَخَفَّ؛بِمَـا أَنَّهُـمَا التَّفْعِيلَتَـانِ الخُمَاسِيَّتَانِ الْوَحِيدَتَانِ فِي تَفْعِيلَاتِ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ .

فَفِي قَصِيدَةِ «عَهْدُ الصِّغَرِ»[1] [مِنَ المُتَقَارِبِ] يَتَمَثَّلُ هَذَا النَّمَطُ الصَّوْتِيُّ فِي أَرْبَعَةِ أَبْيَاتٍ يَقُولُ :

4 ـ فَـآنًـا تُـؤِذُّ ، وَآنًـا تَـلِـذُّ   وَآنًـا تَـسُـوءُ ، وَآنًا تَسُرْ

8 ـ لِعَهْدِ الرِّضَاءِ ، وَعَهْدِ الحُبُورِ   وَعَهْدِ الصَّفَاءِ الْقَلِيلِ الْـكَدَرْ

15 ـ أَلَا يَا رَعَىٰ الـلـه عَهْدَ الصِّغَرْ   أَلَا يَا لَـحَىٰ الـلـه عَهْدَ الْـكِبَرْ

16 ـ فَــذَلِكَ عَهْدٌ صَبُوحٌ أَغَرْ   وَهَـٰـذَا عَـبُوسٌ ظَـلُومٌ قَتِرْ

فَفِي الْبَيْتِ الرَّابِعِ يَصِفُ الشَّاعِرُ ذِكْرَيَاتِ صِبَاهُ فِي أَرْبَعِ جُمَلٍ مُتَسَاوِيَةٍ نَحْوِيًّـا وَصَـوْتِيًّا ، وَفِي الثَّـامِنِ يَصِفُ عَهْدَ الطُّفُولَةِ بِذِكْرَيَاتِهِ الْبِكْرِ فِي ثَلَاثِ جُمَلٍ مُتَنَاسِقَةٍ نَحْوِيًّا وَصَوْتِيًّا.أَمَّا فِي الْبَيْتِ الخَـامِسَ عَشَرَ فَـإِنَّ التَّقْسِيمَ المُتَوَازِيَ يَضَعُنَا أَمَامَ تَرْكِيبَيْنِ مُتَنَاسِقَيْنِ نَحْوِيًّا وَمُوسِيقِيًّا ، وَهُمَا يَسِيرَانِ فِي خَطَّيْنِ مُخْتَلِفَـيْنِ دِلَالِيًّـا، الْأَوَّلُ:دُعَاءٌ لِعَهْدِ الصِّغَرِ وَالثَّانِي: دُعَاءٌ عَلَىٰ عَهْدِ الشَّبَابِ، وَيُعَلِّلُ الْبَيْـتُ السَّـادِسَ عَشَرَ الـدُّعَاءَ لِـذَاكَ وَعَـلَىٰ ذَلِكَ بِأُسْلُوبٍ مُتَوَازٍ أَيْضًا لِيَتَنَاسَقَ دِلَالِيًّا وَصَوْتِيًّا مَعَ مَا سَبَقَهُ.

وَلَعَلَّ هَذَا التَّوَازِيَ الصَّوْتِيَّ تُظْهِرُهُ تَفْعِيلَةُ «فَعُولُنْ» الخُمَاسِيَّةِ عَلَىٰ نَحْوٍ صَوْتِيٍّ وَاضِحٍ ؛ إِذْ قَـدْ تَشْـمَلُ وَحْدَةً مَعْنَوِيَّةً تَامَّةً دُونَ دُخُولِ أَيِّ زِحَافٍ مِثْلَ قَوْلِهِ : «فَآنًا» =(//٥/٥) .

وَفِي قَصِيدَةِ «رَسُولُ الحَيَاةِ»[2] [مِنَ الْمتَقَارِبِ] يَقُولُ :

12 ـ فَيَا لِلْجَمَالِ وَيَا لِلْغِنَاءِ !   وَيَـا لِلْـخَـوَاطِـرِ تَهْفُو إِلَيْ !

13 ـ وَيَا لِي مِنْ ظَامِئٍ لَاهِفٍ!   وَيَـا لِي مِـنْ عَـاشِقٍ عَبْقَرِيْ !

فَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي عَشَرَ تُمَثِّلُ جُمْلَـةُ النِّـدَاءِ التَّعَجُّبِـيِّ وَحْـدَةً تَرْكِيبِيَّـةً مُتَكَـرِّرَةً مُتَوَازِيَـةً مَـعَ مَثِيلَتِهَـا فِي خَـطٍّ أُفُقِــيٍّ يَعْكِـسُ انْبِهَـارَ الشَّـاعِرِ مِــنْ عَاطِفَــةِ الحُــبِّ الَّتِــي أَحْيَــتْ حَيَاتَــهُ مِــنْ جَدِيــدٍ وَفِي

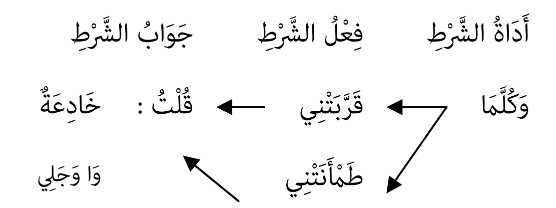
(1) سيد قطب : الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 65 .

(2) السابق ، ص 169 .

الْبَيْتِ الثَّالِثَ عَشَرَ تَقِفُ جُمْلَتَا النِّدَاءِ التَّعَجُّبِيِّ ـ الْمُتَوَازِيَتَـانِ ـ مُجَسِّـدَتَيْنِ إِحْسَـاسَ الشَّـاعِرِ الْعَاشِـقِ.وَفِي قَصِيدَةِ «الْمُعْجِزَةُ» [1] [مِنَ الْبَسِيطِ] يَقُولُ :

3 ـ وَكُلَّمَا قَرَّبَتْنِي، قُلْتُ: خَادِعَةٌ   وَكُلَّمَا طَمْأَنَتْنِي، قُلْتُ : وَا وَجَلِي

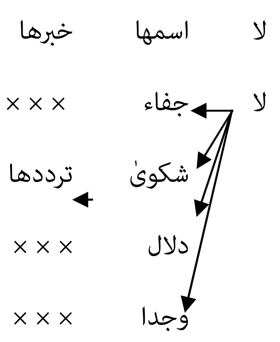
حَيْثُ يُمَثِّلُ التَّرْكِيبُ الشَّرْطِيُّ بِالظَّرْفِ «كُلَّمَا» بِنْيَةَ الْبَيْتِ فِي الصَّدْرِ وَالْعَجُزِ :



وَفِي قَصِيدَةِ «هَدَأْتَ يَا قَلْبُ» [مِنَ الْبَسِيطِ] يَقُولُ :

3 ـ فَلَا جَفَاءَ وَلَا شَكْوَىٰ تُرَدِّدُهَا   وَلَا دَلَالَ وَلَا وَجْـــدًا وَتَحْنَانَا

حَيْثُ تُمَثِّلُ جُمْلَةُ «لا» النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ مَحْذُوفَةِ الخَبَرِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَحْدَةً صَوْتِيَّةً مُتَوَازِيَةً .



(3/3) التَّوَازِي الْقَرِيبُ فِي خَطٍّ رَأْسِيٍّ:

يُمَثِّلُ التَّوَازِي الرَّأْسِيُّ وَاحِدًا مِنْ أَهَمِّ وُجُوهِ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ الْمُتَوَازِي عَلَىٰ مُسْـتَوَىٰ التَّرْكِيـبِ؛ ذَلِـكَ لِأَنَّـهُ يَمْتَدُّ لِمَسَاحَاتٍ عَمُودِيَّةٍ تَتَرَاوَحُ مِنَ الْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ وَالْأَرْبَعَةِ وَالخَمْسَةِ أَبْيَاتٍ، فَفِـي قَصِـيدَةِ «فِي السَّـمَاءِ»[2] يَقُولُ :

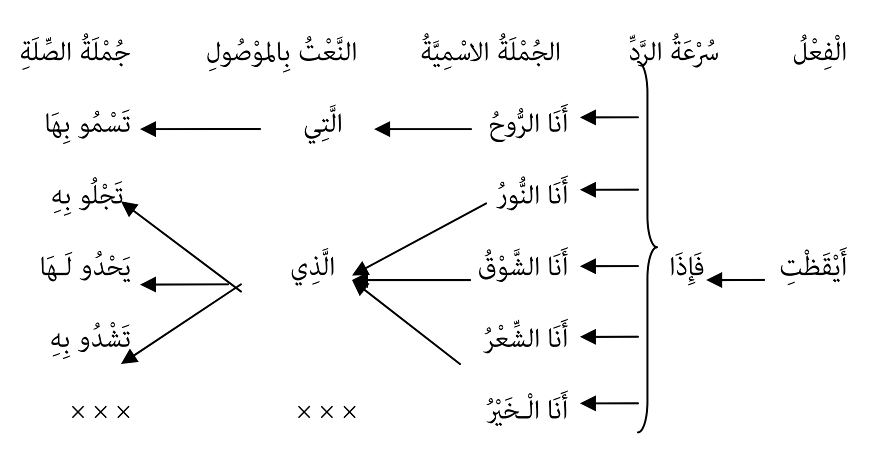
---

(1) السابق ، ص 171 .

(2) السابق ، ص 89 .

1 ـ أَيْقَظْتِ أَنْبَلَ مَا يُجِنُّ ضَـمِيرِي	وَبَعَثْتِ جَوْهَرَ عُنْصُـرِي المَطْمُورِ
2 ـ فَإِذَا أَنَا الرُّوحُ الَّتِي تَـسْـمُو بِهَا	دُنْيَا الْـحَـيَاةِ لَأَوْجِـهَـا الْـمَنْظُورِ
3 ـ وَإِذَا أَنَا النُّورُ الَّذِي تَـجْـلُـو بِهِ	تِلْكَ الْـحَيَاةُ غَيَاهِـبَ الدَّيْـجُورِ
4 ـ وَإِذَا أَنَا الشَّوْقُ الَّذِي يَـحْدُو لهَا	فَتَغِذُّ بَـيْنَ مَـسَـالِـكٍ وَصُـخُـورِ
5 ـ وَإِذَا أَنَا الشِّعْرُ الَّذِي تَـشْدُو بِـهِ	فِي نَـشْـوَةٍ وَتَـجِـيشُ بِـالـتَّـعْـبِيرِ
6 ـ وَإِذَا أَنَا الخَيْرُ المُمَحَّضُ وَالهُدَىٰ	وَالحُبُّ وَالنَّجْوَىٰ خِلَالَ ضَمِيرِي

فِي الْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ يُمَثِّلُ التَّوَازِي الرَّأْسِيُّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ أَيْقُونَـةً صَـوْتِيَّةً تُسْـهِمُ فِي إِنْتَـاجِ دِلَالَـةِ النَّصِّ؛ إِذْ إِنَّ «إِذَا» الْفُجَائِيَّةَ بِمَا يَتْبَعُهَا مِنْ جُمْلَةٍ اِسْمِيَّةٍ مَنْعُوتَةٍ بالمَوصُـولِ الاسْـمِيِّ يُمَثِّلُ رَدَّ الْفِعْـلِ لِلْفِعْـلِ المَذْكُورِ فِي أَوَّلِ الْأَبْيَاتِ؛إِذْ إِنَّ الحَبِيبَـةَ أَيْقَظَـتْ أَنْبَـلَ مَـا فِيـهِ مِـنْ إِحْسَـاسٍ ، وَأَيْقَظَـتْ كُـلَّ مَعَـانِي السُّـمُوِّ وَالسَّعَادَةِ فِي الضَّمْيرِ، هَذَا الْفِعْلُ «أَيْقَظْـتِ» تَرَتَّـبَ عَلَيْـهِ حَرَكَـةُ رَدِّ فِعْـلٍ جَـاءَتْ فِي سِلْسِـلَةٍ مُتَوَالِيَـةٍ مِـنَ التَّرَاكِيبِ النَّحْوِيَّةِ الْبَادِئَةِ بِـ«إِذَا» الْفُجَائِيَّةِ الَّتِي تَرْصُدُ سُرْعَةَ رَدِّ الْفِعْلِ المُبَاشِرِ .



وَلَعَلَّ الْمخَطَّطَ السَّابِقَ يُوَضِّحُ مَا أَشَرْنَـا إِلَيْـهِ سَـابِقًا؛ إِذْ إِنَّـهُ يُفَـرِّغُ التَّرَاكِيـبَ النَّحْوِيَّـةَ المُكَوِّنَةَ لِلْأَبْيَاتِ السَّابِقَةِ ، وَيَجْعَلُنَا نَتَلَمَّسُ مَلَامِحَ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ أَكْثَرَ، إِذْ يَظْهَرُ خَـبَرُ الجُمْلَـةِ الاسْمِيَّةِ وَقَدْ أَخَذَ نَسَقًا صَوْتِيًّا وَاحِدًا تَمَثَّلَ فِي حَرْفِ المَدِّ الْوَاحِدِ فِي «الرُّوحِ»وَ«النُّورِ»، وَالحَرْفِ السَّاكِنِ فِي «الشَّوْقِ» و«الشِّعْرِ» و«الخَيْرِ»، كَمَا أَنَّهُ يُوَضِّحُ جُمْلَةَ صِلَةِ المَوْصُولِ وَقَدْ تَحَـدَّدَتْ

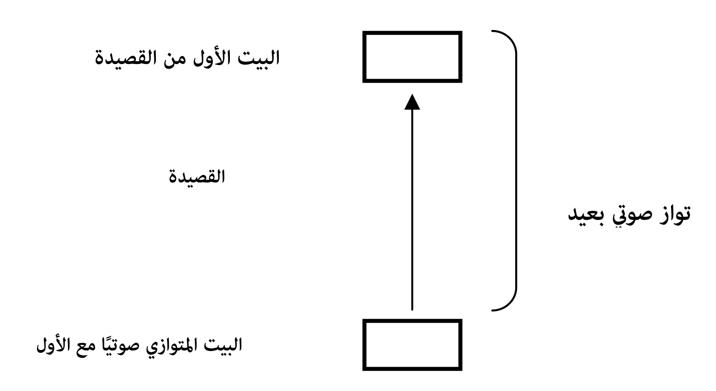
فِي قَالِبٍ لُغَوِيٍّ صَوْتِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الفِعْلُ المُضَارِعُ المُعْتَلُّ الْآخِرِ بِالْوَاوِ .

(4/3) التَّوَازِي الصَّوْتِيُّ الْبَعِيدُ :

يُمَثِّلُ هَذَا النَّمَطُ آلَةً صَوْتِيَّةً يَتَرَدَّدُ نَغْمُهَا عَلَىٰ بُعْدٍ مُحْدِثًا فِي المَقَامِ الْأَوَّلِ التَّمَاسُكَ النَّصِّيَّ ، أَوْ مَا يُسَمَّىٰ السَّبْكَ النَّصَّ ، وَقَدْ تَمَثَّلَ فِي شِعْرِ «قُطْب» فِي صُورَةِ أَدَاءَيْنِ أُسْلُوبِيَّيْنِ : الْأَوَّلُ مَا يُشْبِهُ رَدَّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ بِطَرِيقَةٍ رَأْسِيَّةٍ، وَالثَّانِي:يَتَرَدَّدُ فِيهِ التَّرْكِيبُ عَلَىٰ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ أَوْ شِبْهِ مُتَسَاوِيَةٍ فِي النَّصِّ .

(1/4/3) رَدُّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ بِشَكْلٍ رَأْسِيٍّ :

فِي هَذَا النَّمَطِ يُرَدُّ آخِرُ الْقَصِيدَةِ عَلَىٰ أَوَّلِهَا بِشَكْلٍ رَأْسِيٍّ، حَيْثُ يُمَثِّلُ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ المتَوَازِيَ الْأَوَّلَ وَالْبَيْتُ الْأَخِيرُ المتَوَازِيَ الثَّانِيَ عَلَىٰ النَّحْوِ التَّالِي :



وَعَلَىٰ هَذَا يُعَدُّ هذا النَّمَطُ شَكْلًا مِنْ أَشْكَالِ الْأَلْحَانِ المُوسِيقِيَّةِ، وَهُوَ اللَّحْنُ الدَّائِرِيُّ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ مَقَامٍ وَيَنْتَهِي عِنْدَ المَقَامِ المُوسِيقِيِّ نَفْسِهِ، مِمَّا يُشْبِهُ صُورَةَ دَائِرَةٍ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَيْهِ أُسْلُوبُ «فَتْحِ الْأَقْوَاسِ وَغَلْقِهَا»[1]؛ إِذْ إِنَّ الشَّاعِرَ/ المُلَحِّنَ يَبْدَأُ بِفَتْحِ قَوْسٍ مُتَمَثِّلًا فِي التَّصْرِيعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ يَبُثُّ رِسَالَتَهُ الشِّعْرِيَّةَ / المُوسِيقِيَّةَ، ثُمَّ يُغْلِقُ فِي النِّهَايَةِ الْقَوْسَ بِنَفْسِ آلِيَةِ الْبِدَايَةِ .

وَقَدْ تَمَّ رَصَدُ الْأَدَاءِ الْأُسْلُوبِيِّ لِـ«قُطْب» فِي هذَا النَّمَطِ إِذْ لجَأَ إِلَيْهِ فِي (9)قَصَائِدَ فَقَطْ ، نُسَجِّلُ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ قِرَاءَةٍ فِي النِّقَاطِ التَّالِيَةِ :

1 ـ يُمَثِّلُ إِطَارُ الْكَامِلِ ـ أَيْضًا ـ أَكْثَرَ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ الَّتِي يَتَرَدَّدُ فِيهَا هَذَا النَّمَطُ بِوَاقِعِ 3 قَصَائِدَ، بَيْنَمَا مَثَّلَتْ أَوْزَانُ الخَفِيفِ وَالمُجْتَثِّ وَالطَّوِيلِ وَالرَّمَلِ وَالْبَسِيطِ وَمَجْزُوءِ الْوَافِرِ

(1) كذا سماه الموسيقار عمار الشريعي في برنامجه الذي يذاع علىٰ موجات الإذاعة المصرية.

حُضُورًا وَاحِدًا فَقَطْ .

2 ـ تَرَدَّدَ هَذَا النَّمَطُ الصَّوْتِيُّ أَكْثَرَ فِي الْإِطَارَاتِ المحْدُودَةِ بِالْقَافِيَةِ المُوحَّدَةِ بِوَاقِعِ 5 قَصَائِدَ بَيْنَمَا سَجَّلَتِ نُظُمُ الْمُثَلَّثِ وَالمُوَشَّحِ وَالمُرَبَّعِ وَالصُّونَاتَا حُضُورًا وَاحِدًا .

3 ـ تَمَثَّلَ هَذَا النَّمَطُ الصَّوْتِيُّ أَكْثَرَ فِي الْقَصَائِدِ الطَّوِيلَةِ نِسْبِيًّا، مَا عَدَا قَصِيدَتَيْنِ: «ابْتِسَامَة»[1] و«غَنِيٌّ»[2] الَّتِي جَاءَتْ فِي 10 أَبْيَاتٍ فَقَطْ، وَالجَدْوَلُ التَّالِي يُظْهِرُ المِقْدَارَ الْكَمِيَّ لِلْقَصَائِدِ التِّسْعِ :

م	الْقَصِيدَةُ	عدد الأبيات
1	سعادة الشعراء	25
2	خريف الحياة	15
3	السعادة حديث الأشقياء	15
4	نداء الخريف	42
5	دعاء الغريب..	18
6	ابتسامة	10
7	الشعاع الخابي	28
8	غني	10
9	هبل هبل	30

(2/4/3) تَكْرَارُ التَّرْكِيبِ عَلَىٰ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ :

فِي هَذَا النَّمَطِ يَتَكَرَّرُ التَّرْكِيبُ عَلَىٰ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ أَوْ مُتَقَارِبَةٍ فِي النَّصِّ، مِمَّا يُمَثِّلُ نَغْمَةً تَتَكَرَّرَ عَبْرَ الْبِنَاءِ المُوسِيقِيِّ ، وَقَدْ لجَأَ «قُطْب» إِلَىٰ هَذِهِ الْآلِيَّةِ الصَّوْتِيَّةِ فِي ثَلَاثِ قَصَائِدَ :

(1) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 99 .

(2) السابق ، ص 204 .

ـ الْأُولَىٰ:فِي قَصِيدَةِ «حُلْمُ الحَيَاةِ»[1] حَيْثُ يَتَكَرَّرُ التَّرْكِيبُ «أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي» عَلَىٰ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ ، يَقُولُ :

1 ـ أَيُّهَا الحُلْمُ الَّذِي كَانَتْ حَيَاتِي	مِنْ حَوَالَيْهِ دُعَاءٌ وَصَلَاةْ
2 ـ وَتَسَابِيحٌ وَعَتْهَا أُغْنِيَاتِي	وَانْتِشَاءٌ بِأَفَاوِيقِ الْحَيَاةِ
3 ـ أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي أَطْلَقَنِي	مِنْ قُيُودِي نَحْوَ آفَاقٍ عَجِيبَةْ
4 ـ وَالَّذِي فِي الصَّحْوَةِ قَدْ طَوَّقَنِي	بِتَهَاوِيلٍ مِنَ الْوَهْمِ حَبِيبَةْ
5 ـ أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي طَهَّرَ نَفْسِي	بِالْعَذَابِ الحُلْوِ وَالدَّمْعِ الطَّهُورْ
6 ـ وَالَّذِي أَفْعَمَ بِالْآمَالِ كَأْسِي	وَحَبَانِي بَعْدَ رُشْدِي بِالْغُرُورْ
7 ـ أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ	نَزَقَ الطِّفْلِ وَأَهْوَاءَ الْغُلَامْ
8 ـ وَالَّذِي نَدَّىٰ بِدَمْعِي مُقْلَتَيَّ	وَعَلَىٰ إِثْرِ بُكَائِي الابْتِسَامْ
9 ـ أَيُّهَا الْحُلْمُ الَّذِي جَسَّمَ وَهْمِي	فَإِذَا الْأَوْهَامُ فِي الدُّنْيَا حَقِيقَةْ
10 ـ تَتَجَلَّىٰ فِي أَحَاسِيسِي وَهَمِّي	صِلَةً بِالرُّوحِ وَالْجِسْمِ وَثِيقَةْ

يُمَثِّلُ التَّرْكِيبُ النِّدَائِيُّ أَيْقُونَةً صَوْتِيَّةً تَتَرَدَّدُ عَلَىٰ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ عَلَىٰ طُولِ النَّصِّ ، مِمَّا يُحَقِّقُ سَبْكًا يَمْتَدُّ مِنْ أَوَّلِ عُنْوَانِ النَّصِّ إِلَىٰ آخِرِهِ ، وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ يُمَثِّلُ نَغْمَةَ نَعْيٍ تَتَرَدَّدُ بِحَسْرَةٍ وَأَلَمٍ عَلَىٰ هَذَا الحُلْمِ الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ رَحَلَ وَأَخَذَ كُلَّ شَيْءٍ مَعَهُ .

ـ الثَّانِيَةُ:قَصِيدَةُ «وَدَاعُ الشَّاطِئِ»[2] حَيْثُ يَتَكَرَّرُ التَّرْكِيبُ «احْلُ يَا شَطُّ» عَلَىٰ أَبْعَادٍ شِبْهِ مُتَسَاوِيَةٍ ، كُلَّ أَرْبَعَةِ أَوْ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ ، يَقُولُ :

1 ـ أُحْلُ يَا شَطُّ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي	رَغْمَ سِحْرِ الجَمَالِ وَالمَوْجِ رَاحِلْ
6 ـ أُحْلُ يَا شَطُّ بِالْجَمَالِ طَلِيقًا	مِنْ قُيُودِ الزَّمَانِ نَشْوَانَ وَاهِلْ
10ـ أُحْلُ يَا شَطُّ بِالْعَرَائِسِ حُورًا	سَابِحَاتٍ وَالْمَوْجُ ظَمْآنُ نَاهِلْ
15ـ أُحْلُ يَا شَطُّ لَنْ نَطِيقَ انْفِلَاتًا	مِنْ رَحِيلٍ إِلَىٰ جَحِيمِ الشَّوَاغِلْ

(1) الأعمال الشعرية الكاملة ، ص 209 .

(2) السابق ، ص 235 .

وَعَلىٰ هَذَا يُعَدُّ التَّرْكِيبُ المُتَوَازِي مَحَطَّاتِ إِرْسَالٍ يُشِيرُ إِلَىٰ عُنْوَانِ النَّصِّ، وَيُحِيلُ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ إِلَىٰ مَا سَبَقَهُ مِنْ دَلَالَةٍ، وَهِيَ رَغْمَ جَمَالِ الشَّاطِئِ وَهُدُوئِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَاحِلٌ عَنْهُ ـ مُجْبَرًا ـ إِلَىٰ عَالَمِ الضَّجِيجِ وَالصَّخَبِ .

ـ الثَّالِثَةُ:قَصِيدَةُ المدْحِ الْوَحِيدَةُ فِي أَعْمَالِ «قُطْب»، وَهِيَ«المِهْرَجَانُ»[1] حَيْثُ يَتَكَرَّرُ التَّرْكِيبُ «عَاشَ فَارُوقُ وَدَامَ المِهْرَجَانِ».وَيَتَرَدَّدُ كُلَّ أَرْبَعَةِ أَوْ خَمْسَةِ أَبْيَاتٍ يَقُولُ :

5ـ مِهْرَجَانُ الْعَرْشِ وَالشَّعْبِ مَعًا	عَاشَ فَارُوقُ ، وَدَامَ الْـمِهْرَجَانْ
11ـ ثُمَّ هَـٰذَا الْيَوْمُ يَوْمُ الْـمِهْرَجَانْ	عَاشَ فَارُوقُ ، وَدَامَ الْـمِهْرَجَانْ
16ـ كُلُّ يَوْمٍ أَنْتَ فِيهِ الْـمِهْرَجَانْ	عَاشَ فَارُوقُ ، وَدَامَ الْـمِهْرَجَانْ
22ـ ثُمَّ كَانَ الْيَوْمُ يَوْمَ الْـمِهْرَجَانْ	عَاشَ فَارُوقُ ، وَدَامَ الْـمِهْرَجَانْ
26ـ ثُمَّ وَافَىٰ الْيَوْمُ ، يَوْمَ المِهْرَجَانْ	عَاشَ فَارُوقُ ، وَدَامَ الْـمِهْرَجَانْ
32 ـ كُلُّ قَلْبٍ خَافِقٍ بِالْـمِهْرَجَانْ	عَاشَ فَارُوقُ ، وَدَامَ الْـمِهْرَجَانْ
37 ـ وَأَنَا الْغِرِّيدُ يَوْمَ الْـمِهْرَجَانْ	عَاشَ فَارُوقُ ، وَدَامَ الْـمِهْرَجَانْ

وَلَعَلَّ مِنَ المُلَاحَظِ أَنَّ التَّرْكِيبَ الْفِعْلِيَّ يُمَثِّلُ نَغْمَةَ تَكْرَارٍ مُنَاسِبَةً لِرُوحِ المدْحِ المتَمَثِّلَةِ فِي مِهْرَجَانِ تَنْصِيبِ المَلِكِ فَارُوقِ لِلْعَرْشِ .

ثَمَّةَ مُلَاحَظَةٌ أَخِيرَةٌ عَلَىٰ هَذَا النَّمَطِ الصَّوْتِيِّ هُوَ أَنَّهُ دَائِمُ المُلَازَمَةِ بِتَفْعِيلَةِ «فَاعِلَاتُنْ» حَيْثُ إِنَّ الْقَصِيدَتَيْنِ الْأُولَىٰ وَالثَّالِثَةُ مِنْ إِطَارِ وَزْنِ الرَّمَلِ وَالثَّانِيَةُ مِنَ الخَفِيفِ .

---

(1) السابق ، ص 273 .

مُلَخَّصُ الْبَابِ الثَّالِثِ

دَأَبَ هَذَا الْفَصْلُ عَلَىٰ دِرَاسَةِ عَنَاصِرِ التَّوَازِي الصَّـوْتِيِّ الُممَثِّلَـةِ لِلْمُوسِـيقَىٰ الدَّاخِلِيَّـةِ فِي الـنَّصِّ ـ عَـلَىٰ اِعْتِبَارِ أَنَّ الْوَزْنَ وَالْقَافِيَةَ مُوسِيقَىٰ خَارِجِيَّةٌ ـ وَقَدْ كَانَتْ كَلِمَةُ السِّرِّ لِهَذَا الْبَابِ «التَّكْرَارَ» الَّذِي يَخْلُـقُ نَوْعًـا مِنَ الُمتَوَازِيَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الُمخْتَلِفَةِ عَلَىٰ عِدَّةِ مُسْتَوَيَاتٍ تَبْدَأُ مِنَ الَحرْفِ مُرُورًا بِالْكَلِمَةِ وُصُولًا إِلَىٰ التَّرْكِيبِ.

فَفِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ:تَمَّتْ دِرَاسَةُ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الَحرْفِ، بِمَا إِنَّهُ أَصْغَرُ وَحْدَةٍ تَتَكَوَّنُ مِنْهَـا الْكَلِمَةُ .

وَفِي الْفَصْلِ الثَّانِي:تَمَّتْ دِرَاسَةُ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْكَلِمَاتِ، وَهُوَ فِي أَسَاسِهِ قَائِمٌ عَلَىٰ ظَـاهِرَةِ التَّكْرَارِ النَّمَطِيِّ لِكَلِمَتَيْنِ فِي بِنْيَةِ الْبَيْتِ وَقَدْ تَعَدَّدَتْ ظَوَاهِرُ التَّوَازِي الصَّوتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْكَلِمَاتِ عَلَىٰ سِتِّ صِوَرٍ، هِيَ :التَّصْرِيعُ ـ التَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ ـ الِجنَاسُ ـ رَدُّ الْعَجُزِ عَـلَىٰ الصَّـدْرِ ـ التَّرْدِيـدُ ـ الْقَافِيَـةُ المعْكُوسَـةُ أَوْ قَافِيَةُ المَطَالِعِ.

أَمَّا الْفَصْلُ الثَّالِثُ : فَقَدْ تَمَّتْ فِيهِ دِرَاسَةُ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ ، وَفِيـهِ تَـمَّ التَّـوَازِي بَيْنَ تَرْكِيبَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ صَوْتِيًّا عَنْ طَرِيقِ : التَّوَازِي الْقَرِيبِ ـ التَّوَازِي الْبَعِيدِ .

الخاتِمَةُ

تَتَمَيَّزُ اللُّغَةُ الشِّعْرِيَّةُ بِأَنَّهَا لُغَةٌ اِنْفِعَالِيَّةٌ تَتَوَجَّهُ إِلَىٰ الْوِجْدَانِ، وَتَعْتَمِدُ بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ عَلَىٰ إِبْرَازِ الْعَنَاصِرِ الْمُوسِيقِيَّةِ الَّتِي يُمْكِنُهَا هِيَ الْأُخْرَىٰ أَنْ تُثِيرَ اِنْفِعَالَاتٍ لَا تُحْصَىٰ ، وَلَا مَجَالَ لِلشَّكِّ الْيَوْمَ بِمَا يُمْكِنُ أَنْ تُضِيفَهُ الْإِشَارَاتُ الصَّوْتِيَّةُ عَلَىٰ مَعْنَىٰ النَّصِّ.

وَلِذَا دَأَبَتْ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ إِلَىٰ تِبْيَانِ دَوْرِ التَّشْكِيلَاتِ الصَّوْتِيَّةِ لِهذِهِ اللُّغَةِ الْمُوسِيقِيَّةِ فَجَاءَت فِي مَدْخَلٍ نَظَرِيٍّ ارْتَكَزَتْ عَلَيْهِ بِاعْتِبَارِهِ نُقْطَةَ انْطِلَاقٍ مُؤَسِّسَةٍ لِمَحَاوِرَ عِدَّةٍ مِنَ التَّطْبِيقِ الْعِمْلِيِّ ، فَجَاءَ بَابُهَا الْأَوَّلُ مِنْهُ لِدِرَاسَةِ مُوسِيقَىٰ الْأُطُرِ الصَّوْتِيَّةِ الْعَرُوضِيَّةِ، وَقَدْ تَعَامَلَتِ الدِّرَاسَةُ مَعَ الْوَزْنِ الْعَرُوضِيِّ كَأَحَدِ الدَّوَالِّ الصَّوْتِيَّةِ فِي النَّصِّ، وَلَيْسَ كُلَّ الدَّوَالِّ ؛ إِذْ إِنَّ «الْمُوسِيقَىٰ لَيْسَتْ هِيَ الْعَرُوضَ ، وَالْأَصَحُّ أَنَّ الْعَرُوضَ شَكْلٌ مِنْ أَشْكَالِ الْمُوسِيقَىٰ».[1]

كَمَا قَامَ ذَلِكَ الْبَابُ بِدِرَاسَةِ التَّشْكِيلَاتِ الصَّوْتِيَّةِ الْجَدِيدَةِ لِلْأَوْزَانِ الشِّعْرِيَّةِ، وَوَصَلَتْ إِلَىٰ أَنَّهُ ثَمَّةَ تَشْكِيلَاتٌ جَدِيدَةٌ، وَتَشْكِيلَاتٌ سَتُسْتَحْدَثُ طَالَمَا أَنَّ هُنَاكَ قَوْلًا شِعْرِيًّا مِنَ الطِّرَازِ الرَّفِيعِ، وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَطْوِيرُ طُرُقِ دِرَاسَةِ الْمُوسِيقَىٰ الْخَلِيلِيَّةِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ[2] «لَقَدْ كَانَ عِلْمُ الْعَرُوضِ الْخَلِيلِيِّ ضَرُورَةً تَارِيخِيَّةً، وَالضَّرُورَةُ التَّارِيخِيَّةُ تَبْرِيرٌ مَعْقُولٌ لِمَوْلِدِ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَتَدْرُسُ الْإِبِسْتِمُولُوجِيَا الشُّرُوطَ الْمُلَازِمَةَ لِهَذَا الْمِيلَادِ وَلِتَطَوُّرِهِ أَوْ جُمُودِهِ، بَيْدَ أَنَّ الضَّرُورَةَ التَّارِيخِيَّةَ لَيْسَتْ مِمَّا تُحَتِّمُ بَقَاءَ نَظَرِيَّةٍ رَغْمَ انْتِقَالِ الْوَاقِعِ الَّذِي أَبْرَزَهَا إِلَىٰ مُسْتَوىٰ مُخْتَلِفٍ».[3]

<u>وَقَدْ خَرَجَ هَذَا الْبَابُ بِالنَّتَائِجِ التَّالِيَةِ :</u>

1 ـ وَزْنُ الرَّمَلِ هُوَ الْوَزْنُ الَّذِي مَالَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ طِيلَةَ مَرَاحِلِ إِبْدَاعِهِ، وَقَدْ صَاحَبَ هَذَا الْمَيْلَ أَيْضًا طُولٌ فِي النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ، وَكَانَ وَصِيفُ الرَّمَلِ وَزْنَ الْكَامِلِ، ثُمَّ الْخَفِيفِ ثُمَّ الطويلِ الَّذِي جَاءَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي مِقْيَاسِ طُولِ النَّفَسِ الشِّعْرِيِّ.

2 ـ كَشَفَتِ الدِّرَاسَةُ فِي هَذَا الْبَابِ عَنِ انْتِمَاءِ الشَّاعِرِ انْتِمَاءً أَصِيلًا لِجمَاعَةِ أَبُولْلُو، وَذَلِكَ بِمُقَارَنَتِهِ مَعَ عَدَدٍ مِنَ الشُّعَرَاءِ (أَبِي شَادِي ـ نَاجِي ـ طَه ـ أَبُو الْوَفَا ـ الهَمْشَرِيّ ـ الشَّابِيِّ)

---

(1) مهدي بندق : رؤية حداثية لموسيقىٰ الشعر العربي، مجلة الشعر القاهرية ، ع110 ، أبريل 2003 ، ص 113 .

(2) من التقنيات العلمية الجديدة في دراسة العروض ما قام به مهندس باسل لمعي في أطروحته : نحو نظرية رقمية جديدة لموسيقىٰ الشعر العربي ، وقد عرض مدخلها في مجلة الشعر القاهرية ، ع93 ، يناير 1999، ص98 وما بعدها .

(3) مهدي بندق: مرجع سابق ص 112 .

عَلَىٰ المسْتوَىٰ الشَّكْلِيِّ فِي نِسَبِ الميْلِ إِلَىٰ الْأَوْزَانِ، وَعَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الموْضُوعِ فِي وُقُوفِهِ مَعَهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ نِقَاطِ التَّمَاسِّ لِلاتِّجَاهِ الْوِجْدَانِيِّ .

3ـ ظَهَرَ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَةِ الْبِنْيَةِ المقْطَعِيَّةِ لِلْأَوْزَانِ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْزَانِ مَيْلًا هِيَ الْأَوْزَانُ الَّتِي تَتَمَيَّزُ بِطُولِ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ، وَقَدِ اتَّفَقَتْ هَذِهِ الدِرَاسَةُ فِي ذَلِكَ مَعَ النَّتِيجَةِ الَّتِي تَوَصَّلَ إِلَيْهَا كُلٌّ مِنْ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِ وَمُحَمَّدُ الهَادِي الطَّرَابُلْسِيُّ.

ثُمَّ انْتَقَلَ الْبَابُ الثَّانِي لِدَرَاسَةِ دَوْرِ الْقَافِيَةِ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، وَوَصَلَ مِنْ خِلَالِ إِحْصَاءَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ إِلَىٰ أَكْثَرِ الْأَصْوَاتِ المسْتَخْدَمَةِ رَوِيًّا فِي شِعْرِ الشَّاعِرِ وَدَوْرِهَا فِي إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ الَّتِي تَسْعَىٰ إِلَيْهَا الْقَصِيدَةُ .

كَذَا قَامَ بِدِرَاسَةِ الْقَافِيَةِ بِاعْتِبَارِ رَوِيِّهَا دَرَاسَةً دِلَالِيَّةً تَتَآزَرُ مَعَ الْبِنَىٰ اللُّغَوِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ فِي بِنْيَةِ النَّصِّ.

وَقَدْ خَرَجَ هَذَا الْبَابُ بِالنَّتَائِجِ التَّالِيَةِ :

1 ـ أَكْثَرُ الْأَصْوَاتِ اللُّغَوِيَّةِ المُسْتَخْدَمَةِ رَوِيًّا كَانَتْ مُتَمَثِّلَةً فِي مَجْمُوعَةِ الحُرُوفِ المَائِعَةِ:(الرَّاءِ ـ النُّونِ ـ المِيمِ ـ اللَّامِ)شَارَكَهَا صَوْتَانِ مِنْ مَجْمُوعَةِ الحُرُوفِ الانْفِجَارِيَّةِ هُمَا :(الْبَاءُ ـ الدَّالُ)، وَقَدْ تَبَيَّنَ مِنَ التَّتَبُّعِ الْإِحْصَائِيِّ أَنَّ تَيْنِ المَجْمُوعَتَيْنِ مَثَّلَتَا ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ شِعْرِ الشَّاعِرِ الَّذِي تَمَيَّزَ إِيقَاعُ النِّهَايَةِ فِيهِ بِالْقُوَّةِ الصَّوْتِيَّةِ وَالْوُضُوحِ السَّمْعِيِّ .

2ـ صُورَةُ قَافِيَةِ المُتَوَاتِرِ هِيَ أَكْثَرُ الصُّوَرِ الَّتِي اِعْتَمَدَ عَلَيْهَا فِي شِعْرِهِ، وَهِيَ صُورَةٌ أَفْرَزَتْ سِتَّ تَشْكِيلَاتٍ مِنَ المقَاطِعِ الصَّوْتِيَّةِ .

3ـ كَشَفَ الْبَحْثُ ـ بِآلِيَّةِ الْإِحْصَاءِ ـ أَنَّ أَكْثَرَ قَصَائِدِ الشَّاعِرِ كَانَتْ مُوَحَّدَةَ الْقَافِيَةِ 74 قَصِيدَةً مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ بِنِسْبَةِ 58 % بَيْنَمَا مَثَّلَتِ الْقَصَائِدُ المُنَوَّعَةِ الْقَافِيَةِ 42% مِنْ مَجْمُوعِ أَعْمَالِهِ بِمَجْمُوعِ 55 قَصِيدَةً، جَاءَتْ بِأَنْمَاطٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي تَوْزِيعِ حُرُوفِ الرَّوِيِّ:المُرَبَّع بِأَنْوَاعِهِ ـ المَقْطُوعَة بِأَنْوَاعِهَا ـ المُشَطَّر بِأَنْوَاعِهِ ـ المُسَمَّط ـ المُوَشَّح ـ الصُّونَاتَا، وَعِنْدَ هَذِهِ الْأَخِيرَةِ تَوَقَّفْنَا بِدِرَاسَةٍ فَنِّيَّةٍ لِتِبْيَانِ صُورَتِهَا عِنْدَ أَرْبَابِ المُوسِيقَىٰ .

4 ـ ظَهَرَ مِنْ خِلَالِ الدِّرَاسَةِ أَنَّ أَكْثَرَ الْأَنْسَاقِ الصَّوْتِيَّةِ اِسْتِعْمَالًا فِي شِعْرِ الشَّاعِرِ هُوَ النَّسَقُ الصَّوْتِيُّ المُتَمَاثِلُ نَظَرًا لِأَكْثَرِيَّةِ الْقَصَائِدِ المُوَحَّدَةِ الْقَافِيَةِ.

5ـ نَتَجَ عَنْ هَذِهِ الدِّرَاسَةِ أَنَّ صَوْتَ الرَّوِيِّ قَدْ يُفْرِزُ الدِّلَالَةَ مِنْ خِلَالِ مِيكَانِيكِيَّةِ النُّطْقِ بِـهِ ، أَوْ مِـنْ خِـلَالِ مَعَانِي مَصَادِرِهِ وَمَا تُعْطِيهَا مِنْ إِيحَاءَاتٍ ، وَهَذِهِ الدِّلَالَةُ إِنْ لَمْ تَكُنْ دَلَالَةَ إِيحَاءٍ فَهِـيَ دَلَالَـةُ تَوْجِيـهٍ لِلْمَعْنَىٰ المُتَخَلِّقِ فِي رَحِمِ النَّصِّ .

ثُمَّ جَاءَ الْبَابُ الثَّالِثُ لِدِرَاسَةِ أُسْلُوبِيَّةِ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المُتَوَازِي، المُمَثِّلَةِ لِلْمُوسِيقَىٰ الدَّاخِلِيَّـةِ فِي الـنَّصِّ ـ إِذَا اعْتَبَرْنَا أَنَّ الْوَزْنَ وَالْعَرُوضَ مُوسِيقَىٰ خَارِجِيَّةٌ ـ وَقَدْ كَانَتْ كَلِمَةُ السِّرِّ لِهٰذَا الْبَابِ «التَّكْرَارَ» الَّذِي يَخْلُـقُ نَوْعًا مِنَ المُتَوَازِيَاتِ الصَّوْتِيَّةِ المُخْتَلِفَةِ عَلَىٰ عِدَّةِ مُسْتَوَيَاتٍ تَبْدَأُ مِنَ الحَرْفِ مُرُورًا بِالْكَلِمَةِ وُصُولًا إِلَىٰ تَرْكِيبِ الْبَيْتِ أَوِ الْبَيْتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ تَعَدَّدَتْ ظَـوَاهِرُ التَّـوَازِي الصَّـوتِيِّ عَـلَىٰ مُسْـتَوَىٰ الْكَلِـمَاتِ عَـلَىٰ سِـتِّ صِـوَرٍ، هِـيَ : التَّصْرِيـعُ ـ التَّصْرِيعُ النِّهَائِيُّ ـ الجِنَاسُ ـ رَدُّ الْعَجُزِ عَلَىٰ الصَّدْرِ ـ التَّرْدِيدُ ـ الْقَافِيَةُ المعْكُوسَةُ أَوْ قَافِيَةُ المَطَـالِعِ.أَمَّـا دِرَاسَـةُ التَّوَازِي الصَّوْتِيِّ عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ التَّرْكِيبِ، فَقَدْ سَارَتْ فِي طَرِيقَيْنِ: التَّوَازِي الْقَرِيبِ ـ التَّوَازِي الْبَعِيدِ .

إِنَّ صِنَاعَةَ الشِّعْرِ لَيْسَتِ بِالصَّنْعَةِ السَّهْلَةِ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ عَمَلِيَّـةِ نَقْـدِ هَـذِهِ الصَّـنْعَةِ لَيْسَـتْ بِالْعَمَلِيَّـةِ الْيَسِيرَةِ، وَمِنْ ثَمَّ يَجِبُ الاعْتِدَادُ لهَا بِشَتَّىٰ الْقَنَوَاتِ المعْرِفِيَّةِ الَّتِي تَخْدُمُ النَّصَّ فِي المَقَـامِ الْأَوَّلِ عَـلَىٰ نَحْـوِ مَـا رَأَيْنَا فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ .

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

أَوَّلًا : المصَادِرُ

ـ سَيِّدُ قُطْب :

1ـ الْأَعْمَالُ الشِّعْرِيَّةُ الْكَامِلَةُ.ط.دَار الناقد الثقافي، دمشق ، 2008 ، تقديم د. حسن حنفي .

ثَانِيًا:الْـمَرَاجِعُ

(أ) الْـمَرَاجِعُ الْعَرَبِيَّةُ

ـ د.إِبْرَاهِيم أَنِيس:

2 ـ الْأَصْوَاتُ الْعَرَبِيَّةُ، ط.مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط5 ، 1975 .

3 ـ مُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ، ط. مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط 5 ، 1987 .

ـ إِبْرَاهِيمُ جَابِر عَلِيّ :

4ـ الْبِنْيَةُ الصَّوْتِيَّةُ فِي الشِّعْرِ الحَدِيثِ «بُلَنْد الحَيْدَرِيّ» نَمُوذَجًا ، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2014 .

ـ ابْنُ أَبِي الْإِصْبَعِ المِصْرِيّ (ت 654):

5 ـ كِتَابُ تَحْرِيرِ التَّحْبِيرِ فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ وَالنَّثْرِ وَبَيَانِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ ، تحقيق د . حفني محمد شرف ، ط. المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، (د .ت).

ـ ابْنُ جِنِّي (أَبُو الْفَتْحِ عُثْمَانَ ت 393 هـ):

6ـ الخَصَائِصُ، تحقيق محمد علي النجار، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999 .

7ـ سِرُّ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ ، تحقيق ودراسة د.حسن هنداوي ، ط .دار القلم ، دمشق ، 1993.

8ـ الْـمُحْتَسَبُ فِي تَبْيِينِ وُجُوهِ الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَّةِ وَالْإِيضَاحِ عَنْهَا، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1999.

ـ ابن رشيق القيروانيُّ (أبو عليّ الحسنِ. ت 456 هـ):

9ـ العمدة في صناعة الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمَّد محيي الدين عبد الحميد، ط.دار الجيل،

ـ د.أَحْمَدُ عَبْدُ الحَيِّ:

10ـ شِعْرُ صَلَاحِ عَبْدِ الصَّبُورِ الْغِنَائِيُّ ـ المَوْقِفُ وَالْأَدَاةُ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1988 .

ـ د.أَحْمَدُ عَبْدِ الدَّايِمِ:

11ـ فَنُّ الْعَرُوضِ ـ قَضَايَا وَبُحُوثٌ، ط. دار العدالة، القاهرة، (د.ت).

ـ د.أَحْمَدُ مُحَمَّدٍ كِشْك:

12ـ الْقَافِيَةُ تَاجُ الْإِيقَاعِ الشِّعْرِيِّ، ط. مكتبة دار العلوم، القاهرة (د.ت).

ـ د . أَحْمَدُ مُخْتَار عُمَرَ :

13 ـ دِرَاسَةُ الصَّوْتِ اللُّغَوِيِّ ، ط. دار عالم الكتب ، القاهرة ، ط . 1 ، 1976 .

ـ الْأَخْفَشُ(أَبُو الحَسَنِ سَعِيدُ بْنُ مَسْعَدَةَ ت 215 هـ):

14 ـ كِتَابُ الْقَوَافِي ، تحقيق د . عزة حسن ، ط . دار مطبوعات إحياء التراث القديم ، دمشق، 1970 .

ـ د. تَمَّامُ حَسَّان :

15 ـ الْأُصُولُ ، دِرَاسَةٌ إِبْسِتْمُولُوجِيَّةٌ لِلْفِكْرِ اللُّغَوِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1982 .

ـ تَوْفِيقُ الزَّيْدِيُّ :

16 ـ أَثَرُ اللِّسَانِيَّاتِ فِي النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ الحَدِيثِ (مِنْ خِلَالِ بَعْضِ نَمَاذِجِهِ) ، ط . الدار العربية للكتاب، تونس ، 1984 .

ـ د. جَمَالُ عَبْدِ الحَمِيدِ:

17ـ الْبَدِيعُ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللِّسَانِيَّاتِ النَّصِّيَّةِ، ط.الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006.

ـ جُوزِيفُ مِيشَالَ شُرِيمَ :

18ـ دَلِيلُ الدِّرَاسَاتِ الْأُسْلُوبِيَّةِ، ط.المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت 1984 .

ـ الخَطِيبُ التّبْرِيزِيّ :

19 ـ كِتَابُ الْكَافِي فِي الْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي ، تحقيق الحساني حسن عبد اللـه ، ط . مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط . 2 ، 1994.

ـ د .سَعْدُ مَصْلُوح :

20 ـ الْأُسْلُوبُ ـ دِرَاسَةٌ لُغَوِيَّةٌ إِحْصَائِيَّةٌ ، ط . دار الفكر العربي ، ط . 2 ، 1984 .

ـ د. سَعِيدُ حَسن بُحَيْرِيّ :

21 ـ عِلْمُ لُغَةِ النَّصِّ ، ط . مؤسسة المختار للطباعة والنشر ، القاهرة ، (د.ت) .

ـ السَّكَّاكِيُّ :

22 ـ مِفْتَاحُ الْعُلُومِ ، تحقيق د. عبد الحميد الهنداوي ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت . (د.ت) .

ـ د. سَلْمَانُ حَسَن الْعَانِي:

23 ـ التَّشْكِيلُ الصَّوْتِي فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ترجمة د . ياسر الملاح ، ط. النادي الثقافي الأدبي جدة، 1983.

ـ سِيبَوَيْهِ (أبو بشر عمر بن عثمان ت 180 هـ) :

24 ـ الْكِتَابُ ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ط . دار القلم ، بيروت ، 1966 .

ـ د . سَيِّدُ الْبَحْرَاوِيّ :

25 ـ مُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ عِنْدَ شُعَرَاءِ أَبُولْلُو ، ط . دار المعارف بمصر ، 1991 .

26 ـ الْعَرُوضُ وَإِيقَاعُ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ـ محاولة لإنتاج معرفة علمية ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1993 .

ـ شُكْرِي الطَّوَانِسِيُّ:

27ـ مُسْتَوَيَاتُ الْبِنَاءِ الشِّعْرِيِّ ـ دِرَاسَةٌ فِي بَلَاغَةِ النَّصِّ عِنْدَ مُحَمَّدٍ إِبْرَاهِيمَ أَبُو سِنَّة ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

ـ د.شُكْرِي مُحَمَّد عَيَّادٍ :

28ـ مُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ـ مَشْرُوعُ دِرَاسَةٍ عِلْمِيَّةٍ، ط.جمعية أصدقاء الكتاب، القاهرة، ط.2، 1998.

29 ـ مَدْخَلٌ إِلَىٰ عِلْمِ الْأُسْلُوبِ ، ط .دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ، ط . 1 ، 1982.

ـ د. صَلَاحُ فَضْلٍ :

30ـ بَلَاغَةُ الخِطَابِ وَعِلْمُ النَّصِّ ، ط.المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة، (164)، 1992.

31 ـ تَحَوُّلَاتُ الشِّعْرِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2003 .

32 ـ عِلْمُ الْأُسْلُوبِ مَبَادِئُهُ وَإِجْرَاءَاتُهُ ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1985 .

33 ـ نَظَرِيَّةُ الْبِنَائِيَّةِ فِي النَّقْدِ الْأَدَبِيِّ ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 2003 .

ـ د.عَبَّاسُ حَسَن:

34ـ خَصَائِصُ الحُرُوفِ الْعَرَبِيَّةِ وَمَعَانِيهَا، ط.اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 1998 .

ـ عَبَّاسُ مَحْمُود الْعَقَّادِ:

35 ـ اللُّغَةُ الشَّاعِرَةُ ، ط . مكتبة غريب ، القاهرة ، (د .ت).

ـ عَبْدُ السَّلَامِ المَسَدِّي:

36 ـ الْأُسْلُوبِيَّةُ وَالْأُسْلُوبُ ، ط . الدَّار الْعَرَبِيَّةِ لِلْكِتَابِ ، لِيبيَا ، ط . 3 ، (د .ت).

ـ د . عَبْدُ الصَّبُور شَاهِين :

37 ـ عَرَبِيَّةُ الْقُرْآنِ ، ط . مكتبة الشباب ، القاهرة ، (د. ت) .

ـ د . عَبْدُ الْقَادِرِ الْقِطّ :

38 ـ الاتِّجَاهُ الْوِجْدَانِيُّ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الحَدِيثِ ، ط. مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1988 .

ـ عَبْدُ الْقَاهِرِ الجُرْجَانِيّ (ت 474 هـ) :

39 ـ دَلَائِلُ الْإِعْجَازِ ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط . مكتبة الخانجي ، القاهرة (د .ت) .

ـ د . عَبْدُه الرَّاجِحِيّ :

40 ـ النَّحْوُ الْعَرَبِيُّ وَالدَّرْسُ اللُّغَوِيُّ الحَدِيثُ ، ط . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1993 .

ـ د. عِزُّ الدِّينِ إِسْمَاعِيلَ:

41ـ الشِّعْرُ الْعَرَبِيُّ المعَاصِرُ، ط. دار العودة ، بيروت، ط . 2 ، 1972.

ـ د . عُلْوِي الهَاشِمِيُّ :

42 ـ فَلْسَفَةُ الْإِيقَاعِ الْعَرَبِيِّ ، ط . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط . 1 ، 2006 .

ـ د . عَوْنِي عَبْد الرَّؤُوفِ :

43 ـ الْقَافِيَةُ وَالْأَصْوَاتُ اللُّغَوِيَّةُ ، ط . مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د.ت) .

ـ د. عَلِيُّ يُونُسَ:

44ـ النَّقْدُ الْأَدَبِيُّ وَقَضَايَا الشَّكْلِ المُوسِيقِيِّ فِي الشِّعْرِ الجَدِيدِ، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985.

45 ـ نَظْرَةٌ جَدِيدَةٌ فِي مُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 .

ـ د . غَالِي شُكْرِي :

46 ـ شِعْرُنَا الحَدِيثُ إِلَىٰ أَيْنَ؟ ، ط . دار الشروق ، القاهرة ، ط . 1 ، 1991 .

ـ د. فَتَحَ اللـه أَحْمَدَ سُلَيْمَان :

47 ـ الْأُسْلُوبِيَّةُ ـ مَدْخَلٌ نَظَرِيٌّ وَدِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ ، ط . الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط .1 ، 1990 .

ـ الْقَرْطَاجَنِّي (أبو الحسن حازم ، ت 684 هـ) :

48 ـ الْبَاقِي مِنْ كِتَابِ الْقَوَافِي ، تحقيق د . علي لغزيوي ، ط. الدار الأحمدية ، المغرب ، 1997.

ـ الْقَزْوِينِيُّ:

49 ـ الْإِيضَاحُ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ ، تحقيق د. محمد عبد القادر الفاضلي ، ط . المكتبة العصرية ، بيروت ، 2004 .

ـ د.كَمَالُ أَبُو دِيب:

50 ـ جَدَلِيَّةُ الخَفَاءِ وَالتَّجَلِّي ، ط . دار العلم للملايين ، بيروت ، ط . 3 ، 1984 .

ـ د.كَمَالُ بِشْر:

51ـ عِلْمُ اللُّغَةِ الْعَامِّ، الْقِسْمُ الثَّانِي ـ الْأَصْوَاتُ، ط.دار المعارف بمصر، ط . 2، 1982 .

ـ د.مُحَمَّدُ إِبْرَاهِيمَ شَادِي:

52ـ الْبَلَاغَةُ الصَّوْتِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ط. دار الرسالة ، القاهرة ، ط 1 ، 1988 .

ـ مُحَمَّدُ أَحْمَد الطَّوِيل:

53ـ الْأُسْلُوبِيَّةُ وَالِخطَابُ الشِّعْرِيُّ، ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية (158)، 2002 .

ـ د.مُحَمَّدُ الدُّسُوقِيُّ :

54ـ إِنْتَاجُ المكْتُوبِ صَوْتًا ـ دِرَاسَةٌ فِي إِبْدَاعِ الصَّوْتِ فِي النَّصِّ الْأَدَبِيِّ ، ط.دار العلم والإيمان، ط 1 ، 2007 .

55 ـ جَمَالِيَّاتُ التَّلَقِّي وَإِعَادَةُ إِنْتَاجِ الدِّلَالَةِ ـ دراسة في لسانية النص الأدبي ، ط.دار العلم والإيمان، ط 1 ، 2007 .

ـ د . مُحَمَّدُ عَبْدُ المُطَّلَب :

56 ـ الْبَلَاغَةُ وَالْأُسْلُوبِيَّةُ ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1984 .

57 ـ قِرَاءَاتٌ أُسْلُوبِيَّةٌ فِي الشِّعْرِ الحَدِيثِ ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1995 .

ـ د. مُحَمَّد الْعَبْد :

58 ـ اللُّغَةُ وَالْإِبْدَاعُ ، ط . دار الفكر للدراسات والنشر ، القاهرة ، ط .1 ، 1989 .

ـ د . مُحَمَّد الْعَيَّاشِيّ:

59 ـ نَظَرِيَّةُ إِيقَاعِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، ط . دار الكتاب العربي ، دمشق ، 1986 .

ـ د . مُحَمَّدُ الُمبَارَك :

60 ـ فِقْهُ اللُّغَةِ وَخَصَائِصِ الْعَرَبِيَّةِ ـ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مُقَارَنَةٌ لِلْكَلِمَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَعَرْضٌ لمنْهَجِ الْعَرَبِيَّةِ الْأَصِيلِ فِي التَّجْدِيدِ وَالتَّوْلِيدِ ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ط . 6 ، 1975 .

ـ د . مُحَمَّد النُّوَيْهِيّ :

61 ـ قَضِيَّةُ الشِّعْرِ الجَدِيدِ ، ط . دار الفكر ، بيروت ، ط . 2 ، 1971 .

ـ مُحَمَّدُ الْـهَادِي الطَّرَابُلْسِيُّ:

62ـ خَصَائِصُ الْأُسْلُوبِ فِي الشَّوْقِيَّاتِ، ط. المجلس الأعلى للثقافة بمصر، 1996.

ـ د . مَحْمُودُ سُلَيْمَان يَاقُوت :

63 ـ مَنْهَجُ الْبَحْثِ اللُّغَوِيِّ ، ط . دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1998 .

ـ د.مَحْمُودُ عَلِيِّ السَّمَّانِ:

64ـ أَوْزَانُ الشِّعْرِ الحُرِّ وَقَوَافِيهِ، ط. دار المعارف بمصر، 1983 .

ـ د. مدحَتِ الجَيَّار:

65ـ مُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، ط. دار النديم للصحافة والنشر، القاهرة، ط 2 ، 1994.

ـ يُوسُفُ السِّيسِيّ :

66 ـ دعوة إِلَىٰ الُموسِيقَىٰ ، ط. المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة، (46)، 1981.

(ب) المرَاجِعُ المتَرْجَمَةُ:

ـ أُوسْتِن وَارِين ورِينِيه وِيلْك:

67 ـ نَظَرِيَّةُ الْأَدَبِ ، محيي الدين صبحي ، ط . دار القلم ، دمشق ، 1988 .

ـ بِيير جِيرُو :

68ـ الْأُسْلُوبِيَّةُ، ترجمة منذر عياشي ، ط.مركز الإنماء الحضاري للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، ط .2، 1994.

ـ جَان كُوهِين:

69ـ بِنَاءُ لُغَةِ الشِّعْرِ، ترجمة د. أحمد درويش، ط.الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة كتابات نقدية (3)، 1990 .

70 ـ بِنْيَةُ اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ ، ترجمة محمد العمري ومحمد الولي ، ط . دار توبقال ، الدار البيضاء ، 1986 .

ـ رِينِيه وِيلْك:

71 ـ مَفَاهِيمُ نَقْدِيَّةٌ ، ترجمة محمد عصفور، ط. المجلس الأعلىٰ للثقافة والفنون، الكويت سلسلة عالم المعرفة ، (110)، 1987.

ـ هِنْرِيش بِلِت :

72 ـ الْبَلَاغَةُ وَالْأُسْلُوبِيَّةُ ـ نَحْوَ نَمُوذَجٍ سِيمْيَائِيٍّ لِتَحْلِيلِ النَّصِّ الْأَدَبِيِّ ، ترجمة وتقديم د. محمد العمري ، ط . دار إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999 .

ـ يُورِي لُوْتمَان:

73ـ تَحْلِيلُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ ـ بِنْيَةِ الْقَصِيدَةِ ، ترجمة د. محمد فتوح أحمد ، ط. دار المعارف بمصر، 1995 .

ثالثا: الدَّوْرِيَّاتُ

(أ)المقَالَاتُ الْعَرَبِيَّةُ:

ـ د. أَحْمَدُ طَاهِر حَسَنَيْن :

74 ـ المُعْجَمُ الشِّعْرِيُّ عِنْدَ حَافِظ إِبْرَاهِيمَ ، مجلة فصول ، مج 3 ، ع 2 ، 1983 .

ـ بَاسِل لَـمْعِيّ :

75 ـ نَحْوَ نَظَرِيَّةٍ رَقْمِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لمُوسِيقَىٰ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ ، مجلة الشعر القاهرية ، ع 93 ، يناير 1999.

ـ جَمَالُ الدِّينِ بْنُ الشَّيْخِ:

76ـ تَحْلِيلٌ تَفْرِيعِيٌّ بِنْيَوِيٌّ لِقَصِيدَةٍ لِلْمُتَنَبِّي، مجلة الأقلام العراقية، ع 4 ، كانون الثاني 1978.

ـ د . صَلَاح فَضْل :

77 ـ نَصٌّ وَثَلَاثَةُ مَنَاهِجَ نَقْدِيَّةٍ ، مجلة فصول ، مج 7 ، ع 2/1 ، 1986 .

ـ عَادِل شَافِعِيّ الخَطِيب :

76 ـ الْأَغَانِي الشَّعْبِيَّةُ وَالخُرُوجُ مِنَ المَقَامِ الْوَاحِدِ ، مجلة العربي الكويتية ، ع 515 ، أكتوبر ، 2001 .

ـ عَبَّاسُ عَبْدُه الجَاسِم:

77ـ الْإِيقَاعُ النَّفْسِيُّ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، مجلة الأقلام العربية، ع5 ، آزار، 1985 .

ـ عَبْد اللـه حَوْلَه :

78 ـ الْأُسْلُوبِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ وَالنُّشُوئِيَّةُ ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع 1 ، 1984 .

ـ د .عَبْدُ المَقْصُود مُحَمَّد :

79 ـ المِفْصَلُ الصَّوْتِيُّ وَأَثَرُهُ فِي التَّحْلِيلِ النَّحْوِيِّ وَالدِّلَالِيِّ لِلتَّرَاكِيبِ النَّحْوِيَّةِ ، صحيفة دار العلوم للغة العربية وآدابها ، القاهرة ، ع مايو ، 2008 .

ـ د . عُمَرُ عَبْد الهَادِي عَتِيق:

80 ـ الْأُسْلُوبِيَّةُ الصَّوْتِيَّةُ فِي فَوَاصِلِ الْقُرْآنِ ، مجلة المنارة ، مج 16 ، ع 3 ، جامعة آل البيت .

ـ د.عَلِيٌّ يُونُس:

81 ـ تَطَوُّرُ أَسَالِيبِ نَظْمِ الشِّعْرِ بَيْنَ الْعَصْرَيْنِ الجَاهِلِيِّ وَالْأُمَوِيِّ ، مجلة علوم اللغة ، ط. دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مج 3 ، ع 1 ، 2000 .

ـ عَوَاطِفُ عَبْد الْكَرِيم:

82ـ تَعَدُّدُ التَّصْوِيتِ فِي المُوسِيقَىٰ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع 2 ، 1985 .

ـ د. مُحَمَّد عَبْد المُطَّلَبِ :

83 ـ النَّحْوُ بَيْنَ عَبْدِ الْقَاهِرِ وَتشُومِسْكِي ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع1 ، 1984 .

84 ـ التَّكْرَارُ النَّمَطِيُّ فِي شِعْرِ حَافِظ إِبْرَاهِيمَ ـ دِرَاسَةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ ، مجلة فصول ، مج 3 ، ع 2 ، 1983 .

ـ مُحَمَّدُ عِمَادِ الْفَضْلِيُّ:

85ـ بَيْنَ الْأَدَبِ وَالموسِيقَىٰ، مجلة فصول ، مج 5 ، ع 2 ، 1985 .

ـ مَهْدِي بُنْدُق:

86 ـ رُؤْيَةٌ حَدَاثِيَّةٌ لموسِيقى الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ، مجلة الشعر القاهرية، ع 110، أبريل 2003 .

(ب) المقَالَاتُ المتَرْجَمَةِ:

ـ يَانْ مُوكَارُوفِسْكِي:

87ـ اللُّغَةُ المِعْيَارِيَّةُ وَاللُّغَةُ الشِّعْرِيَّةُ، ترجمة ألفت كمال الروبي، مجلة فصول ، مج 5 ، ع 1 1984 .

رَابِعًا :المعَاجِمُ الْعَرَبِيَّةُ

ـ ابْنُ مَنْظُورٍ(جَمَالُ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدٍ):

88ـ لِسَانُ الْعَرَبِ ، تحقيق محمد علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي ، ط.دار المعارف بمصر (د .ت).

ـ إِمِيلُ بَدِيع يَعْقُوبَ:

89ـ الـمُعْجَمُ الـمُفَصَّلُ فِي عِلْمِ الْعَرُوضِ وَالْقَافِيَةِ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، 1991 .

ـ الجُرْجَانِيُّ(عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّيِّدِ الشَّرِيف):

90ـ مُعْجَمُ التَّعْرِيفَاتِ، تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط. دار الفضيلة، القاهرة(د.ت).

ـ د . مُبَارَكْ مُبَارَك :

91 ـ مُعْجَمُ المُصْطَلَحَاتِ الأَلْسُنِيَّةِ ، ط. دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط . 1 ، 1995 .

ـ مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ :

92 ـ مُعْجَمُ المُوسِيقَىٰ ، تقديم د. شوقي ضيف ، 2000 .

ـ د . مُحَمَّد عَلِيّ الخُولِيّ :

93 ـ مُعْجَمُ عِلْمِ الأَصْوَاتِ ، ط . دار الفلاح ، الأردنّ ، ط . 1 ، 1982 .

ـ د . مِيشَالُ عَاصِي و د. إِميلُ بَدِيع يَعْقُوب :

94 ـ المُعْجَمُ المُفَصَّل في اللغة والأدب ، مج 1 ، ط . 1 ، ط . دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987 .

خَامِسًا :المعَاجِمُ المُزْدَوَجَةُ

ـ د . رُوحِي الْبَعْلَبَكِّيّ :

95 ـ قَامُوسُ المَوْرِدِ ، ط. دار العلم للملايين ، ط . 7، 1995 .

سَادسًا : الدِّرَاسَاتُ الجَامِعِيَّةُ

ـ حَنَان أَحْمَد غُنَيْم :

96 ـ التَّصْوِيرُ الْفَنِّيُّ فِي شِعْرِ سَيِّد قُطْب ، رسالة ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، قسم اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، إشراف الدكتور كمال غنيم ، 2007 .

ـ عَادِل نَذِير الحَسَّانِيّ :

97 ـ الأداء الأسلوبي في المستوىٰ الصوتي في أغاني مهيار الدمشقي لأدونيس ، رسالة ماجستير، كلية الآداب ،
قسم اللغة العربية ، جامعة القادسية ، إشراف الأستاذ الدكتور محمد رضا البياتي ، 2001 .
ثَامِنًا : مَوَاقِعُ عَلَىٰ شَبَكَةِ المعْلُومَاتِ الدَّوْلِيَّةِ
98ـ موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا . سَادِسًا : المرَاجِعُ الْأَجْنَبِيَّةُ
تاسعًا: المراجع العربية
-Chomsky: Aspects Of The Theory Of Syntax ,M.I.T Press,Cambridge,Mass,1965.

فهرس المحتويات

الباب الثاني

أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ فِي الْقَافِيَةِ

الباب الثالث

أُسْلُوبِيَّةُ الْأَدَاءِ الصَّوْتِيِّ المتَوَازِيِّ

الأسلوبية الصوتية

مدخل نظري ودراسة تطبيقية




إبراهيم جابر علي


9789957596194


الأردن - عمان
هاتف ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٨٣٦١
فاكس ٠٠٩٦٢٦٤٨٨٩٦٥١
www.amwaj-pub.com
amwajpub@yahoo.com